١

فهرسة كتاب المثل السائر

تمت

﴿فهرسة كتاب ادب الكاتب للامام عبد الله بن قتيبة الدينورى الذى بالهامش﴾

﴿تمت﴾

Nasr-Allāh ibn Muḥ. ibn Muḥ. ibn ʿAbd al-Karīm al-Jazarī
... Mathal al-sāʾir

المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر للشيخ الامام والعلامة الهمام ضياء الدين أبى الفتح نصر الله بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الموصلى الشافعى رحمه الله آمين

م

وبهامشه كتاب أدب الكاتب تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى رضى الله عنه آمين

طبع بالمطبعة البهيه بحوش قدم بمصر المحميه

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله ربنا أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهله وأن يعلمنا من البيان ما يقصر عنه مزية الفضل وأصله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب اليه أن يوفقنا الصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذى هو أفصح من نطق بالضاد ونسخ هديه شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من صابر وصبر ومنهم من آوى ونصر ﴿وبعد﴾ فان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام وقد ألف الناس فيه كتبا وجلبوا ذهبا وحطبا وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لابى القاسم الحسن بن بشر الآمدى وكتاب سر الفصاحة لابى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا وأجدى محصولا وكتاب سر الفصاحة وان نبه فيه على نكت منيرة فانه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام عليها ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة الى أكثره ومن الكلام فى مواضع شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان ذلك كله فى مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على أن كلا الكتابين قد أهملا من هذا العلم أبوابا ولم يأت ذاكرا فى بعض المواضع قشورا وترك اللبابا وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه فى غضون القرآن الكريم ولم أجد أحدا ممن تقدمنى تعرض لذكر شئ منها وهى اذا عدت كانت فى هذا العلم بمقدار شطره واذا نظر الى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره وقد أوردتها ههنا وشفعتها بضروب أخر مدونة فى الكتب المتقدمة بعد أن حذفت منها ما حذفته وأضفت اليها ما أضفته وهدانى الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلى مبتدعة ومنحنى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة وانما هى متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابى هذا وعلى غيره من الكتب (وقد بنيته) على مقدمة ومقالتين (فالمقدمة) تشتمل على أصول علم البيان (والمقالتان) تشتملان على فروعه فالأولى فى الصناعة اللفظية والثانية فى الصناعة المعنوية ولا أدعى

فيما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال أبو محمد) عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى (أما بعد) حمد الله بجميع محامده والثناء عليه بما هو أهله (والصلاة) على رسوله المصطفى وآله فانى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم والشادى تارك للازدياد والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر وبارت بضائع أهله وصار العلم عارا على صاحبه والفضل نقصا وأموال الملوك وقفا على النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق وآضت المروآت فى زخارف النجد وتشييد البنيان ولذات النفوس فى اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف وماتت الخواطر وسقطت هم النفوس وزهد فى لسان الصدق وعقد الملكوت فأبعد غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كاس وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيأ من تقويم الكواكب وينظر فى شئ من القضاء وحد

فيما ألفته من ذلك فضيلة الاحسان ولا السلامة من سلق اللسان فان الفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته ويسىء بالاحسان ظنا لا كمن هو بابنه وشعره مفتون واذا تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع فى اغرابه وليس له صاحب فى الكتب فيقال انه من أخدانه أو من اترابه مفردبين أصحابه ومع هذا فانى أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه وحمت حول حماه ولم أقع فيه اذ الغرض انما هو الحصول على تعليم الكلم التى بها تنظم العقود وترصع وتخاب العقول فتخدع وذلك شىء تحيل عليه الخواطر لا تنطق به الدفاتر (واعلم) أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك أستاذا واذا سألت عما ينتفع به فى فنه قيل لك هذا فان الدربة والادمان أجدى عليك نفعا وأهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا وكل جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك واستنبط بادمانك ما أخطاك وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال

واغا يبلغ الانسان غايته * ما كل ماشية بالرحل شملال

ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول أما مقدمة الكتاب فانها تشتمل على عشرة فصول

﴿الفصل الاول فى موضوع علم البيان﴾

موضوع كل علم هو الشىء الذى يسئل فيه عن أحواله التى تعرض لذاته فموضوع الفقه هو أفعال المكلفين والفقيه يسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام والندب والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الانسان والطبيب يسأل عن أحواله التى تعرض له من صحته وسقمه وموضوع الحساب هو الاعداد والحاسب يسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك وموضوع النحو هو الالفاظ والمعانى والنحوى يسأل عن أحوالهما فى الدلالة من جهة الاوضاع اللغوية وكذلك يجرى الحكم فى كل علم من العلوم وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحوى يشتركان فى أن النحوى ينظر فى دلالة الالفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والاعراب ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع اعرابه ومع ذلك فانه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن هنا غلط مفسر والاشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة

﴿الفصل الثانى فى آلات علم البيان وأدواته﴾

اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر الى آلات كثيرة وقد قيل ينبغى للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوى وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن

المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله قد رضى عوضا من الله ومما عنده بان يقال فلان لطيف وفلان دقيق النظر يذهب الى ان لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغثاء والغثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهى به أليق لانه جهل وظن أنه قد علم فهاتان جهالتان ولان هؤلاء جهلوا وعلموا انهم يجهلون (ولو أن) هذا المعجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب وفى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولامثاله المسلمون وقل فيه المناظرون له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم فاذا سمع الغمر والحدث الغر قوله الكون والفساد وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن ان تحت هذه الالقاب كل فائدة وكل لطيفة فاذا طالعها لم يحل منها بطائل انما هو الجوهر يقوم بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه ورأس الخط النقطة والنقطة لا تنقسم والكلام أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهى الامر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر والآن حد الزمانين مع هذيان كثير والخبر ينقسم الى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه فاذا أراد المتكلم أن يستعمل

ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيأ ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ألا ترى انه اذا لم يكن فى الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيأ وكثيرا ما رأينا وسمعنا من غرائب الطباع فى تعلم العلوم حتى ان بعض الناس يكون له نفاذ فى تعلم علم مشكل المسلك صعب المأخذ فاذا كلف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم نكص على عقبيه ولم يكن له فيه نفاذ وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع فى المنظوم يجيد فى المديح دون الهجاء أو فى الهجاء دون المديح أو يجيد فى المراثى دون التهانى أو فى التهانى دون المراثى وكذلك صاحب الطبع فى المنثور هذا ابن الحريرى صاحب المقامات قد كان على ما ظهر عنه من تنميق المقامات واحدا فى فنه فلما حضر ببغداد ووقف على مقاماته قيل هذا يستصلح لكتابة الانشاء فى ديوان الخلافة ويحسن أثره فيه فأحضر وكلف كتابة كتاب فأفحم ولم يجر لسانه فى طويلة ولا قصيرة فقال فيه بعضهم

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد * ألجمه فى بغداد بالخرس

وهذا مما يعجب منه وسئلت عن ذلك فقلت لا عجب لان المقامات مدارها جميعها على حكاية تخرج الى مخلص وأما المكاتبات فانها بحر لا ساحل له لان المعانى تتجدد فيها بتجدد حوادث الايام وهى متجددة على عدد الانفاس ألا ترى أنه اذا خطب الكاتب المفلق عن دولة من الدول الواسعة التى يكون لسلطانها سيف مشهور وسعى مذكور ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ عشر سنين فانه يدون عنه من المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء كل جزء منها أكبر من مقامات الحريرى حجما لانه اذا كتب فى كل يوم كتابا واحدا اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار اليها واذا نخلت وغربلت واختير الاجود منها اذ تكون كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة أجزاء والله يعلم ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب وما حصل فى ضمنها من المعانى المبتدعة على أن الحريرى قد كتب فى أثناء مقاماته رقاعا فى مواضع عدة فجاء بها منحطة عن كلامه فى حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد الذى لا نسبة له الى باقى كلامه فيها وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات واذا وقف عليها أقسم ان قائل هذه ليس قائل هذه لما بينهما من التفاوت البعيد وبلغنى عن الشيخ أبى محمد أحمد بن الخشاب النحوى رحمه الله أنه كان يقول ابن الحريرى رجل مقامات أى انه لم يحسن من الكلام المنثور سواها وان أتى بغيرها لا يقول شيأ فانظر أيها المتأمل الى هذا التفاوت فى الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل ذلك قيل شيآن لا نهاية لهما البيان والجمال * وعلى هذا فاذا ركب الله تعالى فى الانسان طبعا قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ الى ثمانية أنواع من الآلات ﴿النوع الاول﴾ معرفة علم العربية من النحو والتصريف ﴿النوع الثانى﴾ معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله فى فصيح الكلام غير الوحشى الغريب ولا المستكره المعيب ﴿النوع الثالث﴾ معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التى جاءت فى حوادث خاصة بأقوام فان ذلك جرى مجرى الامثال أيضا ﴿النوع الرابع﴾ الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه ﴿النوع الخامس﴾ معرفة الاحكام السلطانية الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك ﴿النوع السادس﴾ حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه فى مطاوى كلامه ﴿النوع السابع﴾ حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم فى الاستعمال ﴿النوع الثامن﴾ وهو مختص بالناظم دون الناثر

بعض تلك الوجوه فى كلامه كانت وبالا على لفظه وقيدا للسانه وعيا فى المحافل وغفلة عند المتناظرين (ولقد بلغنى) أن قوما من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسئلة من حد المنطق حسنة لطيفة فقال لهم ما معنى قول الحكيم أول الفكرة آخر العمل وأول العمل آخر الفكرة فسألوه التأويل فقال لهم مثل هذا رجل قال انى صانع لنفسى كنا فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر فعلم ان السقف لا يكون الا على حائط وأن الحائط لا يقوم الا على أس وأن الاس لا يقوم الا على أصل ثم ابتدأ فى العمل بالاصل ثم بالاس ثم بالحائط ثم بالسقف فكان ابتداء تفكره آخر عمله وآخر عمله بدء فكرته فأية منفعة فى هذه المسئلة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج الى اخراجه بهذه الالفاظ الهائلة وهكذا جميع ما فى هذا الكتاب ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض والنحو لعد نفسه من البكم أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لايقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة وأبانه بالفضيلة وحباه بخيم السلف الصالح ورداه رداء الايمان وغشاه بنوره وجعله هدى فى الضلالات ومصباحا فى الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة فقلوب الخيار به متعلقة ونفوسهم اليه مائلة وأيديهم الى الله فيه مظان القبول ممتدة وألسنتهم بالدعاء له شافعة يهجع ويستيقظون ويغفل ولا يغفلون وحق لمن قام لله مقامه وصبر على الجهاد صبره ونوى فيه نيته وذلك

وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر * ولنذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم أن معرفته مما تمس الحاجة اليه فنقول أما علم النحو فانه في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد في تعليم الخط وهو أول ما ينبغي اتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرة اللحن ومع هذا فانه وان احتيج اليه في بعض الكلام دون بعض لضرورة الافهام فان الواضع لم يخص منه شيأ بالوضع بل جعل الوضع عاما والا فاذا نظرنا الى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج اليه في افهام المعاني ألا ترى أنك لو أمرت رجلا بالقيام فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شئ وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم أقوم ولم تجزم لكان المعنى مفهوما والفضلات كلها تجرى هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما في السماء قدر راحة سحاب وقام القوم الا زيد فالزمت السكون في ذلك كله ولم تبين اعرابا لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد وهكذا يقال في المجرورات وفي المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفي المبتدا والخبر وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يفهم الا بقيود تقيده وانما يقع ذلك في الذي تدل صيغته الواحدة على معاني مختلفة ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول اعلم أن من أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه اذا لم يكن ثم علامة تبين أحدهما من الآخر والا أشكل الامر كقولك ضرب زيد عمرو ويكون زيد هو المضروب فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا والا لا يفهم ما أردت وعلى هذا ورد قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل ما أحسن زيد ولم يبين الاعراب في ذلك لما علمنا غرضه منه اذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه أو يريد به الاستفهام عن أي شئ منه أحسن ويحتمل أن يريد به الاخبار بنفي الاحسان عنه ولو بين الاعراب في ذلك فقال ما أحسن زيدا وما أحسن زيد وما أحسن زيد علمنا غرضه وفهمنا مغزى كلامه لانفراد كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو اذ كان ضابطا لمعاني الكلام حافظا لها من الاختلاف * وأول من تكلم في النحو أبو الاسود الدؤلي وسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر متعجبة ورفعت أشد فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك فأتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذاك فأخبره خبر ابنته فقال هلم صحيفة ثم أملى عليه الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم له رسوما فنقلها النحويون في كتبهم وقيل ان أبا الاسود دخل على زياد ابن أبيه بالبصرة فقال انى أرى العرب قد خالطت العجم وتغيرت ألسنتها أفتأذن لي أن أصنع ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده ودخل عليه رجل فقال أيها الامير مات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا وخلف بنون مه ردوا على أبا الاسود فردوه فقال له اصنع ما كنت نهيتك عنه فوضع شيأ ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان المهري فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا عليه ثم جاء بعدهما الخليل بن أحمد الازدي وتتابع الناس واختلف البصريون والكوفيون في بعض ذلك فهذا ما بلغني من أمر النحو في أول وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها في مبادي أمرها شئ يسير ثم يزاد بالتدريج الى أن يستكمل آخرا (فان قيل) أما علم النحو فسلم اليك أنه تجب معرفته لكن التصريف لا حاجة

أن يلبسه الله لباس الضمير ويرديه رداء العمل ويصور اليه مختلفات القبول ويسعده بلسان الصدق في الآخرين فانى رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطؤا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر حين نالوا الدرك بغير سبب وبلغوا البغية بغير آلة ولعمري كان ذلك فأين همة النفس وأين الانفة من مجانسة البهائم وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسره فقرأ عليه يوما كتابا في الكتاب ومطرنا مطرا كثر عنه الكلا فقال له الخليفة ممتحنا له وما الكلا فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال لا أدرى فقال سل عنه ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتابا ذكر فيه حاضر طي فصحفه تصحيفا أضحك منه الحاضرين ومن قول آخر في وصف برذون اهداه وقد بعثت به اليك أبيض الظهر والشفتين فقيل له لو قلت أرثم ألمظ قال فبياض الظهر ما هو قالوا لا ندرى قال انما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر ولقد حضرت جماعة من وجوه الكتاب والعمال العلماء بتجاب الفيء وقتل النفوس فيه واخراب البلاد والتوفير العائد على السلطان بالخسران المبين وقد دخل عليهم رجل من النخاسين ومعه جارية ردت عليه بسن شاغية زائدة فقال تبرأت اليهم من الشغاء فردوها على بالزيادة فكم في فم الانسان من سن فما كان فيهم أحد عرف ذلك حتى أدخل رجل منهم سبابته في فيه يعدها عوارضه فسال لعابه وضم رجل فاه وجعل يعدها بلسانه فهل يحسن بمن ائتمنه السلطان على

اليه لان التصريف انما هو معرفة أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها وهذا لا يضر جهله ولا تنفع معرفته ولنضرب لذلك مثالا كيف اتفق فنقول اذا قال القائل رأيت سرداحا لا يلزمه أن يعرف الالف في هذه الكلمة زائدة هي أم أصلية لان العرب لم تنطق بها الا كذلك ولو قالت سردحا بغير ألف لما جاز لاحد أن يزيد الالف فيها من عنده فيقول سرداحا فعلم بهذا أنه انما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا نقص وليس يلزم بعد ذلك أن يعلم أصلها ولا زيادتها لان ذلك أمر خارج تقتضيه صناعة تأليف الكلام (فالجواب) عن ذلك انا نقول اعلم أنا لم نجعل معرفة التصريف كمعرفة النحو لان الكاتب أو الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا لها قادرا على الالفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم النحو فانه يفسد ما يصوغه من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما أريناك في ذلك المثال المتقدم وأما التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم تفسد عليه معاني كلامه وانما تفسد عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب فنقول أما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدلالك بما ذكرته من المثال المضروب فان ذلك لا يستمر لك الكلام فيه ألا ترى أنك مثلت كلامك في لفظة سرداح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الالف زائدة هي أم أصلية لانها انما نقلت عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا سبيله من نقل الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فأما اذا أريد تصغيرها أو جمعها والنسبة اليها فانه اذا لم يعرف الاصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها يضل حينئذ عن السبيل وينشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن ألا ترى أنه اذا قيل للنحوي وكان جاهلا بعلم التصريف كيف تصغير لفظة اضطراب فانه يقول ضطيرب ولا يلام على جهله بذلك لان الذي تقتضيه صناعة النحو قد أتى به وذلك أن النحاة يقولون اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفته نحو قولهم في منطلق مطيلق وفي جحمرش جحيمر فلفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون وأما لفظة جحمرش فخماسية لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا ولم يعلم النحوي أن علماء النحو انما قالوا ذلك مهملا اتكالا منهم على تحقيقه من علم الصرف لانه لا يلزمهم أن يقولوا في كتب النحو أكثر مما قالوا وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو شيئا من التصريف لان كلا من النحو والتصريف علم منفرد برأسه غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ومحتاج اليه وانما قلت ان النحوي اذا سئل عن تصغير لفظة اضطراب يقول ضطيرب لانه لا يخلو اما أن يحذف من لفظة اضطراب الالف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من حروف الزيادة فلا تحذف بل الاولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي ليس بزائد فلذلك قلنا ان النحوي يصغر لفظة اضطراب على ضطيرب فيحذف الالف التي هي حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة واما أن يعلم أن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وانه اذا أريد تصغيرها تعاد الى الاصل الذي كانت عليه وهو التاء فيقال ضتيرب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم ما لا يعلمه فثبت بما ذكرناه أنه يحتاج الى علم التصريف لئلا يغلط في مثل هذا (ومن العجب) أن يقال انه لا يحتاج الى معرفة التصريف ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا وأفخمهم شأنا قال في معايش معائش بالهمز ولم يعلم الاصل في ذلك فأوخذ عليه وعيب من أجله ومن

رعيته وأمواله ورضي بحكمه ونظره أن يجهل هذا من نفسه وهل هو في ذلك الا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ولقد جرى في هذا المجلس كلام في ذكر عيوب الرقيق فما رأيت أحدا منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ولا الحنف من الفدع ولا اللمى من اللطع فلما ان رأيت هذا الشأن كل يوم الى نقصان وخشيت ان يذهب رسمه ويعفو أثره جعلت له حظا من عنايتي وجزأ من تأليفي فعملت لمغفل التأديب كتبا خفافا في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن وأعفيته من التطويل والتثقيل لانشطه لحفظه ودراسته ان فاءت به همته وأقيد عليه بها ما أضل من المعرفة واستظهر له باعداد الآلة لزمان الادلة أو لقضاء الوطر عند تبين فضل النظر والحقه مع كلال الحد ويبس الطينة بالمرهفين وأدخله وهو الكودن في مضمار العتاق وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الانسانية الا بالجسم ومن الكتابة الا بالاسم ولم يتقدم من الادوات الا بالقلم والدواة ولكنها لمن شدا شيأ من الاعراب فعرف الصدر والمصدر والحال والظرف وشيأ من التعاريف والابنية وانقلاب الياء عن الواو والالف عن الياء وأشباه ذلك ولا بد له مع كتبنا هذه من النظر في الاشكال لمساحة الارضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية والمثلث الحاد والمثلث المنفرج ومساقط الاحجار والمربعات المختلفات والقسي والمدورات والعمودين ويمتحن معرفته بالعمل في الارضين لا في الدفاتر فان المخبر ليس كالمعاين وكانت العجم تقول من لم يكن عالما باجراء المياه وحفر فرض المشارب وردم المهاوي ومجاري الايام في الزيادة

جملة

جملة من عابه أبو عثمان المازنى فقال فى كتابه فى التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية وكثيرا ما يقع أولو العلم فى مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الامر فى ذلك لم يغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا وهذه لفظة معايش لا يجوز همزها باجماع من علماء العربية لان الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التى تبدل من الهمزة فى هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا تكون عينا نحو سفائن وفى هذا الموضع غلط نافع رحمة الله عليه لانه لا شك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر الى أن الاصل فى معيشة معيشة على وزن مفعلة وذلك لان أصل هذه الكلمة من عاش التى أصلها عيش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنقل حركة العين الى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة ومع هذا فلا ينبغى لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أن يهمل من علم العربية ما يخفى عليه باهماله اللحن الخفى فان اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوى ولا شك أن قلة المبالاة بالامر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه وقع فيه فيجهل بما يكون عالما به ألا ترى أن أبا نواس كان معدودا فى طبقات العلماء مع تقدمه فى طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال فى صفة الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وهذا لا يخفى على مثل أبى نواس فانه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه فى شئ لانه أمر نقلى يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف وقول أبى نواس صغرى وكبرى غير جائز فان فعلى أفعل لا يجوز حذف الالف واللام منها وانما يجوز حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو حبلى الا أن تكون فعلى أفعل مضافة وههنا قد عريت عن الاضافة وعن الالف واللام فانظر كيف وقع أبو نواس فى مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط أبو تمام فى قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت * قواعد الملك ممتدا لها الطول

ألا ترى أنه قال اطأدت والصواب اتطدت لان التاء تبدل من الواو فى موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لانك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت اتعد ومثله ما ورد فى هذا البيت فانه من وطد يطد كما يقال وعد يعد فاذا بنى منه افتعل قيل اتطد ولا يقال اطأد وأما غير المقيس فقولهم فى وجاه تجاه وقالوا تكلان وأصله الواو لانه من وكل يكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الامثلة قد أشرت اليها ليعلم مكان الفائدة فى أمثالها وتنوقى على أنى لم أجد أحدا من الشعراء المفلقين سلم من مثل ذلك فاما أن يكون لحن لحنا يدل على جهله مواقع الاعراب واما أن يكون أخطأ فى تصريف الكلمة ولا أعنى بالشعراء من هو قريب عهد بزماننا بل أعنى بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبى ومن كان قبله كالبحترى ومن تقدمه كأبى تمام ومن سبقه كأبى نواس والمعصوم من عصمه الله تعالى على أن المخطئ فى التصريف أندر وقوعا من المخطئ فى النحو لانه قلما يقع له كلمة يحتاج فى استعمالها الى الابدال والنقل فى حروفها وأما النحو فانه يقع الخطأ فيه كثيرا حتى انه ليشذ فى ظاهره فى بعض الاحوال فكيف خافيه كقول أبى نواس فى الامين محمد رحمه الله

ياخير من كان ومن يكون * الا النبى الطاهر الميمون

فرفع فى الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه فى شئ وكذلك قال

والنقص ودوران الشمس ومطالع النجوم وحال القمر فى استهلاله وأفعاله ووزن الموازين وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالى والنواعير على المياه وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصا فى حال كتابته ولا بدله مع ذلك من النظر فى جمل الفقه ومعرفة أصوله من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته كقوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه والخراج بالضمان وجرح العجماء جبار ولا يغلق الرهن والمنحة مردودة والعارية مؤداة والزعيم غارم ولا وصية لوارث ولا قطع فى ثمر ولا كثر ولا قود الا بحديدة والمرأة تعاقل الرجل الى ثلث ديته ولا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا اعترافا ولا طلاق فى اغلاق والبيعان بالخيار مالم يتفرقا والجار أحق بصقبه والطلاق بالرجال والعدة بالنساء وكنهيه فى البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة والمعاومة والثنيا وعن ربح مالم يضمن وبيع مالم يقبض وعن بيعتين فى بيعة وعن شرطين فى بيع وعن بيع وسلف وعن بيع الغرر وبيع المواصفة وعن الكالئ بالكالئ وعن تلقى الركبان فى أشباه لهذا اذا هو حفظها وتفهم معانيها وتدبرها أغنته باذن الله تعالى عن كثير من اطالة الفقهاء ولا بدله مع ذلك من دراسة أخبار الناس وتحفظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا اذا كتب ويصل بها كلامه اذا حاور ومدار الامر على القطب وهو العقل وجودة القريحة فان القليل معهما باذن الله كاف والكثير مع غيرهما مقصر ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب

أبو الطيب المتنبي

أرأيت همة ناقتي في ناقة * نقلت يدا سرحا وخفا مجمرا
تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا
وتكرمت ركباتها عن مبرك * تقعان فيه وليس مسكا أذفرا

فجمع في حال التثنية لان الناقة ليس لها الا ركبتان فقال ركبات وهذا من أظهر ظواهر النحو وقد خفى على مثل المتنبي ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما وانما غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام لانه اذا قيل جاء زيد راكب ان لم يكن حسنا الا بأن يقال جاء راكبا بالنصب لكان النحو شرطا في حسن الكلام وليس كذلك فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنثور وأما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى ادغام حرف والى فك ادغام من أجل اقامة الميزان الشعري ﴿النوع الثاني﴾ وهو قولنا انه يحتاج الى معرفة اللغة مما تداول استعماله فسيرد بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على جيدها ورديئها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويفتقر أيضا مؤلف الكلام الى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر ليجد اذا ضاق به موضع في كلامه بايراد بعض الالفاظ فيه العدول عنه الى غيره مما هو في معناه وهذه الاسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه كقولنا الخمر والراح والمدام فان المسمى بهذه الاسماء شئ واحد وأسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج الى معرفة الاسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغيره الا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال الى قرينة تخصصها كي لا تكون مبهمة لانا اذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات كثيرة من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع بازاء هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصصه زال ذلك الابهام بان تقول عين حسناء أو عين نضاخة أو ملثة أو غير ذلك * وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية (فمنهم) من ينكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقول ان ذلك يخل بفائدة وضع اللغة لان اللغة انما هي وضع الالفاظ في دلالتها على المعاني أي وضع الاسماء على المسميات لتكون منبئة عنها عند اطلاق اللفظ والاشتراك لا بيان فيه وانما هو ضد البيان لكن طريق البيان أن يجعل أحد المعنيين في اللفظ المشترك حقيقة والآخر مجازا فاذا قلنا هذه كلمة وأطلقنا القول فهم منه اللفظة الواحدة واذا قيدنا اللفظ فقلنا هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة المقصدة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتة هذا خلاصة ما ذهب اليه من ينكر وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقة وفي ذلك ما فيه وسأبين ما يدخله من الخلل فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري ولم يكن لاحد فيه قول من قبلي وهو اما قولك ان فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين

لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب ويجانب قبل مجانبته اللحن وخطل القول وشنيع الكلام ورفث المزح (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا فيه أسوة حسنة يمزح ولا يقول الا حقا ومازح عجوزا فقال ان الجنة لا يدخلها عجوز (وكانت) في علي عليه السلام دعابة (وكان) ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه وسئل عن رجل فقال توفي البارحة فلما رأى جزع السائل قرأ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (ومازح) معاوية الاحنف بن قيس فما رؤي مازحان أوقر منهما قال له معاوية يا أحنف ما الشئ الملفف في البجاد قال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

اذا ما مات ميت من تميم
فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن
أو الشئ الملفف في البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصا
ليأكل رأس لقمان بن عاد

والملفف في البجاد وطب اللبن وأراد الاحنف أن قريشا تعير بأكل السخينة وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان (فهذا) وما أشبهه مزح الاشراف وذوي المروآت فاما السباب وشتم السلف وذكر الاعراض بكبير الفواحش فمما لا يرضاه لخساس العبيد وصغار الولدان (ونستحب) له أن يدع في كلامه التقعير والتعقيب كقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه

(اما

(أما البيان) فقد وفى الاسماء المتباينة التى هى كل اسم واحد دل على مسمى واحد فاذا أطلق اللفظ فى هذه الاسماء كان بيانه فهو مالا يحتاج الى قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيأ غيرها لكان كافيا فى البيان (وأما التحسين) فان لواضع لهذه اللغة العربية التى هى أحسن اللغات نظر الى ما يحتاج اليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى أن من مهمات ذلك التجنيس ولا يقوم به الا الاسماء المشتركة التى هى كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا فوضعها من أجل ذلك وهذا الموضع يتجاذبه جانبان يترجح أحدهما على الآخر وبيانه أن التحسين يقضى بوضع الاسماء المشتركة ووضعها يذهب بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فان وضعها الواضع ذهب بفائدة البيان وان لم يضع ذهب بفائدة التحسين لكنه ان وضع استدرك ماذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ماذهب من فائدة التحسين فترجح حينئذ جانب الوضع فوضع (فان قيل) فلم لا تنسب الاسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لا الى واضع واحد (قلت) فى الجواب هذا تعسف لا حاجة اليه وهو مدفوع من وجهين أحدهما ماقدمت القول فيه من الترجيح الذى سوغ للواضع أن يضع الآخر أنا نرى أنه قد ورد من الجموع ما يقع على مسميين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذى هو كعب الرجل وجمع كعبة وهى البنية المعروفة واذا أطلقنا اللفظ فقلنا كعاب من غير قرينة لا يدرى ما المراد بذلك أكعب الرجل أم البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن واحد كقولهم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهى الكف وكقولهم عقاب وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة أيضا وفى اللغة من هذا شئ كثير وهو بالاجماع من علماء العربية أنه لم يجر فيه خلاف بين القبائل فاتضح بهذا أن الاسماء المشتركة من واضع واحد (فان قلت) ان الواضع انما وضع المفرد من الالفاظ والجمع وضعه غيره (قلت) فى الجواب ان الذى وضع المفرد هو الذى وضع الجمع لان من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر والمؤنث والمصغر والمكبر والمصادر وأسماء الفاعلين وما جرى هذا المجرى واذا أخل بشئ من ذلك كان قد أخل بقاعدة من قواعد وضع اللغة ثم لو سلمت اليك أن واضع الجمع غير واضع المفرد لكان ذلك قدحا فى الواضع الثانى اذ جاء بالابهام عند اطلاق اللفظ لانه جمع كعبة التى هى البنية وكعب الرجل على كعاب وهذا اللفظ مشترك مبهم عند الاطلاق ولا فرق بين أن يضعه الواضع الاول أو واضع ثان فان الابهام حاصل منه * وكان فاوضنى بعض الفقهاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال ان لون البقرة كان أسود والاصفر هو الاسود فأنكرت عليه هذا القول فأخذ يجادل مجادلة غير عارف ويعزو ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذرى فقلت له اعلم أن هذا الاسم الذى هو الاصفر لا يخلو فى دلالته على الاسود من وجهين اما أنه من الاسماء المتباينة التى يدل كل اسم منها على مسمى واحد كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك واما أنه من الاسماء المشتركة التى يدل الاسم منها على مسميين فصاعدا ولا يجوز أن يكون من الاسماء المتباينة لانا نراه متجاذبا بين لونين أحدهما هذا اللون الزعفرانى الشكل والآخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا فانه يكون من الاسماء المشتركة واذا كان من الاسماء المشتركة فلا بد له من قرينة تخصصه باللون الزعفرانى دون اللون المظلم لان الله تعالى قال صفراء فاقع لونها والفاقع من صفات اللون الزعفرانى خاصة لانه قد ورد للالوان صفات متعددة لكل لون منها صفة فقيل أبيض يقق وأسود حالك وأحمر قان وأصفر فاقع ولم يقل أسود فاقع ولا أصفر حالك فعلم حينئذ أن لون البقرة لم يكن أسود وانما كان أصفر فلما تحقق عنده

بالسياط والله ان كانت الاثنيا بافى أسيفاط قبضها عشارك (فهذا) وأشباهه كان يستثقل والادب غض والزمان زمان وأهله يتحلون فيه بالفصاحة ويتنافسون فى العلم ويرونه تلو المقدار فى درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون فكيف به اليوم مع انقلاب الحال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (ويستحب له) ان استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التى تلزمه مستثقل الاعراب ليسلم من اللحن وقباحة التقعير فقد كان واصل بن عطاء سام نفسه للثغة اخراج الراء من كلامه وكانت لثغته على الراء فلم يزل يروضها حتى انقادت له طباعه وأطاعه لسانه فكان لا يتكلم فى مجالس التناظر بكلمة فيها راء وهذا أشد وأعسر مطلبا مما أردناه وليس حكم الكتاب فى هذا الباب حكم الكلام لان الاعراب لا يقبح منه شئ فى الكتاب فلا يثقل وانما يكره فيه وحشى الغريب وتعقيد الكلام كقول بعض الكتاب فى كتابه الى العامل فوقه وأنا محتاج الى أن تنفذ الى جيش الجباعر ما وكقول آخر فى كتابه عضب عارض ألم ألم فأنهيته عذرا وكان هذا الرجل قد أدرك صدرا من الزمان وأعطى بسطة فى العلم واللسان وكان لا يشان فى كتابته الا بتركه سهل الالفاظ ومستعمل المعانى وبلغنى ان الحسن بن سهل أيام دولته رآه يكتب وقد رد عن هاء الله خطا من آخر السطر الى أوله فقال ما هذا فقال طغيان فى القلم وكان هذا الرجل صاحب جد وأخا ورع ودين لم يمزح بهذا القول ولا كان الحسن أيضا عنده ممن يمازح

ذلك الفقيه ما أشرت اليه أذعن بالتسليم (وأما النوع الثالث) فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام وقولي هذا لا يقتضي كل الامثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن استعماله كما أن من ألفاظهم أيضا ما لا يحسن استعماله وكنت جردت من كتاب الامثال للميداني أوراقا خفيفة تشتمل على الحسن من الامثال الذي يدخل في باب الاستعمال وسبيل المتصدي لهذا الفن أن يسلك ما سلكته وليعلم أن الحاجة اليها شديدة وذلك أن العرب لم تضع الامثال الا لاسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشئ وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشد اختصارا * وسبب ذلك ما أذكره لتكون من معرفته على يقين (فأقول) قد جاء عن العرب من جملة أمثالهم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر وهو مثل يضرب للامر الظاهر المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد انه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه حكما فقال واحد منهم ان قومي يبغون علي فقال الحكم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم أن قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر اذا أخذ على حقيقته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطى من المعنى ما قد أعطاه المثل وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم وحيث كان الامر كذلك جاز ايراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ما ذكرناه من المعنى المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لان البغي هو الظلم والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا فكان يصير معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهذا كلام مختل المعنى ليس بمستقيم فلما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا ومن أجل ذلك قيل في حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها (وأما أيام العرب) فانها تتنوع وتتشعب فمنها أيام فخار ومنها أيام محاربة ومنها أيام منافرة ومنها غير ذلك ولا يخلو الناظم والناثر من الانتصاب لوصف يوم يمر به في بعض الاحوال شبيها بيوم من تلك الايام ومماثلا له فاذا جاء بذكر بعض تلك الايام المناسبة لمراده الموافقة له وقاس عليه يومه فانه يكون في غاية الحسن والرونق هذا لا خفاء به (وأما الوقائع) التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فانها كالامثال في الاستشهاد بها وسأبين لك نبذة منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها فمن ذلك أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة الحديبية تحت الشجرة وكان أرسل عثمان رضي الله تعالى عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان وشمالي خير من يمينه وقد استعملت أنا هذا في جملة كتاب فقلت ولا يعد البر برا حتى يلحق الغيث بالحضور ويصل من لم يصله بجزاء ولا شكور فزنة الغائب بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا نابت شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين عثمان ومن ذلك أنه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدعى أبا موسى الاشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي فضى الى يرفأ مولى عمر وسأله عما يروج عنده وينفق عليه فأشار الى خشونة العيش فمضى

ولبس

(وتستحب له أيضا) أن يترك ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب اليه وان لا يعطى خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام فاني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه فليس يفرقون بين من يكتب اليه فرأيت في هكذا وبين من يكتب اليه فأني رأيت كذا ورأيك انما يكتب بها الى الاكفاء والمساوين ولا يجوز أن يكتب بها الى الرؤساء والاساتذة لان فيها معنى الامر ولذلك نصبت ولا يفرقون بين من يكتب اليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب اليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب بها عن نفسه الا آمر أو ناه لانها من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال انا كل شئ خلقناه بقدر وعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب فقال تعالى حكاية عمن حضره الموت رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ولم يقل رب ارجعني وربما صدر الكاتب كتابه بأكرمك الله وأبقاك فاذا توسط كتابه وعدد على المكتوب اليه ذنوبا له قال فلعنك الله وأخزاك فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه في حال وكيف يجمع بين هذين في كتاب (وقال) ابرويز لكاتبه في تنزيل الكلام (انما الكلام أربعة) سؤالك الشئ وسؤالك عن الشئ وأمرك بالشئ وخبرك عن الشئ فهذه دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحتم واذا أخبرت فحقق (وقال أيضا) واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول يريد الايجاز وهذا ليس بمحمود في كل موضع ولا بمختار

ولبس جبة صوف وعمامة دسماء وخفا مطابقا وحضر بين يديه في جملة العمال فصوب عمر نظره وصعده فلم يقع الا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا موسى الاشعري به وقد استعملت أنا هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة فقلت واذا استعنت باحد على عملك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فان الاحوال تنتقل بنقل الاجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فانظر كيف فعلت في هاتين القصتين وكيف أوردتهما في الغرض الذي قصدته وامض أنت على هذا النهج فانه من محاسن هذه الصنعة وعرض علي كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله عن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد في سنة احدى وسبعين وخمسمائة وضمنه ما أبلاه في خدمة الدولة من فتح الديار المصرية ومحو الدولة العلوية واقامة الدعوة العباسية وشرح فيه ما قاساه في الفتح من الاهوال ولما تأملته وجدته كتابا حسنا قد وفى فيه الخطابة حقها الا أنه أخل بشئ واحد وهو أن مصر لم تفتح الا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات وكان الفتح في المرة الثالثة وهذا له نظير في فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة فانه قصدها عام الحديبية ثم سار اليها في عمرة القضاء ثم سار اليها عام الفتح ففتحها وقد سألني بعض الاخوان أن أنشئ في ذلك كتابا الى ديوان الخلافة معارضا للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله فأجبته الى سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فقلت ومن جملتها ما فعله الخادم في الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت منا أمير ومنكم أمير فرد الدعوة العباسية الى معادها وأذكر المنابر ما نسيته بها من زهو أعوادها وكانت أخرجت منها اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من قريته وقذف الشيطان على حقها باطله وعلى صدقها بغويته ثم طوتها الليالي طي السجل للكتاب وكثر عليها مرور الدهر حتى نسي لها عدد السنين والحساب ولم يعدها الى وطنها حتى تغربت لها الارواح عن أوطانها وسهرت لها أجفان السيوف سهر العيون عن أجفانها وتطاردت الآراء في تسهيل أمرها قبل مطاردة أقرانها وحتى تقدمتها غريبات ثلاث كلها ذوات غروب وكل خطب من خطوبها ذو خطوب الى أن تمخض ليلها عن صبحه وأصبحت في الاسلام كعام حديبيته وعمرة قضائه وعام فتحه وفي ذكر أخبارها ما يطبع الاسنة في رؤس الاقلام ويرهب سامعها ولم ينله شئ من مكروهها سوى الكلام ويومها للدولة هو اليوم الذي أرخ فيه معاد نصرها وميعاد بشرها فاذا عدت لياليها السالفة كانت كسائر الليالي وهذه ليلة قدرها فهذا فصل من فصول الكتاب فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصري وفتح مكة وذكرت أيضا حديث الحباب بن المنذر الانصاري حيث قال بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير وذلك لما حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة والقصة مشهورة فقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر رضي الله عنه بل نحن الامراء وأنتم الوزراء وهذا الذي ذكرته هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعول ومركزه الذي عليه يدور (وعجبت) من عبد الرحيم بن علي البيساني مع تقدمه في فن الكتابة كيف فاته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه وكذلك وجدت لابن زياد البغدادي كتابا كتبه الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولا تشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الامور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر وذلك لقب هو لامير المؤمنين خاصة فانه الامام

في كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الايجاز محمودا في كل الاحوال لجرده الله في القرآن ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للافهام وعلل هذا مستقصاة في كتابنا المؤلف في تأويل مشكل القرآن وليس يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب أو حمالة بدم أو صلح بين عشائر ان يقلل الكلام ويختصره ولا لمن كتب الى عامة كتابا في فتح أو استصلاح ان يوجز ولو كتب كاتب الى أهل بلد في الدعاء الى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت لم يعمل هذا الكلام في أنفسهما عمله في نفس مروان ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدئ ويحذر وينذر (هذا) منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الادوات وأمده الله باداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح فهذا المتناهي في الفضل العالي في ذرى المجد الحاوي قصب السبق الفائز بخير الدارين ان شاء الله تعالى

﴿باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه﴾

من ذلك (أشفار العين) يذهب الناس الى أنها الشعر الثابت على على حروف العين وذلك غلط انما الاشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر والشفر هو الهدب وقال الفقهاء المتقدمون في كل شفر من أشفار العين ربع الدية يعنون في كل جفن وشفر كل شئ حرفه وكذلك شفيره ومنه يقال شفير الوادي وشفر الرحم فان كان

الناصر لدين الله فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة ولم أجد فيه مغمزا الا فى هذا الفصل الذى يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب باقى الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه غثاثة كقوله ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام وشيأ من هذا النسق وكان الاليق والاحسن أن يحتج بحجة فيها روح ويذكر كلاما فيه ذلاقة ورشاقة * وحضر عندى فى بعض الايام بعض اخوانى وجرى حديث ذلك فسألنى عما كان ينبغى أن يكتب فى هذا الفصل فذكرت ما عندى وهو قد علم أن للانبياء والخلفاء خصائص يختصون بها على حكم الانفراد وليس لاحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الانداد وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فى أشياء نص عليها بحكمه ومن جملتها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته وبين اسمه وهذا مسوغ لامير المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسم نفسه بسمة نزلت عليه من السماء وتميزت به من بين المسميات والاسماء ثم استمرت عليها الايام حتى خوطب بها من الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر فى أيام الجمع ومواسم الاعياد وقد شاركته أنت فيها غير مراقب لمزية التعظيم ولا فارق بين فسحة التحليل وحرج التحريم والشرع والادب يحكمان عليك بأن تتقى ما فرط منك بالمتاب ولا تحوج فيه الى التقريع الذى هو أشد العتاب ومثلك من عرف الحق فأمسكه بيده ونسخ اغفال أمسه باستئناف التيقظ فى غده والله قد رفع المؤاخذة عمن أتى الشئ خطأ لا عمدا وقبل التوبة ممن أخذ على نفسه بالاخلاص عهدا * فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوى وجعلته شاهدا على هذا الموضع ولا يمكن أن يحتج فى مثل ذلك الا بمثل هذا الاحتجاج وما أعلم كيف شذ عن ابن زياد أن يأتى به مع أنه كان كاتبا مفلقا أرتضى كتابته ولم أجد فى متأخرى العراقيين من يماثله فى هذا الفن (وأما النوع الرابع) وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فان فى ذلك فوائد جمة لانه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم والى أين ترامت به صنعته فى ذلك فان هذه الاشياء مما تشحذ القريحة وتذكى الفطنة واذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعانى التى ذكرت وتعب فى استخراجها كالشئ الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضا فانه اذا كان مطلعا على المعانى المسبوق اليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق اليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وان كانت متفاوتة فى الجودة والرداءة فان بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه الا بشئ يسير وكثيرا ما تتساوى القرائح والافكار فى الاتيان بالمعانى حتى ان بعض الناس قد يأتى بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتى الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الاول وهذا الذى يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وسيأتى لذلك باب مفرد فى آخر كتابنا هذا ان شاء الله تعالى (وأما النوع الخامس) وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فانما أوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب فى تقليدات الملوك والامراء والقضاة والمحتسبين ومن يجرى مجراهم وأيضا فانه قد يحدث فى الامامة حادث فى بعض الاوقات بأن يموت الامام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الامام الذى كان قبله عهد بها الى آخر غيره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع الامامة اثنان أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا اماما وهم غير كاملى الشرائط التى تجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير ما ذكرناه فتختلف الاطراف فى ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذى

أحد من الفصحاء يسمى الشعر شفرا فانما سماه بعنبته والعرب تسمى الشئ باسم الشئ اذا كان مجاورا له وكان منه بسبب على ما بينت لك فى باب تسمية الشئ باسم غيره ومن ذلك (حمة العقرب والزنبور) يذهب الناس الى انها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التى يلسعان بها وذلك غلط انما الحمة سمهما وضرهما وكذلك هى من الحية لانها سم ومنه قول ابن سيرين يكره الترياق اذا كان فيه الحمة يعنى بذلك السم وأراد لحوم الحيات لانها سم (ومنه قوله لا رقية الا من نملة أو حمة أو نفس) فالنملة قروح تخرج فى الجنب تقول المجوس ان ولد الرجل اذا كان من اخته ثم خط على النملة يشفى صاحبها قال الشاعر

ولا عيب فينا غير عرف لمعشر
كرام وأنا لا نخط على النمل

يريد أنا لسنا بمجوس ننكح الاخوات (والنفس) العين يقال أصابت فلانا نفس والنافس العائن والحمة لكل هامة ذات سم فاما شوكة العقرب فهى الابرة (ومن ذلك الطرب) يذهب الناس الى انه فى الفرح دون الجزع وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع قال الشاعر وهو النابغة الجعدى

وأرانى طربا فى أثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

وقال آخر

يقلن لقد بكيت فقلت كلا
وهل يبكى من الطرب الجليد

وانما هو ههنا بمعنى الجزع ومن ذلك (الحشمة) يضعها الناس موضع الاستحياء قال الاصمعى وليس كذلك انما هى بمعنى الغضب وحكى عن بعض فصحاء العرب انه قال ان ذلك امما يحشم بنى فلان أى يغضبهم قال الاصمعى ونحوه من هذا قول

قد

قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه أن يكتب كتابا في أمره الى الاطراف المخالفة له واذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم في هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وماهو رخصة في ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به ولسنا نعني بهذا القول أن يكون الكاتب مقصورا على فقه محض فقط لانا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه الى كتب كتاب بلاغي بل كنا نقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه عوضا عن الكتاب وانما قصدنا أن يكون الكتاب الذي يكتب في هذا المعنى مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة في موضع والمحاققة في موضع مشحونا ذلك بالنكت الشرعية المبرزة في قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكاتب الصابي في الكتاب الذي كتبه عن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الى الامام الطائع لما خلع المطيع فانه من محاسن الكتب التي تكتب في هذا الفن (وأما النوع السادس) وهو حفظ القرآن الكريم فان صاحب هذه الصناعة ينبغي له أن يكون عارفا بذلك لان فيه فوائد كثيرة منها أنه يضمن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق ومنها أنه اذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذه بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها مطاوي كلامه كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام فعليك أيها المتوشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه واشاراته فانه تجارة لن تبور ومنبع لا يغور وكنز يرجع اليه وذخر يعول عليه (وأما النوع السابع) وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج الى استعماله فان الامر في ذلك يجري مجرى القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فاعرفه (وأما النوع الثامن) وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك معرفة العروض وما يجوز فيه من الزحاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعلمه فان النظم مبني على الذوق ولو نظم بتقطيع الافاعيل لجاء شعره متكلفا غير مرضي وانما أريد للشاعر معرفة العروض لان الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات ويكون ذلك جائزا في العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك أيضا يحتاج الشاعر الى العلم بالقوافي والحركات ليعلم الروي والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح فاذا أكمل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع مجيب وقريحة مواتية فعليه بالنظر في كتابنا هذا والتصفح لما أودعناه من حقائق علم البيان ونبهنا عليه من أصول ذلك وفروعه على أن الذي ذكرناه من هذه الآلات الثمان هو كالاصل لما يحتاج اليه الخطيب والشاعر ومعرفته ضرورية لابد منها وههنا أشياء أخر هي كالتوابع والروادف وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث بكل فن من الفنون حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس والى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا والسبب في ذلك أنه مؤهل لان يهيم في كل واد فيحتاج أن يتعلق بكل فن

﴿الفصل الثالث في الحكم على المعاني﴾ وفائدة هذا الفصل الاحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر الى هذا الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لاسيما مفسري الاشعار فانهم به أعنى * واعلم ان الاصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ومن يذهب الى التأويل يفتقر الى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب الى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا

الناس (زكنت الامر) يذهبون فيه الى معنى ظننت وتوهمت وليس كذلك انما هو بمعنى علمت يقال زكنت الامر أزكنه قال قعنب ابن أم صاحب

ولن يراجع قلبي ودهم أبدا
زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

أي علمت منهم مثل الذي علموا مني (ومن ذلك القافلة) يذهب الناس الى انها الرفقة في السفر ذاهبة كانت أو راجعة وليس كذلك انما القافلة الراجعة من السفر يقال قفلت فهي قافلة وقفل الجند من مبعثهم أي رجعوا ولا يقال لمن خرج الى مكة من العراق قافلة حتى يصدرون ومن ذلك (المأتم) يذهب الناس الى انه المصيبة يقولون كنا في مأتم وليس كذلك انما المأتم النساء يجتمعن في الخير والشر والجمع مآتم والصواب ان يقولوا كنا في مناحة وانما قيل لها مناحة من النوائح لتقابلهن عند البكاء يقال الجبلان يتناوحان اذا تقابلا وكذلك الشجر وقال الشاعر

عشية قام النائحات وشققت
جيوب بأيدي مأتم وخدود

أي بأيدي نساء وقال آخر

رمته أناة من ربيعة عامر
نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم

يريد في نساء أي نساء (ومن ذلك قول الناس فلان يتصدق اذا أعطى وفلان يتصدق اذا سأل) وهذا غلط والصواب فلان يسأل وانما المتصدق المعطي قال الله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين (ومن ذلك الحمام) يذهب الناس الى أنه الدواجن التي تستفرخ في البيوت وذلك غلط انما الحمام ذوات الاطواق وما أشبهها مثل الفواخت والقماري والقطا قال ذلك الاصمعي ووافقه عليه الكسائي قال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

لا بد له من دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال اذا أردت أن تصلي فادخل بيتك وأغلق بابك فالظاهر من هذا هو البيت والباب ومن تأول ذهب الى أنه أراد أنك تجمع عليك هم قلبك وتمنع أن يخطر به سوى أمر الصلاة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي تخطر له باغلاق الباب وهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره الى التأويل يقع فيه الخلاف اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا فانه قد يأخذ بعضهم وجها ضعيفا من التأويل فيكسوه بعبارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية فان السيف بضاربه

ان السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهن اذا التقى الجمعان

تلقى الحسام على جراءة حده * مثل الجبان بكف كل جبان

وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل الى شيء غير مرضي فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل اظهار باطن اللفظ كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته اذا رقبته وتأويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره والذي عندي في ذلك أنه أصاب في الآخر ولم يصب في الاول لان قوله التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة لا مستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا لانه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الآية المشار اليها بالرقبة وتفسيره بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره وأما التأويل فانه أحد قسمي التفسير وذلك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول وهو الرجوع يقال آل يؤول اذا رجع وعلى هذا فان التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا ولهذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره الى التأويل لانه أدق ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام اما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره واما أن يفهم منه الشيء وغيره وتلك الغيرية اما أن تكون ضدا أو لا تكون ضدا وليس لنا قسم رابع فالاول يقع عليه أكثر الاشعار ولا يجري في الدقة واللطافة مجرى القسمين الآخرين وأما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جدا وهو من أظرف التأويلات المعنوية لان دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من دلالته على المعنى وغيره مما ليس بضده فمما جاء منه قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام أي ان صلاة واحدة فيه لا تفضل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل ما دونها بخلاف المساجد الباقية فان ألف صلاة فيها تقصر عن صلاة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم أيضا من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت وهذا يشتمل على معنيين ضدين أحدهما أن المراد به اذا لم تفعل فعلا تستحي منه فافعل ما شئت والآخر أن المراد به اذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحي منه فافعل ما شئت وهذان معنيان ضدان أحدهما مدح والآخر ذم ومثله ورد في الحديث النبوي أيضا وذلك أنه ذكر شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يتوسد القرآن وهذا يحتمل مدحا وذما أما المدح فالمراد به أنه لا ينام الليل عن القرآن فيكون القرآن متوسدا معه لم يتهجد به وأما الذم فالمراد به أنه لا يحفظ من القرآن شيأ فاذا نام لم يتوسد معه القرآن وهذان التأويلان من الاضداد وكثيرا ما يرد أمثال ذلك في الاحاديث

النبوية

فالحمامة ههنا قرينة وقال النابغة الذبياني شعرا

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد

قال الاصمعي هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا قال وأما الدواجن التي في البيوت فانها وما شاكلها من طير الصحراء اليمام الواحدة يمامة (ومن ذلك) الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنور ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ بعده وهو الوقت الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمي الفصل الذي يتلو الشتاء وتأتي فيه الكمأة والنور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع (ومن ذلك الظل والفيء) يذهب الناس الى انهما شيء واحد وليس كذلك لان الظل يكون غدوة وعشية ومن أول النهار الى آخره ومعنى الظل الستر ومنه قول الناس أنا في ظلك أي في دارك وسترك ومنه ظل الجنة وظل شجرها انما هو سترها ونواحيها وظل الليل سواده لانه يستر كل شيء قال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامه البوم

أي في ستر ليل أسود فكان معنى ظل الشمس ما سترته الشخوص من مسقطها والفيء لا يكون الا بعد الزوال ولا يقال لما قبل الزوال فيء وانما سمي بالعشي فيئا لانه ظل فاء عن جانب الى جانب أي رجع عن جانب المغرب الى جانب المشرق

النبوية ويجرى على هذا النهج من الشعر قول أبى الطيب فى قصيدة يمدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدّان أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله أيضا من قصيدة يمدحه

فان نلت ما أملت منك فربما * شربت بماء يعجز الطير ورده

فان هذا البيت يحتمل مدحا وذما واذا أخذ بمفرده من غير نظر الى ما قبله فانه يكون بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ وصدر البيت مفتتح بان الشرطية وقد أجيب بلفظة رب التى معناها التقليل أى لست من نوالك على يقين فان نلته فربما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير لبعده واذا نظر الى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذى قبله وكثيرا ما كان يقصد المتنبى هذا القسم فى شعره كقوله من قصيدة أولها

عدوّك مذموم بكل لسان * ولو كان من أعدائك القمران

ولله سرّ فى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

ثم قال

فمالك تعنى بالاسنة والقنا * وجدّك طعان بغير سنان

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجدّ وسعادة وهذا لا فضل فيه لان السعادة تنال الخامل والجاهد ومن لا يستحقها وأكثر ما كان المتنبى يستعمل هذا القسم فى قصائده الكافوريات (وحكى) أبو الفتح بن جنى قال قرأت على أبى الطيب ديوانه الى أن وصلت الى قصيدته التى أولها * أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * فأتيت منها على هذا البيت وهو

وما طربى لما رأيتك بدعة * لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبا زنة فضحك لقولى وهذا القسم من الكلام يسمى الموجه أى له وجهان وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه * وأما القسم الثالث فانه يكون أكثر وقوعا من القسم الثانى وهو واسطة بين طرفين لان القسم الاول كثير الوقوع والقسم الثانى قليل الوقوع وهذا القسم الثالث وسط بينهما فمما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فان هذا له وجهان من التأويل أحدهما القتل الحقيقى الذى هو معروف والآخر هو القتل المجازى وهو الاكباب على المعاصى فان الانسان اذا أكب على المعاصى قتل نفسه فى الآخرة ومن ذلك ما ورد فى قصة ابراهيم وذبح ولده عليهما السلام فقال الله تعالى حكاية عنه وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنىّ انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده وقد يكون استئنافا بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتأويل متجاذب بين هذين الامرين ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ولم يرد فى القرآن ما يدل على أن الذبيح اسمعيل ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد فى الاخبار التى صحت عن رسول الله صلى

والفيء هو الرجوع ومنه قول الله عز وجل حتى تفيء الى أمر الله أى ترجع وقال امرؤ القيس

تيممت العين التى عند ضارج
يفىء عليها الظل عرمضها طامى

أى يرجع عليها الظل من جانب الى جانب فهذا يدلك على معنى الفىء وقال الشماخ

اذا الارطى توسد أبرديه
خدود جوازئ بالرمل عين

أبرداه الظل والفىء يريد وقت نصف النهار وكأن الظباء فى بعض ذلك الوقت كانت فى ظل ثم زالت الشمس فتحول الظل فصار فيئا فحولت خدودها (ومن ذلك الآل والسراب) لا يكادون يفرقون بينهما وانما الآل أول النهار وآخره الذى يرفع كل شىء وسمى آلا لان الشخص هو الآل فلما رفع الشخص قيل هذا آل قد بدا وتبين قال النابغة الجعدى

حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا
كأننا رعن قف يرفع الآلا

وهذا من المقلوب أراد كأننا رعن قف يرفعه الآل وأما السراب فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء قال الله عز وجل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء (ومن ذلك الدلج) يذهب الناس الى أنه الخروج من المنزل فى آخر الليل وليس كذلك انما الدلج سير الليل قال الشاعر

كأنها وقد براها الاخماس
ودلج الليل وهاد قياس
شرائج النبع براها القواس

وقال أبو زبيد يذكر قوما يسيرون

فباتوا يدلجون وبات يسرى
بصير بالدجى هاد هموس

يعنى الاسد وكان رجل من أصحاب اللغة يخطئ الشماخ فى قوله

وتشكو بعين ما أكل ركابها * وقيل المنادى أصبح القوم أدلجى

وقال كيف يكون الادلاج مع الصبح ولم يرد الشماخ ما ذهب

الله عليه وسلم وأما ما يروى عنه أنه قال أنا ابن الذبيحين فخارج عن الاخبار الصحيحة وفى التوراة ان اسحق عليه السلام هو الذبيح ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه أطولكن يدا أسرعكن لحوقا بى فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن حتى ينظرن أيتهن أطول يدا ثم كانت زينب أسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة وانما أراد الصدقة فهذا القول يدل على المعنيين المشار اليهما ومن ذلك ما روى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لا فعلته وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يصحبه والآخر أنه وصف نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كأنه متفطن لما فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفعله من غير حاجة الى استئذانه ومن ذلك ما ورد فى الادعية النبوية فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع أثره وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل الاول أنه دعا عليه بالزمانة لانه اذا زمن لا يستطيع أن يمشى على الارض فينقطع حينئذ أثره الوجه الثانى أنه دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث أنه دعا عليه بأن لا يكون له أثر من الآثار مطلقا وهو أن لا يفعل فعلا يبقى أثره من بعده كائنا ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك وظفرت الحرورية برجل فقالوا له ابرأ من على وعثمان فقال انا من على ومن عثمان أبرأ فهذا يدل على معنيين أحدهما أنه برئ من عثمان وحده والآخر أنه برئ منهما جميعا والرجل لم يرد الا الوجه الاول ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن بقيلة لما نزل بهم خالد بن الوليد على الحيرة وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقيلة فلما مثل بين يديه قال أنعم صباحا أيها الملك فقال له خالد قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام عليكم ثم قال له من أين أقصى أثرك قال من ظهر أبى قال فمن أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط أنا أسأله عن الشئ وهو ينحو فى غيره وهذا من توجيه الكلام على نمط حسن وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سأل ويصلح أن يكون جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بقيلة وقد ورد فى التوراة أن لا يؤكل الجدى بلبن أمه وهذا يحتمل التحريم فى وجهين أحدهما ما دل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الجدى بلبن أمه خاصة واذا أكل بلبن غير لبن أمه جاز ذلك ولم يكن حراما وهذا لا يأخذ به أحد من اليهود والوجه الآخر وهو الذى يؤخذ به عند اليهود جميعهم أن أكل اللحم باللبن حرام كائنا ما كان من اللحوم الا طائفة منهم يسمون القرائين فانهم تأولوا فأكلوا لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات الالبان والطير من ذوات البيض لا من ذوات الالبان ومما يجرى على هذا النهج ما يحكى عن افلاطون أنه قال ترك الدواء دواء فذهب بعض الاطباء أنه أراد ان لطف المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدواء فتركه حينئذ والاضراب عنه دواء وذهب آخرون الى أنه أراد بالترك الوضع أى وضع الدواء على الداء دواء يشير بذلك الى حذق الطبيب فى أوقات علاجه ومثله فى الشعر قول الفرزدق

اذا جعفر مرت على هضبة الحمى * فقد أخذت الاحياء منها قبورها

وهذا يدل على معنيين أحدهما ذم الاحياء والآخر ذم الاموات أما ذم الاحياء فهو أنهم خذلوا الاموات يريد أنهم لم يلاقوا قتالهم وقوما آخرين فقر الاحياء عنهم وأسلموهم أو أنهم استنجدوهم فلم ينجدوهم وأما ذم الاموات فهو أن لهم مخازى وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعدون بها

اليه وانما أراد المنادى كان مرة ينادى أصبح القوم كما يقول القائل لقوم أصبحوا وهم نيام أصبحتم كما تنامون وكان مرة ينادى ادلجى أى سيرى ليلا يقال أدلجت فأنا مدلج ادلاجا والاسم الدلج بفتح الدال واللام والدلجة فان أنت خرجت من آخر الليل فقد ادلجت بتشديد الدال تدلج ادلاجا والاسم منه الدلجة بضم الدال ومن الناس من يجيز الدلجة والدلجة فى كل واحد منهما كما يقال برهة من الدهر وبرهة (ومن ذلك العرض) يذهب الناس الى انه سلف الرجل من آبائه وأمهاته وان القائل اذا قال شتم عرضى فلان يريد شتم آبائى وأمهاتى وأهل بيتى وليس كذلك انما عرض الرجل نفسه ومن شتم عرض رجل فانما ذكره فى نفسه بالسوء ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يخرج من أعراضهم مثل المسك يريد يجرى من أبدانهم ومنه قول أبى الدرداء أقرض من عرضك ليوم فقرك يريد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم القصاص والجزاء ولم يرد اقرض عرضك من أبيك وأمك وأسلافك لان شتم هؤلاء ليس اليه التحليل منه قال ابن عيينة لو ان رجلا أصاب من عرض رجل شيأ ثم تورع فجاء الى ورثته أو الى جميع أهل الارض فحللوه ما كان فى حل ولو أصاب من ماله ثم دفعه الى ورثته لكان ذلك كفارة فعرض الرجل أشد من ماله قال حسان بن ثابت الانصارى

هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم فداء

الاحياء ويلصقونها بهم وعلى هذا ورد قول أبي تمام

بالشعر طول اذا اصطكت قصائده * فى معشر وبه عن معشر قصر

فهذا البيت يحتمل تأويلين أحدهما أن الشعر يتسع مجاله بمدحك ويضيق بمدح غيرك يريد بذلك ان مآثره كثيرة ومآثر غيره قليلة والآخر أن الشعر يكون ذا فخر ونباهة بمدحك وذا خمول بمدح غيرك فلفظة الطول يفهم منها ضد القصر ويفهم منها الفخر من قولنا طال فلان على فلان أى فخر عليه (ومما) ينتظم بهذا السلك قول أبي كبير الهذلى

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنه أراد بسعى الدهر سرعة تقضى الاوقات مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته فى السكون والبطء الآخر أنه أراد بسعى الدهر سعى أهل الدهر بالنمائم والوشايات فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف اليه مكان المضاف كقوله تعالى واسأل القرية أى أهل القرية ومن الدقيق المعنى فى هذا الباب قول أبي الطيب المتنبى فى عضد الدولة من جملة قصيدته التى أولها أوه بديل من قولتى واها فقال

لو فطنت خيله لنائله * لم يرضها أن تراه يرضاها

وهذا يستنبط منه معنيان غيران أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لان عطاياه أنفس منها الآخر أن خيله لو علمت أنهم بها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تكره خروجها عن ملكه وهذان الوجهان أنا ذكرتهما وانما المذكور منهما أحدهما وهذا الذى أشرت اليه من الكلام على المعانى وتأويلاتها كاف لمن عنده ذوق وله قوة على حملها على أشباهها ونظائرها

﴿الفصل الرابع﴾ فى الترجيح بين المعانى وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذى يوزن به نقد درهمها ودينارها بل المحك الذى يعلم منه مقدار عيارها ولا يزن به الا ذو فكرة متقدة ولمحة منتقدة فليس كل من حمل ميزانا سمى صرافا ولا كل من وزن به سمى عرّافا والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهى أن هناك يرجح بين دليلى الخصمين فى حكم شرعى وههنا يرجح بين جانبى فصاحة وبلاغة فى ألفاظ ومعان خطابية وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهى يرجح بين خبر التواتر مثلا وبين خبر الآحاد أو بين المسند والمرسل أو ما جرى هذا المجرى وهذا لا يعرض اليه صاحب علم البيان لانه ليس من شأنه ولكن الذى هو من شأنه أن يرجح بين حقيقة ومجاز أو بين حقيقتين أو بين مجازين ويكون ناظرا فى ذلك كله الى الصناعة الخطابية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهى فى بعض المواضع كالترجيح بين عام وخاص أو ما شابه ذلك وكنا قد قدمنا القول فى الحكم على المعانى وانقسامها ولنبين فى هذا الفصل مواضع الترجيح بين وجوه تأويلاتها فنقول (أما القسم الاول) من المعانى فلا تعلق للترجيح به اذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الا وجها واحدا فليس من هذا الباب فى شئ والترجيح انما يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من ثلاثة أقسام اما أن يكون اللفظ حقيقة فى أحدهما مجازا فى الآخر أو حقيقة فيهما جميعا أو مجازا فيهما جميعا وليس لنا قسم رابع والترجيح بين الحقيقتين أو بين المجازين يحتاج الى نظر وأما الترجيح بين الحقيقة والمجاز فانه يعلم ببديهة النظر لمكان الاختلاف بينهما والشيآن المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف ما يظهر بين الشيئين المشتبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى ويوم يحشر

أراد فان أبي وجدى ونفسى فداء لنفس محمد ومما يزيد فى وضوح هذا حديث حدثنيه الزيادى عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم انى تصدقت بعرضى عن عبادك (ومن ذلك العترة) يذهب الناس الى أنها ذرية الرجل خاصة وانه من قال عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما يذهب الى ولد فاطمة رضى الله عنها وعترة الرجل ذريته وعشيرته الادنون من مضى منهم ومن غبر ويدلك على ذلك قول أبي بكر رضى الله عنه نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى خرج منها وبيضته التى تفقأت عنه وانما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحا عن قطبها ولو لم يكن أبو بكر رضوان الله عليه ليدعى بحضرة القوم جميعا ما لا يعرفونه (ومن ذلك الخلف والكذب) لا يكاد الناس يفرقون بينهما والكذب فيما مضى وهو أن يقول فعلت كذا وكذا ولم يفعله والخلف ما يستقبل وهو أن تقول سأفعل كذا وكذا ولا تفعله (ومن ذلك الجاعرة) يذهب الناس الى انها حلقة الدبر وهى تحتمل ان تسمى جاعرة لانها تجعر أى تخرج الجعر ولكن العرب تجعل الجاعرتين من الفرس والحمار موضع الرقمتين من مؤخر الحمار قال كعب بن زهير يذكر الحمار والاتن

اذا ما انتحاهن شؤبوبه
رأيت لجاعرتيه غضونا

شؤبوبه شدة دفعته يقول اذا

أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازا أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقا وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو المانع البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه ورب يسأل ههنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغي ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه لفظ الجلود عام فلا يخلو اما أن يراد به الجلود مطلقا أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الاعمال خاصة ولا يجوز أن يراد به الجلود على الاطلاق لان شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة شهادة باطلة اذ هي شهادة غير شاهد والشهادة هنا يراد بها الاقرار فتقول اليد أنا فعلت كذا وكذا وتقول الرجل أنا مشيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرة بأعمالها فترجح بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح واذا أريد به الجوارح فلا يخلو اما أن يراد به الكل أو البعض فان أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة وان أريد به البعض فهو بالفرج أخص منه بغيره من الجوارح لامرين أحدهما أن الجوارح كلها قد ذكرت في القرآن الكريم شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان حمل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع الآخر أنه ليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره الا الفرج فكنى عنه بالجلد لانه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته ﴿فان قيل﴾ ان تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب التفصيل كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة ﴿قلت﴾ في الجواب هذا القول عليك لا لك لان النخل والرمان انما ذكر للتفضيل لهما في الشكل أو في الطعم والفضيلة ههنا في ذكر الشهادة انما هي تعظيم لامر المعصية وغير السمع والبصر أعظم في المعصية لان معصية السمع انما تكون في سماع غيبة أو في سماع صوت مزمار أو وتر أو ما جرى هذا المجرى ومعصية البصر انما تكون في النظر الى محرم وكلتا المعصيتين لا حد فيها وأما المعاصي التي توجد من غير السمع والبصر فأعظم لان معصية اليد توجب القطع ومعصية الفرج توجب جلد مائة أو الرجم وهذا أعظم فكان ينبغي أن تخص بالذكر دون السمع والبصر واذا ثبت فساد ما ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج خاصة (وأما مثال المعنيين) اذا كانا حقيقيين فقول النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الارض والخبايا جمع خبية وهو كل ما يخبأ كائنا ما كان وهذا يدل على معنيين حقيقيين أحدهما الكنوز المخبوأة في بطون الارض والآخر الحرث والغراس وجانب الحرث والغراس أرجح لان مواضع الكنوز لا تعلم حتى تلتمس والنبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لانه شئ مجهول غير معلوم فبقي المراد بخبايا الارض ما يحرث ويغرس وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم اذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال وهذا الحديث مرخص في ترك صلاة الجماعة بسبب المطر وله تأويلان أحدهما أنه أراد نعال الارض وهو ما غلظ منها والآخر أنه أراد الاحذية والوجه هو الثاني لظهوره في الدلالة على المعنى وأكثر العلماء عليه ولو كان المراد به ما غلظ من الارض لخرج عن هذا الحكم كل بلد تكون أرضه سهلة لا غلظ فيها (وأما مثال المعنيين المجازيين) فقول أبي تمام

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما
ووردناه ساحلا وقليبا * ورعيناه بارضا وجميما
فعلمنا أن ليس الا بشق الأنفس صار الكريم يدعى كريما

فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان أحدهما أنه أراد بهما الكثير والقليل

بالنسبة

عداوة اشتد عدوه رأيت الجاعرتيه تكسير القبضة قوائمه وبسطه اياها وأما قول الهذلي في صفة الضبع * عشنزرة جواعرها ثمان * فلا أعرف من أحد علما تنافيه قولا أرتضيه (ومن ذلك الفقير والمسكين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما وقد فرق الله تعالى بينهما في آية الصدقات فقال جل ثناؤه انما الصدقات للفقراء والمساكين وجعل لكل صنف سهما والفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شئ له قال الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته
وفق العيال فلم يترك لها سبد

فجعل له حلوبة وجعلها وفقا لعياله أي قوتا لا فضل فيه (ومن ذلك الخائن والسارق) لا يكاد الناس يفرقون بينهما والخائن الذي أؤتمن فاخذ قال النمر بن تولب

وان بني ربيعة بعد وهب
كراعي البيت يحفظه فخانا

والسارق من سرقك سرا بأي وجه كان ويقال كل خائن سارق وليس كل سارق خائنا والغاصب الذي جاهرك ولم يستتر والقطع في السرق دون الخيانة والغصب (ومن ذلك البخيل واللئيم) يذهب الناس الى انهما سواء وليس كذلك انما البخيل الشحيح الضنين واللئيم الذي جمع الشح ومهانة النفس ودناءة الاباء يقال كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيما * قال أبو زيد الملوم الذي يلام ولا ذنب له والمليم الذي يأتي ما يلام عليه قال الله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم والمليام الذي يقوم بعذر اللئام (ومن ذلك التلاد والتليد) لا يفرق الناس بينهما والتليد

بالنسبة الى الساحل والقليب والآخر أنه أرادبهما السبب وغير السبب فان الساحل لايحتاج فى وروده الى سبب والقليب يحتاج فى وروده الى سبب وكلا هذين المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقليب غيرهما والوجه هو الثانى لانه أدل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه أما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير بالمخالفة بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل على القليل والكثير لان البارض هو أول النبت حين يبدو فاذا كثر وتكاثف سمى جميما فكأنه قال أخذنا منه تبرعا ومسئلة وقليلا وكثيرا وأما مدح المقول فيه فلتعداد حالاته الاربع فى تبرعه وسؤاله واكثاره واقلاله ومافى معاناة هذه الاحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغى بين الحقيقة والحقيقة وبين المجاز والمجاز وبين الحقيقة والمجاز (وههنا) ترجيح آخر لايتعلق بما أشرنا اليه اذ هو خارج عما تقتضيه المعانى الخطابية من جهة الفصاحة أو البلاغة وذلك أن يرجح بين معنيين أحدهما تام والآخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا للمعنى تقدمه أو تأخر عنه والآخر غير مناسب أو بأن ينظر فى الترجيح بينهما الى شئ خارج عن اللفظ فثال المعنيين المشار اليهما أن المعنى التام هو الذى يدل عليه لفظه ولا يتعداه وأما المقدر فهو الذى لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه بقرينة أخرى وتلك القرينة قد تكون من توابعه وقد لا تكون (فما) جاء من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم فى سائمة الغنم زكاة فهذا اللفظ يستخرج منه معنيان أحدهما تام والآخر مقدر فالتام دلالته على وجوب الزكاة فى السائمة لا غير والمقدر دلالته على سقوط الزكاة عن المعلوفة الا أنه ليس مفهوما عن نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هى كالتابعة له وهى أنه لما خصت السائمة بالذكر دون المعلوفة علم من مفهوم ذلك أن المعلوفة لا زكاة فيها وللفقهاء فى ذلك مجاذبات جدلية يطول الكلام فيها وليس هذا موضعها والذى يترجح عندى هو القول بفحوى المعنى المقدر وهو الذى يسميه الفقهاء مفهوم الخطاب وله فى الشعر أشباه ونظائر (فما) ورد من ذلك شعرا قول جرى بن كلاب الفقعسى من شعراء الحماسة وقد خطب اليه ابن كوز ابنته فرده

تبغى ابن كوز والسفاهة كاسمها * ليستادمنا ان سنونا لياليا
فلا تطلبنها يا ابن كوز فانه * غذا الناس مذ قام النبى الجواريا

وهذا البيت الثانى يشتمل على المعنيين التام والمقدر أما التام فان ابن كوز سأل أبا هذه الجارية أن يزوجه اياها فى سنة والسنة الجدب فرده وقال قد غذا الناس البنات مذ قام النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أيضا أغذو هذه ولولا ذلك لوأدتها كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو أنهم كانوا يئدون البنات قبل الاسلام فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس مذ قام النبى الجواريا أى فى النساء كثرة فتزوج بعضهن وخل ابنتى وهذان المعنيان هما اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذى يعلم من مفهوم الكلام فانه يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باحياء البنات ونهى عن الوأد ولو أنكحتكها لكنت قد وأدتها اذ لا فرق بين انكاحك اياها وبين وأدها وهذا ذم للمخاطب وهو معنى دقيق ومجىء المعانى المستخرجة من المفهومة قليل فى الشعر (وأما) ما يستدل عليه بقرينة ليست من توابعه فان ذلك أدق من الاول وألطف مأخذا فما ورد منه قول النبى صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار اليهما فالتام منهما يدل على أنه من جعل قاضيا فقد عرض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سكين وأما المقدر فانه يدل على أنه من جعل قاضيا فقد أمر بمفارقة هواه وهذا لا يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة

ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فنبت عندك والتلاد ما ولد عندك ومنه حديث شريح فى رجل اشترى جارية وشرطوا انها مولدة فوجدها تليدة فالمولدة بمنزلة التلاد وهما ما ولد عندك والتليدة فى حديث شريح التى ولدت ببلاد العجم وحملت صغيرة فنبتت ببلاد الاسلام (ومن ذلك الحمد والشكر) لا يفرق الناس بينهما فالحمد الثناء على الرجل بما فيه من الحسن تقول حمدت الرجل اذا أثنيت عليه بكرم أو حسب أو شجاعة وأشباه ذلك والشكر له الثناء عليه بمعروف أولاكه وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال حمدته على معروفه عندى كما يقال شكرت له ولا يوضع الشكر موضع الحمد فيقال شكرت له على شجاعته (ومن ذلك الجبهة والجبين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما فالجبهة مسجد الرجل الذى يصيبه ندب السجود والجبينان يكتنفانها من كل جانب جبين (ومن ذلك اللبة) يذهب الناس الى أنها النقرة التى فى النحر وذلك غلط انما اللبة المنحر فأما النقرة فهى الثغرة (ومن ذلك الارى) يذهب الناس الى أنه المعلف وذلك غلط انما الارى الاخية التى تشد بها الدواب وهى من تأريت المكان اذا أقمت به قال الشاعر الاعشى

لا يتأرى لما فى القدر يرقبه
ولا يعض على شرسوفه الصفر

أى لا يتحبس على ادراك القدر ليأكل منها وتقدير آرى من الفعل فاعول (ومن ذلك الملة) يذهب الناس الى أنها الخبزة فيقولون أطعمنا ملة وذلك غلط انما الملة

أخرى ولكنها ليست من توابعه ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الاطلاق ولا يخلو اما أن يراد به عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة لانه ليس كل قاض معذبا في الآخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح بهذا أن المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى هذا فلا يخلو اما أن يكون العذاب صورة أو معنى ولا يجوز أن يكون صورة لانا نرى الانسان اذا جعل قاضيا لا يذبح ولا يناله شيء من ذلك فبقي أن يكون المراد به عذابا معنويا وهو الذبح المجازي غير الحقيقي وفحوى ذلك ان نفس الانسان مركبة على حب هواها فاذا جعل قاضيا فقد أمر بترك ما جبل على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم لصديقه على عدوه ورفع الحجاب بينه وبين الناس والجلوس للحكم في أوقات راحته وغير ذلك من الاشياء المكروهة التي تشق على النفس وتجد لها ألما مبرحا والذبح هو قطع الحلقوم والالم حاصل به وهو كالذبح الحقيقي بل أشد منه لان ألم الذبح الحقيقي يكون لحظة واحدة ثم ينقضي ويزول وألم قطع النفس عن هواها يدوم ولا ينقضي وهو أشد العذاب قال الله تعالى في عذاب أهل النار وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقال في نعيم أهل الجنة وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وكثيرا ما رأينا وسمعنا من حمله حب الشيء على اتلاف نفسه في طلبه وركوب الاهوال من أجله فاذا امتنع عنه مع حبه اياه فقد ذبح نفسه أي قطعها عنه كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انتقلنا عن الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الاصغر وجهاد النفس الجهاد الاكبر فكما أن مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه مختص بالوجه الآخر لاشتماله على المعنى المقصود وهو المراد من القضاة على الاطلاق (وأما) مثال المعنيين اذا كان أحدهما مناسبا لمعنى تقدمه أو لمعنى تأخر عنه والآخر غير مناسب فالاول وهو ما كان مناسبا لمعنى تقدمه كقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فالدعاء ههنا يدل على معنيين أحدهما النهي أن يدعى الرسول باسمه فيقال يا محمد كما يدعو بعضهم بعضا بأسمائهم وانما يقال له يا رسول الله أو يا نبي الله الآخر النهي أن يجعلوا حضورهم عنده اذا دعاهم لامر من الامور كحضور بعضهم عند بعض بل يتأدبون معه بأن لا يفارقوا مجلسه الا باذنه وهذا الوجه هو المراد لمناسبة معنى الآية التي قبله وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه وأما الثاني وهو ما كان مناسبا لمعنى تأخر عنه كقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين فالتين والزيتون هما هذا الشجر المعروف وهما اسما جبلين أيضا وتأويلهما بالجبلين أولى للمناسبة بينهما وبين ما أتى بعدهما من ذكر الجبل الذي هو الطور وعلى هذا ورد قول الشاعر في أبيات الحماسة

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * على لانسان من الناس درهما
ولكنني مولى قضاعة كلها * فلست أبالي أن أدين وتغرما

فاذا نظرنا الى البيت الاول وجدناه يحتمل مدحا وذما أي أنهم كانوا يغنونه بعطائهم أن يدين أو أنه كان يخاف الدين حذر أن لا يقوموا عنه بوفائه لكن البيت الثاني حقق أن الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يتحقق فهمه الا بآخره وأما الذي يكون الترجيح فيه بسبب شيء خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فهذا مستنبط منه معنيان أحدهما أن الله يعلم السر والجهر في السموات والارض وفي ذلك تقديم وتأخير أي يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض الآخر أنه في السموات وأنه يعلم

السر

موضع الخبزة سمي بذلك لحرارته ومنه قيل فلان يتململ على فراشه والاصل يتملل فأبدل من احدى اللامات ميما ويقال مللت الخبزة في الملة أملها ملا والصواب أن تقول اطعمنا خبزة ملة (ومن ذلك العبير) يذهب الناس الى أنه أخلاط من الطيب وقال أبو عبيدة العبير عند العرب الزعفران وحده وأنشد للاعشى

وتبرد برد رداء العرو
س في الصيف رقرقت فيه العبيرا

ورقرقت بمعنى رققت فأبدلوا من القاف الوسطى راء كما قالوا احتثته والاصل حثثته أي صبغته بالزعفران وصقلته وكان الاصمعي يزعم ان العبير أخلاط تجمع بالزعفران ولا أرى القول الا ما قال الاصمعي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة أتعجز احداكن أن تتخذ تومتين ثم تلطخها بعبير أو زعفران ففرق صلى الله عليه وسلم بين العبير والزعفران (والتومة) حبة تعمل من فضة كالدرة وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قول بعض الناس خرجنا نتنزه اذا خرجوا الى البساتين الى الغلط وقال انما التنزه التباعد عن المياه والريف ومنه يقال فلان يتنزه عن الاقذار أي يباعد نفسه عنها وفلان نزيه كريم اذا كان بعيدا عن اللوم وليس هذا عندي خطأ لان البساتين في كل مصر وفي كل بلد انما تكون خارج المصر فاذا أراد الرجل أن يأتيها فقد أراد أن يتنزه أي يتباعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخضر والجنان (ومن

السر والجهر في الارض من بني آدم لان الوقف يكون على السموات ثم يستأنف الكلام فيقول يعلم سركم وجهركم في الارض الا أن هذا يمنع منه اعتقاد التجسيم وذلك شيء خارج عن مفهوم اللفظ

﴿الفصل الخامس في جوامع الكلم﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والجامعة اسم فاعلة من جمعت فهي جامعة كما يقال في المذكر جمع فهو جامع والمراد بذلك أنه صلى الله عليه وسلم أوتي الكلم الجوامع للمعاني وهو عندي ينقسم قسمين القسم الاول منهما هو ما استخرجته ونبهت عليه ولم يكن لاحد فيه قول سابق وهو أن لنا ألفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل في مكانها (فمن ذلك) ما يأتي على حكم المجاز ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة أما ما يأتي على حكم المجاز فقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين الآن حمي الوطيس وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه حمي الوطيس والفرق بينهما أن الوطيس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخيل الى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها وهذا لا يوجد في قولنا استعرت الحرب أو ما جرى مجراه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت في نفس الساعة فقوله نفس الساعة من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها لان المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه لكن قربها منه لا يدل على ما دل عليه النفس وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحس الانسان بنفس من هو الى جانبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى ولو قال بعثت على قرب من الساعة أو والساعة قريبة مني لما دل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة وهذا لا يحتاج الى الاطالة في بيانه لانه بين واضح وقد ورد شيء من ذلك في أقوال الشعراء المفلقين ولقد تصفحت الاشعار قديمها وحديثها وحفظت ما حفظت منها وكنت اذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الالحان وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك ولا يتفطن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما انطوت أنافيه وبطنه كغيره من الالفاظ المستحسنة (فمما) جاء من ذلك قول أبي تمام

كم صارم عضب أناف على قفا ✽ منهم لأعباء الوغى حمال
سبق المشيب اليه حتى ابتزه ✽ وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله وطن النهى من الكلمات الجامعة وهي عبارة عن الرأس ولا يجاء بمثلها في معناها بما يسد مسدها وكذلك ورد قول البحتري

قلب يطل على افكاره ويد ✽ تمضي الامور ونفس لهوها التعب

فقوله قلب يطل على أفكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك أن قلبه لا تملؤه الافكار ولا تحيط به وانما هو عال عليها يصف بذلك عدم احتفاله بالقوادح وقلة مبالاته بالخطوب التي تحدث أفكارا تستغرق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى بمثلها بما يسد مسدها (وأما) ما يأتي على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومي

سقى الله أوطارا لنا وما ربا ✽ تقطع من أقرانها ما تقطعا
ليال تنسيني الليالي حسابها ✽ بلهنية أقضي بها الحول أجمعا
سوى عزة لا أعرف اليوم باسمه ✽ وأعمل فيه اللهو مرأى ومسمعا

ذلك الاعجمي والعجمي والاعرابي والعربي) لا يكاد عوام الناس يفرقون بينهما فالاعجمي الذي لا يفصح وان كان نازلا في البادية والعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا والاعرابي هو البدوي وان كان بالحضر والعربي المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا (ومن ذلك اشلاء الكلب) هو عند الناس اغراؤه بالصيد وبغيره مما تريد ان يحمل عليه وذلك غلط وانما اشلاء الكلب أن تدعوه اليك وكذلك الناقة والشاة قال الراجز

اشليت عنزي ومسحت قعبي

يريد انه دعا عنزه ليحلبها فاما اغراء الكلب بالصيد فهو الايساد تقول أسدته وأوسدته اذا أغريته (ومن ذلك حاشية الثوب) يذهب الناس الى انها جانبه الذي لا هدب له وذلك غلط وحواشي الثوب جوانبه كلها فاما جانبه الذي لا هدب له فهو طرته وكفته (ومن ذلك الهجنة والاقراف) لا يكاد يفرق الناس بينهما فالهجنة انما تكون من قبل الأم فاذا كان الاب عتيقا والام ليست كذلك كان الولد هجينا والاقراف من قبل الاب فاذا كانت الام من العتاق والاب ليس كذلك كان الولد مقرفا وأنشد أبو عبيدة لهند ابنة النعمان بن بشير في روح بن زنباع

وهل هند الا مهرة عربية
سليلة أفراس تحللها بغل
فان نتجت مهرا كريما فبالحري
وان يك اقراف فأقرفه الفحل

﴿باب ما جاء مثنى في مستعمل الكلام﴾

يقال ذهب منه (الاطيبان) يراد الاكل والنكاح (أهلك الرجال

فقوله لا أعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة أي اني قد شغلت باللذات عن معرفة الليالي والايام ولو وصف اشتغاله باللذات مهما وصف لم يأت بمثل قوله لا أعرف اليوم باسمه (وأما القسم الثاني) من جوامع الكلم فالمراد به الايجاز الذي يدل به بالالفاظ القليلة على المعاني الكثيرة أي ان ألفاظه صلوات الله عليه جامعة للمعاني المقصودة على ايجازها واختصارها وجل كلامه جار هذا المجرى ولا يحتاج الى ضرب الامثلة به وسيأتي في باب الايجاز منه ما فيه كفاية ومقنع ﴿فان قيل﴾ فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما فانهما في النظر سواء ﴿قلت﴾ في الجواب ان الايجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى ولا يشترط في تلك الالفاظ أنها لا نظير لها فانها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الايجاز وحينئذ يكون ايجازا وزيادة (وأما) هذا القسم الآخر فانه ألفاظ افراد في حسنها لا نظير لها فتارة تكون موجزة وتارة لا تكون موجزة وليس الغرض منها الايجاز وانما الغرض مكانها من الحسن الذي لا نظير لها فيه ألا ترى الى قول أبي تمام وطن النهى فان ذلك عبارة عن الرأس ولا شك أن الرأس أوجز لان الرأس لفظة واحدة ووطن النهى لفظتان الا أن وطن النهى أحسن في التعبير عن الرأس من الرأس فبان بهذا أن أحد هذين القسمين غير الآخر

﴿الفصل السادس في الحكمة التي هي ضالة المؤمن﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها اذا وجدها والمراد بذلك أن الحكمة قد يستفيدها أهلها من غير أهلها كما يقال رب رمية من غير رام وهذا لا يخص علما واحدا من العلوم بل يقع في كل علم والمطلوب منه ههنا هو ما يخص علم البيان من الفصاحة والبلاغة دون غيره ومذ سمعت هذا الخبر النبوي جعلت كدي في تتبع أقوال الناس في مفاوضاتهم ومحاوراتهم فانه قد تصدر الاقوال البليغة والحكم والامثال ممن لا يعلم مقدار ما يقوله فاستفدت بذلك فوائد كثيرة لا أحصرها عددا وأنا أذكر منها طرفا يستدل به على أشباهه ونظائره فمن ذلك اني سرت في بعض الطرق وفي صحبتي رجل بدوي من الانباط لا يعتد بقوله فكان يقول غدا ندخل البلد وتشتغل عني وكان الامر كما قال فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه أياما ثم لقيني فقال لي من تروى فترت عظامه وهذا القول من الاقوال البليغة وهي من الحكمة التي هي الضالة المطلوبة عند مؤمني الفصاحة والبلاغة ثم اني سمعت منه بعد ذلك شيأ يناسب قوله الاول فاني سافرت له الى صاحب في حلب في شيء أخذته منه فاستقله وقال الماء أروى لشدوق النيب وهذا أيضا من الحكمة في بابها وسافرت مرة أخرى على طريق المناظر وكان في صحبتي رجل بدوي فسألته عن مسافة ما بين تدمر وأراك فقال اذا خرج سرحاهما تلاقيا فعبر عن قرب المسافة بينهما بأوجز عبارة وأبلغها ثم سألته ليلة من الليالي عن الصبح لنرتحل من موضعنا فقال قد ظهر الصبح الآن ما يملك الانسان بصره وهذا القول من الحكمة أيضا وكان تزوج غلام من غلماني بدمشق فوقعت المرأة منه بموقع وشغف بها ثم اني سافرت عن دمشق لمهم عرض لي وسافر ذلك الغلام في صحبتي فلما عدنا من السفر شغل بامرأته والمقام عندها فسألته عن حاله فقال انها قد طالت وحسنت وهي كذا وكذا وأخذ يصفها فقال أخ له كان حاضرا يا مولاي هي تلك لم تزد شيأ وانما هي في عينه جبار من الجبابرة وكذا القول قد ورد في بعض أبيات الحماسة وهو معدود من أبيات المعاني

أهابك اجلالا وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها

فكثيرا ما يصدر مثل هذه الاقوال عن ألسنة الجهال * وسمعت ما يجري هذا المجرى من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صبغ الالفاظ فضلا عما وراء ذلك وذاك أنه رأى

الاحمران) الخمر واللحم (وأهلك النساء الاصفران) الذهب والزعفران اجتمع للمرأة (الابيضان) الشحم والشباب أتي عليه (العصران) الغداة والعشي (والملوان) الليل والنهار وهما الجديدان (والعمران) أبو بكر وعمر (والاسودان) التمر والماء قالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان التمر والماء وقال حجازي لرجل استضافه ما عندنا الا الاسودان فقال له خير كثير قال لعلك تظنهما التمر والماء فقال والله ما هما الا الليل والحرة (والاصغران) القلب واللسان (والاصرمان) الذئب والغراب لانهما انصرما من الناس (والخافقان) المشرق والمغرب لان الليل والنهار يخفقان فيهما وقولهم

لا يدري أي طرفيه أطول

يراد نسب أمه أو نسب أبيه لا يدري أيهما أكرم وأنشد أبو زيد

وكيف بأطرافي اذا ما شتمتني
وما بعد شتم الوالدين صلوح

يريد أجداده من قبل أبيه وأمه يقال فلان كريم الطرفين يراد به الابوان وقال ابن الاعرابي في قولهم لا يدري أي طرفيه أطول قال طرفاه ذكره ولسانه

﴿باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام﴾

(له الطم والرم) الطم البحر والرم الثرى (له الضح والريح) الضح الشمس أي ما طلعت عليه الشمس وما جرت الريح (له الويل والأليل) الأليل الانين قال ابن ميادة

صبيا فى يده طاقة ريحان فقال هذه طاقة آس تحمل طاقة ريحان فلما سمعت ذلك منه أخذتنى هزة التعجب وذكرت شعر أبى نواس الذى تواصفه الناس فى هذا المعنى وهو قوله

وردة جاء بها شادن * فى كفه اليمنى فحيانا
سبحت ربى حين أبصرتها * ريحانة تحمل ريحانا

وحضر عندى فى بعض الايام رجل نصرانى موسوم بالطب وكان لا يحسن ان يقول كلمة واحدة وهو أقلف اللسان ردىء العبارة فسألته عن زيارة شخص وهل يتردد اليه أم لا فقال

ظلام الليل يهدينى الى باب من أوده * وضوء النهار يضل بى عن باب من لا أوده

وهذا من ألطف المعانى وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة * وكنت قصدت زيارة بعض الاخوان من الاجناد وهو من الاغتام الاعجام فسألته عن حاله وكان توالت عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لى فى الجواب ما معناه انه لم يبق عندى ارتياع لوقوع نائبة من النوائب وهذا معنى لو أتى به شاعر مفلق أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان * وكنت فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين فى الجيش الذى كان قبالة العدو الكافر من الفرنج لعنهم الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا وكان الى جانبى ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو فلما حملوا اصطدق منهم اثنان وتلكأ واحد فقيل له فى ذلك فقال الموت طعام لا تجشمه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنتها واذا هى صادرة عن رجل من أهل بصرى قدم من الاقدام ولو أخذت فى ذكر ما سمعته من هذا الأغتام وأغمادلات بيسير ما ذكرته على المراد وهو أنه يجب على المتصدى للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس فى محاوراتهم فانه لا يعدم مما يسمعه منهم حكما كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه * ويحكى عن أبى تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التى أولها

على مثلها من أربع وملاعب * انتهى منها الى قوله

يرى أقبح الاشياء أوبة آمل * كسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال وأحسن من نور يفتحه الصبا * ووقف عند صدر هذا البيت يردده واذا سائل يسأل على الباب وهو يقول من بياض عطاياكم فى سواد مطالبنا فقال أبو تمام

بياض العطايا فى سواد المطالب * فأتم صدر البيت الذى كان يردده من كلام السائل

* وسمعت امرأة قد توفى لها ولد وهو بكرها الذى هو أول أولادها فقالت كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع فى الكيس فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابا من كتبى فى التعازى وهو كتاب كتبته الى بعض الاخوان وقد توفى بكره من الاولاد فقلت وهو أول درهم ادخرته فى كيس الادخار وأعددته لحوادث الليل والنهار (وبلغنى) عن الشيخ أبى محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادى وكان اماما فى علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيرا ما يقف على حلق القصاص والمشعبذين فاذا أتاه طلبة العلم لا يجدونه فى أكثر أوقاته الا هنالك فليم على ذلك وقيل له أنت امام الناس فى العلم وما الذى يحملك على الوقوف بهذه المواقف الرذيلة فقال لو علمتم ما أعلم لما لمتم ولطالما استفدت من هؤلاء الجهال فوائد كثيرة تجرى فى ضمن هذيانهم معانى غريبة لطيفة ولو أردت أنا أو غيرى أن نأتى بمثلها لما استطعنا ذلك ولا شك أن هذا الرجل رأى ما رأيته ونظر الى ما نظرت اليه

﴿الفصل السابع فى الحقيقة والمجاز﴾ وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم البيان لا بل هو علم البيان بأجمعه فان فى تصريف العبارات على الاسلوب المجازى فوائد كثيرة وسيرد بيانها

وقولا لها امّا تأمرين بوامق
له بعد نومات العيون أليل

(أكذب من دب ودرج) أى أكذب من الاحياء والاموات يقال للقوم اذا انقرضوا درجوا (لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) الصرف التوبة والعدل الفدية قال الله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أى وان تفد كل فداء وقال يونس الصرف الحيلة ومنه قيل انه يتصرف فى كذا وكذا قال الله تعالى فما يستطيعون صرفا ولا نصرا (ويقولون لا يعرف هرّا من برّ) قال ابن الاعرابى الهرّ دعاء الغنم والبرّ سوقها وقال غيره هرّ من هررته أى كرهته يقال هرّ فلان الكاس اذا كرهها يريد ما يعرف من يكرهه ممن يبره (القوم فى هياط ومياط) الهياط الصياح والمياط الدفاع والميط الدفع ومنه اماطة الاذى عن الطريق (وقولهم كيف السامة والعامة) السامة الخاصة (ويقولون حياك الله وبياك) حياك الله ملكك والتحية الملك ومنه التحيات لله يراد الملك لله قال عمرو بن معدى كرب

أسيرها الى النعمان حتى
أنيخ على تحيته بجند

يعنى الملك ويقال بياك اعتمدك بالملك والخير قال الشاعر

باتت تبيا حوضها عكوفا
مثل الصفوف لاقت الصفوفا

أى تعتمد حوضها وقال ابن الاعرابى بياك جاءك وروى فى بياك أضحكك وجاء هذا فى حديث يروى فى قصة آدم النبى عليه السلام وأنشد ابن الاعرابى

وعسعس نعم الفتى تبياه

فى مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد نبهنا فى هذا الموضع على جملتها دون تفصيلها فأما الحقيقة فهى اللفظ الدال على موضوعه الاصلى وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له فى أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالمجاز اذا اسم للمكان الذى يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما وحقيقته هى الانتقال من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد أسد فان زيد انسان والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الانسانية الى الاسدية أى عبرنا من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هى صفة الشجاعة وقد يكون العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقولهم فى كتاب كليلة ودمنه قال الاسد وقال الثعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين بحال من الاحوال وانما أجرى عليهما اتساعا محضا لاغير ولهذا مثال فى المجاز الحقيقى الذى هو المكان المجاز فيه فانه لا يخلو اما أن يجاز من سهل الى سهل أو من وعر الى وعر أو من سهل الى وعر فالجواز من سهل الى سهل أو من وعر الى وعر هو كقولنا زيد أسد فالمشابهة حاصلة فى ذات بينهما كالمشابهة الحاصلة فى المكان والجواز من سهل الى وعر كقولهم قال الاسد وقال الثعلب فكما أنه لا مشابهة بين القول وبين هذين فكذلك لا مشابهة بين السهل والوعر وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك واشباع القول فى تحقيقه فى باب الاستعارة فليؤخذ من هناك وقد ذهب قوم الى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وذهب آخرون الى انه كله مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين المذهبين فاسد عندى وسأجيب الخصم عما ادعاه فيهما فأقول محل النزاع هو أن اللغة كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز ولا فرق عندى بين قولك انها كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندى سواء لان منكرهما غير مسلم لهما وأنا بصدد أن أبين أن فى اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هى حقيقة الالفاظ فى دلالتها على المعانى وليست بالحقيقة التى هى ذات الشئ أى نفسه وعينه فالحقيقة اللفظية اذا هى دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له فى أصل اللغة والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له الى لفظ آخر غيره وتقرير ذلك بأن أقوال المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له فاذا نقل الى غيره صار مجازا ومثال ذلك أنا اذا قلنا شمس أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه وكذلك اذا قلنا بحر أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذى طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه فاذا نقلنا الشمس الى الوجه المليح استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة وكذلك اذا نقلنا البحر الى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة ﴿فان قيل﴾ ان الوجه المليح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال للرجل الجواد وهو حقيقة فيه (فالجواب) عن ذلك من وجهين أحدهما نظرى والآخر وضعى أما النظرى فهو أن الالفاظ انما جعلت أدلة على افهام المعانى ولو كان ما ذهبت اليه صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح وعلى الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس أيضا فانها كانت تطلق على هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وعلى الوجه المليح بالاشتراك وحينئذ فاذا ورد أحد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصصه فلا يفهم المراد به ما هو من أحد المعنيين المشتركين المندرجين تحته ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فانا اذا قلنا شمس أو بحر وأطلقنا القول لا يفهم من ذلك وجه مليح ولا رجل جواد وانما يفهم منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لا غير فبطل اذا ما ذهبت اليه بما بيناه وأوضحناه ﴿فان قلت﴾ ان العرف يخالف ما ذهبت اليه فان من الالفاظ ما اذا

أى تعتمده (وقولهم هولك حل وبل) قال الاصمعى بل مباح بلغة حمير قال وأخبرنى بذلك المعتمر بن سليمان (ما به حبض ولا نبض) النبض التحرك ولم يعرف الاصمعى الحبض (وما عنده خير ولا مير) المير مصدر مارهم يميرهم ميرا من الميرة (ماله سبد ولا لبد) السبد الشعر والوبر يعنى الابل والمعز واللبد الصوف يعنى الغنم (ما يعرف قبيلا من دبير) القبيل ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله والدبير ما أدبرت به وقال الاصمعى أصله من الاقبالة والادبارة وهو شق فى الاذن ثم يفتل ذلك فاذا أقبل به فهو الاقبالة واذا أدبر به فهو الادبارة والجلدة المعلقة فى الاذن هى الاقبالة والادبارة (وهم بين حاذف وقاذف) الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر (وهو جائع نائع) قال بعضهم نائع اتباع وقال بعضهم عطشان وأنشد لعمر بنى شهاب ما أقاموا

صدور الخيل والاسل النياع

يعنى الرماح العطاش (وما ذقت عنده عبكة ولا لبكة) العبكة الحبة من السويق واللبكة القطعة من الثريد (ومنه ماله ثاغيه ولا راغيه) الثاغية الشاة والراغية الناقة (ويقولون لا يدالس ولا يوالس) يدالس من الدلس وهو الظلمة أى لا يخادعك ويخفى عنك الشئ فكأنه يأتيك به فى الظلام ومنه يقال دلس على كذا وكذا ويوالس من الالس وهو الخيانة وقولهم (فلان يداجى فلانا) مأخوذ من الدجية وهى الظلمة أى يساتره بالعداوة ويخفيها عنه

أطلق لم يذهب الفهم منه الا الى المجاز دون الحقيقة كقولهم الغائط فان العرف خصص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الارض (قلت) في الجواب هذا شئ ذهب اليه الفقهاء وليس الامر كما ذهبوا اليه لانه ان كان اطلاق اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم فهؤلاء لا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا أصل وضع هذه الكلمة وأنها المطمئن من الارض وأما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع فانهم لا يفهمون عند اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير ألا ترى أن هذه اللفظة لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بألفاظ تدل على ذلك كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط فان قوله أو جاء أحد منكم من الغائط دليل على انه أراد قضاء الحاجة دون المطمئن من الارض فالكلام في هذا وأمثاله انما هو مع علم أصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا وأما الجهال فلا اعتبار بهم ولا اعتداد بأقوالهم والعجب عندي من الفقهاء الذين دونوا ذلك على ما دونوه وذهبوا الى ما ذهبوا اليه وأما الوجه الوضعي فهو أن المرجع في هذا وما يجرى مجراه الى أصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسميات ولم يوجد فيها أن الوجه المليح يسمى شمسا ولا أن الرجل الجواد يسمى بحرا وانما أهل الخطابة والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل منهم بشئ اخترعه في التوسعات المجازية هذا امرؤ القيس قد اخترع شيأ لم يكن قبله فمن ذلك أنه أول من عبر عن الفرس بقوله قيد الاوابد ولم يسمع ذلك لاحد من قبله وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حنين الآن حمى الوطيس وأراد بذلك شدة الحرب فان الوطيس في أصل الوضع هو التنور فنقل الى الحرب استعارة ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلى الله عليه وسلم وواضع اللغة ما ذكر شيأ من ذلك فعلمنا حينئذ أن من اللغة حقيقة بوضعه ومجازا بتوسعات أهل الخطابة والشعر وفي زماننا هذا قد يخترعون أشياء من المجاز على حكم الاستعارة لم تكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه * وأما الفرق بينه وبين الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر ألا ترى أنا اذا قلنا فلان عالم صدق على كل ذي علم بخلاف واسأل القرية لانه لا يصح الا في بعض الجمادات دون بعض اذ المراد أهل القرية لانهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل (واعلم) أن كل مجاز فله حقيقة لانه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز الا لنقله عن حقيقة موضوعة له اذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها واذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها الى حالته المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز فان من الاسماء ما لا مجاز له كأسماء الاعلام لانها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الاصل أولى منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانا ألا ترى أن حقيقة قولنا زيد أسد هي قولنا زيد شجاع لكن فرق بين القولين في التصوير والتخييل واثبات الغرض المقصود في نفس السامع لان قولنا زيد شجاع لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جرئ مقدام فاذا قلنا زيد أسد يخيل عند ذلك صورة الاسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة

﴿باب ما يستعمل من الدعاء﴾

(في الكلام أرغم الله أنفه) أي ألزقه بالرغام وهو التراب ثم يقال على رغمك وعلى رغم أنفك وان رغم أنفك (ويقولون قفم الله عصبه) أي جمعه وقبضه ومنه قيل للبحر قفام لانه مجمع الماء (ويقال استأصل الله شأفته) الشأفة قرحة تخرج بالقدم فتكوى فتذهب يقال شأفت رجله شأفا يقول أذهبك الله كما أذهب ذاك (أسكت الله نأمته) مهموزة مخففة الميم وهي من النئيم وهو الصوت الضعيف ويقال نامته بالتشديد غير مهموز أي ما ينم عليه من حركته (ويقال سخم الله وجهه) أي سوده من السخام وهو سواد القدر (أباد الله خضراءهم) أي سوادهم ومعظمهم ولذلك قيل للكتيبة خضراء قال الاصمعي لا يقال أباد الله خضراءهم ولكن يقال أباد الله غضراءهم أي خيرهم وغضارتهم والغضراء طينة خضراء حرة علكة يقال أنبط بئره في غضراء (بالرفاء والبنين) يدعى بذلك للمتزوج والرفاء الالتحام والاتفاق ومنه أخذ رفاء الثوب ويقال بالرفاء من رفوت الرجل اذا سكنته قال الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع * فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

(ويقال من اغتاب خرق) ومن استغفر رفاء وقولهم (مرحبا) أي أتيت رحبا أي سعة وأهلا أي أتيت أهلا لا غرباء فأنس ولا تستوحش وسهلا أي أتيت سهلا لا حزنا وهو في مذهب الدعاء كما تقول لقيت خيرا

ودق الفرائس وهذا الانزاع فيه وأعجب مافى العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعى فى بعض الاحوال حتى أنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو اقدام على أمر مهول وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغنى عن القاء العصا والحبال (واعلم) أنه اذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لامزية لمعناه فى حمله على طريق المجاز فلا ينبغى أن يحمل الا على طريق الحقيقة لانها هى الاصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الاصل الى الفرع الا لفائدة مثال ذلك قول البحترى

مهيب كحد السيف لو ضربت به ✱ ذرى أجاءٍ ظلت واعلامها وهد

ويروى أيضا لو ضربت به طلى أجاجم طلية وهى العنق فهذا البيت لا يجوز حمله على المجاز لان الحقيقة أولى به ألا ترى أن الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشئ يقال ذروة الجبل أعلاه والطلى جمع طلية وهى العنق والعنق أعلى الجسد ولا فرق بينهما فى صفة العلو هنا فلا يعدل اذا الى المجاز اذ لامزية له على الحقيقة وهكذا كل ما يجئ من الكلام الجارى هذا المجرى فانه ان لم يكن فى المجاز زيادة فائدة على الحقيقة لا يعدل اليه

﴿الفصل الثامن فى الفصاحة والبلاغة﴾ اعلم ان هذا باب متعذر على الوالج ومسلك متوعر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال فى هذا الباب ان الفصاحة هى الظهور والبيان فى أصل الوضع اللغوى يقال أفصح الصبح اذا ظهر ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات أحدها انه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحا الوجه الآخر انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فهو اذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ماهى لم يبق فى اللفظ الذى يختص به خلاف الوجه الآخر انه اذا جئ بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغى أن يكون فصيحا وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل ✱ ولما وقفت على أقوال الناس فى هذا الباب ملكتنى الحيرة فيها ولم يثبت عندى منها ما أعول عليه ولكثرة ملابستى هذا الفن ومعاركتى اياه انكشف لى السر فيه وسأوضحه فى كتابى هذا وأحقق القول فيه فأقول ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين وأعنى بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج فى فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة فى كلامهم وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة فى الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك ان أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذا من الالفاظ هو الحسن (فان قيل) من أى وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ

حتى

﴿باب تأويل كلام من كلام الناس مستعمل﴾

(يقولون حلب فلان الدهر أشطره) أى مرت عليه صروفه من خيره وشره وأصله من أخلاف الناقة ولها شطران قادمان وآخران فكل خلف شطر (ويقولون ما بفلان طرق) أى ما به قوة وأصل الطرق الشحم فاستعير لمكان القوة لان القوة أكثر ما تكون عنده (ويقولون ادفعه اليه برمته) وأصله ان رجلا دفع اليه رجل بعيرا بحبل فى عنقه والرمة الحبل البالى فقيل ذلك لكل من دفع شيأ بجملته لم يحتبس منه شيأ يقول ادفعه اليه برمته أى كله وهذا المعنى أراد الاعشى فى قوله للخمار

فقلت له هذه هاتها
بأدماء فى حبل مقتادها

أى بعنى هذه الخمر بناقة برمتها (ويقولون ما به قلبة) قال الفراء أصله من القلاب وهو داء يصيب الابل وزاد الاصمعى يشتكى البعير منه قلبه فيموت من يومه فقيل ذلك لكل سالم ليست به علة يقلب لها فينظر اليه قال الراجز

ولم يقلب أرضها البيطار
ولا لحبليه بها حبار

الحبار الاثر أى لم يقلب قوائمها من علة بها وقد كان بعضهم يقول فى قولهم ما به قلبة أى ما به حول قال أبو محمد عبد الله هذا هو الاصل ثم استعير لكل سالم ليست به آفة (ويقولون فلان نسيج وحده) وأصله ان الثوب الرفيع النفيس لا ينسج على منوال غيره واذا لم يكن نفيسا عمل على منواله سدا

حتى استعملوه وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه (قلت فى الجواب) ان هذا من الامور المحسوسة التى شاهدها من نفسها لان الالفاظ داخلة فى حيز الاصوات فالذى يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن والذى يكرهه وينفر عنه هو القبيح ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك فى صهيل الفرس والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لاخلاف فى أن لفظة المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر وهى تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظتى المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير ذوق سليم لا جرم أنه ذم وقدح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضا من الجاهلية الاقدمين فان حقيقة الشئ اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على ما خرج عنها واذن ثبت أن الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذى يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يأتلف عن مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بفصاحة لانه ضدها لمكان قبحه وقد مثلت ذلك فى المثال المتقدم بلفظة المزنة والديمة ولفظة البعاق ولو كانت الفصاحة لامر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ فى الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى وليس لقائل ههنا أن يقول لا لفظ الا بمعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى فانى لم أفصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هى له والمعنى يجئ فيه ضمنا وتبعا ﴿الوجه الثانى﴾ ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطرد فى بابه وعلى هذا فان اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة عن المعنى فكانت الفصاحة مختصة به (فان قيل) انك قلت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين أى المفهوم ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى الا باستنباط وتفسير وتلك الآيات فصيحة لا محالة وهذا بخلاف ما ذكرته ﴿قلت﴾ لان الآيات التى تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شئ منها الا ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يقع فى غموض المعنى من جهة التركيب لا من جهة ألفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه وهذا ليس قدحا فى فصاحة تلك الالفاظ لانها اذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها فصيحة أى ظاهرة واضحة وأعجب ما فى ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التى تركبت منها المركبة واضحة كلها واذا نظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط وتفسير وهذا لا يختص به القرآن وحده بل فى الاخبار النبوية والاشعار والخطب والمكاتبات كثير من ذلك (وسأورد ههنا منه شيأ فأقول) قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه لان الصوم والفطر والاضحى مفهوم كله واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل علمنا أن صومنا يوم نصوم وفطرنا يوم نفطر وأضحانا يوم نضحى فالذى أعلمنا به مما لم نعلمه واذا أمعن الناظر نظره فيه علم أن معناه يحتاج الى استنباط والمراد به أنه اذا اجتمع الناس على أن أول شهر رمضان يوم كذا ولم يكن ذلك اليوم أوله فان الصوم صحيح وأوله

عدة أثواب فقيل ذلك لكل كريم من الرجال (ويقولون لئيم راضع) وأصله ان رجلا كان يرضع الغنم والابل ولا يحلبها لئلا يسمع صوت الحلب فقيل ذلك لكل لئيم من الرجال اذا أرادوا توكيد لؤمه والمبالغة فى ذمه (ويقولون هو على يدى عدل) قال ابن الكلبى هو العدل بن جزء بن سعد العشيرة وكان ولى شرط تبع وكان تبع اذا أراد قتل رجل دفعه اليه فقال الناس وضع على يدى عدل ثم قيل ذلك لكل شئ قد يئس منه (ويقولون لمن رفع صوته قد رفع عقيرته) وأصله أن رجلا قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى وصرخ بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته قد رفع عقيرته (ويقولون) للمرأة السيئة الخلق غل قمل وأصله انهم كانوا يغلون الاسير وعليه الشعر فيقمل (ويقولون هو ابن عمى لحا) أى لاصق النسب من قولهم لحجت عينه اذا التصقت (ويقولون فى النكرة هو ابن عم لح) ويقولون (أريته لمحا باصرا) أى نظرا بتحديق شديد ويخرج باصر مخرج لابن وتامر ورامح أى ذو تمر ولبن ورمح وبصر (ويقولون برح الخفاء) أى انكشف الامر وذهب السر وبرح فى معنى زال ويقال صار فى البراح وهو المتسع من الارض (ويقولون لا تبلم عليه) أى لا تقبح وأصله من أبلمت الناقة اذا ورم حياؤها من شدة الضبق (ويقولون الناس أخياف) أى مختلفون مأخوذ من الخيف وهو أن يكون احدى العينين من الفرس سوداء والاخرى زرقاء

هو ذلك اليوم الذي اجتمع الناس عليه وكذا يقال في يوم الفطر ويوم الاضحى ولهذا الخبر المشار اليه أشباه كثيرة تفهم معاني ألفاظها المفردة واذا تركبت تحتاج في فهمها الى استنباط (وأما) ما ورد من ذلك شعرا فكقول أبي تمام

ولهت فأظلم كل شيء دونها * وأضاء منها كل شيء مظلم

فان الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملته يحتاج في فهمه الى استنباط والمراد به أنها ولهت فأظلم ما بيني وبينها الما نالني من الجزع لولهها كما يقول الجازع أظلمت الارض علي أي اني صرت كالاعمى الذي لا يبصر وأما قوله وأضاء منها كل شيء مظلم أي وضح لي منها ما كان مستترا عني من حبها اياي وكذلك ورد قول أبي عبادة البحتري في منهزم

اذا سار سهبا عاد ظهرا عدوه * وكان الصديق بكرة ذلك السهب

فان السير والسهب والظهر والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بمجموعه يحتاج معناه الى استنباط والمراد ان هذا المنهزم يرى ما بين يديه محبوبا اليه وما خلفه مكروها عنده لانه يطلب النجاة فيؤثر البعد مما خلفه والقرب مما أمامه فاذا قطع سهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعدو وقبل أن يقطعه كان له صديقا أي يطلب لقاءه ويحب الدنو منه فانظر أيها المتأمل الى ما ذكرته من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه ﴿وأما البلاغة﴾ فان أصلها في وضع اللغة من الوصول والانتهاء يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليه ومبلغ الشيء منتهاه وسمي الكلام بليغا من ذلك أي أنه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية والبلاغة شاملة للالفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام وهو أنها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما ﴿مسئلة تتعلق بهذا الفصل﴾ هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب أم بالنظر وقضية العقل ﴿الجواب عن ذلك﴾ انا نقول لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء فان العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين اما أنهم ابتدعوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فان كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها من قبيحها فكذلك هو الذي أذهب اليه وان كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فهذا يتسلسل الى أول من ابتدعه ولم يستقره فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفي الفصاحة والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعاني الا أن اللغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها ﴿مسئلة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا﴾ هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا ﴿الجواب عن ذلك﴾ انا نقول الفرق بينهما ظاهر وذلك أن أقسام النحو أخذت من واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك ولما كان العقل يأباه ولا ينكره فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلد في ذلك كما قلد في رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لانه استنبط بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يفتقر فيه الى التوقيف منه بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها

فيها

(ويقولون صدقوهم القتال) وهو مأخوذ من الشيء الصدق وهو الصلب ويقال رمح صدق ورجل صدق النظر وصدق اللقاء (ويقولون طعنه فقطره) أي ألقاه على أحد قطريه والقطران الجانبان (ويقال طعنه فجدله) أي رمى به الى الارض ويقال للارض الجدالة قال ذلك أبو زيد وأنشد

قد أركب الآلة بعد الآلة
وأترك العاجز بالجداله
منعفرا ليست له محاله

(ويقولون نظرة من ذي علق) أي من ذي هوى قد علق بمن يهواه قلبه (ويقولون بكى الصبي حتى فحم) بفتح الحاء أي انقطع صوته من البكاء من قولك فلان مفحم اذا انقطع عن الخصومة وعن قول الشعر (ويقولون عمل به الفاقرة) وهي الداهية يرادانها فاقرة للظهر أي كاسرة افقاره يقال فقرتهم الفاقره ورجل فقر وفقير أي مكسور الفقار ويقال هو من فقرت أنف البعير اذا حززته بحديدة ثم وضعت على موضع الحز الجرير وعليه وتر ملوي لتذله وتروضه (ويقولون هو ابن بجدتها) يقال عنده بجدة ذلك أي علم ذلك وهو عالم ببجدة أمرك أي بدخلته (ويقال غضب واستشاط) أي احتد وهو من شاط يشيط اذا احترق كأنه احترق أي التهب في غضبه قال الاصمعي هو من قولهم ناقة مشياط وهي التي يظهر فيها السمن سريعا (ويقولون سكران ما يبت) أي لا يقطع أمرا من قولك بتت الحبل وطلقها ثلاثا باتة قال الاصمعي

فيها غيرها فان كل عارف بأسرار الكلام من أى لغة كانت من اللغات يعلم ان اخراج المعانى فى ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من اخراجها فى ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدناه ﴿فان قيل﴾ لو أخذت أقسام النحو بالتقليد من واضعها لما أقيمت الادلة عليها وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا (فالجواب) عن ذلك أنا نقول هذه الادلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لاقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل أبداه لهم فاستخرجوا لذلك أدلة وعللا والا فمن أين علم هؤلاء أن الحكمة التى دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هى التى ذكروها

﴿الفصل التاسع فى أركان الكتابة﴾ اعلم أن للكتابة شرائط وأركانا (أما) شرائطها فكثيرة وهذا التأليف موضوع لمجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم وليس يلزم الكاتب أن يأتى بالجميع فى كتاب واحد بل يأتى بكل نوع من أنواعها فى موضعه الذى يليق به كما أريناه فيما يأتى من هذا التأليف (وأما) الاركان التى لا بد من ايداعها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة (الاول) أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلع والمقطع أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادى والافتتاحات فليحذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الثانى) أن يكون الدعاء المودع فى صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذى بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك فى باب يخصه أيضا فليطلب من هناك وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانته وكثيرا ما تجده فى مكاتباتى التى أنشأتها فانى قصدته فيها وتوخيته بخلاف غيرى من الكتاب لانه ربما وجد فى كتابة غيرى قليلا وتجده فى كتابتى كثيرا (الركن الثالث) أن يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى برابطة لتكون رقاب المعانى آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة ولذلك باب مفرد أيضا يسمى باب التخلص والاقتضاب وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الرابع) أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظا غريبة فان ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا يظن السامع أنها غير ما فى أيدى الناس وهى مما فى أيدى الناس وهناك معترك الفصاحة التى تظهر فيه الخواطر براعتها والاقلام شجاعتها كما قال البحترى

باللفظ يقرب فهمه فى بعده * عنا ويبعد نيله فى قربه

وهذا الموضع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وهو شبيه بالشئ الذى يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذى يستعمل وليس بالذى يستعمل أى أن مفردات ألفاظه هى المستعملة المألوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت أيها الكاتب الى هذه الدرجة واستطعمت طعم هذا الكلام المشار اليه علمت حينئذ أنه كالروح الساكنة فى بدنك التى قال الله فيها قل الروح من أمر ربى وليس كل خاطر راقيا الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن أيها الناظر فى كتابى أنى أردت بهذا القول اهمال جانب المعانى بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة فى حسنها الا أن صاحبها بليد أبله والمراد أن تكون هذه الالفاظ المشار اليها جسما لمعنى شريف على أن تحصيل المعانى الشريفة على الوجه الذى أشرت اليه أيسر

ولا يقال بيت قال الفراء هما لغتان بتت عليه القضاء وابتته (وقولهم صدقة بتة بتلة) من بتلت أى قطعت يراد أنها بائنة من صاحبها مقطوعة لا سبيل له عليها ومنه قيل لمريم العذراء البتول أى المقطوعة عن الرجال (ويقولون كما تدين تدان) أى كما تفعل يفعل بك وكما تجازى تجازى وهو من قولهم دنته بما صنع أى جازيته (ويقولون عدا فلان طوره) أى جاوز مقداره وهو من اطوار الدار وهو ما كان ممتدا معها من الفناء ومنه يقال أيضا لا أطور به أى لا أقرب فناءه (ويقولون هو فى أمر لا ينادى وليده) نرى أصله شدة اصابتهم حتى كانت المرأة تنسى وليدها وتذهل عنه فلا تناديه ثم صار مثلا فى كل شدة وقال أبو عبيدة هو أمر عظيم لا ينادى فيه الصغار وانما ينادى فيه الجلة الكبار وقال أبو العميثل الاعرابى الصبيان اذا رأوا شيأ عجبا تحشدوا له مثل القرد والحاوى فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون والمعنى انهم فى أمر عجيب وقال غير هؤلاء يقال هذا فى موضع الكثرة والسعة أى متى أهوى الوليد بيده الى شئ لم يزجر عنه وذلك لكثرة الشئ عندهم ونحو منه (قولهم هم فى خير لا يطير غرابه) يقال يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ما عندهم (ويقولون هو جلف جاف) وأصله من اجلاف الشاة وهى المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن (ويقولون لكل ساقطة لاقطة) أى لكل نادة من الكلام من يحملها ويشيعها (ويقولون جلف

من تحصيل الالفاظ المشار اليها (ويحكى) عن المبرد رحمه الله تعالى أنه قال ليس أحد فى زمانى الا وهو يسألنى عن مشكل من معانى القرآن أو مشكل من معانى الحديث النبوى أو غير ذلك من مشكلات علم العربية فأنا امام الناس فى زمانى هذا واذا عرضت لى حاجة الى بعض اخوانى وأردت أن أكتب اليه شيأ فى أمرها أحجم عن ذلك لانى أرتب المعنى فى نفسى ثم أحاول ان أصوغه بألفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك ولقد صدق فى قوله هذا وأنصف غاية الانصاف ولقد رأيت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع وما منهم الا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين فالعبارة عن المعانى هى التى تخلب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون فى استخراج المعانى فانه لا يمنع الجاهل الذى لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة واستخراج المعانى انما هو بالذكاء لا بتعلم العلم وبلغنى أن قوما ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل فى شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك فى كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب وسمعت شيأ منه فوجدت فيه معانى حسنة مليحة ومعانى غريبة وان لم تكن الالفاظ التى صيغت به صيغة وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الخامس) أن لا يخلو الكاتب من معنى من معانى القرآن الكريم والاخبار النبوية فانهما معدن الفصاحة والبلاغة وايراد ذلك على الوجه الذى أشرت اليه فى الفصل الذى يلى هذا الفصل من حل معانى القرآن الكريم والاخبار النبوية أحسن من ايراده على وجه التضمين وتوخى ذلك فى كل كتاب عسر جدا وأنا انفردت بذلك دون غيرى من الكتاب فانى استعملته فى كل كتاب حتى انه ليأتى فى الكتاب الواحد فى عدة مواضع منه ولقد أنشأت تقليدا لبعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم انى اعتبرت ما ورد فيه من معانى الآيات والاخبار النبوية فكان ما يزيد على الخمسين وهذا لا أتكلفه تكلفا وانما يأتى على حسب ما يقتضيه الموضع الذى يذكر فيه وقد عرفتك أيها الكاتب كيف تستعمل ماتستعمله من ذلك فى الفصل الذى يأتى بعد هذا الفصل فخذه من هناك وهذا الركن يختص بالكاتب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذ الشعر أكثره مدائح وأيضا فانه لا يتمكن من صوغ معانى القرآن والاخبار فى المنظوم كما يتمكن منه فى المنثور ولربما أمكن ذلك فى الشئ اليسير فى بعض الاحيان (واذا) استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة وأتيت بها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتبا

﴿الفصل العاشر فى الطريق الى تعلم الكتابة﴾ هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها وما رأيت أحدا تكلم فيه بشئ ولما حببت الى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها ما بلغنى وجدت الطريق ينقسم فيها الى ثلاث شعب (الاولى) أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم فى استعمال الالفاظ والمعانى ثم يحذو حذوهم وهذه أدنى الطبقات عندى (الثانية) أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة اما فى تحسين ألفاظ أو فى تحسين معان وهذه هى الطبقة الوسطى وهى أعلى من التى قبلها (الثالثة) أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الاخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الاجادة فى المعانى والالفاظ ثم يأخذ فى الاقتباس من هذه الثلاثة أعنى القرآن والاخبار النبوية والاشعار فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدى حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه وأخلق بتلك الطريق

ان

بالغموس) وهى اليمين التى تغمس صاحبها فى الاثم (ويقولون خاس البيع والطعام) وأصله من خاست الجيفة فى أول ما تروح فكأنه كسد حتى فسد (يقولون افعل ذلك على ما خيلت) أى على ما شبهت من قولك هو مخيل للخير أى خليق له (ويقولون تركته يتلدد) أى يتلفت يمينا وشمالا وهو من اللديدين وهما صفحتا العنق (ويقولون لحم سخاخ بالتشديد وأصله من سخ يسخ) أى صب كأنه يصب الودك صبا (ويقولون كبر حتى صار كأنه قفة) وهى الشجرة اليابسة البالية يقال قف شجرنا اذا يبس (ويقولون خبيث داعر) قال ابن الاعرابى الدعارة من العود الدعر وهو الكثير الدخان (ويقولون قال ذلك أيضا وفعله أيضا) وهو مصدر آض الى كذا أى صار اليه كأنه قال فعل ذلك عودا (وقولهم مائة ونيف) مأخوذ من أناف على الشئ اذا أطل عليه وأوفى كأنه لما زاد على المائة أشرف عليها (وقولهم بضع سنين وبضعة عشر) قال أبو عبيدة هو ما دون نصف العقد يراد ما بين الواحد الى أربعة وقال غيره هو ما بين الواحد الى تسعة (وقولهم أسد خادر) أى داخل فى الخدر يعنون بالخدر الاجمة (وقولهم نص الحديث الى فلان) أى رفعه اليه وهو من النص فى السير وهو أرفعه (وقولهم فلان يحابى فلانا) هو يفاعل من حبوته أحبوه اذا أعطيته (وقولهم فلان قدم) أى ثقيل ومنه قيل ضبع مقدم أى خاثر مشبع ثقيل (وقولهم هرم

أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لاحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هى طريق الاجتهاد وصاحبها يعد اماما فى فن الكتابة كما يعد الشافعى وأبو حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهم وغيرهم من الائمة المجتهدين فى علم الفقه الا أنها مستوعرة جدا ولا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخاطرا رقاما وقد سهلت لك صعابها وذللت محاجها وكنت أشح باظهار ذلك لما عاينت من نيله من العناء فانى سلكت اليه كل طريق حتى بلغته آخرا وانما تكون نفاسة الاشياء لعزة حصولها ومشقة وصولها

ليس حلوا وجودك الشئ تبغيـ * ـه طلابا حتى يعز طلابه

ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لى عن أسرارها وأظفرتنى بكنوز جواهرها اذ لم يظفر غيرى بأحجارها فما وجدت أعون الاشياء عليها الا حل آيات القرآن الكريم والاخبار النبوية وحل الابيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها وتقسيمها وتمهيد الطريق الى تعليمها فمن وقف على ما ذكرته علم أنى لم آت شيأ فريا وان الله قد جعل تحت خواطرى من بنات الافكار سريا وهذه الطريق يجهلها كثير من متعاطى هذه الصناعة والذى يعلمها منهم يرضى بالحواشى والاطراف ويقنع من لآلئها بمعرفة ما فى الاصداف ولو استخرج منها ما استخرجت واستنتج ما استنتجت لهام بها فى كل واد وتزود الى سلوك طريقها كل زاد لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا فى كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والاخبار النبوية والشعر بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك بل أريد أنه اذا حفظ القرآن الكريم وأكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عن دفائنه وقلبه ظهرا لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية ألا ترى أن صاحب الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة آيات الاحكام وأخبار الاحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والى معرفة علم العربية والى معرفة الفرائض والحساب من المعلوم والمجهول من أجل مسائل الدور والوصايا وغيرها والى معرفة اجماع الصحابة فهذه أدوات الاجتهاد فاذا عرفها استخرج بفكرته حينئذ ما يؤديه اليه اجتهاده كما فعل أبو حنيفة والشافعى ومالك وغيرهم من ائمة الاجتهاد وكذلك يجرى الحكم فى الكاتب اذا أحب الترقى الى درجة الاجتهاد فى الكتابة فانه يحتاج الى أشياء كثيرة قد ذكرتها فى صدر كتابى هذا الا أن رأسها وعمودها وذروة سنامها ثلاثة أشياء هى حفظ القرآن الكريم والاكثار من حفظ الاخبار النبوية والاشعار * وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فأول ما أبدأ به على عقب ذلك أن أقول حل الابيات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) منها وهو أدناها مرتبة أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهذا عيب فاحش ومثاله كمن أخذ عقدا قد أتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده وكان يقوم عذره فى ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهورا بالسرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شئ وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مستهجنا لا مستحسنا كقوله فى بعض أبيات الحماسة

وألد ذى حنق على كأنما * تغلى عداوة صدره فى مرجل

أرجيته عنى فأبصر قصده * وكويته فوق النواظر من عل

ماج) أى مج ريقه ولا يستطيع ان يحبسه من الكبر (وقولهم أنتم لنا خول) هو جمع خايل وهو الراعى يقال فلان يخول على أهله أى يرعى عليهم هذا قول الفراء وقال غيره هو من خولك الله الشئ أى ملكك اياه (وقولهم ماله دار ولا عقار) العقار النخل ويقال بيت كثير العقار أى كثير المتاع قال الاصمعى عقر الدار أصلها ومنه قيل العقار والعقار المنزل والارض والضياع قال أبو زيد (الاثاث) المال أجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحد أثاثة (وقولهم اسود مثل حلك الغراب) قال الاصمعى هو سواده وقال غيره هو اسود مثل حنك الغراب وقال يعنى منقاره (وقولهم ليت شعرى) هو من شعرت شعرة قال سيبويه أصله فعلة مثل الدربة والفطنة فحذفت الهاء والشاعر مأخوذ منه (وقولهم لا جرم) قال الفراء هى بمنزلة لا بد ولا محالة ثم كثرت فى الكلام حتى صارت كقولك حقا وأصله من جرمت الشئ أى كسبت قال الشاعر

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

أى كسبت لانفسها الغضب قال وليس قول من قال حق لفزارة الغضب بشئ (وقولهم ما رزأته زبالا) الزبال ما تحمله النملة بفيها وما رزأته فتيلا وهو ما يكون فى شق النواة يراد ما رزأته شيأ (وقولهم شور به) اذا أخجله وهو من الشوار والشوار الفرج كان رجلا أبدى عورة رجل فاستحيا من ذلك فقيل ذلك لكل من فعل بأحد فعلا يستحيى منه

(فقال) فى نثر هذين البيتين فكم لقى ألذى حنق كأنه ينظر الى الكواكب من علو وتغلى عداوة صدره فى مرجل فكواه فوق ناظريه وأكبه لفمه ويديه فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير ومن هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيأ لا يمكن تغيير لفظه فحينئذ يعذر ناثره اذا أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر فى أول الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وقد نثرت ذلك فقلت لست ممن تستبيح ابلى بنو اللقيطة ولا الذى اذا همّ بأمر كانت الآمال اليه وسيطة ولكنى أحمى الحمى وأقرب الامل وأقول سبق السيف العذل فذكر بنى اللقيطة ههنا لابد منه على حسب ما ذكره الشاعر وكذلك الامثال السائرة فانه لابد من ذكرها على ما جاءت فى الشعر (وأما القسم الثانى) وهو وسط بين الاول والثالث فى المرتبة وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعبر عن البعض بألفاظ أخر وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرتجلة فانه اذا أخذ لفظا لشاعر مجيد قد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ولا خفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن والطريق المسلوك الى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من الابيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله وسأورد ههنا مثالا واحدا ليكون قدوة للمتعلم (فأقول) قد ورد هذا البيت من شعر أبى تمام فى وصف قصيدة له

وحذاء تملأ كل أذن حكمة * وبلاغة وتدر كل وريد

فقوله تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن ما فى البيت فاذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه لانه فى الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله وهذا عسر جدا وهو عندى أصعب منالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه مسلك مضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو فى غاية الحسن والجودة وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب ما يراه ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وأتيت بها فى جملة كتاب فقلت وكلامى قد عرف بين الناس واشتهر ووافق مسير الشمس والقمر واذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقته اذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ومن خصائص صفاته أن يملأ كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل لسان عجمة واذا جرت نفثاته فى الافهام قالت أهذه بنت فكرة أم بنت كرمة فانظر كيف فعلت فى هذا الموضع فانى لما أخذت تلك الكلمات من البيت الشعرى التزمت بأن أؤاخيها بما هو مثلها أو أحسن منها فجئت بهذا الفصل كما تراه وكذلك ينبغى أن يفعل فيما هذا سبيله (وأما القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه وثم يتبين حذق الصائغ فى صياغته ويعلم مقدار تصرفه فى صناعته فان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية والا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الاول (واعلم) أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لناثره فيورده بضروب من العبارات وذلك عندى شبيه بالمسائل السيالة فى الحساب التى يجاب عنها بعدة من الاجوبة ومن الابيات ما يضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر فى هذه الصناعة أن لا يخرج عن ذلك اللفظ وانما يكون هذا لعدم النظير فأما ما يتسع المجال فى نثره فكقول أبى الطيب المتنبى

لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

ومن ذلك يقال أبدى الله شوارك ثم سمى متاع البيت شوارا منه (وقولهم بنى فلان على أهله) أصله انه كان من يريد الدخول منهم على أهله ضرب عليها قبة فقيل لكل داخل بأهله بان (وقولهم كنا فى املاك فلان) هو من الملك أى املاكه المرأة والاملاك مثل ملكاه (وقولهم بينى وبينه مسافة) أصله من السوف وهو الشم وكان الدليل ربما أخذ التراب فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم جور ثم كثر ذلك حتى سموا البعد مسافة قال رؤبة * اذا الدليل استاف اخلاق الطرق * أى شمها (وقولهم للدية عقل) والاصل ان الابل كانت تجمع وتعقل بفناء ولى المقتول فسميت الدية عقلا وان كانت دراهم أو دنانير (وقولهم للاخيذ اسير) والاصل انهم كانوا اذا أخذوا رجلا شدوه بالقد فلزم هذا الاسم كل مأخوذ شد به أو لم يشد يقال ما أحسن ما أسر قتبه أى ما أحسن ما شده بالقد ومنه قول الله عز وجل وشددنا أسرهم (وقولهم للنساء ظعائن) وأصل الظعائن الهوادج وكن يكن فيها فقيل للمرأة ظعينة قال أبو زيد ولا يقال ظعن ولا حمول الا للابل التى عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن (وقولهم للمزادة راوية) والراوية البعير الذى يستقى عليه الماء فسمى الوعاء راوية باسم البعير الذى يحمله ومثله الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا (وقولهم لغسل الوجه واليد وضوء) وأصله من الوضاءة وهى الحسن

وقد نثرت هـذا المعنى فمن ذلك قولى لا تعزل المحب فيما يهواه حتى تطوى القلب على ما طواه ومن ذلك وجه آخر وهو اذا اختلفت العينان فى النظر فالعذل ضرب من الهذر ومن هذا الباب قول أبى الطيب المتنبى أيضا

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

أخذت هـذا المعنى فنثرته فمن ذلك قولى القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون غير أن ذلك لا يجرد من غمده ولا يقاد صاحبه بعمده فزدت على المعنى الذى تضمنه البيت وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر وهو دمع المحب ودم القتيل متفقان فى التشبيه والتمثيل ولا تجد بينهما بونا الا أنهما يختلفان لونا وهـذا أحسن من الاول وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه فكقول أبى تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر

وقول أبى الطيب المتنبى

وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم

وأمثال هـذا لا تأتى الا قليلا وسببه أن المعنى ينحصر فى مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتى الا فذا كهـذين البيتين ألا ترى أن أبا تمام قصد المؤاخاة فى ذكر لونى الثياب من الاحمر والاخضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذى أراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة فاذا فك نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لا يمكن ذلك وبيت أبى الطيب جار هذا المجرى فانه بناء على واقعة من الوقائع وذلك أن حصنا من حصون سيف الدولة قصده الروم وانتزعوه وأخربوه فنهد سيف الدولة اليه واسترجعه وجدد بناءه وهزم الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم المتنبى فى هذا قصيدا أوله * على قدر أهل العزم تأتى العزائم * فلما انتهى الى ذكر الحصن جاء بهـذا البيت فى جملة أبيات فشرح صورة الحال فى ازعاج الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك فى معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا لا يمكن تبديل لفظه وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة فى فك نظامه لانه يتصدى لنثره بألفاظه فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه يأتى به حسنا رائقا وقد نثرت هذين البيتين أما بيت أبى تمام فانى قلت فى نثره لم تكسه المنايا نسج شعارها حتى كسته الجنة نسج شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره وكأس حمامه بكأس كوثره وهذا من الحسن على غاية يكون كمد حسودها من جملة شهودها وأما بيت أبى الطيب المتنبى فانى قلت فى نثره سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعها العدو اختلاسا وأخذها مخادعة لا افتراسا فما زلها حتى استقادها ولا زلها حتى استعادها وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم وفى هـذا من الحسن ما لا خفاء به فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثره كذا والا فليترك وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وأبرزته فى صورة أخرى وذلك أنى أضفت الى هذا البيت الذى قبله وهو

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطم

ولما نثرت هـذين البيتين قلت فى نثرهما ما أذكره وهو بناها والاسنة فى بنائها متخاصمة وأمواج المنايا فوق أيدى البانين متلاطمة وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرؤس والاجساد ولا شك أن الحرب تغرد عمن عز جانبه وتقول الا هكذا فليكسب المجد كاسبه وهـذا أحسن من الاول

والنظافة كأن الغاسل وجهه وضأه أى حسنه ونظفه (وقولهم للتمسح بالحجارة استنجى) وأصله من النجوة وهى الارتفاع من الارض وكان الرجل اذا أراد قضاء حاجته تستر بنجوة فقالوا ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط ثم اشتقوا منه فقالوا قد استنجى اذا مسح موضع النجو أو غسله (والتغوط) من الغائط وهو البطن الواسع من الارض المطمئن وكان الرجل اذا أراد قضاء حاجته أتى غائطا من الارض فقيل لكل من أحدث قد تغوط (والعذرة) فناء الدار وكانوا يلقون الحدث بأفنية الدور فسمى الحدث عذرة وفى الحديث اليهود أنتن خلق الله عذرة أى فناء (والحش) الكنيف وأصله البستان وكانوا يقضون حوائجهم فى البساتين فسمى الكنيف حشا (والكنيف) أصله الساتر ومنه قيل للترس كنيف أى ساتر وكانوا قبل أن يحدثوا الكنف يقضون حوائجهم فى البراحات والصحارى فلما حفروا فى الارض آبارا تستر الحدث سميت كنفا (والتيمم بالصعيد) أصله التعمد يقال تيممتك وتأممتك وأممتك قال الله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا أى تعمدوا ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب (وقولهم فلان ضخم الدسيعة) وهو من دسع البعير بجرته اذا دفع بها والمعنى انه كثير العطية (وقولهم حامى الحقيقة) أى يحمى ما يحق عليه وحامى الذمار أى اذا ذهب

وأتم معنى * وقد تصرفت فى هذا الموضع بزيادة فى معناه ونثرته على أسلوب أحسن من هذا الاسلوب فقلت بناها ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوفان المنايا الذى لا يقال ساوى منه الى جبل ولم يكن بناؤها الا بعد أن هدمت رؤس عن اعناق وكأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمائم أو شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذى قبله * واذا انتهى بنا الكلام الى ههنا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه وما يعسر فلنتبع ذلك بقول كلى فى هذا الباب فنقول من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدا من القصائد فينثره بيتا بيتا على التوالى ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعانى لقاح فيستنتج منها معانى غير تلك المعانى وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة فاذا كتب كتابا أو خطب خطبة تدفقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لا مغسولة وكان عليها حدة حتى تكاد ترقص رقصا وهذا شئ خبرته بالتجربة ولا ينبئك مثل خبير ﴿فان قيل﴾ الكلام قسمان منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور وهلا كان الامر بالعكس (قلت) فى الجواب ان الاشعار أكثر والمعانى فيها أغزر وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كل جل كلامهم شعر ولا نجد الكلام المنثور فى كلامهم الا يسيرا ولو كثر فانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعانى كما قال الله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر ولهذا صارت المعانى كلها مودعة فى الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة فكان حتى على حفظها واستعمال معانيها فى الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت فى هذا الموضع أبياتا تكون قدوة للمتعلم * فمن ذلك قولى فى فصل من فصول الكلام يتضمن ذكر السيادة وهو الشريف من شرف بنفسه لا بمن دفن مع أبيه فى رمسه فان تلك مكارم أتت فتحمل الزمان عبأتاها ثم ماتت أربابها فدفنت مع موتاها ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الاولى ولقد خلق الابناء من الآباء مجبولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

غير أن الفصل الذى ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت (ومن ذلك) ما كتبته فى فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لاخوته وتنصله اليهم فقلت جرحوا قلبى وحبهم يذهب بألم الجراحة وطرفوا عينى وهم يزيدون فى نظرها ملاحة واذا صدرت الاساءة عن الاحباب لم يكن وقرها وقرا وأصبحت وهى منسية اذا تجددت الاساءة بالذكرى وما منهم الا من سيط دمى بدمه ولحمى بلحمه ولولا أن الاسماء معارف الاشخاص لكان اسمى واردا على اسمه وكيف أخشن عليهم وقد جبلنى الله لهم على اللين أم كيف أذود النفس عنهم وهى مشتقة منهم وآدم بين الماء والطين ومتى أومل من شجرتى أغصانا كهذه الاغصان وقد أصيبت جرثومتها بالجداد ولهذا قيل ان الاخوة يتعذر الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض

عن

وأغضب حمى لحمى (ومن المنسوب عنب ملاحى) بتخفيف اللام مأخوذ من الملحة وهى البياض (عسل ماذى) أى أبيض والدرع ماذية أى بيضاء (زيت ركابى) لانه كان يحمل على الابل من الشام وهى الركاب وواحد الركاب راحلة (القطا كدرى) نسب الى معظم القطا وهى كدر وكذلك (القمرى) منسوب الى طير قمر (والدبسى) منسوب الى طير دبس (مطر الخريف وسمى) لانه يسم الارض بالنبات نسب الى الوسم (الحداد الهالكى) لان أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ولذلك قيل لبنى أسد القيون وذلك لان الحدادين الهالك على الحديد اذا جلاه ومنه سميت الفاجرة هلوكا لتثنيها فى مشيها (الغراب ابن دأية) لانه يقع على دأية البعير الدبر فينقرها والدأية من ظهر البعير الموضع الذى يقع عليه ظلفة الرحل فتعقره

﴿باب أصول أسماء الناس المسمين باسماء النبات﴾

(ثمامة) واحدة الثمام وهو شجر ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشى به خصاص البيوت قال عبيد بن الابرص

عيوا بامرهم كما
عيت بيضتها الحمامه
جعلوا لها عودين من
نشم وآخر من ثمامه

والحمامة ههنا القمرية (سمرة) واحدة السمر وهو شجر أم غيلان (طلحة) واحدة الطلح وهو شجر عظام من العضاه (سيابة) واحدة السياب وهو البلح (عرادة)

عن الاولاد آخر هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومى وهو قوله

تعزيت عمن أثمرتك حياته * ووشك التعزى عن ثمارك أجدر

تغدر أن نعتاض عن أمهاتنا * وأبنائنا والنسل لا يتعذر

غير أن ابن الرومى ذكر ذلك فى تعزية انسان بابنه فتصرفت أنا فى هذا المعنى ونقلته الى هذا الفصل فى تضمنه معاتبة أخ لاخوته (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن ذم المشيب فقلت والعيش كل العيش فى سن الحداثة وما يأتى بعدها فلا يدعى الا بسن الغثاثة وليس بعد الاربعين من مصيف للذة ولا مربع وهى نهاية القوة الصالحة من الطبائع الاربع فاذا تجاوزها المرء أشفت ثمار عمره على خرصها وصارت زيادته كزيادة التصغير التى هى زيادة تدل على نقصها وأصبح بعد ذلك يدعى أبا بعد ان كان يدعى ابنا وتقمص ثوبا من المشيب لا يجر ثوبه خيلاء ولا يزهى به حسنا وان قيل ان أحسن الثياب شعار البياض قيل الا هذا الثوب فانه مستثنى ويكفيه من الفظاعة أن ينظر الاحباب اليه نظر القتال ولولا أن الجود بعده لما استعير له لفظة الاشتعال ومن الناس من يدلس لونه بصبغة الخضاب ويلبس ذلك الاحداد على فقد الشباب وهو فى فعله هذا كاذب ولا يخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب وخداع النفس ان تسلو عن بثره المعطلة وقصره المشيد ويحسن لها الخروج فى ثوب مرقع وهى تراه بعين الثوب الجديد وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومى وهو قوله

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حدادا على شرخ الشبيبة يلبس

غير أن فى هذا الفصل معانى كثيرة لطيفة لا توجد فى كلام آخر (ومن ذلك) قولى فى وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولى فى العطاء وهو شافه تمنى أسباب الغنى برؤيته حتى كادت تنطق واخضرت أكناف منزلى بعطائه حتى كادت تورق ومن فضيلة بره أنه لا يأتى به على أعين الناس واذا غرسه عند انسان ربّ ذلك الغراس فلا يستكثر ما جادت به سحاب يده ولا يمنعه عطاء يومه عن عطاء غده وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبى نواس

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا ابنوا * لم يهدموا لبنائهم أسسا

ومن هذا المعنى أيضا قولى وهو أخذ المكارم من سمائها وأرضها وقام بنفلها فى الناس وفرضها وتحلى ببعض أسماء الشهور حتى أصبح بعضها حاسدا لبعضها فالمحرم للعائذ بحرمه وصفر للطامع فى سعادة قدمه وربيع لرائد نواله ورجب لاقوال عذاله وهذا مأخوذ من قول الفرزدق

يداك يد ربيع الناس فيها * وفى الاخرى الشهور من المحرم

وقد قال الشعراء فى ذلك كثيرا الا أنى أنا تصرفت فى هذا المعنى تصرفا لم يتصرف فيه أحد غيرى (ومن هذا المعنى) ماذكرته فى فصل من كتاب وهو ولقد سوى بين أعدائه فى البغض وبين أمواله فهذه مغنية بوقع نصاله وهذه مغنية بصنائع نواله ولو أحب المال لكان أحب اليه ما يبذله كما أن أحب الناس اليه من يسأله ومن أحسن ما سنه من الكرم أنه جاد حتى بدل رغب العارفين زهدا ورأى الحمد عوضا من الصنيعة فأبى أن يعتاض من صنائعه حمدا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبى نواس وهو

ليت أعدائى كانوا * لابى اسحق مالا

(ومن ذلك) قولى فى وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والانجاد وما يتعلق بذلك ويجرى معه وهذا الفصل يشتمل على معانى مختلفة (فمن ذلك) ماذكرته فى وصف العسكر وهو فسرنا فى غمامة من الكتائب تظلها غمامة من الطيور والاشائب فهذه يضمها بحر من حديد

واحدة العراد وهو شجر (مرارة) واحدة المرار وهو نبت اذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها ومنه قيل بنو آكل المرار (شقرة) واحدة الشقر وهو شقائق النعمان قال الشاعر

* وعلى الخيل دماء كالشقر *

(علقمة) واحدة العلقم وهو الحنظل (حمزة) بقلة حدثنى زيد ابن اخزم قال حدثنا أبو داود عن شعبة عن جابر عن أبى نصر عن أنس ابن مالك أنه قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت أجتنيها وكان يكنى أبا حمزة وقد ذكرت هذا فى كتاب غريب الحديث بأكثر من هذا البيان (قتادة) واحدة القتاد وهو شوك وبه سمى الرجل (سلمة) واحدة السلم وهى شجرة وبها سمى الرجل والسلم من العضاه وسلمة اذا كسرت اللام فهو حجر واحد السلام (ارطاة) واحدة الارطى وهو شجر

المسمون بأسماء الطير

(هوذة) القطاة وبها سمى الرجل (القطامى) بفتح القاف وضمها الصقر وهو مأخوذ من القطم وهو الشهوان للحم وغيره يقال فحل قطم اذا كان يشتهى الضراب (اليعقوب) ذكر الحجل واسم الرجل أعجمى وافق هذا الاسم من العربى الا انه لا ينصرف وما كان على هذا المثال من العربى فانه ينصرف نحو يربوع ويعسوب لانه وان كان مزيدا فى أوله فانه لا يضارع الفعل وهو غير مختلف فى صرفه اذا كان معرفة (الهيثم) فرخ العقاب (سعدانة) الحمامة (عكرمة) الحمامة

وهذه يضمها رمن صعيد وما مرت ببلد الا أزالت أرضه من سمائه وألبست نهاره ثوب ظلمائه وبدات أحراره بعبيده وحرائره بامائه وكذلك فعلت بمدينة فلانة وقد ضرب الامن عليها أسوارا وبعد عهدها بالنوائب فلم تدخل لها ديارا فهى تخبر عن باهنية الخفض ولم ترع عنه بالانتقال ولا رأت السيف وقد ألقى لونه فى ذوائب الاطفال فما شعر أهلها الا وقد رجها الجيش بكاهله ورماها بوابله قبل طله وطل السحاب قبل وابله وبرزت خيل القوم ولها زى فرسانها وهى مستبقة الى طرادها كاستباقها الى ميدانها الامن تتأود القناة من يده بين لهذمين وتستقل السرج منه ومن جواده بين مطهمين فجرت المغاوير الى المغاوير وتلاقت الرياح بالاعاصير وكان الطعن بينهم عناقا والليث وفاقا وسبق ألم الموت ألم الجراح ونفذت غير مختضبة لسرعتها أسنة الرماح وحصل القوم القبضة وذموا عقبى النهضة وجىء بالاسرى مقرنين فى الاصفاد موقنين أن رؤسهم عوارى على تلك الاجساد ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لانكره ولا يود وهو المعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره وتصرفت أيدى المسلمين فى القتل والنهاب وكان للسيف رقاب وللسبى رقاب فى هذا الفصل معان كثيرة مستحسنة ومنها ما أخذ من شعر المتنبى كقوله

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

وكقوله

واستعار الحديد لونا وألقى * لونه فى ذوائب الاطفال

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف المسلوبين فى فصل من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو فسلبوا وعاضتهم الدماء عن اللباس فهم فى صورة عار وزيهم زى كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير أنه لم يجب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقى على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه الاريثما غابت البيض فى الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وهذه معان حسنة رائقة ومنها معنى واحد مأخوذ من شعر البحترى وهو

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

(ومن ذلك) ماذكرته فى صدر كتاب يتضمن فتحا وهو أصدر هذا الكتاب والفتح غض طرى لم تنصل جمرة يومه ولا أغمدت سيوف قومه فسطوره متربة بغبار عجاجه ممائلة بخط ضربه واعجام زجاجه وهذا المعنى ينظر الى قول أبى تمام

كتبت أوجههم مشقا ونمنمة * ضربا وطعنا يقات الهام والصلفا

كتابة ماتنى مقروءة أبدا * وما خططت بها لاما ولا ألفا

الا أن أبا تمام مثل آثار الضرب والطعن فى الوجوه بالكتابة وأنا مثلت الكتابة واعجامه بالضرب والطعن فكأننى عكست المعنى الذى ذكره أبو تمام وهذا مقصد فى حل الابيات الشعرية حسن فان استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراجه من نفسه وقد نبهت على ذلك فى مواضع أخر من هذا الباب (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار وهو وأقبلت احزاب الكفر وهى معتصمة بصليبها ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبها ولم تعلم أن الله كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربيع نحس فى حكم النجامة وكيف ترجو بكفرها ظهورا ولها منه معنى الاختفاء وللاسلام معنى السلامة ولما التقى الجمعان اصطفقت يمين وشمال وزحفت جبال الى جبال وكثرت النفوس على المنايا

حتى

﴿المسمون باسماء السباع﴾

(عنبس) الاسد وهو فنعل من العبوس وبه سمى الرجل (أوس) الذئب وبه سمى الرجل ويقال بل بالعطية سمى يقال أست الرجل أأوسه أسا اذا أعطيته قال الشاعر

فلاحشأنك مشقصا
أوسا أويس من الهباله

(حيدرة) الاسد وبه سمى الرجل ومنه قول على عليه السلام

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره *

(فرافصة) بضم الفاء الاسد سمى بذلك لشدته (ذؤالة) الذئب وبه سمى الرجل (أثامة) الاسد وبه سمى الرجل (ثعلبة) انثى الثعالب (هيصم) الاسد (هرثمة) الاسد (الهرماس) الاسد (الضيغم) الاسد أخذ من الضغم وهو العض (الدلهمس) الاسد (الضرغامة) الاسد (نهشل) الذئب من النهش (كلثوم) الفيل

﴿المسمون باسماء الهوام﴾

(الحنش) الحية وبه سمى الرجل حنشا والحنش أيضا كل شئ يصاد من الطير والهوام يقال حنشت الطير اذا صدته (شبث) دابة تكون فى الرمل وجمعها شبثان سميت بذلك لتشبثها بما دبت عليه قال الشاعر

* مدراج شبثان لهن هميم *

(جندب) الجرادة وبه سمى الرجل (الذر) جمع ذرة وهى أصغر النمل قال الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أى وزن ذرة وبه سمى الرجل ذرا وكنى أبا ذر (العلس) القراد وبه سمى المسيب ابن علس الشاعر (المازن) بيض النمل ومنه بنو مازن (الاراقم)

حتى كادت لا تفى بالآجال وأقدمت الخيل اقدام فرسانها وأظلم النقع فلا تبصر الابآ ذانها ونالت النحور ثارها من كعوب الرماح واشتكت الاسنة فلا طريق بينها لمهب الرياح واستؤصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد وحال حد السيف دون حديد الاصفاد ونقلوا الى جهنم يصلونها وبئس المهاد وانقلب المسلمون وقد ملؤا الاغماد نصرا والصحائف أجرا والايدى وقرا والقلوب جذلا والالسنة شكرا وكان ذلك اليوم فى الايام علما وفى الاقسام قسما ولم يره الزمان منسوبا اليه الا راجع شبابا بعد أن ناهز هرما فى هذا الفصل شئ من معانى الشعر وذلك من قول أبى الطيب المتنبى

اتاهم بأوسع من أرضهم * طوال السبيب قصار العسب
تغيب الشواهق فى جيشه * وتبدوا صغارا اذا لم تغب
ولا تعبر الريح فى جوه * اذا لم تخط القنا أوتثب

(ومن قوله أيضا)

فى جحفل ستر العيون غباره * فكأنما يبصرن بالآذان

(ومن ذلك) ماذكرته فى الانجاد واجابة الصريخ وهو اذا استصرخ أصرخ بعزم غذته صحبة الجيش عن لذة العيش فهو يستعذب حر الثغور على برد الثغور ويلهو بالبيض الذكور عن بيض الخدور ولا طيب عنده الاريج العجاج ولا عناق الا أطراف الزجاج ولا أرب له فى الرقاد الا على صهوات الجياد فعسكر قلبه أمضى فى الوغى من عسكر ونجدة بأسه تأبى لقاء الاقران فى درع أومغفر وهذه المعانى مأخوذة من أبيات الحماسة ومن شعر مسلم بن الوليد (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف المخبر دون المنظر وهو اذا سموت لامر فكن واحدا فى مكانك ولا ترض بكثرة الشركاء فيقال فلان من أقرانك ألم تر الى الحرباء الذى هو دويبة حقيرة الشان ضعيفة الاركان فانه ارتفع فى هواء عن الارض وأنسها الى السماء وشمسها وقال لا أحب من تفسد الايام من حسنه ولا من أحد بسمة حلمه ولا خدنه والهمم ليست منوطة بجهارة المناظر والتعويل على الخبر المستتر فى الافئدة الباطنة لا على الظواهر ومن ههنا قيل ان وضاءة النفوس أنضر من وضاءة الاجساد ورقم الشيم أحسن من رقم الابراد وآخر هذا الفصل ينظر الى قول سحيم عبد بنى الحسحاس

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أوأسود اللون انى أبيض الخلق

الا أن الفصل يتضمن معنى غريبا لم يسبقنى اليه أحد (ومن ذلك) ماذكرته فى الحسد فى فصل من كتاب وهو حاسد سيدنا ينظر الى زهرة دنياه ولا ينظر الى استحقاقه وهو كالناظر الى الاطواق الموضوعة فى الجيد ولا يدرى أن الجيد أحسن من أطواقه ولو قاس الدنيا بالاستحقاق لذهب الحسد من صدره وقال مالى أحسد من لم ينته قدر دنياه الى معشار قدره (ومن ذلك) ماذكرته فى صدر كتاب يتضمن الاعذار عن تواتر المكاتبات وهو اذا اعتذر من انقطاع الكتب اعتذر الخادم من اتصالها ولو كانت واردة على غير ذلك الباب الكريم لخاف من املالها وقد عد احتمال تثقيلها من جملة الايادى التى أثقلته وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهلته وهو الآن مرتهن بين قديم وجديد وأصبح كخراش اذ تكاثرت عليه الظباء فلم يدر لكثرتها ما يصيد فان أمسك سيدنا من أياديه والا فليتفضل على الشكر بالانظار وليعلم أن ذمة وفائه كذمة ديوان المال فى الاعسار هذا فصل فى هذا المعنى قلما يؤتى بمثله وفيه معنى واحد من قول الشاعر

بنو جشم وناس من تغلب اجتمعوا فقال قائل كأن اعينهم أعين الاراقم والاراقم الحيات واحدها أرقم (الفرعة) القملة وتصغيرها فريعة ومنه سمى حسان ابن الفريعة

﴿المسمون بالصفات وغيرها﴾

(النجاشى) هو الناجش والنجش استثارة الشئ ومنه قيل للرجل الزائد فى ثمن السلعة ناجش ونجاش ومنه قيل للصياد ناجش وقال محمد بن اسحق النجاشى اسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولك هرقل وقيصر ولست أدرى أبالعربية هو أم وفاق وقع بين العربية وغيرها (علاثة) مأخوذ من علث الطعام يعلثه ويعلثه اذا خلط به شعيرا أوغيره (مرثد) مأخوذ من رثدت المتاع اذا نضدت بعضه على بعض (الشوذب) الطويل (حوشب) العظيم البطن (حلبس) الشجاع ويقال هو اللازم للشئ لا يفارقه (الصممة) الشجاع وجمعه صمم (عكابة) من العكوب وهو الغبار (ذفافة) من قولك خفيف ذفيف والذفيف السريع ومنه يقال ذففت على الجريح اذا أسرعت قتله (نصاح) الخيط لانه ينصح به الثوب أى يخاط به (ناشرة) واحدة النواشر وهى العصب فى باطن الذراع (ابن القرية) والقرية الحوصلة قال أبو زيد وهى الجرية أيضا (سلم) الدلو لها عروة واحدة (الحوفزان) بالزاى المعجمة فوعلان من حفزه يقال انما سمى بذلك لان بسطام ابن قيس حفزه بالرمح حين خاف

تكاثرت الظباء على خراش * فما يدري خراش ما يصيد

(ومن ذلك) ما ذكرته في استصلاح مودة ثقات كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها ما أجتنيه فصرت أخاف ما لم أجنه وكان لا يقبل على شهادة عينه فأصبح الآن يقبل على شهادة أذنه لكن لم يجعل الله القلوب بين أصبعين من أصابعه الا ليذهب بها كل واد ومن ههنا كانت تنتقل من وداد الى قلى ومن قلى الى وداد ولا شك أن لها بين الحالتين عمرا تنتهي اليه كما تنتهي أعمار الاجساد والصبر خير ما استعمل في جفاء الاخوان والماء اذا جرى في مكان ثم انحرف عنه فلا بد أن يعود الى ذلك المكان وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي

عهدتك لا تعتد بالعين شاهدا * علي فلم أصبحت تعتد بالاذن

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الملوك على يد بعض العفاة وهو الشيم الكريمة للانسان بمنزلة المسك في سرر الغزلان غير أن طيب هذه يعبق بالانوف وطيب هذه يعبق بالآذان وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين فرقا فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب والآخر يذهب ولا يبقى ونصيب مولانا من الطيب الباقي نصيب زكت معادنه وكثرت خزائنه وسارت في الارض محاسنه ورفعه الله به الى محل يبعد شأوه على الطالب ولا يرى الا في لسان شاعر أو لسان خاطب وهو مما استثنى من خلق الناس الذي هو من طين لازب ومن أجل ذلك يرون أشباها ما عداه وما منهم الا من يقر بفضله ولو كان من حساده أو عداه وقد أصبحوا وهم يقلون لديه حين يكثرون ويقول كل منهم لصاحبه أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون هذا الفصل وان تضمن شيأ من القرآن الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو قول المتنبي

الناس ما لم يروك أشباه * والدهر لفظ وأنت معناه

(ومن ذلك) ما ذكر في وصف الخمر وهو الخمر لا تفي لذة اسكارها بتنغيص خمارها فهي خرقاء البيان بذية اللسان وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والاديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من الرؤس بجناية اقدامها وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف لانه قال

ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * وهنا تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا فتحكمت * فيهم فنادت فيهم بالثار

وكذلك قلت في وصفها أيضا وهو مدامة تنفي خواطر الهموم وتسري مسرى الارواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم مستمد من ماء الكروم ويمثل حبابها نجوما الا أنها مضلة والهداية للنجوم وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس

اذا هي حلت في اللهاة من الفتى * دعى همه من صدره برحيل

وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سمج لكن الذي ذكرته بعد هذا المعنى من محاسن المعاني في وصفها وكذلك ما ذكرته في وصفها وهو الخمر كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها ولهذا تشمئز من نكاح المزاج وتصخب لمس الماء صخب الابكار لمس الازواج ومن شأنها أن تلبس عند الزفاف اكليلا على راسها وكذلك شأن العرائس عند زفافها الى أعراسها وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري وانما وصفت بأنها بكر كقول أبي نواس

فقلت لشيخ منهم متنكم * له دين قسيس وفي نطقه كفر
أعندك بكر مرة الطعم قرقف * صنيعة دهقان تراخى له العمر

فقال

أن يفوته فسمي بتلك الحفزة الحوفزان قال الشاعر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا

(وكيع) من استوكع الشيء اذا اشتد يقال دابة وكيع وسقاء وكيع واستوكعت معدته اذا قويت (نائل) من قولك استنتلت أي تقدمت (النضر) الذهب (مجرد) الخفيف السريع وقيل هو مأخوذ من المجرد وهو العريان ومنه جواد مجرد (الحنبل) القصير ويقال للفرو أيضا حنبل (قتيبة) تصغير قتب وجمعه اقتاب وهي الامعاء قال الاصمعي والكسائي واحدتها اقتبة (عامر بن فهيرة) تصغير فهر والفهر مؤنثة يقال هذه فهر (عامر بن ضبارة) بالفتح من قولهم فلان ذو ضبارة اذا كان موثق الخلق ومنه ضبر الفرس اذا جمع قوائمه ووثب ومنه قيل للجماعة يغزون ضبر ومنه اضبارة الكتب وضبرت الكتب وقرأت بخط الاصمعي عن عيسى بن عمر انه قال (شرحبيل) أعجمي وكذلك شراحيل وأحسبهما منسوبين الى ايل مثل جبرائيل وميكائيل وأيل هو الله عز وجل (زهير) هو ازهر مصغر مرخم مثل سويد من أسود والازهر الابيض (الزبرقان) القمر ويقال انما سمي الزبرقان بن بدر بالزبرقان لصفرة عمامته يقال زبرقت الشيء اذا صفرته واسمه حصين (الحارث) هو الكاسب للمال والجامع له ومنه قول عبد الله بن عمرو أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

فقال عروس كان كسرى ربيها * معتقة من دونها الباب والستر

ووصفت بالنكاح والزواج كقوله أيضا

وقهوة كالعقيق صافية * يطير من كأسها الشرر

زوجتها الماء كى تذل له * فامتعضت حين مسها الذكر

(ومن ذلك) ماذكرته فى الحزم وهو لا ينبغى للحازم أن يساور المورد المؤذن بضيقه وان أفضى الصدر الى رحيبه فان توقى الداء خير من التعرض له مع وجود طبيبه واندع قول من يقعد على تل السلامة ثم يلبس الكتائب بالكتائب ويقول ليس للعزم الا تمام الصدور وليس له تمام العواقب بعض هذا مأخوذ من شعر أبى تمام

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الرأى والكيد وهو أخفى على العدو كيده حتى لم يدع كائدا وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائدا فسيوفه تسطو على بعدها ولا تقطع الا وهى فى غمدها وبعض هذا المعنى أخذته من شعر أبى تمام وهو

سكن الكيد فيهم ان من أعـ * ـظم كيد أن لا يسمى أريبا

(وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو أخذ بسمع العدو وبصره وسد مطلع ورده وصدره فيداه مغلولة مع أنها مطلقة السراح ومقاتله بادية على أنها شاكية السلاح وهذا المعنى ينظر الى المعنى الذى قبله وكذلك قولى أيضا وهو يبيت برأيه العدو قبل جيشه ويتقاه بطيش قلمه الذى كل الحلم فى طيشه فاذا أظلمت وجوه الآراء كان رأيه لها مصباحا واذا جهزت الجحافل لحرب كان قلمه لها سلاحا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر البحترى

وهو المرء ما غزا بلدا بالرأى الا كفاه غزو الجنود

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف السير والركاب والخيل والقفار وما يتعلق بها (فمنه) ما يتعلق بالسير وهو ركب ظهر الليل يبارى مسيره بسير أشهبه ويستقرب بعد المدى فى نيل مطلبه غير أن تلك تفرى أديم الغياهب وهذا يفرى أديم السباسب وهذا مأخوذ من قول المتنبى يبارى نجوم القذف فى كل ليلة * نجوم له منهن وردو أدهم

(ومن هذا المعنى) أيضا قولى وهو اتخذ الليل ظهرا واستلان خشونة المسرى فلم يزل يقذف صبغة سواده بصبغة جواده حتى بدت فى أديم الليل شيات صباحه وشابه الادهم فى غرته وأوضاحه فعند ذلك أخذ أحدهما فى رحيله وأخذ الآخر فى نزوله وهذا المعنى ينظر الى الذى قبله وفيه من شرف الصنعة ما لا خفاء به (ومن ذلك) ماذكرته أيضا فى فصل من كتاب وهو سرت وتحتى بنت قفرة لا يذهب المسرى بجماحها ولا تستزيد الحادى من مراحها فهى طموح بأثناء الزمام واذا سارت بين الآكام قيل هذه واحدة من الآكام ولم تسم جسرة الا لانها تقطع عرض الفلاة كما يقطع الجسر عرض الماء ولا سميت حرفا الا لانها جاءت لمعنى فى العزائم لا لمعنى فى الافعال والاسماء وخلفها جنيب من الخيل يقبل بجذع ويدبر بصخره وينظر من عين بحظة ويسمع بأذن حشره ويجرى مع الريح الزعزع فيـذرها وقد ظهر فيها أثر الفتره وما قيد خلفها الا وهو يهتدى بها فى المسالك المضلة ويطأ على أثرها فيرقم وجوه البدور بأشكال الاهلة هذا والليل قد ألقى جرانه فلم يبرح والكواكب قد ركدت فيه فلم تسبح وأنا أود لو زاد طوله ولم تظهر غرة أدهمه ولا تحجوله فقد قيل انه أدنى للبعد وأكتم للاسرار

(كهمس) القصير (حفص) ذيل من جلود (كلدة) قطعة من الارض غليظة ومنه الحرث ابن كلدة (النكث) أحد انكاث الاخبية والاكسية وهو ما نقض منها ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد ومنه بشير بن النكث (الفزر) القطيع من الغنم (جواب) من قولك جبت الشئ أى خرقته قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (حراش) جمع حرش وهو الاثر ومنه ربعى بن حراش (الدرواس) الغليظ العنق من الناس والكلاب وغيرهم (زفر) وقثم بمعنى زافر وقاثم والزفر الحمل والزفر الحمل على الظهر ومنه قيل للاماء اللواتى يحملن القرب زوافر ويقال قثمت له أى أعطيته (وعمر) معدول عن عامر وعمر واحد عمور الانسان وهو ما بينها من اللحم وعمر الانسان وعمره واحد يقال أطال الله عمرك وعمرك ومنه يقال لعمرك انما هو الحلف ببقاء الرجل ولعمر الله قسم ببقائه عز وجل ودوامه (السام) عروق الذهب واحدها سامة وبها سمى سامة بن لؤى (الفرزدق) قطع العجين واحدها فرزدقة وهو لقب له لانه كان جهم الوجه (الجرير) حبل يكون فى عنق الدابة أو الناقة من ادم وبه سمى الرجل جريرا (الاخطل) من الخطل وهو استرخاء الاذن ومنه قيل لكلاب الصيد خطل (دعبل) الناقة الشارف (ذو الرمة) والرمة الحبل البالى (ابن حلزة) والحلزة القصير (ابن الاطنابة) والاطنابة المظلة وهى أيضا السير

ودل عليه القول النبوى "بأن الارض تطوى فيه مالا تطوى فى النهار" ومازلت أسير بريدها تنوء به حتى كاد ينضولون السواد وظهر لون السرحان فأغار على سرح السماء كما يغير السرحان على سرح النقاد فعند ذلك نهلت العين من الكرى نهلة الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة وانما كان على الظهر السائر فى هذا الفصل كل مليحة من المعانى ولو لم يكن فى هذا الكتاب سواه لكان كافيا وبعضه مأخوذ من الشعر كقول أبى تمام

طموح بأثناء الزمام كأنما * يخال بها من عدوها طيف جنة

وكقوله

بالشدقيات العتاق كأنما * أشباحها بين الاكام اكام

(ومن ذلك) ماذكرته فى النسب فى فصل من كتاب وهو لهم نسب لا تدخله لام التعريف وهو موضوع لا يجرى على سنن التوقيف فاذا ذكر أوله وقفت من عرفانه على طلل ووجدته مهملا فى جملة الهمل وان قيل انه من نجوم السماء قلت لكنه لا يخرج عن الثور أو الحمل فما أرهف لوصفه لسان الانبا ولا اقتدح له زناد خاطر الا كبا وهم منه كآوى الذى يرى الناس له ابناء ولا يرون لابنه أبا وهذا من أغرب ما يؤتى به فى ذم النسب وهو من باب توليد المعانى الذى يسمى الكيمياء وبعضه مستولد من قول أبى نواس فى هجاء الخصيب

وما خبزه الا كآوى يرى ابنه * ولم ير آوى فى حزون ولا سهل

فأبو نواس ذم خبز الخصيب فى عدم رؤيته وأنا نقلت ذلك الى النسب فجاء ألطف وأحسن وأليق وأدخل فى باب الصنعة واذا حقق النظر فيما ذكره أبو نواس فى هذا المعنى لم يوجد مناسبا فان الخبز فى عدم رؤيته لا يحمل على ابن آوى وانما المناسبة تقع فى النسب من أجل ذكر الابن والاب (ومن ذلك) ماذكرته فى ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت تركت قوما لم ينقعوا صدى ولم يجروا الى مدى فأعراضهم نكرة العارف وأموالهم حنظلة النافف لا تمطر سحبهم على كثرة مائها ولا تركوا الزريعة بأرضهم على غنائها وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الشريف الرضى

تركت أناسا لم يهشوا لمنة * ولم ينقعوا غل الظماء الخوامس

على القرب فيهم اننى غير طامع * ومنك على بعد المدى غير آيس

ومن هذا الباب أيضا قولى وهو تركت قوما يسلون الحبيب ويعلون القريب ولا يرمون من يرعاهم ولا يدرّ اللبن على مرعاهم فنوالهم تحايا وأعراضهم ضحايا ومن أحسن صفاتهم أنهم يعاقبون على الظنة ولا يرتاحون لمنة فالذرائع لديهم مدفونة والصنائع غير مسنونة وبعض هذه المعانى مأخوذ من شعر أبى الطيب المتنبى

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدرّ على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن

(ومن ذلك) ماذكرته على الحث على الاغتراب وهو لولا التغرب لما ارتقت بنات الاصداف الى شرف الاعناق ولا ارتقى تراب الاحجار الى نور الاحداق (وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو فى الانتقال تنويه لخامل الاقدار ولولا ذلك لم يكس الهلال حلة الابدار والمندل الرطب حطب فى أوطانه والمسك دم فى سرر غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الاصابة ولا فراق الوشيج منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذوابة وهذا الفصل فصل من القول فى معناه ومما لم ينبش للخواطر ابتناء مبناه فمنه ما هو مأخوذ من الشعر ومنه ما سمح به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الايام وهو أيام تعد

باعوام

الذى على رأس وتر القوس (الطرماح) الطويل يقال طرمح البناء اذا أطاله (المصعب) الفحل من الابل وبه سمى الرجل مصعبا (مهلهل) من هلهلت الشئ اذا رققته ويقال انما سمى مهلهلا لانه أول من أرق الشعر يقال ثوب هلهال اذا كان رقيقا سخيفا أو خلقا باليا (قريش) من التقرش وهو التكسب من التجارة يقال قرش يقرش ويقرش اذا كسب وجمع (دارم) من الدرمان وهو تقارب الخطو وروى ان دارم ابن مالك كان يسمى بحرا فأتى أباه قوم فى حمالة فقال له يا بحر ائتنى بخريطة وكان فيها مال فجاء يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلها فقال قد جاءكم يدرم فسمى دارما بذلك (ازدشنوءة) من قولك رجل فيه شنوءة أى تقزز ويقال بل سموا بذلك لانهم تشانئوا وتباعدوا (النوفل) العطية وهو من تنفلت اذا بدأت العطية من غير أن تجب عليك ومنه قيل لصلاة التطوع نافلة وبها سمى الرجل نوفلا (مضر) سمى بذلك لبياضه ومنه قيل مضيرة الطبيخ ويقال بل المضيرة من اللبن الماضر وهو الحامض لانها تطبخ به (ربيعة) اسم بيضة السلاح وبه سمى الرجل (فارعة) من أسماء النساء مأخوذ من قولك فرعت القوم اذا طلتهم (عاتكة) القوس اذا قدمت واحمرت (ريطة) الملاءة وبها سميت المرأة ريطة (الرباب) سحاب وبه سميت المرأة (روبة اللبن) خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب وروبة

بأعوام لقصر أعمارها وشهور لا يشعر بانصافها ولا سرارها فالاوقات بها أصائل والمحاسن فيها شمائل والمآرب فى ساعاتها رياض فى خمائل فما أدرى أهى خيالات أحلام غرت أم أحاديث أمان مرت وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة

شهور ينقضين وماشعرنا * بانصاف لهن ولا سرار

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عد سقطات قرينه وجازاه بغثه وسمينه بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه واستقام له على عوجه فذلك الذى ان رأى سيئة وطئها بالقدم وان رأى حسنة رفعها على علم وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * عنى وما سمعوا من صالح دفنوا الا أن الذى ذكرته ضد هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو أحسن مما يستخرج من نفسه (ومن هذا) قولى أيضا وهو ليس الصديق من صرى اخلاف وده وغش فى صفقة عهده بل الصديق من لا ترد ساعة وده باقالة ولا عيب ولا تخص محافظة اخائه بشهادة دون غيب فذلك أخى من غير نسب وكنزى من غير نشب وهذا مأخوذ من الفقه فى تصرية ضرع الشاة عند البيع وذلك يوجب الرد ﴿ومما﴾ ينتظم بهذا السلك قولى وهو الانتقال عن خلة الوداد كالانتقال عن نسب الميلاد وكما يحرم هذا فى نص الحكم المشروع فكذا يحرم هذا فى خلق الكرم المطبوع على أن نسب الخلة الذى ينميه القلب الى القلب أوصل من نسب الرحم الذى ينميه الابن الى الاب ولهذا كانت مودة سلمان قربى ونسب أبى لهب سباوتبا وبعض هذا مأخوذ من شعر أبى نواس وهو

كانت مودة سلمان له نسبا * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف الديار وهو دار كانت مقاصر جنة فأصبحت وهى ملاعب جنة ولقد عميت أخبار قطانها وأنشاز أوطانها حتى شابهت احداهما فى الخفاء الاخرى فى العفاء وكنت أظن أنها لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فجرت بها سوافح دموعه والليل شق عليهم ثوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه وهذه معان لطيفة جدا وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضى رحمه الله تعالى

أمرابع الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مراتع الغزلان

﴿ومما﴾ يلتئم بهذا المعنى قولى أيضا وهو دار أصبحت مراتع أذواد بعد أن كانت مناجع رواد فلو تصورت الآمال التى مثلت بفنائها كما تصورت الآثار المماثلة من بنائها لرأيت رسومها مع رسوم القباب وعلمت كم غار بها من بحر ونضب من سحاب وهذا معنى حسن له من نفسه مثن وحامد ومن سامعه عين وشاهد وهو من معانى المستخرجة ﴿ومن ذلك﴾ قولى أيضا وهو النقص موكل بكمال النعماء ولذلك كان الوخم مقترنا بالمرعى والماء وقلما ترى ثمرة الا ومعها زنبور ولا لذة الا والى جانبها شئ محذور ﴿وكذلك﴾ قولى أيضا وهو لا يظفر الرجل بطالبه شفعا ولا تؤتيه من كل جهة نفعا بل يرى مرعى بلا ماء وماء بلا مرعى ولذلك كانت النحلة مع الشهدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعانى مأخوذ من قول أبى تمام أرض بها عشب زاك وليس بها * ماء وأخرى بها ماء ولا عشب الا أن فى الكلام المنثور زيادة على ما تضمنه الشعر وكأنه ينظر اليه نظرا بعيدا ومن سبيل المتصدى لهذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكسير فى صناعة الكيمياء ثم يخرج

قوله فى آخر الصحيفة قبل هذه أيام تعد الخ هكذا فى النسخة المطبوعة بالمطبعة الكبرى والصواب أعوام تعد بأيام الخ والمراد من قوله فى وصف الايام الازمان أياما كانت أو أعواما اه مصححه محمد زكى الدين

الليل ساعة منه يقال أهرق عنا من روبة الليل ومنه قول الشاعر

فأما تميم تميم بن مر * فألفاهم القوم روبى نياما

ألفاهم وجدهم ويقال روبى خثراء الانفس مختلطون ويقال شربوا من الرائب فسكروا وناموا ويقال فلان لا يقوم بروبة أهله أى بما أسندوا اليه من حوائجهم غير مهموز وروْبة بالهمزة قطعة يرأب بها الشئ أى يسد بها وانما سمى رؤبة بواحدة من هذه وروى نقلة الاخبار أن طيأ أول من طوى المناهل فسميت بذلك واسمه جلهمة وان مرادا أول من تمرد فسمى بذلك واسمها يحابر ولست أدرى كيف هذان الحرفان ولا أنا من هذا التأويل على يقين

﴿باب آخر من صفات الناس﴾

رجل معربد فى سكره وهو مأخوذ من العربد والعربد حية تنفخ ولا تؤذى (رجل وغد) وهو الدنى من الرجال وهو من قولك وغدت القوم أغدهم اذا خدمتهم (أمة لخناء) من اللخن وهو النتن يقال لخن السقاء اذا تغيرت رائحته (أمة وكعاء) من الوكع فى الرجل وهو ان تميل ابهام الرجل على الاصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجا (رجل متيم) تيمه الحب أى عبده واستعبده ومنه تيم اللات كأنه عبد اللات (رجل جميل) قالوا أصله من الودك يقال اجتمل الرجل اذا أذاب الشحم وأكله والجميل الودك بعينه ووصف الرجل به يراد أن ماء السمن

منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت في هذا الموضع فاني أخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه ماليس منه وهذا أعلى الدرجات في نثر المعاني الشعرية وقد بسطت القول في هذا الموضع وكشفت عن دفائنه في الكتاب الذي وسمته بالوشي المرقوم في حل المنظوم وهو كتاب مفرد لهذا الفن خاصة ومن هذا الضرب الذي هو الكيمياء في توليد المعاني ماذكرته في وصف الربيع فقلت فصل الربيع هو أحد ميزاني عامه والمستقيد اسامه من حامه وقد وصف بأنه ميعاد نطق الاطيار وميلاد أجنة الازهار والذي تستوفي به حولها سلافة العقار فاذا سلت السحب فيه سيوفها كان ذلك للرضا لا للغضب واذا خلعت على الارض غلائلها الدكناء لبست منها ديباجة منسوجة بالذهب وهذا المعنى مستولد من قول أبي تمام في وصف السحاب

سلبته الجنوب والدين والدنـ * ـيا وصافي الحياة في سلبه

الا أن في الذي ذكرته معنيين غريبين اذا أمعن الناظر نظره فهمهما ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في لين القول واعادته ومايجري مجراه كقولي في فصل من كتاب وهو لم أعد عليه القول لانه لايبلغ مدى ميدانه الا بتحريك سوطه وعنانه بل أخذ بأدب الله في أذكار القرآن واتباعا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في تثويب الاذان وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

لو رأينا التأكيد خطة عجز * ماشفعنا الاذان بالتثويب

﴿وكذلك﴾ قولي أيضا وهو وقد علم أن لين القول أنجع قبولا وهو من أدب كليم الله اذ بعثه الى فرعون رسولا ألا ترى أن الحداء يبلغ من المطايا بلطفه مالا يبلغه السوط على عنفه وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي تمام

وخذهم بالرقى ان المهارى * يهيجها على السير الحداء

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في ذم الدنيا وهو أنكاد الدنيا مشوبة بالاشياء التي جبلت النفوس على حبها وكل ماتستلذه الابدان من مآكلها فانه يضرها من جهة طبها ولهذا يذم من منفعة الهليلج ومضرة اللوزينج وأعجب من ذلك أنه لاينتفع الانسان بشيء من لذاتها الاضره من جهة ثوابه وهو كالذي ينتفع باصطلاء النار وهي محرقة لاثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الامثال وقيل ان كل ماينفع الكبد مضر بالطحال وهذا مأخوذ من الامثال العربية والمولدة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في الزهد وهو الناس في الدنيا أبناء الساعة الراهنة وكأن النفوس ليست فيها بقاطنة فكذلك الاحوال ليست بقاطنة ولهذا كانت المآتم بها كالاعراس يتفرق ندي جمعها فهذه تنسى مامضى من لذة سرورها وهذه تنسى مامضى من ألم فجعها ولا شبيه لها على ذلك الا الاحلام التي يتلاشى خيالها عاجلا وتجعل اليقظة حقها باطلا ومما ينبغي حينئذ أن لايفرح بها مقبلة ولايوسى عليها مدبرة وكل ماتراه العين منها ثم يذهب فكأنها لم تره وغاية مطلوب الانسان منها أن يمد له في مدة عمره ويعلى له في امتداد كثره أما تعميره فيعترضه المشيب الذي هو عدم في وجود وهو أخو الموت في كل شيء الا في سكنى اللحود فالجوارح التي يدرك بها الشهوات ترى وكل منها قد تحول وأصبح كالطلل الدارس الذي ليس عنده من معول فلا ليلى بليلى ولا النوار بالنوار ولا الاسماع أسماع ولا الابصار أبصار وأما ماله فان أمسكه فهو عرضة لوارث يأكله أو لحادث يستأصله وان أنفقه كان عليه في الحلال حسابا وفي الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقباها الخاسرة وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس

واذا

يجري في وجهه (والمصلوب) أيضا من الصليب وهو الودك يقال اصطلب الرجل اذا جمع العظام فطبخها ليخرج ودكها فيأتدم به ومنه قول الكميت ابن زيد

واحتل برك الشتاء منزله
وبات شيخ العيال يصطلب

وقال الهذلي

جريمة ناهض في رأس نيق
ترى لعظام ماجمعت صليبا

أي ودكا (المخنث) مأخوذ من الانخناث وهو التكسر والتثني ومنه سميت المرأة خنثاء ومنه الخنثى (امرأة مقلات) اذا لم يعش لها ولد مفعال من القلت وهو الهلاك مثل مهلاك وحكي عن بعض العرب انه قال ان المسافر ومتاعه لعلى قلت الا ماوقى الله (الضيف) مأخوذ من ضاف أي عدل ومال والاضافة الامالة (رجل مأفون) أي كأنه مستخرج العقل من قولك أفن فلان مافي الضرع اذا استخرجه (رجل مأبون) أي معروف بخلة من السوء من قولك أبنت الرجل آبنه وآبنه بشر ومنه الحديث في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتؤبن فيه الحرم أي لاتذكر بسوء (والماجد) الشريف (والكريم) الصفوح (والسيد) الحليم (والاريب) العاقل والارب العقل (والسفيه) الجاهل والسفه الجهل (والحسيب) من الرجال ذو الحسب (والحسب) العدد يقال حسبت الشيء حسبا وحسبانا وحسابا اذا عددته والمعدود حسب كما يقال

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا * ألفيت جماكله يتفرق

ومن قول أبي العتاهية

انما أنت طول عمرك ماعمر * ت في الساعة التي أنت فيها

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك اللحد وبه من أعمال ساكنه أنوار أم كيف يجدب وبه من فيض يمينه سحاب مدرار أم كيف توحش أقطاره والملائكة داخلة عليه من تلك الاقطار أم كيف يخفيه طول العهد على زواره وطيب ترابه هاد للزوار وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب الجليل الذي دق فيه الحزن الجليل وسمحت له النفوس بالفدية على حب الحياة وذلك من الفداء القليل وقد قيل انه لم يخلق الدمع الا انذارا بأن نوائب الزمان ستنوب وقد جعله الله ذخرا للقائها وانما يذخر السلاح للقاء الحروب والذي ذخرته منه لم يغن عني في هذه النائبة وأي جنة تقوم في وجه سهامها الصائبة لاجرم أني أصبحت بين يديها هادفا للرماء ولم يبق مني الا ذماء الحشاشة ومن العجب بقاء الذماء وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي

لم يخلق الدمع لامرئ عبثا * الله أدرى بلوعة الحزن

﴿وكذلك﴾ ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فياويح أيد أسلمته الى الثرى وما كان يسلمها الى الاعدام وألبسته ظلمة اللحود طالما جلا عنها غيابة الظلم والاظلام وغادرته بوحدته مستوحشا وقد كان يؤنسها بنوافل الانعام ومثله لا يواري القبر منه الا صورة يدركها النفاد وتبلى كما يبلى غيرها من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماتة الحساد ويتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا مأخوذ من قول بعض شعراء الحماسة

فان تدفنوا البكري لا تدفنوا اسمه * ولا تدفنوا معروفه في القبائل

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب فقلت وله البيان الذي يغض منه نسق الفريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد وهو فوق كلام المجيد ودون القرآن المجيد واذا اختصر واصفه قال انه يستميل سمع الطروب ويستحق وقار القلوب ويمثل آيات بيضاء من غير ضم الى الجيوب ويرى في الارض غير لاغب اذا مس غيره فترة اللغوب ولا تزال الناس في عشق معانيه ضربا واحدا والعاشقون ضروب ولما وقفت عليه قلت سبحان من أعطى سيدنا فلم يبخل وخصه بنبوة البيان الا أنه لم يرسل ولولا أن الوحي قد سد بابه لقيل هذا كتاب منزل ولقد خاره الله لأولي الفصاحة اذ لم يحيوا الى عصره ولم يبتلوا فيه بداء الحسد الذي يصليهم بتوقد جمره ولئن سلوا من ذلك فاسلمت أقوالهم من أقواله التي محتها محو المداد وقد كانت باقية بعدهم فلما أتى صارت كما صاروا الى الالحاد وفي هذا الفصل شيء من المعاني الشعرية كقول البحتري

مستميل سمع الطروب المعنى * عن أغاني معبد وعقيد

وقول الشريف الرضي رحمه الله

عشقت ومالي يعلم الله حاجة * سوى نظري والعاشقون ضروب

وفيه أيضا شيء من معاني القرآن الكريم الا أنه جاءت ضمنا وتبعا وموضعها يأتي بعد الابيات الشعرية ﴿وكذلك﴾ ذكرت فصلا آخر من هذا الاسلوب وهو وان للكلمة طعما يعرف مذاقه من بين الكلام وخفة الارواح معلومة من بين ثقل الاجسام فلو لم نعرفه بطعمه

نفضت نفضا والمنفوض نفض ومنه يقال ليكن عملك بحسب كذا أي على قدره وعدده بفتح السين فكأن الحسيب من الرجال الذي يعد لنفسه مآثر وأفعالا حسنة أو يعد آباء أشرافا

﴿باب معرفة في السماء والنجوم والازمان والرياح﴾

السماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء وللسحاب سماء قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا يريد من السحاب (والفلك) مدار النجوم الذي يضمها قال الله عز وجل وكل في فلك يسبحون سماه فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل وقيل فلك ثدي المرأة وللفلك قطبان قطب في الشمال وقطب في الجنوب متقابلان (والمجرة) النجوم سميت مجرة لانها كأثر الجر ويقال هي شرج السماء ويقال باب السماء (وبروج السماء) واحدها برج وأصل البروج الحصون والقصور قال الله تبارك وتعالى ولو كنتم في بروج مشيدة (وأسماؤها) الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت (ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا) ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها قال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والعرب تزعم أن الانواء لها وتسميها نجوم الاخذ لأن القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها (والازمنة أربعة) الربيع وهو عند الناس الخريف

عرفناه بوسمه والصباح لا يتمارى فى اسفاره ولا يفتقر الى دليل على اشراق أنواره وقد علم أن العرق يعرف بغصنه وأن القول يعرف بلحنه ونفائس هذه العقود لا يبرزها الا أنفاسه فدررها لفظه وسلوكها قرطاسه ﴿ومن﴾ هذا الباب قولى أيضا وهو ألفاظ كخفق البنود أو زأر الاسود ومعان تدل بارهافها أنها هى السيوف وان قلو بأنها هى الغمود فيخالها المتأمل حومة طعان أو حلبة رهان وبعض هذا مأخوذ من شعر البحترى

يقظان ينتخب الكلام كأنه * جيش لديه يريد أن يلقى به

﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان من أهل الكتابة كان اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من أهلها فقلت وقد نيط بسيدنا قطا الخط اللذان ينسب أحدهما الى المداد وينسب الآخر الى الصعاد فهو يديرهذا فى معركة المقال وهذا فى معركة الطراد ولم يصهل أحد قلبيه من فوق صفحات الدروج كما تصهل الجياد من تحت أعواد السروج فله احتفال المواطن والمجالس واليه غناء أصحاب العمائم والقلانس لا كمن لا يجاوز همه طرفى ردائه واذا نودى لفضيلة قيل انما سمع الحى بندائه وكم فى الناس من صور لا تجد لمعناها أثرا واذا أيتها قلت أرى خالا ولا أرى مطرا وأى جمال عند من ليس له الا جمال ثيابه وهل ينفع السيف الكهام أن يجعل من الذهب حلية قرابه وكل من هؤلاء ذنب يسمى بغير راس ولا له هم الا فى عيشة الطاعم الكاس واذا اعتبر حاله وجد من البهائم وان كان منسوبا الى الناس والسيادة ليست فى وشى الثياب ولا فى طيب الطعام والشراب وانما هى فى شيئين اما شهامة قلم تفرق لها قلوب الغمود أو شهامة رمح تفرق لها قلوب الاسود وكأنى بقوم يسمعون هذا وكلهم يمتعض امتعاض المغضب وتتابع نفسه تتابع المتعب ويعترض الشجى فى حلقه حتى يغص من غير أن يشرب ولم يزل بالحساد من سيدنا داء يورثهم أرقا ويوسعهم شرقا وكثيرا ما تعرق له جباههم وكذا الميت تندى جبينه عرقا وما أرى لهؤلاء دواء الا أن يطرحوا عن مناكبهم ثقل المساجلة والحسد انما يكون ممن يجرى مع صاحبه فى مضمار المماثلة وكنت أحب أن يقام على الكتابة محتسب حتى يتفلس منها خلق كثير وتستريح جياد كثيرة من ركوب حمير وفى مثل هذا السوق يظهر أهل الخلابة والنجش وما منهم الا من هو فى الحضيض الاسفل وقد أجلس نفسه قائمة العرش ونار الآلة العمرية تميز خالص النقود من زيفها ولا حيف فى هذا المقام على من أسرفت دعواه الكاذبة فى حتفها وبعض هذا الفصل مأخوذ من شعر عبد السلام بن رغبان عرف بديك الجن

تزهى به القلمان الآن ذا * لدن المجس وأن ذا بكعوب

عودان يقضب ذا الطلى بلعابه * ويجوب ذا المهجات بالتركيب

ويكفيك أيها المتوشح لنثر الشعر أن تنظر الى هذا الفصل وتتأمل الموضع الذى أخذت معنى هذين البيتين ووضعته فيه فان فيه غناء ومقنعا ﴿وأما﴾ حل آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعانى الشعرية لان ألفاظه ينبغى أن يحافظ عليها لمكان فصاحتها الا أنه لا ينبغى أن يؤخذ لفظ الآية بجملته فان ذلك من باب التضمين وانما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل أولا لكلام أو آخرا على حسب ما يقتضيه موضعه وكذلك تفعل بالاخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى الآية والخبر فيكسى ألفاظا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما للقسم الاول للفائدة التى أشرنا اليها وقد سلكت فى ذلك طريقا اخترعتها وكنت أنا ابن عذرتها وعند تأمل ما أوردته منها فى هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دعاوى ولئن كان من تقدمنى أتى بشئ من ذلك فانى ركبت فيه

سمته العرب ربيعا لان أول المطر يكون فيه وسماه الناس خريفا لان الثمار تخترف فيه ودخوله عند حلول الشمس برأس الميزان ونجومه من هذه المنازل الغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة (ثم الشتاء) ودخوله عند حلول الشمس برأس الجدى ونجومه سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشاء (ثم الصيف) ودخوله عند حلول الشمس برأس الحمل وهو عند الناس الربيع ونجومه السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع (ثم القيظ) وهو عند الناس الصيف ودخوله عند حلول الشمس برأس السرطان ونجومه النثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك الاعزل ومعنى النوء سقوط النجم منها فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وانما سمى نوأ لانه اذا سقط الغارب ناء الطالع ينوء نوأ وذلك النهوض هو النوء وكل ناهض بثقل فقد ناء وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الاضداد وسقوط كل نجم منها فى ثلاثة عشر يوما وانقضاء الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الامر الى النجم الاول فى استئناف السنة المقبلة فكانوا يقولون اذا سقط منها نجم وطلع آخر فكان عند ذلك مطر أو ريح أو حر أو برد نسبوه الى الساقط الى ان يسقط الذى بعده فان سقط ولم يكن معه مطر قيل قد خوى

جوادا وركب جملا ونال من مورده نهلة واحدة ونلت منه نهلا وعللا ومن آتاه الله فى القرآن بصيرة فانه يسبك ألفاظه ومعانيه فى كلامه ويستغنى به عن غيره الا أنه ينبغى أن يكون فيه صوّاغا يخرج منه ضروب المصوّغات أو صيرّافا يتجهبذ فى نقوده المختلفة من الذهب المختلف الالوان ولا أقول من الفضة فانه ليس فيه من الفضة شئ وهو أعلى من ذلك أو يكون فيه تاجرا يديره على يده ويتصرف فى أرباحه ويخرج من الامتعة المجلوبة من مناججه كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف فلزم وحكم فاعلم

وما كل من قال القريض بشاعر * ولا كلّ من عانى الهوى بمتيم

﴿واعلم﴾ أن المتصدّى لحل معانى القرآن يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه مالم يظهر من قبل وهذا شئ جربته وخبرته فانى كنت آخذ سورة من السور وأتلوها وكلما مر بى معنى أثبته فى ورقة مفردة حتى أنتهى الى آخرها ثم آخذ فى حل تلك المعانى التى أثبتها واحدا بعد واحد ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة وأفعل مثل مافعلته أوّلا وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر فى كل مرة من المعانى مالم يظهر فى المرة التى قبلها وسأورد فى هذا الموضع سورة من السور ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك أيها المتعلم مافعلته فتحذو حذوه وقد بدأت بالسورة أوّلا وهى سورة يوسف عليه السلام لانها قصة مفردة برأسها وفيها معان كثيرة * فالاوّل ماذكرته فى دعاء كتاب من الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلا خطرها وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها وهذا أوّل معنى فى السورة وقد نقلته عن قصة المنام الى الدعاء ثم أبرزت هذا المعنى فى صورة أخرى وهو أكرم النعم ما كان فيها ذكرى للعابدين وتقدمه انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين فهذه النعمة هى التى تأتى بتيسير العسير وتجلو ظلمة الخطب بالصباح المنير فانظر الى أثر رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ثم تصرّفت فى هذا المعنى فأخرجته فى معرض آخر وهو فصل من جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء فقلت وقد علمه أمير المؤمنين فأدنى مجلسه من سمائه وآنسه على وحدة الانفراد بجحفل نعمائه ورفعه حتى ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا تستطيع الجدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ولا الشفاه أن تتشرف بتقبيل تربته فليزدد إعجابا بما نالته مواطئ أقدامه ولينظر الى سجود الكواكب له فى يقظته لا فى منامه ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم بخيل وهو ولم أركواهب فلان ملأت أملى بطمع وعودها وفرغت يدى من نيل جودها فلم أحظ الا بلامع سرابها وكانت كدم القميص فى كذابها ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى تزكية انسان عما رمى به وهو لم ترم بذنب الا نابت البراءة له مناب الشهود وجىء من أهلها بشهادة القميص المقدود ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى عذر الهوى وهو لم يهوحبيبا الا كان لاهل التقى فيه اسوة ولا ليم من أجله الا اعتذر عذر امرأة العزيز الى النسوة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى فصل من جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كما قيل ذكرا والجواب أنثى فجوابى هذا عروس تجلى فى حللها المحبره وعقودها المشذرة وتزهى بما آتاها الله من الحسن الذى ليس بالمجلوب ولا ترضى بتقطيع الايدى دون تقطيع القلوب وها قد أرسلتها الى سيدنا حتى يعلم أن نتائج خاطرى على الفطرة وأنها معشوقة الصورة كل

نجم كذا وأخوى (وسرار) الشهر وسرره آخر ليلة منه لاستسرار القمر وربما استسر ليلة وربما استسر ليلتين (والبراء) آخر ليلة فى الشهر سميت بذلك لتبرء القمر فيها من الشمس (والمحاق) ثلاث من آخر الشهر سميت بذلك لانمحاق القمر فيها أو الشهر (والنحيرة) آخر يوم من الشهر لانه ينحر الذى يدخل (والهلال) أول ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر بعد ذلك الى آخر الشهر (وليلة السواء) ليلة ثلاث عشرة (ثم ليلة البدر) لاربع عشرة وسمى بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب ويقال سمى بدرا لتمامه وامتلائه وكل شئ تم فهو بدر ومنه قيل لعشرة آلاف درهم بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه ومنه قيل عين بدرة أى عظيمة والعرب تسمى ليالى الشهر كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر جمع غرة وغرة كل شئ أوله وثلاث نفل وثلاث تسع لان آخر يوم منها اليوم التاسع وثلاث عشر لأن أول يوم منها اليوم العاشر وثلاث بيض لانها تبيض بطلوع القمر من أولها الى آخرها وثلاث درع وكان القياس درع سميت بذلك لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها ومنه قيل شاة درعاء اذا اسود رأسها وعنقها وابيض سائرها وثلاث ظلم لاظلامها وثلاث حنادس لسوادها وثلاث دآدئ لانها بقايا وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر (وللشمس مشرقان ومغربان) وكذلك القمر قال الله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين (فالمشرقان) مشرقا

الناس فى هواها بنو عذرة وفى هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوى والبيت من الشعر ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرت فى تقلب الايام وهو لقينا أياما ضاحكات وايتها أيام عابسات فكانت كسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف كريم وهو ليس ممن يرقب عجف الزمان فيذر الحب فى سنبله ولكنه يستأنف الصبر فى آخره ويستهلك المال فى أوله فلا يبقى من يومه لغده ولا يتهم ربه فيما بيده ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى حب الرشوة وهو الرشوة تحل عقد القلوب وتهون فراق المحبوب ألا ترى أن رد البضاعة حكم على أخى يوسف بالاضاعة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تحترس من جنود الاقدار بالآراء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد والابواب المتفرقة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى تتابع الاساءة وهو لم يزل يرشقنى بقوارصه حتى تكاثر النبل واستحكم التبل ولم يكفه الالقاء فى غيابة الجب حتى قال ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى التوكل وهو اذا طلب أمر أجمل فى المطلوب ووكله الى الذى بيده مفاتيح الغيوب وتأسى فى حاجته منه بالحاجة التى كانت فى نفس يعقوب ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف الكيد وهو لم يأت أمر الا أخفى أسباب أواخيه وبدأ فيه بالاوعية قبل وعاء أخيه وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام ﴿وأما﴾ الآيات التى هى من سور متفرقة فأولها ما كتبته فى صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو ورد كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الجياد على سليمان وتساوى بنا فى الاشتغال منه ومنها بالاستحسان غير أن الجياد وان حسنت فانها لا تبلغ فى الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ولئن قضى الاشتغال هناك بمسح سوق وأعناق فانه لم يقض ههنا بمسح سطور ولا أوراق وانما اشتغلت عن عبادة بعبادة ولو شئت لقلت عن افادة بافادة وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام فى سورة ص وهى قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق فانظر كيف أخذت هذه القصة وقابلت بينها وبين الكتاب ثم انى تصرفت فيها بالموافقة بينهما تارة والمخالفة بينهما أخرى وهكذا ينبغى أن يفعل فيما هذا سبيله (ومن ذلك) ما كتبته عن الملك الافضل على بن يوسف الى الديوان العزيز النبوى ببغداد فى فصل من كتاب وهو وقد علم أن المال الذى يختزن كالماء الذى يحتقن فكما أن هذا يأجن بتعطيل الايدى عن امتياح مشاربه فكذلك يأجن هذا بتعطيل الايدى عن امتياح مواهبه وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب وتقل به الخطوب ويركب به ظهر العزم الذى ليس بركوب ومن بسط الله يده فيه ثم قبضها بخله فانه يقف دون الرجال مغمورا ويقعد عن نيل المعالى ملوما محسورا واذا أدركته منية مضى وكأنه لم يكن شيأ مذكورا ومذ ناط الله بيد الخادم ما ناطه من أمر بلاده لم يدخر منها الا مربط أشقره ومركز أسمره وما عداهما فانه مصروف الى قوة الاسلام فى سد ثغوره وتكثير جنوده وايقاد حرب عدوه بعد خمودها واستباحة جمرها عند وقوده وما يفضل عن ذلك فانه للناس يشتركون فى وشله وغمره والمسلم أخو المسلم يساويه فى حقه من بيت المال وان خالفه فى مزية قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله أن يداس من هذا المال بتبعة المطلوب أو يلحق بالقوم الذين يكنزونه فيجزى عليه بكى الجباه والظهور والجنوب ولم يأت به الله على فترة من مثله الا ليمحو به سيآت

الذين

الصيف والشتاء والمغربان مغربا الصيف والشتاء فمشرق الشتاء مطلع الشمس فى أقصر يوم من السنة (ومشرق) الصيف مطلع الشمس فى أطول يوم من السنة (والمغربان) على نحو من ذلك (ومشارق) الايام ومغاربها فى جميع السنة بين هذين المشرقين والمغربين قال الله عز وجل رب المشارق والمغارب (وسمى) النجم نجما بالطلوع يقال نجم السن اذا طلع ونجم النجم وسمى طارقا لانه يطلع ليلا وكل من أتاك ليلا فقد طرقك ومنه قول هند بنت عتبة

نحن بنات طارق
نمشى على النمارق

تريد ان أبانا نجم فى شرفه وعلوه قال الله عز وجل وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (وسمى) القمر قمرا لبياضه والاقمر الابيض وليلة قمراء أى مضيئة (والفجر) فجران يقال للاول منهما ذنب السرحان وهو الفجر الكاذب شبه بذنب السرحان لانه مستدق صاعد فى غير اعتراض (والفجر الثانى) هو الفجر الصادق الذى يستطير وينتشر وهو عمود الصبح (ويقال) للشمس ذكاء لانها تذكو كما تذكو النار وللصبح ابن ذكاء لانه من ضوءها (وقرن الشمس) أعلاها وأول ما يبدو منها فى الطلوع (وحواجبها) نواحيها (واياة) الشمس ضوءها (والدارة) حول القمر يقال لها الهالة (والرياح أربع) الشمال وهى تأتى من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق وهى اذا كانت فى الصيف حارة

الدين ويعيده به الاسلام الى وطنه بعد أن طال عهده بمفارقة الوطن ولا يكون حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقمها الدنيا في ديوانه وتثقل بها في الآخرة كفة ميزانه وفي هذا الفصل معنى آيتين احداهما في سورة هل أتى والاخرى في سورة براءة (ومن ذلك) ما كتبته عنه الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استعطافه والتنصل اليه وهو من شيمة الاقدار أن تذهب ببصائر ذوي الالباب وتمثل لهم الخطأ في مثال الصواب ولولا ذلك لما زل الحكيم واعوج المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلية لا زال عرفها مأمولا واحسانها عند الله مقبولا وفعلها في المكرمات مبتدعا اذا كان فعل الايادي مفعولا ونستغيث الى عفوها الذي يكفي فيه لفظة الاعتذار ولا ينفد بمواظبة الاصرار ولو عرف ذنبه باديا لقرع له سن الندامة وعاد على نفسه بالملامة ولما كان عجيبا أن يكون مليما وأن يكون مولانا كريما لكنه حمل اصرة الذنب وهو بريء من حملها وخاف أن تكون هذه كأخواتها التي سلفت من قبلها والامور المتشابهة يقاس البعض منها على البعض والملسوع لا يستطيع أن يرى مجر حبل على الارض ولم يجترم المملوك الآن جريمة سوى ان فر الى الاعتصام والتقى بيده الى أقوام لم يكونوا له بأقوام واذا ضاق على المرء أقربه كان الابعد له من ذوي الارحام وليس بأول من ذهب هذا المذهب ولا بأول من حمل نفسه على ركوب هذا المركب ولئن قال بعض الناس انه عجل في اعتصامه وفراره وانه لو صبر لحمد مغبة اصطباره فهذا قول من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذرا ولا ابتلي بما ابتلي به من قوارض مولانا مرة بعد أخرى ولقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤنبة حتى ملأت طرفه بكحل السهاد وجنبه شوك القتاد وأصبح وهو يرى أنه زلق في خطيئته زلقا وغص بندمه من أجلها شرقا وبدت له سوأته حتى طفق يخصف عليها ورقا ومع هذا فانه واثق أن حلم مولانا لا يؤتى من الزلل وأن حصاة الذنوب لا تخف بوزن ذلك الجبل وها هو قد جاء نازعا وللنازع العتبى وعاد مستشفعا ولا شفيع أكرم من القربى ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب وفي الذي أوردته من هذا الفصل معنى آية من القرآن في سورة الاعراف وهي قوله تعالى فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة (ومن ذلك) ما كتبته عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان ابن مسعود صاحب الموصل الى الديوان العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة فمما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي وهو اذا توفي ولي من أولياء الدولة فمن السنة أن يعزى بفقده ويستخرج اذنها في سليلة القائم من بعده حتى لا تخلو أرضها من رواسي الجبال ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليال وقد مضى والد العبد الى رحمة الله وهو متزود من الطاعة خير زاد غير خائف من احصاء الرقيب العتيد اذ جعلها له من العتاد وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه ما كان في الكفة الاخرى من السجلات الكثيرة الاعداد ومضمون وصيته التي عهدتها أن نمشي في الطاعة على أثره ونهتدي بالاوامر الشريفة في مورد الامر ومصدره وقد جعلها العبد نجي فكره اذا قام واذا قعد وسجدة صلاته اذا ركع واذا سجد وهو يرى أنه لم يمض والده حتى أبقى للدولة من يثبت قدمه موضع قدمه وعند ذلك يقال ان غصن الشجرة كالشجرة في ثبات أصله وقوة معجمه وهذا مقام لا تمتاز فيه الآباء عن الابناء وليست المزية لاكتهال السن انما هي لشيبة الغناء وقد أوتي يحيى الحكم قبل أن يجري القلم في كتابه وشهد له بالتزكية قبل أن ينتصب في محرابه وكذلك قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على فتاء عمره وشهد أنه خليق بما أسند اليه من أمره والعبد وان بسط

بارح وجمعها بوارح (والجنوب) تقابلها (والصبا) تأتي من مطلع الشمس وهي القبول (والدبور) تقابلها وكل ريح جاءت بين مهبي ريحين فهي نكباء سميت بذلك لانها نكبت أي عدلت عن مهاب هذه الاربع (ودراري النجوم) عظامها الواحد دري غير مهموز نسب الى الدر لبياضه (والجدي) الذي تعرف به القبلة وهو جدي بنات نعش الصغرى (وبنات نعش الصغرى) بقرب الكبرى على مثل تأليفها أربعة منها نعش وثلاثة بنات فمن الاربعة (الفرقدان) وهما المتقدمان ومن البنات الجدي وهو آخرها (والسهى) كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم وفيه جرى المثل

* أريها السهى وتريني القمر *

(والفكة) كواكب مستديرة خلف السماك الرامح والعامة تسميها قصعة المساكين وقدام الفكة السماك الرامح سمي رامحا بكوكب يقدمه يقال هو رمحه (والسماك الاعزل) حد ما بين الكواكب اليمانية والشامية سمي أعزل كأنه لا سلاح معه كما كان للآخر (والنسر الواقع) ثلاثة أنجم كأنها أثافي وبازائه النسر الطائر وهو ثلاثة أنجم مصطفة وانما قيل للاول واقع لانهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد ضمهما اليه كأنه طائر وقع وقيل للآخر طائر لانهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد بسطهما كأنه طائر والعامة تسميها الميزان (والكف

الاستحقاق لسانه فان الادب يحكم بانقباضه ويريه أن التفويض الى انعام الديوان العزيز أسرع فى نجح أغراضه ولاشك أن منتهى الآمال لايبلغ أدنى تلك المواهب ولو جمعت فى صعيد واحد ثم سألت مطالبها لما انقصت خزائن العطايا من تلك المطالب وهذا الفصل من أول الكتاب وفيه معنى آيتين من سورة مريم عليها السلام أما الاولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا وأما الثانية فقوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وفى هذا الفصل أيضا معان ثلاثة من الاخبار النبوية وليس هذا موضعها وانما جاءت ضمنا وتبعا (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الغبار فى الحرب وهو وعقد العجاج شفقا فانعقد وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد غير أنها سماء بنيت بسنابك الجياد وزينت بنجوم الصعاد ففيها ما يوعد من المنايا لاما يوعد من الارزاق ومنها تقذف شياطين الحرب لاشياطين الاستراق وهذه المعانى مأخوذة من سورة الرعد وسورة الصافات وسورة الذاريات (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف طعام وهو فصل من كتاب فقلت طعام لايعل اذا شينت الاطعمة بعلها وكأنما تولته يد الخلقة ولم تباشره الايدى بعملها فهو من بقايا المائدة التى نزلت من السماء وقد طاب حتى لايحتاج من بعده الى استعمال الماء ومارآه ذوشبع الا رأى تركه غبنا ولو زيد الى بطنه بطنا وبعض هذا مأخوذ من سورة المائدة (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو قد تكاثرت وسائل الخادم حتى لايدرى مايجعله لطلابه سفيرا وما منها الا ما يقال انه أول وليس فيها ما يجعل أخيرا غير أنه لايذكر منها الا ماهو توأم ايمانه والذى لاينظر الله من ابن آدم الا الى مكانه وفى ذلك كاف عن الوسائل التليدة والطريفة وقول لااله الا الله لايعدله شئ من الحسنات المودعة فى الصحيفة وقد تجدد الآن للخادم مطلب هو بالنسبة الى مواهب الديوان العزيز يسير ولو قامت مطالب الناس فى صعيد واحد لأعطى كلا منهم مرامه ولم يقل ذلك كثير وكتابه هذا سائر الى تلك المواهب التى يضيق عنها صدر الارض باتساعه وليس الذى يسأله ممنعا فيحال على النظر الى الجبل فى امتناعه وكما أن عبيد الديوان العزيز أطوار فكذلك مطالبهم أطوار وقد جعل الله الاشياء متفاوتة فى مراتبها وكل شئ عنده بمقدار وهذا الفصل من أحسن مايكتب فى استنجاز مطلوب وفيه معانى ثلاثة أخبار نبوية ومعنى آيتين من القرآن الكريم وليس هذا موضع الاخبار وانما جاء ضمنا وتبعا فالآية الاولى فى سورة الاعراف والآية الثانية فى سورة الرعد (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف كاتب وهو اذا جال بقلمه وطلعت فيه نجوم كلمه لم يقعد لها شيطان بلاغة مقعدا الا وجد له شهابا مرصدا فاسرارها مصونة عن كل خاطف مطوية عن كل قائف وهذا المعنى مأخوذ من سورة الجن (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف كاتب أيضا فقلت له بنت فكر ماتمخضت بمعنى الا انتجته من غير ماتمهله وأتت به قومها تحمله ولم يعرض على ملأ من البلغاء الا ألقوا أقلامهم أيهم يستعيره لأيهم يكفله وفى هذين السطرين آيتان من القرآن الكريم الاولى فى سورة مريم وقصتها وقصة ولادها عليهما السلام وهى قوله تعالى فأتت به قومها تحمله والثانية فى سورة آل عمران فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن وصف القلم فقلت وقد أوحى الله تعالى الى قلمه ما أوحاه الى النحل غير أنها تأوى الى المكان الوعر وهو يأوى الى البيان السهل ومن شأنه أن يجتنى من ثمرات ذات أرواح لاذات أكمام ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للافهام وأين ماتنبته كثافة الخشب مما تنبته لطافة المعنى ولاتستوى نضارة هذا الثمر وهذا الثمر ولاطيب هذا الجنى وهذا الجنى وقد

ارخص

النصب) كف الثريا المبسوطة ولها كف أخرى يقال لها الجذماء وهى أسفل من الشرطين (والعيوق) فى طرف المجرة الايمن وعلى أثره ثلاثة كواكب بينة يقال لها الاعلام وهى توابع العيوق وأسفل العيوق نجم يقال له رجل العيوق (وسهيل) كوكب أحمر منفرد عن الكواكب ولقربه من الافق تراه أبدا كأنه يضطرب قال الشاعر

أراقب لوحا من سهيل كأنه
اذا ما بدا من آخر الليل يطرف

وهو من الكواكب اليمانية ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة العراق وهو يرى فى جميع أرض العرب ولا يرى فى شئ من بلاد أرمينية وبين رؤية سهيل بالحجاز وبين رؤيته بالعراق بضع عشرة ليلة (وقلب) العقرب يطلع على أهل الربذة قبل النسر بثلاث والنسر يطلع على أهل الكوفة قبل قلب العقرب بسبع وفى مجرى قدمى سهيل من خلفهما كواكب بيض كبار لاترى بالعراق تسميها أهل الحجاز الاعيار (والشعريان) احداهما العبور وهى فى الجوزاء والاخرى الغميصاء ومع كل واحدة منهما كوكب يقال له المرزم فهما مرزما الشعريين (والسعود) عشرة أربعة منها ينزل بها القمر وقد ذكرناها والستة سعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مطر وكل سعد منها كوكبان بين كل كوكبين فى رأى العين قدر ذراع وهى متناسقة فهذه الكواكب ومنازل القمر مشاهير الكواكب

أرخص الله ما يكثر وجوده فيذهب فى لهوات الافواه وأغلى ما يعز وجوده فيبقى خالدا على ألسنة الرواه وكل هذه الاوصاف لا تصح الا فى قلم سيدنا الذى اذا خلا بخاطره امتلأت بحديثه المحافل واذا حلا كتابه وجدت الكتب الحالية من قبله وهى عواطل فله حينئذ أن ينظر الى غيره بعين الاحتقار ولواصفه أن يسهب وهو قائم مقام الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع بين الاضداد فناله بعيد وفهمه قريب وهو مأخوذ من سورة النحل ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم بخيل وهو له شيمة فى الجود لا يشام نائلها واذا هزها ساء ائلها قال انها كلمة هو قائلها وهذا مأخوذ من سورة المؤمنين ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب وهو وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذى هو فى كل واد يهيم وقال يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ثم أخذ فى اعلاء قدره وتنويه ذكره ولم يستفت الملأ فى الاذعان لامره ولا أهدى فى قبالته سوى هدية لسانه وصدره لا جرم أنها تقبل ولا ترد ويعتد بها ولا تعد فانها مال لا ينفده الانفاق وجوهر تحلى به الاخلاق لا الاعناق وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام فى كتابه الى بلقيس وهى مذكورة فى سورة النمل وفى هذا من شرف الصنعة أنه خولف بين معانيه ومعانى ما أتى به القرآن الكريم ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرمح الذى هو نديده قام محتفلا وأسهب مترويا ومرتجلا حتى يأتى فى خطابته بالمعانى الاخائر وأصدق القول ماصدر عن شهادة الضرائر للضرائر وكتابنا هذا يصف معركة احمرت ضبابتها وضاقت بالاسود غابتها فالطعن بها محتضر والموت محتقر والنصر من كلا الفريقين مقتسر وكان الاسلام هنالك زجر السنيح وفوز القدح المنيح وليس الذى يرقب المعونة من الله الذى هو رب المسيح كمن يرقبها من المسيح ولقد نفذت الرماح فى أعداء الله تعالى حتى اعتدلت من جانبى الصدور والظهور وتركت الناجى منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا نظر الخائف المذعور فليس لهم من بعدها جيش يجمع ولا لواء يرفع وقد كانت بلادهم من قبل مانعة وهى الآن لا تذب عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرابين التى تأكلها النار لا لانها مقبولة ومعنى الآية فى هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران الا أنها تخالفه وذلك أن القربان كان يقبل فتنزل النار تأكله وأجساد هؤلاء الكفار قربان تأكله النار لكنها لا تأكله لانه مقبول وباقى الفصل يتضمن معنى حسنا رقيقا ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض الاخوان وهو ولقد صبرت على أخلاقه العائثة وعاملته بالخليقة الرائثة وعالجته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما أعيا على اصلاحه أخذت بمقالة الخضر لموسى فى المرة الثالثة وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر فى سورة الكهف ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى فصل من كتاب وهو تجمعوا فى نار الندم يعرضون عليها غدوا وعشيا وصار الامر الذى كانوا يرجونه مخشيا وأضحوا كأهل النار الذين صاروا أعداء وكانوا شيعا وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا وهذا مأخوذ من سورة حم المؤمن ومن سورة سبأ ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم غلام ابله كنت أقاسى من بلهه نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخوانى كتابا وعرضت فيه بذكره فقلت ولقد ملكه النسيان حتى كأنه يقظ فى صورة نائم وحتى حقق قول التناسخ فى نقل أرواح الاناسى الى البهائم فما أرسل فى حاجة الا ذهبت عن قلبه عينة وبسرة ولا طلب منه ما استحفظه الا قال أرأيت اذ أوينا

التى تذكرها العرب فى أشعارها (وأما الخنس) التى ذكرها الله تعالى فيقال هى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وانما سماها خنسا لانها تسير فى البروج والمنازل كسير الشمس والقمر ثم تخنس أى ترجع بينا ترى أحدها فى آخر البروج كر راجعا الى أوله وسماها كنسا لانها تكنس أى تستتر كما تكنس الظباء (الاوقات) مضى هزيع من الليل وعنك وهدء من الليل وذلك من أوله الى ثلثه وجوز الليل وسطه وجهمة الليل أول مآخيره (والبلجة) آخره وهى مع السحر (والسدفة) مع الفجر (والسحرة) السحر الاعلى (والتنوير) عند الصلاة والخيط الابيض بياض النهار والخيط الاسود سواد الليل (والهاجرة) من الزوال الى قرب العصر ومابعد ذلك الاصيل والعصر والقصر الى تطفيل الشمس (ثم الطفل) والجنوح اذا أجنحت الشمس للغيب وهما (شفقان) الاحمر والابيض فالاحمر من لدن غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء ثم يغيب ويبقى الابيض الى نصف الليل (والصبوح) شرب الغداة (والغبوق) شرب العشى (والقيل) شرب نصف النهار (والجاشرية) حين يطلع الفجر قال أبو زيد سميت جاشرية لانها تشرب سحرا اذا جشر الصبح وهو عند طلوع الفجر (والحقب) السنون واحدها حقبة والحقب الدهر وجمعه احقاب (والقرن) يقال هو ثمانون سنة ويوم الجمعة

الى الصخرة وهذا فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم من سورة الكهف ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل ما بقيت موجودة ولم تفقد وهى حية وان أودى أربابها ولا يموت من لم يولد ومن أكرم ما أوتيه منها فضيلة التقوى التى الكرم من شعارها والعاقبة والحسنى كلاهما من آثارها وما تقول الا أنه اتخذها حارسا يمنع الخصم من تسوّر محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله هذه الفضيلة بالعلم الذى أعلمه بعلامته ووسمه بوسامته وقذف فى روعه ما لا يسأل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واقامته وعلى ما بلغه منه فانه فيه أحد المنهومين اللذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظر واحد ومسمع فله فيه نظران ومسمعان وفى هذا الفصل المختصر معانى عدة آيات وخبر من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من أحسن ما يأتى فى هذا الباب ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى جملة كتاب يتضمن عناية ببعض الفقراء فقلت بعد الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يعد اطالب فضله فضلا ويرى التبرع بمعروفه فرضا اذا رآه غيره مع المسألة تفضلا وما ذاك الا لمزية خلق توجد بطيب التربة وشرف الرتبة وأوتى من كنوز الكرم ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة ولهذا نخرج على قومه من الاخلاق فى زينته وفضل الخلق بطينة غير طينته ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويحتال فى استنباط أمل الآملين ثم مضيت على هذا النهج حتى أنهيت الكتاب والغرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك فى أخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا كما قد فعلت أنا فى هذا الموضع ألا ترى أنى أخذت بعض هذه الآية فى قصة من سورة القصص وهى قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندى حتى جاء كما تراه مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهى قوله فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغى لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقدرت على سلوكها وهى من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو أعلى درجة منها لانها ممزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به والله يختص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من نثر هذه الآيات كفاية للمتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكالقرآن العزيز فى حل معانيها ﴿فان قلت﴾ ان الاخبار النبوية لا يجرى فيها الامر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصر وضابط وكل آياته تدخل فى الاستعمال كما قال بعضهم لو ضاع منى عقال لوجدته فى القرآن الكريم وأما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولو انحصرت لكان منها ما يدخل فى الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان يمكن الاحاطة به والوقوف عنده ﴿قلت﴾ فى الجواب عن هذا انك أوّل ما تحفظه من الاخبار هو كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن حكما وآدابا فاذا حفظته وتدرّبت باستعماله كما أريتك ههنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل فى الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخارى ومسلم والموطأ والترمذى

يوم العروبة (وأيام العجوز) عند العرب خمسة صن وصنبر وأخوهما وبر ومطفئ الجمر ومكفئ الظعن هذه الرواية الصحيحة عندهم قال ابن كناسة وهى فى نوء الصرفة وسميت الصرفة لانصراف البرد واقبال الحر (ويوم النحر) يوم الاضحى (ويوم القر) بعده لان الناس يستقرون فيه بمنى (ويوم النفر) اليوم بعده لان الناس ينفرون فيه متعجلين (والايام المعلومات) عشر ذى الحجة (والايام المعدودات) أيام التشريق سميت بذلك لان لحوم الاضاحى تشرق فيها ويقال سميت بذلك لقولهم أشرق ثبير كيما نغير وقال ابن الاعرابى سميت بذلك لان الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس (والتأويب) سير النهار كله (والاسئاد) سير الليل كله (وربيعة) القوم ميرتهم فى أوّل الشتاء والدفيئة ميرتهم فى قبل الصيف (وصائفتهم) فى الصيف (المطر) الوسمى مطر الربيع * الاول عند اقبال الشتاء ثم يليه الربيع ثم يليه الصيف ثم الحميم الذى يأتى فى شدة الحر (والثرى) الندى تقول العرب شهر ثرى وشهر ندى وشهر مرعى ويقال ثريت السويق اذا بللته ويقال للعرق ثرى والعرب تسمى النبت ندى لانه بالمطر يكون وتسمى الشحم ندى لانه بالنبت يكون قال ابن أحمر

كثور العداب الفرد يضربه الندى
تعلى الندى فى متنه وتحدرا

فالندى الاوّل المطر والندى الثانى الشحم ويقولون للمطر سماء

وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرهما من كتب الحديث وتأخذ ما تحتاج اليه وأهل مكة أخبر بشعابها والذي تأخذه ان أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا تحفظه فاست منه على ثقة وان كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما أشرنا اليه فعليك بمداومة المطالعة للاخبار والاكثار من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطرك فتكون اذا احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك أن تأتي به ارتجالا فتأمل ما أوردته عليك واعمل به وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر كلها تدخل في الاستعمال ومازلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت أنتهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عني منه شيء وهذا الذي أوردته ههنا في حل معاني الاخبار هو من هناك وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الادب في هذا الاسلوب الذي أنا بصدده ههنا وذلك أنه استوعره وأنكره وقال هذا لا يتهيأ الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتهيأ في الاكثر منها فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اختصم اليه في جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة فأين يستعمل هذا فأفكرت فيما ذكره ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام وأودعته فيه قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بباقل وكم في هذه الصور الممثلة من باقل ولو عرف كل انسان قدره لما مشى بدن الا تحت رأسه ولا انتصب رأس الا على بدنه ولكان صاحب العمامة بعمامته وصاحب الرسن أحق برسنه وكنت سمعت بكاتب من الكتاب كلمه الى غثاثة وقلمه بغاثة لا يستنسر وأي بطش لبغاثة واذا وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبل ثلاثة هذا وهو يدعي أنه في الفصاحة أمة وحده ومن قس اياد وسحبان وائل عنده واذا كشف عن خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والكمه وان رام أن يستنتجه في حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هذه على الافاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يعلو فيه حضيض الارض على هام السماء فلما أوردته عليه ظهرت امارة الحسد على صفحات وجهه وفلتات لسانه مع اعجابه به واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا أين يستعمل من المكاتبات فتروبت في قوله ترويا يسيرا ثم قلت هذا يستعمل في كتاب الى ديوان الخلافة وأمليت عليه الكتاب فجاء هذا الحديث في فصل منه وهو اذا أفاض الخادم في وصف ولائه نكصت همم الاولياء عن مقامه وعلموا أنه أخذ الامر بزمامه فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاعلان وما عداهما فان دخوله الى قلبه من الاشياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة فليعول الديوان العزيز على سيف من سيوف الله يفري بلا ضارب ويسري بلا حامل ولا يسل الا بيد حق ولا يغمد الا في ظهر باطل وليعلم أنه كرشه وعيبته في تضمن الاسرار وأنه أحد سعديه اذا عقت مواقف الانصار فلما رأى هذا الفصل بهت له وأعجب منه ثم اني لم أقنع بايراد ذلك الحديث حتى قرنت به حديثا آخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الانصار كرشي وعيبتي * وحيث عرفتك أيها المتعلم ما تقتدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة كثيرة تتدرب بها (فمن ذلك) ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو أعاذ الله أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زادا لكل ركب وأنسا لكل سمر ومضمه من

لانه من السماء ينزل قال الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا

وأضعف المطر الطل وأشده الوابل ومنه يكون السيل قال الشاعر

* ان دعوا جاد وان جادوا وبل *

يريد انه يزيد عليهم في كل حال وقال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل يريد ان أكلها كثير اشتد المطر أو قل النبات (الخلا) هو الرطب (والحشيش) هو اليابس ولا يقال له رطب (والشجر) ما كان على ساق (والنجم) ما لم يكن على ساق قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان (والنور) من النبت الابيض (والزهر) الاصفر يكون أبيض قبل ثم يصفر هذا قول ابن الاعرابي (والاب) المرعى (والورس) يقال له الغمرة ومنه قيل غمرت المرأة وجهها (والظيان) ياسمين البر (والخزامى) خيري البر (والعرار) بهار البر (والزنف) بهرامج البر (والمظ) رمان البر (والايهقان) الجرجير ويقال هو نبت يشبهه (والاقحوان) البابونج ويقال هو القراص (والذرق) الحندقوق (والحولك) الباذروج (والحرض) الاشنان وهو الحمض (والحمض) ما ملح من النبت (والخلة) ما حلا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها (والفيجن) السداب (والعنصل) بصل البر (والفرفخ) البقلة الحمقاء وهي الرجلة ومنه يقول الناس فلان أحمق من رجلة والعوام يقولون من رجله (والقضب) الرطبة وهي أيضا القضافص وأصلها

فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة فنقلته الى الدعاء ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتد في الاشطان ولم انتصر خوفا من قيام الملك وقعود الشيطان والحليم لا يظهر أثر حلمه الا عند تلدده والكظيم هو أشد ما يخاف من تبدده وهذا المعنى أخذته من قصة أبي بكر رضي الله عنه في خصامه فانه بغى عليه ثلاث مرات وهو ساكت ففي الثالثة انتصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الملك جالسا الى جانب أبي بكر يكذب خصمه بما يقول فلما انتصر قام الملك وقعد الشيطان ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في النصرة على العدو في موطن القتال وهو أخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصر الذي نرجوه ونبذنا في وجه العدو كفا من التراب وقلنا شاهت الوجوه فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن اقدامنا وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذه قبضة من التراب وألقاها في وجوه الكفار وقوله شاهت الوجوه والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين لاقى رجلا من الكفار وأراد أن يضربه فخر على الارض ميتا قبل أن يصل اليه وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول اقدم حيزوم فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال ذلك من مدد السماء الثالثة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في ضيق مجال الحرب وهو وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور وتصافحت الفور بالفور والصدور بالصدور واستظل حينئذ بالسيوف لاشتباك مجالها وتبوئت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهو مأخوذ من الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في جملة كتاب أذم فيه الزمان فقلت ولكنها الايام تبدي لنا من جوهرها كل غريبة وتسوسنا سياسة العبد المجدع الذي كأن رأسه زبيبة وليس للمرء فيما يلقاه من احداثها نعمى كانت أو بوسى الا أن يكل الامور الى وليها فيقول حاج آدم موسى وهذا مأخوذ من الخبر النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم حاج آدم موسى فقال له موسى أنت أخرجت الناس بخطيئتك من الجنة وأشقيتهم فقال له آدم أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وكلامه أتلومني على أمر كتبه الله تعالى علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف بعض الكتاب وهو فصل من كتاب كتبته اليه فقلت ولقد سردت عليه أحاديث البلاغة فاستغنى عن بسط ردائه وهدي الى جوامع كلمها فاقتدى الناس باهتدائه فاذا اشتبهت عنده مسالك طرقها لم يعلكه سلطان الحيرة وان أغرب في أساليبها لم يقل فيه ماقيل في رواية أبي هريرة وهذا الفصل من أحسن ما يؤتى به في صناعة نثر المعاني وهو مأخوذ من حديث أبي هريرة قال قلت يارسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها فقال ابسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فما نسيت شيأ حدثني به ﴿وأما﴾ رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا يتفطن له عند الوقوف عليه الا من تبصر في الوقوف على الاخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتابة في الفصل التاسع ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة فقلت ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة مجموع لها بين حرمكة ولأواء المدينة الا أنها لم يأمن حرمها في الخطفة ولا نقلت حماها الى الجحفة في هذه الكلمات القصار آية من القرآن الكريم وخبران من الاخبار النبوية فالآية من سورة العنكبوت وهي قوله

تعالى

بالفارسية أسيست (والعظلم) الوسمة (والعندم) دم الاخوين ويقال هو الايدع ويقال هو البقم (والجادي والريهقان) الزعفران (واليرناء) الحناء مقصور مهموز وهو اليرقون واليرقان (والغسل) الخطمي (والفنا) مقصور عنب الثعلب ويقال هو نبت يشبهه (والحفاء) مقصور مهموز البردي (والشقر) شقائق النعمان واحده شقرة (واللصف) شئ ينبت في أصول الكبر كأنه خيار (والخزاب) بزر البر (والقسط) بزر البحر (والرند) شجر طيب من شجر البادية وربما سموا العود رندا (والوقل) شجر المقل واحدته وقلة وهو الدوم (والخشل) المقل نفسه واحدته خشلة (والصفصاف) الخلاف (والشوع) شجر البان (والتوت) هو الفرصاد (والبطم) الحبة الخضراء (والمقر) الصبر (والشري) الحنظل وهو الخطبان (والهبيد) حبه (والصرب) الصمغ الاحمر (والعنقز) المرزنجوش (والحبلة) الكرم وكذلك الجفنة (والزرجون) الكرم قال الاصمعي وهو الخمر وهو بالفارسية زركون أي لون الذهب (والفرسك) الخوخ (والبلس) التين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرق قلبه فليدمن أكل البلس (والضال) السدر البري (والعبري) ما نبت على شطوط الانهار وعظم

﴿أسماء القطنية﴾

(البلس) العدس والجلبان الخلر وهو شئ يشبه الماش (والفول)

تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وهذا موضع يختص بالاخبار لا بالآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعا وأما الخبران فالأول منهما قول النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حرمكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة وأما الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه للمدينة اللهم حببها الينا كما حببت الينا مكة وانقل حماها الى الجحفة فانظر أيها المتأمل الى هذه الكلمات حتى تعلم أن عدتها مصوغة من الآية والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو ادعيت الانفراد بسلوكه لما اختلف علىّ فى الاعتراف به اثنان ﴿ومن ذلك﴾ ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تأخر عنى زمانا طويلا فقلت ولما تأملته ضممته الىّ والتزمته ثم استلمته والتثمته وعلمت أن المعارف وان قدمت أيامها انساب وشيجة وتأسيت بالخلق النبوىّ فى العجوز التى كانت تأتى فى زمن خديجة وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضى الله عنها وهو أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعضيها أعضاء ويقسمها فى أصدقاء خديجة وكانت تأتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها رداءه فسألته عن ذلك فقال هذه كانت تأتينا فى زمن خديجة وحسن العهد من الايمان ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى وصف كتاب وهو كل سطر منه روضة غير أنها ليل فى صباح وكل معنى منه دمية غير أن ليس على مصورها من جناح وهذا مأخوذ من الحديث فى تحريم الصور ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى وصف كريم وهو فأغنى بجوده اغناء المطر وسما الى المعالى سموّ الشمس وسار فى منازلها مسير القمر ونتج من ابكار فضائله ما اذا ادعاه غيره قيل للعاهر الحجر وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى وصف الفصاحة فقلت افكار الخواطر لا تستولد على انفرادها وغايتها أن يتناكح فى استنتاج أولادها وأنا أنكح فكرى لفكرى نكاح الانساب ولا أخاف أن أضوى فأميل الى الاغتراب وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم فى الامر بنكاح البعيدة النسب فقال غربوا لا تضووا يريد بذلك أن الانسان اذا انكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما حياء يمنع من قضاء الشهوة كما ينبغى فيجىء الولد ضاويا أى هزيلا وهذا معنى غريب لى استخرجته من الحديث النبوى ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه مخاصمة فقلت وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى وطلب العدوى ونزل من التظلم بالعدوة الدنيا وأنزل خصمه بالعدوة القصوى والقاضى لا يحكم لاحد الخصمين حتى يحضر صاحبه وان فقئت عين أحدهما فربما فقئت عين الآخر وهشم حاجبه على انه قد اعترف أن كليهما كان لحم أخيه أكلا وعليه فى حال محضره جاهلا وسباب المؤمن معدود من فسوقه واطراقه عن ورده هذا المقام أولى من طروقه ولولا تغليظ النكير لما جعل اللسان واليد سواء فيما اجترحا ولما أخر الله المغفرة عن الخائضين فيها حتى يصطلحا فكن أنت ممن أطاع تقواه لا هواه واتبع من علم الحق فرآه أو سمعه فرواه واعلم أن تهاجر الاخوين فوق الثلاثة من منهيات الحرام وان الفائز بالاجر منهما هو البادئ بالسلام ودفع السيئة بالحسنة يجعل العدوّ وليا حميما وقد جعل الله المتخلق بهذا الخلق صابرا وجعل له حظا عظيما والشيطان انما يحوم على آثاره مواقع الشنآن ولا يحمد من أعمال بنيه شيأ الا مازيل بين الاخوان فى هذا الفصل معانى آيات وأخبار وهذا الموضع مختص بذكر الاخبار دون الآيات فأول المعانى المأخوذة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تحكم له فربما

الباقلا (والجلبان) السمسم (والتقدة) الكزبرة والكرويا (والدخن) الجاورس (والسلت) ضرب من الشعير رقيق القشر صغير الحب (والاحريضة) حب العصفر وهو القرطم (النخل) *الكرنافة* أصل السعفة التى يبس وجمعها كرانيف (والكربة) التى تيبس فتصير مثل الكف (والجريد والعسب) السعف واحده عسيب (والكثر والجذب) الجمار وهو قلب النخلة وقلبها وقلبها والجميع قلبة وصغار النخل الاشاء (والودى) الغسيل واحدها ودية وأول حمل النخل (الطلع) فاذا انشق فهو الضحك وهو الاغريض ثم البلح ثم السياب ثم الجدال اذا استدار واخضر قبل ان يشتد ثم البسر اذا عظم ثم الزهو اذا احمر يقال أزهى يزهى فاذا بدت فيه نقط من الارطاب فهو موكت فان كان ذلك من قبل الذنب فهى مذنبة وهو التذنوب فاذا لانت فهى ثعدة فاذا بلغ الارطاب نصفها فهى مجزعة فاذا بلغ ثلثيها فهى حلقانة فاذا عمها الارطاب فهى منسبتة (والخلب) الليف واحدها خلبة وأهل الحجاز يسمون الدبس الصقر (والعفار والابار) تلقيح النخل (والجباب والجباب والجداد والجداد والجرام والجرام والقطاع والقطاع) كله الصرام وهو نخال النخل ولا يقال نخل (والعذق) النخلة نفسها (والعذق) الكباسة وعودها عرجون واهان (والشمراخ والعثكال) ما عليه البسر موضع

أتى خصمه وقد فقئت عيناه وأما المعنى الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأما المعنى الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم ان الاعمال تعرض على الله يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وأما المعنى الرابع فقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث وأما المعنى الخامس فقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا التقى المتهاجران فأعرض هذا وأعرض هذا فخيرهما الذى يبدأ بالسلام وأما المعنى السادس فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس له عرش على البحر فيبث بنيه فى آفاق الارض فيأتى أحدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا فيقول مافعلت شيأ ويأتى أحدهم فيقول زيلت بينه وبين أخيه أو بينه وبين زوجته فيقول نعم الولد أنت فانظر كم فى هذه الاسطر اليسيرة من معنى خبر نبوى هذا سوى مافيها من معانى الآيات واذا اعددت هذه الكلمات المذكورة فى هذه الاسطر وجدتها جميعها منتظمة من الآية والخبر وهذا مما يدلك على الاكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن تهديدا وتخويفا فقلت ورد الكتاب مضمنا من الوعد والوعيد ما آنس نفس المملوك وأوحشها ونقع صداه وأعطشها وأقام له من الظنون السيئة جنودا تقاتله وتأخذ عليه شعب الافكار فلا تزاوله وكانت كلماته طوالا وأوراقه ثقالا وما أفلت سطر من سطوره الا كان الآخر له عقالا ولما استكمل الوقوف عليه تقلبت أطوار الخوف والرجاء من أطواره وعرضت عليه الجنة والنار فى قرطاسه كما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرض جداره ولولا وثوقه بأناة مولانا لذهبت نفسه فرقا وابتغى فى السماء سلما وفى الارض نفقا لكنه قد توسم فى كرمه مخايل الصنع الوسيم وغره منه ماغره من ربه الكريم وعلم أن خلق حلمه يغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذاك قديم وفى هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو أنه كان صلوات الله عليه يخطب فمال بيده الى الجدار وقال عرضت على الجنة والنار فى عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم فى الخير والشر

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو الخادم يواصل بالدعاء الذى لا يزال لقلبه زميلا وللسانه رسيلا واذا رفع أدنته الملائكة قربا اذا تباعدت عن غيره ميلا ولا اعتداد بالدعاء الا اذا صدر عن أكرم مصدر ووجد له فوق السماء مظهرا وان لم يكن هناك من مظهر ووصف باطنه بانه الابيض الناصع الذى هو خير من ظاهر الاشعث الاغبر ولا يعامل الخادم أهل وده الا بهذه المعاملة ومن خلقه المجازفة فى بذل المودة اذا أخذ الناس نسبة المكايلة فى هذا معنى خبرين أحدهما قول النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلا لنتن كذبه والآخر قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره

﴿ومن هذا الباب﴾ ماذكرته فى كتاب يتضمن خطبة مودة فابتدأت الكلام فيه بعد تصدره بالدعاء فقلت لولا العادة لرفع الخادم كتابه هذا أن يسطر فى ورقة وليس ذلك الا لارساله فى خطبة مودة رأى صورتها فى سرقة ولما تأملها قال ان يكن ذلك من عند الله يمضه وأبدى لها صفحة الرضا وان كانت كل مودة لم ترضه وخير المودات ماليس لها ضرة تشاركها فى وسامتها ولا تضاهيها فى درجة كرامتها فتلك التى تزدهى ذا الهمة أبوة وجمالا ولم يغل له مهرها ولو بذل فيه نفسا الا مالا ومايظنها الخادم الا هذه المودة التى خطبها وقد علمت أن تكون راغبة ولكن هو الذى أرغبها على أنه لم يرشح لها الا من هو من أكفائها وليست الكفاءة ههنا الا ما تبذله الضمائر من صفائها وقد أتاح

التمر الذى يجمع فيه اذا صرم (المربد) ويسمى الجرين أيضا وجماع النخل الصور والحائش

﴿باب ذكور ماشهر منه الاناث﴾

(اليعاقيب) ذكور الحجل واحدها يعقوب (والسلك) الذكر من فراخها والانثى سلكة (والحزب) ذكر الحبارى (وسارق حر) ذكر القمارى (والفياد) ذكر البوم ويقال هو الصدى (واليعسوب) ذكر النحل وهو أميرها (والحنظب والعنظب) ذكر الجراد وفى كتاب سيبويه (العنظباء) فأما الخنظب بفتح الظاء فذكر الخنافس وهو أيضا الخنفس (والحرباء) ذكر أم حبين (والعضرفوط) ذكر العظاء (والضبعان) ذكر الضباع (والافعوان) ذكر الافاعى (والعقربان) ذكر العقارب (والثعلبان) ذكر الثعالب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(الغيلم) ذكر السلاحف والانثى سلحفاة بتحريك اللام وتسكين الحاء ويقال سلحفية (والعلجوم) ذكر الضفادع (والشيهم) ذكر القنافذ قال الشاعر وهو الاعشى

لئن جد أسباب العداوة بيننا
لترتحلن منى على ظهر شيهم

(والخزز) الذكر من الارانب وجمعه خزان (والحيقطان) ذكر الدراج (والظليم) ذكر النعام (والقط والضيون) ذكر السنانير

﴿باب اناث ماشهر منه الذكور﴾

الانثى من الذئاب (سلقة وذئبة) والانثى من الثعالب ثرملة وثعلبة (والانثى) من الوعول (أروية)

الله لها كفوًا يكثرمن ايناسها ويضعها من البر فى محلة ناسها ويجعل كل يوم من أيامها عرسا حتى تتصل مواسم أعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب والمعنى المأخوذ فيه من الخبر النبوى فى موضعين الاول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها ان جبريل عليه السلام عرض على صورتك فى سرقة والسرقة حريرة بيضاء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة فقلت ان يكن ذلك من عند الله يمضه فأخذت أنا هذا المعنى ونقلته الى خطبة مودة ولا يأتى فى خطبة المودات شئ أحسن منه ولا ألطف ولا أشد مقصدا الخبر النبوى الثانى قول النبي صلى الله عليه وسلم انما تنكح المرأة لاربع لحسبها أولدينها أولمالها أولجمالها فقلت أنا قبلك التى تزدهى ذا الهمة أبوة وجمالا أى قد جمعت الحسب والجمال ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيدة وبين القلوب وهى له بمنزلة المحب وهو لها بمنزلة المحبوب وليس ذلك الالان الله قبض قبضة من جميع الارض فخلق آدم من تلك القبضة ويوشك حينئذ أن صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضة ولولا أن يكون منهما عنصر ابدانه لما جعلهما الاطباء دواء من دائه فلا تستغرب اذن أن تكون على حبهما مطبوعا اذ كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب غير أنى استنبطت أنا حب المال من هذا الحديث وهو معنى غريب لم أسبق اليه ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف كلام وهو وليس السحر ما أودع فى جف طلعة بل ما أودع فى صوغ معنى أونظم سجعة ولذلك لبيد فى شعره أسحر من لبيد فى سحره وكلا صنعهما من الغريب العجيب غير أن ما يستنبط من القلب أعجب مما يدفن فى القليب وهذا المعنى مأخوذ من قصة لبيد بن الاعصم فى سحره النبي صلى الله عليه وسلم ومن عرف القصة وصورتها علم ما قد ذكرته فى نثر هذه الكلمات البديعة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف المنجنيق من جملة كتاب فقلت ونصب المنجنيق فجثم بين يدى السور مناصيا وبسط كفه اليه مؤاتيا ثم تولى عقوبته بعصاه التى تفتك بأحجاره واذا عصى عليها بلد أخذت فى تأديب أسواره فما كان الا أن استمرت عقوبتها عليه حتى صار قائمه حصيدا وعاصيه مستقيدا وقال ألم يكن نهى عن المد والتجريد فمالى لا أرى الا مدا وتجريدا وعند ذلك أذعن لفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل أجل كتاب وكذلك لم نأت صعبا الا استسهل ولا حثثنا مطيا الا استعجل ولطالما وقف غيرنا على هذا البلد فشقه طول الانتظار ولم يحظ منه الا بمساءلة المنصب أحجار الديار فى هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم فى النهى عن ضرب المحدود لامد ولا تجريد أى لا يمد على الارض ولا يجرد عنه ثوبه ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوى وهو خلد الله دولة الديوان العزيز النبوى ولا زالت أكنافها وادعة وعلياؤها جامعة وجدودها كالنجوم التى ترى فى كل حين طالعة وأيامها كالليالى ساكنة ولياليها كالايام ناصعة وأبوابها كأبواب الجنة التى يقال فيها ثامن وثامنة اذا قيل فى أبواب غيرها سابع وسابعة وهذا الدعاء قد استجابه الله قبل أن ترفع اليه يد أو ينطق به ضمير فاذا دعا به الخادم وجد صنع الله قد سبقه أولا وجاء هو فى الزمن الاخير فليس له حينئذ الا أن يدعو لما خوله الديوان العزيز بالدوام وأن يعيذه من النقص بعد التمام ثم يستهدى ما يؤهل له من الخدم التى يعتدها من لطائف الاحسان واذا ندب لتكليف أوامرها قال والحمد والشكر يسجدان ولا شك أن درجات

وثلاث أراوى الى العشر فاذا كثرت فهى الاروى والانثى من القرود (قشة) والانثى من الارانب (عكرشة) والانثى من العقبان (لقوة) والانثى من الاسود (لبؤة) بضم الباء وبالهمزة والانثى من العصافير (عصفورة) والانثى من النمور (نمرة) ومن الضفادع (ضفدعة) ومن القنافذ (قنفذة) ويقال برذون وبرذونة

﴿باب ما يعرف جمعه ويشكل واحده﴾

(الذراريح) واحدها ذرحرح وذراح وذروح (والمصارين) واحدها مصران بضم الميم وواحد مصران مصير (وأفواه الازقة والانهار) واحدها فوهة (وأفواه الطيب) واحدها فوه (والغرانيق) طير الماء واحدها غرنوق وغرنوق وهو الرجل الشاب التام الناعم (وفرادى) جمع فرد (آونة) جمع أوان على تقدير زمان وأزمنة (الاولى) فى معنى الذين واحدها الذى وأولوا النهى واحدها ذو وهى وذووسواء (فلان من علية الرجال) واحدهم على مثل صبي وصبية (الشمائل) وحدها شمال قال الشاعر وهو عبد يغوث بن وقاص الحارثى

ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شماليا

(بلغ أشده) واحدها أشد ويقال شد وأشد مثل قد وأقد ويقال لا واحد لها (سواسية) واحدها سواء على غير قياس (الزبانية) واحدهم زبنية مأخوذ من الزبن وهو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار اليها قال قتادة هم الشرط

الاولياء تتفاوت فى الصفات والاسماء فمنها ما يكون ببطن الارض ومنها ما يرى كالكوكب فى أفق السماء ولولا النهى عن تزكية المرء نفسه لادعى الخادم أن له أعلاها وجاء بالاولياء من بعده فقال والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها لكنه لا يمن بما يعتده عند الله من ذخره وسر الولاء فى هذا المقام أكرم من جهره وليس الذى يمن بصلاته وصيامه كالذى يمن بسر وقر فى صدره والله لا ينظر الى الاعمال وانما ينظر الى القلوب وفرق بين المطيع بحضر الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولو اطلع الديوان العزيز على ضمير الخادم فى الطاعة لسره وعلم أن الاشعث الاغبر الذى لو أقسم على الله لابره فى هذا الفصل من الآيات والاخبار عدة مواضع وهذا الموضع مختص بالاخبار فلنذكرها دون الآيات أما الاول منها فقول النبى صلى الله عليه وسلم انكم ترون أهل الدرجات العلى فى الجنة كما ترون الكواكب فى أفق السماء وأما الخبر الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن فضلكم بسر وقر فى صدره وأما الخبر الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره وفيما أوردته من حل المعانى الشعرية وحل آيات القرآن والاخبار النبوية طريق واضح لمن يقوى على سلوكه والله الموفق للصواب

﴿المقالة الاولى فى الصناعة اللفظية﴾

وهى تنقسم قسمين ﴿القسم الاول فى اللفظة المفردة﴾ اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة فى تأليفه الى ثلاثة أشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم الثانى نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجىء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم فى اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذى يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة فى العنق وتارة يجعل شنفا فى الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشياء لا بد للخطيب والشاعر من العناية بها وهى الاصل المعتمد عليه فى تأليف الكلام من النظم والنثر فالاول والثانى من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هى المراد بالبلاغة وهذا الموضع يضل فى سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر فكيف الجهال الذين لم تنفحهم رائحة ومن الذى يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار حتى ينظر الى أسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها فى مواضعها ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن فى الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة الا أنه لا يحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما فى مواضع السبك وهذا لا يدركه الا من دق فهمه وجل نظره فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقوله تعالى رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فاستعمل الجوف فى الاولى والبطن فى الثانية ولم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء فى الدلالة وهما ثلاثيتان فى عدد واحد ووزنهما واحد أيضا فانظر الى سبك الالفاظ كيف تفعل ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالقلب والفؤاد سواء فى الدلالة وان كانا مختلفين فى الوزن ولم يستعمل فى القرآن أحدهما فى موضع الآخر وعلى هذا ورد قول الاعرج من أبيات الحماسة

عند العرب قال الكيسائى من قال ألالك فواحده ذاك ومن قال أولئك فواحده ذلك (الكمأة) واحدها كمؤ

﴿باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه﴾

(الدخان) جمعه دواخن وكذلك (العثان) جمعه عواثن ولا يعرف لهما نظير والعثان الغبار (امرأة نفساء) وجمعها نفاس وناقة (عشراء) وجمعها عشار وجمع (رؤيا) رؤى (والدنيا) دنى مثل الكبرى والصغرى تقول الكبر والصغر وكذلك (الجلى) وهو الامر العظيم جمعها جلل (الكروان) جمعه كروان (المرآة) جمعها مرائى (اللأمة) الدرع جمعها لؤم على مثال فعل على غير قياس كأنه جمع لؤمة (والحدأة) الطائر جمعها حدأ وحدآن (البلصوص) طائر وجمعه البلنصى على غير قياس (الحظ) جمعه حظوظ وأحظ على القياس واحظ وأحاظ على غير قياس (طست) والجمع طساس بالسين لان أصلها السين فابدلوا من احدى السينين تاء استثقالا لاجتماعهما فى آخر الكلمة فاذا جمعت فرقت بينهما بالالف فرددت السين ومثلها ست أصلها سدس وذلك انك تقول فى تصغيرها سديسة وتقول طسيس وطسيسة اذا انثت (وتقول) فى جمع الايام سبت وسبوت وأسبت وأحد وآحاد والاثنان لا يثنى ولا يجمع لانه مثنى فان أحببت ان تجمعه كانه لفظ مبنى للواحد قلت اثانين وثلاثاء وثلاثاوات وأربعاء وأربعاوات وخميس وأخمساء

نحن بنو الموت اذا الموت نزل * لا عار بالموت اذا حم الاجل
* الموت أحلى عندنا من العسل *

﴿وقال أبو الطيب المتنبي﴾

اذا بي مشت خفت على كل سابح * رجال كأن الموت في فمها شهد

فها تان لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يشك في حسنه واستعماله وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لانها أحسن منها ومع هذا فان لفظة الشهد وردت في بيت أبي الطيب فجاءت أحسن من لفظة العسل في بيت الاعرج وكثيرا ما نجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المفلقين وغيرهم ومن بلغاء الكتاب ومصاقع الخطباء وتحته دقائق ورموز اذا علمت وقيس عليها أشباهها ونظائرها كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الالفاظ ووضعها في مواضعها اللائقة بها واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الالفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب أعسر وأشق ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين أنك لم تجد ما وجدته لهذه الالفاظ من المزية الظاهرة الا لامر يرجع الى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة وكذلك الى آخرها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها او أفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن ما لبسته في موضعها من الآية ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلام ثم تراها في كلام آخر فتكرهها فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ولا عرف أسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها وسأضرب لك مثالا يشهد بصحة ما ذكرته وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين أما الآية فهي قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي

تلذ له المروأة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذ له الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذي قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية فأنصف أيها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته وهذا موضع غامض يحتاج الى فضل فكرة وامعان نظر وما تعرض للتنبيه عليه أحد قبلي وهذه اللفظة التي هي تؤذي اذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة ألا ترى أنه قال تلذ له المروأة وهي تؤذي ثم قال ومن يعشق يلذ له الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف اليها كاف الخطاب فأزال ما بها من الضعف والركة وذاك انه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام ورقاه فقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك فانظر الى السر في استعمال اللفظة الواحدة فانه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد أصلحها

والخمسة وجمعة وجمعات وجمع (وتقول) في جمع الشهور هو المحرم والمحرمات وصفر واصفار وشهر ربيع وشهور ربيع وكذلك شهر رمضان وشهور رمضان ورجب وأرجاب فان أفردت قلت أربعاء وأربعة ورمضانات وجماديات وشعبانات وشوال وشوالات وشواويل وذوات القعدة وذوات الحجة (وربيع) الكلا يجمع أربعة وربيع الجدول أربعاء (والسماء) اذا كان مطرا جمع سميا واذا كان السماء نفسها جمع سموات

﴿معرفة في الخيل وما يستحب في خلقها﴾

يستحب في الاذن الدقة والانتصاب (ويكره) فيها الخذا وهو استرخاؤهما قال الشاعر

يخرجن من مستطير النقع دامية
كأن آذانها أطراف أقلام

(ويستحب) في الناصية السبوغ (ويكره) فيها السفا وهو خفة الناصية وقصرها قال عبيد

مضبر خلقها تضبيرا
ينشق عن وجهها السبيب

وهو شعر الناصية (وقال سلامة ابن جندل)

ليس بأقنى ولا أسفى ولا سغل
يعطى دواء قفي السكن مربوب

(والسفاء) في البغال والحمير محمود (قال الشاعر)

جاءت به معتجرا ببرده
سفواء تردي بنسيج وحده

قال ابن كيسان سفواء ههنا السريعة يعني بغلة (ويكره) أيضا من النواصي الغماء وهي المفرطة في كثرة الشعر (والمحمود) منها

وحسنها ومن ههنا تزاد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت أنى ملاق حسابيه ثم قال ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه فان الاصل فى هذه الالفاظ كتابى وحسابى ومالى وسلطانى فلما أضيفت الهاء اليها وتسمى هاء السكت أضافت اليها حسنا زائدا على حسنها وكسبتها الطافة ولباقة وكذلك ورد فى القرآن الكريم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فلفظة لى أيضا مثل لفظة يؤذى وقد جاءت فى الآية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة لا تجىء لائقة كقول أبى الطيب أيضا

تمسى الامانى صرعى دون مبلغه * فما يقول لشىء ليت ذلك لى

وربما وقع بعض الجهال فى هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقول أبى الطيب

ما أجدر الايام والليالى * بان تقول ماله ومالى

فان لفظة لى ههنا قد وردت بعد ما وقبلها ماله ثم قال ومالى فجاء الكلام على نسق واحد ولو جاءت لفظة لى ههنا كما جاءت فى البيت الاول لكانت منقطعة عن النظر والشبيه فكان يعلوها الضعف والركة وبين ورودها ههنا وورودها فى البيت الاول فرق يحكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة أخرى قد وردت فى آية من القرآن الكريم وفى بيت من شعر الفرزدق فجاءت فى القرآن حسنة وفى البيت الشعرى غير حسنة وتلك اللفظة هى لفظة القمل أما الآية فقوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وأما البيت الشعرى فقول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده * زربا كأنهم لديه القمل

وانما حسنت هذه اللفظة فى الآية دون هذا البيت من الشعر لأنها جاءت فى الآية مندرجة فى ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها وجاءت فى الشعر قافية أى آخرا انقطع الكلام عندها واذا نظرنا الى حكمة أسرار الفصاحة فى القرآن الكريم غصنا منه فى بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الآية المشار اليها فانها قد تضمنت خمسة ألفاظ هى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأحسن هذه الالفاظ الخمسة هى الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة بجملتها قدم منها لفظة الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخرا وجعلت لفظة القمل والضفادع فى الوسط ليطرق السمع أولا الحسن من الالفاظ الخمسة وينتهى اليه آخرا ثم ان لفظة الدم أحسن من لفظتى الطوفان والجراد وأخف فى الاستعمال ومن أجل ذلك جىء بها آخرا ومراعاة مثل هذه الاسرار والدقائق فى استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية (وقد ذكر) من تقدمنى من علماء البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيآت تتصف بها واختلفوا فى ذلك واستحسن أحدهم شيأ فخولف فيه وكذلك استقبح الآخر شيأ فخولف فيه ولو حققوا النظر ووقفوا على السر فى اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف فى شىء منها وقد أشرت الى ذلك فى الفصل الثامن من مقدمة كتابى هذا الذى يشتمل على ذكر الفصاحة وفى الوقوف عليه والاحاطة به غنى عن غيره لكن لا بد أن نذكر ههنا تفصيلا لما أجملناه هناك لانا ذكرنا فى ذلك الفصل أن الالفاظ داخلة فى حيز الاصوات لانها مركبة من مخارج الحروف فما استلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح واذا ثبت ذلك فلا حاجة الى ما ذكر من تلك الخصائص والهيآت التى أوردها علماء البيان فى كتبهم لانه اذا كان اللفظ لذيذا فى السمع كان حسنا واذا كان حسنا

المعتدلة وهى الجثلة (ويستحب) فى الخد الاسالة والملاسة والرقة وذلك من علامات العتق والكرم (ويستحب) فى الجبهة السعة ولذلك قال امرؤ القيس

لها جبهة كسراة المجن

حذفه الصانع المقتدر

والمجن الترس (ويستحب) فى العين السمو والحدة قال أبو دواد

طويل طامح الطر

ف الى مفزعة الكلاب

حديد الطرف والمنـ

ـكب والعرقوب والقلب

وهم يصفونها بالقلب والشوس والخوص وليس ذلك عيبا فيها ولا هو خلقة انما تفعله لعزة (قالت الخنساء)

ولما ان رأيت الخيل قبلا

تبارى بالخدود شبا العوالى

(ويستحب) فى المنخر السعة لانه اذا ضاق شق عليه النفس فكتم الربو فى جوفه فيقال له عند ذلك قد كبا الفرس وهو فرس كاب وربما شق منخره قال امرؤ القيس

لها منخر كوجار الضبا

ع فمنه تريح اذا تنبهر

(وقال آخر)

لها منخر مثل جيب القميص

(ويستحب) فى الافواه الهرت قال الشاعر

هريت قصير عذار اللجا

م أسيل طويل عذار الرسن

لم يرد بقوله قصير عذار اللجام انه قصير الخد وكيف يريد ذلك وهو يقول أسيل طويل عذار الرسن ولكنه أراد انه هريت وان مشق شدقيه من الجانبين مستطيل فقد قصر عذار لجامه ثم قال طويل

دخلت تلك الخصائص والهيآت فى ضمن حسنه ﴿وقد رأيت﴾ جماعة من الجهال اذا قيل لأحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال كل الالفاظ حسن والواضع لم يضع الا حسنا ومن يبلغ جهله الى أن لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل وبين لفظة الاسد ولفظة الفدوكس فلا ينبغى أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب بجواب بل يترك وشأنه كما قيل اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجعر فى رحله وما مثاله فى هذا المقام الا كمن يسوّى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه زبيبة وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنما نظم من اقاح وطرة كأنها ليل على صباح فاذا كان بانسان من سقم النظر أن يسوّى بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر ان يسوّى بين هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع فى هذا المقام فان هذا حاسة وهذا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فان عاند معاند فى هذا وقال أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الاشياء وقد يعشق الانسان صورة الزنجية التى ذممتها ويفضلها على صورة الرومية التى وصفتها قلت فى الجواب نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم على الكثير الغالب وكذلك اذا رأينا شخصا يحب أكل الفحم مثلا أو أكل الجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الاطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج ومداواة ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ فى الاذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار وصوتا منكرا كصوت حمار وأن لها فى الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهى على ذلك تجرى مجرى النغمات والطعوم ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول القائل الذى غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن فى زماننا هذا هو الذى كان عند العرب مستحسنا والذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مستقبحا والاستعمال ليس بدليل على الحسن فانا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الاحوال وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة فى صوغ الالفاظ واختيارها فانه معذور فى أن يقول ما قال

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

ومع هذا فان قول القائل بان العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل فان استحسان الالفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شئ ليس للتقليد فيه مجال وانما هو شئ له خصائص وهيآت وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبحه وقد تقدم الكلام على ذلك فى باب الفصاحة والبلاغة وأما الذى نقلد العرب فيه من الالفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها والاخذ بأقوالها فى الاوضاع النحوية فى رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وجزم الشرط وأشباه ذلك وما عداه فلا وحسن الالفاظ وقبحها ليس اضافيا الى زيد دون عمرو أو الى عمرو دون زيد لانه وصف ذوقى لا يتغير بالاضافة ألا ترى أن لفظة المزنة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جرا لا يختلف أحد فى حسنها وكذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس

عذار الرسن لان الرسن لا يدخل فى فيه شئ منه كما يدخل فاس اللجام فعذار رسنه طويل لطول خده وقال أبو دواد

وهى شوهاء كالجوالق فوها
مستجاف يضل فيه الشكيم

الشكيم فاس اللجام وقال طفيل الغنوى

كان على أعطافه ثوب مائح
وان يلق كلب بين لحييه يذهب

(ويستحب) فى العنق الطول واللين (ويكره) فيها القصر والجساة قال الشاعر

ملاعبة العنان بغصن بان
الى كتفين كالقتب الشميم

وقد فرق سلمان بن ربيعة بين العتاق والهجن بالاعناق فدعا بطست من ماء فوضعت بالارض ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا فما ثنى سنبكه ثم شرب هجنه وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا وذلك لان فى أعناق الهجن قصرا لا تنال الماء على تلك الحالة حتى تثنى سنابكها (ويستحب) ارتفاع الكتفين والحارك والكاهل قال الضبى

وكاهل أفرع فيه مع الا
فراغ اشراف وتقبيب

والمفرغ المشرف (ويستحب) من الفرس أن يشتد مركب عنقه فى كاهله لانه يتساند اليه اذا حضر ويشتد حقوا لانهما معاق وركيه ورجليه فى صلبه (ويستحب) عرض الصدر قال أبو النجم

* منتفخ الجوف عريض كلكله *

والكلكل الصدر فأما الجؤجؤ والزور فهما شئ واحد فيستحب فيهما الضيق قال عبد الله ابن

كافة من العرب وغيرهم فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخرجا لها عن القبح ولا يلتفت اذن الى استعمالهم اياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها وقد ذكر ابن سنان الخفاجى ما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف وقسمها الى عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف وأن تكون الكلمة جارية على العرف العربى غير شاذة وأن تكون مصغرة فى موضع يعبر به عن شئ لطيف أو خفى أو ما جرى مجراه وأن لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من الاوصاف وفى الذى ذكره ما لا حاجة اليه أما تباعد المخارج فان معظم اللغة العربية دائر عليه لان الواضع قسمها فى وضعه ثلاثة أقسام ثلاثيا ورباعيا وخماسيا والثلاثى من الالفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا الشاذ النادر وأما الرباعى فانه وسط بين الثلاثى والخماسى فى الكثرة عددا واستعمالا وأما الخماسى فانه الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر وعلى هذا التقدير فان أكثر اللغة مستعمل على غير مكروه ولا تقتضى حكمة هذه اللغة الشريفة التى هى سيدة اللغات الا ذلك ولهذا أسقط الواضع حروفا كثيرة فى تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاء والسين وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج دون المتقارب ومن العجب أنه كان يخل بمثل هذا الاصل الكلى فى تحسين اللغة وقد اعتنى بأمور أخر جزئية كمماثلته بين حركات الفعل فى الوجود وبين حركات المصدر فى النطق كالغليان والضربان والنقدان والنزوان وغير ذلك مما جرى مجراه فان حروفه جميعها متحركات وليس فيها حرف ساكن وهى مماثلة لحركات الفعل فى الوجود ومن نظر فى حكمة وضع هذه اللغة الى هذه الدقائق التى هى كالاطراف والحواشى فكيف كان يخل بالاصل المعول عليه فى تأليف الحروف بعضها الى بعض على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هى متباعدة أو متقاربة لطال الخطب فى ذلك وعسر ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ولا الكاتب ينشئ كتابا الا فى مدة طويلة تمضى عليها أيام وليال ذوات عدد كثير ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هى الحاكمة فى هذا المقام بحسن ما يحسن من الالفاظ وقبح ما يقبح وسأضرب لك فى هذا مثالا فأقول اذا سئلت عن لفظة من الالفاظ وقيل لك ما تقول فى هذه اللفظة أحسنة هى أم قبيحة فانى لا أراك عند ذلك الا تفتى بحسنها أو قبحها على الفور ولو كنت لا تفتى بذلك حتى تقول للسائل اصبر الى أن اعتبر مخارج حروفها ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ما ذهب اليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطا فى اختيار الالفاظ وانما شذ عنه الاصل فى ذلك وهو أن الحسن من الالفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع الى حاسة السمع فاذا استحسنت لفظا أو استقبحته وجد ما تستحسنه متباعد المخارج وما تستقبحه متقارب المخارج واستحسانها واستقباحها انما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده على أن هذه قاعدة قد شذ عنها شواذ كثيرة لانه قد يجئ فى المتقارب المخارج ما هو حسن رائق ألا ترى أن الجيم والشين والياء مخارج متقاربة وهى من وسط اللسان بينه وبين الحنك وتسمى ثلاثتها الشجرية واذا تركب منها شئ من الالفاظ جاء حسنا رائقا فان قيل جيش كانت لفظة محمودة أو قدمت الشين على الجيم فقيل شجى كانت أيضا لفظة محمودة ومما هو أقرب مخرجا من ذلك الباء والميم والفاء وثلاثتها من الشفة وتسمى الشفهية فاذا انتظم منها شئ من

سليمة الغامدى

متقارب الثفنات ضيق زوره

رحب اللبان شديد طى ضريس

قال يراد انه طوى كما طويت البئر بالحجارة والضرس جودة الطى فوصفه كما ترى بضيق الزور وسعة اللبان وفرق بينهما ويقال ان الفرس اذا دق جؤجؤه وتقارب من قفاه كان أجود بجريه ويوصف أيضا بارتفاع اللبان ويحمد ذلك فيه (ويكره الدنن) وهو تطامن الصدر ودنوه من الارض وهذا أسوأ العيوب (ويستحب) عظم جبينه وجوفه وانطواء كشحه ولذلك قال الجعدى

خيط على زفرة فتم ولم

يرجع الى دقة ولا هضم

يقول كأنه زافر أبدا من عظم جوفه فكأنه زفر فخيط على ذلك (والهضم) انضمام أعالى الضلوع يقال فرس أهضم وهو عيب قال الاصمعى ولم يسبق الحلبة فرس أهضم قط وانما الفرس بعنقه وبطنه (ويستحب) اشراف القطاة وهى مقعد الردف (ويكره) تطامنها ولذلك قال امرؤ القيس

* كأن مكان الردف منه على رال *

والرأل فرخ النعامة وهو مشرف ذلك الموضع (ويستحب) فى الخيل أن ترفع أذنابها فى العدو ويقال ذلك من شدة الصلب قال النمر بن تولب

جموم الشد شائلة الذنابى

تخال بياض غرتها سراجا

(ويستحب) طول الذنب ولذلك قال امرؤ القيس

لها ذنب مثل ذيل العروس

تسد به فرجها من دبر

الالفاظ كان جميلا حسنا كقولنا فم فهذه اللفظة من حرفين هما الفاء والميم وكقولنا ذقته بفمى وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجملتها وكلاهما حسن لا عيب فيه (وقد ورد) من المتباعد المخارج شئ قبيح أيضا ولو كان التباعد سببا للحسن لما كان سببا للقبح اذ هما ضدان لا يجتمعان (فمن ذلك) أنه يقال ملع اذا عدا فالميم من الشفة والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة (وههنا نكتة غريبة) وهو أنا اذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد على حسنها وما ندرى كيف صار القبح حسنا لانه لم يتغير من مخارجها شئ وذلك أن اللام لم تزل وسطا والميم والعين يكتنفانها من جانبيها ولو كان مخارج الحروف معتبرا فى الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة فى ملع وعلم (فان قيل) ان اخراج الحروف من الحلق الى الشفة أيسر من ادخالها من الشفة الى الحلق فان ذلك انحدار وهذا صعود والانحدار أسهل (فالجواب) عن ذلك أنى أقول لو استمر لك هذا لصح ماذهبت اليه لكنا نرى من الالفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفة الى الحلق أو من وسط اللسان أو من آخره الى الحلق لا يتغير كقولنا غلب فان الغين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان والباء من الشفة واذا عكسنا ذلك صار بلغ وكلاهما حسن مليح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الاناة واذا عكسنا هذه الكلمة صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما أيضا حسن مليح وكذلك تقول عقر ورقع وعرف وفرع وحلف وفلح وقلم وملق وكلم وملك ولو شئت لأوردت من ذلك شيأ كثيرا تضيق عنه هذه الاوراق ولو كان ماذكرته مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبحا وليس الامر كذلك وأما ماذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربى فليس ذلك مما يوجب لها حسنا ولا قبحا وانما يقدح فى معرفة مستعملها بما ينقله من الالفاظ فكيف يعد ذلك من جملة الاوصاف الحسنة وأما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شئ لطيف أو خفى أو ما جرى مجراه فهذا مما لا حاجة الى ذكره فان المعنى يسوق اليه وليست معانى التصغير من الاشياء الغامضة التى يفتقر الى التنبيه عليها فانها مدونة فى كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب من أبوابه ومع هذا فان صاحب هذه الصناعة مخير فى ذلك ان شاء أن يورده بلفظ التصغير وان شاء بمعناه كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو لبد

فهل كان يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ويحقر من شأنهم بألفاظ التصغير ويجىء هكذا كما جاء بيته هذا فالوصية به اذن ملغاة لا حاجة اليها (وأما الاوصاف الباقية التى ذكرت فهى التى ينبغى أن ينبه عليها) فمنها أن لا تكون الكلمة وحشية وقد خفى الوحشى على جماعة من المنتمين الى صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الالفاظ وليس كذلك بل الوحشى ينقسم قسمين أحدهما غريب حسن والآخر غريب قبيح وذلك أنه منسوب الى اسم الوحش الذى يسكن القفار وليس بأنيس وكذلك الالفاظ التى لم تكن مأنوسة الاستعمال وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحا بل أن يكون نافرا لا يألف الانس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا وعلى هذا فان أحد قسمى الوحشى وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات وأما القسم الآخر من الوحشى الذى هو قبيح فان الناس فى استقباحه سواء ولا يختلف فيه عربى بادولا قروى متحضر وأحسن الالفاظ ما كان مألوفا متداولا لانه لم يكن مألوفا متدا ولا الا لمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك فى باب الفصاحة

لم يرد بالفرج ههنا الرحم وانما أراد ما بين رجليها تسده بذنبها (وقالوا) فى صفة الفرس ذيال يراد انه طويل الذنب فان كان الفرس قصيرا وذنبه طويلا قالوا ذائل والانثى ذائلة أوذيال الذنب فيذكرون الذنب (ويستحب) قصر العسيب قال أبو محمد بن قتيبة قال لى اعرابى اختره طويل الذنب قصير الذنب يريد طول الشعر وقصر العسيب (ويستحب) فى الفرس شنج النسا والنسا عرق مستبطن الفخذين حتى يصير الى الحافر فاذا هزلت الدابة ماجت فخذاه نخفى واذا سمنت انفلقت فخذاه فجرى بينهما واستبان كأنه حية واذا قصر كان أشد لرجله قال الشاعر بشنج موتر الانساء واذا كان فيه توتير فهو أسرع لقبض رجليه وبسطهما غير انه لا يسمح بالمشى ومن الحيوان ضروب توصف بشنج النسا وهى لا تسمح بالمشى منها الظبى قال أبو دواد

وقصرى شنج الانسا

ء نباح من الشعب

(ومنها) الذئب وهو أقزل واذا طرد فكأنه يتوجى (ومنها) الغراب وهو يحجل كأنه مقيد قال الطرماح

شنج النسا حرق الجناح كأنه

فى الدار أثر الظاعنين مقيد

فكان شنج النسا يستحب فى العتاق خاصة ولا يستحب فى الهماليج (ويستحب) فى الكفل الاملاس والاستواء (ويكره) فيها الفرق وهو اشراف احدى الوركين على الاخرى ولذلك قال ابن

فان أرباب الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضا يتفاوت فى درجات حسنه فالالفاظ اذن تنقسم ثلاثة أقسام قسمان حسنان وقسم قبيح فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الاول والآخر من الزمن القديم الى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشى والآخر ما تداول استعماله الاول دون الآخر ويختلف فى استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله وهذا هو الذى لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشى وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهى التى يطلق عليها غريب القرآن وكذلك تضمن الحديث النبوى منه شيأ وهو الذى يطلق عليه غريب الحديث (وحضر عندى فى بعض الايام رجل متفلسف) فجرى ذكر القرآن الكريم فأخذت فى وصفه وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأى فصاحة هناك وهو يقول تلك اذا قسمة ضيزى فهل فى لفظة ضيزى من الحسن ما يوصف فقلت له اعلم أن لاستعمال الالفاظ أسرار الم تقف عليها أنت ولا أعنتك مثل ابن سينا والفارابى ولا من أضلهم مثل ارسطاليس وافلاطون وهذه اللفظة التى أنكرتها فى القرآن وهى لفظة ضيزى فانها فى موضعها لا يسد غيرها مسدها ألا ترى أن السورة كلها التى هى سورة النجم مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى آخر السورة فلما ذكر الاصنام وقسمة الاولاد وما كان يزعمه الكفار قال ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذى جاءت السورة جميعها عليه وغيرها لا يسد مسدها فى مكانها واذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا ان غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها فى هذا الموضع لا ترد ملائمة لاخواتها ولا مناسبة لانها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول اذا جئنا بلفظة فى معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى الا انا اذا نظمنا الكلام فقلنا ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الاول وصار الكلام كالشئ المعوز الذى يحتاج الى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه فى فمه اخاما ولم يكن عنده فى ذلك شئ سوى العناد الذى مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيا ويقولون ما يقولونه جهلا واذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم * وحيث انتهى القول الى ههنا فانى أرجع الى ما كنت بصدد ذكره فأقول وأما القبيح من الالفاظ الذى يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشى الغليظ وسيأتى ذكره واذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذى هو أفصح الكلام وجدناه سهلا سلسا وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا هذا وقد أنزل فى زمن العرب العرباء وألفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقربها استعمالا وكفى به قدوة فى هذا الباب قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى يريد بذلك فاتحة الكتاب واذا نظرنا الى ما اشتملت عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب وعوام السوقة وان لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة فان أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن الالفاظ المستعملة فى سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بألفاظ القرآن يكتفى بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة وأما ما ورد من اللفظ الوحشى فى الاخبار النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن أبى زهير النهدى وذلك أنه لما قدمت وفود العرب على النبى

صلى

الشعراء
لها كفل كصفاة المسيل

لها كفل مثل متن الطراف
والطراف القبة من أدم قال
الشاعر

وأحمر كالديباج أما سماؤه
فريا وأما أرضه فمحول
سماؤه أعاليه وأرضه قوائمه
(ويستحب) قصر ساقيه ولذلك
قال أبو دواد

لها ساقا ظليم خاضب فوجئ بالرعب
(وقال آخر)
* لها متن عير وساقا ظليم *

(ويستحب) مع ذلك أن يكون
ما فوق الساقين من فخذيه طويلا
فيوصف حينئذ بطول القوائم
قال الشاعر

شرحب سلهب كأن رماحا
حملته وفى السراة دموج

(ويستحب) أن يكون فى رجليه
انحناء وتوتير وهو التجنيب فان
كان فى اليدين والصلب فهو
التحنيب بالحاء غير معجمة هذا
قول الاصمعى قال أبو دواد

وفى اليدين اذا ما الماء أسهله
ثنى قليل وفى الرجلين تجنيب
(وقال العمانى)
* ترى له عظم وظيف أحدبا *

(ويستحب) فى العرقوب التحديد
والتأنيف وهو الذى حدد طرفه
(ويكره) منها الادرم والاقمع وقد
بيناه هذا فى باب العيوب (ويستحب)
أن تكون الارساغ غلاظا يابسة
قال الجعدى

كأن تماثيل ارساغه
رقاب وعول على مشرب

(ويستحب) أن تكون ثنته تامة
سود الثنة (ويكره) المعر فيها قال

صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي زهير فقال أتيناك يا رسول الله من غوري تهامة على أكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام في أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الأملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والفتن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتنا سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة (وكتب) معه كتابا الى بني نهد من محمد رسول الله الى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يؤكل أكلكم ما لم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد في كلامه الا جوابا لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على أنه قد كان في زمنه متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا يسيرا لانه أعلم بالفصيح والافصح وهذا الكلام هو الذي نعده نحن في زماننا وحشيا لعدم الاستعمال فلا تظن أن الوحشي من الالفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وانما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان أحدهما أنه غريب الاستعمال والآخر أنه ثقيل على السمع كريه على الذوق واذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله الا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلا (فان قيل) فما هذا النوع من الالفاظ (قلت) قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وسأضرب لك في ذلك مثالا فمنه ما ورد لتأبط شرا في كتاب الحماسة

يظل بموماة ويمسي بغيرها * جحيشا ويعروري ظهور المسالك

فان لفظة جحيش من الالفاظ المنكرة القبيحة ويا لله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه فتأبط شرا ملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه وعما هو أقبح منها ما ورد لأبي تمام قوله

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت * عشواء تالية غبسا دهاريسا

فلفظة اطلخم من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس أيضا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسا من جملتها

نعم متاع الدنيا حباك به * أروع لا جيدر ولا جبس

فلفظة جيدر غليظة وأغلظ منها قول أبي الطيب المتنبي

لها ثنن كخوافي العقاب

سود يفين اذا تزبئر

تزبئر تنتفش (ويفين) أي يكثرن يقال قد وفى شعره اذا كثر وقال بعضهم

يفئن يرجعن الى مواضعهن

أي هي لينة (ويستحب) قصر الرسغ اذا لم يكن معه انتصاب واقبال على الحافر فاذا كان منتصبا مقبلا على الحافر فهو أقفد والقفد عيب قال أبو عبيدة والقفد لا يكون الا في الرجل (ويستحب) أن تكون الحوافر صلابا غير نقدة والنقدان تراها تقشر وتكون سودا أو خضرا لا بيض منها شيء لان البياض فيها رقة وتكون نسورها صلابا وفيها تقعب مع سعة قال عوف بن عطية بن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليد

يتخذ الفار فيه مغارا

(وقال آخر)

بكل وأب للحصا رضاح

ليس بمصطر ولا فرشاح

والوأب المقعب والمصطر الضيق والفرشاح المنبطح

﴿عيوب الخيل﴾

الخذا في الاذن استرخاء أصول الاذنين على الخدين (والسعف) بياض يعلو الناصية (والقنا) احديداب في الانف وذلك يكون في الهجن (والسفا) خفة الناصية وهو مذموم في الخيل ومحمود في البغال (والغمم) ان تغطي الناصية عينيه (والاقراب) ابيضاض الاشفار مع الزرق والقصير في العنق (والجساة)

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الاغر دلائل

فان لفظة جفخ مرة الطعم واذا مرت على السمع اقشعر منها وأبو الطيب فى استعمالها كاستعمال تأبط شرا لفظة جحيش فان تأبط شرا كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أشرنا اليه فيما تقدم وكذلك أبو الطيب فى استعمال هذه اللفظة التى هى جفخت فان معناها فخرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان اذا فخر ولو استعمل عوضا عن جفخت فخرت لاستقام وزن البيت وحظى فى استعماله بالاحسن وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذى ذكرته وما يجرى مجراه من الالفاظ هو الوحشى اللفظ الغليظ الذى ليس له ما يدانيه فى قبحه وكراهته وهذه الامثلة دليل على ما أوردناه والعرب اذن لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ وانما تلام على الغريب القبيح وأما الحضرى فانه يلام على استعمال القسمين معا وهو فى أحدهما أشد ملامة من الآخر على أن هذا الموضع يحتاج الى قيد آخر وذلك شئ استخرجته أنا دون غيرى فانى وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله فى الشعر ولا يسوغ فى الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهى الى ما أوردته من الامثلة وربما أنكره بعد ذلك اما عنادا واما جهلا لعدم الذوق السليم عنده (فمن ذلك) قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجة * اذا سبرت ظلت جوانبها تغلى

شرنبثة شمطاء من يرمى بها * يشبه ولو بين الخماسى والطفل

فقوله شرنبثة من الالفاظ الغريبة التى يسوغ استعمالها فى الشعر وهى ههنا غير مستكرهة الا أنها لو وردت فى كلام منثور من كتاب أو خطبة لعيبت على مستعملها وكذلك وردت لفظة مشمخر فان بشرا قد استعملها فى أبياته التى يصف فيها لقاءه الاسد فقال

وأطلقت المهند عن يمينى * فقدله من الاضلاع عشرا

فخر مضرجا بدم كأنى * هدمت به بناء مشمخرا

وعلى هذا ورد قول البحترى فى قصيدته التى يصف فيها ايوان كسرى فقال

مشمخر تعلو له شرفات * رفعت فى رؤس رضوى وقدس

فان لفظة مشمخر لا يحسن استعمالها فى الخطب والمكاتبات ولا بأس بها ههنا فى الشعر وقد وردت فى خطب الشيخ الخطيب بن نباتة كقوله فى خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة فقال اقطر وبهالها واشمخر نكالها فماطابت ولا ساغت ومن هذا الاسلوب لفظة الكنهور فى وصف السحاب كقول أبى الطيب

ياليت باكية شجانى دمعها * نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

وترى الفضيلة لا ترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فلفظة الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك يجرى الامر فى لفظة العرمس وهى اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها فى الشعر ولا يعاب مستعملها كقول أبى الطيب أيضا

ومهمه جبته على قدمى * تعجز عنه العرامس الذلل

فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها ولو استعملت فى الكلام المنثور لما طابت ولا ساغت وقد جاءت موحدة فى شعر أبى تمام كقوله

هى العرمس الوجناء وابن ملمة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد قوله أيضا * ياموضع الشدنية الوجناء * فان الشدنية لا تعاب شعرا وتعاب لو وردت فى كتاب أو خطبة وهكذا يجرى الحكم فى أمثال هذه الالفاظ المشار اليها وعلى هذا

يبس المعطف (والكتف) انفراج يكون فى غراضيف أعالى كتفى الفرس مما يلى الكاهل (والدنن) طمأنينة فى أصل العنق يقال فرس أدن فاذا اطمأنت من وسطها فذلك الهنع يقال عنق هنعاء (والزور) فى الصدر دخول احدى الفهدتين وخروج الاخرى (والهضم) استقامة الضلوع ودخول أعاليها يقال فرس أهضم (والاخطاف) لحوق ما خلف المحزم من بطنه يقال فرس مخطف (والصقل) من الخيل الطويل الصقلة وهى الطفطفة يقال قلما طالت صقلة فرس الا قصر جنباه وذلك عيب (والثجل) خروج الخاصرة ورقة فى الصفاق يقال فرس أثجل (والقعس) ان يطمئن الصلب من الصهرة وترتفع القطاة فان اطمأنت القطاة والصلب فذلك البزخ (والفرق) اشراف احدى الوركين على الاخرى يقال أقعس وأبزخ وأفرق والعصل التواء عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لا شعر عليه (والكشف) أكثر من ذلك (والعزل) أن يعزل ذنبه فى احدى الجانبين وذلك عادة لا خلقة (والصبع) بياض الذنب (والشعل) ان يبيض عرضه وذلك عيب (والفحج) تباعد ما بين الكعبين والصكك اصطكاك الكعبين (والحلل) رخاوتهما (والبدد) بعد ما بين اليدين (والقفد) انتصاب الرسغ واقباله على الحافر ولا يكون القفد الا فى الرجل (والصدف) تدانى الفخذين وتباعد الحافرين

فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله فى الكلام المنثور من الالفاظ يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم وليس كل ما يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم يسوغ استعماله فى الكلام المنثور وذلك شئ استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستى لهذا الفن ولان الذوق الذى عندى دلنى عليه فمن شاء فليقلدنى فيه والافليدمن النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه والاذهان فى مثل هذا المقام تتفاوت (وقد رأيت) جماعة من مدعى هذه الصناعة يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذى يعز فهمه ويبعد متناوله واذا رأوا كلاما وحشيا غامض الالفاظ يعجبون به ويصفونه بالفصاحة وهو بالضد من ذلك لان الفصاحة هى الظهور والبيان لا الغموض والخفاء وسأبين لك ما تعتمد عليه فى هذا الموضع (فأقول) الالفاظ تنقسم فى الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ولست أعنى بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعنى بالجزل أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام

ناعمات الاطراف لو أنها تلـ * ـبس أغنت عن الملاء الرقاق

وسأضرب لك مثالا للجزل من الالفاظ والرقيق فأقول انظر الى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيأ من ذلك وحشى الالفاظ ولا متوعرا ثم انظر الى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة والملاطفات فى خطاب الانبياء وخطاب المنيبين والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيأ من ذلك ضعيف الالفاظ ولا سفسفا (فمثال الاول) وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله وذكر النار والجنة وانظر هل فيها لفظة الا وهى سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة وكذلك ورد قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (وأما مثال الثانى) وهو الرقيق من الالفاظ فقوله تعالى فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى الى آخر السورة وكذلك قوله تعالى فى ترغيب المسئلة واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبيل القرآن الكريم فى كلا هذين الحالين من الجزالة والرقة وكذلك كلام العرب الاول فى الزمن القديم مما ورد عنهم نثرا ويكفى من ذلك كلام قبيصة

فى التواء من الرسغين (والتوجيه) نحو من ذلك الا انه أقل منه (والفدع) التواء الرسغ من عرضه الوحشى والقسط أن تكون رجلاه منتصبتين غير منحنيتين وذلك عيب يقال فرس أقسط فاذا كان فيهما انحناء وتوتير فذلك محمود فى الخيل وهو التجنيب قال الاصمعى التجنيب بالجيم فى الرجلين والتحنيب بالحاء فى الصلب واليدين (والقمع) فى العرقوب أن يعظم رأسه ولا يحد وذلك عيب (ومن العراقيب) أدرم وهو الذى عظمت ابرته أى طرفه فاذا احدت ابرته فهو محمود وهو المؤلف (والنقد) فى الحافر ان تراه كالمتقشر (والحافر) المصطر هو الضيق وذلك معيب (والاروح) الواسع وهو محمود (والشرج) متحرك الراء يقال يقال فرس أشرج وهو الذى له بيضة واحدة

﴿العيوب الحادثة فى الخيل﴾

الانتشار انتفاخ من العصب للاتعاب والعصبة التى تنتشر هى العجاية وتحرك الشظاة كانتشار العصب غير ان الفرس لانتشار العصب أشد احتمالا منه لتحرك الشظاة والشظاة عظم لاصق بالذراع فاذا تحرك قيل شظى الفرس (والدخس) ورم يكون فى أطرة حافره (والزوائد) أطراف عصب تفرق عند العجاية وتنقطع عندها أو تلتصق بها (والعرن) جسوء فى رسغ رجليه وموضع ثنتها الشئ يصيبه من الشقاق أو المشقة (والشقاق) يصيبه فى ارساغه وربما ارتفع الى أوظفته

ابن نعيم لما قدم على امرئ القيس فى أشياخ بنى أسد يسألونه العفو عن دم أبيه فقال له انك فى المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر ماتحدثه أيامه وتنتقل أحواله بحيث لاتحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من مجرب ولك من سودد منصبك وشرف اعراقك وكرم أصلك فى العرب محتد يحتمل ماحمل عليه من اقالة لعثرة ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح مايطول رغباتها او يستغرق طلباتها وقد كان الذى كان من الخطب الجليل الذى عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع كان لحجر ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى احدى خلال ثلاث اما ان اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقدناه اليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بباقى قصرته فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمته الا مكنته من الانتقام أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهى ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى أجفانها لم يرددها بتسليط الاحن على البرآء واما أن وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق الرايات قال فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفؤ لحجر فى دم وانى لن أعتاض جملا ولا ناقة فأكتسب به سبة الابد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها الاجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

اذا جالت الحرب فى مأزق * تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بلى ننصرف بأسوا الاختيار وابلى الاجترار بمكروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك أن تستوخم الوردان غدت * كتائبنا فى مأزق الحرب تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أستعذبه فرويدا ينفرج لك دجاها من فرسان كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا بى أولى اذ كنت نازلا بربعى (١) ولكنك قلت فأوجبت فقال امرؤ القيس هو ذاك * فلتنظر الى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرئ القيس حتى يدع المتعمقون تعمقهم فى استعمال الوحشى من الالفاظ فان هذا الكلام قد كان فى الزمن القديم قبل الاسلام بما شاء الله وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس بشئ وهذا المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وعلى ماتراه من السلاسة والعذوبة واذا تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشى من الالفاظ قليلا بالنسبة الى المسلسل فى الفم والسمع ألا ترى الى هذه الابيات الواردة للسموأل بن عاديا وهى

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وماضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

(١) قوله ولكنك قلت الخ كذا فى النسخ والظاهر ان يقول فقال قبيصة ولكنك الخ اه من هامش المطبوعة

وهو تشقق يصيبها (والجرذ) كل ماحدث فى عرقوبه من تزيد أو انتفاخ عصب ويكون فى عرض الكعب من ظاهر أو باطن (والسرطان) داء يأخذ فى الرسغ فييبس عروق الرسغ حتى يقلب حافره (والارتهاش) ان يصك بعرض حافره عرض عجايته من اليد الاخرى فربما أدماها وذلك لضعف يده (والمشش) شئ يشخص فى وظيفه حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح (والنملة) شق فى الحافر من ظاهره

﴿خلق الخيل﴾

قونس الناصية مافوق الناصية من منبتها بين الاذنين (والقذال) جماع مؤخر الرأس وهو معقد العذار خلف الناصية (والفائق) موصل العنق فى الرأس فاذا طال الفائق طال العنق (والعصفور) عظم ناتئ فى كل جبين (وقلت الصدغ) الوقب الذى أمام الصدغ (والنواهق) عظمان شاخصان فى وجهه أسفل من عينيه (والمرسن) موضع الرسن من الانف (والجحافل) ماتناول به العلف وفى الجحفلة قيد وهو الشعر الذى عليها (والمعرفة) اللحم الذى ينبت عليه العرف (والعرف) الشعر الذى على العنق والقصرة أصل العنق (والعلباوان) عصبتان بينهما العرف (واللبان) ماجرى عليه اللبب (والبلدة) ثغرة النحر وكل شئ من الظهر فيه فقار فذلك الصلب (والحارك) فروع الكتفين وهو أيضا الكاهل (والمنسج) أسفل من ذلك (والكاثبة) مقدم المنسج وفى

علونا الى خير الظهور وحطنا * لوقت الى خير البطون نزول
فنحن كماء المزن مافى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل غرب ومشرق * بها من قراع الدارعين فلول
معودة الا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

فاذا نظرنا الى ماتضمنته من الجزالة خلناها زبرا من الحديد وهى مع ذلك سهلة مستعذبة غير فظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب فى جانب الرقة من الاشعار مايكاد يذوب لرقته كقول عروة ابن أذينة

ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى * ماكان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

(وكذلك ورد قول الآخر)

أقول لصاحبى والعيس تهوى * بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
ألا ياحبذا نفحات نجد * وريا روضة غب القطار
وأهلك اذ يحل الحى نجدا * وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وماشعرنا * بأنصاف لهن ولا سرار
فاما ليلهن فخير ليل * وأطيب مايكون من النهار

ومما ترقص الاسماع له ويرن على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية فى محبوبته من جرم

بنفسى من لوم برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شئ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

واذا كان هذا قول ساكن فى الفلاة لايرى الا شيحة أو قيصومة ولا يأكل الا ضبا أو يربوعا فما بال قوم سكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشى الالفاظ وشظف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا اما جاهل بأسرار الفصاحة واما عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد ممن شدا شيأ من علم الادب يمكنه أن يأتى بالوحشى من الكلام وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها وأما الفصيح المتصف بصفة الملاحة فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين يضع يده فى تأليفه وسبكه فان مارى فى ذلك ممار فلينظر الى أشعار علماء الادب ممن كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ماذكرته هذا ابن دريد قد قيل انه أشعر علماء الادب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منحطا مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ماعلمه هذا العباس بن الاحنف قد كان من أوائل الشعراء المجيدين وشعره كمر نسيم على عذبات أغصان وكلؤلؤات طل على طرر ريحان وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج الى استخراجها من كتب اللغة فمن ذلك قوله

وانى ليرضينى قليل نوالكم * وان كان لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ماقد كان بينى وبينكم * من الود الا عدتم بجميل

وهكذا ورد قوله فى فوز التى كان يشبب بها فى شعره

الظهر (صرد) وهو بياض يكون من أثر الدبر (والصهوة) مقعد الفارس (والقطاة) مقعد الردف (والمعدان) فى أعاليهما موقع دفتى السرج من جنب الفرس (والجبتان) رأس الوركين فى أعاليهما (والحرقفتان) هما الجبتان (والموقفان) والحارقتان سواء وهما رؤس الفخذين فى الوركين (والجاعرتان) منه موضع الرقمتين من است الحمار (والعكوة) أصل الذنب وعظم الذنب وجلده العسيب (وشعره) هلبه (والبجان) بين أصل الخصية وقضيبه ومن الانثى بين ظبيتها وضرتها (والفهدتان) فى الزور لحمتان ناتئتان مثل الفهرين (ومحزمه) ماجرى عليه الحزام (والمركل) حيث تقع عقباء الفارس (وحصير) الجنب ماظهر من أعالى ضلوع الجنب والموقف والشاكلة (والقرب) والايطل والحقو كل ذلك قريب بعضه من بعض وهو الخاصرة ومايليها (والحالبان) عرقان مكتنفان السرة (والمنقب) قدام السرة حيث ينقب البيطار (والقنب) وعاء جردانه (والثغروران) مثل الحلمتين قدا كتنفا القنب من خارج (والصفن) جلدة البيضتين (والقرف) الذى تراه مرتفعا عن الغرمول قطعا كأنه سحاء الحالق البياض الذى فى وسط الغرمول (والضرة) لحم الضرع ولها أربعة أطباء وجلدة الضرع هى خيف (والاحاليل) ثقب يخرج منه الشخب ومن الذكر ماؤه وبوله (والخوران) مجرى الروث

يافوز يامنية عباس * قلبي يفدي قلبك القاسي
أسأت اذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
يقلقني شوقي فآتيكمو * والقلب مملوء من الياس

وهل أعذب من هذه الابيات وأعلق بالخاطر وأسرى في السمع ولمثلها تخف رواجح الاوزان وعلى مثلها تسهر الاجفان وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرهان ولم أجرها بلساني يوما من الايام الا ذكرت قول أبي الطيب المتنبي

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق

ومن الذي يستطيع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قريبة بعيدة وهذا أبو العتاهية كان في عزة الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذاك موجودون كثيرا وكانت مدائحه في المهدي بن المنصور واذا تأملت شعره وجدته كالماء الجاري رقة ألفاظ ولطافة سبك وليس بركيك ولا واه وكذلك ابو نواس وبهذا اقدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من فحول الشعراء ويكفي منهم مسلم بن الوليد الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير أنه كان يتعجرف في أكثر ألفاظه ويحكى أن أبا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال أجيزوه فأخذ أولئك الشعراء يترددون في اجازته واذا هم بأبي العتاهية فقال ماشأنكم مجتمعين فقالوا كيت وكيت وقد قال أبو نواس * عذب الماء وطابا فقال أبو العتاهية * حبذا الماء شرابا * فعجبوا لقوله على الفور من غير تلبث وكل شعر أبي العتاهية كذلك سهل الالفاظ وسأورد منه ههنا شيأ يستدل به على سلاسة طبعه وترويق خاطره (فمن ذلك) قصيدته التي يمدح فيها المهدي ويشبب فيها بجاريته عتب

ألا ما لسيدتي مالها * تدل فأحمل ادلالها
ألا ان جارية للاما * م قد سكن الحسن سربالها
لقد أتعب الله قلبي بها * وأتعب في اللوم عذالها
كأن بعيني في حيثما * سلكت من الارض تمثالها

فلما وصل الى المديح قال من جملته

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه (٢) نيات القلوب * لما قبل الله أعمالها

ويحكى أن بشارا كان شاهدا عند انشاد أبي العتاهية هذه الابيات فلما سمع المديح قال انظروا الى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته سواء كان في مديح أو غيره وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ من هناك (واعلم) أن هذه الابيات المشار اليها ههنا من رقيق الشعر غزلا ومديحا وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراه يطمعك ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي أن يكون من خاض في كتابة أو شعر فان خير الكلام ما دخل الاذن بغير اذن (وأما) البداوة والعنجهية في الالفاظ فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد دخلت وكانت في زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن

(٢) قوله نيات بتخفيف الياء محافظة على الوزن اه

(والظبية) الرحم وفي رؤس المرفقين ابرة وهي شظية لاصقة بالذراع ليست منها (والداغصة) العظم المدور الذي على رأس الركبة وهما اثنان (والشظا) عظم لاصق بالركبة فاذا شخص قيل شظي الفرس وفي باطن الركبتين (مأبضان) وهما منثنى الوظيفين من باطن الركبتين وفي الوظيفين قيدان وهما حرفا وظيفي اليدين (وفيهما اسجعان) وهما عظمان شاخصان في الوظيفين من باطنهما (والعجايتان) عصبتان تكونان في باطن اليدين (وأسفل) منهما هناة كأنها الاظفار تسمى السعدانات وفي الوظيفين ثنتان وهو الشعر الذي يكون على مؤخر الرسغ فان لم يكن ثم شعر فهو أمرد وأمرط وأمعر وفي الوظيف (حوشب) وهو موصل الوظيف في الرسغ (وأم القردان) بين الثنة والحافر والعامة تسميها السكرجة (والسنبك) طرف مقدم الحافر (والاشعر) ما أحاط بالحافر من الشعر واطار الحافر ما أحاط بالاشعر (والحاميتان) عن يمين السنبك وشماله ويقال لجوف الحافر صحن (والنسور) في باطنه كأنها النوى والحصا (والية الحافر) مؤخره (والكاذتان) ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذين (والجاعرتان) مضرب الفرس بذنبه على فخذيه (والفائلان) عرقان مستبطنا الفخذين (والنسيان) عرقان قد استبطنا الساق (والحماة) لحم الساق وفي العرقوبين ابرتان وهما حد كل عرقوب من ظاهر وفي

وقد غلب على الناس رقة الحضر (وبعد هذا) فاعلم أن الالفاظ تجرى من السمع مجرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تتخيل فى السمع كاشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تتخيل كاشخاص ذى دماثة ولين أخلاق ولطافة مزج ولهذا ترى ألفاظ أبى تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى ألفاظ البحترى كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلى واذا أنعمت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتنى قد دللتك على الطريق وضربت لك أمثالا مناسبة (واعلم) أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنبا ما يضيق به مجال الكلام فى بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين فان فى الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الاحرف المشار اليها والناظم فى ذلك أشد ملامة لانه يتعرض لان ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتى فى أكثرها بالبشع الكريه الذى يمجه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام فى قصيدته التائية التى مطلعها قف بالطول الدارسات علاثا * وكما فعل أبو الطيب المتنبى فى قصيدته الشينية التى مطلعها * مبيتى من دمشق على فراش * وكما فعل ابن هانئ المغربى فى قصيدته الخائية التى مطلعها * سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * والناظم لا يعاب اذا لم ينظم هذه الاحرف فى شعره بل يعاب اذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة وأما الناثر فانه أقرب حالا من الناظم لان غاية ما يأتى به سجعتان أو ثلاث أو أربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم فى ذلك ما يروق اذا كان بهذه العدة اليسيرة فان كلفت أيها الشاعر أن تنظم شيأ على هذه الحروف فقل هذه الحروف هى مقاتل الفصاحة وعذرى واضح فى تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظا تعذب فى الفم ولا تلذ فى السمع والذى هو بهذه الصفة منها فانما هو قليل جدا ولا يصاغ منه الا مقاطيع أبيات من الشعر وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وان صيغت جاء أكثرها بشعا كريها على أن هذه الحروف متفاوتة فى كراهة الاستعمال وأشدها كراهية أربعة أحرف وهى الخاء والصاد والظاء والغين وأما الثاء والذال والشين والطاء فان الامر فيهن أقرب حالا وهذا موضع ينبغى لصاحب الصناعة أن ينعم نظره فيه وفيما أشرنا اليه كفاية للمتعلم فليعرفه وليقف عنده (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون مبتذلة بين العامة وذلك ينقسم قسمين (الاول) ما كان من الالفاظ دالا على معنى وضع له فى أصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر وهو ضربان الاول ما يكره ذكره كقول أبى الطيب

أذاق الغوانى حسنه ما أذقننى * وعف فجازاهن عنى بالصرم

فان لفظة الصرم فى وضع اللغة هو القطع يقال صرمه اذا قطعه فغيرتها العامة وجعلتها دالة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صادا ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جرى مجراها لكن المكروه منها ما يستعمل على صيغة الاسمية كما جاءت فى هذا البيت وأما اذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرمه وصرمته وتصرمه فانها لا تكون كريهة لان استعمال العامة لا يدخل فى ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب البدوى على استعماله كما يعاب المحتضر لان البدوى لم تتغير الالفاظ فى زمنه ولا تصرفت العامة فيها كما تصرفت فى زمن المحتضرة من الشعراء فمن أجل ذلك عيب استعمال لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المحتضر ولم يعب على الشاعر المبتدى ألا ترى الى قول أبى صخر الهذلى

قد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

فان هذا لا يعاب على صخر كما عيب على المتنبى قوله فى البيت المقدم ذكره وقد صنف الشيخ

وظيف فى رجليه ظنبوبان قال أبو عبيدة وليس للفرس طحال (والسيساء) من الفرس الحارك ومن الحمار الظهر (والابجل) من الفرس والبعير هو الاكحل من الانسان (والابلق) من الخيل هو الابقع من الشاء والكلاب والطير (الذيال) الفرس الطويل الطويل الذنب فان كان طويل الذنب قصيرا قيل فرس ذائل قال النابغة

* يسمو الى أوصال ذيال رفن *

أراد رفل فحول اللام نونا (فرس) جرور يمنع القياد وفرس قؤود ينقاد (المشياط) من الخيل السريع السمن (والملواح) الذى لا يسمن (والوقع) الحفى من الخيل (والرجيل) الذى لا يحفى (والصلود) من الخيل الذى لا يعرق (والهضب) الكثير العرق قال طرفة

* وهضبات اذا ابتل العذر *

(مسنفات) فى الخيل بكسر النون متقدمات (ومسنفات) فى الابل بفتح النون مشدودات بالسنف والسنف جمع سناف (وهو) حبل يشد به ويقال للفرس عتيق وجواد وكريم ويقال للبرذون والبغل والحمار فاره قال الاصمعى كان عدى ابن زيد يخطأ فى قوله فى وصف الفرس فارها متتابعا وقال لم يكن له علم بالخيل

﴿شيات الخيل﴾

اذا ابيض أعلى رأسه فهو أصقع واذا ابيض قفاه فهو أقنف واذا ابيض رأسه كله فهو أغشى وأرخم فان شابت ناصيته فهو أسعف فان ابيضت كلها فهو أصبغ فان

أبو منصور بن أحمد البغدادى المعروف بابن الجواليقى كتابا فى هذا الفن وسمه باصلاح ماتغلط فيه العامة فمنه ماهذا سبيله وهو الذى أنكر استعماله لكراهته ولانه مما لم ينقل عن العرب فهذان ضربان وأما الضرب الثانى وهو أنه وضع فى أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالا على غيره لأنه ليس بمستقبح ولا مستكره وذلك كتسميتهم الانسان ظريفا اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ماهذا سبيله والظرف فى أصل اللغة مختص بالنطق فقط (وقد قيل فى صفات خلق الانسان ما أذكره ههنا) وهو الصباحة فى الوجه الوضاءة فى البشرة الجمال فى الانف الحلاوة فى العينين الملاحة فى الفم الظرف فى اللسان الرشاقة فى القد اللباقة فى الشمائل كمال الحسن فى الشعر فالظرف انما يتعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن بابه وممن غلط فى هذا الموضع أبو نواس حيث قال

اختصم الجود والجمال * فيك فصارا الى جدال
فقال هذا يمينه لى * للعرف والبذل والنوال
وقال هذاك وجهه لى * للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراض * كلاهما صادق المقال

وكذلك غلط أبو تمام فقال

لك هضبة الحلم التى لو وازنت * أجأ اذن ثقلت وكان خفيفا
وحلاوة الشيم التى لو مازجت * خلق الزمان الفدم عاد ظريفا

فأبو نواس غلط ههنا فى أنه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق وأبو تمام غلط فى أنه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق أيضا الا أن هذا غلط لا يوجب فى هذه اللفظة قبحا لكنه جهل بمعرفة أصلها فى وضع اللغة (القسم الثانى) مما ابتذلته العامة وهو الذى لم تغيره عن وصفه وانما أنكر استعماله لانه مبتذل بينهم لا لانه مستقبح ولا لانه مخالف لما وضع له وفى هذا القسم نظر عندى لانه ان كان عبارة عما يكثر تداوله بين العامة فان من الكثير المتداول بينهم الفاظا فصيحة كالسماء والارض والنار والماء والحجر والطين وأشباه ذلك وقد نطق بها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منه وجاءت فى كلام الفصحاء نظما ونثرا والذى ترجح فى نظرى أن المراد بالمبتذل من هذا القسم انما هو الالفاظ السخيفة الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة (فما) جاء منه قول أبى الطيب المتنبى

وملمومة سيفية ربعية * يصيح الحصا فيها صياح اللقالق

فان لفظة اللقالق مبتذلة بين العامة جدا وكذلك قوله

ومن الناس من تجوز عليهم * شعراء كأنها الخازباز

وهذا البيت من مضحكات الاشعار وهو من جملة البرسام الذى ذكره فى شعره حيث قال

ان بعضا من القريض هراء * ليس شيأ وبعضه احكام
فيه ما يجلب البراعة والفهم * وفيه ما يجلب البرسام

ومثل هذه الالفاظ اذا وردت فى الكلام وضعت من قدره ولو كان معنى شريفا وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يخلو منه شعر شاعر لكن منهم المقل ومنهم المكثر حتى ان العاربة قد استعملت هذا الا أنه فى أشعارها أقل فمن ذلك قول النابغة الذبيانى فى قصيدته التى أولها من آل مية رائح أو مغتدى

أو دمية فى مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد بقرمد

كان باذنيه نقش بياض فهو أذرأ والغرة مافوق الدرهم والقرحة قدر الدرهم فما دون فان سالت غرته ودقت ولم تجاوز العينين فهى العصفور فان دقت وسالت وجللت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة فهى شمراخ فان ملأت الجبهة ولم تبلغ العينين فهى الشادخة فان أخذت جميع وجهه غير انه ينظر فى سواد فهى المبرقعة فان رجعت غرته فى أحد شقى وجهه الى أحد الخدين فهو لطيم فان فشت حتى تأخذ العينين فتبيض أشفارهما فهو مغرب فان كانت احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء فهو أخيف فان كان بجحفلته العليا بياض فهو أرثم وان كان بالسفلى بياض فهو ألمظ فان كان أبيض الرأس والعنق فهو أدرع وان كان أبيض الظهر فهو أرحل وان كان أبيض العجز فهو آزر فان كان أبيض الجنب أو الجنبين فهو أخصف فان كان أبيض البطن فهو أنبط (والتحجيل) بياض يبلغ نصف الوظيف والمحجل ان تكون قوائمه الاربع بيضا يبلغ البياض منها ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه بعد ان يتجاوز الارساغ ولا يبلغ الركبتين والعرقوبين فيقال محجل القوائم فان أصاب البياض من التحجيل حقويه ومغابنه ومرجع مرفقيه من تجبيب بياض يديه ورجليه فهو أبلق وان بلغ البياض من التحجيل ركبة اليد وعرقوب الرجل فهو فرس مجبب والجبة موصل الوظيف فى الذراع فان تجاوز البياض الى العضدين والفخذين فهو أبلق مسرول فان

فلفظة آجر مبتذله جدا وان شئت أن تعلم شيأ من سر الفصاحة التى تضمنها القرآن فانظر الى هذا الموضع فانه لما جىء فيه بذكر الآجر لم يذكر بلفظه ولا بلفظ القرمد أيضا ولا بلفظ الطوب الذى هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة لكن ذكر فى القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا فعبر عن الآجر بالوقود على الطين (ومن هذا القسم المبتذل) قول الفرزدق فى قصيدته التى أولها عرفت بأعشاش وما كدت تعرف

وأصبح مبيض الضريب كأنه * على سروات البيت قطن مندف

فقوله مندف من الالفاظ العامية (ومن هذا القسم) قول البحترى

وجوه حسادك مسودة * أم صبغت بعدى بالزاج

فلفظة الزاج من أشد ألفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل أبو نواس هذا النوع فى شعره كثيرا كقوله

يامن جفانى وملا * نسيت أهلا وسهلا

ومات مرحب لما * رأيت مالى قلا

انى أظنك فيما * فعلت تحكى القرلا

(وكقوله)

وأغر الجلدة صيرته * فى الناس زاغا وشقراقا

مازلت أجرى كلكى فوقه * حتى دعا من تحته قاقا

(وكقوله)

وملحة بالعذل تحسب أننى * بالجهل أترك صحبة الشطار

وقد استعمل لفظة الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهى من الالفاظ التى ابتذلها العامة حتى سئمت من ابتذالها وهذه الامثلة تمنع الواقف عليها من استعمال أشباهها وأمثالها (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره واذا وردت وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وذلك اذا كانت مهملة بغير قرينة تميز معناها عن القبيح فأما اذا جاءت ومعها قرينة فانها لا تكون معيبة كقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ألا ترى أن لفظة التعزير مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذى هو دون الحد وذلك نوع من الهوان وهما معنيان ضدان فحيث وردت فى هذه الآية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها خصت معناها بالحسن وميزته عن القبيح ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فعزرته لسبق الى الفهم أنه ضربه وأهانه ولو قال لقيت فلانا فأكرمته وعزرته لزال ذلك اللبس (واعلم) أنه قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجبت قبحه ولو لم تجىء معه لما استقبح كقول الشريف الرضى

أعزز على بان أراك وقد خلا * عن جانبيك مقاعد العوّاد

وقد ذكر ابن سنان الخفاجى هذا البيت فى كتابه فقال ان ايراد هذه اللفظة فى هذا الموضع صحيح الا أنه موافق لما يكره ذكره فى مثل هذا الشعر لاسيما وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليه وهم العوّاد ولو انفرد لكان الامر فيه سهلا فأما الاضافة الى من ذكره ففيها قبح لاخفاء به هذا حكاية كلامه وهو مرضى واقع فى موقعه ولنذكر نحن ما عندنا فى ذلك فنقول قد جاءت هذه اللفظة المعيبة فى الشعر فى القرآن الكريم فجاءت حسنة مرضية وهى قوله تعالى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وكذلك قوله تعالى وانا لمسنا السماء

كان البياض بيديه دون رجليه فهو أعصم فان كان باحدى يديه دون الاخرى قيل أعصم اليمنى أو اليسرى فان كان البياض فى يديه الى مرفقيه دون الرجلين فهو أقفز فان كان البياض برجليه دون اليد فهو محجل ان تجاوز الارساغ وان كان باحدى يديه وتجاوز الرسغ فهو محجل الرجل اليمنى أو اليسرى وان كان كذلك متجاوز الارساغ فى ثلاث قوائم دون رجل أو يد فهو محجل ثلاث مطلق يد أو رجل ولا يكون التحجيل واقعا بيد أو يدين الا أن يكون معها أو معهما رجل أو رجلان فان قصر البياض عن الوظيف واستدار بارساغ رجليه دون يديه فذلك التخديم يقال فرس مخدم وأخدم فان كان برجل واحدة فهو أرجل فان لم يستدر البياض وكان فى مآخير ارساغ رجليه أو يديه فهو منعل يد كذا أو رجل كذا أو اليدين أو الرجلين فان كان بياض التحجيل فى يد ورجل من خلاف فذلك الشكال وهو يكره وقوم يجعلون الشكال البياض فى ثلاث قوائم واذا كان محجل يد ورجل من شق قالوا هو ممسك الايامن مطلق الاياسر أو ممسك الاياسر مطلق الايامن وان أصاب الاوظفة بياض ولم يعدها الى أسفل ولا فوق فذلك التوقيف يقال فرس موقف فان ابيضت أطراف الثنن فهو أكسع فان ابيضت الثنن كلها ولم يتصل بياض التحجيل فى يد (١) كان ذلك أو رجل أو أكثر فهو

(١) قوله كان ذلك هكذا بالنسخة المطبوعة والصواب حذفه اه مصححه

فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ألا ترى أنها فى هاتين الآيتين غير مضافة الى من تقبح اضافته اليه كما جاءت فى الشعر ولو قال الشاعر بدلا من مقاعد العوّاد مقاعد الزيارة أو ما جرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت تلك الهجنة ولهذا جاءت هذه اللفظة فى الآيتين على ماتراه من الحسن وجاءت على ماتراه من القبح فى قول الشريف الرضى وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

أقول للحيان وقد صفرت لهم * وطابى ويومى ضيق الجحر معور

فانه أضاف الجحر الى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه لان الجحر يطلق على كل ثقب كثقب الحية واليربوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد مبهما بغير قرينة تخصصه سبق الى الوهم مايقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن لايلسع من جحر مرتين وحيث قال يلسع زال اللبس لان اللسع لا يكون الا للحية وغيرها من ذوات السموم وأما ماورد مبهما بغير قرينة فقول أبى تمام

أعطيت لى دية القتيل وليس لى * عقل ولا حق عليك قديم

فقوله ليس لى عقل يظن أنه من عقل الشئ اذا علمه ولو قال ليس لى عليك عقل لزال اللبس فيجب اذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى فى كلامه مثل هذا الموضع وهو من جملة الالفاظ المشتركة التى يحتاج فى ايرادها الى قرينة تخصصها ضرورة (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مؤلفة من أقل الاوزان تركيبا وهذا ماذكره ابن سنان فى كتابه ثم مثله بقول أبى الطيب المتنبى

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها

وقال ان لفظة سويداواتها طويلة فلهذا قبحت وليس الامر كما ذكره فان قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها فى نفسها قبيحة وقد كانت وهى مفردة حسنة فلما جمعت قبحت لا بسبب الطول والدليل على ذلك أنه قد ورد فى القرآن الكريم ألفاظ طوال وهى مع ذلك حسنة كقوله تعالى فسيكفيكهم الله فان هذه اللفظة تسعة أحرف وكقوله تعالى ليستخلفنهم فى الارض فان هذه اللفظة عشرة أحرف وكلتاهما حسنة رائقة ولو كان الطول مما يوجب قبحا لقبحت هاتان اللفظتان وليس كذلك ألا ترى أنه لو أسقط من لفظة سويداواتها الهاء والالف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقى منها ثمانية أحرف ومع هذا فانها قبيحة ولفظة ليستخلفنهم عشرة أحرف وهى أطول منها بحرفين ومع هذا فانها حسنة رائقة والاصل فى هذا الباب ما أذكره وهو أن الاصول من الالفاظ لاتحسن الا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى كقولنا عذب وعسجد فان هاتين اللفظتين احداهما ثلاثية والاخرى رباعية وأما الخماسى من الاصول فانه قبيح ولا يكاد يوجد منه شئ حسن كقولنا جحمرش وصهصلق وما جرى مجراهما وكان ينبغى على ماذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان حسنتين واللفظتان الواردتان فى القرآن قبيحتين لان تلك تسعة أحرف وعشرة وهاتان خمسة وخمسة ونرى الامر بالضد مما ذكره وهذا لا يعتبر فيه طول ولا قصر وانما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على ذلك ولهذا لا يوجد فى القرآن من الخماسى الاصول شئ الا ما كان من اسم نبى عرب اسمه ولم يكن فى الاصل عربيا نحو ابراهيم واسمعيل (ومما يدخل فى هذا الباب) أن تجتنب الالفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء كانت طويلة أو قصيرة ومثال ذلك قول امرئ القيس فى قصيدته اللامية التى هى من جملة القصائد السبع الطوال

غدا

أصبغ (والشعل) بياض فى عرض الذنب فان ابيض كله أو اطرافه فهو أصبغ

﴿ألوان الخيل﴾

فرق مابين الكميت والاشقر بالعرف والذنب فان كانا أحمرين فهو أشقر وان كانا أسودين فهو كميت والورد بينهما والانثى وردة والجمع وراد والكميت للذكر والانثى سواء والاخضر فى كلام العجم الديزج وهو من الحمير الادغم والورد الاغبس وهو فى كلام العجم السمند (والصنابى) هو الكميت أو الاشقر يخالط شقرته شعرة بيضاء ينسب الى الصناب وهو الخردل بالزبيب (والبهيم) هو المصمت الذى لاشية به ولا وضح أى لون كان (ومما يقال) له بهيم ولا شية به الابرش والاغر والاشيم والمدثر والابقع والابلق (فالابرش) الارقط (والاغر) ان تكون به به بقعة بيضاء أو بقعة أخرى أى لون كان (والاشيم) أن تكون به شامة أو شام فى جسده (والمدثر) الذى به نكت فوق البرش (والابقع) الذى تكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه

﴿الدوائر فى الخيل وما يكره من شياتها﴾

الدوائر ثمانى عشرة دائرة يكره منها الهقعة وهى التى تكون فى عرض زوره ويقال أن ابقى الخيل المهقوع (ودائرة القالع) وهى التى تكون تحت اللبد (ودائرة الناخس) وهى التى تكون تحت الجاعرتين الى الفائلين (ودائرة اللطاة) فى وسط الجبهة وليست تكره اذا كانت واحدة فان كان

غدائره مستشزرات الى العلا ✻ تضل المدارى فى مثنى ومرسل

فلفظة مستشزرات مما يقبح استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها وان لم تكن طويلة لانا لو قلنا مستنكرات أو مستنفرات على وزن مستشزرات لما كان فى هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة ولربما اعترض بعض الجهال فى هذا الموضع وقال ان كراهة هذه اللفظة انما هو لطولها وليس الامر كذلك فانا لو حذفنا منها الالف والتاء وقلنا مستشزر لكان ذلك ثقيلا أيضا وسببه ان الشين قبلها تاء وبعدها زاى فثقل النطق بها والا فلو جعلنا عوضا من الزاى راء ومن الراء فاء وقلنا مستشرف لزال ذلك الثقل واقد درآنى بعض الناس وأنا أعيب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار اليها فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة التقليد فى أن امرأ القيس أشعر الشعراء فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ القيس من استقباح ماله من القبح ومثال هذا كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبعر ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لذاذة ذلك الطيب حامية للخبث من الاستكراه فأسكت الرجل عند ذلك (وحضر) عندى فى بعض الايام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود فى هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه فى دينهم وغيره وكان لعمرى كذلك فجرى ذكر اللغات وأن اللغة العربية هى سيدة اللغات وأنها أشرفهن مكانا وأحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا فنفت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحسن ثم ان واضعها تصرف فى جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا فى اللسان العبرانى كوميل بمالا على وزن فوعيل فجاء واضع اللغة العربية وحذف منها الثقيل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل فى كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة ولقد صدق فى الذى ذكره وهو كلام عالم به (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة ولهذا اذا توالى حركتان خفيفتان فى كلمة واحدة لم تستثقل وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة فانه اذا توالى منها حركتان فى كلمة واحدة استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو والكسرة على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان ولنمثل لك مثالا تهتدى به فى هذا الموضع وهو أنا نقول اذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهى ج ز ع فاذا جعلنا الجيم مفتوحة فقلنا الجزع أو مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الجيم مضمومة فقلنا الجزع وكذلك اذا واليناحركة الفتح فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من موالاة حركة الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغير المخارج حروفها حتى ينسب ذلك الى اختلاف تأليف المخارج بل وجدناها تارة تكتسى حسنا وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فعلمنا أن ذلك حادث عن اختلاف تأليف حركاتها (واعلم) أنه قد توالت حركة الضم فى بعض الالفاظ ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقلا كقوله تعالى ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر وكقوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر وكقوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر فحركة الضم فى هذه الالفاظ متوالية وليس بها من ثقل ولا كراهة وكذلك ورد قول أبى تمام

(٢) جمع مدرى ومدراة ومدرية شئ يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمل من لم يكن له مشط هنا والرواية المشهورة تضل العقاص جمع عقيصة وهى الخصلة المجموعة من الشعر اهـ

هناك دائرتان قالوا فرس نطيح وذلك مكروه وماسوى هذه من الدوائر غير مكروه (ويكره) فى الاشيم ان تكون به شامة بيضاء أو غير بيضاء فى مؤخره أو شقه الايمن (ويكره) الشكال وقد اختلف فيه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله انه كان يكرهه (ويكره) الرجل الا ان يكون به وضح غيره قال الشاعر

أسيل نبيل ليس فيه معابة
كميت كلون الصرف أرجل أقرح

السوابق من الخيل

أولها السابق ثم المصلى وذلك لان رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع كذلك الى التاسع والعاشر السكيت ويقال أيضا السكيت مشددا فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذى يجئ فى الحلبة آخر الخيل

معرفة فى خلق الانسان

من عيوب الخلق (الفقم) وهو ان تتقدم الثنايا السفلى اذا ضم الرجل فاه فلا تقع عليها العليا (والضرز) لصوق الحنك الاعلى بالحنك الاسفل فاذا تكلم تكاد أضراسه العلا تمس السفلى (والضجم) ميل يكون فى الفم وفيما يليه من الوجه (والفأفأة) ان يتردد المتكلم فى الفاء فاذا تردد فى التاء فهو تمتام فاذا دخل بعض كلامه فى بعض قيل بلسانه لفف والالثغ الذى يرجع لسانه فى المنطق الى الياء والغين (والشطور) فى البصر هو ان تراه كأنه ينظر اليك والى آخر يقال شطر بصره يشطر شطورا

نفس يحتثه نفس * ودموع ليس تحتبس ومغان للكرى دثر * عطل من عهده درس
شهرت ما كنت اكتمه * ناطقات بالهوى خرس

فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعة مضمومات كلها وهى مع ذلك حسنة لاثقل بها ولا ينبو السمع عنها وهذا لا ينقض ما أشرنا اليه لان الغالب أن يكون توالى حركة الضم مستثقلا فاذا شذ عن ذلك شئ يسير لا ينقض الاصل المقيس عليه (القسم الثانى فى الالفاظ المركبة) قد قدمنا القول فى شرح أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها وأما اذا صارت مركبة فان لتركيبها حكما آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أن هذه الالفاظ ليست تلك التى كانت مفردة ومثال ذلك كمن اخذ لآلئ ليست من ذوات القيم الغالية فألفها وأحسن الوضع فى تأليفها فخيل للناظر بحسن تأليفه واتقان صنعته أنها ليست تلك التى كانت منثورة مبددة وفى عكس ذلك من يأخذ لآلئ من ذوات القيم الغالية فيفسد تأليفها فانه يضع من حسنها وكذلك يجرى حكم الالفاظ العالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف ينبغى الالتفات اليه والعناية به (واعلم) أن صناعة تأليف الالفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هى السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل فى باب السجع لانه فى الكلام المنظوم كالسجع فى الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والترصيع وهو يعم القسمين أيضا جميعا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين أيضا والموازنة وتختص بالكلام المنثور واختلاف صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير الحروف وهو يعم القسمين جميعا (النوع الاول السجع) وحده أن يقال تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا وكقوله تعالى فى سورة طه طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وكذلك قوله تعالى فى سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وكقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا وأمثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الاسلوب من كلام النبى صلى الله عليه وسلم شئ كثير أيضا (فمن ذلك) ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا لنستحى من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا (ومن ذلك) ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت فى الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت انه ليس بوجه كذاب فكان أول شئ تكلم به أن قال أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (فان قيل) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع أسجعا

كسجع

(والاطراق) استرخاء الجفون (والغرب) ورم يكون فى المآقى يقال غربت عينه تغرب غربا (والخفش) صغر العين وضعف البصر (والدوش) ضيق العين وضعف البصر (والذلف) فى الانف قصره وصغر أرنبته (والخنس) تأخر الانف فى الوجه وقصره (والفطس) عرض الانف وتطامن قصبته (والطرامة) الخضرة فى الاسنان (والقلح) الصفرة فيها (والوقص) قصر العنق (والهنع) تطامنها (والالص) المجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه (والالص) أيضا المتقارب الاضراس (والاحدل) المائل الشق (واللطع) فى الشفاه بياض يصيبها وأكثر ما يعترى ذلك السودان ويعتريهم أيضا (الحجرة) وهى خروج السرة (والفدع) فى الكف زيغ فى الرسغ بينها وبين الساعد وفى القدم كذلك زيغ بينها وبين عظم الساق (والكوع) ان تعوج الكف من قبل الكوع (والفلج) الاعوجاج فى اليد فان كان فى الرجلين فهو فحج (والقعس) فى الظهر دخوله وخروج الصدر (والحدب) دخول الصدر وخروج الظهر (والأدر) عظم الخصيتين يقال آدر بين الادرة (والشرج) أن تعظم واحدة وتصغر الاخرى (والمشق) أن تصطك أليتا الرجل حتى تنسحجا فاذا عظمتا فلم تلتقيا قيل رجل أفرج وهذا يكون فى الحبشة (والمذح) أن تصطك فخذاه (والصكك) ان تصطك ركبتاه قال أبو عمرو الصكك فى الرجلين (والبدد) فى الناس تباعد

كسجع الكهان ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبي صلى الله عليه وسلم (فالجواب) عن ذلك أنا نقول لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع مطلقا لقال أسجعا ثم سكت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال أسجعا كسجع الكهان صار المعنى معلقا على أمر وهو انكار الفعل لم كان على هذا الوجه فعلم أنه انما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير وانه لم يذم السجع على الاطلاق وقد ورد فى القرآن الكريم وهو صلى الله عليه وسلم قد نطق به فى كثير من كلامه حتى انه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها من أجل السجع فقال لابن ابنته عليهما السلام اعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما أراد ملمة لان الاصل فيها من ألم يلم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات وانما أراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات طلبا للتوازن والسجع وهذا مما يدلك على فضيلة السجع على أن هذا الحديث النبوى الذى يتضمن انكار سجع الكهان عندى فيه نظر فان الوهم يسبق الى انكاره يقال فما سجع الكهان الذى يتعلق الانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك أن النهى لم يكن عن السجع نفسه وانما النهى عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنين بغرة عبد أو أمة قال الرجل أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أى أتتبع سجعا كسجع الكهان وكذلك كان الكهنة كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن أمر جاؤا بالكلام مسجوعا كما فعل الكاهن فى قصة هند بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل السؤال عن قصتها ثمرة فى كمرة فقيل له نريد أبين من هذا فقال حبة بر فى احليل مهر والحكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هنا وكذلك قال سطيح فانه قال عبد المسيح جاء الى سطيح وهو موف على الضريح لرؤيا الموبذان وارتجاس الايوان وأتم الكلام الى آخره مسجوعا والحكاية مشهورة أيضا فلهذا اختصرناها فالسجع اذا ليس بمنهى عنه وانما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أى احكما كحكم الكهان به ذلك والا فالسجع الذى أتى الرجل لا بأس به لانه قال أأدى من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل وهذا كلام حسن من حيث السجع وليس بمنكر لنفسه وانما المنكر هو الحكم الذى تضمنه فى امتناع الكاهن أن يدى الجنين بغرة عبد أو أمة (واعلم) أن الاصل فى السجع انما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب فى جميع الاشياء والنفس تميل اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الادباء سجاعا وما من أحد منهم ولو شدا شيأ يسيرا من الادب الا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة ويأتى بها فى كلامه بل ينبغى أن تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة وأعنى بقولى غثة باردة ان صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو فى الذى يأتى به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف أو ينظم عقدا من الخزف الملون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا فاذا صفى الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فان وراء ذلك مطلوبا آخر وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فانه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه ويكون مثله

ما بين الفخذين وفى ذوات الاربع فى اليدين (والافحج) الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه (والاروح) الذى تتدانى عقباه وتتباعد صدور قدميه (والوكع) ميل ابهام الرجل على الاصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجا ومنه قيل أمة وكعاء (والحنف) ان تقبل كل واحدة من الابهامين على صاحبتها قال ابن الاعرابى الاحنف الذى يمشى على ظهر قدميه (والاقفد) الذى يمشى على صدورها (والاعلم) المشقوق الشفة العليا (والافلح) المشقوق الشفة السفلى يكون ذلك خلقة (والاجلع) بالجيم معجمة الرجل اذا لم تنضم شفتاه على اسنانه وفى النساء الضهياء التى لا تحيض والتى لا ينبت ثدياها (والمتكاء) التى لا تحبس بولها وهو من الرجال الامثن ويقال للمرأة التى لا تستر نفسها اذا خلت مع زوجها جليع (والمفضاة) التى صار مسلكاها شيأ واحدا وهى الشريم أيضا (والمأسوكة) التى أخطأت خافضتها فاصابت غير موضع الخفض ومثلها من الرجال الكمود والقرن كالعفلة اختصم الى شريح فى جارية بها قرن فقال اقعدوها فان أصاب الارض فهو عيب وان لم يصب الارض فليس بعيب ويقال حملت المرأة الغلام سهوا أى على حيض (العلل) تقول العرب الدواء هو الأزم يعنون الحمية وأصل الأزم ضم الاسنان كأنه يعض وقال ابن مسعود أصل كل داء البردة يعنى التخمة ومس

كغمد من ذهب على نصل من خشب وكذلك يجرى الحكم فى الانواع الباقية الآتى ذكرها من التجنيس والترصيع وغيرهما وسأبين لك فى هذا مثالا تتبعه فأقول اذا صورت فى نفسك معنى من المعانى ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ولم يؤاتك ذلك الا بزيادة فى ذلك اللفظ أونقصان منه ولا يكون محتاجا الى الزيادة ولا الى النقصان وانما تفعل ذلك لان المعنى الذى قصدته يحتاج الى لفظ يدل عليه واذا دللت عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا الا أن تضيف اليه شيأ آخر أو تنقص منه فاذا فعلت ذلك فانه هو الذى يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف وأما اذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فانه يجىء فى غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام واذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها على هذه الشريطة فانه يكون قد ملك رقاب الكلام يستعبد كرائمها ويستولد عقائمها وفى مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس ولصاحبه أولى بقول أبى الطيب المتنبى

أنت الوحيد اذا ركبت طريقة * ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

(فان قيل) فاذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ما ذهبت اليه فكان ينبغى أن يأتى القرآن كله مسجوعا وليس الامر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع (قلت فى الجواب) ان أكثر القرآن مسجوع حتى ان السورة لتأتى جميعها مسجوعة وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا الا أنه سلك مسلك الايجاز والاختصار والسجع لا يؤاتى فى كل موضع من الكلام على حد الايجاز والاختصار فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب وههنا وجه آخر هو أقوى من الاول ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع وانما تضمن القرآن غير المسجوع لان ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الاعجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا (واعلم) أن للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا وهذا شئ لم ينبه عليه أحد غيرى وسأبينه ههنا وأقول فيه قولا هو أبين مما تقدم وأمثل لك مثالا اذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل فى كلامك ليبلغ الشاهد الغائب والذى أقوله فى ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه لان التطويل انما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها واذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه وجل كلام الناس المسجوع جار عليه واذا تأملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصابى وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان فانك ترى أكثر المسجوع منه كذلك والاقل منه على ما أشرت اليه ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية على غرام الناس بهما واكبابهم عليهما فوجدت الاكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذى أنكرته فالكلام المسجوع اذا يحتاج الى أربع شرائط الاولى اختيار مفردات الالفاظ على الوجه الذى أشرت اليه فيما تقدم الثانية اختيار التركيب على الوجه الذى أشرت اليه أيضا فيما تقدم الثالثة أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ الرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها فهذه أربع شرائط لا بد منها * وسأورد ههنا من كلامى أمثلة يحذى حذوها فانى لما سلكت هذه الطريق وأتيت بكلامى مسجوعا توخيت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذى تضمنته أختها ولم أخل بذلك فى مكاتباتى كلها واذا تأملتها علمت صحة ما قد ذكرته (فمن ذلك) ما كتبته فى صدر كتاب عن بعض الملوك الى دار الخلافة

وهو

الحمى رسها أورسيسها وذلك حين تجدها فترة أو تكسيرا (والورد) يوم الحمى (والغب) ان تأخذه يوما وتدعه يوما (والرابع) ان تدعه يومين وتأخذه اليوم الثالث (والموم) البرسام (والعذرة) وجع الحلق وأكثر ما يعترى الصبيان فيعلق عنهم (والاعلاق) والدغرة شئ واحد وهو أن ترفع اللهاة ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله عن ذلك وأمر بالقسط البحرى (قال جرير)

غمز ابن مرة يا فرزدق كينها
غمز الطبيب نغانغ المعذور

قال الاصمعى الشغاف داء يسيل من الصدر يقال انه اذا التقى هو والطحال مات صاحبه (قال النابغة)

وقد حال هم دون ذلك داخل
ولوج الشغاف تبتغيه الاصابع

يعنى أصابع الاطباء تلمسه تنظر هل نزل أو لم ينزل (والكباد) وجع الكبد قال النبى صلى الله عليه وسلم الكباد من العب والعب شدة جرع الماء كما تجرع الدواب (والصفار) والصفر هما اجتماع الماء فى البطن يعالج بقطع النائط وهو عرق فى الصلب (قال العجاج)

* قضب الطبيب نائط المصفور *

وقد يعالج بالكى واللدود وغير ذلك قال ابن احمر وكان شق بطنه

شربت الشكاعى والتددت ألدة
وأقبلت أفواه العروق المكاويا

(والذرب) فساد المعدة يقال ذربت معدته تذرب ذربا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ألبان الابل وأبوالها شفاء للذرب (والعلوص) اللوى (والرثية) وجع المفاصل (والهاس) والهلاس

وهو الخادم واقف موقف راج هائب لازم بكتابه هذا وفار حاضر عن شخص غائب موجه وجهه الى ذلك الجناب الذى تقسم فيه أرزاق العباد ويتأدب به الزمان تأدب ذوى الاستعباد وتستمد الملوك من خدمته شرف الجدود كما تستغنى بنسبها اليه عن شرف الاجداد ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره وأخطاها من النظر اليه ببرد العيش الذى عمرها محسوب من عمره وهذا القول يقوله وكل ماجد فيه حاسد وبتأمليه راكع ساجد والديوان العزيز محسود الاقتراب وهو موطن الرغبات الذى الاغتراب اليه ليس بالاغتراب وماينافس فى القرب من أبوابه الكريمة الاذو والهمم الكريمة وقدودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة فضلا عن ندمانى جذيمة (ومن ذلك) ما كتبته من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس وهو الكريم من أوجب لسائله حقا وجعل كواذب آماله صدقا وكان خرق العطايا منه خلقا ولم ير بين ذممه و بين رحمه فرقا وكل ذلك موجود فى كرم مولانا أجراه الله من فضله على وتيرة وجعل هممه على تمام كل نقص قديرة وأوطأه من كل مجد سريرا كما بوأه من كل قلب سريرة ولازالت يده بالمكارم جديرة ومن الايام مجيرة واضرائرها من البحار والسحاب معيرة ولابرحت تستولد عقائم المعانى وتستجد أبنيتها حتى تشهد الناس منها فى كل يوم عقيقة أو وكيرة ومن صفات كرمه أنه يسبك الاموال مآثر و يتخذها عند السؤال ذخائر فهى تفنى لديهم بالانفاق وذكرها على مرور الايام باق ومن أربح منه صفقة وقد باع صامتا بناطق وماهو معرض لحوادث السرقات بما لا تصل اليه يد سارق ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها وجد فى ابتناء المحامد بهدم بنائها وعلم أن مالها ليس عند الضنين به الا أحجارا وأن غناه منها لا يزيده الا افتقارا فهو لماله عبد يخدمه ولا يستخدمه وأم ترضعه بسعيها ولا تفطمه (ومنه) ما كتبته فى جواب كتاب يتضمن اباق غلام وهو أول كتاب ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت وأما الاشارة الكريمة فى أمر الغلام الآبق عن الخدمة فقد يفر المهر من عليقه ويطير الفراش الى حريقه وغير بعيد أن ينبو به مضجعه أو يكبو به مطمعه فيرجع وقد حمد من رجوعه ماذمه من ذهابه وعلم أن الغنيمة كل الغنيمة فى ايابه فما كل شجرة تحلو لذائقها ولا كل دار ترحب بطارقها ومن أبق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه الذى لم يكن له مجانبا فانه يجد من مفارقة الاحسان ما يجده من مفارقة معاهد الاوطان وهل أضل سعيا ممن دفع فى صدر العافية وغدا يسأل عن الاسقام وألقى الثروة من يده ومضى فى طلب الاعدام ومع هذا فان الخادم يشكره على ذنب الاباق الذى أقدم على اجتراحه وليس ذلك الا لانه صار سببا لافتتاح باب المكاتبة الذى لم يطمع فى افتتاحه ولاجزاء له عنده الا السعى فى اعادته الى الخدمة التى تقلب فى انشائها وهى أبر به من أمه التى تقلب فى أحشائها ومن فضلها أنها تلقاه من حلمها بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك والفضل الواسع (فانظر) أيها المتأمل الى هذه الاسجاع جميعها وأعطها حق النظر حتى تعلم أن كل واحدة منها تختص بمعنى ليس فى أختها التى تليها وكذلك فليكن السجع والافلا * وسأورد ههنا من كلام الصابى ما ستراه (فمن ذلك) تحميد فى كتاب فقال الحمد لله الذى لا تدركه الاعين بألحاظها ولا تحده الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثرا الا طمسه ومحاه ولا رسما الا أزاله وعفاه ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الاثر وعفاء الرسم (ومن كلامه) أيضا فى كتاب وهو وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام

السل (والسنق) كالتخمة (والعاثر) الرمد (واللابن) الذى يشتكى عنقه من الوساد أو غيره (غثيثة) الجرح مدته (والصديد) الرقيق المختلط بالدم قبل أن تغلظ المدة (والعقابيل) بقايا المرض (والداء) الذى لا يبرأ منه يقال له ناجس ونجيس ١ (الشجاج) أول الشجاج (الحارصة) وهى التى تقشر الجلد قليلا (ثم الباضعة) وهى التى تشق اللحم شقا خفيفا (والمتلاحمة) وهى التى أخذت فى اللحم (ثم السمحاق) ٢ وهى التى بينها وبين العظم قشرة رقيقة (ثم الموضحة) وهى التى توضح عن العظم أى تبدى وضحه (ثم الهاشمة) وهى التى تهشم العظم (ثم المنقلة) وهى التى تخرج منها العظام (ثم الآمة) وهى التى تبلغ أم الدماغ

﴿فروق فى خلق الانسان﴾

ظاهر جلد الانسان من رأسه وسائر جسده البشرة (وباطنه) الادمة والعرب تقول فلان مؤدم مبشر أى قد جمع لين الادمة وخشونة البشرة (وشخص) الانسان اذا كان قاعدا أو نائما جثة فاذا كان قائما فهو قامة وقد اختلفوا فى الجانب الوحشى

﴿١﴾ جمع شجة وهى جراحة الرأس اه مصححه

﴿٢﴾ هذه الاربع ليس فيها قصاص ولا أرش مقدر وتجب فيها حكومة ومثلها فى ذلك الدامية وهى التى تدمى الجلد اما الموضحة ففيها خمس من الابل والهاشمة فيها عشر والمنقلة فيها خمس عشرة والآمة فيها ثلث الدية وبقيت الدامغة وهى التى تبلغ الدماغ وفيها أيضا ثلث الدية فالشجاج عشر بعد الدامية والدامغة المزيدتين على المؤلف اه

ومعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها
راسخ لا يتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع وهذه الاسجاع كلها متساوية المعانى فان
الاعتلال والالتياث والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد له فى جملة
كتاب كتبه عن عز الدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الامير عبد الكريم ابن المطيع لله
فقال وصلنى كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين بما أعراقه
الزكية مجوزة لاستمراره وأرومته العلية مسوغة لاستقراره له ولكل نجيب أخذ بحظه
من نسبه وضارب بسهم فى منصبه اذ كان ذلك جاريا على الاصول المعهودة فيه والاسباب
العاقدة له من اجماع المؤمنين كافة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم فى الارض وانتشارهم
فى الطول والعرض فلا بد من اتفاق أشراف كل قطر وأفاضله وأعيان كل صقع وأماثله
وهذا الكلام كله متماثل المعانى فى أسجاعه فان امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين سواء
فى المعنى وكذلك الاعراق والارومة والتجويز والتسويغ والاشراف والافاضل والاعيان
والاماثل والقطر والصقع كل ذلك سواء (وعلى هذا) جاء كلامه فى كتاب آخر فقال يسافر
رأيه وهو دان لم يبرح ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح وكلا هذين سواء أيضا وما أحسن هذا
المعنى لو قال يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ويثخن الجراح فى عدوه وسيفه فى الغمد لم يجرح
فانه لو قال مثل هذا لسلم من هجنة التكرار وأمثال ذلك فى كلام الصابى كثير * وعلى منواله
نسج الصاحب بن عباد (فمن ذلك) ماذكره فى وصف مهزومين فقال طاروا واقين بظهورهم
صدورهم وبأصلابهم نحورهم وكلا المعنيين سواء (وكذلك) قوله فى هذا الكتاب يصف
ضيق مجال الحرب مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الرامح والنابل (ومن كلامه)
فى كتاب وهو لا تتوجه همته الى أعظم مرقوب الاطماع ودان ولا تمتد عزيمته الى أخم
مطلوب الا كان واستكان وكل هذا الذى ذكره شئ واحد (وله من كتاب) وهو وصل كتابه
جامعا من الفوائد أشدها للشكر استحقاقا وأتمها للحمد استغراقا وتعرفت من احسان الله
فيما وفره من سلامته وهناه من كرامته أنفس موهوب ومطلوب وأجدى مرقوب
ومخطوب وهذا كله متماثل المعانى متشابه الالفاظ وفيما أوردته ههنا مقنع فأنعم نظرك
أيها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت يدك عليه حتى تعلم كيف تأتى بالمعانى فى
الالفاظ المسجوعة والله الموفق للصواب (فان قيل) انك اشترطت أن تكون كل واحدة من
الفقرتين فى الكلام المسجوع دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها وانما اشترطت
هذه الشريطة فرارا من أن يكون المعنيان شيأ واحدا ونرى قد ورد فى القرآن الكريم لفظتان
بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه
كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبى (قلت فى الجواب) ليس هذا كالذى اشترطته
أنا فى اختصاص كل فقرة بمعنى غير المعنى الذى اختصت به أختها وانما هذا هو ايراد لفظتين
فى آخر احدى الفقرتين بمعنى واحد وهذا لا بأس به لمكان طلب السجع ألا ترى ان أكثر
هذه السورة التى هى سورة مريم عليها السلام مسجوعة على حرف الياء وهذا يجوز لصاحب
السجع أن يأتى به وهو بخلاف ماذكرته أنا ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد غير اللفظة
عن وضعها طلبا للسجع فقال مأزورات وانما هى موزورات وقال العين اللامة وانما هى
الملمة الا أنه ليس فى ذلك زيادة معنى بل يفهم من لفظة مأزورات أنها قائمة مقام موزورات
وكذلك يفهم من لفظة لامة أنها بمعنى ملمة فالسجع قد أجيز معه تغيير وضع اللفظة وأجيز معه

والانسى (قال الاصمعى) الوحشى
الذى يركب منه الراكب
ويحتلب منه الحالب وانما قالوا
فجال على وحشيه
وانصاع جانبه الوحشى
لانه لا يؤتى فى الركوب والحلب
والمعالجة الا منه فانما خوفه منه
والانسى الآخر وقال أبو زيد
الانسى الايسر وهو الجانب
الذى يركب منه الراكب
والوحشى الايمن قال أبو عبيدة
الوحشى الايسر من الناس
والدواب والايمن الانسى ويقال
الانسى قال الاصمعى كل اثنين من
الانسان مثل الساعدين والزندين
وناحيتى القدم فما أقبل على
الانسان منهما فهو انسى وما أدبر
عنه فهو وحشى (والموفرة)
الشعرة الى شحمة الاذن فاذا
ألمت بالمنكب فهى لمة (والانزع)
الذى انحسر الشعر عن جانبى
جبهته فاذا ازداد قليلا فهو أجلح
فاذا بلغ النصف أو نحوه فهو أجلى
ثم أجله (والافرع) التام الشعر
الذى لم يذهب منه شئ كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أفرع واذا سال الشعر من الرأس
حتى يغطى الجبهة والوجه فذلك
الغمم يقال رجل أغم القفا وذلك
مما يذم به قال الشاعر وهو هدبة
ابن الخشرم
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
ويقال رجل ملهوز اذا بدا الشيب
فى رأسه ثم هو أشمط اذا اختلط
السواد والبياض ثم هو أشيب
(والقرن) فى الحاجبين ان
يطولا حتى يلتقى طرفاهما

أن يورد لفظتان بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين ومع هذا فلم يجز فى استعماله ان يورد فقرتان بمعنى واحد لانه تطويل محض لافائدة فيه وبين الذى ذكرته أنت وبين الذى ذكرته أنا فرق ظاهر (والذى قدمته) من الامثلة المسجوعة للصابى والصاحب بن عباد ربما كانت يسيرة أتهم فيها بالتعصب ويقال انى التقطتها التقاطا من جملة رسائلهما وقد خرجت من عهدة هذه التهمة وذلك أنى وجدت للصابى تقليدا بنقابة الاشراف العلويين ببغداد وكنت أنشأت تقليدا بنقابة الاشراف العلويين بالموصل وقد أوردت التقليدين ههنا ليتأملهما الناظر فى كتابى هذا ويحكم بينهما ان كان عارفا أو يسأل عنهما العارف ان كان مقلدا وقد أوردت تقليد الصابى أولا لانه المقدم زمانا وفضلا وهو هذا ما عهد أمير المؤمنين الى محمد بن الحسين ابن موسى العلوى الموسوى حين وصلته به الانساب وتأكدت له الاسباب وظهرت دلائل عقله ولبابته ووضحت مخايل فضله ونجابته ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين ما مكن له عند أمير المؤمنين من المحل المكين ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة والتأهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء الثقال وحيث رغبه فيه سابقة الحسين أبيه فى الخدمة والنصيحة والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة التى طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره وكان محمد متخلقا بخلائقه وذاهبا فى طرائقه علما وديانة وورعا وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة بالحظ الجزيل من الفضل الجميل والادب الجزل والتوجه فى الاهل والايفاء بالمناقب على لداته وأترابه والابرار على قرائبه وأضرابه فقلده ما كان داخلا فى أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبين أجمعين بمدينة السلام وسائر الاعمال والامصار شرقا وغربا وبعدا وقربا واختصه ذلك جذبا بضبعه وانافة بقدره وقضاء لحق رحمه وترفيها لأبيه واسعافا له بايثاره فيه أمر المؤمنين واستخلافه عليه من النظر فى المظالم وتسيير الحجيج فى المواسم والله يعقب أمير المؤمنين فيما أمر ودبر حسن المعاقبة فيما قضى وأمضى وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب وأمره بتقوى الله التى هى شعار المؤمنين وسناء الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين وأن يعتقدها سرا وجهرا ويعتمدها قولا وفعلا ويأخذ بها ويعطى ويسير بها وينوى ويأتى ويذر ويورد ويصدر فانها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب والمسلك المفضى الى دار الثواب وقد حض الله أولياءه عليها وهداهم فى محكم كتابه اليها فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وأمره بتلاوة كتاب الله مواظبا وتصفحه مداوما ملازما والرجوع الى أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأثاب وعاقب وباعد وقارب فقد صحح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه ومحجته وجعله نجما فى الظلمات طالعا ونورا فى المشكلات ساطعا فمن أخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هوى وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو اليه الشبهات وتطلع اليه التبعات وأن يضبطها ضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه آمرا ناهيا لها ولا يجعل لها عذرا الى صبوة ولا هفوة ولا يطلق منها عنانا عند ثورة ولا فورة فانها أمارة بالسوء منصبة الى الغى فمن رفضها نجا ومن اتبعها هوى فالحازم متهم عند تحرك وطره وأربه واهتياج غيظه وغضبه ولا بد أن يغضها بالشكيم ويعركها عرك الاديم ويقودها الى مصالحها بالخزائم ويفتقدها من مقارفة المآثم

(والبلج) ان ينقطعا حتى يكون ما بينهما نقيا من الشعر والعرب تستحبه وتكره القرن (والزجج) طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما الى مؤخر العينين (والمقلة) شحمة العين التى تجمع السواد والبياض والسواد الاعظم هو الحدقة (والاصغر) هو الناظر وفيه انسان العين وانما الناظر كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك فيها والذى تراه فى الناظر هو شخصك (والمأق) والموق واحد وهو طرفها الذى يلى الانف (واللحاظ) مؤخرها الذى يلى الصدغ قال أبو عبيدة وذنابة العين مؤخرها (والخوص) صغر العين وغؤورها فان كان فى مؤخرها ضيق فهو (حوص) وبه سمى الاحوص (والنجل) سعتها وعظم مقلتها (والخزر) ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخرها (والشوس) ان ينظر باحدى عينيه ويميل وجهه فى شق العين التى ينظر بها (والشمم) فى الانف ارتفاع القصبة واستواء أعلاها واشراف فى الارنبة (والقنا) طول الانف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه (وعذبة) اللسان طرفه (وعكدته) أصله (والصردان) العرقان اللذان يستبطنانه (والشدق) سعة الشدقين (والجيد) طول العنق (والتلع) اشرافه (والهنع) تطامنه (والصعر) ميله (والغلب) غلظه (والبتع) شدته (والاخدعان) عرقان فى موضع المحجمتين ربما وقعت الشرطة على أحدهما فنزف صاحبه (والودجان) العرقان

والمحارم كيما يعز بتذليلها وتأديبها ويجمل برياضها وتقويمها والمفرط تطمح به اذا طمحت ويجمح معها اذا جمحت ولا يلبث أن توردة حيث لا يصدر وتلجئه الى أن يعتذر وتقيمه مقام النادم الواجم وتنكب به سبيل الراشد السالم وأحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمثل سهمه فى نسب أمير المؤمنين الشريف ومنصبه المنيف واجتمع معه فى ذؤابة العترة الطاهرة واستظل بأوراق الدوحة الفاخرة فذلك الذى تتضاعف به المآثر ان آثرها والمثالب ان أسف اليها ولا سيما من كان مندوبا للسياسة ومرشحا للتقليد على أهله اذ ليس يفي بالصلاح لمن ولى عليه ولا يفي باصلاح ما بين جنبيه ومن أعظم الهجنة عليه أن يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا يزدجر قال الله تعالى ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتصفح أحوال من ولى عليهم من استقراء مذاهبهم والبحث عن بواطنهم ودخائلهم وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزلته ويوفيه حقه وزينته وينتهي فى اكرام جماعتهم الى الحدود التى توجبها أنسابهم وأقدارهم وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم فان ذلك يلزمه لشيئين أحدهما يخصه وهو النسب الذى بينه وبينهم والآخر يعمه والمسلمين جميعا وهو قول الله جل ذكره قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى فالمودة لهم الاعظام لأكابرهم والاشتمال على أصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه متأكد اللزوم له ومن كان منهم فى دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا اعليه وجذعان لم يقرحوا ومجرين الى ما يزرى بأنسابهم ويغض من احسابهم عذلهم وأنبهم ونهاهم ووعظهم فان نزعوا وأقلعوا فذلك المراد بهم والمقصد فيهم وان أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فان نفع والا تجاوزه الى ما يلذع ويوجع من غير تطرق لاعراضهم ولا امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة والادالة لا الاذالة واذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعى الخصوم قادهم الى الاغفاء بما يصح منها ويجب والخروج الى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمره الله تعالى فيها بعد أن تثبت الجرائم وتصح وتبين وتتضح وتتجرد عن الشك وتتجلى من الظن والتهمة فان الذى يستحب فى حدود الله عز وجل أن تدرأ مع نقصان اليقين والصحة وأن تمضى عليهم مع قيام الدليل والبينة قال الله عز وجل ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره بحياطة أهل النسب الاطهر والشرف الافخر عن أن يدعيه الادعياء أو يدخل فيه الدخلاء ومن انتمى اليه كاذبا أو انتحله باطلا ولم يوجد له بيت فى الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة أوقع به كذبه وفسقه وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه وينزع بها غيره ممن تسول له ذلك نفسه وأن يحمى الفروج عن مناكحة من ليس كفؤا لها فى شرفها وفخرها حتى لا يطمع فى المرأة الحسيبة النسيبة الا من كان مثلا لها مساويا ونظيرا موازيا فقد قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأمره بمراعاة متبتلي أهله ومتهجديهم وصلحائهم ومجاوريهم وأراملهم وأصاغرهم حتى تستد الخلة من أحوالهم وتدر المواد عليهم وتتعادل أقساطهم فيما يصل اليهم من وجوه أموالهم وأن يزوج الايامى ويربي اليتامى ويلزمهم المكاتب فيتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرفه حسبه وسخف أدبه اذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل بفضل سعى ولا طلب ولا اجتهاد بل

بصنع

اللذان يقطعهما الذابح (والوريدان) عرقان تزعم العرب انهما من الوتين (والصليفان) ناحيتا العنق عن يمين وشمال والسالفتان ناحيتا مقدم العنق عن يمين وشمال من لدن معلق القرط (والزج) طرف المرفق (والباطن) من المرفق يقال له المأبض وهو باطن الركبة أيضا (والاسلة) مستدق الذراع (والعظمة) وسط الذراع الغليظ منها (والرسغ) منتهى الكف عند المفصل (والنواشر) عروق ظاهر الذراع (والرواهش) عروق باطن الذراع (والاشاجع) عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع (والرواجب) بطون السلاميات وظهورها (والبراجم) رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت (والزندان) ما انحسر عنه اللحم من الذراع فرأس الزند الذى يلى الخنصر هو الكرسوع ورأس الزند الذى يلى الابهام هو الكوع (والالية) اللحمة التى فى أصل الابهام (والضرة) اللحمة التى تقابلها (والنحر) موضع القلادة (واللبة) موضع المنحر (والثغرة) الهزمة بين الترقوتين (والبرك) وسط الصدر (والكلكل) معظم الصدر والاعفاج من الناس ومن الحافر كله ومن السباع كلها واليها يصير الطعام بعد المعدة واحدها عفج (والمصارين) لذوات الخف والظلف مثلها وهى التى تؤدى اليها الكرش ما دبغته (والقوانص) للطير مثلها وهى

بصنع الله تعالى له ومزيد المنة عليه وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما فيها من المزية واعمال النفس فى حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن الرذائل والمثالب وأمره باجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر والاخذ للمظلوم من الظالم وأن يجلس للمترافعين اليه جلوسا عاما ويتأمل كلامهم تأملا تاما فما كان منها متعلقا بالحاكم رده اليه ليحمل الخصوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة ويتحرى فى قضاياه أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل فان عادة الحكام وصاحب المظالم واحدة وهى اقامة الحق ونصرته وابانته واثارته وانما يختلف سبيلاهما فى النظر اذ كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر وليس له مع ذلك أن يرد للحاكم حكومة ولا يحل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه والله يهديه ويوفقه ويسدده ويرشده وأمره أن يسير حجيج بيت الله عز وجل الى مقصدهم ويحميهم فى بدأتهم وعودتهم ويرتبهم فى مسيرهم ومسلكهم ويرعاهم فى ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تصل اليهم مضرة وأن يريحهم فى المنازل ويوردهم المناهل ويناوب بينهم فى النهل والعلل ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء مجتهدا فى الصيانة لهم ومعذرا فى الذب عنهم ومتلوما على متأخرهم ومتخلفهم ومنهضا لضعيفهم ومريضهم فانهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان وفارقوا الجيرة والاخوان وتجشموا المغارم الثقال وتعسفوا السهولة والجبال يلبون دعاء الله ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم أن يحرسهم متبرعا ويحوطهم متطوعا فكيف من تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتقبه قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وأمره أن يراعى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها وأن يجبى أموال وقفها ويستقصى جميع حقوقها وأن يلم شعثها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله لا يزيل رسما جرى ولا ينقض عادة كانت لها وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بأن عمارتها جرت على يده وصلاح أداه قول أمير المؤمنين فى ذلك تنويها باسمه واشادة لذكره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت عفته وصيانته فقد قال الله جل من قائل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الاعمال فى الامصار الدانية والنائية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال ذوى الوفاء والاستقلال وأن يعهد اليهم مثل ما عهد اليه ويعتمد عليهم مثل ما اعتمد عليه ويستقصى فى ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم فمن وجده محمودا قربه ومن وجده مذموما صرفه ولم يمهله واعتاض من ترجى الامانة عنده وتكون الثقة معهودة منه وأن يختار لكتابته وحجابته والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يغشه ويجمله ولا يهجنه من الطبقة المعروفة باللطف المتصونة عن العطف ويجعل لهم من الارزاق الكافية والاجرة الوافية ما يصدهم عن المكاسب الذميمة والمآكل الوخيمة فليس تجب عليهم الحجة الا مع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره

التى تؤدى اليها الحوصلة (والحوصلة) بمنزلة المعدة (والسرة) فى البطن ما بقى بعد القطع (والسرر) ما تقطعه القابلة (والاهيف) من البطون الضامر (والانجل) المسترخى (والاحليل) مخرج البول (والحوق) حرف الكمرة وهو اطارها (والوترة) العرق الذى فى باطن الكمرة (والعصعص) عجب الذنب يقال هو أول ما يخلق وآخر ما يبلى (والعير) القدم الشاخص فى وجهها وأخمصها ما دخل من باطنها فلم يصب الارض فان لم يكن فيها أخمص فهى رحاء يقال رجل أرح (والثنة) ما بين السرة والعانة وهى مراق البطن بالتشديد

فروق فى الاسنان

قال أبو زيد للانسان أربع ثنايا وأربع رباعيات الواحدة رباعية مخففة وأربعة أنياب وأربعة ضواحك واثنتا عشرة رحا ثلاث فى كل شق وأربعة نواجذ وهى أقصاها وقال الاصمعى مثل ذلك كله الا انه جعل الارحاء ثمانيا أربعا من فوق وأربعا من أسفل والناجذ ضرس الحلم يقال رجل منجذ اذا أحكم الامور وذلك مأخوذ من الناجذ (والنواجذ) للانسان والفرس وهى الانياب من الخف والسوالغ من الظلف قال أبو زيد لكل ذى ظلف وخف ثنيتان من أسفل فقط والحافر والسباع كلها أربع ثنايا وللحافر بعد الثنايا أربع رباعيات وأربعة قوارح وأربعة أنياب وثمانية أضراس

أن يكتب لمن تقوم بينته عنده وتنكشف له حجته الى أصحاب المعارف بالشد على يده وايصال حقه اليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الظالمة عنه اذهم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته لك وعليك قد أبان منه سبيلك وأوضح دليلك وهداك لرشدك وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به ولا تخالفه وانته اليه ولا تجاوزه وان عرض لك عارض يعجزك الوفاء به ويشتبه عليك الخروج منه أنهيته الى أمير المؤمنين مبادرا وكنت الى ما يأمرك به صائرا ان شاء الله تعالى ﴿وأما التقليد الذى أنشأته أنا﴾ فقد أوردته بعد هذا التقليد وهو أما بعد فان كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم وكل كتاب لا يرقم باسمه فليس بمعلم وعلى هذا فان حمده يتنزل من الكلام منزلة الاعضاء من الاجسام واسمه يتنزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب وقد جمعنا فى كتابنا هذا بين التسمية والتحميد وجعلنا احداهما مفتاحا للتيمن والآخر سببا للمزيد ثم ردفناهما بالصلاة على سيدنا محمد الذى أيده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبل كل شهيد وعلى آله وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ومما يقترن بهذه الصلاة فى ثوابها ويجىء على أعقابها النظر فى أمر الاسرة النبوية التى وصل ودها بوده وجعلها احدى الثقلين المخلفين من بعده وقد تقادم الآن زمانها وتشعبت أغصانها ونسى ما لها فى الرقاب من عهدة الامانة ولم توضع فيما وضع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المكانة وأولى الناس بها من أضمر ولاءها حقا وأوجب أن يرد معها الحوض حين يقال لوارده سحقا وكان عن تحت يده منها بارا رفيقا حتى لا يسأله برا ولا رفقا ونحن نرجو أن يفوز بفضيلة هذه الحسنة وأن يسبق اليها سبق المتقرب فى الجمعة ببدنة ومن أهم أمورها أن يختار لها زعيم يرأف بها رأفة الوالد بولده ويقوم بأمرها قيام الرأس بجسده حتى تأتلف أصولها كلها فى مغرسها ولا يحكم عليها من ليس من أنفسها وقد اخترنا لها من وفقنا فى اختياره وأخذنا فيه ببيان الرأى وحزمه لا بشبهة الهوى واغتراره ولو لم يكن من القوم الذين ولوها لكان استحقاقه لها بينا والتعويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قديمة الميلاد ووراثته اياها عن سيادة الجدود وسودد الاجداد وهو أنت أيها السيد الاجل الشريف الحسيب النسيب فلان بن فلان الحسينى ولو شئنا لاسندنا هذه النسبة كابرا عن كابر ونضدناها آخرا بعد أول عن أول قبل آخر حتى وصلنا هذا الفرع بشجرته الطيبة وهذا القطر بسحابته الصيبة وشرف الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قديما وأخلقه ما كان جديدا وما تولى الروح الامين مدحه قرآنا أكرم مما تولى الشعراء مدحه قصيدا ولا فضل للمعتزى الى هذا النسب حتى تلحق البنوة بالابوة ويضيف درجة الفضيلة الى محتد النبوة وحينئذ يقال ما أقرب الشبه على قدم عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده وأنت ذلك الرجل الذى تردد الشرف فى مناسبه تردد القمر فى منازله وزها المجد بمناقبه زهو الروض فى خمائله فلا جرم أن حسبك تغنيك عن سؤال من وما وتملأ بودك وحمدك قلبا وفما والحسب ما حفظت أواخره أوائله وأوضحت الليالى والايام دلائله وأقرت به الاعداء فأوردت فضائله وهذه هى المآثر التى اذا نظمت غارت الشعراء عليها من الشعر واذا نثرت وجدت فى محكم الذكر وأنت صاحبها وابن صاحبها ومن لم يرثها عن أباعدها بل عن أقاربها ولو جانبت ياستها مصانعا ومشيت بها الضراء متواضعا لدل عليك وصفها وعرف منك عرفها وقد قلدناك أمر هذه الاسرة الطاهرة التى هى أسرتك وأمرناك عليها وامرتها امرتك فتولها تولى من خفض لها جناحه

قالوا وكل ذى حافر يقرح وكل ذى خف يبزل وكل ذى ظلف يصلغ ويسلغ (والفرس) وكل ذى حافر أول سنة حولى والجميع حوالى ثم جذع وجذاع ثم ثنى وثنيان ثم رباع بالكسر وجمعه ربعان ثم قارح وقرح والانثى جذعة وجذعات وثنية وثنيات ورباعية مخففة ورباعيات وقارح وقوارح ويقال اجذع المهر وأثنى وأربع وقرح هذا وحده بغير ألف (والبعير) أول سنة حوار ثم ابن مخاض فى الثانية لان أمه فيها من المخاض وهى الحوامل فنسب اليها وواحدة المخاض خلفة من غير لفظها ثم ابن لبون فى الثالثة لان أمه فيها ذات لبن ثم حق فى الرابعة يقال سمى بذلك لاستحقاقه ان يحمل عليه ثم جذع فى السنة الخامسة ثم يلقى ثنيته فى السادسة فهو ثنى ثم يلقى رباعيته فى السابعة فهو رباع ثم يلقى السن التى بعد الرباعية فهو سديس وسدس وذلك فى الثامنة ثم يفطر نابه فى التاسعة فهو بازل فاذا أتى عليه عام بعد البزول فهو مخلف وليس له اسم بعد الاخلاف ولكن يقال مخلف عام ومخلف عامين فاذا زاد (ثم لا يزال) كذلك حتى يكون عودا اذا هرم قال أبو زيد المؤنث فى جميع هذه الاسنان بالهاء الا السديس والسدس والبازل فان ذلك بغير هاء (قال الكسائى) الناقة مخلف أيضا بغير هاء (قال أبو زيد) الناقة لا تكون مخلفا

وأفاض عليها اسماحه وأنضى فيها غدوه ورواحه حتى يقال انك الراعى الذى تناول ثلثه فاراح حسيرها وجبر كسيرها وارتاد لها خصبا وأوردها رفها الاغبا وأذكى فى كلاءتها عينا وقلبا ومن حقها عليك أن تنظر الى ذات شمالها وذات يمينها وتتصفح أحوالها فى أمر دنياها ودينها فاول ذلك أن تعلمها كتاب الله تعالى الذى فى تعليمه نهج الصواب وفى تلاوته مضاعفة حسنات الثواب وقد مثل قارئه بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم التنزيل وتولى الله حفظه من التحريف والتبديل وافتتحه بالسبع المثانى التى لم ينزل مثلها فى التوراة ولا فى الانجيل وهو الموصوف بأنه النور المستضاء به فى غياية الظلماء والحبل الممدود من الارض الى السماء والبحر الذى لا يستخرج لؤلؤه ومرجانه الا الراسخون من العلماء وكذلك نخذ هذه الاسرة بتعليم الفضائل التى تتفاوت بها القيم وسمها برياضة الآداب وتهذيب الشيم ولا تتركها فوضى لا يتسم أحدها بسمة القدر المنيف ولا يرجع الى حسب تليد ولا الى سعى طريف وتكون غاية ما عنده من الفضيلة أن يقال فلان الشريف ومن حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن توفى فضل مكانها وتخالف بين شأن غيرها من المسلمين وبين شأنها فلا تبتذل بمجالس الولاة فى انتزاع ظلامة ولا فى اقامة حد يسلب معه رداء الكرامة وأنت تتولى ذلك منها فاوجب عليها من حق نخذها باقتضائه وأمض فيها حكم الله الذى أمر بامضائه وليكن ذلك على وجه الرفق الذى يسلس له القياد ويتوطأ له المهاد وان أمكنك افتداء شئ من هذه الظلامات التى تتوجه عليها فافد وقد أتم الله فضلها بمنع كرائمها الامن كفؤ لا دناءة فى عنصره ولا غضاضة فى مخبره وهو الذى ان فاته شرف النبوة فى مغرسه فلم يفته شرف النباهة فى معشره واذا تباينت الاقدار فلا فرق بين المناكح المخطوبة وبين الاسلاب المسلوبة فاحفظ لاسرتك حرمة هذه المنزلة واجعلها فى كتاب الوصايا التى وصيت بها مكان البسملة وكما أمرناك بالنظر فى صون أقدارها فكذلك نأمرك بالنظر فى حفظ مادة درهمها ودينارها وقد علمت أن لها أوقافا وقفها قوم لحظوا أجرها واسمها وستحظى أنت بالعدل فى قسمها فأجر على كل منها رزقه وأعط كل ذى حق حقه وفى الناس طائفة أدعياء يرومون الحاق الرأس بالذنب والنبع بالغرب ويلحقون أبا الغيران وابنا لغير أب كل ذلك رغبة فى سحت يأكلونه لا فى نسب يوصلونه فنقب عن حال هؤلاء تنقيبا واجعل النسيب نسيبا والغريب غريبا حتى تخلص السلالة من طراقها وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها ومن علمت كذبه فازجره بأليم الازدجار وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار وأشهره فى الناس حتى ينتهى وينتهى غيره بذلك الاشتهار وههنا وصية هى أهم من هذه الوصية أمرا وأعظم أجرا وأجدر بأن تكون هى الاولى وتكون هذه الاخرى وهى الأخذ على ألسنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه واظهار العصبية التى تزحزح الحق عن نصابه وترجعه على أعقابه وليس مستندها الا مقالات ذوى الجهل ورعاع نشأ منها فتنة والفتنة أشد من القتل فوكل بهؤلاء غربا قاطعا ونهيا قامعا وكن فى ذلك شارعا لما كان الله شارعا فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء وقصارى المحسن فى هذا الزمان أن يتعلق منها سببا ويأخذ عنهم دينا أو أدبا ولا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهبا ونحن نعلم انك واقف على سنن اقتصادك وأن هذه الوصية هى محض اعتقادك والمنصف فى هذا المقام من رمقه بنظر جلى ووفى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما حقهما وان كان من نسل على فكل قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله وهؤلاء

ولكن اذا أتى عليها حول بعد البزول فهى بزول الى أن تنيب فتدعى عند ذلك نابا (وولد الضأن) أول سنة حمل ثم يكون جذعا فى الثانية ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم صالغا فى السادسة وليس له بعد ذلك اسم (وولد المعز) أول سنة جدى ثم تنقله فى الاسنان مثل تنقل الجمل (وولد البقرة) أول سنة تبيع ثم تنقله فى الاسنان مثل تنقل ولد الضأن (وولد المعز) كذلك (وولد الظبية) أول سنة طلا وخشف ثم هو فى السنة الثانية جذع ثم هو فى الثالثة ثنى ثم لا يزال ثنيا حتى يموت قال الشاعر يصف ابلا أخذت فى دية

جاءت كسن الظبى لم أر مثلها
سناء قتيل أو حلوبة جائع

أى هى ثنيان (وولد الضب) حسل ولا يسقط له سن ولذلك يقال فى المثل لا آتيك سن الحسل أى لا آتيك أبدا (ويقال) أفرت الابل افرارا للاثناء اذا ذهبت رواضعها وطلع غيرها (قال) أبو عبيدة أحفر المهر للاثناء والارباع والقروح (وقال) أبو زيد الكلابى اذا سقطت رواضع الصبى قيل ثغر فهو مثغور فاذا نبتت أسنانه قيل أثغر واتغر (ويقال) فم مقنع اذا كانت أسنانه معطوفة الى داخل فان كانت منصبة الى قدام قيل أدفق وهو فى الابل عيب

﴿فروق فى الافواه﴾

(المشفر) للخف (والمرمة والمقمة) للظلف (والجحفلة) للحافر

من صحابته وهذا من أهله ونعوذ بالله من الاهواء الزائغة والاقوال التى ليست بسائغة ولا حجة الا بالحق ولله الحجة البالغة وقد جعلنا لك فى مال النماء عطاء دارا تستعين به على لوازم النفقات وتخرج نافلته فى وقاية عرضك التى هى محسوبة من الصدقات فان من ساد قوما يفتقر الى تحمل أثقالهم والافاضة من حاله على أحوالهم وهذا يكون منا أصله ومنك فرعه وثواب يكون لك قصده ولنا شرعه وصاحب الاحسان من سن سبيل الاحسان ولم نرض أن أريناك مكانه حتى أمددناك فيه بالامكان فأعط مالنا وتعلم من سنة افضالنا ولد ولتتابذلك ثوب جمال كلما لبس زاد جدة وعمر ذكر كلما مضت عليه مدد الايام طال مدة ولا مالك فى الدنيا لمن لم يجعل ماله حديثا حسنا ويشترى المحامد فيجعلها له اقتنا ومن عرف قدر الثناء جد فى تحصيله ولو أنفق الكثير فى قليله فكم من دولة أعدمت منه فدرست آثار معالمها ولو كانت منه مثرية لما ذهبت مع بقاء مكارمها واذ ذكرناه هذا فلنختمه بما يكون قلادة لصاحب هذا التقليد وهو أن نجرد العناية بوجاهته حتى يلبس تقدما بذلك التجريد وفحوى ذلك أن يعلم الناس ماله فى الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا أنه فيها ابن جلاء غير محتاج الى وضع العمامة ونحن نأمر نوابنا وولاتنا وأصحابنا أن يوفوه حق أبوته الشريفة وفضيلته التى ردفتها فأضحت وهى لها رديفة وأن يعطوه ماشاء من اعلاء شأنه ويمضوا فعل يده وقول لسانه ان شاء الله تعالى (وقد وجدت للصابى) أيضا تقليدا أنشأه لفخر الدولة أبى الحسن ابن ركن الدولة أبى على بن بويه عن الخليفة الطائع رحمه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض على تقليد كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من الخليفة المستضىء بالله رحمه الله فى سنة احدى وسبعين وخمسمائة فوجدت فيه كلاما نازلا بالمرة وسألنى بعض الاخوان بمدينة دمشق أن أعارضه فعارضته بتقليد فى معناه وهو مثبت ههنا أيضا وكلا التقليدين باسم ملك كبير وفيهما يظهر ما ذكرت من فصاحة وبلاغة (فأما التقليد) الذى أنشأه الصابى فهو هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الطائع لله أمير المؤمنين الى فخر الدولة أبى الحسن بن ركن الدولة أبى على مولى أمير المؤمنين حين عرف غناءه وبلاءه واستصح دينه ويقينه ورعى قديمه وحديثه واستنجب عوده ونجاره وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبى الحسين مولى أمير المؤمنين عليه وأشار بالمزيد فى الصنيعة اليه وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به فى كل مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رمى اليه من النصيحة دخولا فى زمرة الاولياء المنصورة وخروجا عن جماعة الاعداء المدحورة وتصرفا على موجبات البيعة التى هى بعز الدولة أبى منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة فقلده الصلات وأعمال الحرب والمعاون والاحداث والخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالى وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة فى الاولياء والمظالم وأسواق الدقيق والعيار فى دور الضرب والطرز والحسبة بكور همذان واستراباذ والدينور وتوريز والامعارين وأعمال اذربيجان وأران والسحانين وموقان وائتمنه باستقبال استدامتها والاستزادة بالشكر منها والتجنب بغمطها وجحودها والتنكب لايحاشها وتنفيرها والتعمد لما يمكن له الحظوة والزلفى ويحرس عليه الاثرة والقربى بما يظهره ويضمره من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الامين والصدر السليم والمقاطعة لكل من قطع العصمة وفارق الجملة والمواصلة لكل من حمى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ومع عز الدولة أبى منصور وفى حوزته والله جل اسمه يعرف لامير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض وسداد الرأى

(والخراطيم) للسباع قال أبو زيد منقار الطائر ومنسره واحد وهو الذى ينسر به نسرا

فروق فى ريش الجناح

قالوا جناح الطائر عشرون ريشة أربع قوادم وأربع مناكب وأربع أباهر وأربع كلى وجناح الطائر يده

فروق فى الاطفال

(ولد) كل سبع جرو (وولد) كل ذى ريش فرخ (وولد) كل وحشية طفل هذا جملة هذا الباب (ثم ولد) الفرس مهر وفلو (وولد) الحمار جحش وعفو وتولب وكذلك البغل الصغير (وولد) البقرة عجل وعجول والانثى عجلة (وولد) الضائنة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى سخلة وجمعه سخال وبهمة وبهم فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه فهو حمل وخروف والانثى خروفة ورخل (وولد) الماعزة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى سخلة وبهمة فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه فهو جفر والانثى جفرة وعريض وعتود اذا رعى وقوى وجمعه عرضان وعدان وأعتدة وهو فى كل ذلك جدى والانثى عناق (وولد) الناقة فى أول النتاج ربع والانثى ربعة والجميع رباع وفى آخر النتاج هبع والانثى هبعة ولا يجمع هبع هبعا وهو فى ذلك كله حوار (وولد) الاسد شبل (وولد) الاروية الغفر (وولد) الضبع الفرعل فان كان من الذئب فهو (سمع وولد) الدب الديسم (وولد) الظبية خشف وطلا (وولد) الخنزير

فيمن رفع وخفض ويجعل عزائمه مقرونة بالسلامة محجوبة عن موارد الندامة وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنة الحصينة والطود الارفع والمعاذ الامنع والجانب الاعز والملجأ الاحرز وأن يستشعرها سرا وجهرا ويستعملها قولا وفعلا ويتخذها ذخرا دافعا لنوائب القدر وكهفا حاميا من حوادث الغير فانها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعودها على العبد بصالحه وأدعاها الى كل مناجحه وأولاها بالاستمرار على هدايته والنجاة من غوايته والسلامة في دنياه حين توبق موبقاتها وتردي مردياتها وفي آخرته حين تروع رائعاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بأدب الله في التواضع والاخبات والسكينة وصدق اللهجة اذا نطق وغض الطرف اذا رمق وكظم الغيظ اذا أحفظ وضبط اللسان اذا أغضب وكف اليد عن المآثم وصون النفس عن المحارم وأن يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف الذي هو صائر اليه ويعلم أنه مسؤل عما اكتسب مجزي عما ازدمل واحتقب ويتزود من هذا الممر لذلك المقر ويستكثر من أعمال البر لتنفعه ومن مساعي الخير لتنقذه ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ويزدجر عن السيآت قبل أن يزجر منها ويبتدئ باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يأتي ضده ولا ينهاهم عما يقترف مثله ويجعل ربه رقيبا عليه في خلواته ومروأته مانعة له من شهواته فان أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من ضرع لغذاء الحمية من ملك أزمة الامور واقتدر على سياسة الجمهور وكان مطاعا فيما يرى متبعا فيما يشا يلي على الناس ولا يلون عليه ويقتص منهم ولا يقتصون منه فاذا اطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله وصحة سريرته واستقامة سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمله وجعل له مخلصا من الشبهة ومخرجا من الحيرة فقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال واتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آي كثيرة حضنا بها على أكرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصبها ازاء نظره والشقي من نبذها وراء ظهره وأشقى منهما من بعث عليها وهو صادف عنها واهاب اليها وهو بعيد منها وله ولامثاله يقول الله تعالى ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتخذ كتاب الله اماما متبعا وطريقا متوقعا ويكثر من تلاوته اذا خلا بذكره ويملأ بتأمله أرجاء صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقتدي به اذا نهى وأمر ويستبين ببيانه اذا استغلقت دونه المعضلات ويستضيء بمصابيحه اذا اعظمت عليه المشكلات فانه عروة الاسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد والكاشف لظلم الخطوب والشافي من مرض القلوب والهادي لمن ضل والمتلافي لمن زل فمن نجا به فقد فاز وسلم ومن لها عنه فقد خاب وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق الاوقات قائما على حدودها متبعا لرسومها جامعا فيها بين نيته ولفظه متوقعا لطامح سهوه ولحظه منقطعا اليها عن كل قاطع لها مشغولا بها عن كل شاغل عنها متثبتا في ركوعها وسجودها مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها موفرا عليها ذهنه صارفا اليها همه عالما بأنه واقف بين يدي خالقه ورازقه ومحييه ومميته ومعاقبه ومثيبه لا تستتر دونه خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة الاحرام الى خاتمة

خنوص (وولد) الارنب خرنق (وولد) الثعلب هجرس (وولد) الفيل دغفل (وولد) اليربوع والفارة درص (وولد) الضب حسل (وولد) الكلب والذئبة والهرة والجرذ درص أيضا (والرئال) فراخ النعام واحدها رال (وحفانها) صغارها سميت بذلك لخفيف الطيران (والفراخ) يقال لها الجوازل (والنهار) فرخ القطاة (ويقال) الليل فرخ الكروان (وقالوا) للذكر من أولاد الضأن اذا هو كبر كبش والانثى نعجة (والذكر) من أولاد المعز اذا كبر تيس والانثى عنزة

﴿فروق في السفاد﴾

أدلى الفرس ليضرب وودى ليبول (وكل) ذكر يمذي (وكل) أنثى تقذي يقال أمنى الرجل ومنى وأمنى أجود والاسم المني مشدد قال الله عز وجل من مني يمنى (والمذي) والودي مخففان فالمني ما يخرج عن الجماع من الماء الدافق والمذي ما يخرج من الذكر عن الملاعبة والتقبيل (والودي) ما يخرج بعد البول ويقال مذى وامذى ومذى أكثر وودى ولا يقال أودى (ويقال) للشاة اذا أرادت الفحل حنت فهي حانية واستحرمت أيضا (والاستحرام) لكل ذات ظلف (ويقال) للبقرة استقرعت (وللكلبة) صرفت واستجعلت (وكذلك) كل ذات مخلب (ويقال) لكل ذات حافر استودقت وودقت وللناقة استضبعت وضبعت (ويقال) جفر الفحل عن الابل وعدل اذا

التسليم أتبعها بدعاء يرتفع بارتفاعها ويسمع باستماعها لا يتعدى فيه مسائل الابرار ورغائب الاخيار من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام واستدعاء لمصالح الدين والدنيا وعوائد الآخرة والأولى فقد قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأمره بالسعي في أيام الجمع الى المساجد الجامعة وفي الاعياد الى المصليات الضاحية بعد التقدم في فرشها وكسوتها وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها واستسعاء الناس اليها وحضهم عليها آخذين الاهبة متنظفين في البزة مؤدين لفريضة الطهارة وبالغين في ذلك أقصى الاستقصاء معتقدين خشية الله وخيفته متدرعين تقواه ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤاله مصلين على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهمم الى الدين مصروفة وألسن بالتقديس والتسبيح فصيحة وآمال في المغفرة والرحمة فسيحة فان هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله الذي فضلها ومناسكه التي شرفها وفيها يتلى القرآن الكريم وتعوذ العائذون وتتعبد المتعبدون وتتهجد المتهجدون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونها ويعمرها ويواصلها ولا يهجرها وأن يقيم الدعوة على منابرها لأمير المؤمنين ثم لنفسه على الرسم الجاري فيها قال الله تعالى في هذه الصلاة يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال في عمارة المساجد انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يراعي أحوال من يليه من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الارزاق في أوقات الوجوب والاستحقاق وأن يحسن في معاملتهم ويجمل في استخدامهم ويتصرف في سياستهم بين رفق من غير ضعف وخشونة في غير عنف مثيبا لمحسنهم ما زاد بالاثابة في حسن الاثر وسلم معها من دواعي الاشر ومتغمدا لمسيئهم ما كان التغمد له نافعا وفيه ناجعا فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته تناوله من عقوبته ما يكون له مصلحا ولغيره واعظا وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأي والخطر منهم بالمشاورة في الملم والاطلاع على بعض المهم مستخلصا لخبايا صدورهم بالبسط والادناء ومستشحذا بصائرهم بالاكرام والاجتباء فان في مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب وتحرزا عن غلط الاستبداد وأخذا بمجامع الحزامة وأمنا من مفارقة الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة والسلام وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وأمره بأن يصمد بعناية تتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباط المرابطين ويقسم لها قسما وافرا من عنايته ويصرف اليها طرفا بل شطرا من رعايته ويختار لها أهل الجلد والشدة وذوي البأس والنجدة ممن حنكته الخطوب وعركته الحروب واكتسب دربة بخدع المتنازلين وتجربة بمكايد المتقارعين وأن يستظهر بكثف عددهم واعتبار عددهم وانتخاب خيلهم واستجادة أسلحتهم غير مجمر بعثا اذا بعثه ولا مستكرهه اذا وجهه بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تمدهم وترفههم ولا تؤدهم فان في ذلك من فائدة الاجمام والعدل في الاستخدام زينا فليسو بين رجال النوب فيما عاد عليهم بعز الظفر والنصر وبعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر ما يحق أن يكون الولاة به عاملين وللناس عليه حاملين وأن يكرر في أسماعهم ويثبت في قلوبهم مواعيد الله تعالى لمن صبر ورابط وسامح بالنفس

من

ترك الضراب (وربض) الكبش عن الغنم ولا يقال جفر (قال) الاصمعي وأبو زيد يقال للسباع كلها سفد يسفد سفادا وكذلك التيس والثور وكل طائر (ويقال) أيضا قرع الثور وكام الفرس وطرق وباك الحمار يبوك بوكا وقط الطائر وقفط (وقال) أبو زيد القفط لذوات الظلف ويقال في السباع وفي الظلف (وفي) الحافر نزا ينزو نزوا ونزاء (والعيس) ماء الفحل ويقال انه البرون وهو سم والزأجل ماء الظليم (وروبة) الفرس طرقه في جمامه

﴿فروق في الحمل﴾

كل ذات حافر نتوج وعقوق والناقة خلفة والجمع مخاض (وكل) سبعة ملمع وذلك اذا استقلت ضروعها للحمل واسودت حلماتها وذوات الحافر أيضا كذلك وكل مقرب من الحوامل فهو مجح (قال) أبو زيد أصل الاجحاح للسباع فاستعير في الانسان وأصل الحبل للنساء

﴿فرق في الولادة﴾

ان خرجت يدا الجنين من الرحم قبل فهو الوجيه (وان) خرج شئ من خلقه قبل يديه فهو اليتن (وان) ألقت الناقة ولدها لغير تمام فقد خدجت (وان) ألقته لتمام العدة وهو ناقص الخلقة فقد أخدجت بالالف فهي مخدج والولد مخدج وأول ولد الرجل بكره والذكر والانثى فيه سواء (وعجزة) أبويه آخر ولدهما والذكر والانثى فيه سواء (ويقال) أصاف الرجل اذا ولد له

من حيث لا يقدمون على تورط عزه ولا يحجمون عن انتهاز فرصه ولا ينكصون عن تورد معركة ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة فقد أخذ الله ذلك على خلقه والمرء أمين على دينه وأن يريح العملة فيما يحتاج اليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها وبناء حصونها ومعاقلها واستطراق طرقها ومسالكها وافاضة الاقوات والعلوفة فيها للمترتبين بها والمترددين اليها والحاملين لها وأن يبذل أمانه لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه ويفي بالعهد اذا عاهد وبالعقد اذا عاقد غير مخفر ذمة ولا جارح أمانة فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال عز من قائل فمن نكث فانما ينكث على نفسه وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم فمن كان اقراره واجبا أقره ومن كان اطلاقه سائغا أطلقه وأن ينظر في الشرطة والاحداث نظر عدل وانصاف ويختار لها من يخاف الله ويتقيه ولا يحابي ولا يراقب فيه ويتقدم اليهم بقمع الجهال وردع الضلال وتتبع الاشرار وطلب الزعار مستدلين على أماكنهم متوغلين الى مكامنهم متولجين عليهم في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يتبين من أمرهم ويصح من فعلهم في كبيرة ارتكبوها وعظيمة احتقبوها ومهجة ان أغاظوها واستهلكوها وحرمة ان استباحوها وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه وأحلوه به غير مقصرين عنه بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتونه حجة ولا يعترضهم في وجوبه شبهة فان الواجب في الحدود أن تقام بالبينات وأن تدرأ بالشبهات فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ولا يتوقفوا عنها مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط بما يحتاط به على مثله من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب الى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنايته وثبوتها باقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد الا ما أحاط به علما وأتقنه فهما وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالجها شك ولا يشوبها ريب ومن ألم بصغيرة من الصغائر ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها ولم يتقدم له أختها وعظه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ما لم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه وجزاء له فان عاد تناوله من التقويم والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ووفى بما اقترف فقد قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره أن يعطل ما في أعماله من الحانات والمواخير ويطهرها من القبائح والمناكير ويمنع من يجمع أهل الخنا فيها ويؤلف شملهم بها فانه شمل يصلحه التشتيت وجمع يحفظه التفريق ومازالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوي اليها ويعكف عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله معصية وفي اخرابها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وأمره أن يولي الحماية في هذه الاعمال أهل الكفاية والعناية من الرجال وأن يضم اليهم كل من خف ركابه وأسرع عند الصريخ مرتبا لهم في المسالح وسادا بهم ثغر المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ ويأخذهم بالتحفظ ويزيح عللهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم وميرهم حتى لا تنقل لهم عن البلاد وطاة

على الكبر وولده صيفيون (وأربع) اذا ولد له في الشبيبة وولده ربعيون (والبكر) التي ولدت واحدا (والثنى) التي ولدت اثنين (واذا وضعت) الانثى واحدا فهي مفرد وموحد وان وضعت اثنين فهي متئم

﴿فرق في الاصوات﴾

أزمل كل شئ صوته (والجرس) صوت حركة الانسان (والركز) الصوت الخفي (وكذلك) الهمس (والخرير) صوت الماء (والغرغرة) صوت القدر وكذلك الهزة (والوسواس) صوت الحلي (والشخير) من الفم (والنخير) من المنخرين (والكرير) من الصدر وقال الاعشى

نفسي فداؤك يوم النزال
اذا كان دعوى الرجال الكريرا

وهو صوت المختنق وقال أبو زيد الكرير الحشرجة عند الموت ويقال (هجهجت) بالسبع اذا صحت به وزجرته ولا يقال ذلك لغير السبع (وشايعت) بالابل (ونعقت) بالغنم (وأشليت) الكلب دعوته (ودجدجت) بالدجاجة (وسأسأت) بالحمار (وجأجأت) بالابل دعوتها للشرب (وهأهأت) بها للعلف (ويقال) الفرس يصهل ويحمحم اذا طلب العلف (والخضيعة) والوقيب صوت بطنه (قال) أبو زيد وأبو عبيدة هو تقلقل الجردان في القنب (والبغل) يسحج (والحمار) يسحل وينهق (والجمل) يرغو ويهدر (والناقة) تئط وتحن (والثور) يخور ويجأر (واليعار) للعز (والثؤاج)

ولا يدعوهم الى تحنقهم ونلهم حاجة وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ويبذرقوا القوافل صادرة وواردة ويحرسوا الطريق ليلا ونهارا ويتقصوها رواحا وغدوا وينصبوا لاهل العبث الارصاد ويتكمنوا لهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ومؤديا الى انفضاضهم ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئا لجمرتهم وصادعا لرؤيتهم ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها يترددون في جوادها ويتعسفون في عواديها حتى تكون الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن حصل في أيديهم من لص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم امتثل في أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من اباق العبيد والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم والبحث عن الاماكن التي فارقوها والطرق التي استطرقوها ومواليهم الذين أنفوا منهم ونشزوا عنهم وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وان ينشدوا الضالة ما أمكن أن تنشد ويحفظوها على ربها اذا جاز أن تحفظ ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبان ما يجز ويحلب وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم ضالة المؤمن حرق النار وأمره أن يوصي عماله بالشد على يد الحكام وتنفيذ ما يصدر عنهم من الاحكام وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذوي عقل ضعيف وحلم سخيف نالوه بما يردعه وأحلوا به ما ينزعه ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه بأمر يوجبه الحكم اليه أو التوى مانع بحق يحصل عليه ودين يستقر في ذمته قادوه الى ذلك بأذمة الصغار وخزائم الاضطرار وأن يحبسوا ويطلقوا بأقوالهم ويثبتوا الايدي في الاملاك والفروج وينزعوا بقضاياهم فانهم أمناء الله في فصل ما يقضون وبت ما يبتون وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون وقد قال الله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمال الخراج في استيفاء حقوق ما استعملوا عليه واستنظاف بقاياهم فيه والرياضة لمن تسوء طاعته من معامليهم واحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم فمن آداب الله تعالى للعبد الذي يحق عليه أن يتخذها ويجعلها للرضا عنه سببا قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاما وينظر في مظالمها نظرا تاما يساوي في الحق بين خاصها وعامها ويوازي في المجالس بين عزيزها وذليلها وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين حتى لا يحكم الا بعدل ولا ينطق الا بفصل ولا يثبت يدا الا فيما وجب تثبيتها فيه ولا يقبضها الا عما وجب قبضها عنه وأن يسهل الاذن لجماعتهم ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من حصانة الكنف ولين المنعطف والاشتمال والعناية والصون والرعاية ما تتعادل به أقسامهم وتتوازى منه أقساطهم ولا يصل

للضأن (والتيس) ينب ويهب اذا أراد السفاد (والاسد) يزئر وينهت ويئثم (والزمجرة) صوت صدره (والذئب) يعوى ويتضور اذا جاع (والثعلب) يضبح (والكلب) ينبح ويهر (والسنور) تهر وتغو وتأمو (والافعى) تفح بفيها وتكش بجلدها قال الشاعر

كشيش أفعى أجمعت بعض
فهي تحك بعضها ببعض

(والحية) تنضنض ويقال النضنضة تحريك لسانها (وابن آوى) يعوى (والغراب) ينغق بالغين المعجمة وينعب (والديك) يزقو ويسقع (والدجاجة) تنق وتنقض اذا أرادت البيض (والنسر) يصفر (والحمام) يهدر ويهدل (والمكاء) يزقو ويغرد (والقرد) يضحك (والنعام) يعار عرارا يقال ذلك في الظليم والانثى تزمر زمارا (والخنزير) يقبع (والظبي) ينزب نزيبا (والارنب) تضغب (والعقرب) تنق وتصئ ويقال صأى الفرخ والخنزير والفأرة واليربوع يصئ صئيا (والضفادع) تنق وتنقض وكذلك الفراريج (والجن تعزف)

﴿معرفة في الطعام والشراب﴾

طعام العرس (الوليمة) وطعام البناء (الوكيرة) وطعام الولادة (الخرس) وما تطعمه النفساء نفسها (خرسة) وطعام الختان (اعذار) وطعام القادم من سفره (نقيعة) وكل طعام صنع لدعوة (مأدبة) ومأدبة جميعا ويقال فلان يدعو النقرى اذا خص وفلان يدعو الجفلى (والاجفلى) اذا عم قال طرفة

الركين منهم الى استضامة ماتأخرعنه ولاذو السلطان الى هضيمة من حل دونه وأن يدعوهم الى أحسن العادات والخلائق ويحضهم على أحمد المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كله ويمد عليهم ظله ولا يسومهم عسفا ولا يلحق بهم حيفا ولا يكلفهم شططا ولا يجشمهم مضلعا ولا يثلم لهم معيشة ولا يداخلهم في جريمة ولا يأخذ بريا بسقيم ولا حاضرا بعديم فان الله عز وجل ينهى أن تزر وازرة وزر أخرى ويرفع عن هذه الرعية ماعسى أن يكون سن عليها من سنة ظالمة وسلك بها من محجة جائرة ويستقرى آثار الولاة قبله عليها فيمارجوه من خير أوشر اليها فيقر من ذلك ماطاب وحسن ويزيل ماخبث وقبح فان من غرس الخير يحظى بمعسول ثمره ومن زرع الشر يصلى بمرور زيغه والله تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الانكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون وأمره بأن يصون مال الخراج وأثمان الغلات ووجوه الجبايات موفرا ويزيد ذلك مثمرا بما يستعمله من الانصاف لاهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذى به قوة عباده وحماية بلاده ودرور حلبه واتصال مدده وبه يحاط الحريم ويدفع العظيم ويحمى الذمار ويذاد الاشرار وأن يجعل افتتاحه اياه بحسب ادراك اصنافه وعند حضور مواقيته وأحيانه غير متسلف شيأ قبلها ولا مؤخر الها عنها وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفية لهم وأهل الاستصعاب والامتناع بالتشديد عليهم لئلا يقع ارهاق لمذعن أواهمال لطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلا من الامرين موضعه ويوقعه موقعه متجنبا احلال الغلظة من لا يستحقها واعطاء الفسحة من ليس أهلها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان الاماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن يتخير عماله على الخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالى من أهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تعيها أسماعهم وعهود يقلدها أعناقهم بأن لا يضيعوا حقا ولا يأكلوا سحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقارفوا غشما وأن يقيموا العمارات ويحتاطوا ويتحرزوا من اتواء حق لازم أوتعطيل رسم عادل مؤدين فى جميع ذلك الامانة مجتنبين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه واستجادة نقده على عياره واستعمال الصحة فى قبض مايقبضون واطلاق مايطلقون وأن يعزو الى سعاة الصدقات فى أخذ الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن لا يجمعوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها خارجا عنها ولا يضيفوا اليها ماليس منها من فحل ابل وأكولة راع أوعقيلة مال فاذا اجتبوها على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها فى سبلها وقسموها على أهلها الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه العزيز الاالمؤلفة قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه الكريم وسقط سهمهم فان الله تعالى يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم والى جباة أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية فى المحرم من كل سنة بحسب منازلهم فى الاحوال وذات أيديهم فى الاموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المعهودة لها وأن لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذى سن عالية ولا ذى علة باديه ولا فقير معدم ولا مترهب متبتل وأن يراعى جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبديها لئلا

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى
لاترى الآدب فينا ينتقر

ويقال للداخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع (الوارش) وللداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع (الواغل) واسم ذلك الشراب الوغل (والضيفن) الذى يجىء مع الضيف ولم يدع (والارشم) هو الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه قال البعيث

* لخأت بيتن الضيافة أرشما *

(والبشم) فى الطعام (والبغر) فى الماء وعير رجل من قريش فقيل

* مات أبوك بشما وماتت أمك بغرا *

صل اللحم واصل تغير وهونىء (وخم وأخم) تغير وهو شواء وطبيخ (وسنخ) الدهن وغس (والنقاة) مايلقى من الطعام وهو مثل نقايته والنقاوة خياره (والجود) الجوع والجواد العطش (قرمت) الى اللحم (وعمت) الى اللبن ويدى من اللحم (غمرة) وزهمة (والزهم) الشحم ومن الزبد واللبن (وضرة) قال الشاعر

سيغنى أبا الهندى عن وطب سالم
أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

(ومن السمك سهكة)

الاشربة

الماء (الفرات) العذب (والاجاج) الملح يقال ماء ملح ولا يقال مالح قال الله عز وجل هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج (والشريب) الماء الذى فيه عذوبة وهو يشرب على مافيه (والشروب) دونه فى العذوبة وليس يشرب الاعند الضرورة والماء (النمير) النامى فى الجسد وان كان غير عذب (والقهوة) الخمر سميت

يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللاحب فقد قال الله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأمره بأن يندب لعرض الرجال واعطائهم وحفظ جراياتهم وأوقات اطعامهم من يعرفه بالثقة فى متصرفه والامانة فيما يجرى على يده والبعد عن الاسفاف الى الدنية والاتباع للدناءة وأن يبعثه على ضبط الرجال وشيات الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق وايقاع الاحتياط فى الانفاق فمن صح عرضه ولم يبق فى نفسه شئ منهم من شك يعرض له أو ريبة يتوهمها أطلق أموالهم موفورة وحصلها فى أيديهم غير مثلومة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا ذلك الى جهته موردا له على حقيقته وأن يطالب الرجال باحضار الخيل المختارة والآلات المستكملة على ما توجبه مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فان أخل أحدهم شيأ من ذلك قاصصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته فان المقصر فيه خائن لامير المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأمره أن يعتمد فى أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكتابة ومعرفة ورواية وتجربة وحنكة وحصافة ومسكة فانها أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن يتقدم الى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره والتحرز من وقوع تخوّن فيه أو اهمال له اذ كان ذلك عائدا بتحصين الفروج وتطهير الانساب وأن يبعدوا عنه أهل الريبة ويقربوا أهل العفة ولا يمضوا بيعا على شبهة ولا عقدا على تهمة والى ولاة العيار بتخليص عين الدرهم والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من المش وبحسب الامام المقتدر بمدينة السلام وحراسة السكك من أن تتداولها الايدى المزغلة وتتناقلها الجهات المنبية واثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب ذهبا وفضة واجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاة الطرز أن يجروا الاستعمال فى جميع المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل الصحة وأن يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرز الكسا والفرش والاعلام والبنود والى ولاة الحسبة بتصفح أحوال العوام فى حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرزوها على التعديل والتكميل ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس أو بخس مما يوفيه واستفضال فيما يستوفيه نالوه بتغليظ العقوبة وعظمها وخصوه بوجيعها وأملها واقفين فى ذلك عند الحد الذى يرونه لذنبه مجازيا وفى تأديبه كافيا فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته عليك وقد وقفك على سواء السبيل وأرشدك الى واضح الدليل وأوسعك تعليما وتحكيما وأقنعك تعليما وتفهيما ولم يألك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ولا ترك لك عذرا فى غلط تغلطه ولا طريقا الى تورط تتورطه بالقائك فى الاوامر والزواجر الى حيث يلزم الائمة أن يندبوا الناس اليه ويحثوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صارفا لك عن مرديات المهالك مريدا فيك ما يسلمك فى دينك ودنياك ويعود بالحظ عليك فى آخرتك وأولاك فان اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وان تحانفت واعوججت فقد فسدت وندمت والاولى بك عند أمير المؤمنين من مغرسك الزاكى ومنبتك النامى وعودك الانجب وعنصرك الاطيب أن تكون لظنه محققا ولمخيلته فيك مصدقا وأن تستزيده بالاثر الجميل

بذلك لانها تقهى أى تذهب بشهوة الطعام قال الكسائى قد أقهى الرجل اذا قل طعمه (والشمول) لانها تشتمل على عقل صاحبها (والعقار) لانها عاقرت الدن أى لازمته ويقال أخذ من عقر الحوض وهو مقام الشاربة (والخندريس) لقدمها ومنه حنطة خندريس قال الاصمعى أحسبه بالرومية وكذلك (الاسفنط والنبيذ) لانه نبذ أى ترك حتى أدرك (والبتع) نبيذ العسل وحده وهو يتخذ بمصر (والجعة) نبيذ الشعير والمزر (والسكركة) من الذرة وهو شراب الحبشة (والطلاء) الخمر ومنهم من يجعله ما طبخ بالنار حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه شبه بطلاء الابل وهو القطران فى ثخنه وسواده والعلماء بلغة العرب يجعلون الطلاء الخمر بعينها ويحتجون بقول عبيد

هى الخمر تكنى الطلاء
كما الذئب يكنى أبا جعده

(والمقدى) شراب كانت الخلفاء من بنى أمية تشربه بالشام (والمزاء) شراب يقال انه انما سمى بذلك لقولهم هذا الشراب أمز من ذا أى أفضل ولهذا الشراب مز على هذا أى فضل ومنه قيل للخمرة مزة ومزة لا يريدون الحموضة لان الحموضة عيب فيها ويقال للحامضة (خمطة) ويقال قيل لها مزة للذعها اللسان ويقال الخمطة التى أخذت شيأ من الريح قال الهذلى

عقارا كماء النيء ليست بخمطة
ولا خلة يكوى الشروب شهابها

(والكسيس) السكر قال الشاعر

قرباوثوابا يوم الدين وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسنا من المسلمين نخذ ما نبذ اليك أمير المؤمنين من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه واماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهده يهدك وأخلص اليه فى طاعته يخلص لك الحظ فى معونتك ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فاكتب الى أمير المؤمنين منهيا وكن الى ما يرد عليك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ﴿وأما التقليد﴾ الذى أنشأته أنا فهو هذا أما بعد فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا ويستزيده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا وحملته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرضت عليه جيادا وحققت فيه قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لنصره امدادا وأسرى به الى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤادا ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور المتين تلادا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس المدعو له بأن يحفظ نفسا وأولادا وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تخشى نفادا واذا استوفى القلم مداده من هذه الجملة وأسند القول فيها عن فصاحته المرسلة فانه يأخذ فى انشاء هذا التقليد الذى جعله حلية القرطاس واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من راسه وليس ذلك الا لافاضته فى وصف المناقب التى كثرت فحسن لها مقام الاكثار واشتبه التطويل فيها بالاختصار وهى التى لا يفتقر واصفها الى القول المعاد ولا يستوعر سلوك أطوادها ومن العجب وجود السهل فى سلوك الاطواد وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك تحدثا بشكرك ويباهى بك أولياءه تنويها بذكرك ويقول أنت الذى تستكفى فتكون للدولة سهمها الصائب وشهابها الثاقب وكنزها الذى تذهب الكنوز وليس بذاهب وما ضرها وقد حضرت فى نصرتها اذا كان غيرك هو الغائب فاشكر اذا مساعيك التى أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الاولياء بما فضلتك ولئن شوركت فى الولاء بعقيدة الاضمار فلم تشارك فى عزمك الذى انتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمد بقلبه وبين من أمد بيده فى درجات الامداد وما جعل الله القاعدين كالذين قالوا لو أمرتنا لضربنا أكبادها الى برك الغماد وقد كفاك من المساعى أنك كفيت الخلافة أمر منازعيها وطمست على الدعوة الكاذبة التى كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محفوف من الباطل بمحرابين ورأت ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السوارين اللذين أولهما كذابين فمصر منهما واحد تاه بجرى أنهارها من تحته ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم أحده ولا يوم سبته وأعانه على ذلك قوم رمى الله بصائرهم بالعمى والصمم واتخذوه صنما بينهم ولم تكن الضلالة هناك الا بعجل أو صنم فقمت أنت فى وجه باطله حتى قعد وجعلت فى جيده حبلا من مسد وقلت ليده تبت فأصبح وهو لا يسعى بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالآخر الذى نجمت باليمن ناجمته وسامت فيه سائمته فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال هذه ذو الخلصة الثانية فأى مقاميك يعترف الاسلام بسبقه أم أيهما يقوم بأداء حقه

وان تسق من أعناب وج فاننا
لنا العين تجرى من كسيس ومن خمر

(والمصفق) الممزوج (وكذلك المشعشع (والمعرق) والنياطل مكاييل الخمر واحدها ناطل (والقمعان) شبيه بالذريرة يعلو الخمر ويقال هو الزبد

﴿باب معرفة اللبن﴾

اللبن (الصريف) الحار منه حين يحلب فاذا سكنت رغوته فهو الصريح (والمحض) الخالص الذى لم يخالطه الماء حلوا كان أو حامضا فاذا أخذ شيأ من التغير فهو (حامط) فاذا حذ اللسان فهو (قارص) فاذا خثر فهو (رائب) فاذا اشتدت حموضته فهو حازر (والمذيق) المخلوط بالماء ومنه يقال فلان ممذوق الود اذا لم يخلصه (والدواية) ما ركب اللبن كأنه جلد

﴿الطعام﴾

السلفة ما يتعجله الرجل من الطعام قبل الغذاء وهو اللهنة ويقال فلان يأكل الوجبة اذا أكل فى اليوم مرة واحدة (والتمطق) بالشفتين ضم احداهما مع الاخرى مع صوت يكون بينهما (والتلمظ) تحريك الشفتين بعد الاكل كأنه يتبع بذلك شيأ من الطعام بين أسنانه وتعرف العرب من أطبخة أهل الحضر وصنيعهم (المضيرة) سميت بذلك لانها طبخت باللبن الماضر وهو الحامض وتعرف (الهريسة) سميت بذلك لانها تهرس أى تدق وتعرف (العصيدة) لانها تعصد أى تلوى ومنه قيل للدوى عنقه عاصد

وههنا فليصبح القلم للسيف من الحساد وليقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الانداد ولم يحظ بهذه المزية الا لانه أصبح لك صاحبا وتخربك حتى طال نخرا عمار عز جانبا وقضى بولايتك فكان بها قاضيا لما كان حده قاضبا وقد قلدك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا وما اشتملت عليه رعية وجندا وما انتهت اليه أطرافها برا وبحرا وما يستنقذ من مجاوريهما مسالمة وقهرا وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن الممدنة والمراكز المحصنة مستثنيا منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب وأعمالها فقد مضى أبوه عن آثار فى الاسلام ترفع ذكره فى الذاكرين وتخلفه فى عقبه فى الغابرين وولده هذا قد هذبته الفطرة فى القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن له منك جار يدنو منه ودادا كما دنا أرضا ويصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه بعضا والذى قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد والفتك عن فضيلة الازدياد فاياك أن تنظر سعيك بالاعجاب وتقول هذه بلاد أنا فتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الاضراب ولكن اعلم أن الارض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ولا منة للعبد باسلامه بل المنة لله بهداية عبده وكم سلف من قبلك من لو رام ما رمته لدنا شاسعه وأجاب مانعه لكن ذخره الله لك لتحظى فى الآخرة بمفازه وفى الدنيا برقم طرازه فألق بيدك عند هذا القول القاء التسليم وقل لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وقد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك فى الاسم شعارا وفى الوسم نخارا وتتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الاولياء ما ناسب قلوبا وأبصارا ومن جملتها طوق يوضع فى عنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بأن الانعام قد أطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق ثم انك خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضى لصدرك بالانشراح ولأملك بالانفساح وتؤمر معه بمد يدك الى العليا لا بضمها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها هى التى تكمل بها أقسام السيادة وهى التى لا مزيد عليها فى الاحسان فيقال انها الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون فى الايام كريم الانساب واجعله لها عيدا وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور وتضن أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيور وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما نقول الا انها لك صاحبة وأنت يوسفها فاحرسها عليك حراسة تقضى بتقديمها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها واعلم أنك قد تقلدت أمرا تعين به نفى الحلوم ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم وكثيرا ما يرى حسناته يوم القيامة وهى مقتسمة بأيدى الخصوم ولا ينجو من ذلك الا من أخذ أهبة الحذار وأشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم أن الولاية ميزان احدى كفتيه فى الجنة والاخرى فى النار قال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوى نظر من لم يخدع بحديث الحرص والآمال ومثل الدنيا وقد سيقت اليك بحذافيرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد اذا جاءته قضى بها أرب الارواح لا أرب الجسوم واتخذ منها وهى السم دواء وقد تتخذ الادوية من السموم وما الاغتباط بما يختلف على تلاشيه المساء والصباح وهو كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولاة أمره من تباعتها التى لابستهم ولابسوها وأحصاها الله عليهم ونسوها ولك أنت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك من العناية التى جذبت بضبعك ومحلك من الولاية التى بسطت من

وكذلك (اللفيتة) سميت بذلك لانها تلفت أى تلوى والعرب تسمى الفالوذ (سرطراطا) سميت بذلك للاستراط وهو الابتلاع ومنه يقال فى المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى يقال أعقى الشئ اذا اشتدت مرارته

﴿فرقة فى قوائم الحيوان﴾

قال أبو زيد فى فرسن البعير (السلامى) وهى عظام الفرسن ثم قصبها ثم الرسغ ثم الوظيف ثم فوق الوظيف من يد البعير الذراع ثم فوق الذراع العضد ثم فوق العضد الكتف هذا فى كل يد وفى رجله بعد الفرسن الرسغ ثم الوظيف ثم الساق ثم فوق الساق الفخذ ثم الورك ويقال لموضع الفرسن من الفرس والبغل والحمار الحافر ثم الرسغ ثم الوظيف ثم الذراع ثم العضد ثم الكتف هذا فى كل يد وفى كل رجل الحافر ثم الرسغ ثم الوظيف ثم الساق ثم الفخذ ثم الورك وفى الغنم والبقر فى اليد الظلف ثم الرسغ ثم الكراع ثم الذراع ثم العضد ثم الكتف وفى الرجل الظلف ثم الرسغ ثم الكراع ثم الساق ثم الفخذ ثم الورك قال أبو زيد السباع لها مخالب وهى أظافيرها يقال ظفر وأظفار وأظفور وأظافير (والبراثن) منها بمنزلة الاصابع من يد الانسان ورجله واحدها برثن ولكل سبع كفان فى يديه لانه يكف بهما على ما أخذ والصقر له كفان فى رجليه لانه يكف على الشئ بهما ومخلبه وظفره واحد

درعك فخذ هذا الامر الذى تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان وكن فى رعايته ممن اذا نامت عيناه كان قلبه يقظان وملاك ذلك كله فى اسباغ العدل الذى جعله الله ثالث الحديث والكتاب وأغنى بثوابه وحده عن أعمال النوّاب وقدر يوما منه بعبادة ستين عاما فى الحساب ولم يأمر به آمر الا زيد قوة فى أمره وتحصن به من عدوّه ومن دهره ثم يجاء به يوم القيامة وفى يديه كتابا أمان ويجلس على منبر من نور عن يمين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوى على ظهره الا من أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانه وغلبت ملكه على لمة شيطانه ومن أوكد فروضه أن يمحى السنن السيئة التى طالت مدد أيامها وبئس الرعايا من رفع ظلاماتها فلم يجعلوا أمد الانحسار ظلامها وتلك السنن هى المكوس التى أنشأتها الهمم الحقيرة ولا غنى للايدى الغنية اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما زيدت الاموال الحاصلة منها قدر ازادها الله محقا وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقا ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرما لما أغلظ فى عقابه ومثلت توبة المرأة الغامدية بمتابه وهل أشقى ممن يكون السواد الاعظم له خصما ويصبح وهو مطالب بهم بما علم وبما لم يحط به علما وأنت مأمور بأن تأتى هذه الظلامات فتنحى على ابطالها وتلحق أسماءها فى المحو بأفعالها حتى لا يبقى لها فى العيان صور منظورة ولا فى الالسنة أحاديث مذكورة فاذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضى سنة سوء سنتها يداه وعن الآتى متابعة ظلم وجده نهجا مسلوكا فجرى على مداه فبادر الى ما أمرت به مبادرة من لم يضق به ذرعا ونظر الى الحياة الدنيا بعينه فرآها فى الآخرة متاعا واحمد الله تعالى على أن قيض للامام هدى يقف بك على هداك ويأخذ بحجزتك عن خطوات الشيطان الذى هو أعدى عداك وهذه البلاد المنوطة بطرفك تشتمل عن أطراف متباعدة وتفتقر فى سياستها الى أيد متساعدة ولهذا يكثر بها قضاة الاحكام وأولو تدبيرات السيوف والاقلام وكل من هؤلاء ينبغى أن يقف على باب الاختيار ويسلط عليه شاهدا عدل من أمانة الدرهم والدينار فما أضل الناس شئ كحب المال الذى فورقت من أجله الاديان وهجرت بسببه الاولاد والاخوان وكثيرا ما ترى الرجل الصائم النائم وهو عابد له عبادة الاوثان فاذا استعنت بأحد منهم على شئ من أمرك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدء حاله فان الاحوال تنتقل منتقل الاجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالربيع بن زياد وكذلك أومر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمروا بالمعروف مواظبين وينهوا عن المنكر محاسبين ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الله الغالبين وليبدؤا أوّلا بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها ويأمروها بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدى الى طريق البر وهو عنه حائد وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج الى طبيب وعائد فما تنزل بركات السماء الا على من خاف مقام ربه وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه واذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضئ كل قوم الا بمصباحهم ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم اخوانا فى الاصطحاب وجيرانا فى الاقتراب وأعوانا فى توزع الحمل الذى يثقل على الرقاب فالمسلم أخو المسلم وان كان عليه أميرا وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة اللفيف ويتولاها بالوطء العنيف ولكنها لمن يمال على جوانبه ويؤكل من أطايبه ولمن اذا غضب لم ير للغضب عنده أثر واذا ألحف فى سؤاله لم يلق الالحاف بخلق الضجر واذا حضر الخصوم بين يديه عدل بينهم فى

فرق فى الضروع

(الضرع) لكل ذات ظلف (والخلف) لكل ذات خف (والطبى) للسباع وذوات الحافر وجمعه أطباء وقد يجعل أيضا لذوات الخف والخلف لذوات الظلف والثدى للمرأة

فرق فى الرحم والذكر

(الحياء) لكل ذات ظلف وخف ممدود (والظبية) لكل ذات حافر (والثغر) لكل ذات مخلب (والرحم) للمرأة (والغرمول) قضيب كل ذى حافر (وغلافه القنب) (والمقلم) قضيب البعير وغلافه الثيل فأما التيس فله القضيب

فرق فى الارواث

نجو السبع وجعره وروث الدابة وكل ذى حافر وبعر الشاة وخثى الثور وجمعه اخثاء وزرق الطائر وزرقه وخرؤه وثلط البعير الرقيق منه والبعر اليابس وصوم النعامة وونيم الذباب قال الشاعر

لقد ونم الذباب عليه حتى
كأن ونيمه نقط المداد

(والحصر) احتباس البطن الحدث (والاسر) احتباس البول

معرفة فى الوحوش

(الآرام) الظباء البيض الخوالص البياض (والادم) ظباء طوال الاعناق والقوائم بيض البطون سمر الظهور وهى أسرع الظباء عدوا وهى تسكن الجبال (والعفر) ظباء يعلو بياضها حمرة قصار الاعناق وهى أضعف الظباء

قسمة القول والنظر فذلك الذى يكون فى أصحاب اليمين والذى يدعى بالحفيظ العليم والقوى الامين ومن سعادة المرء أن تكون ولاته متأدبين بآدابه وجارين على نهج صوابه واذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنات مثبتة فى كتابه وبعد هذه الوصية فان ههنا حسنة هى للحسنات كالام الولود وطالما أغنت عن صاحبها اغناء الجنود وتيقظت لنصره والعيون رقود وهى التى تسبغ لها الآلاء ولا يتخطاها البلاء ولامير المؤمنين بها اعتناية تبعثها الرحمة الموضوعة فى قلبه والرغبة فى المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هى الصدقة التى فضل الله بها بعض عباده لمزية افضالها وجعلها سببا الى التعويض عنها بعشر أمثالها وهو يأمرك أن تتفقد أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مادة الارزاق وألبسهم التعفف ثوب الغنى وهم فى ضيق من الاملاق فأولئك أولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا وكثرت الدنيا فى يد غيرهم فانظروا اليها اذ نظروا وينبغى أن يهيئ لهم من أمرهم مرفقا ويضرب بينهم وبين الفقر موبقا وما أطلنا لك القول فى هذه الوصية الا اعلاما بأنها من المهم الذى يستقبل ولا يستدبر ويستكثر منه ولا يستكثر وهذا يعد من جهاد النفس فى بذل المال ويتلوه جهاد العدو الكافر فى مواقف القتال وأمير المؤمنين يعرفك من ثوابه ما تجعل السيف فى ملازمته أخا وتسخو له بنفسك ان كان أحد بنفسه سخا ومن صفاته أنه العمل المحبو بفضل الكرامة الذى ينمى أجره بعد صاحبه الى يوم القيامة وبه تمحن طاعة الخالق على المخلوق وكل الاعمال عاطلة لا تخلو لها وهو المختص دونها برتبة المخلوق ولولا فضله لما كان محسوبا بشطر الايمان ولما جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره من الاثمان وقد علمت أن العدو هو جارك الادنى والذى يبلغك وتبلغه عينا وأذنا ولا تكون للاسلام نعم الجار حتى تكون له بئس الجار ولا عذر لك فى ترك جهاده بنفسك ومالك اذا اقامت لغيرك الاعذار وأمير المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاه مكافحا أو تطرق أرضه ممسيا أو مصابحا بل يريد أن تقصد البلاد التى فى يده قصد المستنقذ لا قصد المغير وأن تحكم فيها بحكم الله الذى قضاه على لسان سعد فى بنى قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس فانه تلاد الاسلام القديم وأخو البيت الحرام فى شرف التعظيم والذى توجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم وقد أصبح وهو يشكو طول المدة فى أسر رقبته وأصبحت كلمة التوحيد وهى تشكو طول الوحشة فى غربتها عنه وغربته فانهض اليه نهضة توغل فى قرحه وتبذل صعب قياده بسمحه وان كان له عام حديبية فاتبعه بعام فتحه وهذه الاستزادة انما تكون بعد سدادما فى اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده أو مستهدما فرفعت قواعده ومن أهمها ما كان حاضر البحر فانه عورة مكشوفة وخطة مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما يأتيه فجأة حتى يسبق برقه برعده فينبغى أن يرتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعاتها وتقل أقرانها ويكون قتالها لان تكون كلمة الله هى العليا الا لان يرى مكانها وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الاحجار ومع هذا لابد لها من اصطول يكثر عدده ويقوى مدده فانه العدة التى تستعين بها على كشف العماء والاستكثار من سبايا العبيد والاماء وجيشه أخو الجيش السليمانى فذاك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الاعمار فاذا أشرعت قيل جبال متلفعة بقطع من الغيوم واذا نظر الى أشكالها قيل انها أهلة غير أنها تهتدى فى مسيرها بالنجوم ومثل هذه الخيل ينبغى أن يغالى فى جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها

عدو وهى تسكن القفاف وصلابة الارض (ونعاج) الرمل هى البقر واحدتها نعجة ولا يقال لغير البقر من الوحش نعاج (والشاة) الثور من الوحش قال الاعشى

وكان انطلاق الشاة من حيث خيما

خيم أقام

جحرة السباع ومواضع الطير

يقال لجحر الضبع (وجار) ولجحر الثعلب والارنب (مكا) مقصور ومكو (والنافقاء) والراهطاء والداماء (والقاصعاء) جحرة اليربوع اذا أخذ عليه منها واحد خرج من آخر (وعرين) الاسد (وعريسته) واحد وأفحوص القطاة مجثمها لانها تفحصه (وأدحى) النعامة كذلك لانها تدحوه وتقديره أفعول (وعش) الطائر وقرموصه ووكره واحد (والوكنة) موقعه

فرق فى أسماء الجماعات

يقال لجماعة الظباء والبقر (أجل) وجمعه آجال وربرب (والصوار) جماعة البقر خاصة (ولجماعة) الحمير عانة (ولجماعة) النعام خيط (ولجماعة) القطا والظباء والنساء سرب (ولجماعة) الجراد رجل يقال مر بنا رجل من جراد (ولجماعة) النحل دبر وثول وخشرم ولا واحد لشئ من هذا (والذود) من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة (وفوق) ذلك الصرمة الى الاربعين (وفوق) ذلك الهجمة الى ما زادت وقال أبو عبيدة (والعكرة) ما بين الخمسين الى المائة وقال الاصمعى ما بين الخمسين الى السبعين (وهنيدة)

أمير باقى البحر بمثله من سعة صدره ويسلك طرقه سلوك من لم تقله بجهلها ولكن قتلها بخبره وكذلك فليكن ممن أفنت الايام تجاربه وزجتها امنا كبه وممن يذل الصعب اذا هو ساسه وان لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم فلا يجد هزة بالرياسة وان كان فى الساقة فنى الساقة أو كان فى الحراسة ففى الحراسة ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رايه واعلم أنه قد أخل من الجهاد بركن يقدح فى عمله وهو تمامه الذى يأتى فى آخره كما أن صدق النية تأتى فى أوله وذلك هو قسم الغنائم فان الايدى قد تداولته بالاجحاف وخلطت جهادها فيه بغلوها فلم ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم فى تعدى حدوده المحدودة وجعل الاستئثار بالمغنم من أشراط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا هذا زمانه وباسه شر باس ولم يستخلفنا على حفظ أو كان دينه ثم نهمله اهمال مضيع ولا اهمال ناس والذى نأمرك به أن تجرى هذا الامر على المنصوص من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وأنت المطالب باثمه وفى أرزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الاكلة التى تكون غدا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فتصفح ما سطرناك فى هذه الاساطير التى هى عزائم مبرمات بل آيات محكمات وتحبب الى الله والى أمير المؤمنين باقتفاء كلماتها وابن لك منها مجد ابيق فى عقبك اذا أصبحت البيوت فى أعقابها وهذا التقليد ينطق عليك بأنه لم يأل فى الوصايا التى أوصاها وأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التى تتنزل من كل أمر بمنزلة نظامه ثم قال اللهم انى أشهدك على من قلدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة فانى لم آمره الا بأوامر الحق التى فيها موعظة وذكرى وهى لمن تبعها هدى ورحمة وبشرى واذا أخذ بها أبلج بحجته يوم يسأل عن الحجج ولم يختلج دون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحوض فى جملة من يختلج وقيل لا حرج عليك ولا اثم اذ نجوت من ورطات الاثم والحرج والسلام ﴿وهذا الذى ذكرته﴾ من كلامى وكلام الصابى فى هذه التقاليد الاربعة لم أقصد به الوضع من الرجل وانما ذكرت ما ذكرته لبيان موضع السجع الذى يثبت على المحك ولا شك أن هذا الوصف المشار اليه فى فقر الاسجاع لم يكن مقصودا فى الزمن القديم اما لمكان عسره أو لانه لم يتنبه له وكيف أضع من الصابى وعلم الكتابة قد رفعه وهو امام هذا الفن والواحد فيه ولقد اعتبرت مكاتباته فوجدته قد أجاد فى السلطانيات كل الاجادة وأحسن كل الاحسان ولو لم يكن له سوى كتابه الذى كتبه عن عز الدولة بختيار بن بويه الى سبكتكين عند نحو وجه عليه ومجاهرته اياه بالعصيان لاستحق به فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما أتى فيه بكل عجيبة لكنه فى الاخوانيات مقصر وكذلك فى كتب التعازى (وعندى فيه رأى) لم يره أحد غيرى ولى فيه قول لم يقله أحد سواى وذلك أن عقل الرجل فى كتابته زائد على فصاحته وبلاغته وسأبين ذلك فأقول لينظر الناظر فى هذين التقليدين اللذين أوردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا واستدراكات وأوامر ما بين أصل وفرع وكل وجزء وقليل وكثير ولا نرى ذلك فى كلام غيره من الكتاب الا أنه عبر عن تلك الوصايا والاوامر والشروط والاستدراكات بعبارة فى بعضها ما فيه من الضعف والركة وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنة وزيادة المنطق على العلم خدعة ومع هذا فانى أقر للرجل بالتقدم وأشهد له بالفضل (واذا فرغت) مما أردت تحقيقه فى هذا الموضع فانى أرجع الى ما كنت بصدد ذكره من الكلام على السجع وقد تقدم من ذلك ما تقدم

المائة لا تدخل فيها ألف ولام ولا تصرف قال جرير

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية
ما فى عطائهم من ولا سرف

والسرف الخطأ ههنا (ويقال) للضأن الكثيرة ثلة (وللمعزى) الكثيرة عيلة فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لهما ثلة (والثلة) الصوف يقال كساء جيد الثلة ولا يقال للشعر ولا للوبر ثلة فاذا اجتمع الصوف والوبر والشعر قيل عند فلان ثلة كثيرة قال أبو زيد الفزر من الضأن ما بين العشر الى الاربعين (والصبة) من المعز مثل ذلك (والثلة) بضم الثاء القطعة من الناس قال الله عز وجل ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ويقال لجماعة الخيل رعيل (والقطعة) منها رعلة (ولجماعة) الناس فئام (وقالوا) النفر والرهط ما دون العشرة (والعصبة) من العشرة الى الاربعين (والقبيل) الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى وجمعه قبل (والقبيلة) بنو أب واحد قال ابن الكلبى الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ وقال غيره الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة أسرة الرجل رهطه الادنون وفصيلته وعترته كذلك (والعشيرة) تكون للقبيلة ولمن دونهم ولمن قرب اليه من أهل بيته (والركب) أصحاب الابل وهم العشرة ونحو ذلك (والاركوب) أكثر منهم (والركاب) الابل

وبقي ما أنا ذاكره ههنا وهو أن السجع قد ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما على الآخر كقوله تعالى وأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الاجزاء حتى كأنها أفرغت في قالب واحد وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه (القسم الثاني) أن يكون الفصل الثاني أطول من الاول لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا فانه يقبح عند ذلك ويستكره ويعد عيبا فمما جاء من ذلك قوله تعالى بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ألا ترى أن الفصل الاول ثمان لفظات والفصل الثاني والثالث تسع تسع (ومن ذلك) قوله تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وأمثال هذا في القرآن كثيرة ويستثنى من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاث فقر فان الفقرتين الاوليين يحسبان في عدة واحدة ثم تأتي الثالثة فينبغي أن تكون طويلة طولا يزيد عليهما فاذا كانت الاولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشر مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق فقلت الصديق من لم يعتض عنك بخالف ولم يعاملك معاملة حالف واذا بلغته أذنه وشاية أقام عليها حد سارق أو قاذف فالاولى والثانية ههنا أربع لفظات أربع لفظات لان الاولى لم يعتض عنك بخالف والثانية ولم يعاملك معاملة حالف وجاءت الثالثة عشر لفظات وهكذا ينبغي أن يستعمل ما كان من هذا القبيل وان الاولى والثانية عن هذه العدة فتزاد الثالثة بالحساب وكذلك اذا نقصت الاولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه الا أنه لا ينبغي أن تجعله قياسا مطردا في السجعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم أن الجواز يعم الجانبين من التساوي في السجعات الثلاث ومن زيادة السجعة الثالثة ألا ترى أنه قد ورد ثلاث سجعات متساويات في القرآن الكريم كقوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معيبا (القسم الثالث) أن يكون الفصل الآخر أقصر من الاول وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الاول فيكون كالشيء المبتور ويبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها (واذ انتهينا الى ههنا) وبينا أقسام السجع وابه وقشوره فسنقول فيه قولا كليا وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان (أحدهما) يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الالفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع الا نادرا (والضرب الآخر) يسمى السجع الطويل وهو ضد الاول لانه أسهل متناولا وانما كان القصير من السجع أوعر مسلكا من الطويل لان المعنى اذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الالفاظ وضيق المجال في استجلابه وأما الطويل فان الالفاظ تطول فيه ويستجلب له السجع من حيث وليس كما يقال وكان ذلك سهلا وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظ (أما السجع القصير) فأحسنه ما كان

مؤلفا

﴿معرفة في الشاء﴾

(الجدود) من الضأن القليلة (الدر) وهي المصور من المعزى (شاة) لبون في غنم ابن ولبن اذا كان بها لبن غزيرة كانت أو بكيئة (وشاة) لبنة اذا كانت كثيرة اللبن (نعجة) رغوث (وعنز) ربى (وأعنز) رباب (وهي) التي وضعت حديثا (والجداء) من الشاء التي خف ضرعها فان يبس أحد خلفيها فهي شطور فأما الشطور من الابل فالتي يبس خلفان من أخلافها لان لها أربعة أخلاف (فان) يبس منها ثلاثة فهي ثلوث (يقال) جززت النعجة والكبش وحلقت العنز والتيس ولا يقال جززتهما وهذه حلاقة المعزى (العقيقة) صوف الجذع (والجنيبة) صوف الثني قال أبو زيد في (شيات) الضأن (الرقطاء) التي فيها سواد وبياض (والنمراء) مثلها فان اسود رأسها فهي (رأساء) فان ابيض رأسها من بين جسدها فهي (رخماء) فان اسودت احدى العينين وابيضت الاخرى فهي (خوصاء) فان اسودت العنق فهي (درعاء) فان ابيضت خاصرتاها فهي (خصفاء) فان ابيضت شاكلتها فهي (شكلاء) فان ابيضت رجلاها مع الخاصرتين فهي خرجاء فان ابيضت احدى رجليها فهي (رجلاء) فان ابيضت أوظفتها فهي (حجلاء وجذماء) فان ابيض وسطها فهي (جوزاء) فان اسود ظهرها فهي (رحلاء) فان اسود طرف ذنبها فهي (صبغاء) فان اسودت أطراف أذنيها فهي

مؤلفا من لفظتين لفظتين كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا وقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك الى العشرة وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل فما جاء منه قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (وأما السجع الطويل) فان درجاته تتفاوت أيضا في الطول فمنه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه من احدى عشرة الى اثنتي عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة كقوله تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور فالاولى احدى عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ومن السجع الطويل) ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور * ومن السجع الطويل أيضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط (واعلم) أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الاول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام فأما اذا كثر التصريع في القصيدة فلست أراه مختارا الا أن هذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها انما يحسن منها في الكلام ما قل وجرى مجرى الغرة من الوجه أو كان كالطراز من الثوب فأما اذا تواترت وكثرت فانها لا تكون مرضية لما فيها من أمارات الكلفة وهو عندي ينقسم الى سبع مراتب وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه أحد غيري (فالمرتبة الاولى) وهي أعلى التصريع درجة أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه ويسمى التصريع الكامل وذلك كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت هجرا فأجملي

فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعرا متيم

(المرتبة الثانية) أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالمصراع الاول غير محتاج الى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به وكذلك ورد قول أبي تمام

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم * وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

وعليه ورد قول المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني

(المرتبة الثالثة) أن يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الحجاج البغدادي

مطرفة وهذا اذا كانت هذه المواضع مخالفة لسائر الجسد من سواد أو بياض ومن المعزى (الذراء) وهي الرقشاء الاذنين وسائرها أسود (والنبطاء) البيضاء الجنب (والغشواء) التي غشي وجهها كله بياض (والوشحاء) المتوشحة ببياض (والعصماء) البيضاء اليدين ولذلك قيل للوعول عصم (والعقصاء) التي التوى قرناها على أذنيها من خلفها (والقبلاء) التي أقبل قرناها على وجهها (والنصباء) المنتصبة القرنين (والشرقاء) التي انشقت أذناها طولا (والخذماء) التي انشقت أذنها عرضا (والقصواء) المقطوعة طرف الاذن (قال) أبو زيد خصيت الفحل خصاء اذا نزعت أنثييه فاذا رضضتهما فقد وجأته وهو الوجاء ومنه قيل في الحديث الصوم وجاء فاذا شددتهما حتى تندرا فقد عصبته عصبا

﴿معرفة في الآلات﴾

المحلات القربة والفاس والقداحة والدلو والشفرة والقدر (وانما قيل) لها محلات لان الذي تكون معه يحل حيث شاء والا فلا بد له ان ينزل مع الناس (والفاس) هي التي لها رأس واحد (والحدأة) التي لها رأسان وجمعها حدأ (والصاقور) فاس عظيمة لها رأس تكسر بها الحجارة وهي المعول (والكرزين) فاس عظيمة يقطع بها الشجر (والعلاة) السندان ومنه الحديث ان آدم صلى الله عليه وسلم هبط معه بالعلاة (والعتلة) وهي البيرم (والمحت)

من شروط الصبوح فى المهرجان * خفة الشرب مع خلو المكان

فان هذا البيت يجعل مصراعه الاول ثانيا ومصراعه الثانى أولا وهذه المرتبة كالثانية فى الجودة (المرتبة الرابعة) أن يكون المصراع الاول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثانى ويسمى التصريع الناقص وليس بمرضى ولا حسن فمما ورد منه قول المتنبى

مغانى الشعب طيبا فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان

فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه فى فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثانى (المرتبة الخامسة) أن يكون التصريع فى البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية ويسمى التصريع المكرر وهو ينقسم قسمين أحدهما اقرب حالا من الآخر فالاول أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد بن الابرص

فكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

القسم الآخر أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها كقول أبى تمام

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا * فأصبح للهندية البيض مرتعا

(المرتبة السادسة) أن يذكر المصراع الاول ويكون معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول المصراع الثانى ويسمى التصريع المعلق فمما ورد منه قول امرئ القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جدا وعليه ورد قول المتنبى

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

فان المصراع الاول معلق على قوله تدمى (المرتبة السابعة) أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور وهو أنزل درجات التصريع وأقبحها فمن ذلك قول أبى نواس

أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عدت عن الجحود

فصرع بحرف الباء فى وسط البيت ثم قفاه بحرف الدال وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا نادرا

(النوع الثانى فى التجنيس) اعلم أن التجنيس غرة شادخة فى وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لا سيما المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة واختلفوا فى ذلك وأدخلوا بعض تلك الابواب فى بعض فمنهم عبد الله بن المعتز وأبو على الحاتمى والقاضى أبو الحسين الجرجانى وقدامة بن جعفر الكاتب وغيرهم وانما سمى هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد (وحقيقته) أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا فانه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقى فى شئ الا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لا لانها دالة على حقيقة المسمى بعينه وعلى هذا فانى نظرت فى التجنيس وما شبه به فأجرى مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لان لفظه واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة (فأما القسم الاول) فهو أن تتساوى حروف ألفاظه فى تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس فى القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها ويروى فى الاخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلى زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا بين جرير والجرير أى دعوا زمامه ومما جاء منه فى الشعر قول أبى تمام

فأصبحت غرر الايام مشرقة * بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

زقاق السمن واحدها حميت وكذلك الانحاء واحدها نحى (والوطاب) زقاق اللبن واحدها وطب (والذوارع) زقاق الخمر ولم أسمع لها بواحد (والاسقية) للماء واسم الزق يجمع ذلك كله والحميت أيضا تكون للعسل (قال) أبو زيد يقال لمسك السخلة ما دامت ترضع (الشكوة) فاذا فطم فمسكه (البدرة) فاذا أجذع فمسكه (السقاء) وهو نصاب السكين والمدية (وجزأة) الاشفى والمخصف (الكر) الحبل يصعد به على النخل ولا يكون كرا الا كذلك (والمسد) يكون من ليف وخوص وجلود ويسمى مسدا بالمسد وهو الفتل والضفر (والمطمر) الخيط الذى يقدر به البناء وهو الامام أيضا (والمقوس) الحبل الذى يمد بين يدى الخيل فى الحلبة وهو المقبض أيضا ومنه قيل أخذت فلانا على المقبض (والخيط) الذى يرفع به الميزان هو العذبة (والحديدة) المعترضة التى فيها اللسان هى المنجم (ويقال) لما يكتنف اللسان منها الغياران (والسعدانات) العقد التى فى أسفل الميزان (والحلقة) التى يجمع فيها الخيوط فى طرف الحديدة هى الكظامة (والخشبتان) اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما العرقوتان (والسيور) التى بين آذان الدلو والعراقى هى الوذم (والعناج) فى الدلو الثقيلة حبل أو بطان يشد تحتها ثم يشد الى العراقى فيكون عونا للوذم (فان كانت) الدلو خفيفة شد خيط فى احدى آذانها الى العرقوة (والكرب) ان يشد

فالغرر الاولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشئ أكرمه فاللفظ اذا واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والندى * وليس بنان يجتدى منه بالجعد

فالجعد السيد والبنان الجعد ضد البسيط فأحدهما يوصف به السخى والآخر يوصف به البخيل وكذلك قوله

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محيا محلى حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيف فى الحرب وكذلك قوله

عدا لك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الخصب

فالثغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو أيضا البلد الذى على تخوم العدو ثم قال فى هذه القصيدة

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب

بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب

فالقضب السيوف والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذى لا يتعلق به أحد وكذلك قوله

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا * صدور العوالى فى صدور الكتائب

فلفظ الصدور فى هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

عامى وعام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيهود

حتى أغادر كل يوم بالفلا * للطير عيدا من بنات العيد

فالعيد فحل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد أكثر أبو تمام من التجنيس فى شعره فمنه ما أغرب فيه فأحسن كالذى ذكرته ومنه ما أتى به كريها مستثقلا كقوله

ويوم أرشق والهيجاء قد رشقت * من المنية رشقا وابلا قصفا

وكقوله يا مضغنا خالدا لك الشكل ان * خلد حقدا عليك فى خلده

وكقوله وأهل موقان اذ ماقوا فلا وزر * أنجاهم منك فى الهيجا ولا سند

وكقوله مهلا بنى مالك لا تجلبن الى * حى الاراقم دؤلول ابنة الرقم

ثم قال فيها ان الردينية اللائى اذا عسلت * تشم بو الصغار الانف ذا الشمم

وكقوله قرت بقران عين الدين وانشترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

وله من هذا الغث البارد المتكلف شئ كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد أوردنا منه قليلا يستدل به على أمثاله ومن الحسن فى هذا الباب قول أبى نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وكذلك قوله فقل لابى العباس ان كنت مذنبا * فأنت أحق الناس بالاخذ بالفضل

فلا تجحدونى ود عشرين حجة * ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل

وعلى هذا النهج ورد قول البحترى

اذا العين راحت وهى عين على الهوى * فليس بسر ما تسر الاضالع

فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول بعضهم

وترى سوابق دمعها فتوا كفت * ساق تجاوب فوق ساق ساقا

فالساق ساق الشجرة والساق القمرى من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالمعرى فى قصيدة قصد بها التجنيس فى كثير من أبياتها فمن ذلك ما أورده

الحبل على العراقى ثم يثنى ثم يثلث قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

(والدرك) حبل يوثق به طرف الحبل الكبير ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل (وفرغ) الدلو مخرج الماء من بين العرقوتين (وفى البكرة المحور) وهو العمود الذى فى وسط البكرة وربما كان من حديد (والخطاف) هو الذى تجرى فيه البكرة اذا كان من حديد فان كان من خشب فهو القعو (والقب) الذى فى وسط البكرة وله اسنان من خشب (والسنة) حديدة الفدان وهى السكة (والنير) هو الخشبة التى تكون على عنق الثور (والمقوم) الخشبة التى يمسكها الحراث (والمنسعة) الريش المجموع الذى ينسع به الخبز أى يغرز به (والمسياع) المالج (والسياع) الطين بالتبن (والمنقاف) المصقلة التى تخرج من البحر (وفى الحياض) العقر مؤخر الحوض (والازاء) مصب الماء فيه (والصنبور) مثقبه (وعضد) الحوض من ازائه الى مؤخره (والمدلج) ما بين الحوض الى البئر (والمنحاة) ما بين البئر الى منتهى السانية (والزرنوقان) منارتان تبنيان على رأس البئر من حجارة وهما قرنان فان كانتا من خشب فهما دعامتان (والنعامة) الخشبة المعترضة على الزرنوقين (والقتب) جميع اداة السانية

﴿معرفة فى الثياب واللباس﴾

في مطلعها لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا * ونحن في حفر الاجداث أحيانا

(ثم قال في أبياتها)

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقلت لاهومت أجفان أجفانا

(وكذا قال في آخرها)

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره ههنا فأورده الغانمي من الامثلة في ذلك قول بعضهم

ونشري بجميل الصنع * ذكرا طيب النشر
ونفري بسيوف الهند * من أسرف في النفر
ونجري في شرى الحمد * على شاكلة البحر

(وكذلك قول بعضهم في الشيب)

يابياضا أذرى دموعي حتى * عاد منها سواد عيني بياضا

(وكذلك قول البحتري)

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبني الا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل

وليس الاخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن ينصب نفسه لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب الذي ذكرناها داخلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح وربما جهل بعض الناس فأدخل في التجنيس ماليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فمن ذلك قول أبي تمام

أظن الدمع في خدي سيبقى * رسوما من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء اذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معا وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه ههنا فلا احتاج أن أعقد له بابا أفرده بالذكر فيه (وأما الاقسام الستة) المشبهة بالتجنيس (فالقسم الاول) منها أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فما جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لان تركيب الخلق والخلق من ثلاثة أحرف وهي الخاء واللام والقاف الا أنهما قد اختلفا في الوزن اذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول بعضهم لاتنال غرر المعالي الا بركوب الغرر واهتبال الغرر

﴿وقال البحتري﴾

وفر الخائن المغرور يرجو * أمانا أي ساعة ما أمان
يهاب الالتفات وقد تهيا * لمحظة طرفه طرف السنان

(وكذلك ورد قول الآخر)

قد ذبت بين حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هواء

(القسم الثاني) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في

التركيب

(الربطة) كل ملاءة لم تكن لفقين (والحلة) لاتكون الا ثوبين (والنقبة) قطعة من الثوب قدر السراويل تجعل لها حجزة مخيطة من غير نيفق ويشد كما يشد السراويل فان لم تكن لها حجزة ولا ساقان فهي النطاق فان كان لها حجزة وساقان ونيفق فهي السراويل (والقرقل) القميص لا كمي له (وطرة) الثوب وصنفته وكفته واحد وهو الجانب الذي ليس فيه هدب وحواشي الثوب جوانبه كلها (وزمام النعل) ماجرى فيه شسعها بين الابهام والسبابة (وقبالها) مثله بين الاصبع الوسطى والتي تليها (والوصوصة) تضييق النقاب فان أنزلته الى المحجر فهي النقاب وهو طرف الانف (اللفام) وهو على الفم اللثام ويقال حسر عن رأسه وسفر عن وجهه وكشف رجليه (والاضطباع) أن تجمع طرفي ازارك على منكبك الايسر وتخرج أحد الطرفين من تحت يدك اليمنى وتبرز منكبك الايمن (واشتمال) الصماء أن تجلل نفسك بثوبك ولا ترفع شيأ من جوانبه (والسدل) ان تسدل ثوبك ولا تجمعه تحت يديك (وبرد مفوف) أي فيه نقش وأصله من الفوف في الظفر وهو البياض في أظفار الاحداث

﴿معرفة في السلاح﴾

يقال رجل تراس اذا كان معه ترس فاذا لم يكن معه ترس فهو أكشف (ورجل) سائف وسياف اذا كان معه سيف فاذا لم يكن

التركيب بحرف واحد لا غير وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس فمما جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان هاتين اللفظتين على وزن واحد الا أن تركيبهما مختلف فى حرف واحد وكذلك قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكذلك قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وعلى نحو من هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال بعضهم لا تنال المكارم الا بالمكاره وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

﴿وقال البحترى﴾

من كل ساجى الطرف أغيد أجيد * ومهفهف الكشحين أحوى أحور

﴿وكذلك قوله﴾

شواجر أرماح تقطع بينهم * شواجن أرحام ملوم قطوعها

(القسم الثالث) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ مختلفة فى الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (ودخل ثعلب) صاحب كتاب الفصيح على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وبمجلسه غاص فجلس الى جانبه ثم أقبل عليه وقال أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيق مجلس بمتحابين ولا تسع الدنيا بأسرها متباغضين فقال له أحمد الصديق لا يحاسب والعدو لا يحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس فى كلام أحمد رحمه الله فى قوله يحاسب ويحتسب له (وقد جاء فى شئ من ذلك) عليه خفة الطبع لا ثقل التطبع (فمنه ما ذكرته) فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة يتضمن ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبي وسيوفه قد تطلعت أن يقال لها اضربى ومواطن الجهاد قد بعد عهدها باستسقاء شآبيب النحور وانبات ربيع الذباب والنسور وما ذاك الا لان العدو اذا طاب تقمص ثوب اذلاله وتنصل من صحة نصاله واعتصم بمعاقله التى لا فرق بينها وبين عقاله (ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف كريم فقلت وقد جعل الله حرمه ملقى الجفان وملتقى الاجفان فهو جنى لمن جنى عليه زمانه وجار لمن بعد عنه جيرانه (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو ولقد استبان الخادم من بركة طاعته ما يعمى عنه غيره فما يراه ووجد من أثره فى صلاح دنياه ما استدل به على صلاح أخراه فهو المركب المنجى والعمل المرجو لا المرجى والمعنى المراد بهداية الصراط المستقيم وتأويل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (ومن ذلك) ما ذكرته فى أثناء كتاب الى بعض الاخوان وذلك وصف بعض المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين هند وهنيدة ومن يمن نقيبته وأمانة غيبه بين أم معبد وأبى عبيدة (ومن ذلك) ما ذكرته فى مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عدها قوم عرضا من الاعراض وتقالوها حتى قالوا هى سواد فى بياض فان لها عند الاخوان وجها وسيما ومحلا كريما وهى حمائم القلوب اذا فارق حميم حميما ومن أحسنها كتاب سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن هذا القسم) قول أبى تمام أيام تدمى عينه تلك الدما * فيها وتقمر لبه الاقمار

وكذلك قوله بيض فهن اذا رمقن سوافر * صور وهن اذا رمقن صوار

معه سيف فهو أميل (وقيل) المسيف الذى عليه السيف فاذا ضرب به فهو سائف (وعصوت) بالعصا فانا أعصو بها اذا ضربت بها والاصل فى السيف مأخوذ من العصا ففرق بينهما (ورجل) رامح اذا كان معه رمح فان لم يكن معه رمح فهو أجم (ورجل) دارع اذا كان عليه درع فان لم تكن عليه درع فهو حاسر (ورجل) نبال ونابل اذا كان معه نبل فان كان يعملها فهو نابل وتقول استنبلنى فأنبلته أى أعطيته نبلا فان كان مع الرجل سيف ونبل فهو قارن (ورجل سالح) أى معه سلاح فان كان كامل الاداة فهو مؤد ومدجج وشاك فى السلاح فاذا لم يكن معه سلاح فهو أعزل فاذا كان عليه مغفر فهو مقنع فاذا لبس فوق درعه ثوبا فهو كافر وقد كفر فوق درعه وتقول هذا رجل متقوس قوسه ومتنبل نبله اذا كان معه قوس ونبل (السيف) ذباب السيف حد طرفه (وحداه) من جانبيه ظبتاه (والعير) هو الناشز فى وسطه (وغراره) ما بين ظبته وبين العير من وجهى السيف جميعا (والسيلان) من السيف (والسكين) الحديدة التى تدخل فى النصاب ويقال للذى لا سيف معه أميل والذى لا رمح معه أجم والذى لا ترس معه أكشف (الرمح) الجبة ما دخل فيه الزج من السنان (والثعلب) ما دخل من الزج فى السنان وما تحت الثعلب الى مقدار ذراعين يدعى عامل الرمح وما تحت ذلك الى النصف عالية الرمح وما تحت

وكذلك قوله   بدر أطالت فيك بادرة النوى * ولعا وشمس أولعت بشماس

وكذلك قوله   كادوا النبوة والهدى فتقطعت * أعناقهم فى ذلك المضمار

جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معروفة بعمارة الاعمار

وكذلك قوله   ان الرماح اذا غرسن بمشهد * فجنى العوالى فى ذراه معالى

وكذلك قوله   اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وكذلك قوله   أى ربع يكذب الدهر عنه * وهو ملقى على طريق الليالى

بين حال جنت عليه وحول * فهو نضو الاحوال والاحوال

شد ما استنزلتك عن دمعك الأظـ * ـعان حتى استهل صوب العزالى

أى حسن فى الذاهبين تولى * وجمال على ظهور الجمال

ودلال مخيم فى ذرى الخـ * ـيم وجمل معصم فى الحجال

فالبيت الثانى والخامس هما المقصودان بالتمثيل ههنا والابيات الباقية جاءت تبعا ومما جاء من ذلك قول على بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناءه * بذات جفون أو بذات جفان

(وكذلك قول محمد بن وهيب الحميرى)

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

وهذا من الملح النادر ومن هذا القسم قول البحترى

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابة نقع تحتها الموت ناقع

وكذلك قوله   نسيم الروض فى ريح شمال * وصوب المزن فى راح شمول

(وذم أعرابى رجلا) فقال كان اذا سأل ألحف واذا سئل سوف يحسد على الفضل ويزهد فى الافضال (القسم الرابع) من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس وذلك ضربان أحدهما عكس الالفاظ والآخر عكس الحروف (فالاول) كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول الآخر شيم الاحرار أحرار الشيم ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط ابن قريع من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وكذلك قول الشريف الرضى من أبيات يذم فيها الزمان

اسف بمن يطير الى المعالى * وطار بمن يسف الى الدنايا

(وكذلك قول الآخر)

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار

فقصارهن من الهموم طويلة * وطوالهن من السرور قصار

وأحسن من هذا كله وألطفه قول ابن الزقاق الاندلسى

غيرتنا يد الزمان * فقد شبت والتحى   فاستحال الضحى دجا * واستحال الدجا ضحى

وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لمسماه لان مؤلف الكلام يأتى بما كان مقدما فى جزء كلامه

الاول

ذلك الى الزج يدعى سافلة الرمح (القوس) سية القوس ما عطف من طرفيها (والمجس والمجس) مقبض الرامى والكظر الفرض الذى فيه الوتر (والنعل) العقبة التى يلبسها ظهر السية (والخلل) السيور التى تلبس ظهور السيتين (والغفارة) الرقعة التى تكون على الحز الذى يجرى عليه الوتر (والعتل) القسى الفارسية (والاطنابة) السير الذى على رأس الوتر (السهم) الفوق من السهم موضع الوتر (وحرفا) الفوق الشرخان (والعقبة) التى تجمع الفوق هى الاطرة (والرعظ) مدخل النصل فى السهم (والرصاف) العقب الذى فوق الرعظ (وريش) السهم يقال له القذذ واحدته قذة (والاقذ) القدح الذى لا ريش عليه (والمريش) ذو الريش (والنكس) من السهام الذى انكسر فجعل أسفله أعلاه

النصال

فى النصل قرنته وهى طرفه وهى ظبته (والعير) هو الناشز فى وسطه (والغراران) الشفرتان منه (والكليتان) ما عن يمين النصل وشماله

أسماء الصناع

كل صانع عند العرب فهو اسكاف قال الشاعر * وشعبتا ميس براها اسكاف * أى نجار (والناصح) الخياط (النصاح) الخيط (والهاجرى) البناء (والهالكى) الحداد (الهبرقى) الصائغ (والجنثى) الزراد (والسفسير) السمسار

الاول مؤخرا فى الثانى وبما كان مؤخرا فى الاول مقدما فى الثانى ومثله قدامة بقول بعضهم شكران أنعم عليك وأنعم على من شكرك (ومن هذا القسم) قوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وكذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار (وكتب على بن أبى طالب) رضى الله عنه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه كتابا فقال أما بعد فان الانسان يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن عن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمل وكان قد والسلام (وروى عن أبى تمام) أنه لما قصد عبد الله بن طاهر ابن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها * أهن عوادى يوسف وصواحبه * أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا لم لا يقول ما يفهم فقال لم لا يفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار اليه (وقد جاء فى شئ منه) كقولى فى فصل من كتاب يتضمن فتحا وهو فكم كان فى افتراع عذرة الحصن من افتراع عذرة حصان وكم حيز به من سنان لحظ استرقه لحظ سنان (وكذلك) قولى فى صدر كتاب الى ديوان الخلافة وهو الخادم يبلغ خدمته الى ذلك الجناب التى تعطره الشفاه قبلا وتوسعه العفاة املا وترى الحول به ملوكا والملوك خولا وطاعته هى محك الاعمال التى أشير اليها بقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا (وكذلك) ورد قولى أيضا وهو فصل من تقليد وزير نقلت وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول انك الرجل الذى تضرب به الامثال والمهذب الذى لا يقال معه أى الرجال واذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها وسد ثغرها وأصبحت وأنت صدر لقلبها وقلب لصدرها فهى مزدانة منك بالفضل المتين معانة بالقوى الامين (وأما الضرب الثانى) من هذا القسم وهو عكس الحروف فهو كقول بعضهم

أهديت شيأ يقل لولا * أحدوثة الفال والتبرك
كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلوبه يسرك

(وكذلك قول الآخر)

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تأملته مقلوب اقبال

وأجود من هذا كله قول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتمنعت * وتحجبت عنى بقلب العقرب

واذا قلب لفظ عقرب صار برقعا وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما يقع كلمة تقلب حروفها فيجىء معناها صوابا (القسم الخامس) من المشبه بالتجنيس ويسمى المجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين احداهما كالتبع للاخرى والجنيبة لها كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسب بأنى * لشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرا الاحجار جارى

وهذا القسم عندى فيه نظر لانه بلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وههنا لم يتفق الاجزء من اللفظ وهو أقله وأما اللزوم فى الكلام المنثور فهو تساوى الحروف التى قبل الفواصل المسجوعة وهذا هو كذلك لان العين والراء تساويا فى البيت الاول فى قوله الاشعار وعار والجيم والراء فى البيت الثانى فى قوله الاحجار وجار (القسم السادس) من المشبه بالتجنيس وهو ما يساوى وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم

(والعصاب) الغزال قال رؤبة

* طى القسامى برود العصاب *

والقسامى الذى يطوى الثياب أول طيها حتى تنكسر على طيه (والماسخى) القواس

﴿اختلاف الاسماء فى الشئ الواحد لاختلاف الجهات﴾

(الفتل) الشزر الى فوق (واليسر) الى أسفل (والطعن) الشزر عن يمينك وشمالك (واليسر) حذاء وجهك (والطعنة) السلكى المستوية (والمخلوجة) ذات اليمين وذات الشمال (طحنت) بالرحى شزرا اذا أدرت يدك من يمينك (وبتا) اذا ابتدأت الادارة من يسارك فادرت كذلك قال الشاعر

ونطحن بالرحى شزرا وبتا
ولو نعطى المغازل ما عيينا

(والثبان) الوعاء يحمل فيه الشئ بين يديك يقال قد تثبنت فان حملته على ظهرك فهو (الحال) يقال قد تحولت كذا فان جعلته فى حضنك فهو (خبنة) يقال منه خبنت أخبن خبنا (والسانح) ما جرى من ناحية اليمين (والبارح) ما جرى عن اليسار (والناطح) ما تلقاك (والقعيد) ما استدبرك

﴿معرفة فى الطير﴾

العرب تجعل الهديل مرة فرخا تزعم الاعراب انه كان على عهد نوح فصاده جارح من جوارح الطير قالوا فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه قال الكميت فى هذا المعنى

وما من تهتفين به لنصر
بأقرب جابة لك من هديل

وتتأخر وذلك كقول أبي تمام

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

فالصفائح والصحائف مما تقدمت حروفه وتأخرت وقد ورد فى الكلام المنثور كقوله صلى الله عليه وسلم فى فضيلة تلاوة القرآن الكريم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ فقوله صلى الله عليه وسلم اقرأ وارق من التجنيس المشار اليه فى هذا القسم (النوع الثالث فى الترصيع) وهو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون فى أحد جانبي العقد من اللآلى مثل ما فى الجانب الآخر وكذلك نجعل هذا فى الالفاظ المنثورة من الاسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الاول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثانى فى الوزن والقافية وهذا لا يوجد فى كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف فأما قول من ذهب الى أن فى كتاب الله منه شيأ ومثله بقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فليس الامر كما وقع له فان لفظة لفى قد وردت فى الفقرتين معا وهذا يخالف شرط الترصيع الذى شرطناه لكنه قريب منه وأما الشعر فانى كنت أقول انه لا يتزن على هذه الشريطة ولم أجده فى أشعار العرب لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة واذا جىء به فى الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة التى تكون اذا جىء به فى الكلام المنثور ثم انى عثرت عليه فى شعر المحدثين ولكنه قليل جدا فمن ذلك قول بعضهم

فمكارم أوليتها متبرعا * وجرائم ألغيتها متورعا

فمكارم بازاء جرائم وأوليتها بازاء ألغيتها ومتبرعا بازاء متورعا وقد أجاز بعضهم أن يكون أحد ألفاظ الفصل الاول مخالفا لما يقابله من الفصل الثانى وهذا ليس بشىء لمخالفته حقيقة الترصيع (فمما جاء من هذا النوع) منثورا قول الحريرى فى مقاماته فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فانه جعل ألفاظ الفصل الاول مساوية لالفاظ الفصل الثانى وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه (ومما جاء لى فى هذا النوع) ما ذكرته فى جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو قد أعدت الجواب ولم أستعره نظاما ملفقا ولا اجلبت اليه حسنا منمقا بل أخرجته على رسله وغنيت بصقال حسنه عن صقله فجاء كما تراه غير ممشوط ولا مخطوط فهو يرفل فى أثواب بذلته وقد حوى الجمال بجملته والحسن ما وشته فطرة التصوير لا ما حشته فكرة التزوير والترصيع فى قولى وشته فطرة التصوير وحشته فكرة التزوير وكذلك ورد قولى فى فصل من الكلام يتضمن تثقيف الاولاد فقلت من قوم أود أولاده ضرم كمد حساده فهذه الالفاظ متكافئة فى ترصيعها فقوم بازاء ضرم وأود بازاء كمد وأولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم فى الامثال المولدة التى لم ترد عن العرب وهو من أطاع غضبه أضاع أدبه فأطاع بازاء أضاع وغضبه بازاء أدبه * وقد ورد هذا الضرب كثيرا فى الخطب التى أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله (فمن ذلك) قوله فى أول خطبة الحمد لله عاقد أزمة الامور بعزائم أمره وحاصد أعنة الغرور بقواصم مكره وموفق عبيده لمغانم ذكره ومحقق مواعيده بلوازم شكره فالالفاظ التى جاءت فى الفصلين الاولين متساوية وزنا وقافية والتى جاءت فى الفصلين الآخرين فيها تخالف فى الوزن فان مواعيده تخالف وزن عبيده ولا تخالف قافيتها التى هى الدال (ومن ذلك) قوله أيضا فى جملة خطبة أولئك الذين أفلوا فنجمتم ورحلوا فأقمتم وأبادهم الموت كما علمتم وأنتم الطامعون فى البقاء

بعدهم

ومرة يجعلونه الطائر نفسه قال جران العود

كأن الهديل الظالع الرجل وسطها
من البغى شريب بغزة مترف

ويروى بغرد مترف ومرة يجعلونه الصوت قال ذو الرمة

أرى ناقتى عند المحصب شاقها
رواح اليمانى والهديل المرجع

(والقارية) والقوارى جمعها وهى طير خضر تتيمن بها الاعراب وسمعت العامة تقول القوارير ولا أدرى أتريد هذا الطائر أم لا (السبد) طائر لين الريش لا يثبت عليه الماء تشبه الشعراء الخيل به اذا عرقت (والتنوط) طائر يدلى خيوطا من شجرة ويفرخ فيها (والتبشر) قالوا هى الصفارية (والشرشور) هو البرقش وأبو براقش طائر يتلون ألوانا قال الشاعر

كأبى براقش كل لون لونه يتخيل *

(والاخيل) هو الشقرق والعرب تتشاءم به (والوطواط) الخطاف وجمعه وطاوط (والحاتم) الغراب سمى بذلك لانه عندهم يحتم بالفراق (والواق) بكسر القاف الصرد سمى بحكاية صوته قال الشاعر

ولست بهياب اذا شد رحله
يقول عدانى اليوم واق وحاتم

(والغرانيق) طير الماء واحدها غرنيق ويقال له أيضا ابن ماء قال ذو الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها
على قمة الرأس ابن ماء محلق

ويروى قطعت (والبوه) طائر مثل البومة يشبه به الرجل الاحمق وهو البوهة أيضا

بعدهم كأنهم بهم كلا والله ما أشخصوا لتقرّوا ولا نقصوا لتمرّوا ولابدّ أن تمرّوا حيث مرّوا فلا تثقوا بخدع الدنيا ولا تغترّوا وهذا الكلام فيه أيضا ما فى الذى قبله من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن (وكذلك) قوله أيضا فى خطبة أخرى أيها الناس أسيموا القلوب فى رياض الحكم وأديموا النحيب على ابيضاض اللمم وأطيلوا الاعتبار بانتقاص النعم وأجيلوا الافكار فى انقراض الامم ﴿وأما ما ورد فى الشعر﴾ على مخالفة بعض الالفاظ بعضا فكقول ذى الرمة

كحلاء فى برج صفراء فى نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

وصدر هذا البيت مرصع وعجزه خال من الترصيع وعذر الشاعر فى ذلك واضح لانه مقيد بالوقوف مع الوزن والقافية ألا ترى أن ذا الرمة بنى قصيدته على حرف الباء ولو رصع هذا البيت الترصيع الحقيقى لكان يلزمه أن يأتى بألفاظه على حرفين حرفين أحدهما الباء أو كان يقسم البيت نصفين ويعادل بين ألفاظ هذا النصف وهذا النصف وذلك مما يعسر وقوعه فى الشعر وأرباب هذه الصناعة قد قسموا الترصيع الى هذين القسمين المذكورين وهذه القسمة لا أراهم أصابوا بها لان حقيقة الترصيع موجودة فى القسم الاول دون الثانى ومما جاء من هذا القسم الثانى قول الخنساء

حامى الحقيقة محمود الخليقة * مهدى الطريقة نفاع وضرار

(وكذلك قول الآخر)

سود ذوائبها بيض ترائبها * محض ضرائبها صيغت من الكرم

(النوع الرابع فى لزوم ما لا يلزم) وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا وذلك لان مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم فى هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنثور فى قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو فى الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روىّ الابيات الشعرية وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان فى ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم فأتى فيه بالجيد الذى يحمد والردىء الذى يذم وسأذكر فى كتابى هذا فى هذا الموضع أمثلة من المنثور والمنظوم يهتدى بها (فمن ذلك) ما ذكرته فى جملة كتاب فى فصل يتضمن ذم جبان فقلت اذا نزل به خطب ملكه الفرق واذا اضل فى أمر لم يؤمن الا اذا أدركه الغرق (ومن ذلك) ما ذكرته فى مبدا كتاب الى بعض الاخوان فقلت الخادم يهدى من دعائه وثنائه ما يسلك أحدهما سماء والآخر أرضا ويصون أحدهما نفسا والآخر عرضا وأعجب ما فيهما أنهما توأمان غير أن هذا مستنتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان فاللزوم ههنا فى الراء والضاد (وكذلك) ورد قولى فى جملة كتاب الى ديوان الخلافة فقلت وقد علم من شيم الديوان العزيز أنه يسر بامتداد الايدى الى بابه واذا أغب أحدها فى المسئلة نهاه عن اغبابه حتى لا يخلو حرمه الكريم من المطاف ولا يده الكريمة من الاسعاف فاللزوم ههنا فى لفظتى بابه واغبابه (ومن ذلك) ما كتبته فى جملة كتاب الى ديوان الخلافة أيضا وهو ومهما شدّ به عضد الخادم من الانعام فانه قوة لليد التى خولته ولا يقوى تصعد السحب الا بكثرة غيثها الذى أنزلته وغير خاف أن عبيد الدولة لها كالعمد من طرافها ومركز الدائرة من أطرافها ولا يؤيد السيف الا بقائمه ولا ينهض الجناح الا بقوادمه فاللزوم فى هذا الموضع فى الراء والفاء فى قولى طراف وأطراف (ومن ذلك) ما كتبته فى صدر كتاب الى الملك الافضل علىّ بن يوسف أهنيه بملك مصر فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة فقلت المملوك يهنى مولانا بنعمة الله

(والدخل) ابن تمرة (والفياد) هو ذكر البوم (والسقطان) من الطائر جناحاه (والعفرية) عرف الديك وعرف الحرب وهو ذكر الحبارى (والبرايل) ما ارتفع من ريش الطائر واستدار فى عنقه (والقيض) قشر البيضة الاعلى وهو الخرساء (والغرقىء) القشرة الرقيقة التى تحت القيض (والمح) صفرة البيض ويقال ان الفرخ يخلق من البياض ويغتذى المح (والمكاء) طائر يسقط فى الرياض ويمكو أى يصفر قال الشاعر

اذا غرد المكاء فى غير روضة
فويل لاهل الشاء والحمرات

وقطن الطائر زمكاه ويقال أصفت الدجاجة والحمامة اذا انقطع بيضهما ويقال قطعت الطير اذا انحدرت من بلاد البرد الى بلاد الحر

﴿معرفة فى الهوام والذباب وصغار الطير﴾

(الغوغا) صغار الجراد ومنه قيل لعامة الناس غوغا (والهمج) البعوض ولذلك قيل للجهلة والصغار همج (والقمعة) ذباب أزرق عظيم (والنعرة) ذباب يدخل فى أنف الحمار فيركب رأسه ويمضى فيقال عند ذلك حمار نعر (واليراع) ذباب يطير بالليل كأنه نار واحدته يراعة (واليعسوب) فحل النحل (والجدجد) صرّار الليل وهو قفار وفيه شبه من الجرادة (والسرفة) دابة تبنى لنفسها بيتا حسنا والمثل يضرب بها فيقال أصنع من سرفة (والعث) دويبة

المؤذنة باستخلاصه واحتبائه وتمكينه حتى بلغ أشده واستخرج كنز آبائه ولو أنصف لهنى الارض منه بوابلها والامة بكافلها وخصوصا أرض مصر التى خصت بشرف سكناه وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض عناه وكل هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التى أنشأتها لا كلفة على كلمات اللزوم فيها (وقرأت فى كتاب الاغانى لابى الفرج) أن لقيط بن زرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين فحظيت عنده وحظى عندها ثم قتل فأقامت بعده وتزوجت زوجا غيره فكانت كثيرا ماتذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت انه خرج فى يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتانى وبه نضح دم فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط فقولها ضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة من الكلام الحلو فى باب اللزوم ولا كلفة عليه وهكذا فليكن فان الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة وماينبغى لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجئ به متكلفا ومثاله فى هذا المقام كمن أخذ موضوعا رديئا فأجاد فيه صنعته فانه يكون عند ذلك قد راعى الفرع وأهمل الاصل فأضاع جودة الصنعة فى رداءة الموضوع وقد سلك ذلك أبو العلاء المعرى أحمد بن عبد الله بن سليمان فما جاء من ذلك قوله فى حرف التاء مع الخاء

بنت عن الدنيا ولا بنت لى * فيها ولا عرس ولا أخت
وقد تحملت من الوزر ما * تعجز أن تحمله البخت
ان مدحونى ساءنى مدحهم * وخلت أنى فى الثرى سخت

(وله من ذلك الجيد كقوله)

لا تطلبن بآلة لك حاجة * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وهذا بين الاسترسال وبين الكلفة وأما ما تكلف له تكلفا ظاهرا وان أجاد فقوله

تنازع فى الدنيا سواك وماله * ولا لك شئ فى الحقيقة فيها
ولكنها ملك لرب مقدر * يعير جنوب الارض مرتدفيها
ولم تحظ من ذاك النزاع بطائل * من الامر الا أن تعد سفيها
فيانفس لا تعظم عليك خطوبها * فتغفقوها مثل مختلفيها
تداعوا الى النزر القليل فجالدوا * عليه وخلوها لمعترفيها
وما أم صل أو حليلة ضيغم * باظلم من دنياك فاعترفيها
تلاقى الوفود القادميها بفرحة * وتبكى على آثار منصرفيها
وماهى الا شوكة ليس عندها * وجدك ارطاب لمخترفيها
كما نبذت للطير والوحش رازم * فألقت شرورا بين مختطفيها
بيات عن الانصاف من ضيم لم يجد * سبيلا الى غايات منتصفيها
فأطبق فاعنها وكفا ومقلة * وقل لغوى الناس فاك لفيها

ومن ذلك

أرى الدنيا وما وصفت ببر * اذا أغنت فقيرا أرهقته
اذا خشيت لشر عجلته * وان رجيت لخير عوقته
حبات كالحبالة ذات مكر * ونفس المرء صيدا أعلقته
فلا يخدع بحيلتها أريب * وان هى سورته ونطقته
أذاقته شهيا من جناها * وصدت فاه عما ذوقته

تأكل الاديم (والليث) ضرب من العناكب قصير الارجل كثير العيون يصيد الذباب وثبا (وأم حبين) ضرب من العظاء منتنة الريح وقد يقال لها حبينة قال مدينى لاعرابى ما تأكلون وما تدعون فقال نأكل كل ما دب ودرج الا أم حبين قال المدينى لتهن أم حبين العافية (والحرباء) أكبر من العظاة شئ يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس (والوحرة) دويبة حمراء تلصق بالارض ومنه قيل وحر صدر فلان على شبهوا لزوق الحقد بالصدر بلزوقها بالارض (والوزغ) سام ابرص ولا يثنى ولا يجمع وأنشد أبو زيد

والله لو كنت لهذا خالصا
لكنت عبدا آكل الابارصا

فجمعه على لفظ الثانى (والقرنبى) دويبة مثل الخنفساء أعظم منها شيأ تقول العرب القرنبى فى عين أمها حسنة والعامة تقول الخنفساء (والنبر) دويبة تدب على البعير فيتورم قال الشاعر يصف ابلا وارمات

كأنها من سمن واستيفار
دبت عليها ذربات الانبار

أراد جمع نبر (والحلكاء) دويبة تغوص فى الرمل كما يغوص طائر الماء فى الماء (والاساريع) دواب تكون فى الرمل يشبه بها أصابع النساء واحدها أسروع ويقال هى شحمة الارض أيضا (والخدرنق) العنكبوت الناسجة (والدلدل) عظيم القنافذ وهو الشيهم (والزبابة) فارة صماء تضرب بها العرب المثل يقولون

وقد

وقد ورد للعرب شيء من ذلك الا انه قليل فمما جاء منه قول بعضهم في أبيات الحماسة

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه (ومما يجرى هذا المجرى) قول جحر بن حية العبسي من شعراء الحماسة أيضا

ولا أدوم قدري بعد ما نضجت * بخلا فتمنع ما فيها أثافيها
حتى تقسم شتى بين ما وسعت * ولا يؤنب تحت الليل عافيها

ومما ورد من ذلك أيضا قول طرفة بن العبد البكري

ألم تر أن المال يكسب أهله * فضوحا اذا لم يعط منه نوائبه
أرى كل مال لا محالة ذاهبا * وأفضله ما ورث الحمد كاسبه

(وكذلك قول الفرزدق)

وغير لون راحلتي ولوني * تردي الهواجر واعتمامي
أقول لها اذا ضجرت وعضت * بموركة الوراك مع الزمام
علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي

(وكذلك قوله أيضا)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها أغراض

واذا شئت أن تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار وانظر الى ما أوردته لابي العلاء المعري فان أثر الكلفة عليه باد ظاهر (وممن قصد من العرب قصيدة كلها على اللزوم كثير عزة وهي القصيدة التي أولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تترقرق من لينها وسهولتها وليس عليها من أثر الكلفة شيء ولولا خوف الاطالة لاوردتها بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في أبيات الحماسة وهو

وفيشة ليست كهذي الفيش * قد ملئت من ترف وطيش
اذا بدت قلت أمير الجيش * من ذاقها يعرف طعم العيش

وهذا ليس من باب اللزوم لان اللزوم هو أن يلتزم الناظم والناثر ما لا يلزمه كقولنا شرق وفرق مثلا فانه لو قيل بدلا من ذلك شرق وحنق لجاز ذلك وفي هذه الابيات لا يقع الامر كذلك لانه لو قيل طيش وعرش لما جاز وهذا يقال له الردف في الشعر وهو الياء والواو قبل حرف الروي واذا جيء بذلك في الشعر وفي الكلام المنثور لا يقال انه التزام ما لا يلزم لان الملتزم ما لا يلزم له مندوحة في العدول الى غيره وههنا لا مندوحة (ومن لطيف ذلك) ما روي لامرأة من البصرة مجنت بأبي نواس فقالت

ان حري حزنبل حزابيه * اذا قعدت فوقه نبابيه * كالارنب الجاثم فوق الرابيه

(وكذلك ورد قول أبي تمام وهو)

خدم العلا فخدمنه وهي التي * لا تخدم الاقوام ما لم تخدم

أسرق من زبابة ويشبهون بها الجاهل قال ابن حلزة

وهم زباب حائر
لا تسمع الآذان رعدا

(والرق) عظيم السلاحف (والنمس) دابة تقتل الثعبان (ونزك الضب) ذكره وله نزكان وكذلك الحرذون وأنشد الاصمعي في وصف ضب

سبحل له نزكان كانا فضيلة
على كل حاف في البلاد وناعل

(والكشية) شحم بطنه يقول قائل العرب

وأنت لو ذقت الكشى بالاكباد
لما تركت الضب يعدو بالواد

(ومكنه) بيضه قال أبو الهند

ومكن الضباب طعام العريب
ولا تشتهيه نفوس العجم

(وحسوله) ولده ويقال انه يأكلها ولذلك يقال في المثل أعق من ضب (وحارشها) صائدها وأنشدنا

اذا ما كان حبك حب ضب
فارجو بحبك من تحب

(والظربان) دابة كالهرة منتنة الرائحة تزعم الاعراب أنه يفسو في ثوب أحدهم اذا صاده فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب ويقولون في القوم يتقاطعون فسا بينهم ظربان ويسمونه مفرق النعم لانه اذا فسا بينها وهي مجتمعة تفرقت (والخزز) ذكر اليرابيع وهو أيضا ذكر الارانب ويقال للبرغوث طامر بن طامر (والصؤابة) القملة وجمعها صؤاب (والحرقوص) كالبرغوث وربما نبتت له جناحان فطار وفي الحية والعقرب يقال نهشته الحية ونشطته ولدغته العقرب

فاذا ارتقى فى قلة من سودد * قالت له الاخرى بلغت تقدم

(وعلى هذا الاسلوب قوله أيضا)

ولو جربتنى لوجدت خرقا * يصافى الاكرمين ولا يصادى
جديرا أن يكر الطرف شزرا * الى بعض الموارد وهو صادى

(وله من أبيات تتضمن مرثية)

لقد فجعت عتابة وزهيرة * وثعلبة أخرى الليالى ووائله
ومبتدر المعروف تسرى هباته * اليهم ولا تسرى اليهم غوائله
طواه الردى طى الرداء وغيبت * فضائله عن قومه وفواضله
طوى شيما كانت تروح وتغتدى * وسائل من أعيت عليه وسائله
فيا عارضا للعرف أقلع مزنه * ويا واديا للجود جفت مسايله
ألم ترنى أنزفت عينى على أبى * محمد النجم المشرق آفله
وأخلصتها فيه كما لو أتيته * طريد الليالى أخلصتنى نوافله

وهذا من أحسن ما يجىء فى هذا الباب وليس بمتكلف كشعر أبى العلاء فان حسن هذا مطبوع وحسن ذاك مصنوع وكذلك أقول فى غير اللزوم من الانواع المذكورة أولا فان الالفاظ اذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع وكانت غير مستجلبة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة الى التأنق ولاشك أن صورة الخلقة غير صورة التخلق ﴿فان قيل﴾ ما الفرق بين المتكلف من هذه الانواع وغير المتكلف ﴿قلت فى الجواب﴾ أما المتكلف فهو الذى يأتى بالفكرة والروية وذلك أن ينضى الخاطر فى طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره وغير المتكلف يأتى مسترسلا من ذلك كله وهو أن يكون الشاعر فى نظم قصيدته أو الخطيب أو الكاتب فى انشاء خطبته أو كتابته فبيناهو كذلك اذ سنح له نوع من هذه الانواع بالاتفاق لا بالسعى والطلب ألا ترى الى قول أبى نواس فى مثل هذا الموضع

اترك الاطلال لا تعبأ بها * انها من كل بؤس دانيه
وانعت الراح على تحريمها * انما دنياك دار فانيه
من عقار من رآها قال لى * صيدت الشمس لنا فى آنيه

(وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضا)

كم من غلام ذى تحاسين * أفسده ناطف ياسين

وهذا ياسين كان يبيع الناطف ببغداد (وحكى ابراهيم البندنيجى) قال رأيت شيخا ضعيفا يبيع ناطفا فقلت له ياشيخ أما زلت فى هذه الصناعة قال مذ كنت ولكن الحال كانت واسعة والسلعة نافقة وكنت ممن يشار اليه حتى قال أبو نواس فىّ وأنشد هذا البيت فانظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبى نواس فى لزومه وما أعراه عن الكلفة وكذلك فلتكن الالفاظ فى اللزوم وغيره (واعلم) أنه اذا صغرت الكلمة الاخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور فان ذلك ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوى الحروف التى قبل روى الابيات الشعرية والحروف التى قبل الفاصلة من النثر فمن ذلك قول بعضهم

عز على ليلى بذى سدير * سوء مبيتى ليلة الغميرى
مقبضا نفسى فى طميرى * تنتهز الرعدة فى ظهيرى
يهفو الى الزور من صديرى * ظمآن فى ريح وفى مطيرى

ولسبته قال أبو زيد نكزته الحية والنكز بأنفها ونشطته والنشط بأنيابها (وزبانى العقرب) قرناها (وشولتها) ما تشول من ذنبها وبذلك سميت النجوم تشبيها بها (وحمة العقرب) بالتخفيف سمها والتى تلسع بها ابرتها (والحاربة) الافعى اذا صغرت من الكبر (والصل) التى لا تنفع معها الرقية (والثعبان) أعظمها (والحفاث) حية تنفخ ولا تؤذى قال الشاعر

أيغايشون وقد رأوا حفاثهم
قد عضه فقضى عليه الأشجع

والعرب تسمى الحية الخفيف الجسم النضناض شيطانا وتسمى الحية شيطانا ويقال منه قول الله عز وجل طلعها كأنه رؤس الشياطين

﴿معرفة فى جواهر الارض﴾

(القطر) النحاس ومنه قول الله عز وجل وأسلنا له عين القطر (والآنك) الاسرب ومنه الحديث من استمع الى قينة صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة (والنضر) الذهب وهو العقيان أيضا (واللجين) الفضة (والصرفان) الرصاص ومنه قول الزبا

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا

﴿الاسماء المتقاربة فى اللفظ والمعنى﴾

(النضخ) أكثر من النضح ولا يقال من النضخ فعلت (والحزم) من الارض أرفع من الحزن (والقبض) بجميع الكف (والقبص) بأطراف الاصابع وقرأ الحسن فقبصت

وازرق ليس بالغريري * من لدما ظهر الى سحيري
حتى بدت لي جبهة القمير * لأربع خلون من شهير

وهذا من محاسن الصنعة في هذا الباب فاعرفه وأحسن منه ما ورد عن أبي نواس وعن عنان جارية النطاف وله معها حكايات كثيرة غير هذه فقال أبو نواس

أما ترقى لصب * يكفيه منك قطيره
فقالت عنان اياي تعني بهذا * عليك فاجلد عميره
فقال أبو نواس أخاف ان رمت هذا * على يدي منك غيره

فالبيتان الاول والثاني من هذا الباب والثالث جاء تبعا وقد ورد في القرآن الكريم شيء من اللزوم الا أنه يسير جدا (فمن ذلك) قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور وكذلك ورد قوله تعالى في هذه السورة فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وهذا لا يدخل في باب اللزوم لان الاصل فيه نعم وجحم والياء هي من حروف المد واللين فلا يعتد بها ههنا ﴿ومن هذا الباب﴾ قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وكذلك ورد قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (وعلى هذا الاسلوب) جاء قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ولا تجد أمثال ذلك في القرآن الا قليلا ﴿النوع الخامس في الموازنة﴾ وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الالفاظ وزنا وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال لانه مطلوب في جميع الاشياء واذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لامراء فيه لوضوحه وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة دون المماثلة لان في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها فيقال اذا كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة (فما جاء منها) قوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالمستبين والمستقيم على وزن واحد وكذلك قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وكذلك قوله تعالى في سورة طه من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا وكذلك ورد قوله تعالى في سورة حم عسق والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا

قبصة من أثر الرسول (والخضم) بالفم كله (والقضم) باطراف الاسنان قال أبو ذر رحمه الله يخضمون ونقضم والموعد الله (والخصر) الذي يجد البرد (والخرص) الذي يجد البرد والجوع (والرجز) العذاب (والرجس) النتن (والحفة) الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب (والحف) هو المنسج (والهلاس) في البدن (والسلاس) في العقل (والنار الخامدة) التي قد سكن لهبها ولم يطفأ جمرها (والهامدة) التي طفئت وذهبت البتة (والكابية) التي غطاها الرماد (والذفر) شدة ريح الشيء الطيب والشيء الخبيث (والدفر) النتن خاصة ومنه قيل للدنيا أم دفر وقيل للامة يا دفار (والماء) الشروب الملح الذي لا يشرب الا عند الضرورة (والشريب) الذي فيه شيء من عذوبة وهو يشرب على ما فيه (والربع) الدار بعينها حيث كانت (والمربع) المنزل في الربيع خاصة (والشكد) العطا ابتداء فان كان جزاء فهو شكم (والغلط) في الكلام فان كان في الحساب فهو غلت (والمائح) الذي يدخل البئر فيملأ الدلو (والماتح) الذي ينزعها (رجل صنع) اذا كان بعمله حاذقا (وامرأة صناع) ولا يقال للرجل صناع

﴿نوادر﴾

(التقريظ) مدح الرجل حيا (والتأبين) مدحه ميتا (غضبت) لفلان اذا كان حيا (وغضبت) به اذا كان ميتا (عقلت) المقتول أعطيت ديته (وعقلت) من

مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير وهذه الآيات جميعها على وزن واحد فان شديد وقريب وبعيد وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن فعيل وان اختلف حروف المقاطع التى هى فواصلها وأمثال هذا فى القرآن كثير بل معظم آياته جارية على هذا النهج حتى انه لا تخلو منه سورة من السور ولقد تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شىء عن السجع والموازنة وأما ماجاء من هذا النوع شعرا فقول ربيعة بن ذؤابة

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحرث بن شهاب
بأشدهم بأسا على أصحابه * وأعزهم فقدا على الأصحاب

فالبيت الثانى هو المختص بالموازنة فان بأسا وفقدا على وزن واحد (النوع السادس فى اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها) وهو من هذه الصناعة بمنزلة علية ومكانة شريفة وجل الالفاظ اللفظية منوطة به ولقد لقيت جماعة من مدعى فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضونى وسألتهم وسألونى فما وجدت أحدا منهم تيقن معرفة هذا الموضع كما ينبغى وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها وسيأتى ذكرها ههنا (أما اختلاف صيغ الالفاظ) فانها اذا انتقلت من هيئة الى هيئة كنقلها مثلا من وزن من الاوزان الى وزن آخر وان كانت اللفظة واحدة أو كنقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل الى صيغة الاسم أو كنقلها من الماضى الى المستقبل أو من المستقبل الى الماضى أو من الواحد الى التثنية أو الى الجمع أو الى النسب أو الى غير ذلك انتقل قبحها اصار حسنا وحسنها اصار قبحا (فمن ذلك) لفظة خود فانها عبارة عن المرأة الناعمة واذا انتقلت الى صيغة الفعل قيل خوّد على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال خوّد البعير اذا أسرع فهى على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد وردت فى النظم والنثر كثيرا واذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبى تمام

والى بنى عبد الكريم تواهقت * رتك النعام رأى الظلام فخوّدا

وهذا يقاس عليه أشباهه وأنظاره الا أن هذه اللفظة التى هى خوّد قد نقلت عن الحقيقة الى المجاز فخف عنها ذلك القبح قليلا كقول بعض شعراء الحماسة

أقول لنفسى حين خود رألها * رويدك لما تشفقى حين مشفق
رويدك حتى تنظرى عم تنجلى * غيابة هذا العارض المتألق

والرأل النعام والمراد به ههنا أن نفسه فرّت وفزعت وشبه ذلك باسراع النعام فى فراره وفزعه ولما أورده على حكم المجاز خف بعض القبح الذى على لفظة خوّد وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة فى ايرادها ههنا وايرادها فى بيت أبى تمام فانها وردت فى بيت أبى تمام قبيحة سمجة ووردت ههنا بين بين (ومن هذا النوع) لفظة ودع وهى فعل ماض ثلاثى لا ثقل بها على اللسان ومع ذلك فلا تستعمل على صيغتها الماضية الا جاءت غير مستحسنة ولكنها تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الامر فتجىء حسنة أما الامر فكقوله تعالى فدعهم يخوضوا ويلعبوا ولم تأت فى القرآن الكريم الا على هذه الصيغة وأما كونها مستقبلة فكقول النبى

فلان اذا رمته دية فأعطيتها عنه قال الاصمعى كلمت أبا يوسف القاضى فى هذا عند الرشيد فلم يفرق بين عقلته وعقلت عنه حتى فهمته (ودوم) الطائر فى الهوى اذا حلق واستدار فى طيرانه (ودوى) السبع فى الارض اذا ذهب (والبسلة) أجر الراقى (والحلوان) أجر الكاهن (والخسا) الوتر وهو الفرد (والزكاء) الشفع وهو الزوج (وعبد) قن وأمة قن وكذلك الاثنان والجميع وهو الذى ملك هو وأبواه (وعبد مملكة) الذى سبى ولم يملك أبواه (استوبلت) المدينة اذا لم توافقك فى بدنك وان أحببتها (واجتويتها) اذا كرهتها وان كانت موافقة لك فى بدنك (كل شىء) من قبل الزوج مثل الاخ والاب فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحمء مهموز ساكن الميم وحم محذوف اللام مثل أب وحماة المرأة أم زوجها لا لغة فيها غير هذه وكل شىء من قبل المرأة فهم (الاختان) والصهر يجمع هذا كله وهى عجيزة المرأة وعجزها ولا يقال عجيزته قال يونس اذا غلب الشاعر قيل مغلب واذا غلب قيل غلب (وقد زنى) الرجل وعهر وهذا يكون بالامة والحرة ويقال فى الاماء خاصة قد ساعاها ولا تكون المساعاة الا فى الاماء خاصة (والخباء) من صوف ووبر ولا يكون من الشعر (والطراف) من الادم (الجمع) المجتمعون (والجماع) المتفرقون قال أبو قيس بن الاسلت

* من بين جمع غير جماع *

صلى

صلى الله عليه وسلم وقد واصل فى شهر رمضان فواصل معه قوم لو مدلنا الشهر لواصلنا وصالا لا يدع له المتعمقون تعمقهم وقال أبو الطيب المتنبى

يشقكم بفتاها كل سلهبة * والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع

وأما الماضى من هذه اللفظة فلم يستعمل الا شاذا ولا حسن له كقول أبى العتاهية

أثروا فلم يدخلوا قبورهم * شيأ من الثروة التى جمعوا

وكان ماقدموا لأنفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا

وهذا غير حسن فى الاستعمال ولا عليه من الطلاوة شئ وهذه لفظة واحدة لم يتغير من حالها شئ سوى أنها نقلت من الماضى الى المستقبل لا غير وكذلك لفظة وذر فانها لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الامر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر فهى لم ترد فى القرآن الا على هاتين الصيغتين وكذلك فى فصيح الكلام غير القرآن وأما اذا جاءت على صيغة الماضى فانها لا تستعمل وهى أقبح من لفظة ودع لان لفظة ودع قد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل وههنا فلينعم الخائضون فى هذا الفن نظرهم ويعلموا أن فى الزوايا خبايا واذا أنعموا الفكر فى أسرار الالفاظ عند الاستعمال وأغرقوا فى الاعتبار والكشف وجدوا غرائب وعجائب (ومن هذا النوع) لفظة الاخدع فانها وردت فى بيتين من الشعر وهى فى أحدهما حسنة رائقة وفى الآخر ثقيلة مستكرهة كقول ابن الصمة عبد الله من شعراء الحماسة

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

﴿وكقول أبى تمام﴾

يا دهر قوم من أخدعيك فقد * أضججت هذا الانام من خرقك

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة فى بيت أبى تمام من الثقل على السمع والكراهة فى النفس أضعاف ما وجد لها فى بيت ابن الصمة عبد الله من الروح والخفة والايناس والبهجة وليس سبب ذلك الا أنها جاءت موحدة فى أحدهما مثناة فى الآخر وكانت حسنة فى حالة الافراد مستكرهة فى حالة التثنية والا فاللفظة واحدة وانما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى (ومن هذا النوع) ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستفتى فى ذلك الا الذوق السليم وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره (فمن ذلك) لفظة اللب الذى هو العقل لا لفظة اللب الذى تحت القشر فانها لا تحسن فى الاستعمال الا مجموعة وكذلك وردت فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة وهى مجموعة ولم ترد مفردة كقوله تعالى وليتذكر أولو الالباب وان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب وأشباه ذلك وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست بمستثقلة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافا اليها أما كونها مضافا اليها فكقولنا لا يعلم ذلك الا ذوو اللب وان فى ذلك لعبرة لذى لب وعليه ورد قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وأما كونها مضافة فكقول النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من احداكن يا معشر النساء فان كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الاضافة فانها لا تأتى حسنة ولا تجد دليلا على ذلك الا مجرد الذوق الصحيح واذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر فى رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روعى فيها الجمع دون

الاصمعى (فوارة) الورك بفتح الفاء وفوارة القدر هو ما يفور من حرها بضم الفاء (الغيلم) المرأة الحسناء بالغين معجمة (والعيلم) بالعين غير معجمة العين الكثيرة الماء (يقال) بات يفعل كذا اذا فعله ليلا (وظل) يفعل كذا اذا فعله نهارا (ولا يقال) راكب الا لراكب البعير خاصة ويقال فارس وحمار وبغال (ويقال) النقب فى يدى البعير والحفا فى رجليه (أخ) الجمل (وخلأت) الناقة (وحرن) الفرس (والخلاء) فى الناقة مثل الحران فى الفرس (وركض) البعير برجله ولا يقال رمح وخبط بيديه (وزبنت) الناقة اذا هى ضربت بثفنات رجليها عند الحلب والزبن بالثفنات (ورمح) الفرس والحمار والبغل (ويقال) برك البعير (وربضت) الشاة (وجثم الطائر) وهذه مبارك الابل ومرابض الغنم (ويقال) أنخت البعير فبرك ولا يقال فناخ (وهو حباب) الابل وزبد الغنم (والحباب) كالزبد يعلو ألبان الابل ولا زبد لالبانها (جلد) فلان جزوره أى نزع عنه جلده (وسلخ) شاته ولا يقال سلخ جزوره (ناقة) تاجرة للنافقة وأخرى كاسدة (عطن) الابل والغنم ومعاطنها مباركها عند الماء ولا تكون الاعطان والمعاطن الا عند الماء (وثاية) الغنم والابل مأواها حول البيوت (ومراح) الابل (ومراح) الغنم سرحت الابل والماشية بالغداة وراحت بالعشى (ونفشت) بالليل (وهملت) اذا أرسلتها ترعى ليلا ونهارا بلا راع (ويقال) أرحتها وأنفشتها وأهملتها

الافراد كلفظة كوب فانها وردت فى القرآن مجموعة ولم ترد مفردة وهى وان لم تكن مستقبحة فى حال افرادها فان الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ أخر تندرج معهن فيكسوها ذلك حسنا اليس لها وذلك كقولى فى جملة أبيات أصف بها الخمر وما يجرى معها من آلاتها

ثلاثة تعطى الفرح * كأس وكوب وقدح
ماذبح الذوق بها * الا وللهم ذبح

فلما وردت لفظة الكوب مع الكأس والقدح على هذا الاسلوب حسنها وكأنه جلاها فى غير لباسها الذى كان لها اذجاءت بمفردها (وكذلك وردت) لفظة رجا القصر والرجا الجانب فانها لم تستعمل موحدة وانما استعملت مجموعة كقوله تعالى والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فلما وردت هذه اللفظة مجموعة ألبسها الجمع ثوبا من الحسن لم يكن لها فى حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الاضافة كقولنا رجا البئر ولربما أخطأ بعض الناس فى هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقيس وذلك أنه وقف على ما ذكرته ههنا واقف فقال وكذلك قد وردت لفظة الصوف فى القرآن الكريم ولم ترد الا مجموعة كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وهذا بخلاف ما وردت عليه فى شعر أبى تمام

كانوا برود زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

وهذا ليس كالذى أشرت اليه فان لفظة الصوف لفظة حسنة مفردة ومجموعة وانما أزرى بها فى قول أبى تمام أنها جاءت مجازية فى نسبتها الى الزمان وعلى هذا النهج وردت لفظة خبر واخبار فان هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة ولم ترد فى القرآن الا مجموعة (وفى صدد ذلك) ما ورد استعماله من الالفاظ مفردا ولم يرد مجموعا كلفظة الارض فانها لم ترد فى القرآن الا مفردة فاذا ذكرت السماء مجموعة جىء بها مفردة معها فى كل موضع من القرآن ولما أريد أن يؤتى بها مجموعة قيل ومن الارض مثلهن فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (ومما ورد) من الالفاظ مفردا فكان أحسن مما يرد مجموعا لفظة البقعة قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله والاحسن استعمالها مفردة لا مجموعة وان استعملت مجموعة فالاولى أن تكون مضافة كقولنا بقاع الارض أو ما جرى مجراها (وكذلك) لفظة طيف فى ذكر طيف الخيال فانها لم تستعمل الا مفردة وقد استعملها الشعراء قديما وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من أقبح الالفاظ وأشدها كراهة على السمع ويالله العجب من هذه اللفظة ومن أختها عدة ووزنا وهى لفظة ضيف فانها تستعمل مفردة ومجموعة وكلاهما فى الاستعمال حسن رائق وهذا مما لا يعلم السر فيه والذوق السليم هو الحاكم فى الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجرى مجراهما (وأما جمع المصادر) فانه لا يجىء حسنا والافراد فيه هو الحسن ومما جاء فى المصادر مجموعا قول عنترة

فان يبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود

قوله الفقود جمع مصدر من قولنا فقد يفقد فقدا واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغ ولا لذيذ وان كان جائزا ونحن فى استعمال ما نستعمله من الالفاظ واقفون مع الحسن لا مع الجواز وهذا كله يرجع الى حاكم الذوق السليم فان صاحب هذه الصناعة يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب فى فمه منها استعمله وما لفظه فمه تركه ألا ترى أنه يقال الامة بالضم عبارة عن الجمع الكثير من الناس ويقال الامة بالكسر وهى النعمة فان الامة بالضم لفظة

وأسمتها مثل أهملتها فى المعنى وسرحتها هذه وحدها بغير ألف (ابل مدفأة) كثيرة الاوبار والشحوم (وابل مدفئة) أى كثيرة من نام وسطها دفئ من أنفاسها واذا كان الفحل كريما من الابل قالوا فحيل قال الراعى

* أماتهن وطرقهن فحيلا *

واذا كان من النخل كريما قالوا فحال وجمعوه فحاحيل (أجمع بناقته) اذا صر جميع اخلافها (وثلث) بها اذا صر ثلاثة اخلاف وشطر بها اذا صر خلفين (وخلف) بها اذا صر خلفا أبو عبيدة (المعلى) الذى يأتى الحلوبة من قبل شمالها (والوضين) للهودج (والحزام) للسرج (والبطان) للقتب خاصة (الحلس) كساء يكون تحت البرذعة (والحلس) والبرذعة للبعير (والقرطاط) والقرطان لذوات الحافر (والخشاش) من خشب (والبرة) من صفر (والخزامة) من شعر يقال (خششت) البعير (وخزمته) وأبريته هذه وحدها بألف (وسرج) فاتر أى واق وسرج معقر وعقر (وقتب) عقر أيضا غير واق قال

ألد اذا لقيت قوما بخطة
ألح على اكتافهم قتب عقر

ولا يقال عقور الا للحيوان

﴿تسمية المتضادين باسم واحد﴾

(الجون) الاسود وهو الابيض قال الشاعر

* يبادر الجونة ان تغيبا *

يعنى الشمس (والصريم) الصبح (والصريم) الليل (السدفة) الظلمة (والسدفة) الضوء وبعضهم

حسنة وبالكسر ليست بحسنة واستعمالها قبيح (ورأيت صاحب كتاب الفصيح) قد ذكرها فيما اختاره من الالفاظ الفصيحة وياليت شعري ما الذي رآه من فصاحتها حتى اختارها وكذلك قد اختار ألفاظا أخر ليست بفصيحة ولا لوم عليه لان صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير واسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية وانما تؤخذ منهم مسئلة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية وما جرى هذا المجرى وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها واذا شذ عن صاحب كتاب الفصيح ألفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة ذكرها من الفصيح فان هذا منه كثير (ومما يذكر في هذا الباب) أنه يقال سهم صائب فاذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في الفم قيل سهام صوائب وصائبات وصيب فاذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن كتب قال أبو نواس

ما أحل الله ما صنعت * عينه تلك العشية بي

قتلت انسانها كبدي * بسهام للردى صيب

فقوله سهام صيب من اللفظ الذي ينبو عنه السمع و يحيد عنه اللسان ومثله ورد قول عريف القوافي من أبيات الحماسة

ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجاك ونامت العواد

لما أتاني من عيينة أنه * أمست عليه بظاهر أقياد

فقوله أقياد في جمع قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن أن يقال في جمعه قيود وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من أبيات الحماسة وذلك من جملة الابيات المشهورة التي أولها

ياربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رجال القوم والقربا

فقال فيها

ماذا ترين أتدنيهم لأرحلنا * في جانب البيت أم تبني لهم قببا

فانه جمع قبة على قبب وذلك من المستبشع الكريه والاحسن المستعمل هو قباب لا قبب وكذلك يجري الامر في غير هذا (ومن المجموع) ما يختلف استعماله وان كان متفقا في لفظة واحدة كالعين الناظرة وعين الناس وهو النبيه فيهم فان العين الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على أعيان وهذا يرجع فيه الى الاستحسان لا الى جائز الوضع اللغوي وقد شذ هذا الموضع عن أبي الطيب المتنبي في قوله

والقوم في أعيانهم خزر * والخيل في أعيانها قبل

فجمع العين الناظرة على أعيان وكان الذوق يأبى ذلك ولا تجد له على اللسان حلاوة وان كان جائزا ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذا النوع وأمثاله أشياء كثيرة وكشفت عن رموز وأسرار تخفى على كثير من متعاطي هذا الفن لكن في الذي أشرت اليه منبه لاهل الفطانة والذكاء أن يحملوه على أشباهه وأنظاره (وأعجب من ذلك كله) أنك ترى وزنا واحدا من الالفاظ تارة تجد مفرده حسنا وتارة تجد جمعه حسنا وتارة تجدهما جميعا حسنين فالاول نحو حبرور وهو فرخ الحبارى فان هذه اللفظة يحسن مفردها لا مجموعها لان جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وأما الثاني فنحو بهلول وبهاليل ولهموم ولهاميم وهذا ضد الاول وأما الثالث فنحو جمهور وجماهير وعرجون وعراجين فانظر الى الوزن الواحد كيف يختلف في أحواله مفردا ومجموعا وهذا من أعجب ما يجيء في هذا الباب وهكذا قد جاءت ألفاظ على وزن واحد ثلاثية مسكنة الوسط وجمعها حسن في الاستعمال واذا أردنا أن نثقل وسطها حسن منها شيء دون شيء (فمن ذلك) لفظة الثلث والربع الى العشر فان الجميع على وزن واحد واذا ثقلنا أوساطها فقلنا ثلث وربع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي الثلث والخمس والسدس والباقي وهو الربع والسبع والثمن والتسع

يجعل السدفة اختلاط الظلمة والضوء كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار (الجلل) الشيء الصغير (والجلل) الشيء الكبير (والنبل) الكبار والصغار قال الشاعر

أفرح أن أرزأ الكرام وان

أورث ذودا شصائصا نبلا

النبل ههنا الصغار والشصائص التي لا ألبان لها هذا قول أبي عبيدة في النبل وقال بعضهم هي نبل جمع نبلة هذا قول أبي زيد وهي العطية (والناهل) العطشان (والناهل) الريان قال النابغة ينهل منه الاسل الناهل أي تروى منه الرماح العطاش (والمائل) القائم (والمائل) اللاطئ بالارض قال الشاعر

فمنها مستبين ومائل * أي دارس

(والصارخ) المستغيث والمغيث (والهاجد) المصلي بالليل وهو النائم أيضا (والزهوة) الارتفاع والانحدار (والتلعة) مجرى الماء ينزل من أعلى الوادي وهي ما انهبط من الارض (والظن) اليقين والشك (والخشيب) السيف الذي لم يحكم عمله وهو الصقيل أيضا (الاهماد) السرعة في السير (والاهماد) الاقامة (الخناذيذ) الخصيان من الخيل وهي الفحولة قال بشر

وخنذيذ ترى الغرمول منه

كطي الزق علقه التجار

(الاقراء) الحيض وهي الاطهار (والمفرع) في الجبل المصعد وهو المنحدر (ووراء) تكون قداما وتكون خلفا قال الله عز وجل وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (وكذلك) دون وفوق

والعشر ليس كالاول فى حسنه هذا والجميع على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع حسن فى الاستعمال قبل أن يثقل وسطه ولما ثقل صار بعضه حسنا وبعضه غير حسن وكذلك تجد الامر فى أسماء الفاعلين كالثلاثى منها نحو فعل بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفعل بفتح الفاء وضم العين فان هذه الاوزان الثلاثة لها أسماء فاعلين أما فعل بفتح الفاء والعين فليس له الا اسم واحد أيضا وهو فاعل لاغير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك فعل بفتح الفاء وضم العين فليس له الا اسم واحد أيضا وهو فعيل ولا يقع فيه اختلاف الا ماشذ لكن فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع فى اسم فاعله الاختلاف استحسانا واستقباحا لان له ثلاثة أوزان نحو فاعل وفعل وفعلان تقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جاء على وزنه فرح تقول منه فرح زيد فهو فرح وهو الاحسن ولا يحسن أن يقال فارح ولا فرحان وان كان جائزا لكن فرحان أحسن من فارح وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن الكريم فلا تستعمل الا على فرح لاغير كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وكقوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة فى شعر بعض شعراء الحماسة فى باب المراثى

فما أنا من حزن وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

وهذا غير حسن وان جاز استعماله وعلى نحو منه يقال غضب وهو غضبان ولا يقال غاضب وان كان جائزا وقد تقدم القول أنا فى تأليف الكلام بصدد استعمال الحسن والاحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز (ومما يجرى هذا المجرى) قولنا افعل وافتعل فان لفظة فعل لها موضع تستعمل فيه ألا ترى أنك تقول قعدت الى فلان أحدثه ولا تقول اقتعدت اليه وكذلك تقول اقتعدت غارب الجمل ولا تقول قعدت على غارب الجمل وان جاز ذلك لكن الاول أحسن وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن أن يقام عليه دليل (وأما افعل وافعوعل) فانا نقول أعشب المكان فاذا كثر عشبه قلنا اعشوشب فلفظة افعوعل للتكثير على أنى استقريت هذه اللفظة فى كثير من الالفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا اخشوشن المكان واغرورقت العين واحلولى الطعم وأشباهها (وأما فعلة) نحو همزة ولمزة وجثمة ونومة ولكنة ولحنة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة وهذا أخذته بالاستقراء وفى اللغة مواضع كثيرة هكذا لا يمكن استقصاؤها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك فى استعمالها فكثيرا ما يقع فحول الشعراء والخطباء فى مثلها ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر اذا مرت به ألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحدا وحده وما يجد الحسن منها مجموعا جمعه وكذلك يجرى الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ

﴿النوع السابع فى المعاظلة اللفظية﴾

والمعاظلة معاظلتان لفظية ومعنوية (أما المعنوية) فسيأتى ذكرها فى باب التقديم والتأخير من المقالة الثانية فليؤخذ من هناك (وأما المعاظلة اللفظية) وهى المخصوصة بالذكر ههنا فى باب صناعة الالفاظ وحقيقتها مأخوذة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى فسمى الكلام المتراكب فى ألفاظه أوفى معانيه المعاظلة مأخوذا من ذلك وهو اسم لائق بمسماه ووصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهير بن أبى سلمى فقال كان لا يعاظل بين الكلام (وقد اختلف علماء البيان فى حقيقة المعاظلة) فقال قدامة بن جعفر الكاتب التعاظل فى الكلام هو أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك الا فاحش الاستعارة كقول أوس بن حجر

يكون بمعنى دون قال الله عز وجل ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أى فما دونها هذا قول أبى عبيدة وقال الفراء فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت (والحى) خلوف غيب ومتغيبون (وأسررت) الشئ أخفيته وأعلنته (ورتوت) الشئ شددته وأرخيته (وأخفيت) الشئ أظهرته وكتمته (شعبت) الشئ جمعته وفرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها تفرق (طلعت) على القوم أقبلت حتى يرونى وطلعت عنهم غبت حتى لا يرونى (بعت) الشئ بعته واشتريته (وشريت) الشئ اشتريته وبعته

﴿كتاب فى اقامة الهجاء﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال أبو محمد) الكتاب يزيدون فى كتاب الحرف ما ليس فى وزنه ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له وينقصون من الحرف ما هو فى وزنه استخفافا واستغناء بما أبقى عما ألقى اذا كان فى الكلام دليل على ما يحذفون والعرب كذلك يفعلون يحذفون من اللفظة والكلمة نحو قولهم لم يك وهم يريدون لم يكن ولم أبل وهم يريدون لم أبال ويختزلون من الكلام ما لا يتم الكلام على الحقيقة الا به استخفافا وايجازا اذا عرف المخاطب ما يعنون كما قال ذو الرمة ووصف حميرا

فلما لبسن الليل أو حين نصبت
له من خذا آذانها وهو جانح

خبرت عن الاصمعى انه قال أراد

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

فسمى الظبي تولبا والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ اذ لو كان ما ذهب اليه صوابا لكانت حقيقة المعاظلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم وهو التراكب من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى وهذا المثال الذى مثل به قدامة لا تركب فى ألفاظه ولا فى معانيه (وأما) غير قدامة فانه خالفه فيما ذهب اليه الا أنه لم يقسم المعاظلة الى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب لها مثالا كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

وهذا من القسم المعنوى لا من القسم اللفظى ألا ترى الى تراكيب معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيره وتأخير ما كان يجب تقديمه لان الاصل فى معناه وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وسيجىء شرح ذلك مستوفى فى بابه من المقالة الثانية ان شاء الله تعالى واذا حققت القول فى بيان المعاظلة والكشف عن حقيقتها فانى أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظى منها الذى أنا بصدد ذكره ههنا (فأقول) انى تأملته بالاستقراء من الاشعار قديمها ومحدثها ومن النظر فى حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم الى خمسة أقسام (الاول منها) يختص بأدوات الكلام نحو من والى وعن وعلى وأشباهها فان منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلا على اللسان ولكل موضع يخصه من السبك (فمما جاء منه) قول أبى تمام

الى خالد راحت بنا أرحبية * مرافقها من عن كراكرها نكب

فقوله من عن كراكرها من الكلام المتعاظل الذى يثقل النطق به على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما من وعن فى موضع آخر فلم يثقل النطق بهما كقول القائل من عن يمين الطريق والسبب فى ذلك أنهما وردتا فى بيت أبى تمام مضافتين الى لفظة الكراكر فثقلت منهما وجعلتهما مكروهتين كما ترى والا فقد وردتا فى شعر قطرى بن الفجاءة فكانتا خفيفتين كقوله

ولقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى مرة وأمامى

والاصل فى ذلك راجع الى السبك فاذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجرى مجراهما مع ألفاظ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا فى بيت قطرى واذا سبكتا مع ألفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا فى بيت أبى تمام (ومن هذا القسم) قول أبى تمام أيضا

كأنه لاجتماع الروح فيه له * فى كل جارحة من جسمه روح

فقوله فى بعد قوله فيه له مما لا يحسن وروده وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

فقوله لها منها عليها من الثقيل الثقيل وكذلك قوله

تبيت وفودهم تسرى اليه * وجدواه التى سألوا اغتفار

فخلفهم برد البيض عنهم * وهامهم له معهم معار

وقوله وهامهم له معهم مما يثقل النطق به ويتعثر اللسان فيه لكنه أقرب حالا من الاول ومن الحسن فى هذا الموضع قول أبى تمام

دار أجل الهوى عن أن ألم بها * فى الركب الا وعينى من منائحها

فقوله عن أن فى هذا البيت من الخفيف الحسن الذى لا بأس به (القسم الثانى من المعاظلة

أو حين أقبل الليل نصبت آذانها وكانت مسترخية والليل مائل على النهار فحذف وقال النمر بن تولب

فان المنية من يخشها

فسوف تصادفه أينما

أراد أينما ذهب أو أينما كان فحذف ومثل هذا كثير فى القرآن والشعر وربما لم يمكن الكتاب أن يفصلوا بين المتشابهين بزيادة ولا نقصان فتركوهما على حالهما واكتفوا بما يدل من متقدم الكلام ومتأخره مخبرا عنهما نحو قولك للرجل ان يغزو وللاثنين لن يغزوا وللجميع لن يغزوا فلا يفصل بين الواحد والاثنين والجميع وانما يزيدون فى الكتاب فرقا بين المشتبهين حروف المد واللين وهى الواو والالف والياء لا يتعدونها الى غيرها ويبدلونها من الهمزة ألا ترى أنهم قد أجمعوا على ذلك فى كتاب المصحف واجتمعوا عليه فى أبى جاد وأما ما ينقصون للاستخفاف فحروف المد واللين وغيرها وسترى ذلك فى موضعه ان شاء الله

باب ألف الوصل فى الاسماء

تكتب بسم الله اذا افتتحت بها كتابا أو ابتدأت بها كلاما بغير ألف لانها كثرت فى هذه الحال على الالسنة فى كل كتاب يكتب وعند الفزع والجزع والخبر يرد والطعام يؤكل فحذفت الالف استخفافا فاذا توسطت كلاما أثبت فيها ألفا نحو ابدأ باسم الله واختم باسم الله قال الله عز وجل اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك

اللفظيـة) تختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يتعلق بتكرير الالفاظ ولا بتكرير المعانى مما يأتى ذكره فى باب التكرير فى المقالة الثانية وانما هو تكرير حرف واحد أو حرفين فى كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور أو المنظوم فيثقل حينئذ النطق به (فمن ذلك) قول بعضهم

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فهذه القافات والراآت كأنها فى تتابعها سلسلة ولاخفاء بما فى ذلك من الثقل وكذا ورد قول الحريرى فى مقاماته

وازورّ من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

فقوله وعاف عافى العرف عرفانه من التكرير المشار اليه وكذلك ورد قوله أيضا فى رسالتيه اللتين صاغهما على حرفى السين والشين فانه أتى فى احداهما بالسين فى كل لفظة من ألفاظها وأتى فى الاخرى بالشين فى كل لفظة من ألفاظها فجاءتا كأنهما رقى العقارب أو خدروفة العزائم وما أعلم كيف خفى مافيهما من القبح على مثل الحريرى مع معرفته بالجيد والردىء من الكلام ﴿ويحكى﴾ عن بعض الوعاظ أنه قال فى جملة كلام أورده جنى جنات وجنات الحبيب فصاح رجل من الحاضرين فى المجلس ومادو تغاشى فقال له رجل كان الى جانبه ما الذى سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيما فى جيم فى جيم فصحت وهذا من أقبح عيوب الالفاظ (ومما جاء منه) قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته التى مطلعها * أتراها لكثرة العشاق

كيف ترثى التى ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راقى

وهذا وأمثاله انما يعرض لقائله فى نوبة الصرع التى تنوب فى بعض الايام (ومن هذا القسم) قول الشاعر المعروف بكشاجم فى قصيدته التى مطلعها * داو خمارى بكاس خمر

والزهر والقطر فى رباها * مابين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حلت بها خيط كل قطر

وهذا البيت يحتاج الناطق به الى بركار يضعه فى شدقه حتى يديره له وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذى يتذاكره الناس

ملت مطال مولود مفدى * مليح مانع منى مرادى

فهذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضها ببعض (وكان بعض أهل الادب) من أهل مصرنا هذا يستعمل هذا القسم فى ألفاظه كثيرا فى كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بسلوك الطريق (وأنا أذكر نبذة من ذلك) كقوله فى وصف رجل سخى أنت المديح كبدا تريح والملح أن يجهم الملح بالتكاح عند سائر تلوح بل يفوق اذ يروق مرأى لوح يامغبوق كاس الحمد يامصبوح ضاق عن نداك اللوح وببابك المفتوح تستريح وتريح ذا التبريح وترفه الطليح فانظر الى حرف الحاء كيف قد لزمه فى كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء كما تراه من الثقل والغثاثة (واعلم) أن العرب الذين هم الاصل فى هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف فى كثير من كلامهم وذلك أنه اذا تكرر الحرف عندهم أدغموه استحسانا فقالوا فى جعلك جعلك وفى تضربوننى تضربونى وكذلك قالوا استعد فلان للامر اذا تأهب له والاصل فيه استعدد واستتب الامر اذا تهيأ والاصل فيه استتبب وأشباه ذلك كثير فى كلامهم حتى أنهم لشدة كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين حرفا آخر غيره فقالوا أمليت الكتاب والاصل فيه أمللت فأبدلوا اللام ياء طلبا للخفة وفرارا من الثقل واذا كان قد فعلوا ذلك فى اللفظة الواحدة فما ظنك بالالفاظ الكثيرة التى يتبع بعضها بعضا (القسم الثالث من المعاظلة) أن ترد ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا فمنها مايختلف بين ماض ومستقبل ومنها مالا يختلف

وكذلك كتبت فى المصحف فى الحالين مبتدأة ومتوسطة (وابن) اذا كان متصلا بالاسم وهو صفة كتبته بغير ألف تقول هذا محمد بن عبد الله ورأيت محمد ابن عبد الله ومررت بمحمد بن عبد الله فان أضفته الى غير ذلك أثبت الالف نحو هذا زيد ابنك وابن أخيك وابن عمك وكذلك اذا كان خبرا كقولك أظن محمدا ابن عبد الله وكان زيد ابن عمرو وان زيدا ابن عمرو وفى المصحف قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كتبا بالالف لانه خبر (وان أنت) ثنيت الابن ألحقت فيه الالف صفة كان أو خبرا فقلت قال عبد الله وزيد ابنا محمد كذا وكذا وأظن عبد الله وزيدا ابنى محمد وان أنت ذكرت ابن بغير اسم فقلت جاءنا ابن عبد الله كتبته بالالف (وان) نسبته الى غير أبيه فقلت هذا محمد ابن أخى عبد الله ألحقت فيه الالف وان نسبته الى لقب قد غلب على اسم أبيه أو صناعة مشهورة قد عرف بها كقولك زيد بن القاضى ومحمد بن الامير لم تلحق الالف لان ذلك يقوم مقام اسم الاب (واذا) أنت لم تلحق فى ابن ألفا لم تنون الاسم قبله (وان) ألحقت فيه ألفا نونت الاسم (وتكتب) هذه هند ابنة فلان بالالف وبالهاء فاذا أسقطت الالف كتبت هذه هند بنت فلان بالتاء (وقال غيره) اذا أدخلت فيه الالف أثبت التاء وهو أفصح قال الله عز وجل ومريم ابنت عمران كتبت بالتاء

فالاول كقول القاضي الارجاني في أبيات يصف فيها الشمعة وفيها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من غيره وذلك أنه قال عن لسان الشمع أنه ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه في بيت واحد وان النار فرقت بينه وبينه وانه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضا من ألم الفراق الا أنه أساء العبارة فقال

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روحي

فقوله نذرت أعود من المعاظلة المشار اليها وأما ما يرد على نهج واحد من الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتنبي

أقل أنل أقطع احمل علّ سلّ أعد * زده هش بش تفضل أدن سرّ صل

فهذه ألفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الامر كأنه قال افعل افعل هكذا الى آخر البيت وهذا تكرير للصيغة وان لم يكن تكريرا للحروف الا أنه أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه ألفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رغبان

فسد الناس فاطلب الرزق بالسيـ * ـف والا فمت شديد الهزال

احل وامرر وضر وانفع ولن واخـ * ـشن وأبر ثم انتدب للمعالي

ألا ترى أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كتراكبها في بيت أبي الطيب المتقدم ذكره ﴿فان قيل﴾ انك جعلت ما كان واردا على صيغة واحدة على سبيل التكرار معاظلة وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ولو كان معاظلة لما ورد في القرآن الكريم مثله ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول هذه الآية ليست كالذي أنكرته فان هذا الموضع ينظر فيه الى الكثير والقليل فاذا كثر كان تعاظلا لتراكبه وثقله على النطق وقد عرفتك أن ما يفصل بين صيغه بواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل والذي أنكرته من ذلك هو أن تأتي ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها عقد متصلة فحينئذ يثقل النطق بها ويكرهه موقعها من السمع كبيت أبي الطيب المتنبي وأما هذه الآية المشار اليها فانها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى أنها لما وردت ألفاظها على صيغة واحدة فرق بينها بواو العطف ثم مع التفريق بينها بواو العطف لم يرد التكرير فيها الا بين ثنتين وهما خذوهم واحصروهم وأما الصيغة الاولى فانها أضيف اليها كلام آخر فقيل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة أضيف اليها كلام آخر أيضا فقيل واقعدوا لهم كل مرصد لا جرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارد صيغة الامر فيها أربع مرار وهذه رموز ينبغي أن يتنبه لها في استعمال الالفاظ اذا جاءت هكذا ﴿القسم الرابع من المعاظلة﴾ وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقولهم سرج فرس غلام زيد وان زيد على ذلك قيل لبد سرج فرس غلام زيد وهذا أشد قبحا وأثقل على اللسان وعليه ورد قول ابن بابك الشاعر في مفتتح قصيدة له

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي * فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

﴿القسم الخامس من المعاظلة﴾ أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبي تمام في قصيدته التي مطلعها * مالكثيب الحمى الى عقده

فقال يصف جملا

سأخرق الخرق بابن خرقاء كالـ * ـهيق اذا ما استحم من نجده

مقابل في الجديل صلب القرى * لوحك من عجبه الى كتده

تامكه نهده مداخله * ململمه محزئله أجده

فالبيت الثالث من المعاظلة التي قلع الاسنان دون ايرادها وكذلك قال من هذه القصيدة يصف

والالف مع اللام التي للتعريف اذا أدخلت عليها لام الجر حذفتها فقلت هذا للقوم وللغلام وللناس فان أدخلت عليها باء الصفة لم تحذفها فكتبت بالقوم وبالغلام وبالناس فان جاءت ألف ولام من نفس الحرف ليستا للتعريف نحو الالف واللام اللتين في التقاء والتفات والتباس ثم أدخلت عليها لام الصفة أو باء الصفة أثبت الالف نحو قولك بالتقائنا ولالتفاتنا ولالتباس الامر على وبالتباسه لانهما من نفس الحرف وليستا زائدتين فان أدخلت الالف واللام الزائدتين للمعرفة على الالف واللام اللتين من نفس الحرف ولم تصل الحرف بباء الصفة ولا لام الصفة لم تحذف شيأ فكتبت الالتقاء والالتفات والالتباس فان وصلتها بباء الصفة لم تحذف فكتبت بالالتقاء وبالالتفات وبالالتباس فان وصلت بلام الصفة حذفت فكتبت للالتقاء وللالتفات وللالتباس

﴿باب ما تغيره ألف الوصل﴾

تقول ايت فلانا ايذن لي على الامير ايبق يا غلام ايجل من ربك ايأس من كذا وفي الجمع ايتوه ايذنوا كل ذلك تثبت فيه الياء فاذا وصلت ذلك بفاء أو واو أعدت ما كان من ذوات الياء الى الياء وما كان من ذوات الواو الى الواو وما كان مهموزا الى الالف فكتبت فأت فلانا فأذن له عليك فأبق يا غلام وكذلك ان اتصلت بواو تقول وأتوني وأذنوا وأبقوا

رمحا ومرتهف ذؤابتاه على * أسمر متن يوم الوغى جسده
مارنه لدنه مثقفة * عراصه فى الاكف مطرده

وهذا كالاول فى قبحه وثقله فقاتله الله ما أمتن شعره وما أسخفه فى بعض الاحوال وعلى هذا جاء من هذه القصيدة أيضا يصف الممدوح

اليك عن سيل عارض خضل الشؤبوب يأتى الحمام من نضده
مسفه نزه مصعده * وابله مستهله برده

ولو لم يكن لابى تمام من القبيح الشنيع الا هذه الابيات لحطت من قدره وعلى هذا ورد قول أبى الطيب المتنبى دان بعيد محب مبغض بهج * أغر حلو ممر لين شرس
ندأبى غر واف أخى ثقة * جعد سرى نه ندب رضى ندس

وهذا كأنه سلسلة بلا شك وقليلا ما يوجد فى أشعار الشعراء ولم أجده كثيرا الا فى شعر الفرزدق وتلك معاظلة معنوية وسيأتى بيانها فى بابها وهذه معاظلة لفظية وهى توجد فى شعر أبى الطيب كثيرا ﴿النوع الثامن فى المنافرة بين الالفاظ فى السبك﴾ وهذا النوع لم يحقق أحد من علماء البيان القول فيه وغاية ما يقال انه ينبغى أن لا تكون الالفاظ نافرة عن مواضعها ثم يكتفى بهذا القول من غير بيان ولا تفصيل حتى انه قد خلط هذا النوع بالمعاظلة وكل منهما نوع مفرد برأسه له حقيقة تخصه الا انهما قد اشتبها على علماء البيان فكيف على جاهل لا يعلم (وقد بينت) هذا النوع وفصلته عن المعاظلة وضربت له أمثلة يستدل بها على أخواتها وما يجرى مجراها وجملة الامر أن مدار سبك الالفاظ على هذا النوع والذى قبله دون غيرهما من تلك الانواع المذكورة لان هذين النوعين أصلا سبك الالفاظ وما عداهما فرع عليهما واذا لم يكن الناثر أو الناظم عارفا بهما فان مقاتله تبدو كثيرا (وحقيقة هذا النوع) الذى هو المنافرة أن يذكر لفظ أو الفاظ يكون غيرها مما هو فى معناها أولى بالذكر وعلى هذا فان الفرق بينه وبين المعاظلة أن المعاظلة هى التراكب والتداخل اما فى الالفاظ أو فى المعانى على ما أشرت اليه وهذا النوع لا تراكب فيه وانما هو ايراد ألفاظ غير لائقة بموضعها الذى ترد فيه (وهو ينقسم قسمين) أحدهما يوجد فى اللفظة الواحدة والآخر فى الالفاظ المتعددة فاما الذى يوجد فى اللفظة الواحدة فانه اذا ورد فى الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو فى معناه سواء كان ذلك الكلام نثرا أو نظما وأما الذى يوجد فى الالفاظ المتعددة فانه لا يمكن تبديله بغيره فى الشعر بل يمكن ذلك فى النثر خاصة لانه يعسر فى الشعر من أجل الوزن فمما جاء من القسم الاول قول أبى الطيب المتنبى فلا يبرم الامر الذى هو حالل * ولا يحلل الامر الذى هو يبرم

فلفظة حالل نافرة عن موضعها وكانت له مندوحة عنها الا انه لو استعمل عوضا عنها لفظة ناقض فقال فلا يبرم الامر الذى هو ناقض * ولا ينقض الامر الذى هو يبرم

لجاءت اللفظة قارة فى مكانها غير قلقة ولا نافرة (وبلغنى) عن أبى العلاء بن سليمان المعرى أنه كان يتعصب لابى الطيب حتى انه كان يسميه الشاعر ويسمى غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس فى شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ما هو فى معناها فيجيء حسنا مثلها فياليت شعرى أما وقف على هذا البيت المشار اليه لكن الهوى كما يقال أعمى وكان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماها عصبية فاجتمع له العمى من جهتين وهذه اللفظة التى هى حالل وما يجرى مجراها قبيحة الاستعمال وهى فك الادغام فى الفعل الثلاثى ونقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فلا يحسن أن يقال بل الثوب فهو بالل ولا سل السيف فهو سالل ولا أن يقال هم بالامر فهو هامم ولا

وتقول فأوجل من ربك فاوسن فى ليلتك من الوسن وكذلك اذا اتصلت بواو تقول واوجل من ربك واوسن وتقول فى فعل من الميسر يسر فلان وتقول فايسر وايسر (فان) اتصل هذا بثم أو بغيرها من سائر الكلام لم تحذف الياء وكتبت ايت فلانا ثم ائته ايذن لى على الامير ثم ائذن قال الله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لى وقال ثم ائتوا صفا و ياصالح ائتنا (والفرق) بين الواو والفاء وبين ثم ان الفاء والواو يتصلان بالحرف فكأنهما منه ولا يجوز أن يفرد واحد منهما كما تفرد ثم لان ثم مفردة من الحرف (وتكتب) ما كان مضموما نحو أؤمر فلانا بكذا بالواو فان وصلتها بواو أوفاء قلت فأمر فلانا بالشخوص وأمر فلانا بالقدوم فأسقطت الواو فان وصلتها بثم لم تسقط الواو وكتبت أؤمر فلانا ثم أؤمره بالواو وكذلك اللهم أؤجرنى فى مصيبتى بالواو (فان) وصلت بفاء أو واو أسقطت الواو ولا تسقطها مع ثم وفى المصحف فليؤد الذى أؤتمن أمانته كتب على قطع أؤتمن من الذى وكذلك القياس أن يكتب كل حرف على الانفراد ولا ينظر الى ما قبله مما يزيله عن حاله اذا أدرجت فتغيره اذا اتصل به ولو كتب على الاتصال لكتب باسقاط الواو (فان) وصلت أؤتمن بواو أو فاء حذفت الواو فكتبت وأتمن فلان على بيت المال وأتجر عليه بكذا وكذا وأتمر به وكذلك الفاء (فان) اتصل ذلك بثم أثبت الواو فكتبت أؤتمن ثم

خط الكتاب فهو خاطط ولاحق الى كذا فهو حائن وهذا الوعرض على من لا ذوق له لا دركه وفهمه فكيف من له ذوق صحيح كأبي الطيب لكن لا بد لكل جواد من كبوة وأنشد بعض الادباء بيتا الدعبل وهو

شفيعك فاشكر في الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقلت له عجز هذا البيت حسن وأما صدره فقبيح لانه سبكه قلقا نافرا وتلك الفاء التي في قوله شفيعك فاشكر كأنها ركبة البعير وهي في زيادتها كزيادة الكرش فقال لهذه الفاء في كتاب الله أشباه كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر فقلت له بين هذه الفاء وتلك الفاء فرق ظاهر يدرك بالعلم أولا وبالذوق ثانيا أما العلم فان الفاء في وربك فكبر وثيابك فطهر فهي الفاء العاطفة فانها واردة بعد قم فأنذر وهي مثل قولك امش فاسرع وقل فأبلغ وليست الفاء التي في شفيعك فاشكر كهذه الفاء لان تلك زائدة لا موضع لها ولو جاءت في السورة كما جاءت في قول دعبل وحاش لله من ذلك لا بتدئ الكلام فقيل ربك فكبر وثيابك فطهر لكنها لما جاءت بعد قم فأنذر حسن ذكرها فيما يأتي بعدها من وربك فكبر وثيابك فطهر وأما الذوق فانه ينبو عن الفاء الواردة في قول دعبل ويستثقلها ولا يوجد ذلك في الفاء الواردة في السورة فلما سمع ماذكرته أذعن بالتسليم ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظما كان أو نثرا لا يتفطن لها الا الراسخ في علم الفصاحة والبلاغة (ومن هذا القسم) وصل همزة القطع وهو محسوب من جائزات الشعر التي لا تجوز في الكلام المنثور وكذلك قطع همزة الوصل لكن وصل همزة القطع أقبح لانه أثقل على اللسان (فما ورد من ذلك) قول أبي تمام

فرانى اللها والودحتى كأنما * أفاد الغنى من نائلي وفوائدي

فأصبح يلقاني الزمان من اجله * باعظام مولود ورأفة والد

فقوله من اجله وصل لهمزة القطع وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي

تو طه المفاوز كل يوم * طلاب الطالبين لا الانتظار

فقوله لا الانتظار كلام نافر عن موضعه (ومن هذا القسم) أن يفرق بين الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البحتري

حلفت لها بالله يوم التفرق * وبالوجد من قلبي بها المتعلق

تقديره من قلبي المتعلق بها فلما فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي هي المتعلق بالضمير الذي هو بها قبح ذلك ولو كان قال من قلب بها متعلق لزال ذلك القبح وذهبت تلك الهجنة (ومن هذا القسم أيضا) أن تزاد الالف واللام في اسم الفاعل ويقام الضمير فيه مقام المفعول كقول أبي تمام

فلو عاينتهم والزائريهم * لما ميزت البعيد من الحميم

فقوله الزائري اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير في موضع المفعول تقديره الزائرين أرضهم أو دارهم أو الزائرين اياهم فاستعمال هذا مع الالف واللام قبيح جدا واذا حذفت زال ذلك القبح وقد استعملها الشعراء المتقدمون كثيرا (ومما جاء من القسم الثاني) الذي يوجد في الالفاظ المتعددة قول أبي الطيب أيضا

لا خلق أكرم منك الا عارف * بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

فان عجز هذا البيت نافر عن مواضعه وأمثال هذا في الاشعار كثير

﴿المقالة الثانية في الصناعة المعنوية﴾

أؤمن وتقول ايجل ولا توجل تقلب الواو في الاولى ياء للكسرة قبلها وكذلك يوجل ويوحر ويوسن ويوهل (فان) اتصلت بواو أو فاء كتبت بالواو نحو قولك اي والله فاوجل واوحل واوسن واوهل (فان) اتصلت بثم أو بغيرهما من الكلام كتبت بالياء تقول قد قلت لكم ايجلوا وقلت لكم ايهلوا وقلت لكم ايسنوا ثم ايسنوا ثم ايجلوا ثم ايهلوا وانما تفعل هذا لانك تكتب الحرف على الانفراد ولا تغيره لتغير ماقبله اذا وصلته به وأما الواو والفاء فكأنهما من نفس الحرف لانهما لا ينفردان كما تنفرد ثم

﴿باب دخول ألف الاستفهام على ألف الوصل﴾

اذا دخلت ألف الاستفهام على ألف الوصل تثبت ألف الاستفهام وسقطت ألف الوصل في اللفظ والكتاب قال الله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم ومثله أصطفى البنات على البنين وتقول اذا استفهمت أشتريت كذا أفتريت على فلان

﴿باب دخول ألف الاستفهام على الالف واللام التي تدخل للمعرفة﴾

اذا أدخلت ألف الاستفهام على الالف واللام اللتين للتعريف ثبتت ألف الاستفهام وحدثت بعدها مدة نحو قول الله عز وجل آلله خير أم ما يشركون آلآن وقد عصيت قبل وتقول آلرجل قال ذاك تكتبه بالالف ولا تبدل من المدة شيأ

وهى تنقسم قسمين الاول منهما فى الكلام على المعانى مجملا والثانى فى الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك لابد من توطئة تكون شاملة لما نحن بصدد ذكره ههنا فأقول اعلم أن المعانى الخطابية قد حصرت أصولها وأول من تكلم فى ذلك حكماء اليونان غير أن ذلك الحصر كلى لا جزئى ومحال أن تحصر جزئيات المعانى وما يتفرع عليها من التفريعات التى لا نهاية لها لا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه فان البدوى البادى راعى الابل ما كان يمر شئ من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتى بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا ﴿فان قيل﴾ ان ذلك البدوى كان له ذلك طبعا وخليقة والله فطره عليه كما فطر ضروب نوع الآدمى على فطر مختلفة هى لهم فى أصل الخلقة فانه فطر الترك على الاحسان فى الرمى والاصابة فيه من غير تعليم وكذلك فطر أهل الصين على الاحسان فى صنعة اليد فيما يباشرونه من مصوغ أو خشب أو فخار أو غير ذلك وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة وهذا لا نزاع فيه فانه مشاهد ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنى أقول ان سلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحضروا وسكنوا البلاد ولم يروا البادية ولا خلقوا بها وقد أجادوا فى تأليف النظم والشعر وجاؤا بمعان كثيرة ما جاءت فى شعر العرب ولا نطقوا بها ﴿فان قلت﴾ ان هؤلاء وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه ﴿قلت لك فى الجواب﴾ هذا شئ لم يكن ولا علم أبو نواس شيأ منه ولا مسلم بن الوليد ولا أبو تمام ولا البحترى ولا أبو الطيب المتنبى ولا غيرهم وكذلك جرى الحكم فى أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابى وغيرهم فان ادعيت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك فى الجواب هذا باطل بى أنا فانى لم أعلم شيأ مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ومع هذا فانظر الى كلامى فقد أوردت لك نبذة منه فى هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلى ومكاتباتى وهى عدة مجلدات وعرفت أنى لم أتعرض لشئ مما ذكره حكماء اليونان فى حصر المعانى علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والنثر بنجوة من ذلك كله وأنه لا يحتاج اليه أبدا وفى كتابى هذا ما يغنيك وهو كاف (ولقد فاوضنى بعض المتفلسفين فى هذا) وانساق الكلام الى شئ ذكره لابى على بن سينا فى الخطابة والشعر وذكر ضربا من ضروب الشعر اليونانى يسمى اللاغوذيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لابى على ووقفنى على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان وكل الذى ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيأ ثم مع هذا جميعه فان معول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابى أنه يورد على مقدمتين ونتيجة وهذا مما لم يخطر لابى على بن سينا ببال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع فان له شيأ من ذلك فى كلامه وعند افاضته فى صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له ببال ولو أنه أفكر أولا فى المقدمتين والنتيجة ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشئ ينتفع به ولطال الخطب عليه بل أقول شيأ آخر وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه فى وقت نظمه وعندهم فكرة فى مقدمتين ولا نتيجة وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنفات كتبهم فى الخطابة والشعر وهى كما يقال تعاقع ليس لها طائل كأنها شعر الابيوردى * وحيث أوردت هذه المقدمة قبل الخوض فى تقسيم المعانى فانى راجع الى شرح ما أجملته فأقول ﴿أما القسم الاول﴾ فان المعانى فيه على ضربين أحدهما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدى فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة والنثر

فى

﴿باب دخول ألف الاستفهام على ألف القطع﴾

اذا دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع وكانت ألف القطع مفتوحة نحو قول الله تعالى أأنت قلت أأنذرتهم أم لم تنذرهم فان شئت أثبت الهمزتين معا فى اللفظ وان شئت همزت الاولى ومددت الثانية فأما فى الكتاب فان بعض الكتاب يثبتهما معا ليدل على الاستفهام ألا ترى انك لو كتبت أنت قلت للناس أنذرتهم لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق وبعضهم يقتصر على واحدة استثقالا لاجتماع ألفين فاذا كانت ألف القطع مضمومة ودخلت عليها ألف الاستفهام نحو قولك أؤكرمك أؤعطيك أؤنبئكم بخير من ذلكم قلبت ألف القطع فى الكتاب واوا وعلى ذلك كتاب المصحف وان شئت كتبت ذلك بألفين على مذهب التحقيق وهو أعجب الى واذا كانت ألف القطع مكسورة ودخلت عليها ألف الاستفهام نحو قولك أانك ذاهب أئذا جئت أكرمتنى قلبت ألف القطع ياء وعلى ذلك كتاب المصحف وان شئت كتبت ذلك بألفين على مذهب التحقيق وهو أعجب الى ومن كان من لغته أن يحدث بين الالفين مدة مثل قول ذى الرمة

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آ أنت أم أم سالم

ويروى جلاجل فلا بد من اثبات ألفين لانهما ثلاث ألفات فى الحقيقة فتحذف واحدة استثقالا لاجتماع ثلاث ألفات ولا يجوز

في هذا الموضع الى نبذة لتكون مثالا للمتوشح لهذه الصناعة (فمن ذلك) ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصلوبين

بكروا وأسروا في متون ضوامر * قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الاسفار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع عن غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة (وكذلك) قال في هذه القصيدة في صفة من احرق بالنار

ما زال سر الكفر بين ضلوعه * حتى اصطلى سر الزناد الواري
نارا يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك * ما كان يرفع ضوأها للساري
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

وهذا مما يعين على استخراج المعاني فيه شاهد الحال (وقد ذيل البحتري) على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلوبين فقال

كم عزيز أباده فغدا يركب عودا مركبا في عود
أسلمته الى الرقاد رجال * لم يكونوا عن وترهم برقود
تحسد الطير فيه ضبع البوادي * وهو في غير حالة المحسود
غاب عن صحبه فلا هو موجود لديهم وليس بالمفقود
وكأن امتداد كفيه فوق الجذع في محفل الردى المشهود
طائر مد مستريحا جناحيـ*ـه استراحات متعب مكدود
أخطب الناس راكبا فاذا أرجل خاطبت منه عين البليد

وهذه أبيات حسنة قد استوعبت أقسام هذا المعنى المقصود الا أن فيها معنى مأخوذا من شعر مسلم بن الوليد الانصاري وهو قوله

نصبته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البيد

لكن البحتري زاد في ذلك زيادة حسنة وهي قوله وهو في غير حالة المحسود (ومن هذا الضرب) ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمى وهو قوله

وزائرتي كأن بها حياء * فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت في عظامي
كأن الصبح يطردها فتجري * مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام

وقد شرح أبو الطيب بهذه الابيات حاله مع الحمى (ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع) أن سيف الدولة بن حمدان كان مخيما بأرض ديار بكر على مدينة ميافارقين فعصفت الريح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالا فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها * أينفع في الخيمة العذل * فمنه ما أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

تضيق بشخصك أرجاؤها * ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها * وتركز فيها القنا الذبل

أن تحذف اثنتين فتخل بالحرف

﴿باب ألف الفصل﴾

ألف الفصل تزاد بعد واو الجمع مخافة التباسها بواو النسق في مثل وردوا وكفروا ألا ترى انهم لو لم يدخلوا الالف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها ظن القارئ انها كفر وورد وفعل فميزت الواو لما قبلها بألف الفصل ولما فعلوا ذلك في الافعال التي تنقطع واوها من الحرف قبلها نحو ساروا وجاؤا فعلوا ذلك في الافعال التي تتصل واوها بالحرف قبلها نحو كانوا وبانوا ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكما واحدا وتزاد ألف الفصل أيضا بعد الواو في مثل يغزوا ويدعوا وليست واو جميع ورأى بعض كتاب زماننا هذا لا يلحق بها الالف في مثل هذه الحروف فكتبوا هو يرجو بلا ألف وأنا أدعو وكذلك اذا لم تكن واو جميع وذلك لان العلة التي أدخلت لها هذه الالف في الجميع لا تلزم في هذا الموضع ألا ترى انك اذا كتبت الفعل الذي تتصل واوه به مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واوه واو النسق لاتصالها بالفعل واذا كتبت الفعل الذي تنفصل واوه منه مثل أنا أذرو التراب وأسرو الثوب أي أنزعه لم تشبه واوه واو النسق الا بأن تزيل الحرف عن معناه لان الواو من نفس الفعل لا تفارقه الا في حال جزمه والواو في كفروا ووردوا واو جميع والفعل مكتف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد وتتوهم الواو ناسقة لشيء عليه وقد ذهبوا

مذهبا غير ان متقدمى الكتاب لم يزالوا على ما أنبأتك من الحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم فى كل موضع واحدا

﴿باب الالفين يجتمعان فيقتصر على احداهما والثلاث يجتمعن فيقتصر على اثنتين﴾

تكتب بابراهيم وباسحق وبايوب وبابانا بألف واحدة وتحذف واحدة لان فيما بقى دليلا على ماذهب وتكتب آدم وآخر وآيب وآمر بألف واحدة وتحذف واحدة لان فيما بقى دليلا على ماذهب وكذلك الفعل نحو آمن وآزر فلان فلانا وتكتب مآبا وما أشبه ذلك بألف واحدة وتحذف واحدة وتكتب براءة ومساءة ونجاءة بألف واحدة وتحذف واحدة فاذا جمعت كتبت براآت ومساآت وبداآتك وبداآت حوائجك بألفين لانها فى الجمع ثلاث ألفات فلو حذفوا اثنتين أخلوا بالحرف وتقدير الحرف من الفعل فعالات وواحده فعالة وتقول للاثنين قرآ وملآ فقلبته بألفين ليفرق بالالف الثانية بين فعل الواحد وفعل الاثنين وكان الكتاب يكتبون ذلك فيما تقدم بالف واحدة والالفان أجود مخافة الالتباس فاذا نصبت الحرف الممدود نحو قبضت عطاء ولبست كساء وشربت ماء وجزيتك جزاء فالقياس ان تكتبه بالفين لان فيه ثلاث ألفات الاولى والهمزة والثانية وهى التى تبدل من التنوين فى

وكيف تقوم على راحة * كأن البحار لها أغمل
فليت وقارك فرقته * وحملت أرضك ما تحمل
فصار الانام به سادة * وسدتهمو بالذى يفضل
رأت لون نورك فى لونها * كلون الغزالة لا يغسل
وأن لها شرفا باذخا * وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت * لخانتهمو حولك الارجل
ولما أمرت بتطنيبها * أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها * ولكن أشار بما تفعل
وعرف أنك من همه * وأنك فى نصره ترفل
فما العاندون وما أثلوا * وما الحاسدون وما قولوا
همو يطلبون فمن أدركوا * وهم يكذبون فمن يقبل
وهم يتمنون ما يشتهون * ومن دونه جدك المقبل

هذه الابيات قد اشتملت على معان بديعة وكفى المتنبى فضلا أن يأتى بمثلها وهذا مقام يظهر فى مثله براعة الناظم والناثر (وقرأت فى كتاب الروضة) لابى العباس المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبى نواس ثم بمن كان فى زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما أورده من شعره وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله

تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه انه معنى مبتدع (ويحكى عن الجاحظ) أنه قال مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى فان أبا نواس انفرد بابداعه وما أعلم أنا ما أقول لها ولابى سوى أن أقول قد تجاوز بهم حد الاكثار ومن الامثال السائرة بدون هذا يباع الحمار وفصاحة هذا الشعر عندى هى الموصوفة لا هذا المعنى فانه لا كبير كلفة فيه لان أبا نواس رأى كأسا من الذهب ذات تصاوير فحكاها فى شعره والذى عندى فى هذا أنه من المعانى المشاهدة فان هذه الخمر لم تحمل الاماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا الكأس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلا بقدر القلانس التى على رؤسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر وكذلك ورد قوله فى الخمر أيضا

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم تنم
فاسقنى الخمر الذى اختمرت * بخمار الشيب فى الرحم

وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه وهو دقيق يكاد لدقته أن يلحق بالمعانى التى تستخرج من غير شاهد حال متصور (وبلغنى) أنه اختلف فى هذا المعنى بحضرة الرشيد هرون رحمه الله فقيل انه يريد بخمار الشيب فى الرحم أن الخمر تكون فى جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها فقال الاصمعى ان أبا نواس ألطف خاطرا من هذا وأسد غرضا فاسألوه فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يجرى فيه الماء يخرج شبيها بالقطنة وهى أصل العنقود فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان الرجل ألطف خاطرا وأسد غرضا وقد جاء لابن حمديس الصقلى فى الهلال لآخر الشهر مالم يأت

به غيره وهو من الحسن واللطافة فى الغاية القصوى وذلك قوله

كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر الا أنه أبدع فى التشبيه وأمثال هذا كثيرة فى أقوال المجيدين من الشعراء (وجملة الامر فى ذلك) أن الشاعر أو الكاتب ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لهما ما يناسبها من المعانى كما فعل النابغة فى مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود فمات رجل منهم قبل أن يوفدهم فلما وفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال النابغة فى ذلك

حبا شقيق فوق أحجار قبره * وما كان يحبى قبله قبر وافد

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل النابغة فى هذا المعنى (وكذلك) ورد قول أخت جساس زوجة كليب فانه لما قتل جساس كليبا اجتمع النساء اليها وندبنه فتحدث بعضهن الى بعض وقلن هذه ليست ناكلة وانما هى شامتة فان أخاها هو القاتل فنم ذلك اليها فقالت

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان أخت الامرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فوا * حسرتا عما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فقئت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
يا قتيلا قوض الدهر به * سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته * وانثنى فى هدم بيتى الاول
يشتفى المدرك بالثار وفى * دركى ثارى ثكل مثكلى
اننى قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لى

وهذه الابيات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف امرأة وهى حزينة فى شرح تلك الحال المشار اليها (واعلم) أنه قد يستخرج من المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السراج فى الفهد

تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل

وليس هذا من المعانى الغريبة ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه وقد جاء بعده شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا فقال

ونقطته حباء كى يسالمها * على المنايا نعاج الرمل بالحدق

وهذا معنى غريب لم أسمع بمثله فى مقصده الذى قصد من أجله وقليلا ما يقع فى هذا الكلام المنظوم والمنثور وهو موضع ينبغى أن توضع اليد عليه ويتنبه له وكذلك فلتكن سياقة ما جرى هذا المجرى (وقد جاء فى شئ من ذلك) فى الكلام المنثور (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف نساء حسان وهو أقبلت ربائب الكناس فى مخضر اللباس فقيل انما يخترن الخضرة من الالوان ليصح تشبيههن بالاغصان وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبقت اليه الا أنه لم يبلغنى بل ابتدعته ابتداعا (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن منازلة بلد فذكرت القتال بالمنجنيق وهو فنزلنا بمرأى منه ومسمع واستدرنا به استدارة الخاتم بالاصبع ونصبت المنجنيقات فأنشأت سحابا صعبة القياد مختصة بالربا دون الوهاد فلم تزل تقذف

الوقف فتحذف واحدة وتثبت اثنتين والكتاب يكتبونه بالف واحدة ويدعون القياس على مذهب حمزة فى الوقف عليها اذا كان الحرف مهموزا مثل قولك أخطأت خطأ كثيرا ولو يجدون ملجأ كتبته بالف واحدة لانه فى الاصل بالفين فتحذف واحدة وتبقى واحدة على القياس وتكتب هاأنتم وهاأنت وهاأنا بألف واحدة وتحذف واحدة

﴿باب حذف الالفات من الاسماء واثباتها﴾

تحذف الالف من الاسماء الاعجمية نحو ابرهيم واسمعيل واسرئيل استثقالا لها كما تترك صرفها وكذلك سليمن وهرون وسائر الاسماء المستعملة فأما ما لا يستعمل من الاعجمية ولا يسمى به كثيرا نحو قارون وطالوت وجالوت وهاروت وماروت فلا تحذف الالف فى شئ من ذلك الا داود فانه لا تحذف ألفه وان كان مستعملا لان الالف لو حذفت وقد حذفت منه احدى الواوين لاختل الحرف وما كان على فاعل مثل صالح وخالد ومالك فان حذف الالف منه حسن واثباتها حسن واذا جاء بها أسماء ليس يكثر استعمالها نحو جابر وحاتم وحامد وسالم فلا يجوز حذف الالف فى شئ منها وكل اسم منها يستعمل كثيرا ويجوز ادخال الالف واللام فيه نحو الحرث فانه تكتبه مع اثبات الالف واللام بغير ألف فاذا حذفت الالف واللام أثبت الالف فكتب حارث

السور بوبل من جلودها وتفجؤه برعودها قبل بروقها وبروق السحب قبل رعودها
حتى غادرت الحزن منه سهلا والعامر بلقعا مخلى وفى هذا معنيان غريبان أحدهما أن هذه
السحب تخص الربا دون الوهاد والآخر أن رعوده قبل بروقها وكل ذلك يتفطن له بالمشاهدة
(ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب فقلت اذا تخلق المرء بخلق البأس والندى لم يخف
عرضه دنسا كما أن الماء اذا بلغ قلتين لم يحمل نجسا وهذا المعنى مبتدع لى وهو مستخرج من
الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا (ومن ذلك) ما ذكرته
فى وصف مفازة فقلت مفازة لا توطأ بأجفان ساهر ولا تقتل باقتحام خابر ولولا مسير الهلال
من فوقها لما عرفت بمثال حافر (ومن ذلك) ما ذكرته فى كتاب أصف فيه نزول العدو على
حصار بلد من بلاد المكتوب عنه وكان ذلك فى زمن الشتاء فسقط على العدو ثلج كثير صار به
محصورا فقلت وقد عاجله قتال البروق قبل البوارق وأحاط به الثلج فصار خنادق تحول بينه
وبين الخنادق والشتاء قد اذاق عسكره من البرد بعسكره والسماء قد قابلته بأغبر وجهها
لا بأخضره والارض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره والمعنى المخترع
من هذا الكلام قولى والارض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره وهو
مستخرج من الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون على أرض بيضاء
كقرصة النقى يريد الخبزة البيضاء ولما كان الثلج على الارض مماثلا لذلك ومشابها له
استنبطت أنا له هذا المعنى المخترع فجاء كما تراه وهو من المعانى التى يدل عليها شاهد الحال
(وأحسن من هذا كله) ما كتبته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد فقلت ودولته
هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة
أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وأنها لا تزال محبوبة
من أبكار السعادة بالحب الذى لا يسلى والوصل الذى لا يصرم وهذا معنى استنبطه الخادم
للدولة وشعارها وهو مما لم تخط به الاقلام فى خطها ولا أجالته الخواطر فى أفكارها وغرابة
هذا المعنى ظاهرة ولم يأت به أحد قبلى (وبلغنى) من المعانى المخترعة أن عبد الملك بن مروان
بنى بابا من أبواب المسجد الاقصى بالبيت المقدس وبنى الحجاج بابا الى جانبه فجاءت صاعقة
فأحرقت الباب الذى بناه عبد الملك فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الحجاج فكتب اليه كتابا
بلغنى كذا وكذا فليهن أمير المؤمنين أن الله تقبل منه وما مثلى ومثله الا كابنى آدم اذ قربا قربانا
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه سرى عنه وهذا
معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم وهو من المعانى المناسبة لما ذكرت فيه
ويكفى الحجاج من فطانة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك (وأما المعانى)
التى تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها أصعب منالا مما يستخرج بشاهد الحال
ولا مر ما كان لابكارها سر لا يهجم على مكامنه الاجنان الشهم ولا يفوز بمحاسنه الا من دق
فهمه حتى جل عن دقة الفهم وللهجوم على عذارى المعانى المحمية بحجب البواتر أيسر من
الهجوم على عذارى المعانى المحمية بحجب الخواطر وما ذلك مما يلقيه ليث الاستاذ وليس يقوم به
الا الصدو لا أقول الافذاذ وأين الذى ينتهى فيحسن فيه الانشاء ويبرز فيها صورا يركبها كيف
يشاء ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر وأخذ فيه بالعين دون الاثر علم أنه مقام يزلق بمعارف
الافهام فكيف بمواقف الاقدام وليست المعانى فيه الا كالارواح ولا الالفاظ الا كالاجسام
فمن شاء أن يخلق خلقا من الكلام فليأت به على صورة الاناسى لا على صورة الانعام فان

قال ذلك وقال بعض أصحاب
الاعراب انهم كتبوا بالالف عند
حذف الالف واللام لئلا يشبه به ٦
حرب فيلتبس به ثم أدخلوا الالف
واللام فحذفوا الالف حين أمنوا
اللبس لانهم لا يقولون الحرب
وهو اسم رجل وأما ما كان مثل
عثمان ومروان وسفيان فاثبات
الالف حسن والحذف حسن اذا
كثر ومن ذلك ما لم تحذف ألفه
وهو مستعمل مثل عمران
وكتبوا الرحمن بغير ألف حين
أثبتوا الالف واللام واذا حذفت
الالف واللام فاحب الى ان
يعيدوا الالف فيكتبوا رحمان
الدنيا والآخرة وأما شيطان
ودهقان فاثبات الالف فيهما
حسن وكان القياس ان يكتبوهما
اذا دخلت الالف واللام فيهما
بغير ألف الا ان الكتاب مجمعون
على ترك القياس والسلم عليكم
وعبد السلم بغير ألف

﴿باب حذف الالف من الاسماء
فى الجميع﴾

الخاسرون والشاكرون
والصادقون والكافرون
والظالمون والفاسقون وما أشبه
ذلك مما يكثر استعماله ان حذفت
منه الالف فحسن وان أثبت
الالف فيه فحسن وأما ما كان
من بنات الواو والياء فليس يجوز
فيه الا اثبات الالف نحو هم
القاضون والرامون والساعون
وذلك انهم حذفوا الياء لالتقاء
الساكنين لما استثقلوا ضمة فى
الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا
الياء فكرهوا ان يحذفوا الالف

من القول الغانية التى هى أحسن من الغانية ومنه البهيمة التى لا تشبه الا بالسانية (فمما جاء فى هذا الباب) قول أبى نواس

شرابك فى السراب اذا عطشنا * وخبزك عند منقطع التراب
وما روحتنا لتذب عنا * ولكن خفت مرزية الذباب

فالبيت الثانى من هذين البيتين هو المشار اليه بانه معنى مبتدع ويحكى عن الرشيد هرون رحمه الله أنه قال لم يهج بادو لا حاضر بمثل هذا الهجاء (ومن هذا الباب) قول مسلم بن الوليد

تنال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

(ومن هذا الباب) قول على بن جبلة

تكفل ساكن الدنيا حميد * فقد أضحت له الدنيا عيالا
كأن أباه آدم كان أوصى * اليه أن يعولهم فعالا

وهذا معنى دندن حوله الشعراء وفاز على بن جبلة بالافصاح عنه وقد قيل ان أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعا للمعانى وقد عدت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك وما هذا من مثل أبى تمام بكبير فانى أنا عددت معانى المبتدعة التى وردت فى مكاتباتى فوجدتها أكثر من هذه العدة وهى مما لا أنازع فيه ولا أدافع عنه فاما ما ورد لابى تمام فمن ذلك قوله

يا أيها الملك النائى برؤيته * وجوده لمراعى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وكذلك قوله

رأينا الجود فيك وما عرضنا * لسجل منه بعد ولا ذنوب
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

وكذلك قوله فى الهجاء

وأنت تدير قطب رحا عليا * ولم يرللرحا العليا قطبا
ترى قطر بكل صراع قرن * اذا ما كنت أسفل منه جنبا

وكذلك قوله

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وكذلك قوله

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

وكذلك قوله

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وكذلك قوله فى الشيب

شعلة فى المفارق استودعتنى * فى صميم الفؤاد ثكلا صميما
يستثير الهموم ما اكتن منها * صعدا وهى تستثير الهموما

فالبيت الثانى من المعانى المخترعة وقد تفقه فيه فجعله مسئلة من مسائل الدور وهذا من اغراب أبى تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانا لم نستقصها ههنا ومن هذا الباب قول ابن الرومى

كل امرئ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أساء هجاء
لو لم يقدر ثم بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاء

وكذلك قوله

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

أيضا فيجحفوا الحرف وكذلك المضاعف نحو العادين والرادين ليس يجوز فيه الا اثبات الالف للادغام وذهاب احدى الدالين فى الكتاب وحذفوا الالف من السموات لمكان الالف الباقية فيها وهو أجود فأما المسلمات والصالحات فاثبات الالف فى المسلمات أجود من حذفها وحذف الالف من الصالحات أحسن من اثباتها لانه لا ألف فى المسلمات الا التى تحذف وفى الصالحات ألف غير المحذوفة والدهاقين والدكاكين والدنانير والتماثيل والمحاريب والمصابيح اثبات الالف فيها كلها أجود وأحسن وكل جماعة ليس بينها وبين واحدها الا ألف فلا يجوز حذف الالف لئلا يشبه الجميع الواحد نحو مساكين لا يجوز ان تحذف الالف فيظن انه مسكين وكذلك مساجد ودراهم اذا كانت فى موضع لا يقع فيه الواحد كتبت بغير ألف فان كانت فى موضع يجوز ان يتوهم فيه الواحد أثبت الالف (والملائكة) اثبات الالف فيها حسن وحذفها حسن وهى مكتوبة فى المصحف بغير ألف وثلاثة وثلاثون بغير ألف وثمانية بغير ألف وثمانون أثبت بعضهم الالف لما حذف الياء وحذفها بعضهم وثمانى عشرة بألف وغير ألف ان جعلت فيها الياء حذفت الالف وان حذفت الياء منها أثبت الالف قال الاعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا
وثمان عشرة واثنتين وأربعا

وثمان اذا كتبتها مفردة بغير

مضافة أثبت فيها الالف وحذفت
الياء واذا أضفتها أثبت الياء
وحذفت الالف فتكتب ثماني
ليال وثمني نسوة

﴿باب ما اذا اتصلت﴾

تقول أدع بم شئت وسل عم شئت
وخذه بم شئت وكن فيم شئت
اذا أردت سل عن أي شئ شئت
نقصت الالف وان أردت سل عن
الذي أحببت وخذه بالذي أحببت
أتممت الالف فقلت أدع بما بدا لك
وسل عما أحببت وخذه بما أردت
كل هذا تتم فيه الالف الا شئت
خاصة فان العرب تنقص الالف
منها خاصة فتقول أدع بم شئت
في المعنيين جميعا واعلم ان الحرف
يتصل بما اتصالا لا يتصل بغيرها
تقول اذا استفهمت فيم ضربت
فتنقص الالف فاذا كانت في غير
الاستفهام أتممت فتقول جئت
فيما سألتك وتقول كل ما كان
منك حسن وان كل ما تأتيه
جميل لانه يجوز ان يقال فيه كل
الذي كان منك حسن فتقطعها
لانها في موضع اسم فاذا لم تكن
موضع اسم وصلتها فتقول كلما
جئتك بررتني وكلما سألتك
أخبرتني وتكتب انما فعلت كذا
وانما كلمت أخاك وانما أنا أخوك
فتصل فاذا كانت في موضع اسم
قطعت فكتبت ان ما عندك
أحب الي ان ما جئت به قبيح وقد
كتبت في المصحف وهي اسم
مقطوعة وموصولة كتبوا ان
ما توعدون لآت مقطوعة وكتبوا
انما صنعوا كيد ساحر موصولة
وكلاهما بمعنى الاسم وأحب الي
ان تفرق بين الاسم والصلة بان

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وكذلك قوله

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانه * لأوسع مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما هو لاق من أذاها يهدد

وكذلك قوله

رددت على مدحي بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت غيري * ومن ذا يقبل المدح الرديدا
وهل للحي في أكفان ميت * لبوس بعدما امتلأت صديدا

وقد ورد لابي الطيب المتنبي من ذلك كقوله

أجزني اذا أنشدت مدحا فانما * بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت بعد صوتي فانني * أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

فالبيت الاول قد توارد على معناه الشعراء قديما وحديثا لكن البيت الثاني في التمثيل الذي مثله ليس لاحد الا له وكذلك قوله

بحجر سيوفك أغمادها * تمنى الطلى أن يكون الغمودا
الى الهام تصدر عن مثله * ترى صدرا عن ورود ورودا

وكذلك قوله في بدر بن عمار يهنيه ببرئه من مرض

قصدت من شرقها ومغربها * حتى اشتكتك الركاب والسبل
لم تبق الا قليل عافية * قد وفدت تجتديكها العلل

وقد وقفت على ماشاء الله من أشعار الفحول من الشعراء قديما وحديثا فلم أجد لاحد منهم في ذكر المرض ما يعد معنى مخترعا لا بل لم أجد من أقوالهم شيأ مرضيا ما عدا المتنبي فانه ذكر المرض في عدة مواضع من شعره فأجاد وهذا البيت الثاني من هذين البيتين معنى مخترع له وقد أحسن فيه كل الاحسان (ومما ابتدعه) باجماع قوله في مدح عضد الدولة في قصيدته النونية التي مطلعها * مغاني الشعب طيبا في المغاني * فقال عند ذكره

فعاشا عيشة القمرين يحيا * بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادي * ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه * له ياءي حروف أنيسيان

أي جعل الله ابني عدو كاثراه يعني ابني عضد الدولة كياءي حروف تصغير انسان فان ذلك زيادة وهو نقص في المقدار الا أن سبك هذا البيت قد شوهه وأذهب طلاوة المعنى المندرج تحته (ومن معانيه) المبتدعة قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وأحسن من ذلك قوله

صدمتهم بخميس أنت غرته * وسمهريته في وجهه غمم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والارواح تنهزم

وهذا من أعاجيب أبي الطيب التي برز فيها على الشعراء (ومن الاحسان) في هذا الباب قول بعضهم

وقد أشق الحجاب الصعب ماذنه * دوني وآبي ولو جافيه ان طرقا
كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

ورأيت ابن حمدون البغدادي صاحب كتاب التذكرة قد أورد هذين البيتين في كتابه وقال

قد

قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما يتخيل الى النفس وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس مثله عندي الا كما يحكى عن ملك الروم اذ أنشد عنده بيت المتنبي الذي هو

كأن العيس كانت فوق جفني * مناخاة فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت بأكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه لا يهلكه (ومن محاسن هذا القسم) قول بعضهم

تخيره الله من آدم * فما زال منحدرا يرتقي

وكذلك قول الآخر

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين الغوير وبين شطي بارق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير منه هو الموصوف بالابداع وبه وبأمثاله أقرت الابصار بفضل الاسماع (ومن هذا الضرب) قول بعض المصريين يهجو انسانا يقال له ابن طليل احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * طوعا الى الاقرار بالاقدار
ما أوقد ابن طليل قط بداره * نارا وكان هلاكها بالنار

وكذلك ورد قول ابن قلاقس من شعراء مصر

زد رفعة ان قيل أنـ * ـغض وانخفض ان قيل أثرى
كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا وينأى ما تعرى

وهذا من المعاني الدقيقة (ومن هذا الاسلوب) قول الشاعر المعروف بالحافظ في تشبيه البهار وهو

عيون تبر كأنما سرقت * سواد أحداقها من الغسق
فان دجا ليلها بظلمته * ضممن من خوفها على السرق

وهذا تشبيه بديع لم يسمع بمثله وهو من اللطافة على ما لا خفاء به (ومن هذا القسم) قول بعض المتأخرين من أهل زماننا

لا تضع من عظيم قدر وان كنـ * ـت مشارا اليه بالتعظيم
فالشريف العظيم ينقص قدرا * بالتعدي على الشريف العظيم
ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ * ـر بتنجيسها وبالتحريم

(ومن غريب ما سمعته في هذا الباب) قول بعض الشعراء المغاربة يرثي قتيلا

غدرت به زرق الاسنة بعدما * قد كن طوع يمينه وشماله
فليحذر البدر المنير نجومه * اذ بان غدر مثالها بمثاله

وكذلك جاء قول بعض المغاربة في الخمر وكاساتها

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وهذا معنى مبتدع أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرا ويروق كما رقت لطفا ويفوح كما

تقطع الاسم وتصل الصلة ومع ما اذا كانت بمعنى الاسم فهي مقطوعة (واذا كانت ما) صلة فهي موصولة وتكتب أيما كنت فافعل كذا وأينما تكونوا يدرككم الموت ونحن نأتيك أينما تكون موصولة لانها في هذا الموضع صلة وصلت بها أين ولانه قد يحدث باتصالها معنى لم يكن في أين قبل ألا ترى أنك تقول أين تكون نكون فترفع فاذا أدخلت ما على أين قلت أينما تكن نكن فتجزم واذا كانت ما في موضع اسم مع أين فصلت فقلت أين ما كنت تعدنا أين ما كنت تقول وتكتب أيما الرجلين لقيت فأكرم وأيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي متصلة لانها صلة ألا ترى أنك تقول أي الرجلين لقيت فأكرم وأي الاجلين قضيت فلا عدوان علي وتكتب أي ما عندك أفضل أي ما تراه أوفق فتقطع لانها في موضع اسم (وأما حيثما) فتكتب موصولة وكتبها بعضهم مفصولة وذلك خطأ لان حيث اذا انفردت فهي بمعنى مكان وترفع الفعل اذا وليها تقول حيث يكون عبد الله أكون فاذا زيد فيها ما تغيرت وصارت بمعنى أين وجزمت الفعل تقول حيثما تكن أكن فدخول ما عليها يغير معناها فكأنهما حرف واحد وعلى ان ما معها لا تكون أبدا في موضع اسم كما كانت مع أين وغيرها في موضع اسم فيجوز فيها ما جاز في غيرها من الفعل (ونعما) ان شئت وصلت وان شئت فصلت وأحب الي ان تصل للادغام

ولانهاموصولة فى المصحف وبئسما كذلك لانها وان لم تكن مدغمة فهى مشتبهة بها وحجة من قطع نعم ما وبئس ما ان مامعهما فى معنى الاسم (وتكتب) فيم أنت فتصل وتحذف الالف فاذا كان الكلام خبرا قطعت فقلت تكلم فى ما أحببت لان ما فى موضع الاسم ومما تكتب موصولة للادغام كانت ما فيها صلة أو اسما

﴿باب من اذا اتصلت﴾

تكتب ممن سألت وممن طلبت فتصل للادغام وهى ههنا بمعنى الاستفهام تريد عن أى الناس سألت ومن أيهم طلبت وتكتب سل عمن أحببت واطلب ممن أحببت فتصل أيضا وهى فى موضع اسم للادغام وتكتب فيمن رغبت فتصل للاستفهام وتكتب كن راغبا فى من رغبت اليه مقطوعة لانها اسم وتكتب عما اذا كانت صلة أو غير صلة موصولة للادغام نحو قول الله عز وجل عما قليل ليصبحن نادمين فهى ههنا صلة لانه أراد عن قليل (وتقول) سله عما صار اليه فهى ههنا فى موضع اسم فاما مع من فانها مفصولة اذا كانت اسما أو استفهاما تقول مع من أنت وكن مع من أحببت وكل من مقطوعة فى كل حال فاما عن وعما فانهما موصولتان أبدا

﴿باب لا اذا اتصلت﴾

تكتب أردت ألا تفعل ذلك وأحببت ألا تقول ذلك ولا تظهر ان فى الكتاب ما كانت عاملة فى الفعل فاذا لم تكن عاملة فى الفعل

فاحت نشرا وكذلك ورد قول ابن حمديس الصقلى

يا سالبا قمر السماء جماله ٭ ألبستنى للحزن ثوب سمائه
أضرمت قلبى فارتمى بشراره ٭ وقعت بخدك فانطفت من مائه

وهذا المعنى دقيق جدا (وقد سمعت فى الخال) ماشاء الله أن أسمع فلم أجد مثل هذا وقد جاءنى فى الكلام المنثور من هذا الضرب شئ وسأذكر ههنا منه نبذة (فمن ذلك) ماذكرته فى وصف صورة مليحة فقلت ألبس من الحسن أنضر لباس وخلق من طينة غير طينة الناس وكما زاد حسنا فكذلك ازداد طيبا واتفقت فيه الاهواء حتى صار الى كل قلب حبيبا فلو صافح أو ورد لتعطرت أوراقه أو مر على النيلوفر لما انقبضت أحداقه (والمعنى) الغريب ههنا أن الشمس اذا طلعت على النيلوفر تفتح أوراقه واذا غربت عنه انضم ثم انى سمعت هذا فى شعر الفرس لبعض شعرائهم فحصل عندى منه تعجب (ومن ذلك) ماذكرته فى ذم الشيب فقلت الشيب اعدام للايسار وظلام للانوار وهو الموت الاول الذى يصلى نارا من الهم أشد وقودا من النار ولئن قال قوم انه جلالة فانهم دقوا به وما جلوا وأفتوا فى وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا وما أراه الا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الا ذلوا ومن عجيب شأنه أنه المملوك الذى يشفق من بعده والخلق الذى يكره نزع برده ولما فقد الشباب كان عنه عوضا ولا عوض عنه فى فقده (والمعنى) المخترع ههنا فى قولى وما أراه الا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الا ذلوا وهو مستنبط من الحديث النبوى وذاك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى آلة حرث فقال مادخلت هذه دار قوم الا ذلوا فأخذت أنا هذا ونقلته الى الشيب فجاء كما تراه فى أعلى درجات الحسن وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة لان الشيب يفعل فى البدن ما يفعله المحراث فى الارض واذا نزل بالانسان أحدث عنده ذلا (ومن هذا الباب) ماذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الناس أعبث به فقلت واذا كتبت مثالبه فى كتاب اجتمع عليه بنات وردان وحرم على أن أبدأ فيه بالبسملة لانها من القرآن وهذا معنى لطيف فى غاية اللطافة وهو مخترع لى (وكذلك) كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت فى فصل منه ما أذكره وهو ينبغى له أن يشكرنى على وسمه بهجائى دون امتداحى فانى لم أسمه الا لتحرم به الاضحية فى يوم الاضاحى ولا شك أن سيدنا معدود فى جملة الانعام غير أنه من ذوات القرون والقرن عدوه عند الخصام وهذا معنى ابتدعته ابتداعا ولم أسمعه لاحد من قبلى (ومن ذلك) ماذكرته فى جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار وذلك فصل منه فقلت وكانت الوقعة يوم الاحد منتصف شهر كذا وكذا وهذا هو اليوم الذى تخيره الكفار من أيام الاسبوع ونصبوه موسما لشرع كفرهم المشروع فحصل ارتيابهم به اذ تضمن للاسلام مزيدا وقالوا هذا يوم قد أسلم فلا نجعله لنا عيدا وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون بأن الدين عند الله هو الاسلام وأن أولياءهم المسلمون وهذا معنى انفردت بابتداعه ولم يأت به أحد ممن تقدمنى (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد وهو فى وصف القلم فقلت وقلم الديوان العزيز هو الذى يخفض ويرفع ويعطى ويمنع وهو المطاع بجدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشى الاجدع ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعار مولاه فهو يخلع على عبيده من الكرامة ما يخلع فى هذه الاوصاف معان حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم أسبق اليه وهو قولى انه المطاع بجدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشى الاجدع فان هذا مما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوى فى ذكر الطاعة والجماعة فقال صلى الله عليه وسلم

أطمع ولو عبدا حبشيا مجدعا ما أقام عليك كتاب الله فاستخرجت أنا للقلم معنى من ذلك وهو أن القلم يجدع ويقمص لباس السواد فصار حبشيا أجدع وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى قصيدته السينية فانه استخرج المعنى المخترع من القرآن الكريم وأنا استخرجت المعنى من الخبر النبوى كما رأيت وهذا المعنى المشار اليه فى وصف القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ونبهت عليه فى كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهذا كتاب ألفته فى صناعة حل الشعر وغيره (وبعد هذا) فسأقول لك فى هذا الموضع قولا لم يقله أحد غيرى وهو أن المعانى المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة فكما أنك اذا وردت عليك مسئلة من المجهولات تأخذها وتقلبها ظهرا لبطن وتنظر الى أوائلها وأواخرها وتعتبر أطرافها وأوساطها وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم فكذلك اذا ورد عليك معنى من المعانى ينبغى لك أن تنظر فيه كنظرك فى المجهولات الحسابية الا أن هذا لا يقع فى كل معنى فان أكثر المعانى قد طرق وسبق اليه والابداع انما يقع فى معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك الا فى أمر غريب لم يأت مثله وحينئذ اذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الابداع فيه وقد لابست ذلك فى مواضع كثيرة وسأورد ههنا ما يحذو حذوه لمن استطاع اليه سبيلا (ومن ذلك) ما كتبته عن نفسى الى بعض ملوك الشام وأهديت اليه رطبا وهو خلد الله دولة مولانا وعمر لها مجدا وجنانا وخولها السعادة عطاء حسابا وأنشأ الليالى لخدمتها عربا أترابا وأبقى شبيبتها بقاء لا يستحدث معه خضابا ولا جعل لها فى محاسن الدول السابقة أشباها ولا أضرابا وألقى البأس بين أعدائها وحسادها حتى يبعث لهم فى الارض غرابا اذا أراد العبيد أن يهدوا لمواليهم قصرت بهم يد وجدهم وعلموا أن كل ما عندهم من عندهم لكن فى الاشياء المستظرفة ما يهدى وان كان قدره خفيفا ولولا اختلاف البلاد فيما يوجد بها لما كان شئ من الاشياء ظريفا وقد أهدى المملوك من الرطب ما يتجلى فى صفة الوارس ويزهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس وما سمى رطبا الا لاشتقاقه من الرطب الذى هو ضد اليابس وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثناء جما وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أما ولئن عدم عرفا لذيذا فانه لم يعدم منظرا لذيذا ولا طعما وله أوصاف أخرى هى لفضله بمنزلة الشهود فمنها أنه أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود وأحسن من ذلك أنه معدود من الحلوا وان كان من ذوات الغراس ولا فرق بينهما سوى أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس واذا أنصف واصفه قال ما من ثمرة الا وهى عنه قاصرة ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها لقامت أرض العراق به فاخرة وها قد سار الى باب مولانا وهو مجنى المنابت سار الى مجنى الكرم وملك الفاكهة وفد على ملك الشيم ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من الفواكه أربا وما منها الا من قال ياليتنى كنت رطبا ولئن كان من الثمرات التى تختلف فى الصور والاسماء ويفضل بعضها على بعض ويسقى بشرب واحد من الماء فكذلك تلك الشيم العريقة تتحد فى عنصرها وهى مختلفة الوتيرة ومن أفضلها سيمة السماح التى تقبل القليل من عبيدها وتسمح لهم بالعطايا الكثيرة وقد ضرب لها المملوك مثلا فقال هى كجنة بربوة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوى وهى نخلة بكبوة ولا يختم كتابه بأحسن من هذا القول الذى طاب سمعا وزكا أصلا وفرعا وتصرف فى أساليب البلاغة فجاء به وترا وشفعا والسلام (وهذا كتاب غريب) فى معناه وقد اشتمل على معان كثيرة فمن جملتها أن الرطب مشتق من الرطب الذى هو ضد اليابس ومن جملتها أن النبى صلى الله عليه وسلم سمى النخلة أما فقال أكرموا

أظهرت نحو قولك علمت ان لا تقول ذلك وتيقنت أن لا تذهب ومنه قول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ لان فيه ضميرا كأنك أردت علمت انك لا تقول ذلك ولئلا يعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون على شئ وتكتب أيضا علمت أن لا خير عنده وظننت ان لا بأس عليه فتظهران لانه بمعنى علمت انه لا خير عنده وظننت انه لا بأس عليه (وتكتب) ألا تفعل كذا يكن كذا ولا تظهر أن (وتكتب) كى لا مقطوعة لانك تقول أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل كما تقول حتى تفعل وحتى لا تفعل (وتكتب) كيما موصولة لانك تقول جئتك كى تكرمنا وكيما تكرمنا ولكيما تكرمنا فيكون المعنى واحدا (وهى ههنا صلة وتكتب) هلا فعلت فتصل وتكتب بل لا تفعل فتقطع (والفرق) بينهما ان لا اذا دخلت على هل تغير معناها فكأنهما معها حرف واحد مثل لم تكون بمعنى فاذا دخلت عليها ما تغيرت ألا ترى انك تقول قاربت ذلك الموضع ولما وتسكت ولا يجوز ان تقول قاربته ولم الا ان تقول افعل وكذلك لو ولولا وحيث وحيثما وانما قطعت بل لا لانها لا تغير المعنى وانما هى لا التى تدخل للاباء نحو بل تفعل وبل لا تفعل مثل كى تفعل وكى لا تفعل (وتكتب) ائلا مهموزة وغير مهموزة بالياء وكان

النخلة ومن جملتها أنه كان صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات فان لم يجد فتمرات ومن جملتها أنه كان يلوك التمرة ويحنك بها المولود عند ميلاده ولما ولد عبد الله بن الزبير جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر رضى الله تعالى عنه ووضعته في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاك تمرة ووضعها في فيه ومن جملتها أنه والحلواء شىء واحد الا أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جملتها أن العباس رضى الله عنه قال يارسول الله ان قريشا اذا ذكرت أحسابها فضربوا لك مثلا بنخلة بكبوة وكل هذه المعانى حسنة واردة فى موضعها ومن كتب فى معنى من المعانى فليكتبه هكذا والا فليدع (ومن ذلك) رقعة كتبتها الى بعض حجاب السلطان فى حاجة عرضت لى وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم وهى

ما من صديق وان صحت صداقته * يوما بأنجح فى الحاجات من طبق

اذا تلثم بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق

الهدية مشتقة من الهدى غير أنها ترف الى القلب لا الى الندى وصهارتها أنفع من الصهارة وكلما ترددت كانت بكرا فهى لا تنفك عن البكارة ومن خصائصها أنها تمسك بمعروف أو تسريح باحسان ... السراح واذا رامت فتح باب لا تفتقر فى علاجه الى مفتاح وقد قيل انها الحسناء المتأنقة فى عمارة بيتها التى توصف بأن القنديل يضىء بزيتها وقد أرسلتها الى المولى وهى تتهادى فى حجابها وتدل بكثرة دراهمها وثيابها وتقول أنا الكريمة فى قومها الشريفة فى أنسابها وأحسن ما فيها أنها جاءت سرا لم تعلم بها اليد اليمنى من اليسرى فخذها يا مولاى واكشف نقابها وأمط عنها جلبابها وقد كانت منك حرة وهى الآن فى حيز المملكة ومن السنة فى مثلها أن تؤخذ بالناصية ويدعى بالبركة والسائر بها فلان وهو فى الجهل بها حامل أسفار وناقل لها من دار الى دار ولربما نطق لسان حالها الذى هو أفصح من نطق اللسان وأذكرت بحاجة مرسلها وحاشى فطانة الكريم من النسيان وليس المطلوب الا فضلية من الجاه تسفر بين السائل والمسؤل وتنقل البعيد الى درجة القريب والممنوع الى درجة المبذول فاذا فعل المولى ذلك كان له منة السفارة ومنة الانعام وان سمع بأن سعيا واحدا فاز بشكرين اثنين ففى مثل هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على جانب السلطان ثقل فى صنعه وهل ههنا الا كلمات تقال والكلام ماعون لا رخصة فى منعه ولم يدر أن ملاطفة الخطاب ضرب من الاحتيال وأن ثقل الخطوات فيه أثقل من نقل الجبال وأن صاحب الحاجة يحظى بحلاوة النجاح والحاجب يلقى مرارة السؤال وهذا يقوله الخادم ايجابا لاحسان المولى الذى هو احسان شامل ولا يعلمه الا عالم بفضله ولا يجهله الا جاهل والله تعالى يجعل الحاجات مغدوقة ببابه حتى لا تنفك فى الدنيا من امداد شكره وفى الآخرة من امداد ثوابه والسلام فتأمل أيها الناظر فى كتابى هذا الى ما اشتملت عليه هذه الرقعة من المعانى حتى تعلم كيف تصنع يدك فيما تكتبه (ومن ذلك) رقعة أخرى كتبتها فى هذا المعنى المتقدم ذكره وأرسلت معها هدية من المسك وهى الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قيل أخت السحر فى ملاطفة قصدها غير أنها لا تحتاج الى نفثها ولا الى عقدها وما من قلب الا وصورتها تجلى عليه فى سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبى صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة ولها صفات غير هذه كريمة الاخطار حسنة لدى الاسماع والابصار ومن أحسنها أنها تستجد ودا وتجعل قربا مكان بعدا وتقول لنار الاحنة يا نار كونى بردا ولهذا قيل تهادوا تحابوا ولا شك أنها وصلة بين المودات فاذا تواصل الناس

تقاربوا

القياس ان تكتب بالالف ألا ترى انك تقول تكتب لان اذا كانت اللام مكسورة بالالف (وكذلك) يجب ان تكتب اذا زيدت عليها لا ولم يحدث فى الكلام شىء غير معنى الاباء الا ان الناس اتبعوا المصحف (وكذلك) لئن فعلت كذا الافعلن كذا كتبت بالياء اتباعا للمصحف وكان القياس ان تكتب بالالف لانها ان زيدت عليها اللام

﴿باب حروف توصل بما واذ وغير ذلك﴾

تقول عم تسال وفيم جئت ولم تكلمت وحتام وعلام تحذف الالف فى الاستفهام واذا كان الكلام خبرا أثبت الالف فقلت سل عما أردت وتكلم فيما أحببت (ويومئذ وحينئذ وليلتئذ) يوصل ذلك كله وتكتب (ويله) موصولة ان لم تهمز كما قال الهذلى

ويلمه رجلا تاتى به غبنا

اذا تجرد لا خال ولا بخل

فان أنت همزت كتبت ويل لامه

﴿باب الواوين يجتمعان فى حرف واحد والثلاث يجتمعن﴾

تكتب طاوس وناوس وداود بواو واحدة وتحذف واحدة استخفافا وتكتب جاؤا وباؤا بغضب وشاؤا بواو واحدة استخفافا اذا كان ما بقى دليلا على ما ذهب (وكذلك) فاؤا الى الكهف وساؤا فلانا فى مكانه وهل يستون ويلون ألسنتهم هذا كله يكتب

تقاربوا وقد أرسل الخادم منها شيأ اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع ومما زاد مزيته على مزيته أنه وشيم المولى توأمان غير أن شيمته تنتمى الى كرم محتدها وهو ينتمى الى سرر الغزلان فاذا ورد على مجلسه قيل هذا عطر ورد على جونة عطار وعرف له حق المشاركة فان أدنى الشرك فى الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوى بانه أحد الثلاثة التى لا ترد على من أهداها واذا نظر الى محصول بقائها وفائدتها وجد أطولها عمرا وأجداها وهذا يحكم على المولى بقبول ما استرسل الخادم فى ارساله واذا سأل غيره فى قبول هديته كفاه نص الخبر مؤنة سؤاله والسلام وهذه الرقعة أحسن من التى قبلها (فمما اشتملت عليه من المعانى) قولى ومامن قلب الا وصورتها تجلى عليه فى سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبى صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال جاءنى جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير يعنى حريرة بيضاء وفيها صورة عائشة رضى الله تعالى عنها وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة والخبر الآخر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حرمت على الصدقة وأحلت لى الهدية (ومما اشتملت عليه أيضا) قولى وقد أرسل الخادم منها شيأ اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وهذه مغالطة حسنة لان المسك اذا كتم ذاعت رائحته واذا خزن ضاع أى فاح ويقال ضاع الشئ اذا ذهب فالمغالطة ههنا فى الجمع بين الضدين (وكذلك) قولى وقد شبه به الجليس الصالح وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه عرفا طيبا ومثل جليس السوء مثل نافخ الكير اما أن يحرق ثوبك واما أن تجد منه رائحة كريهة (ومما اشتملت عليه) من المعانى أيضا قولى انه أحد الثلاثة التى لا ترد على من أهداها وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد الطيب والريحان والدهن (ومن ذلك) رقعة كلفنى بعض أصدقائى املاءها عليه وهى رقعة من عاشق الى معشوق وهى

واذا قيل من تحب تخطا * ك لسانى وأنت فى القلب ذا كا

يامن لا أسميه ولا أكنيه وأذكر غيره وهو الذى أعنيه لا تكن ممن أوتى ملكا فلم ينظر فى زواله وعرف مكانه من القلوب فجار فى ادلاله ولا تغتر بقول من رأى الحسن للاساءة ماحيا واعلم أن اللاحى يقول كفى بالتذلل لاحيا وكثيرا ما يزول العشق بجنايات الصدود والزيادة فى الحد نقصان فى المحدود وقد قيل أن الحسن عليه زكاة كزكاة المال وليست زكاته عند علماء المحبة الا عبارة عن الوصال وهذه صدقة تقسم على أربابها ولا ينتظر أن يحول الحول فى ايجابها فهى مستمرة على تجدد الايام والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال انهم ثمانية أقسام وهؤلاء هم المخصوصون بفك الرقاب ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تحرر بالكتاب فأخرج يا مولاى من هذا الحق الواجب والافتأت لطالب منى ومطالب ولا تقل هذا غريم أكثر عدد الليالى فى مطله واعده والمواعيد زاد انثله فهذه ساعة قد عاملتنى بها مرة ساخرا ومرة ساحرا ومن الاقوال السائرة أن الغر تجعله التجربة ماهرا ولعمرى ان ممارسة الحب تجدد لصاحبه علما وتبصره وان كان كما يقال أعمى وقد كذب القائل

عرضن للذى تحب بحب * ثم دعه يروضه ابليس

فان كانت الرياضة كما قيل لابليس فأراه صنعا فى الذى صنع وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح وأنت جذع ولا شك أنك تهدم ما يشيده من البناء أو أنك مستثنى فى جملة من دخل فى حكم الاستثناء وأنا الآن

بواو واحدة وذلك أقيس اذا انضمت الواو الاولى وقد كتب ذلك كله بواوين أيضا فاذا (انفتحت) الواو الاولى لم يجز الا ان يكتب بواوين نحو احتووا على المكان واستووا واكتووا ولووا رؤسهم وآووا ونصروا هذا كله ماض فاذا اجتمعت ثلاث واوات حذفت واحدة واقتصرت على اثنتين نحو قول الله تعالى لووا رؤسهم (وكذلك) ان كان ماقبل الواو مضموما نحو أنتم تسوون زيدا وتنوون بالايدى وأنتم مغزوون ومدعوون تكتب هذا كله بواوين وتسقط واحدة

باب الالف واللام للتعريف يدخلان على لام من نفس الكلمة

كل اسم كان أوله لاما ثم أدخلت عليه لام التعريف كتبته بلامين نحو قولك اللهم واللحم واللبن واللجام الا الذى والتى فانهم كتبوا ذلك بلام واحدة لكثرة ما يستعمل فاذا ثنيت الذى كتبت اللذان واللذين بلامين وتكتب فى الجمع الذين بلام واحدة وانما كتبته بلامين لتفرق بين التثنية والجمع فاما اللتان واللائى واللاتى فكله يكتب بلام واحدة وقد اختلفوا فى الليلة والليل فكتبه بعضهم بلام واحدة اتباعا للمصحف وكتبه بعضهم بلامين وكل شئ من هذا اذا أدخلت عليه لام الاضافة كتبته بلامين وتحذف واحدة استثقالا لاجتماع

له عائب وعليه عاتب فأين نفثاته التي هي أخدع من الحبائل وأين قوله لآتينهم عن الأيمان والشمائل وأين جنوده المسترقة ما في السما التي تجري من بني آدم مجرى الدما وكل هذا قد بطل عندي خبره كما بطل عندي أثره فان أدركته النخوة بأني أستهزئ بتصديق أفعاله فليحلل معقول حاجتي هذه حتى أعلم أنه قادر على حل عقاله والا فليخفف راسه وليمح وسواسه وان كان له عرش على البحر فليتقوض من عرشه وليعلم أن السحر ليس في عقده ونفثه ولكنه في لا صفر ونقشه وها أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم محلولا والود مبذولا وما أقول الا أني بعثت معشوقا الى معشوق وكلاهما محله القلب بل القلب من حبهما مخلوق وما أكرمه وهو وسيلة الى مثله وحسنه من حسنه وان لم يكن شكله من شكله وما وصفه واصف الا كان ما رآه منه فوق ما رواه ومن أغرب أوصافه وأحسنها انه لم يرذو وجهين وجيها سواه لا جرم أنه اذا أسفر في أمر تلطف في فتح أبوابه وتناول وعره فبدله بسهله وبعده فبدله باقترابه ولو بعثت غيره لخفت أن لا يكون في سفارته صادقا أو أنه كان يمضي سفيرا ويعود عاشقا فليس على الحسن أمانة وفي مثله تحذر الخيانة ولا لوم على العقول اذا نسيت هنالك عزيمة رشدها ورأت ما لا يحتمله كاهل جهدها ومن الذي يقوى درعه على تلك السهام أو يروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام وهذا الذي منعني أن أرسل الا كيسا وكتابا فأحدهما يكون في السفارة والآخر على السر حجابا والسلام ان شاء الله تعالى (وفي هذه الرقعة) من المعاني الغريبة ما أذكره فالأول ما ذكرته في قسم الصدقات وفك الرقاب والثاني ما ذكرته في وصف الدينار وهو أنه وجيه ذو وجهين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجيها وهذا معنى لم يسبقني أحد اليه وقد وصف الحريري الدينار في مقامة من مقاماته ولم يظفر بهذا المعنى ولا جاء من الأوصاف التي ذكرها بمثله والثالث أني بعثت معشوقا الى معشوق (ومن ذلك ما كتبته) وكان توفيت زوجة بعض الملوك وتوفي معها ولدها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك المرأة بنت ملك من الملوك أيضا فكتب اليه من الأطراف المجاورة يعزونه وحضر عندي بعض الأدباء ممن يحب أن يكون كاتبا وعرض علي نسخة ما كوتب به ذلك الملك في التعزية بزوجته وولدها فوجدتها كتبا باردة غثة لا تعرب عن الحادثة بل بينها وبينها بعد المشرقين ومن شرط الكتابة أن يكون الكتاب مضمنا افض المعنى المقصود والتعازي مختلفة الانحاء فتعازي النساء غير تعازي الرجال وهي من مستصعبات فن الكتابة والشعر وتعازي الرجال أيضا تختلف فلا يعزى بالميت على فراشه كما يعزى بالميت قتيلا ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجري الحكم في المعاني جميعها وهذا شيء لا يتنبه له الا الراسخون في هذا الفن من أرباب النثر والنظم وسألني ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار اليها في المرأة وولدها الصغير وقال أحب أن أعلم كيف تكون فأمليت عليه ثلاثة كتب كل كتاب يتضمن معنى لا يتضمنه الكتاب الآخر (فمما جاء منها) كتاب أنا أذكره ههنا وهو أشجى التعازي ما أتبع فيه المفقود بمفقود لا سيما اذا جمع بين سعد الأخبية وسعد السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكانا وهذا يحسر عن الوجوه خمرا وهذا يلقي عن الرؤس تيجانا ولم يوفهما حقهما من بكى ولا من ندب ولا من شعر ولا من كتب وليت فدى أحدهما بصاحبه فعاش درهما المفتدى بالذهب

ولو كان خطبا واحدا اخف كله * ولكنه خطب أعيد على خطب

وقد أصدر الخادم كتابه هذا ومن حقه أن يخرج في ثوب من الحداد وان يتعثر في أذيال كله والكتاب عنوان الفؤاد وغاية ما يقول أحسن الله عزاء المجلس السامي الملك الأجل السيد على

ان

باب هاء التأنيث

هاء التأنيث تكتب هاء أبدا الا ان تضاف الى مكنى فتصير تاء نحو شجرتك وناقتك ورحمتك وقد كتبوها تاء في مواضع من القرآن وهاء في مواضع فأما من كتبها تاء فعلى الادراج وأما من كتبها هاء فعلى الوقف وأجمع الكتاب على أن كتبوا السلام عليكم ورحمت الله بالتاء وأعجب الي أن تكتبه كله بالهاء على الوقوف عليه الا ما اجتمعوا عليه في رحمت الله خاصة في أول الكتاب وآخره وهيهات يوقف عليها بالهاء والتاء والاجتماع في كتابتها على التاء

باب ما زيد في الكتاب

تدخل في عمرو في حال رفعه وجره الواو فرقا بينه وبين عمر فاذا صرت الى حال النصب لم تلحق به واوا لان عمرا ينصرف وعمر لا ينصرف فكان في دخول الالف في عمرو وامتناعها من دخولها في عمر في حال النصب فرق فلم يأتوا بفرق ثان فاذا أضفته الى مكنى لم تلحق فيه واوا في شيء من حالاته فتقول هذا عمرك وعمرنا لان المضمر مع ما قبله كالشيء الواحد وهو كالزيادة في الحرف فكرهوا أن يجمعوا فيه زيادتين فاذا قلت لعمر الله لم تلحق فيه واوا فاذا أردت عمرا من عمور الاسنان لم تلحق فيه واوا لانه لا يقع لبس بينه وبين غيره فيحتاج الى فرق وأولئك نزيد فيها

ان هذا الدعاء قد شهدت الحال بمحنه وكيف يملك قلبه عزاء وقد أوثقه الهم فى سجنه وصارله ولدا دون ولده وخدنا دون خدنه لكن يدعى له بامتداد البقاء وأن تعامله الحوادث بعد هذه معاملة الابقاء ثم تتبع ذلك بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن أرائك الخدور وجعلته فى بطون القبور ولمن فاجأت الايام غصنه فقصفته ولم يعش حتى عرف الدنيا ولا عرفته فواها لهما وقد نزلا بمنزل عديم الايناس وان كان مأهولا بأكثر الناس فهو القريب دارا البعيد مزارا الذى حجب من اليأس بأمنع حجاب وذهب عن الوجوه المنعمة لذل التراب فمن كان مسعدا للمجلس فليأخذ بوله الجزع لا بعزيمة الاصطبار وليقل هذا حادث بان فيه تحامل الاقدار وجرت هومه مجرى الخواطر من القلوب والرقاد من الابصار فالاسوة الا فيه معدودة من الاحسان والسلوة الا عنه داخلة فى حيز الامكان والخادم أولى من لقى المجلس فيه بالاسعاد وقام بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وان كان على شقة من البعاد وقد أرسل من ينوب عنه فى التعزية وان لم يكف فيها المناب وكما رخص العذر فى قصر الصلاة فكذلك رخص فى الاقتصار على الرسول والكتاب وقد ود لو حضر بنفسه فاستسق لذلك الضريح سحابا وعقر عنده ركابا وسأل الله له مغفرة وثوابا والسلام (فى هذا الكتاب معنى غريب) وهو قولى سعد الاخبية كناية عن المرأة وسعد السعود كناية عن ولدها لان سعد الاخبية اسم منزلة من منازل القمر والاخبية جمع خباء ومن شأن المرأة أن تحتجب فى الاخبية فهى سعدها وهذا من المعانى الغريبة فى مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الاخبية وسعد السعود معا وهذا أيضا غريب (ومن ذلك) أنى كتبت كتابا عن الملك الافضل على بن يوسف الى أخيه الملك الظاهر غازى بن يوسف صاحب حلب فى أمر شخص كان أبوه صاحب مدينة تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الامير أيوب جد الملك الافضل والملك الظاهر وأولدها ولده صلاح الدين يوسف أباهما وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لامر طرأ لهم وجاء الى الموصل ثم الى الشام وهنالك سعدوا وكانت السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما أردت أن أكتب هذا الكتاب علمت أنه مظنة المعانى المبتدعة لان الامر المكتوب فيه غريب لم يقع مثله فحينئذ كتبت هذا الكتاب وهو رفع الله شأن مولانا الملك الظاهر ولا زال الدهر فاخرا بعصر سلطانه ناظما مناقبه فى جيده ومحامده فى لسانه ناسخا بمساعى دولته ما تقدم من مساعى آل بويه وآل حمدانه كتاب الخادم هذا وارد من يد الامير شمس الدين ابن صاحب تكريت وهى أول أرض مس جلد الوالد ترابها ورقت بها السعادة على جبينه كتابها ومنها ظهر نور البيت الايوبى مشرقا وأشام اذ خرج معرقا وكفاه بذلك وسيلة يكتنفها الاحسان والارعاء ويكفى صاحبها أن يقول لا أسقى حتى يصدر الرعاء وقد قرنها بوسيلة قصد الخدمة التى توجب لقاصدها ذماما وتقول له سلاما اذا قال سلاما ثم ثلث هاتين الوسيلتين بكتاب الخادم أخذا بالسنة النبوية فى الدعاء وعدده وتفاؤلا بتثليث النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ولا قدح فى كرم الكريم اذا استكثر طالبه من الاسباب فان الله على كرمه قد استكثر اليه من أعمال الثواب وكتاب الخادم على انفراده كاف لحامله ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر مخاطبا عن نجوى ضميره فانما تحق السفارة اذا قعد بكل طالب سعى سفيره وهو مع ذلك خفيفة صفحته وجيزة لمحته واذا وجد لدى مولانا معولا فليس عليه أن يرد مطولا اذ التعويل على نجح مصدره لا على كثرة أسطره (فانظر) أيها المتأمل الى هذا الكتاب وأعطه حقه من التأمل حتى ترى ما اشتمل عليه من المعانى وانظر كيف

واو ليفرق بينها وبين اليك وأولى أيضا بواو ومائة زادفيها ألفا ليفصلوا بينها وبين منه (ألا ترى) انك تقول أخذت مائة وأخذت منه فلو لم تكن الالف لالتبس على القارئ وتكتب يا أخى مصغرا بواو مزيدة لتفرق بينها وبين يا أخى غير مصغر وزادوا ألف الفصل بعد الواو لتفرق بين واو الجمع وواو النسق وقد بينا ذلك فيما تقدم من الكتاب

﴿باب من الهجاء﴾

تكتب الصلوة والزكوة والحيوة بالواو اتباعا للمصحف ولا تكتب شيأ من نظائرها الا بالالف مثل قطاة وقناة وفلاة وقال بعض أصحاب الاعراب انهم كتبوا هذا بالواو على لغات الاعراب وكانوا يميلون فى اللفظ بها الى الواو شيأ وقيل بل كتبت على الاصل وأصل الالف فيها واوا فقلبت ألفا لما انفتحت وانفتح ما قبلها ألا ترى انك اذا جمعت قلت صلوات وزكوات وحيوات ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الاحرف الثلاثة وما فى مخالفة جماعتهم لكان أحب الاشياء الى أن يكتب هذا كله بالالف فاذا أضفت شيأ من هذه الحروف الى مكنى كتبتها كلها بالالف صلاتى وصلاتك وزكاتى وزكاتك وحياتى وحياتك (وتكتب) فى صدر الكتاب سلام عليك وفى آخره السلام عليك لان الشئ اذا بدئ بذكره كان نكرة فاذا أعدته صار معرفة

ذكرت الاول ثم الثانى ثم الثالث أما المعنى الاول فانه يختص بذكر سعادة البيت الايوبى ومنشئها وأنها ولدت بتكريت وهذا الرجل ينبغى أن يرعى بسببها اذ كان أبوه صاحبها وأما المعنى الثانى فانه قصد الخدمة الظاهرية وهذا وسيلة ثانية توجب له ذماما وأما المعنى الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم انى مثلت ذلك بالدعاء النبوى وبتثليث النجوم فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا دعا ثلاثا وانما مثلت ذلك بالدعاء لامرين أحدهما انه موضع سؤال وضراعة والآخر أن الكتاب وسيلة ثالثة والدعاء ثلاث مرار وأما تثليث النجوم فان التثليث سعد والتربيع نحس وأحسن المعانى الثلاثة التى تضمنها هذا الكتاب هو الاول والثالث وأما الثانى فانه متداول فتأمل ما أشرت اليه واذا شئت أن تكتب كتابا فافعل كما فعلت فى هذا الكتاب ان كان الامر الذى تكتب فيه غريب الوقوع (واعلم) أنه قد يقع المعنى المبتدع فى غير أمر غريب الوقوع وذلك يكون قليلا بالنسبة الى الوقائع الغريبة التى هى مظنة المعانى المبتدعة (ومن هذا الباب) ما أردته فى جملة رسالة طردية فى وصف قسى البندق وحامليها وهو فاذا تناولوها فى أيديهم قيل أهلة طالعة من أكف أقمار واذا مثل غناؤها وغناؤهم قيل منايا مسوقة بأيدى أقدار وتلك قسى وضعت للعب لا للنضال ولردى الاطيار لا لردى الرجال واذا نعتها ناعت قال انها جمعت بين وصفى اللين والصلابة وصنعت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابة فهى مركبة من حيوان ونبات مؤلفة منهما على بعد الشتات فهذا من سكان البحر وسواحله وهذا من سكان البر ومجاهله ومن صفاتها أنها لا تمكن من البطش الاحين تشد ولا تنطلق فى شأنها الاحين تعطف وترد ولها نشار أحكم تصويرها وصحح تدويرها فهى فى لونها صندلية الاهاب وكأنما صيغت لقوتها من حجر لا من تراب فاذا قذفتها الى الاطيار قيل ويصعد من الارض من جبال فيها من برد ولا يرى حينئذ الا قتيل ولكن بالمثقل الذى لا يجب فى مثله قود فهى كافلة من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزلة لها من جو السماء على أم روسها (هذا الفصل) يشتمل على معان غريبة منها قولى انها لا تمكن من البطش الاحين تشد ولا تنطلق فى شأنها الاحين تعطف وترد ومنها قولى ويصعد من الارض من جبال فيها من برد وكل هذا من المعانى التى تبتدع بالنظر الى المقصد المكتوب فيه فان الكاتب اذا أفكر فيما لديه وتأمله وكان قادرا على استخراج المعنى والمناسبة بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراه الآن القادر على ذلك من أقدره الله عليه فما كل خاطر بحكيم ولا كل من أوحى اليه بكليم وفى الاقلام هاشم لمن ناواه ومنها هشيم (وسأنبه فى هذا الموضع) على طريق يسلك الى شئ من المعانى المخترعة وهو ما استخرجته وانفردت باستخراجه دون غيرى فان المعانى المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالاشارة الى طريق يسلك فيها لان ذلك مما لا يمكن ومن ههنا أضرب علماء البيان عنه ولم يتكلموا فيه كما تكلموا فى غيره وكيف تتقيد المعانى المخترعة بقيد أو يفتح اليها طريق تسلك وهى تأتى من فيض الهى بغير تعليم ولهذا اختص به بعض الناثرين والناظمين دون بعض والذى يختص بها يكون فذا واحدا يوجد فى الزمن المتطاول ولما مارست أنا هذا الفن أعنى فن الكتابة وقلبته ظهرا لبطن وفتشت عن دفائنه وخباياه وأكثرت من تحصيل مواده والاسباب الموصلة الى الغاية منه سنح لى فى شئ من المعانى المخترعة طريق سلكته وهو يستخرج من كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه صلوات الله عليه وسلامه وقد تقدم لى منه أمثلة فى هذا الكتاب وذلك أنه ترد الآية من كتاب الله أو الحديث النبوى والمراد بهما معنى من المعانى فآخذ أنا ذلك وأنقله الى معنى آخر فيصير مخترعا لى وسأورد ههنا

منه

وكذا كل شئ نكرة حتى يعرف بما عرف (تقول) مر بنا رجل ثم تقول رأيت الرجل قد رجع أو تقول رأيته قد رجع فكذلك لما صرت الى آخر الكتاب وقد جرى فى أوله ذكر السلام عرفته انه ذلك السلام المتقدم (وتكتب) أيها الرجل وأيها الامير بألف وقد كتبت فى المصحف بالف وغير ألف على مذهب القراء واختلافهم فى الوقوف عليها وتكتب اذا بالالف ولا تكتبه بالنون لان الوقوف عليها بالالف وهى تشبه النون الخفيفة فى مثل قوله تعالى لنسفعا بالناصية وليكونا من الصاغرين اذا أنت وقفت وقفت بالف واذا وصلت وصلت (وقال الفرا) ينبغى لمن نصب باذن الفعل المستقبل أن يكتبها بالنون فاذا توسطت الكلام وكانت لغوا كتبت بالالف (وأحب) أن تكتبها بالالف فى كل حال لان الوقوف عليها بالالف فى كل حال (وتكتب فرأيكما) وفرأيكم فان نصبت رأيك فعلى مذهب الاغراء أى فرأيك وان رفعت لم ترفع على مذهب الاستفهام ولكن على الخبر وكتبت موفقا ان أردت الرأى وموفقين ان أردت الرجلين وان كتبت الى حاضر فنصبت رأيك لم يجز أن تكتب فرأى الامير لانه بمنزلة الغائب لا يجوز أن تغرى به

﴿باب ما يكتب بالياء والالف من الافعال﴾

منه نبذة يسيرة يعلم منها كيف فعلت حتى يسلك اليها فى الطريق الذى سلكته (فمن ذلك) قصة أصحاب الكهف والرقيم فانى أخذت ذلك ونقلته الى الاحسان والشكر ألاترى أن الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل وأشباه ذلك والشكر كلمات تقال فى التنويه بذكر المحسن واحسانه والرقيم هو الكتاب المكتوب فهو والشكر متماثلان والذى أتيت به قد أوردته وهو فصل من كتاب الى بعض المنعمين الخادم يشكر احسان المولى الذى ظل عنده مقيما وغدا بعطائه زعيما وأصبح بتواليه اليه مغرما كما أصبح له غريما ولما تمثل فى الاشتمال عليه كهفا صار شكره فيه رقيما فانظر كيف فعلت فى هذا الموضع لتعلم أنى قد فتحت لك فيه طريقا تسلكه (وأما الحديث النبوى) فانى أخذت قصة قتلى بدر كأبى جهل وعتبة وشيبة وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على القليب الذى ألقاهم فيه وناداهم بأسمائهم فقال يا عتبة يا شيبة يا أبا جهل يا فلان يا فلان والحديث مشهور فلا حاجة الى استقصائه والذى أتيت به فى وصف القلم هو أنى قلت ولقد مرح القلم فى يدى وحق له أن يمرح وأبدع فيما أتى به وكل اناء بالذى فيه ينضح ومن شأنه أن يستقل على أعواد المنبر فلا ينتهى من خطبتها الى فصلها ويقف على جانب القليب الا أنه لا ينادى من المعانى أباجهلها فالدواة قليب والقلم يقف عليه والمعانى التى ينشئها من باب العلم لا من باب الجهل فتأمل هذه الكلمات التى ذكرتها فانها لطيفة جدا وهى مخترعة لى وهذا القدر كاف فى طريق التعليم فليحتذ حذوه ان أمكن والله الموفق للصواب (وأما الضرب الآخر) من المعانى وهو الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة

هل غادر الشعراء من متردّم * الا أنه لا ينبغى أن يرسخ هذا القول فى الاذهان لئلا يؤيس من الترقى الى درجة الاختراع بل يعول على القول المطمع فى ذلك وهو قول أبى تمام

لازلت من شكرى فى حلة * لابسها ذو سلب فاخر

يقول من تقرع أسماعه * كم ترك الاول للآخر

وعلى الحقيقة فان فى زوايا الافكار خبايا وفى أبكار الخواطر سبايا لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر أن يتبع الاول وليته تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاحشا (ووقفت على كتاب) يقال له مقدمة ابن أفلح البغدادى قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة وللعراقيين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها ولما تأملتها وجدتها قشورا لا لب تحتها الآن غاية ما عند الرجل أن يقول وأما الفصاحة فانها كقول النابغة مثلا أو كقول الاعشى أو غيرهما ثم يذكر بيتا من الشعر أو أبياتا وما بهذا تعرف حقيقة الفصاحة حتى اذا وردت فى كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقتها الموجودة فيه وكذلك يقول فى غير الفصاحة (ومن أعجب) ما وجدته فى كتابه أنه قال أما المعانى المبتدعة فليس للعرب منها شئ وانما اختص بها المحدثون ثم ذكر للمحدثين معانى وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول لفلان وهو غريب وتلك الاقوال التى خص قائليها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا اليها فاما أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب واما أنه لم يقف على أقوال الناظمين والناثرين ولا تبحر فيها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله انه ليس للعرب معنى مبتدع وانما هو للمحدثين فيا ليت شعرى من السابق الى المعانى من تقدم زمانه أم من تأخر زمانه (وأنا أورد ههنا) ما يستدل به على بطلان ما ذكره وذلك أنه قد ورد من المعانى أن صور المنازل

اذا كان الفعل على ثلاثة أحرف ولم تدر من ذوات الياء هو أو من ذوات الواو رددته الى نفسك فما كانت اللام فيه ياء كتبته بالياء نحو قولك قضى ورمى وسعى لانك تقول قضيت ورميت وسعيت وما كان لام فعلت منه واوا كتبته بالالف نحو دعا وغزا وسلا لانك تقول دعوت وغزوت وسلوت وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر الى أصله وكتبته بالياء فتكتب أغزى فلان فلانا بالياء وهو من غزوت وأدنى فلان فلانا وهو من دنوت وألهى فلان فلانا وهو من لهوت فتكتب ذلك كله بالياء لانه يصير الى الياء ألاترى انك تقول أغزيت وأدنيت وألهيت وكذلك يكتب يغزى ويلهى ويدنى ويدعى وكل ما كان من الياء والواو فتثنيته بالياء لانك تقول يغزيان ويدعيان ويدنيان

﴿باب ما يكتب بالالف والياء من الاسماء﴾

كل اسم مقصور على ثلاثة أحرف فان كان من بنات الياء كتبته بالياء وان كان من بنات الواو فاكتبه بالالف ويدلك على ذلك تثنية الاسم والرجوع الى الفعل الذى أخذ منه الاسم فتكتب قفا وعصا ورجا البئر بالالف لانك تقول فى تثنيته قفوان وعصوان ورجوان وترد الى الفعل فتقول قد قفوت الرجل اذا تبعته وعصوته اذا ضربته بالعصا ولم يمكنك فى رجان ترده الى فعل فدلتك عليه التثنية قال الشاعر

تمثلت في القلوب فاذا عفت آثارها لم تعف صورها من القلوب وأول من أتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من أبيات الحماسة

اني وان نحروا غداة منى * عند الجمار يؤودها العقل
لو بدلت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفلها يعلو
لعرفت معناها بما ضمنت * مني الضلوع لأهلها قبل

ثم جاء المحدثون من بعده فانسحبوا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام

وقفت وأحشائي منازل للأسى * به وهو قفر قد تعفت منازله

(وقال البحتري)

عفت الرسوم وما عفت أحشاؤه * من عهد شوق ما تحول فتذهب

وقال المتنبي لك يا منازل في القلوب منازل * أقفرت أنت وهن منك أواهل

وهذا المعنى قد تداوله الشعراء حتى انه ما من شاعر الا ويأتي به في شعره (وكذلك) ورد لبعضهم من شعراء الحماسة أناخ اللوم وسط بني رماح * مطيته وأقسم لا يريم

كذلك كل ذي سفر اذا ما * تناهى عند غايته يقيم

وهذان البيتان من أبيات المعاني المبتدعة وعلى أثرهما مشى الشعراء (وكذلك) ورد لبعضهم في شعر الحماسة

تركت ضأني تود الذئب راعيها * وأنها لا تراني آخر الابد
الذئب يطرقها في الدهر واحدة * وكل يوم تراني مدية بيدي

وكذلك ورد قول الآخر

قوم اذا ما جنا جانيهم أمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وكم للعرب من هذه المعاني التي سبقوا اليها (ومن أدل الدليل) على فساد ما ذهب اليه من أن المحدثين هم المختصون بابتداع المعاني أن أول من بكى على الديار في شعره رجل يقال له ابن حرام وكان هو المبتدي لهذا المعنى أولا وقد ذكره امرؤ القيس في شعره فقال

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكي الديار كما بكى ابن حرام

وقد أجمع نقلة الاشعار أن لامرئ القيس في صفات الفرس أشياء كثيرة لم يسبق اليها ولا قيلت من قبله ويكفي من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو أن العرب السابقون بالشعر وزمانهم هو الاول فكيف يقال ان المتأخرين هم السابقون الى المعاني وفي هذه الامثلة التي أوردتها كفاية في نقض ما ذكره ولو قال ان المحدثين أكثر ابتداعا للمعاني وألطف مأخذا وأدق نظرا لكان قوله صوابا لان المحدثين عظم الملك الاسلامي في زمانهم ورأوا ما لم يره المتقدمون وقد قيل ان اللها تفتح اللها وهو كذلك فان نفاق السوق جلاب (وقد رأيت جماعة) من متحلي هذه الصناعة يجعلون همهم مقصورا على الالفاظ التي لا حاصل وراءها ولا كبير معنى تحتها واذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أي وجه كان من الغثاثة والبرد يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ولا يشك في أنه صار كاتبا مفلقا واذا نظر الى كتاب زماننا وجدوا كذلك فقاتل الله القلم الذي عشى في أيدي الجهال الاغمار ولا يعلم أنه كجواد يمشي تحت حمار ولو أنه لا يتطاول اليه الا أهله لبان الفاضل من الناقص على أنه كالرمح الذي اذا اعتقله حامله بين الصفين بان به المقدم من الناكص وقد أصبح اليوم في يد قوم هم أحوج من صبيان المكاتب الى التعلم وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لا ينتهي اليه سقم السقيم وهؤلاء لا ذنب لهم لانهم لو لم يستخدموا في الدول

ويستكتبوا

فلا يرمي بي الرجوان اني
أقل القوم من يغني مكاني

وتكتب الهدى والهوى هوى النفس والمدى الغاية بالياء لانك تقول في تثنيته هديان وهويان ومديان فان أشكل عليك من هذا الباب حرف ولم تعلم أصله ولا تثنيته فرأيت الامالة فيه أحسن فاكتبه بالياء وان لم تحسن فيه الامالة فاكتبه بالالف حتى تعلم واذا ورد عليك حرف قد ثني بالياء والواو عملت على الاكثر الاعم نحو رحى لان من العرب من يقول رحوت الرحا ومنهم من يقول رحيت وان تكتبها بالياء أحب الي لانها اللغة العالية قال مهلهل

كأنا غدوة وبني أبينا
بجنب عنيزة رحيا مدير

وكذلك الرضا من العرب من يثنيه رضيان ومنهم من يثنيه رضوان وان تكتبه بالالف أحب الي لان الواو فيه أكثر وهو من الرضوان وكل مقصور جاوز ثلاثة أحرف فاكتبه بالياء لانك انما تثنيه بالياء نحو معلى ومثنى ومغزى وملهى ومدعى ومشترى وكذلك أعمى وأظمى وأعشى وهو أدنى منك وأعلى عينا وكذلك مقلى وهو من قلوت البسر ومعافى ومنادى لا تبال أكان أصله الواو أو الياء وتكتبه بالياء على التثنية الا ما كان في آخره ياآن فانه يكتب بالالف لكراهتهم اجتماع ياءين في آخر الاسم نحو العليا والدنيا والقصيا ونحو عيا ومحيا وعام حيا ورؤيا وسقيا خلا يحيى الذي

ويستكتبوا والا ماظهرت جهالتهم وفى أمثال العوام لاتعر الاحمق شيأ فيفطنه له وكذلك يجرى الامر مع هؤلاء فانهم استكتبوا فى الدول فظنوا أن الكتابة قد صارت لهم بأمر حق واجب (ومن أعجب الاشياء) أنى لا أرى الا طامعا فى هذا الفن مدعيا له على خلوه عن تحصيل آلاته وأسبابه ولا أرى أحدا يطمع فى فن من الفنون غيره ولا يدعيه هذا وهو بحر لا ساحل له يحتاج صاحبه الى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهى اليه ويحتوى عليه فسبحان الله هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها فاذا كان العلم الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله فى سنة أو سنتين من الزمان لا يدعيه أحد من هؤلاء فكيف يجىء الى فن الكتابة وهو مالا تحصل معرفته الا فى سنين كثيرة فيدعيه وهو جاهل به (ومما رأيته من المدعين) لهذا الفن الذين حصلوا منه على القشور وقصروا معرفتهم على الالفاظ المسجوعة الغثة التى لا حاصل وراءها أنهم اذا أنكرت هذه الحال عليهم وقيل لهم ان الكلام المسجوع ليس عبارة عن تواطئ الفقر على حرف واحد فقط اذ لو كان عبارة عن هذا وحده لامكن أكثر الناس أن يأتوا به من غير كلفة وانما هو أمر وراء هذا وله شروط متعددة فاذا سمعوا ذلك أنكروه لخلوهم عن معرفته ثم لو عرفوه وأتوا به على الوجه الحسن من اختيار الالفاظ المسجوعة لاحتاجوا الى شرط آخر قد نبهت عليه فى باب السجع واذا أنكر عليهم الاقتصار على الالفاظ المسجوعة وهدوا الى طريق المعانى يقولون لنا أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة فانهم انما اعتنوا بالالفاظ ولم يعتنوا بالمعانى اعتناءهم بها فلم يكفهم جهلهم فيما ارتكبوه حتى ادعوا الاسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين (ولنذكر ههنا) فى الرد عليهم ما اذا تأمله الناظر فى كتابنا عرف منه ما دونه ويذهب به الاستحسان كل مذهب (فنقول) اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعانى أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا فى نفوسها فأول ذلك عنايتها بألفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا فى تحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى النفس وأذهب بها فى الدلالة على القصد ألا ترى أن الكلام اذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه واذا لم يكن مسجوعا لم يأنس به أنسه فى حالة السجع فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية اذ ذاك انما هى بألفاظ فقط بل هى خدمة منهم للمعانى ونظير ذلك ابراز صورة الحسناء فى الحلل الموشية والاثواب المحبرة فانا قد نجد من المعانى الفاخرة ما يشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه ﴿فان قيل﴾ انا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسنوه وزخرفوه ولسنا نرى تحته مع ذلك معنى شريفا فمما جاء منه قول بعضهم

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

ألا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقالته وتدبيج أجزائه ومعناه مع ذلك ليس مدانيا له ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ خسيسة المعانى (فالجواب عن ذلك) أنا نقول هذا الموضع قد سبق الى التشبث به من لم ينعم النظر فيه ولا رأى ما رآه القوم وانما ذلك لجفاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو أن فى قول هذا الشاعر كل حاجة مما تستفيد منه أهل النسيب والرقة والاهواء والمقة مالا يستفيده غيرهم ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ألا ترى أن حوائج منى أشياء كثيرة

هو اسم فان الكتاب اجتمعوا على ان كتبوه بالياء ولم يلزموا فيه القياس وأحسبهم اتبعوا فيه المصحف وكذلك اذا كان مثل هذا على يفعل فلان نحو يعيا بالامر ويحياسنين كتبت بالالف كراهة لاجتماع ياءين فى آخره وكذلك تكتب شأى فلان فلانا أى سبقه بالياء وهو من شأوت كراهة لاجتماع ألفين فى آخره وتعتبر المصادر بأن ترجع الى المؤنث فما كان فى المؤنث بالياء كتبته بالياء نحو العمى والظمى لانك تقول عمياء وظمياء وما كان من المؤنث بالواو وكتبته بالالف نحو العشا فى العين والعثا وهو كثرة شعر الوجه والقنا تقول عشواء وقنواء وعثواء وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده فى الهجاء الا الهاء من المقصور نحو الحصى والنوى والقطا فما كان جمعه بالواو كتبته بالالف نحو قطا لانه يجمع قطوات وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء نحو حصى ونوى لانه يجمع أيضا حصيات ونويات وكل هذه اذا أنت أضفتها الى مكنى كتبت ما كان منها بالواو بالالف وما كان منها بالياء بالالف فتكتب صغراهم وكبراهم وحصاك ونواك وأشباه ذلك واحداهما وكذلك الافعال اذا أوقعتها على مكنى كتبت ما كان منها بالياء بالالف نحو قضاه حقه ورماهم عن قوس ودلاهما بغرور وقد خالف الكتاب فى هذا المصحف

﴿باب الحروف التى تاتى للمعانى﴾

فنها التلاقى ومنها التشاكى ومنها التخلى للاجتماع الى غير ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به فكأن الشاعر صانع عن هذا الموضع الذى أومأ له وعقد غرضه عليه بقوله فى آخر البيت ومسح بالاركان من هو ماسح أى انما كانت حوائجنا التى قضيناها وآرابنا التى بلغناها من هذا النحو الذى هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجار فى القربة من الله مجراه أى لم نتعد هذا القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح وأما البيت الثانى فان فيه أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وفى هذا ما نذكره لتعجب به وبمن عجب منه ووضع من معناه وذلك أنه لو قال أخذنا فى أحاديثنا أو نحو ذلك لكان فيه ما يكبره أهل النسيب فانه قد شاع عنهم واتسع فى محاوراتهم علو قدر الحديث بين الالفين والجذل بجمع شمل المتواصلين ألا ترى الى قول بعضهم

وحدثتنى ياسعد عنها فزدتنى * جنونا فزدنى من حديثك ياسعد

وقول الآخر وحديثها السحر الحلال لوانه * لم يجن قتل المسلم المتحرز

فاذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قيده بقوله أخذنا بأطراف الاحاديث فان فى ذلك وحيا خفيا ورمزا حلوا ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون كشفا ومصارحة وجهرا وان كان الامر كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم وأشد تقدما فى نفوسهم من لفظهما وان عذب ولذ مستمعه ثم فى قول الشاعر

* وسالت باعناق المطى الاباطح * من لطافة المعنى وحسنه ما لاخفاء به وسأنبه على ذلك فأقول ان هؤلاء القوم لما تحدثوا وهم سائرون على المطايا شغلتهم لذة الحديث عن امساك الازمة فاسترخت عن أيديهم وكذلك شأن من يشره وتغلبه الشهوة فى أمر من الامور ولما كان الامر كذلك وارتخت الازمة عن الايدى أسرعت المطايا فى المسير فشبهت أعناقها بمرور السيل على وجه الارض فى سرعته وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه والذى لا ينعم نظره فيه لا يعلم ما اشتمل عليه من المعنى فالعرب انما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعانى التى تحتها فالالفاظ اذا خدم المعانى والمخدوم لاشك أشرف من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه

﴿النوع الاول فى الاستعارة﴾

ولنقدم قبل الكلام فى هذا الموضع قولا جامعا فنقول اعلم أن للفصاحة والبلاغة أوصافا خاصة وأوصافا عامة فالخاصة كالتجنيس فيما يرجع الى اللفظ وكالمطابقة فيما يرجع الى المعنى وأما العامة فكالسجع فيما يرجع الى اللفظ وكالاستعارة فيما يرجع الى المعنى وهذا الموضع الذى نحن بصدد ذكره وهو الاستعارة كثير الاشكال غامض الخفاء * وسأورد فى كتابى هذا ما استخرجته ولم أسمع فيه قولا لغيرى وكنت قدمت القول فى الفصل السابع من مقدمة الكتاب فيما يختص باثبات المجاز والرد على من ذهب الى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وأقمت الدليل على ذلك ولا حاجة الى اعادته ههنا بل الذى أذكره ههنا هو ما يختص بالاستعارة التى هى جزء من المجاز ولم سميت بهذا الاسم وكشفت عن حقيقتها وميزتها عن التشبيه المضمر الاداة والكلام فى هذا يحتاج الى اعادة ذكر المجاز وادخاله فيه ليتقرر ويتبين والذى انكشف لى بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين توسع فى الكلام وتشبيه والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام والا فكلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز أن يطلق

عليه

تكتب عسى بالياء لانك تقول عسيت أن أفعل كذا قال الله عز وجل فهل عسيتم ان توليتم قرئت بفتح السين وكسرها وتكتب بلى ومتى وأنى بالياء لان الامالة فيها أحسن وأفصح من التفخيم فاما على والى ولدى فان القياس كان ان يكتبن بالالف لان الامالة لا تحسن فيهن وانما كتبن بالياء لانك تقول عليك واليك ولديك وأما كلا وكلتا فقد اختلف فيهما والذى استحب ان يكتبا اذا وليا حرفا رافعا بالالف فتكتب أتانى كلا الرجلين وأتانى كلتا المرأتين واذا وليا حرفا ناصبا أو خافضا كتبا بالياء فتكتب رأيت كلى الرجلين ومررت بكلتى المرأتين وانما فرقت بينهما فى الكتاب فى هاتين الحالتين لان العرب فرقت بينهما فى اللفظ مع المكنى فقالوا رأيت الرجلين كليهما بالياء ومررت بهما كليهما ورأيت المرأتين كلتيهما ومررت بهما كلتيهما فلفظوا بهما بالياء مع الناصب والخافض وقالوا جاءنى الرجلان كلاهما والمرأتان كلتاهما فلفظوا بهما مع الرافع بالالف

﴿باب ما نقص منه الياء لاجتماع الساكنين﴾

تكتب هذا قاض وغاز ورام ومهتد ومفتر ومشتر وكل ما أشبه هذا فى حال الرفع والخفض بلا ياء استثقالا لمجىء الضمة بعد الكسرة والياء ومجىء كسرة بعد كسرة وياء لان أكثر العرب اذا وقفوا وقفوا بغير ياء فاذا صرت

عليه اسم الاستعارة لاشتراكهما فى المعنى وأما التوسع فانه يذكر للتصرف فى اللغة لا لفائدة أخرى وان شئت قلت ان المجاز ينقسم الى توسع فى الكلام وتشبيه واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الاقسام الثلاثة فأيها وجد كان مجازا ﴿فان قيل﴾ ان التوسع شامل لهذه الاقسام الثلاثة لان الخروج من الحقيقة الى المجاز اتساع فى الاستعمال ﴿قلت فى الجواب﴾ ان التوسع فى التشبيه والاستعارة جاء ضمنا وتبعا وان لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها وأما القسم الآخر الذى هو لا تشبيه ولا استعارة فان السبب فى استعماله هو طلب التوسع لا غير وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هى الاصل وانما يعدل عن الاصل الى الفرع لسبب اقتضاه وذلك السبب الذى يعدل فيه عن الحقيقة الى المجاز اما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه فى وصف من الاوصاف واما أن يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما أن يذكر المنقول والمنقول اليه معا واما أن يذكر المنقول اليه دون المنقول فان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيها والتشبيه تشبيهان تشبيه مظهر الاداة كقولنا زيد كالاسد وتشبيه مضمر الاداة كقولنا زيد أسد وهذا التشبيه المضمر الاداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض * وسأوضح وجه الخطا فيه وأحقق القول فى الفرق بينهما تحقيقا جليا (فأقول) أما التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة بنا الى ذكره ههنا لانه معلوم لا خلاف فيه لكن نذكر التشبيه المضمر الاداة الذى وقع فيه الخلاف فنقول اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمر الاداة قيل فيه زيد أسد أى كالاسد فأداة التشبيه فيه مضمرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم تقدح فى الكلام الذى أظهرت فيه ولا تزيل عنه فصاحة ولا بلاغة وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه ومتى أظهرت أزالت عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من جنس فصاحة وبلاغة وهذا هو الاستعارة ولنضرب لك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول لان تقديره عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص وبين ايراده على هذا التقدير وبين ايراده على هيئته فى البيت بون بعيد فى الحسن والملاحة والفرق اذا بين التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذى هو المنقول اليه ويكتفى بذكر المستعار الذى هو المنقول ﴿فان قيل﴾ لا نسلم أن الفرق بين التشبيه وبين الاستعارة ما ذهبت اليه بل الفرق بينهما أن التشبيه انما يكون بأداته كالكاف وكأن وما جرى مجراهما فما لم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون استعارة فاذا قلنا زيد أسد كان ذلك استعارة واذا قلنا زيد كالاسد كان ذلك تشبيها ﴿قلت فى الجواب﴾ عن ذلك اذا لم نجعل قولنا زيد أسد تشبيها مضمر الاداة استحال المعنى لان زيدا ليس أسدا وانما هو كالاسد فى شجاعته فأداة التشبيه تقدر ههنا ضرورة كى لا يستحيل المعنى (فان قيل) وكذلك أيضا اذا لم تقدر أداة التشبيه فى الاستعارة استحال المعنى لانا اذا قلنا عجل القضيب وأبطأ الدعص فما لم تقدر فيه أداة التشبيه والا استحال المعنى ﴿قلت فى الجواب﴾ عن ذلك تقدير أداة التشبيه لا بد منه فى الموضعين لكن يحسن اظهارها فى التشبيه دون الاستعارة وجملة الامر أنا نرى أداة التشبيه يحسن اظهارها فى موضع دون موضع فعلمنا أن الموضع الذى يحسن

الى النصب أتممته فقلت رأيت قاضيا ورامياً ومهتديا ومشتريا فأما ما لا ينصرف مثل جوار وليال وسوار فانك تكتبه فى حال الرفع والخفض بلا ياء تقول هؤلاء جوار ومضت ثلاث ليال فاذا صرت الى النصب قلت رأيت جوارى وسرت ليالى فلا تصرفه لانه تم فى حال النصب فصار جمعا ثالثه ألف وبعد الالف حرفان ونقص فى حال الرفع والخفض فصرفته وكل هذا اذا أضفته الى ظاهر أو مكنى أثبت فيه الياء لان التنوين يذهب مع الاضافة فترد الياء فاذا ألحقت فى هذا ألفا ولاما للتعريف أثبت الياء فى الكتاب نحو قولك هذا القاضى وهذا المعتدى وهن الجوارى وقد يجوز حذفها وليس يستعمل الا فى كتاب المصحف فان كانت الياء مثقلة لم تحذف نحو بخاتى وأمانى وأوارى وتكتب ثمان خلون فان أضفت الثمانى الى الليالى كتبت بالياء فتقول لثمانى ليال خلون فتلحق الياء مع الاضافة وليس سبيل ثمان سبيل جوار وسوار فى الامتناع من الانصراف لأن ثمانيا بمنزلة رجل يمان منسوب الى اليمن خففت ياء النسب فيه وألحقت الالف بدلا منها قال الاعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا
وثمان عشرة واثنتين وأربعا

فصرف ثمانيا اذا كانت على ما أخبرتك به وشبيه به فى النسب وان لم يكن مثله برذون رباع فاذا نصبت قلت ركبت برذونا رباعيا

اظهارها فيه غير الموضع الذى لا يحسن اظهارها فيه فسمينا الموضع الذى يحسن اظهارها فيه تشبيها مضمر الاداة والذى لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما فعلنا ذلك لان تسمية ما يحسن اظهار أداة التشبيه فيه بالتشبيه أليق وتسمية ما لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه بالاستعارة أليق فاذا قلنا زيد أسد حسن اظهار أداة التشبيه فيه بأن نقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه على ما تقدم من ذكر ذلك أولا ﴿فان قيل﴾ اذا أجزت اضمار أداة التشبيه وقدرت اظهارها فى قولك زيد أسد أى كالاسد فنحن نضمر أيضا المستعار له ونقدر اظهاره فانه لما قال الشاعر عجل القضيب وأبطأ الدعص أضمر المستعار له وهو القد والردف واذا أظهر قيل عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص ولا فرق بين الاضمارين فكما يسعك اضمار أداة التشبيه فى قولك زيد أسد فكذلك يسعنا نحن اضمار المستعار له فى قول الشاعر ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنى أقول نحن فى هذا المقام واقفون مع الاستحسان لا مع الجواز ولو تأملت ما أوردته فى أول كلامى بالعين الصحيحة لما أوردت على هذا الاعتراض ههنا فانى قلت التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيها ولو قلت يجوز أو لا يجوز لورد على هذا الاعتراض الذى ذكرته وقد علم وتحقق أن من الواجب فى حكم الفصاحة والبلاغة أن لا يظهر المستعار له واذا أظهر ذهب ما على الكلام من الحسن والرونق (ألا ترى) أنا اذا أوردنا هذا البيت الذى هو

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وجد عليه من الحسن والرونق ما لا خفاء به وهو من باب الاستعارة فاذا أظهرنا المستعار له صرنا الى كلام غث وذلك أنا نقول فأمطرت دمعا كاللؤلؤ من عين كالنرجس وسقت خدا كالورد وعضت على أنامل مخضوبة كالعناب بأسنان كالبرد وفرق بين هذين الكلامين للمتأمل واسع وهكذا يجرى الحكم فى البيت المتقدم ذكره الذى هو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

فان هذا البيت لا خفاء بما عليه من الحسن واذا أظهر فيه المستعار له زال ذلك الحسن عنه لا بل تبدل بضده وليس كذلك التشبيه المضمر الاداة فانا اذا أظهرنا أداة التشبيه وأضمرناها كان ذلك سواء اذ لا فرق بين قولنا زيد أسد وبين قولنا زيد كالاسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحة والبلاغة فضلا عن عالم والمعول عليه فى تأليف الكلام من المنثور والمنظوم انما هو حسنه وطلاوته فاذا ذهب ذلك عنه فليس بشئ ونحن فى الذى نورده فى هذا الكتاب واقفون مع الحسن لا مع الجواز ثم لو تنزلنا معك أيها المعترض عن درجة الحسن الى درجة الجواز لما استقام لك ما ذكرته وذلك أن اضمار أداة التشبيه ظاهر فى قولنا زيد أسد أى كالاسد وهو مضمر واحد وأما قول الشاعر فرعاء ان نهضت لحاجتها فانه لا يضمر فيه أداة التشبيه الا بعد أن يظهر المستعار له وحينئذ يكون فيه اضماران أحدهما المستعار له والآخر أداة التشبيه واضمار واحد أيسر من اضمارين أحدهما معلق على الآخر واذا كان الامر كذلك فالفرق بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فتأمل ما أشرت اليه وتدبره حتى تعلم أنى ذكرت ما لم يذكره أحد غيرى على هذا الوجه (وانما سمى هذا القسم) من الكلام استعارة لان الاصل فى الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التى هى ضرب من المعاملة وهى

فأتممت قال الشاعر

* رباعيا مرتبعا أو شوقبا *

﴿باب الامر بالمعتل من الفعل﴾

تقول قل وبع وخف ذهبت الواو والياء والالف لاجتماع الساكنين فاذا ثنيت قلت قولا وبيعا وكذلك فى الجميع قولوا وبيعوا وخافوا تظهر ما ذهب فى الواحد لتحرك الحرف الآخر وتقول للمرأة قولى وبيعى وخافى فلا تسقط حرف المد لتحرك الحرف الذى يليه فاذا أمرت بالمهموز من الافعال مثل أمر يأمر وأكل يأكل وسأل يسأل وجاء يجيء فالمستعمل فى أمر يأمر أن تقول مر فلانا بكذا فاذا اتصل بواو أو فاء قبله قلت وأمر فلانا فأمره قال الله سبحانه وأمر قومك يأخذوا بأحسنها وقال تعالى وأمر أهلك بالصلاة ويجوز وأومر فلانا بلا واو ولا فاء قبله وليس بمستعمل والمستعمل فى كل الحذف فى كل حال اتصل بواو أو فاء أو لم يتصل لم نسمع غير ذلك والمستعمل فى مثل أجره الله يأجره الاتمام فى الانفراد والاتصال تقول اللهم أوجرنى فى مصيبتى فأما سأل يسأل فان شئت ابتدأت فقلت اسأل فلانا عن كذا وان شئت قلت سل فلانا وهو أحب الى لانها كذلك كتبت فى المصحف اذا لم تتصل بواو قبلها ولا فاء قبلها وان اتصلت بواو أو فاء فان شئت ألحقت فيها ألفا فى أولها وهمزت فقلت فاسأل الله وان شئت حذفت فاذا أمرت من جاء يجيء قلت جئ

أن يستعير بعض الناس من بعض شيأ من الاشياء ولا يقع ذلك الا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضى استعارة أحدهما من الآخر شيأ واذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيأ اذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار فى استعارة الالفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين فى نقل المعنى من أحدهما الى الآخر كالمعرفة بين الشخصين فى نقل الشئ المستعار من أحدهما الى الآخر ﴿واعلم﴾ أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمر الاداة معا باختلاف القرينة وذلك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره فينتقل عن ذلك الى غيره ويرتجل ارتجالا (فما جاء منه) قول البحترى

اذا سفرت أضاءت شمس دجن * ومالت فى التعطف غصن بان

فلما قال أضاءت شمس دجن بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير فى قوله أضاءت كأنه قال أضاءت هى وهذا تشبيه لان المشبه مذكور وهو الضمير فى أضاءت الذى نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره وانما يكون الكلام مرتجلا ويكون البيت

اذا سفرت أضاءت شمس دجن * ومال من التعطف غصن بان

وهذا الموضع فيه دقة غموض وحرف التشبيه يحسن فى الاول دون الثانى (وأما القسم) الذى يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع فى الكلام وهو سبب صالح اذ التوسع فى الكلام مطلوب (وهو ضربان) أحدهما يرد على وجه الاضافة واستعماله قبيح لبعد ما بين المضاف والمضاف اليه وذلك لانه يلتحق بالتشبيه المضمر الاداة واذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان ذلك قبيحا ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع الا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة أو ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول أبى نواس

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فقوله بح صوت المال من الكلام النازل بالمرة ومراده من ذلك أن المال يتظلم من اهانتك اياه بالتمزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح وما أحسن ما قال مسلم بن الوليد فى هذا المعنى

تظلم المال والاعداء من يده * لا زال للمال والاعداء ظلاما

وكذلك ورد قول أبى نواس أيضا

ما لرجل المال أمست * تشتكى منك الكلالا

فاضافة الرجل الى المال أقبح من اضافة الصوت ومن هذا الضرب قول أبى تمام

وكم أحرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد

فاضافة القد الى النوى من التشبيه البعيد البعيد وانما أوقعه فيه المماثلة بين القد والقد وهذا دأب الرجل فى تتبع المماثلة تارة والتجنيس أخرى حتى انه ليخرج الى بناء يعاب به أقبح عيب وأفحشه وكذلك ورد قوله

بلوناك أما كعب عرضك فى العلا * فعال وأما خد مالك أسفل

فقوله كعب عرضك وخد مالك مما يستقبح ويستنكر ومراده من ذلك أن عرضك مصون ومالك مبتذل الا أنه عبر عنه أقبح تعبير وأبو تمام يقع فى مثل ذلك كثيرا (وأما الضرب الآخر من التوسع) فانه يرد على غير وجه الاضافة وهو حسن لا عيب فيه وقد ورد فى القرآن الكريم

البنا وكذلك ان اتصل وان ثنيت قلت جيأ اوجيئوا مثل جيعا وجيعوا واذا أمرت من مثل وعيت الحديث ووقيتك بنفسى ووشيت الثوب زدت هاء فى اللفظ اذا وقفت وهاء فى الكتاب فتكتب عه كلامى قه زيدا بنفسك شه ثوبك لانه لا تكون كلمة على حرف واحد فان وصلت ذلك بفاء أو واو فان شئت أقررت الهاء وان شئت حذفتها والحذف أحب الى تقول قم فق زيدا واذهب فل عملك واذهب فش ثوبك فان وصلت ذلك بثم ألحقت الهاء لان ثم حرف منفصل قائم بنفسه لا يتصل بما بعده اتصال الواو والفاء وتقول ردوا ارددوا وشدوا واشددوا فاذا ثنيت قلت ردا وشدا ولا تقول ارددا وكذلك الجميع الا فى النساء فانك تقول أرددن

﴿باب الهمز﴾

اذا سكنت الهمزة وقبلها فتحة كتبت ألفا نحو قرأت وملأت ورأس وبأس وان انكسر ما قبلها كتبت ياء نحو برئت وشئت وان انضم ما قبلها كتبت واوا نحو جرؤت ووضؤت وجؤنة ولؤم فاذا كانت آخرا قبلها فتحة كتبت فى الرفع والنصب والخفض ألفا فتقول مررت بالملأ وأقررت بالخطأ ورأيت الملأ وعرفت الخطأ وهذا الملأ وهو يقرأ ويبرأ منك فان أضفت الحرف الى ظاهر فهو على حاله وان أضفته الى مضمر فهو فى النصب على حاله تقول رأيت ملأهم وعرفت خطأهم ولن أقرأه وتجعلها فى الرفع واوا

كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فنسبة القول الى السماء والارض من باب التوسع لانهما جماد والنطق انما هو للانسان لا للجماد ولا مشاركة ههنا بين المنقول والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وعليه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم فانه نظر الى أحد يوما فقال هذا جبل يحبنا ونحبه فاضافة المحبة الى الجبل من باب التوسع اذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جماد (وعلى هذا) ورد مخاطبة الطلول ومساءلة الاحجار كقول أبي تمام

أميدان لهوى من اتاح لك البلى * فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وكقول أبي الطيب المتنبي

اثلث فانا أيها الطلل * نبكي وترزم تحتنا الابل

فأبو تمام سائل ربوعا عافية وأحجارا دارسة ولا وجه لها ههنا الا مساءلة الاهل كالذي في قوله تعالى واسئل القرية أي أهل القرية وكل هذا توسع في العبارة اذ لا مشاركة بين رسوم الديار وبين فهم السؤال والجواب وكذلك قال أبو الطيب المتنبي في أمره الطلل بأن يكون ثالثا لهما أي الركب والابل وهذا واضح لا نزاع فيه فاذ قد تبين وتحقق ما أشرت اليه من هذا الموضع فالمجاز لا يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة اما توسع أو تشبيه أو استعارة واذا حققنا النظر في الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمرا قياسيا في حمل فرع على أصل لمناسبة بينهما وان كانا يفترقان بحدهما وحقيقتهما (فأما حد الاستعارة) فقيل انه نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان التشبيه يشارك الاستعارة فيه ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد أي كأنه أسد وهذا نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما الا أنا نقلنا حقيقة الاسد الى زيد فصار مجازا وانما نقلناه لمشاركة بين زيد وبين الاسد في وصف الشجاعة والذي عندي من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه لانه اذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه وطريقة أنك تريد تشبيه الشيء بالشيء مظهرا ومضمرا وتجيء الى المشبه فتعيره اسم المشبه به وتجريه عليه مثال ذلك أن تقول رأيت أسدا وهذا كالبيت الشعر المتقدم ذكره وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

فان هذا الشاعر أراد تشبيه القد بالقضيب والردف بالدعص الذي هو كثيب الرمل فترك ذكر التشبيه مظهرا ومضمرا وجاء الى المشبه وهو القد فأعاره المشبه به وهو القضيب والدعص وأجراه عليه الا أن هذا الموضع لا بد له من قرينة تفهم من فحوى اللفظ لانه اذا قال القائل رأيت أسدا وهو يريد رجلا شجاعا فان هذا القول لا يفهم منه ما أراد وانما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالاسد لكن اذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلا شجاعا اختص الكلام بما أراد ألا ترى الى قول الشاعر عجل القضيب وأبطأ الدعص فانه دل عليه من نفس البيت لان قوله فرعاء ان نهضت دليل على أن المراد هو القد والردف لان القضيب والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها وكذلك كل ما يجيء على هذا الاسلوب لان المستعار له وهو المنقول اليه مطوي الذكر (وكنت تصفحت) كتاب الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني فوجدته قد ذكر في المجاز شيأ يتطرق اليه النظر وذلك أنه قال لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدمت الثلاثة كانت الحقيقة البتة (فمن ذلك) قوله تعالى فأدخلناه في رحمتنا فهذا مجاز وفيه الثلاثة المذكورة أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسما وهو الرحمة وأما التشبيه

تقول هو يقرؤه ويملؤه وهل أتاك نبؤهم وملؤهم هذا المذهب المتقدم وكان بعض كتاب زماننا يدع الحرف على حاله بالالف فيكتب هو يقرأه وهو ملأ وهذا ملأهم وهو يشنأك والله يكلأك فلان لا يرزأك شيأ يدل على الهمزة والاعراب فيها بضمة يوقعها فوق الالف وانما اختار الالف لان الوقوف على الحرف اذا انفرد وأبدل من الهمزة على الالف كذلك يكتب منفردا فيتركه على حاله اذا أضيف ويجعلها في الخفض ياء فيقول مررت بملئهم وسمعت بعض نبئهم وكان المختار في الرفع ان يترك الحرف على حاله مكتوبا بالالف ويختار في الخفض مثل ذلك ويوقع تحت الالف كسرة يدل بها على الهمزة والاعراب فان انضم ما قبل الهمزة جعلتها واوا على كل حال فتكتب لم يوضؤ الرجل وان يوضؤ الرجل ومررت بأكمؤك ورأيت أكمؤك وان انكسر ما قبلها جعلتها ياء على كل حال فتكتب هو يقرئك السلام وهذا قارئنا وهو يريد ان يستقرئك واذا كانت الهمزة مضمومة أو مكسورة وبعدها ياء أو واو كتبت بياء واحدة وواو واحدة وحذفت الهمزة فتكتب اقرؤا وقد قرؤا القرآن وهم يهزؤن بنا وهم يملؤن وهم يستهزؤن وهؤلاء مقرؤن ومخطؤن هذا الذي عليه المصحف ومتقدمو الكتاب وقد كتبه بعض الكتاب بياء قبل الواو مستهزيون ومقريون وذلك

فانه

فانه شبه الرحمة وان لم يصح دخولها بما يصح دخوله وأما التوكيد فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعاليا بالمخبر عنه وتفخيما له اذ اصير بمنزلة ما يشاهد ويعاين هذا مجموع قول أبي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص (والنظر يتطرق اليه من ثلاثة أوجه الاول) أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده ألا ترى أنه اذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا ثم ان كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا لعدمه ألا ترى أنا اذا قلنا لا يوجد الانسان الا بأن يكون حيوانا ناطقا فالحيوانية والنطق سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل أن يكون انسانا وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشئ فان وجودها يوجب وجوده وعدم واحد منها يوجب عدمه ﴿وأما الوجه الثاني﴾ فانه ذكر التوكيد والتشبيه وكلاهما شئ واحد على الوجه الذي ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهي معنى لا يدرك بالبصر بمكان يدخل وهو صورة تدرك بالبصر دخل تحته التوكيد الذي هو اخبار عما لا يدرك بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده في تمثيله لا أعلم ما الذي أراد به لانه لا يؤتى به في اللغة العربية الا لمعنيين أحدهما أنه يرد أبدا فيما استقرى بألفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكله وما أضيف اليها مما استقرى وهو مذكور في كتب النحاة وقد كفيت مؤنته الآخر أنه يرد على وجه التكرير نحو قام زيد قام زيد كرر اللفظ في ذلك تحقيقا للمعنى المقصود أي توكيدا والذي ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحد هذين المعنيين المشار اليهما ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالاة في ابراز المعنى الموهوم الى الصورة المشاهدة فعبر عن ذلك بالتوكيد ولا مشاحة له في تعبيره واذا أراد به ذلك فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ولا حاجة الى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه ﴿وأما الوجه الثالث﴾ فانه قال أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب لانه ينبغي على قياسه أن يكون جناح الذل في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل زيادة في أسماء الطيور وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسما هو الذل وهكذا يجري الحكم في الاقوال الشعرية كقول أبي تمام

لبست سواه أقواما فكانوا * كما أغنى التيمم بالصعيد

فزاد في أسماء اللباس اسما هو الآدمي وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل والاتساع في المجال لا يقال فيه كذا وانما يقال هو أن تجري صفة من الصفات على موصوف ليس أهلا لان تجري عليه لبعد ما بينه وبينها كقول أبي الطيب المتنبي

اثلث فانا أيها الطلل * نبكي وترزم تحتنا الابل

فانه أجرى الكلام على ذلك وانما يستعمل طلبا للاتساع في أساليب الكلام لا للمناسبة بين الصفة والموصوف اذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك اتساعا وانما كان ضربا من القياس في حمل الشئ على ما يناسبه ويشاكله وحينئذ يكون ذلك تشبيها أو استعارة على ما أشرت اليه من قبل (وكنت اطلعت) في كتاب من مصنفات أبي حامد الغزالي رحمه الله ألفه في أصول الفقه ووجدته قد ذكر الحقيقة والمجاز وقسم المجاز الى أربعة عشر قسما وتلك الاربعة عشر ترجع الى الثلاثة التي أشرت اليها وهي التوسع والتشبيه والاستعارة ولا تخرج عنها والتقسيم لا يصح في شئ من الاشياء الا اذا اختص كل قسم من الاقسام بصفة لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه * وسأورد ما ذكره وأبين فساده (فالقسم الاول) من الاقسام التي ذكرها هو ما جعل للشئ بسبب المشاركة في خاصة كقولهم للشجاع أسد وللبليد حمار وهذا القسم داخل

حسن (وكذلك) اذا كان بعد الهمزة ياء الجمع أو ياء المؤنث اقتصروا على ياء واحدة نحو قولك للمرأة أنت تستهزئين وتتكئين ونحو قولك مررت بقوم متكئين ومخطئين لا اختلاف فيه ومما اختلفوا فيه مؤنة وشؤون جمع شأن ورؤس ورجل سؤل وبؤس كتبه بعضهم بواوين وبعضهم بواو واحدة وكل حسن فأما الموؤدة فانها تكتب في المصحف بواو واحدة واستحب للكاتب ان يكتبها بواوين لانها ثلاث احداهن همزة مضمومة تبدل منها واو فان حذفت اثنتين أجحفت بالحرف وكذلك اختلفوا في مثل لئيم ورئيس وبئيس وزئير فكتبه بعضهم بياء واحدة اتباعا للمصحف وكتبه بعضهم بياءين وهو أحب الي وما جاء على أفعل والعين همزة نحو أفؤس وأرؤس جمع فأس ورأس وأسؤق جمع ساق وأثوب جمع ثوب فأحب الي ان تكون ذلك كله بواو واحدة وحذفها جائز

﴿باب الهمزة في الفعل اذا كانت عينا وانفتح ما قبلها﴾

وهي اذا كانت كذلك كتبت اذا انضمت واوا واذا انكسرت ياء واذا انفتحت ألفا نحو سأل وزأر الاسد وسئم وبئس ولؤم وبؤس اذا اشتدت حاجته فاذا قلت من ذلك يفعل حذفت فكتبت يسئل ويزأر ويسئم وييئس ويلئم ويبئس وقد أبدل منها بعضهم والحذف أجود وبالحذف كتبت في المصحف الا في حرف واحد

في الاستعارة ان ذكر المنقول وحده مثل أن يقول القائل رأيت أسدا ومراده رجلا شجاعا أو رأيت حمارا ومراده رجلا بليدا وداخل في التشبيه المضمر الاداة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد أسد أى كالاسد أو حمار أى كالحمار (القسم الثانى) تسمية الشئ باسم ما يؤل اليه كقوله تعالى انى أرانى أعصر خمرا وانما كان يعصر عنبا وهذا القسم داخل في القسم الاول لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة لا بل أوغل في المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب وليس الاسد من الرجل ولا الرجل من الاسد (القسم الثالث) تسمية الشئ باسم فرعه كقول الشاعر

وما العيش الا نومة وتشوق * وتمر على رأس النخيل وماء

فسمى الرطب تمرا وهذا القسم والقسم الذى قبله سواء لان هنالك سمى العنب خمرا وههنا سمى الرطب تمرا فالعنب أصل والخمر فرع وكذلك الرطب أصل والتمر فرع وكلا هذين القسمين داخل في القسم الاول وهب أن الغزالى لم يحقق أمر المجاز وانقسامه الى تلك الاقسام الثلاثة التى أشرت اليها ألم ينظر الى هذين القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والتمر ويعلم أنهما شئ واحد لا فرق بينهما (القسم الرابع) تسمية الشئ باسم أصله كقولهم للآدمى مضغة وهذا ضد القسم الذى قبله لان ذاك جعل الاصل فيه فرعا وهذا جعل الفرع فيه أصلا وهو داخل في القسم الاول أيضا (القسم الخامس) تسمية الشئ بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد قولا نحو قولهم هذا يقول بقول الشافعى رحمه الله أى يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل في القسم الاول لان بين القول وبين الاعتقاد مناسبة كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر (القسم السادس) تسمية الشئ باسم مكانه كقولهم للمطر سماء لانه ينزل منها وهذا القسم داخل في الاول لصفة المناسبة بين المنقول والمنقول اليه وهو النزول من عال وكل ما علاك فأظلك فهو سماء على أن الاغلب على ظنى أن هذا القسم من الاسماء المشتركة وتسمية المطر بالسماء حقيقة فيه وليس من المجاز في شئ (القسم السابع) تسمية الشئ باسم مجاوره كقولهم للمزادة راوية وانما الراوية الجمل الذى يحملها وهذا القسم من باب التوسع لا من باب التشبيه ولا من باب الاستعارة لان على قياسه ينبغى أن يسمى الجمل زاملة لانه يحملها (القسم الثامن) تسمية الشئ باسم جزئه كقولك لمن تبغضه أبعد الله وجهه عنى وانما تريد سائر جثته وهذا القسم داخل في القسم الاول وهو شبيه بتسمية الشئ باسم فرعه (القسم التاسع) تسمية الشئ باسم ضده كقولهم للاسود والابيض جون وهذا القسم ليس من المجاز في شئ البتة وانما هو حقيقة في هذين المسميين معا لانه من الاسماء المشتركة كقولهم شمت السيف اذا سللته وشمته اذا أغمدته فدل الشيم على الضدين معا بالوضع الحقيقى وفى اللغة من هذا شئ كثير فكيف يجعل هذا القسم من المجاز ولا شك أن الغزالى نظر الى أن الضدين لا يجتمعان في محل واحد فقاس الاسم على الذات وظن أن الذاتين لا يجتمعان فى اسم واحد كما أنهما لا يجتمعان في محل واحد (فان قيل) لا نسلم أن اللفظ المشترك حقيقة بالوضع فى المعنيين معا لان ذلك يخل بفائدة الوضع الذى هو البيان وانما هو حقيقة في أحد معنييه مجاز في الآخر (فالجواب عن ذلك) أن هذا الموضع تقدم الكلام عليه في الفصل الثانى من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذى يشتمل على آلات علم البيان وأدواته فليؤخذ من هناك فانى قد أشبعت القول فيه اشباعا لا مزيد عليه (القسم العاشر) تسمية الشئ بفعله كتسمية الخمر مسكرا وهذا القسم داخل فى القسم الاول وأى مشاركة أقرب من هذه المشاركة فان الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة

لازمة

يسألون عن أنبائكم وانما كتبت كذلك على قراءة من قرأها يسألون بمعنى يتسألون وكذلك تكتب مسئلة وأصحاب المشئمة بالحذف وكذلك يكتب مشؤم ومسؤل ومسؤم بواو واحدة لسكون ما قبلها واجتماع واوين

باب الهمزة تكون آخر الكلمة وما قبلها ساكن

اذا كانت الهمزة كذلك حذفت في الرفع والخفض نحو قول الله عز وجل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ولكم فيها دفء وملء الارض ذهبا (وكذلك) ان كانت في موضع نصب غير منون نحو قوله عز وجل يخرج الخبء فاذا كانت في موضع نصب منون ألحقتها ألفا نحو أخرجت خبئا وأخذت دفأ وبرأت برأ وقرأت جزأ فان أضفتها الى المضمر فهى في الرفع واو وفى الجر ياء وفى النصب ألف تقول خبؤك ودفؤهم ومررت بمرئك وخبئك وشربت ملأها وأخذت دفأها (وكذلك) اذا ألحقتها هاء التأنيث جعلتها ألفا لان هاء التأنيث تفتح ما قبلها تقول المرأة والكمأة والجرأة والنشأة الاولى ووجأته وجأة فان كان قبل هاء التأنيث ياء أو واو أو ألف حذفت نحو الهيئة والسوءة والفيئة وتكتب مثل جاى وشاى بياء وتجعل الياء تدل على الهمزة اذ كانت مكسورة فأما الياء الثانية فمحذوفة كما حذفت من قاض ورام وكذلك تكتب مرأى جمع مرآة ومسائى جمع مساءة

لازمة لزيد لانه يمكن أن يكون زيد ولا شجاعة ولا يمكن أن يكون خمر ولا اسكار ألا ترى أنها لم تسم خمرا الا لاسكارها فانها تخمر العقل أى تستره (القسم الحادى عشر) تسمية الشئ بكله كقولك فى جواب مافعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع أنواعه وهذا القسم لا ينبغى أن يوصل باقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة (فان قيل) ان القيام يشمل جميع أنواع القيام من الماضى والحاضر والمستقبل (قلت) وهذا من أقرب أقسام المجاز مناسبة لانه اقامة للمصدر مقام الفعل الماضى والمصدر أصل الفعل وعلى هذا فان هذا داخل فى القسم الاول (القسم الثانى عشر) الزيادة فى الكلام لغير فائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فما ههنا زائدة لا معنى لها أى فبرحمة من الله لنت لهم وهذا القول لا أراه صوابا وفيه نظر من وجهين أحدهما أن هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له فى أصل اللغة وهذا غير موجود فى الآية وانما هى دالة على الوضع اللغوى المنطوق به فى أصل اللغة الوجه الآخر انى لو سلمت أن ذلك من المجاز لا نكرت أن لفظة ما زائدة لا معنى لها ولكنها وردت تفخيما لامر النعمة التى لان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وهى محض الفصاحة ولو عرى الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة وقد ورد مثلها فى كلام العرب كالذى يحكى عن الزباء وذلك أن الوضاح الذى هو جذيمة الابرش تزوجها والحكاية فى ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد ضفرت الشعر من فوقه ضفيرتين وقالت اذات عروس ترى أما انه ليس ذلك من عوز المواس ولا من قلة الاواس ولكنه شيمة ما أناس فمعنى الكلام ولكنه شيمة اناس وانما جاءت لفظة ما ههنا تفخيما لشأن صاحب تلك الشيمة وتعظيما لامره ولو أسقطت لما كان للكلام ههنا هذه الفخامة والجزالة ولا يعرف ذلك الا أهله من علماء الفصاحة والبلاغة وأما الغزالى رحمه الله تعالى فانه معذور عندى فى أن لا يعرف ذلك لانه ليس فنه ومن ذهب الى أن فى القرآن الفاظا زائدة لا معنى له فاما أن يكون جاهلا بهذا القول واما أن يكون متسمحا فى دينه واعتقاده وقول النحاة ان ما فى هذه الآية زائدة فانما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل كما يسمونها فى موضع آخر كافة أى أنها تكف الحرف العامل عن عمله كقولك انما زيد قائم فما قد كفت ان عن العمل فى زيد وفى الآية لم تمنع عن العمل ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل فى خفض الرحمة (القسم الثالث عشر) تسمية الشئ بحكمه كقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل فى القسم الاول لان النكاح هو تمكين الزوج من الوطء على عوض على هيئة مخصوصة والهبة تمكينه من الشئ الموهوب على غير عوض فشاركت الهبة النكاح فى نفس التمكين من الوطء وان اختلفا فى الصورة (القسم الرابع عشر) النقصان الذى لا يبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قال الله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا أى شخصا بريئا وكحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قال الله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وهذا القسم داخل فى القسم الاول أما حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فلان الصفة لازمة للموصوف وأما حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فلانه دل بالسكون على الساكن وتلك مقارنة قريبة فهذه أقسام المجاز التى ذكرها الغزالى رحمه الله تعالى وقد بينت فساد التقسيم فيها وأنها ترجع الى ثلاثة أقسام هى التوسع والتشبيه والاستعارة (وحيث انتهى بى الكلام الى ههنا) وفرغت مما أردت تحقيقه وبينت ما أردت بيانه فانى أتبع ذلك بضرب الامثلة للاستعارة التى يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيده بذكر الحد

بياء واحدة وتكتب منئ ومرئ اذا أردت مفعلا من أنأنى فلان أى أبعدنى وأرأت الشاة اذا استبان حملها بياء واحدة

﴿باب﴾

الهمزة تكون عينا واللام ياء أو واو نحو رأيت ونأيت ووأيت وشأوت القوم أى سبقتهم وبأوت عليهم اذا تعظمت عليهم تكتب فعل من ذلك كله بالف وياء بعدها نحو رأى ونأى وشأى وبأى ووأى وانما كتبت بنات الواو منه بالياء لانك كرهت الجمع بين ألفين وتكتب يفعل منه ينأى ويشأى ويبأى بياء بعد ألف وكان بعضهم يكتبه بغير ألف ينئ ويشئ كما كتب يسئل ويسئم بلا ألف ولا أحب ذلك لان هذا معتل موضع اللام من الفعل فلا يجمع عليه مع الاعتلال الحذف فأما يرى فكلهم يحذف الهمزة منها فيكتبها أيضا بالحذف فان أضفت الى المضمر فهو بألف واحدة نحو نآه وشآه ووآه لانك تجعل بنات الواو مع المضمر ألفا فاستثقلوا جمع ألفين وكذلك رآه

﴿باب ما كانت الهمزة فيه لاما وقبلها ياء أو واو نحو جئت وشئت وسؤت فلانا ونؤت﴾

تكتب ذلك اذا أردت تفعلون تسوؤن وتنوؤن بواوين لانها ثلاث فتحذف واحدة وكذلك أنتم مسوؤن فاذا أردت تفعلون من أساء قلت تسيؤن بياء وواو واحدة لانهما واوان فتحذف واحدة ولو كان الحذف من غير المعتل مثل يفعلون من أخطأ

والحقيقة (فما جاء من ذلك فى القرآن الكريم) قوله تعالى فى أول سورة ابراهيم صلوات الله عليه الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور فالظلمات والنور استعارة للكفر والايمان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوى الذكر كأنه قال لتخرج الناس من الكفر الذى هو كالظلمة الى الايمان الذى هو كالنور وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة أيضا وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال والقراءة برفع لتزول منه الجبال ليست من باب الاستعارة ولكنها فى نصب تزول واللام لام كى والجبال ههنا استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الآيات والمعجزات أى أنهم مكروا مكرهم لكى تزول منه هذه الآيات والمعجزات التى هى فى ثباتها واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فاستعار الاودية للفنون والاغراض من المعانى الشعرية التى يقصدونها وانما خص الاودية بالاستعارة ولم يستعر الطرق والمسالك أو ما جرى مجراها لان معانى الشعر تستخرج بالفكرة والروية والفكرة والروية فيهما خفاء وغموض فكان استعارة الاودية لها أشبه وأليق والاستعارة فى القرآن قليلة لكن التشبيه المضمر الاداة كثير وكذلك هى فى فصيح الكلام من الرسائل والخطب والاشعار لان طى المستعار له لا يتيسر فى كل كلام وأما التشبيه المضمر الاداة فكثير سهل لمكان اظهار المشبه والمشبه به معا (ومما ورد من الاستعارة فى الاخبار النبوية) قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار المشركين فاستعار النار للرأى والمشورة أى لا تهتدوا برأى المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه دخل يوما مصلاه فرأى أناسا كأنهم يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى وهاذم اللذات أراد به الموت وهو مطوى الذكر (وبلغنى عن العرب) أنهم يقولون عند رؤية الهلال لا مرحبا باللجين مقرب أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة فى طى ذكر المستعار له (وكذلك بلغنى عن الحجاج بن يوسف) أنه خطب خطبة عند قدومه العراق فى أول ولايته اياه والخطبة مشهورة من جملتها أنه قال ان أمير المؤمنين نثل كنانته وعجمها عودا عودا فرأى أصلبها انجارا وأقومها عودا وأنفذها نصلا فقوله نثل كنانته وعجمها عودا عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا واحدا اختباره فرأى أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفائقة (وقد جاءنى من الاستعارة فى رسائلى ما أذكر شيأ منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه سألنى بعض الاصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان يهواهما وكان أحدهما يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت اذا تشعبت أسباب الهوى كانت لسره أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال فى أحدها هذا أخطر وقد هويت بدرين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف اذا حمل هوى اثنين ومما شجانى أنهما يتلونان فى أصباغ الثياب كما يتلونان فى فنون التجرم والعتاب وقد استجدا الآن زيا مزيدا على حسنهما فى حسنه فهذا يخرج فى ثوب من حمرة خده وهذا فى ثوب من سواد جفنه وما أدرى من دلهما على هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة المحب أهدى من حبيب وهذا الفصل بجملته مما تواصفه الناس وأغروا بحفظه (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول مسكين الدارمى من شعراء الحماسة

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع

أحدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

الكتبة يخطون ويقرؤن وحذفت الياء كما أخبرتك ولا تحذف الياء من تسيون لانك قد حذفت واوا فلو حذفت الياء أيضا لاجحفت بالحرف فاذا قلت للمرأة أنت تسيئين وتجيئين حذفت ياء واحدة واقتصرت على اثنتين وكذلك تبوءين وتسوءين فلا تابياء واحدة وتحذف واحدة

﴿باب التاريخ والعدد﴾

المؤنث فيما بين الثلاث الى العشر بغير هاء تقول ثلاث ليال الى عشر ليال والمذكر بالهاء تقول ثلاثة أيام الى عشرة أيام وتقول احدى عشرة ليلة واثنتا عشرة ليلة الى تسع عشرة ليلة فتلحق الهاء فى العدد الثانى وتحذفها من الاول وفى المذكر أحد عشر يوما واثنا عشر يوما وثلاثة عشر يوما الى تسعة عشر يوما فتلحق الهاء فى العدد الاول وتحذفها من الثانى فرقا بين المذكر والمؤنث واعلم أن ما جاوز العشرة من العدد الى تسعة عشرة اسمان جعلا اسما واحدا فهما منصوبان أبدا فى حال الرفع والنصب والخفض فى المذكر والمؤنث الا اثنى عشر واثنتى عشرة فان نصب أول العددين وخفضه بالياء ورفعه بالالف والثانى منصوب على كل حال واحدى فى التأنيث ساكنة فى الوجوه ويقال عشرة وعشرة للمؤنث والمذكر عشر لا غير وكله منصوب فاذا أرادوا التاريخ قالوا للعشر وما دونها خلون وبقين فقالوا لتسع ليال بقين ولثمانى ليال خلون لانهم يبنونه بجمع وقالوا لما فوق العشرة

فالغزال المقنع هنا استعارة للمرأة الحسناء (وكذا ورد) قول رجل من بني يسار في كتاب الحماسة أيضا

أقول لنفسي حين حق زوالها * رويدك لما تشتقى حين مشفق
رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غمامة هذا العارض المتألق

فالعارض المتألق استعارة للحرب أو الذي أطل بكروهه كالبارق المتألق (ويحكى) أن امرأة وقفت لعبد الملك بن مروان وهو سائر الى قتال مصعب بن الزبير فقالت يا أمير المؤمنين فقال رويدك حتى تنظري عم تنجلي وأنشد البيت (ومن هذا الباب) قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن

لما نظرت الى عن حدق المها * وبسمت عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف * وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في الثرى لك طائعا * وعزمت فيك على دخول النار

وهذه الابيات لا تجد لها في الحسن شريكا ولأن يسمى قائلها شعرورا أولى من أن يسمى ديكا وكذلك ورد قوله

لا ومكان الصليب في النحر منك ومجرى الزنار في الخصر
والخال في الخد اذ أشبهه * وردة مسك على ثرى تبر
وحاجب مذ خطه قلم الحسن * بحبر البهاء لا الحبر
واقحوان بفيك منتظم * على شبيه من رائق الخمر

فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له هو الثغر والريق (ومما ورد لأبي تمام) في هذا المعنى قوله لما غدا مظلم الاحشاء من أشر * أسكنت جانحتيه كوكبا يقد فالكوكب استعارة للرمح وكذلك ورد قوله في الاعتذار

أسرى طريد الحياء من التي * زعموا وليس لرهبة بطريد
وغدا تبين ما براءة ساحتي * لو قد نفضت تهائمي ونجودي

والتهائم والنجود هما استعارة مما استعاره من باطن أمره وظاهره وكذلك ورد قوله

كم أحرزت قضب الهندي مصلتة * تهتز من قضب تهتز في كثب

فالقضب والكثب استعارة للقدود والارداف وكذلك ورد في هذه القصيدة أيضا عند ذكر ملك الروم وانهزامه لما فتحت مدينة عمورية فقال

ان يعد من حرها عدو الظليم فقد * أوسعت جاحمها من كثرة الحطب

فالحطب استعارة للقتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه قال

أحذى قرابينه صرف الردى ومضى * يحتث أنجى مطاياه من الهرب
موكلا بيفاع الارض يشرفها * من خفة الخوف لا من خفة الطرب

ان يعد من حرها عدو الظليم البيت وأحسن من هذا كله قوله

تطل الطلول الدمع في كل منزل * وتمثل بالصبر الديار المواثل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها * ولا مر في اغفالها وهو غافل
يعفين من زاد العفاة اذا انتحى * على الحي صرف الازمة المتماحل

فقوله زاد العفاة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أهل الديار كأنه قال يعفين من قوم هم زاد العفاة (وله في الغزل) من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة والرقة وذلك في قصيدته التي مطلعها * ان عهدا لو تعلمان ذميما * فقال

قد مررنا بالدار وهي خلاء * فبكينا طلولها والرسوما

خلت وبقيت لانهم يبنوه بواحد فقالوا لاحدى عشرة ليلة خلت وثلاث عشرة ليلة بقيت وانما أرخت بالليالي دون الايام لان الليلة أول الشهر فلو أرخت باليوم دون الليلة لذهبت من الشهر ليلة وقولهم هذه مائة درهم وألف درهم وثلاثة آلاف درهم ومائة ألف درهم هذا كله نكرة مضاف فتكتب قد بعث اليك بثلاثة آلاف درهم صحاح ومائة ألف درهم مكسرة فاذا أردت أن تعرف ذلك قلت مائة الدرهم وألف الرجل وكذلك ما دون العشرة تقول عشرة الدراهم وثلاثة الاثواب لان المضاف انما يعرف بما يضاف اليه وكذلك العدد المضاف كله فأما ما ميزت به فلا تدخل فيه الالف اللام لان الاول لا يكون به معرفة لا يقولون عشرون الدرهم لان العشرين ليست مضافة الى الدرهم فيكون تعريفك للدرهم تعريفك للعشرين وقد يقول بعضهم الثلاثة عشر الدرهم والعشرون الدرهم لما أدخلوا الالف واللام على الاول أدخلوهما على الآخر وذلك رديء والجيد أن تقول ما فعلت العشرون درهما والثماني عشرة جارية وكذلك ما بين أحد عشر الى تسعة عشر والى تسعة وتسعين تدخل في الاول الالف واللام فأما في العشرة وما دونها والمائة وما فوقها فادخال الالف واللام في الاول خطأ في القياس على ان أبا زيد قال من العرب من يقول المائة الدرهم والالف الدرهم والخمسي

وسألنا ربوعها فانصرفنا * بسقام وماسألنا حكيما

كنت أرعى النجوم حتى اذاما * فارقونى أمسيت أرعى النجوما

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول البحترى

وأغرّ فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغرّ محجل

والاغرّ المحجل الاوّل هو الممدوح والاغرّ المحجل الثانى هو الفرس الذى أعطاه اياه وكذلك ورد قوله وصاعقة فى كفه تنكفى بها * على أرؤس الاعداء خمس سحائب

وهذا من النمط العالى الذى شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الاصابع وكذلك ورد فى أبيات الحماسة

دك طود الكفر دكا * صاعق من وقع سيفك

أرسلته خمس سحب * نشأت من بحر كفك

وكذلك ورد قوله فى أبيات يصف فيها السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

وهذا من الحسن على ما يشهد لنفسه كأنه قال حملت حمائله سيفا أخضر الحديد كالبقلة (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبى الطيب المتنبى

فى الخدّ ان عزم الخليط رحيلا * مطر تزيد به الخدود محولا

وكذلك ورد قوله * يمدّ يديه فى المفاضة ضيغم * وأحسن من هذا قوله فى قصيدته التى مطلعها * عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم

وأصبحت بقرى هنزيط جائلة * ترعى الظبى فى خصيب نبته اللمم

فما تركن بها خلدا له بصر * تحت التراب ولا بازا له قدم

ولا هزبرا له من درعه لبد * ولا مهاة لها من شبهها حشم

وهذا من المليح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفا والباز استعارة لمن طار هاربا والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا ومن هذا الباب قوله

كل جريح ترجى سلامته * الا جريحا دهته عيناها

تبل خدّى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

والبيت الثانى من الابيات الحسان التى تتواصف وقد حسن الاستعارة التى فيه أنه جاء ذكر المطر مع البرق (وبلغنى عن أبى الفتح بن جنى) رحمه الله أنه شرح ذلك فى كتابه الموسوم بالمفسر الذى ألفه فى شرح شعر أبى الطيب فقال انها كانت تبزق فى وجهه فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فمها ويقع على وجهه فشبهه بالمطر وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره واذا كان هذا قول امام من أئمة العربية تشد اليه الرحال فما يقال فى غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب وكذلك ورد قول الشريف الرضى

اذا أنت أفنيت العرانين والذرى * رمتك الليالى من يد الخامل الغمر

وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى * فمن ايد ترميك من حيث لا تدرى

فالعرانين والذرى هما عظماء الناس وأشرافهم كأنه قال اذا أفنيت عظماء الناس رميت من يد الخامل (واذ قد بينت) أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فانه لا تجىء الا ملائمة مناسبة ولا يوجد فيها مباينة ولا تباعد لانها لا تذكر مطوية الا لبيان المناسبة بين

المائة درهم والخمسة العشر الدرهم وهو ردىء فى القياس وليس بلغة قوم فصحاء وتقول على ما رسمت لك ما فعلت ثلاثة الاثواب وأربعة الاردية وعشرة الدراهم ولا يجوز العشرة أثواب والاربعة درهم ويجوز ان تقول ما فعلت تلك التسعة الدراهم والعشر النسوة اذا ذهبت الاضافة وجعلت الدراهم والنسوة وصفا للتسعة وللعشر فاذا جاوزت العشرة قلت ما فعلت الثلاثة عشر ثوبا والاحد عشر رجلا وما فعلت التسع عشرة امرأة وما فعل العشرون رجلا فاذا جاوزت العشرين قلت ما فعل الثلاثة والعشرون رجلا كذلك الى مائة وما فعل الخمس والثلاثون امرأة فاذا بلغت مائة رجعت الى الاضافة فقلت ما فعلت مائة الدرهم ومائتا الدرهم وخمسمائة الدرهم الى الالف فاذا بلغت الالف قلت ما فعل ألف الدرهم وثلاثة آلاف الدرهم ولا يجوز ان تقول ما فعلت المائة الدرهم والالف الدرهم على ان تجعل الدرهم وصفا للمائة والالف كما فعلت ذلك فى قولك ما فعلت التسعة الدراهم لان الدرهم لا يكون مائة كما تكون الدراهم تسعة واذا أردت ان تعرف عددا تكثر ألفاظه نحو ثلثمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ألحقت الالف واللام فى آخر لفظ منها فقلت ما فعلت ثلاث مائة ألف الدرهم وخمسمائة ألف الدرهم هذا مذهب البصريين لا يجيزون غيره والبغداديون يجيزون ما فعلت

المستعار منه والمستعار له ولو طويت ولم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعسر فهمها ولم يبن المراد منها (ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي) رحمه الله تعالى قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمر الاداة ولم يفرق بينهما وتأسى فى ذلك بغيره من علماء البيان كأبى هلال العسكرى والغانمى وأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى على أن أبا القاسم بن بشر الآمدى كان أثبت القوم قدما فى فن الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين شعر الطائيين يشهد له بذلك وما أعلم كيف خفى عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمر الاداة (ومما أورده ابن سنان) فى كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرئ القيس فى صفة الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف اعجازا وناء بكلكل

وهذا البيت من التشبيه المضمر الاداة لان المستعار له مذكور وهو الليل وعلى الخطا فى خلطه بالاستعارة فان ابن سنان أخطأ فى الرد على الآمدى ولم يوفق للصواب وأنا أتكلم على ما ذكره ولا أضايقه فى الاستعارة والتشبيه بل أنزل معه على ما رآه من أنه استعارة ثم أبين فساد ما ذهب اليه وذلك أن الآمدى قال فى كتاب الموازنة ان امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره وترادف اعجازه فلما جعل له وسطا ممتدا وصدرا ثقيلا واعجازا رادفة لوسطه استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده واسم الكلكل وجعله نائيا لتثاقله واسم العجز من أجل نهوضه فقال ابن سنان الخفاجي معترضا عليه ان هذا الذى ذكره الآمدى ليس بمرضى غاية الرضا وان بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فان الآمدى قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطا ممتدا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وحيث جعل له آخرا وأولا استعار له عجزا وكلكلا وهذا كله انما يحسن بعضه مع بعض فذكر الصلب انما يحسن من أجل العجز والوسط والتمطى من أجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه استعارة مبنية على استعارة أخرى هذا حكاية كلامه فى الاعتراض على الآمدى (وفيه نظر من وجهين الاول) أنه قال هذا بيت من الاستعارة الوسطى التى ليست بجيدة ولا رديئة ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أبعد الاستعارات وذلك أنه قسم الاستعارة الى قسمين قريب مختار وبعيد مطرح فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح والبعيد المطرح اما أن يكون لبعده مما استعير له فى الاصل أو لانه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعف لذلك هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجى فى تقسيم الاستعارة واذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة مطرحة فكيف جعلها وسطا هذا تناقض فى القول (الوجه الثانى) أنه لم يأخذ على الآمدى فى موضع الاخذ لانه لم يختر الا ما حسن اختياره وذلك ان حد الاستعارة على ما رآه الآمدى وابن سنان هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وان كان المذهب الصحيح فى حد الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكنى فى هذا الموضع أنزل معهما على ما رأياه حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما فى بيت امرئ القيس واذا حددنا الاستعارة بهذا الحد فبه يفرق على رأى ابن سنان بين الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة فاذا وجدنا استعارة فى كلام ما عرضناها على هذا الحد فاوجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه حكمنا له بالجودة وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة وبيت امرئ القيس من الاستعارات المرضية لانه لو لم يكن لليل صدر أعنى أولا ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه

﴿باب ما يجرى عليه العدد فى تذكيره وتأنيثه﴾

العدد يجرى فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى تقول لفلان ثلاث بطات ذكور وثلاث حمامات ذكور ورأيت ثلاث حيات ذكورا وكتبت لفلان ثلاث سجلات فتؤنث على اللفظ والواحد سجل مذكر ومررت على ثلاث حمامات فتؤنث والواحد حمام وتقول له خمس من الغنم ذكور وله ثلاث من الابل فحول فتؤنث العدد اذا كان الذى يليه الابل والغنم لانهما لفظان مؤنثان موضوعان للجميع لا واحد لشئ منهما من لفظه وهما يقعان على الذكور وعلى الاناث وعليهما جميعا وتقول له ثلاثة ذكور من الابل لما فرقت بين ثلاثة وبين الابل ذكرت وتقول سار فلان خمس عشرة من بين يوم وليلة العدد يقع على الليالى والعلم محيط بأن الايام قد دخلت معها قال الجعدى يصف بقرة

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة
وكان النكير ان تضيف وتجأرا

يريد ثلاثة أيام وثلاث ليال ولا يغلب المؤنث على المذكر الا فى الليالى خاصة وتقول سرنا عشرا فيعلم أن مع كل ليلة يوما

﴿باب التثنية﴾

اذا ثنيت مقصورا على ثلاثة أحرف فان كان بالواو ثنيته بالواو نحو قفا قفوان وان كان بالياء ثنيته بالياء نحو مدى مديان وان كان المقصور على أربعة أحرف ثنيته بالياء على

الاستعارة ولما كان الامر كذلك استعار لوسطه صلبا وجعله متمطيا واستعار لصدره المتثاقل أعني أوّله كلكلا وجعله نائيا واستعار لآخره عجزا وجعله رادفا لوسطه وكل ذلك من الاستعارات المناسبة وأما قول ابن سنان الخفاجي أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى بعيدة مطرحة فان فى هذا القول نظرا وذلك أنه قد ثبت انا أصل نقيس عليه فى الفرق بين الاستعارة المرضية والمطرحة كما أريناك ولا يمنع ذلك من أن تجيء استعارة مبنية على استعارة أخرى وتوجد فيها المناسبة المطلوبة فى الاستعارة المرضية فانه قد ورد فى القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس وهو قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات ينبنى بعضها على بعض فالأولى استعارة القرية للاهل والثانية استعارة الذوق للباس والثالثة استعارة اللباس للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث من التناسب على ما لا خفاء به فكيف يذم ابن سنان الخفاجي الاستعارة المبنية على استعارة أخرى وما أقول ان ذلك شذ عنه الا لانه لم ينظر الى الاصل المقيس عليه وهو التناسب بين المنقول عنه والمنقول اليه بل نظر الى التقسيم الذى هو قسمه فى القرب أو البعد ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى تكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح واذا كان الاصل انما هو التناسب فلا فرق بين أن يوجد فى استعارة واحدة أو فى استعارة مبنية على استعارة ولهذا أشباه ونظائر فى غير الاستعارة ألا ترى أن المنطقى يقول فى المقدمة والنتيجة كل انسان حيوان وكل حيوان نام فكل انسان نام وكذلك يقول المهندس فى بعض الاشكال الهندسية اذا كان خط اب مثل خط بج وخط بج مثل خط جد فخط اب مثل خط جد وهكذا أقول أنا فى الاستعارة اذا كانت الاستعارة الاولى مناسبة ثم بنى عليها استعارة ثانية وكانت أيضا مناسبة فالجميع متناسب وهذا أمر برهانى لا يتصور انكاره وهذا الكلام الذى أوردته ههنا هو اعتراض على ما ذكره ابن سنان الخفاجي فى الاستعارة فلا تظن أنى موافقه فى الاصل وانما وافقته قصد التبيين وجه الخطا فى كلامه وكيف يسوغ لى موافقته وقد ثبت عندى بالدليل أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمته من الكلام كفاية (النوع الثانى فى التشبيه) وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهما شيء واحد لا فرق بينهما فى أصل الوضع يقال شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال مثلته به وما أعلم كيف خفى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قدمت القول فى باب الاستعارة فى الفرق بين التشبيه وبينها ولا حاجة الى اعادته ههنا مرة ثانية (والتشبيه ينقسم قسمين) مظهرا ومضمرا وفى المضمر اشكال فى تقدير أداة التشبيه فيه فى بعض المواضع (وهو ينقسم أقساما خمسة فالاوّل) يقع موقع المبتدا والخبر مفردين (والثانى) يقع موقع المبتدا المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف اليه (والثالث) يقع موقع المبتدا والخبر جملتين (والرابع) يرد على وجه الفعل والفاعل (والخامس) يرد على وجه المثل المضروب وهذان القسمان الاخيران هما أشكل الاقسام الخمسة فى تقدير أداة التشبيه (أما الاوّل) فكقولنا زيد أسد فهذا مبتدأ وخبره واذا قدرت أداة التشبيه فيه كان ذلك ببديهة النظر على الفور فقيل زيد كالاسد (وأما القسم الثانى والثالث) فانهما متوسطان فى تقدير أداة التشبيه فيهما فالثانى كقول النبى صلى الله عليه وسلم الكمأة جدرى الارض وهذا يتنوع نوعين فاذا كان المضاف اليه معرفة كهذا الخبر النبوى لا يحتاج فى تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه بل ان شئنا

كل حال نحو مدرى مدريان ومقلى مقليان وهو من قلوت فاما قولهم مذروان فانهم تركوا الواو لانهم لا يفردون الواحد منه مذرا انما هو للفظ جاء مثنى لا يفرد واحده واذا ثنيت ممدودا غير مؤنث تركت الهمزة على حالها فتقول كساآن ورداآن فاما قولهم عقله بثنايين بياء غير مهموزة فان هذا أيضا لفظ جاء مثنى لا يفرد واحده فيقال ثناء فتركوا الياء فى وسط الكلمة على الاصل على حسب ما فعلوا فى مذروين ولو قيل ثناء فأفرد لقيل فى التثنية ثنائين وأصل الهمزة فى ثناء لو قيل مفردا ياء لانه فعال من ثنيت واذا ثنيت ممدودا مؤنثا قلبت الهمزة واوا فقلت حمراوان وثلاثاوان وأربعاوان وعشراوان واذا جمعت مقصورا بالواو والنون حذفت الالف فيبقى ما قبل الواو والياء مفتوحا نحو قولك مصطفون ومثنون ومعلون ومعطون وكذلك النصب مصطفين ومعطين

﴿باب تثنية المبهم وجمعه﴾

يقولون فى تثنية ذا ذان وفى تثنية ذوه أو ذى تان وفى تثنية الذى والتى اللذان واللتان فتحذف الياء واذا ثنيت ذات قلت فى الرفع ذواتا قال الله عز وجل ذواتا أفنان وفى النصب والخفض ذواتى قال الله جل ثناؤه ذواتى أكل خمط وفى الجمع ذوات ومن قال ذاك قال فى الجمع ألاك ومن ذلك قال فى الجمع أولئك ألو واحدها ذو وهى وذو وسواء والالى فى معنى الذين واحدها الذى

قدمناه وان شئنا أخرناه فقلنا الكمأة للارض كالجدرى أو الكمأة كالجدرى للارض واذا كان المضاف اليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه فمن ذلك قول البحترى

غمام سماح لا يغب له حيا * ومسعر حرب لا يضيع له وتر

فاذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا سماح كالغمام ولا يقدر الا هكذا والمبتدأ فى هذا البيت محذوف وهو الاشارة الى الممدوح كأنه قال هو غمام سماح (ومن هذا النوع) ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن كقول أبى تمام

أى مرعى عين ووادى نسيب * لحبته الايام فى ملحوب

ومراد أبى تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسنا ثم زال عنه حسنه فقال بأن العين كانت تلتذ بالنظر اليه كالتذاذ السائمة بالمرعى فانه كان يشبب به فى الاشعار لحسنه وطيبه واذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا كأنه كان للعين مرعى وللنسيب منزلا ومألفا واذا جاء شئ من الابيات الشعرية على هذا الاسلوب أو ما يجرى مجراه فانه يحتاج الى عارف بوضع أداة التشبيه فيه (وأما الثالث) فكقول النبى صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كأنه قال كلام الالسنة كحصائد المناجل وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكورا فيه بل تذكر صفته ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا وانما ذكرت صفته وهى الحصد وكل ما يجىء من هذا القسم فانه لا يرد الا كذلك (وأما القسم الرابع والخامس) اللذان هما أشكل الاقسام المذكورة فى تقدير أداة التشبيه فيهما فانهما لا يتفطن لهما أنهما تشبيه (فما جاء من القسم الرابع) قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وتقدير أداة التشبيه فى هذا الموضع أن يقال هم فى ايمانهم كالمتبوئ دارا أى أنهم قد اتخذوا الايمان مسكنا يسكنونه يصف بذلك تمكنهم منه (وعلى هذا) ورد قول أبى تمام

نطقت مقلة الفتى الملهوف * فتشكت بفيض دمع ذروف

واذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا قلنا دمع العين كنطق اللسان أو قلنا العين الباكية كأنما تنطق بمعانى الضمير (وأما ما جاء من القسم الخامس) فكقول الفرزدق يهجو جريرا

ماضر تغلب وائل أهجوتها * أم بلت حيث تناطح البحران

فشبه هجاء جرير تغلب وائل ببوله فى مجمع البحرين فكما أن البول فى مجمع البحرين لا يؤثر شيأ فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لا يؤثر شيأ وهذا البيت من الابيات الذى أقر له الناس بالحسن وكذلك ورد قوله أيضا

قوارص تأتينى وتحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

فانه شبه القوارص التى تأتيه محتقرة بالقطر الذى يملأ الاناء على صغر مقداره يشير بذلك الى أن الكثرة تجعل الصغير من الامر كبيرا وهذا الموضع يشكل على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول البحترى فى التعزية بولد

تعز فان السيف يمضى وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وهذا ليس من التشبيه وانما هو استعارة لان المستعار له مطوى الذكر وهو المعزى كأنه قال تعز فانك كالسيف الذى يمضى وان وهت حمائله وخلاه قائمه ﴿فان قيل﴾ انك قدمت القول فى باب الاستعارة بأن التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق بين التشبيه المضمر الاداة وبين الاستعارة وقررت ذلك تقريرا طويلا عريضا ثم نراك قد نقضته ههنا بقولك ان من التشبيه المضمر الاداة

﴿باب ما يستعمل كثيرا من النسب فى الكتب واللفظ﴾

كل مقصور على ثلاثة أحرف نسب اليه فانك تقلب ألفه واوا نحو قفا وعصا وندا تقول قفوى وعصوى وندوى وكل ممدود ينسب اليه مثل كساء ورداء فانك تقول فيه كسائى وردائى وينسب الى السماء سمائى فاذا كان الممدود على فعلاء مثل حمراء قلت صفراوى وحمراوى وكذلك كل ممدود لا ينصرف نحو زكريا تقول زكرياوى وأربعاوى وثلاثاوى وينسب الى فعلى مثل بشرى وحبلى وبشروى وحبلوى واذا كان المقصور على أربعة أحرف وألفه لغير التأنيث فأكثرهم يقلبها واوا فيقول فى مرمى مرموى وأحوى أحووى ومنهم من يحذف فيقول مرمى وأحوى فاذا جاوز المقصور أربعة أحرف فكل العرب يحذف الالف فتقول فى جمادى جمادى وحبارى حبارى واذا نسبت الى مثل على وعدى وبلى حذفت الياء فقلت علوى وعدوى وبلوى وكذلك قصى وأمية تقول قصوى وأموى الا ما أشذوا واذا نسبت الى اثنين فهو بمنزلة الواحد فتنسب الى رامتين رامى والى قنوين قنوى الا ثلاثة أحرف نسبوا الى البحرين بحرانى والى حصنين حصنانى والى النهرين نهرانى للفرق بين النسب الى البحر والبحرين والحصن والحصنين والنهر والنهرين واذا نسبت الى الجمع اذا لم تسم به رددته الى واحده تنسب الى المساجد مسجدى

مايشكل تقدير أداة التشبيه فيـه وانه يحتاج فى تقديرها الى نظر كهذين البيتين المذكورين للفرزدق ومايجرى مجراهما (فالجواب) عن ذلك أنى أقول هذا الذى ذكرته لاينقض على شيأ مما قدمت القول فيه فى باب الاستعارة لانى قلت ان التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير الاداة فيـه أى لايتغير بتقديرها فيـه عن صـفته التى اتصف بها من فصاحـة وبلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها اذا قدرت أداة التشبيه فيها تغيرت عن صـفتها التى اتصـفت بها من فصاحة وبلاغة وأما الذى ورد ههنا من بيتى الفرزدق ومايجرى مجراهما من التشبيه المضمر الاداة فان أداة التشبيه لاتتقدر فيه وهو على حالته من النظم حتى تتبين هل تغيرت صـفته التى اتصف بها من فصاحة وبلاغة أم لا وانما تتقدر أداة التشبيه فيه على وجه آخر وهـذا لاينقض ماأشرت اليه فى باب الاستعارة (واذا ثبتت هـذه الاقسام الاربعة فأقول) ان التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة أداة فيكون هو اياه فانك اذا قلت زيد أسد كنت قد جعلته أسدا من غير اظهار أداة التشبيه وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه وعلى هذا فان القسمين من المظهر والمضمر كليهما فى فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد أسد أن يتبين حال زيد فى اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجراءة الاقدام وغير ذلك مما يجرى مجراه الا أنا لم نجد شيأ ندل به عليه سوى أن جعلناه شبيها بالاسد حيث كانت هـذه الصفات مختصة به فصار ماقصدناه من هـذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرىء الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات فى المشبه به أعنى الاسد وأما زيد الذى هو المشبه فليس معروفا بها وان كانت موجودة فيـه وكلا هـذين القسمين أيضا يختص بفضيلة الايجاز وان كان المضمر أوجز من المظهر لان قولنا زيد أسد أوكالاسد يسد مسد قولنا زيد من حاله كيت وكيت وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما يطول ذكره فالتشبيه اذا يجمع صفات ثلاثة هى المبالغة والبيان والايجاز كما أريتك الا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل البلاغة وسبب ذلك أن حمل الشئ على الشئ بالمماثلة امّا صورة واما معنى يعز صوابه وتعسر الاجادة فيـه وقلما أكثر منه أحد الاعثر كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق وابن وكيع من أدباء مصر فانهـما أكثرا من ذلك لاسيما فى وصف الرياض والاشجار والازهار والثمار لاجرم أنهـما أتيا بالغث البارد الذى لايثبت على محك الصواب فعليك أن تتوقى ماأشرت اليـه (وأما فائدة التشبيه من الكلام) فهى أنك اذا مثلت الشئ بالشئ فانما تقصد به اثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد فى طرفى الترغيب فيه أو التنفير عنـه ألا ترى أنك اذا شبهت صورة بصورة هى أحسن منها كان ذلك مثبتا فى النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها وكذلك اذا شبهتها بصورة شئ أقبح منها كان ذلك مثبتا فى النفس خيالا قبيحا يدعو الى التنفير عنها وهذا لانزاع فيـه وانضرب له مثالا يوضحه فنقول قد ورد عن ابن الرومى فى مدح العسل وذمه بيت من الشعر وهو

تقول هذا مجاج النحل تمدحه ✻ وان تعب قلت ذا قىء الزنابير

ألا ترى كيف مدح وذم الشئ الواحد بتصريف التشبيه المجازى المضمر الاداة الذى خيل به الى السامع خيالا يحسن الشئ عنده تارة ويقبحه أخرى ولولا التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما أردناه (واعلم أن محاسن التشبيه) أن يجىء مصدريا كقولنا اقدم اقدام الاسد وفاض فيض البحر وهو أحسن ما استعمل فى باب التشبيه كقول

والى العرفاعرىفى والى القلانس قلنسى فان سميت به لم ترده تنسب الى كلاب كلابى والى أنمار أنمارى وتنسب العرب الى مافى الجسد من الاعضاء فيخالفون النسب الى الاب والبلد يقولون للعظيم الرأس رؤاسى وللعظيم الشفة شفاهى وايارى ويقولون جمالى ورقبانى وشعرانى وينسب الى الربيع ربعى والى الخريف خرفى بفتح الراء وقالوا أيضا خرفى بتسكين الراء والى صنعاء وبهراء صنعانى وبهرانى والقياس أن تكون بالواو وتنسب الى اليمن يمان والى الشام وتهامة شآم وتهام واذا نسبت الى اسم مصغر كانت فيه الهاء أولم تكن وكان مشهورا ألقيت الياء منه تقول فى جهينة ومزينة جهنى ومزنى وفى قريش قرشى وهذيل هذلى وسليم سلمى هـذا هو القياس الا ماأشذوا وكذلك اذا نسبت الى فعيل أوفعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا ألقيت منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول ربعى وبجلى وحنيفة حنفى وثقيف ثقفى وعتيك عتكى وان لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء فى الاول ولا الثانى وتنسب الى مثل عم وشج عموى وشجوى والى اسم وابن وامرئ واست سموى وستهى ومراى والى اثنين ثنوى والى أخت وبنت أخوى وبنوى ويقال أيضا أختى وبنتى والى سنة سنوى وان نسبت الى اسم قبل آخره ياء ثقيلة خففتها فتقول فى أسيد أسيدى وحمير حميرى

أبي نواس في وصف الخمر

واذا مامزجوها ✱ وثبت وثب الجراد ✱ واذا ما شربوها ✱ أخذت أخذ الرقاد

وقيل ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم ومن ههنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له فقال هامة عليها من الغمامة عمامة وأنملة خضبها الاصيل فكان الهلال منها قلامة وهذا الكاتب حفظ شيأ وغابت عنه أشياء فانه أخطأ في قوله أنملة وأي مقدار للانملة بالنسبة الى تشبيه حصن على رأس جبل وأصاب في المناسبة بين ذكر الانملة والقلامة وتشبيهها بالهلال ﴿فان قيل﴾ ان هذا الكاتب تأسى فيما ذكره بكلام الله تعالى حيث قال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فمثل نوره بطاقة فيها ذبالة وقال الله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فمثل الهلال بأصل عذق النخلة (فالجواب) عن ذلك أني أقول أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فان هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه أنه قال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية واذا نظرت الى هذا الوضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقي فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها واضاءتها وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لانه من أرض الحجاز التي لا تميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فانه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الاكدار منيرة من قبل مصافحة الانوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية (وأما الآية الاخرى) فانه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم وذلك في هيئة نحوله واستدارته لا في مقداره فان مقدار الهلال عظيم ولا نسبة للعرجون اليه لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقدارا وأما هذا الكاتب فان تشبيهه ليس على هذا النسق لانه شبه صورة الحصن بأنملة في المقدار لا في الهيئة والشكل وهذا غير حسن ولا مناسب وانما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الانملة فأخطأ من جهة وأصاب من جهة لكن خطؤه غطى على صوابه (والقول السديد) في بلاغة التشبيه هو ما أذكره وهو أن اطلاق من أطلق قوله في ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الاصغر بالاكبر غير سديد فان هذا قول غير حاصر للغرض المقصود لان التشبيه يأتي تارة في معرض المدح وتارة في معرض الذم وتارة في غير معرض مدح ولا ذم وانما يأتي قصد للابانة والايضاح ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر كما ذهب اليه من ذهب بل القول الجامع في ذلك أن يقال ان التشبيه لا يعمد اليه الا لضرب من المبالغة فاما أن يكون مدحا أو ذما أو بيانا وايضاحا ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة واذا كان الامر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظة أفعل فان لم تقدر فيه لفظة أفعل فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمر الاداة زيد أسد فقد شبهنا زيدا بالاسد الذي هو أشجع منه فان لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه والا كان التشبيه ناقصا اذ لا مبالغة فيه (وأما التشبيه المظهر الاداة) فكقوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه لان خلق السفن البحرية كبير وخلق الجبال أكبر منه وكذلك اذا شبه شيء حسن بشيء حسن فانه اذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة وان شبه قبيح بقبيح وهكذا ينبغي أن يكون المشبه به أقبح وان قصد البيان والايضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح فتقدر لفظة

وطيب طيبي

﴿باب ما لا ينصرف﴾

كل أسماء المؤنث لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة الا أن تكون في آخره ألف التأنيث مقصورة كانت أو ممدودة نحو صفراء وحمراء وحبلى وبشرى وحبارى فان ذلك لا ينصرف في معرفة ولا نكرة وما كان منها اسما على ثلاثة أحرف وأوسطه ساكن فمنهم من يصرفه ومنهم من لا يصرفه قال الشاعر

لم تتلفع بفضل مئزرها
دعد ولم تغذ دعد في العلب

فصرف ولم يصرف والاسماء الاعجمية لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة وما كان منها على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن نحو نوح ولوط فانه ينصرف في كل حال وترك بعضهم صرفه كما فعل بما كان في وزنه من أسماء المؤنث وأسماء الارضين لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة الا ما كان منها اسما مذكرا سمي به المكان فانهم يصرفونه نحو واسط وما كان منها على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن فان شئت صرفته وان شئت لم تصرفه قال الله عز وجل ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى اهبطوا مصرا وأسماء القبائل لا تنصرف تقول هذه تميم بنت مر وقيس بنت عيلان في المعرفة فاذا قلت بنو تميم وبنو سلول صرفت لانك أردت الاب وأسماء الاحياء مصروفة نحو قريش وثقيف وكل شيء لا يقال فيه بنو فلان وثمود وسبأ ان جعلا

أفعل لابد منه فيما يقصد به بلاغة التشبيه والا كان التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وقس عليه ﴿واعلم﴾ انه لا يخلو تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام اما تشبيه معنى بمعنى كالذى تقدم ذكره من قولنا زيد كالاسد وأما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون واما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة وهذا القسم أبلغ الاقسام الاربعة لتمثيله المعانى الموهومة بالصور المشاهدة واما تشبيه صورة بمعنى كقول أبى تمام

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا * فتك الصبابة بالمحب المغرم

فشبه فتكه بالمال وبالعدا وذلك صورة مرئية بفتك الصبابة وهو فتك معنوى وهذا القسم ألطف الاقسام الاربعة لانه نقل صورة الى غير صورة وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة المشار اليها لا يخلو التشبيه فيه من أربعة أقسام أيضا اما تشبيه مفرد بمفرد واما تشبيه مركب بمركب واما تشبيه مفرد بمركب واما تشبيه مركب بمفرد والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفرد يكون تشبيه شئ واحد بشئ واحد والمركب تشبيه شيئين اثنين بشيئين اثنين وكذلك المفرد بالمركب والمركب بالمفرد فان أحدهما يكون تشبيه شئ واحد بشيئين والآخر يكون تشبيه شيئين بشئ واحد ولست أعنى بقولى تشبيه شيئين بشيئين أنه لا يكون الا كذلك بل أردت تشبيه شيئين بشيئين فما فوقهما كقول بعضهم فى الخمر

وكأنها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشبه الحبب الذى فوقها بالكواكب (واذ بينت) أن التشبيه ينقسم الى تلك الاقسام الاربعة فانى أقول أن التشبيه المضمر الاداة قد قدمت القول فى أنه ينقسم الى خمسة أقسام فالقسم الاول لا يرد الا فى تشبيه مفرد بمفرد والقسم الثانى لا يرد الا فى تشبيه مفرد بمركب والقسم الثالث لا يرد الا فى تشبيه مركب بمركب والقسم الرابع والخامس لا يردان الا فى تشبيه مركب بمركب ألا ترى أنا اذا قلنا فى القسم الاول زيد أسد كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد واذا قلنا فى القسم الثانى ما مثلناه به من الخبر النبوى وهو الكمأة جدرى الارض كان ذلك تشبيه مفرد بمركب وكذلك بيت البحترى وبيت أبى تمام المشار اليهما فيما تقدم واذا قلنا فى القسم الثالث ما أشرنا اليه من الخبر النبوى أيضا الذى هو وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا قلنا فى القسم الرابع والخامس ما مثلنا به من بيتى الفرزدق والبحترى كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاءك شئ من التشبيه المضمر الاداة وهو من القسم الاول فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد واذا جاءك شئ من القسم الثانى فاعلم أنه تشبيه مفرد بمركب واذا جاءك شئ من القسم الثالث فاعلم أنه تشبيه مركب بمركب وكذلك اذا جاءك شئ من القسم الرابع والقسم الخامس فانهما من باب تشبيه المركب بالمركب ولنرجع الى ذكر ما أشرنا اليه أولا فى تقسيم التشبيه الى الاربعة الاقسام الاخرى التى هى تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمفرد (فالقسم الاول منها) كقوله تعالى فى المضمر الاداة وجعلنا الليل لباسا فشبه الليل باللباس وذلك أنه يستر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربا من عدو أو ثباتا لعدو أو اخفاء ما لا يحب الاطلاع عليه من أمره وهذا من التشبيهات التى لم يأت بها الا القرآن الكريم فان تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام

مذكرين صرفا وان أنثا لم يصرفا ومما جعلوه قبيلة فلم يصرفوه مجوس ويهود وكل اسم على فعلان مؤنثه فعلى فانه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وكذلك مؤنثه نحو عطشان وعطشى وريان وريى وغضبان وغضبى وما كان مؤنثه فعلانة فانه لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة نحو قولك رجل سيفان وامرأة سيفانة وهو الطويل الممشوق ورجل موتان الفؤاد وامرأة موتانة ونحو مرجان وطهمان وكذلك كل شئ كانت فى آخره ألف ونون زائدتان نحو عريان وعثمان وعثمان ان كانت نونه أصلية صرفته فى كل حال نحو دهقان من الدهقنة وشيطان من الشيطنة وسمان ان أخذته من السم لم تصرفه وان أخذته من السمن صرفته وتبان ان أخذته من التب لم تصرفه وان أخذته من التبن صرفته وكذلك حسان من الحس لا يصرف وان أخذته من الحسن صرفته وديوان نونه من الاصل فهو يصرف ورمان فعال فهو يصرف لان نونه لام الفعل ومران تصرفه لانه من المرانة سمى بذلك للينه وكل اسم على أفعل وهو صفة فانه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وذلك لان مؤنثه فعلاء فأجروه مجرى مؤنثه نحو أحمر وحمراء وأحول وأقرع فان كان ليس بصفة ولا مؤنثه فعلاء لم يصرف فى المعرفة وصرف فى النكرة نحو أفكل

المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فشبه المرأة باللباس للرجل وشبه الرجل باللباس للمرأة (ومن محاسن التشبيهات) قوله تعالى نساؤكم حرث لكم وهذا يكاد ينقله تناسبه من درجة المجاز الى الحقيقة والحرث هو الارض التى تحرث للزرع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعا كما يزدرع البذر فى الارض (ومن هذا الاسلوب) قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فشبه تبرأ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذلك انه لما كانت هوادى الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك أولى من أن لو قيل يخرج لان السلخ أدل على الالتحام من الاخراج وهذا تشبيه فى غاية المناسبة (وكذلك) ورد قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فشبه انتشار الشيب باشتعال النار ولما كان الشيب يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التى تشتعل فى الجسم وتسرى فيه حتى تحيله الى غير حاله الاولى وأحسن من هذا أن يقال أنه شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى سرعة التهابه وتعذر تلافيه وفى عظم الالم فى القلب به وانه لم يبق بعده الا الخمود فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به وذلك فى الغاية القصوى من التناسب والتلاؤم (وقد ورد فى الامثال) الليل جنة الهارب وهذا تشبيه حسن وكل ذلك من التشبيه المضمر الاداة ومما ورد منه شعرا قول أبى الطيب المتنبى

واذا اهتز للندى كان بحرا * واذا اهتز للوغى كان نصلا
واذا الارض أظلمت كان شمسا * واذا الارض أمحلت كان وبلا

فحرف التشبيه ههنا مضمر وتقديره كان كأنه بحر وكان كأنه نصل وكذلك يقال فى البيت الثانى كان كأنه شمس وكان كأنه وبل وهذا تشبيه صورة بصورة وهو حسن فى معناه وكذلك ورد قول أبى نواس وهو فى تشبيه الحبب

فاذا ما اعترضته العين من حيث استدارا * خلته فى جنبات الكأس واوات صغارا

وهذا تشبيه صورة بصورة أيضا وقد أبرز هذا المعنى فى لباس آخر فقال

واذا علاها الماء ألبسها * حببا شبيه جلاجل الحجل
حتى اذا سكنت جوانحها * كتبت بمثل أكارع النمل

ومن هذا قول البحترى

تبسم وقطوب فى ندى ووغى * كالرعد والبرق تحت العارض البرد

وهذا من أحسن التشبيه وأقربه الا أن فيه اخلالا من جهة الصنعة وهى ترتيب التفسير فان الاولى أن كان قدم تفسير التبسم على تفسير القطوب بأن كان قال كالبرق والرعد فانظر أيها المنتمى الى الفن كيف ذهب على البحترى مثل هذا الموضع على قربه مع تقدمه فى صناعة الشعر وليس فى ذلك كبير أمر سوى ان كان قدم ما أخر لا غير وانما يعذر الشاعر فى مثل هذا المقام اذا حكم عليه الوزن والقافية واضطر الى ترك ما يجب عليه وأما اذا كانت الحال كالتى ذكرها البحترى فحينئذ لا عذر له وسيأتى لذلك باب مفرد فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول البحترى

فى معرك ضنك تخال به القنا * بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

ومن تشبيه المفرد بالمفرد قول أبى الطيب المتنبى

خرجن من النقع فى عارض * ومن عرق الركض فى وابل
فلما نشفن لقين السياط * بمثل صفا البلد الماحل

وأيدع وكذلك ان كان اسما نحو أجدل وأسلم ويقولون رأيته عاما أول وعاما أولا فيجعل صفة وغير صفة وكل جمع ثالث حروفه ألف وبعد الالف حرفان فصاعدا فهو لا ينصرف فى المعرفة ولا فى النكرة نحو مساجد ومصابيح ومواقيت وقناديل ومحاريب الا أن يكون منه شئ فى آخره الهاء فينصرف نحو جحاجحة وصياقلة وقد تأتى الاسماء الاعجمية وغيرها على هذا الوزن فلا تصرف تشبيها بها نحو سراويل وشراحيل وحضاجر الضبع ومعافر من اليمن وأشياء لا تنصرف معرفة ولا نكرة لانها افعلاء وأسماء تنصرف لانها أفعال وكل اسم آخره ألف جمع أو تأنيث لم ينصرف نحو عرفاء وأصلحاء وأصفياء وأكرياء وأشباه ذلك وكل اسم فى أوله زيادة نحو يزيد ويشكر ويعصر وتغلب وأصبع وأبلم ويرمع وأثمد كل هذا لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة هذا اذا كان الاسم بالزيادة مضارعا للفعل فان لم يكن مضارعا للفعل صرفته نحو يربوع وأسلوب وأصليت ويعسوب وتعضوض وهو تمر وكل اسم عدل نحو أحاد وثناء وثلاث ورباع وموحد فهو لا ينصرف فى المعرفة ولا النكرة وما كان على فعل نحو عمر وزفر وقثم فهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة لانه معدول عن عامر وزافر وقاثم وما لم يكن معدولا انصرف نحو جعل وصرد

وقد حوى هذان البيتان قرب التشبيه مع براعة النظم وجزالة اللفظ

(وأما القسم الثاني) وهو تشبيه المركب بالمركب فما جاء منه مضمر الاداة ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة الى ايراده ههنا على نصه بل نذكر الغرض منه وهو أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك هذا وأشار الى لسانه فقال معاذ أونحن مؤاخذون عما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد ألسنتهم فقوله حصائد ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الالسنة وما تمضي فيه من الاحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الارض وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم (ومما ورد منه) شعرا قول أبي تمام

معشر أصبحوا حصون المعالي * ودروع الاحساب والاعراض

فقوله حصون المعالي من التشبيه المركب وذلك أنه شبههم في منعهم المعالي أن ينالها أحد سواهم بالحصون في منعها من بها وحمايته وكذلك قوله دروع الاحساب (وأما المظهر الاداة) فما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس فشبهت حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض وذلك تشبيه صورة بصورة وهو من أبدع ما يجيء في بابه (ومن ذلك أيضا) قوله تعالى في وصف حال المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون تقديره ان مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله فاتقى ما يخاف وأمن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في العذاب والنقمة (ومما ورد منه في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ وهو متصف بصفتين هما الايمان والقراءة بالاترجة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير القارئ (وقد جاءني شيء من ذلك) أوردته في فصل من كتاب أصف فيه البر والمسير فقلت ولم أزل أصل الزميل بالزميل وألف الضحى بالاصيل والارض كالبحر في سعة صدره والمطايا كالجواري راكدة على ظهره فكان الركب منها كمكانهم من الاكوار ومسيرهم فيها على كرة لا تستقر بها حركة الادوار (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول البحتري

خلق منهمو تردد فيهم * وليته عصابة عن عصابه
كالحسام الجراز يبقى على الدهـ * ـر ويفنى في كل حين قرابه

وكذلك ورد قول ابن الرومي

ادرك ثقاتك انهم وقعوا * في نرجس معه ابنة العنب

فهمو

وجزؤ وفرق ما بينهما ان المعدول لا تدخله الالف واللام وغير المعدول تدخله الالف واللام (والالقاب) اذا كانت مفردة أضفتها فقلت هذا قيس قفة وسعيد كرز وزيد بطة فان كان أحدهما مضافا جعلت أحدهما صفة للآخر على مذهب الاسماء والكنى كقولك زيد أبو عمرو وتقول هذا زيد وزن سبعة وهذا عبد الله بطة وكذلك هذا عبد الله وزن سبعة

﴿باب الاسماء المؤنثة التي لا اعلام فيها للتأنيث﴾

السماء والقوس والارض والحرب والذود من الابل ودرع الحديد فأما درع المرأة وهو قميصها فذكر وعروض الشعر وأخذت عروض ما تعجبني أي في ناحية والريح والرحم والغول والجحيم والنار والشمس والنعل والعصا والرحا والدار والضحاء

﴿باب ما يذكر ويؤنث﴾

الموسى قال الكسائي هي فعلى وقال غيره هو مفعل من أوسيت رأسه أي حلقته وهو مذكر اذا كان مفعلا ومؤنث اذا كان فعلى والدلو الاغلب عليها التأنيث والاضحى جمع اضحاة وهي الذبيحة وقد تذكر يذهب بها الى اليوم والسكين والسبيل والطريق والسوق واللسان من أنثه قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة والعسل والعاتق والذراع والمتن والكراع قال سيبويه الذراع مؤنثة وجمعها أذرع لا غير والحال

فهو بحال لو بصرت بها * سبحت من عجب ومن عجب
ريحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنيع الا أن تشبيه البحترى أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن صورة مشاهدة وذاك انما استنبطه استنباطا من خاطره واذا شئت أن تفرق بين صناعة التشبيه فانظر الى ما أشرت اليه ههنا فان كان أحد الشبيهين عن صورة مشاهدة والآخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم أن الذى هو عن صورة غير مشاهدة أصنع ولعمرى أن التشبيهين كليهما لابد فيهما من صورة تحكى لكن أحدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والآخر استنبطت له صورة لم تشاهد فى تلك الحال وانما الفكر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومى نظر الى النرجس والى الخمر فشبه وأما البحترى فانه مدح قوما بأن خلق السماح باق فيهم ينتقل عن الاول الى الآخر ثم استنبط لذلك تشبيها فأداه فكره الى السيف وقربه التى تفنى فى كل حين وهو باق لا يفنى بفنائها ومن أجل ذلك كان البحترى أصنع فى تشبيهه (وسأورد ههنا من كلامى نبذة يسيرة فمن ذلك) ما كتبته من جملة كتاب الى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة فقلت وأحاط بها العدو احاطة الشفاه بالثغور ونزل عليها نزول الظلماء على النور وهذا من التشبيهات المناسبة ثم لما جئت الى ذكر قتال المسلمين اياه وازالته عن جانب الثغر قلت وقد اصطدم من الاسلام والكفر ابنا شمام والتقى من عجاجتهما ظلام وعند ذلك أخذ العدو فى التحيز الى جانب وكان كحاجب على عين فصار كمين فى حاجب واذا زعزع البناء فقد هوى واذا قبض من طرف البساط فقد انطوى وهذا التشبيه فى مناسبته كالاول بل أحسن (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وما شبهت كتابه فى وروده وانقباضه الا بنظر الحبيب فى اقباله واعراضه وكلا الامرين كالسهم فى ألم وقعه وألم نزعه والمشوق من استوت صبابته فى حالتى وصله وقطعه وما أزال على وجل من ارسال كتبه واحجامها واشتباه لمها بالمامها (ومما جاء من هذا القسم) فى الشعر قول بكر بن النطاح

تراهم ينظرون الى المعالى * كما نظرت الى الشيب الملاح
يحدون العيون الى شذرا * كأنى فى عيونهم السماح

وهذا بديع فى حسنه بليغ فى تشبيهه (وعلى هذا النهج) ورد قول أبى تمام

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا * كالحسن شيب لمغرم بدلال

وهذا من غريب ما يأتى فى هذا الباب وقد تغالت شيعة أبى تمام فى وصف هذا البيت وهو لعمرى كذلك ومن هذا القسم أيضا قوله

كم نعمة لله كانت عنده * فكأنها فى غربة واسار
كسيت سبائب لومه فتضاءلت * كتضاؤل الحسناء فى الاطمار

(وكذلك قوله)

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج فى الطلب

وعلى هذا الاسلوب ورد قول على بن جبلة

اذا ما تردى لأمة الحرب أرعدت * حشا الارض واستدمى الرماح السوارع
وأسفر تحت النقع حتى كأنه * صباح مشى فى ظلمة الليل طالع

وقد أحسن على بن جبلة فى تشبيهه هذا كل الاحسان وكمثله فى الحسن قوله أيضا فى تشبيه

والقليب والسلاح والصاع والازار والسراويل والعرف والعنق والفهر والسلم وهو الصلح والخمر والسلطان

﴿باب ما يكون للذكور والاناث وفيه علم التأنيث﴾

السخلة تكون للذكر والانثى والبهمة كذلك والجداية الرشاء والعسبارة ولد الضبع من الذئب هذا كله الذكر والانثى فيه سواء وكذلك الحية والعرب تقول فلان حية ذكر وكذلك الشاة والشاة أيضا الثور من الوحش قال الشاعر

فلما أضاء الصبح قام مبادرا
وكان انطلاق الشاة من حيث خيما

وبطة وحمامة ونعامة تقول هذه نعامة ذكر حتى تقول ظليم وكل هذا يجمع بطرح الهاء الا الحية فانه لا يقال فى جمعها حى

﴿باب أوصاف المؤنث بغير هاء﴾

ما كان على فعيل نعتا للمؤنث وهو فى تأويل مفعول كان بغير هاء نحو كف خضيب وملحفة غسيل وربما جاءت بالهاء يذهب بها مذهب النعوت نحو الذبيحة والنطيحة والفريسة وأكيلة السبع يقال شاة ذبيح كما يقال ناقة كسيرة وتقول هذه ذبيحتك وذلك انك لم ترد ان تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى انك تقول هذا وهى حية وانما هى بمنزلة ضحية وكذلك شاة رمى اذا رميت وتقول بئس الرمية الارنب انما تريد بئس الشئ مما يرمى الارنب فهذه بمنزلة الذبيحة وقالوا ملحفة جديد لانها فى تأويل

الحبب فوق الخمر ترى فوقها عند المزاج * تباذير لا يتصلن اتصالا
كوجه العروس اذا خططت * على كل ناحية منه خالا

ومن هذا القسم قول مسلم بن الوليد

تلقى المنية في أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

وعلى هذا الاسلوب ورد قول العباس بن الاحنف

لا جزى الله دمع عيني خيرا * وجزى الله كل خير لساني
نم دمعي فليس يكتم شيأ * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع (ويروى أن أبا نواس) لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما في رهط من الادباء وتذكروا منازه بغداد فأنشد مرتجلا

ذكر الكرخ نازح الاوطان * فصبا صبوة ولات أوان

ثم أتم ذلك قصيدا امدح به الخصيب فلما عاد الى بغداد دخل عليه العباس بن الاحنف وقال أنشدني شيأ من شعرك بمصر فأنشده ذكر الكرخ نازح الاوطان فلما استتم الابيات قال له لقد ظلمك من ناواك وتخلف عنك من جاراك وحرام على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك فقال له أبو نواس وأنت أيضا يا أبا الفضل تقول هذا ألست القائل لا جزى الله دمع عيني خيرا وأنشد الابيات ثم قال ومن الذي يحسن أن يقول مثل هذا (ومن تشبيه المركب بالمركب) قول البحتري

جدة يذود البخل عن أطرافها * كالبحر يمنع ملحه عن مائه

وهذا من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله

وتراه في ظلم الوغى فتخاله * قمرا يكر على الرجال بكوكب

وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه العجاج بالظلمة والممدوح بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر وكذلك ورد قوله

يمشون في زغف كأن متونها * في كل معركة متون نهاء
بيض تسيل على الكماة فضولها * سيل السراب بقفرة بيداء
فاذا الاسنة خالطتها خلتها * فيها خيال كواكب في ماء

فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمنا تشبيه المركب بالمركب وانما جئنا بالبيت الاول سياقة الى معناهما وهو من التشبيه الذي أحسن فيه البحتري وأغرب (ومن هذا الباب) ما ورد لبعض الشعراء في وصف الخمر فقال

كانت سراج أناس يهتدون بها * في سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز في الكأس من ضعف ومن هرم * كأنها قبس في كف مقرور

وقد يندر للناظم أو الناثر شيء من كلامه يبلغ الغاية التي لا أمد فوقها وهذان البيتان من هذا القبيل (ومن أغرب ما سمعته في هذا الباب) قول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة

فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(القسم الثالث) في تشبيه المفرد بالمركب (فمما ورد) منه قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استجادا

مجدودة أي مقطوعة حين قطعها الحائك يقال جددت الشيء أي قطعته وأنشد

أبى حبي سليمى أن يبيدا
وأمسى حبلها خلقا جديدا

أي مقطوعا فاذا لم يجز فيه مفعول فهو بالهاء نحو مريضة وكبيرة وصغيرة وظريفة وجاءت أشياء شاذة قال ناقة سديس وريح خريق وكتيبة خصيف ذات لونين وان كان فعيل في تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو كريمة وعليمة ورحيمة وشريفة وعتيقة في الجمال وسعيدة واذا كان فعول في تأويل فاعل كان بغير هاء نحو امرأة صبور وشكور وقدور وقرور وكفور وكنور وقد جاء حرف شاذ قالوا هي عدوة الله قال سيبويه شبهوا عدوة بصديقة واذا كان في تأويل مفعول بها جاءت بالهاء نحو الحمولة والمركوبة والحلوبة والجلوبة الواحد والجميع والمذكر والمؤنث فيه سواء تقول هذا الجمل ركوبتهم وأكولتهم (وما كان على مفعيل فهو بغير هاء) نحو امرأة معطير ومنشير من الاشر وفرس محضير وشذ حرف فقالوا امرأة مسكينة شبهوها بفقيرة (وما كان على مفعال) فهو بغير هاء نحو امرأة معطار ومجبال في الخلق أي سمينة ومتفال وكذلك مفعل نحو امرأة مرجم (وما كان على مفعل) مما لا يوصف به مذكر فهو بغير هاء نحو امرأة مرضع ومقرب وملبن ومشدن ومطفل لأنه لا يكون هذا في المذكر فلما لم

فقالت

فقلت وهو اذا استصرخ أصرخ بعزم كالشهاب في رجمه وهمة كالقوس الممتلئ بنزع سهمه ويرى أن صريخه لم يخب وأنه اذا لم يجبه بالسيف فكأنه لم يجب فهو مغري جواده وحسامه ومسمع العدو صرير رمحه قبل قعقعة لجامه (وكذلك) أيضا ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان أذم الفراق فقلت والفراق شي لا كالاشياء وصاحبه ميت لا كالاموات وحي لا كالاحياء وما أراه الا كنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وما يجعل صاحبها في ضحضاح منها الا تواتر الكتب التي تقيه بعض الوقاء وتقوم له وان لم يسق مقام الاسقاء (وأما ما ورد منه في الشعر) فكقول أبي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة له

خذها مثقفة القوافي ربها * لسوابغ النعماء غير كنود

كالدر والمرجان ألف نظمه * بالشذر في عنق الفتاة الرود

وكذلك ورد قول البحتري وهو من جملة قصيدته المشهورة التي وصف فيها الفرس والسيف وأولها * أهلا بذلكم الخيال المقبل * فقال فيها من أبيات تضمنت وصف السيف بيتا أجاد في تشبيهه

وكأنما سود النمال وحمرها * دبت بأيد في قواه وأرجل

فشبه فرند السيف بدبيب النمل سوده وحمرها وذلك من التشبيه الحسن (وأما ما ورد منه مضمر الاداة) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن العزل فقال هو الوأد الخفي وهذا تشبيه بليغ والوأد هو ما كانت العرب تفعله في دفن البنات أحياء فجعل العزل في الجماع كالوأد الا أنه خفي وذلك أنهم كانوا يفعلون بالبنات ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل في الجماع فانما يفعل ذلك هربا من الولد (وكذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم هو الوأدة الصغرى وهذا من الحسن الى غاية تغض لها العيون طرفها ولا ينتهي الوصف اليها فيكون ترك وصفها كوصفها (ومما جاءني من ذلك) فصل من جملة كتاب ضمنته وصف القلم فقلت جدع أنفه فصار في الكيد قصيرا وأرهف صدره فصار في المضاء عضبا شهيرا وقمص لباس السواد وهو شعار الخطباء فنطق بفصل الخطاب ونكس رأسه وهي صورة الاذلال فاختال في مشيه من الاعجاب وأوحي اليه بنجوى الخواطر وهو الاصم فأفضى بما سمعه الى الكتاب وهذه الاوصاف غريبة جدا ومن أغربها ذكر قصير عند جدع الانف (وأما القسم الرابع) وهو تشبيه المركب بالمفرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة الى الاقسام الثلاثة وليس ذلك الا لعدم النظير بين المشبه والمشبه به وعلى كثرة ما حفظته من الاشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم الا مثالا واحدا وهو قول أبي تمام في وصف الربيع

يا صاحبي تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو مقمر

فشبه النهار المشمس مع الزهر الابيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة (وربما اعترض في هذا الموضع معترض) وقال انك أوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فان تشبيه شيئين بشيء واحد كثير كقول أبي الطيب المتنبي

تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم

فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم (الجواب عن ذلك) اني أقول هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته فاني أردت أن يشبه شيآن هما كشيء واحد في

يخافوا البساحة ذفوا الهاء فاذا أرادوا الفعل قالوا مرضعة قال الله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقال آخر يقال امرأة مرضع اذا كان لها ابن ورضاع ومرضعة اذا أرضعت ولدها (وما كان على فاعل) مما لا يكون للمذكر فيه حظ فهو بغير هاء قالوا امرأة طالق وحامل وطامث وقد جاءت أشياء على فاعل تكون للمذكر والمؤنث فلم يفرقوا بينهما فيها قالوا جمل ضامر وناقة ضامر ورجل عاشق وامرأة عاشق ورجل عاقر وامرأة عاقر ورجل عانس وامرأة عانس اذا طال مكثهما لا يزوجان ورأس ناصل من الخضاب ولحية ناصل ورجل نازع الى وطنه وناقة نازع فاذا أرادوا الفعل قالوا طالقة وحاملة قال الاعشى

أيا جارتي بيني فانك طالقه
كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وقد يأتي فاعل وصفا للمؤنث بمعنيين فتثبت الهاء في أحدهما وتسقط من الآخر للفرق بين المذكر والمؤنث فيقال امرأة طاهر من الحيض وطاهرة نقية من العيوب لانها مفردة بالطهر من الحيض لا يشركها فيه المذكر ويشركها في الطهارة من العيوب (وكذلك) امرأة حامل من الحبل وحاملة على ظهرها وامرأة قاعد اذا قعدت عن الحيض وقاعدة من القعود وقالوا والدة للام لان الاب والد ففرقوا بالهاء بينهما ومما قد فرقوا فيه بين المؤنثين فأثبتوا الهاء في احداهما وأسقطوها

الاشتراك بشئ واحد ألا ترى أن نور الشمس مع بياض الزهر وهما شيآن مشتركان قد شبها بضوء القمر وأما هذا البيت الذي لأبي الطيب المتنبي فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشئ واحد لانه شبه اشراق الاعراض واشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما أردته أنا لكن ينبغي أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين أحدهما تشبيه شيئين مشتركين بشئ واحد كالذي أوردته لأبي تمام وهو قليل الاستعمال والآخر تشبيه شيئين منفردين بشئ واحد كالذي ذكرته آنفا لأبي الطيب المتنبي وهو كثير الاستعمال (واذ ذكرنا أقسام التشبيه) وبينا المحمود منها الذي ينبغي اقتفاء أثره واتباع مذهبه فلنتبعه بضده مما ينبغي اجتنابه والاضراب عنه على أنه قد قدمنا القول بأن حد التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به فاذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذي يطرح ولا يستعمل والذي يرد منه مضمر الاداة لا يكون الا في القسم الواحد من أقسام المجازي وهو التوسع وقد قدمت القول في ذلك في أول باب الاستعارة وضربت له أمثلة منها قول أبي نواس

مالرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فجعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد ولا حاجة الى اعادة ذلك الكلام ههنا بجملته لكن قد أشرت اليه اشارة خفيفة (ومن أقبح ما سمعته من ذلك) قول أبي تمام

وتقاسم الناس السخاء مجزأ * وذهبت أنت برأسه وسنامه
وتركت للناس الاهاب وما بقي * من فرثه وعروقه وعظامه

والقبح الفاحش في البيت الثاني وكل هذا التعسف في التشبيه البعيد دندنة حول معنى ليس بطائل فان غرضه أن يقول ذهبت بالاعلى وترك للناس الادنى أو ذهبت بالجيد وتركت للناس الردئ وقد عيب عليه قوله

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائي

وقيل أنه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما بهذا التشبيه عندي من بأس بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد من وجه أما سبب قربه فهو أن الملام هو القول الذي يعنف به الملوم لامر جناه وذلك مختص بالسمع فنقله أبو تمام الى السقيا التي هي مختصة بالحلق كأنه قال لا تذقني الملام ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا لكنه جاء بذكر الماء فحط من درجته شيأ ولما كان السمع يتجرع الملام أولا أولا كتجرع الحلق الماء صار كأنه شبيه به وهو تشبيه معنى بصورة وأما سبب بعد هذا التشبيه فهو أن الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه فهذا التشبيه ان بعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا لهذا ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم (وقد روى) وهو رواية ضعيفة أن بعض أهل المجانة أرسل الى أبي تمام قارورة وقال ابعث في هذه شيأ من ماء الملام فأرسل اليه أبو تمام وقال اذا بعثت الي ريشة من جناح الذل بعثت اليك شيأ من ماء الملام وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام فان الجناح للذل مناسب وذلك أن الطائر اذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الارض وللانسان أيضا جناح فان يديه جناحاه واذا خضع واستكان طأطأ من رأسه وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيها مناسبا وأما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه (وأما التشبيه المضمر الاداة) من هذا الباب فقد أوردت له أمثلة يستدل بها على أشباهه وأمثاله فانا ذكر

المثال

من الاخرى قولهم ناقة جبار اذا عظمت وسمنت والجميع جبابير ونخلة جبارة اذا فاتت الايدي وبلدة ميت لانبات بها وميتة بالهاء للحيوان وقالوا امرأة ثيب ورجل ثيب وامرأة بكر ورجل بكر وامرأة أيم لا زوج لها ورجل أيم لا امرأة له وهذا فرس كميت للذكر وهذه فرس كميت للانثى وفرس جواد وبهيم للمذكر والمؤنث وامرأة وقاح الوجه وكذلك الرجل وكل عليك ومحب لك وهي قرنك في السن وقرنك في الشدة وامرأة مغيبة بالهاء ومشهد بغير هاء وعبد قن وأمة قن والرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل لا تكاد العرب تقول زوجته قال الله تبارك اسمه اسكن أنت وزوجك الجنة ورجل جنب وامرأة جنب وعدل ورضى مثله وتقول المرأة شاهدى ووصيي وضيفي ورسولي وخصمي وكذلك الاثنان والجميع

باب المستعمل في الكتب والالفاظ من الحروف المقصورة

الهوى هوى النفس والندى ندى الارض وندى الجود والحفي من حفيت الدابة والشجي في الحلق والشجي الحزن والكرى النوم والاذى والقذى في العين والخنى الفحش والضنى المرض والردى الهلاك والطوى الجوع واللوى مصدر لويت والاسى الحزن والونى من ونيت والعمى في العين والقلب والجنى جنى الثمرة والصدى العطش والشرى في الجسد والضوى الهزال والنوى

المثال فائدة لاتكون لذكر الحد وحده فمن ذلك قول بعضهم

ملاحاجبيك الشيب حتى كأنه * ظباء جرت منها سنيح وبارح

وكذلك قول الآخر يصف السهام

كساها رطيب الريش فاعتدلت له * قداح كأعناق الظباء الفوارق

فانه شبه السهام بأعناق الظباء وذلك من أبعد التشبيهات وعلى نحو منه قول الفرزدق

يمشون فى حلق الحديد كما مشت * جرب الجمال بها الكحيل المشعل

فشبه الرجال فى دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البعيد لانه ان أراد السواد فلا مقاربة بينهما فى اللون لان لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك سميت السيوف بالبيض ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه سخيف (ومن التشبيهات الباردة) قول أبى الطيب المتنبى

وجرى على الورق النجيع القانى * فكأنه النارنج فى الاغصان

وهذا تشبيه ينكره أهل التحسيم واذا قسمت التشبيهات بعد البعد والبرد جاز اطرف فى ذلك التقسيم وأبشع من هذا قول أبى نواس فى الخمر

كان بواسارروا كدحولها * وزرق سنانير تدير عيونها

(والعجب) أنه يقول مثل هذا الغث الذى لا ملاءمة بينه وبين ماشبه به ويقرنه بالبديع البارد الذى أحسن فيه وأبدع وهو

كأنا حلول بين أكناف روضة * اذا ماسلبناها مع الليل طينها

فانظر كيف قرن بين ورده وسعدانه لا بل بين بعره ومرجانه وقد أكثر فى تشبيه الخمر فأحسن فى موضع وأساء فى موضع ومن اساءته قوله أيضا فى أبيات لامية

واذا ما الماء واقعها * أظهرت شكلا من الغزل

لؤلؤات يتحدرن بها * كانحدار الذر من جبل

فشبه الحبب فى انحداره بنمل صغار يتحدر من جبل وهذا من البعد على غاية لا يحتاج الى بيان وايضاح (واعلم) أن من التشبيه ضربا يسمى الطرد والعكس وهو أن يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع على الاصول ولا تجد شيأ من ذلك الا والغرض به المبالغة (فمما جاء من ذلك) قول ذى الرمة

ورمل كأرداف العذارى قطعته * اذا ألبسته المظلمات الحنادس

ألا ترى الى ذى الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك أن العادة والعرف فى هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء وهو مطرد فى بابه فعكس ذو الرمة القصة فى ذلك فشبه كثبان الانقاء بأعجاز النساء وانما فعل ذلك مبالغة أى قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاعجاز النساء وصار كأنه الاصل حتى شبهت به كثبان الانقاء وعلى نحو من هذا جاء قول البحترى

فى طلعة البدر شئ من محاسنها * وللقضيب نصيب من تثنيها

وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز فى قصيدته المشهورة التى أولها

سقى المطيرة ذات الطل والشجر * فقال فى تشبيه الهلال

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

ولما شاع ذلك فى كلام العرب واتسع صار كأنه هو الاصل وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جنى فى كتاب الخصائص وأورده هكذا مهملا (ولما نظرت أنا فى ذلك) وأنعمت نظرى فيه تبين لى ما أذكره وهو أنه قد تقرر فى أصل الفائدة

مانويت من قرب أو بعد والتوى توى المال والهدى والوجى الظلع والصرى الماء المجتمع والثرى التراب الندى والجوى داء فى الجوف والسرى سير الليل والسلى سلى الناقة ومنى مكة والمدى الغاية والصدى الطائر يقال انه ذكر البوم والنسى عرق فى الفخذ وطوى اسم واد والوغى الحرب والورى الخلق وأنا فى درى فلان والمعى واحد الامعاء والحجى العقل والنهى والحشى واحد احشاء الجوف ومكانا سوى هذا كله يكتب بالياء (ومما يكتب بالالف) العصا وقفا الانسان والقرا الظهر ونثا الحديث والقنا فى الانف والرماح والعشا فى العين وخسا وزكا وهما الزوج والفرد ومنا من الوزن رطلان والصغا ميلك الى الرجل وقطا فى الجمع والهاجع لهاة وقطاة وشجر الغضا والفلا جمع فلاة

﴿باب اسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها﴾

هوى النفس مقصور ويكتب بالياء والهواء الجو ممدود ورجا البئر مقصور بالالف والرجاء من الطمع ممدود والصفا الصخر مقصور بالالف والصفاء من المودة والشئ الصافى ممدود والفتى واحد الفتيان مقصور بالياء والفتاء من السن ممدود قال الشاعر

اذا عاش الفتى مائتين عاما
فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وسنا البرق مقصور بالالف وسناء المجد ممدود والثرى التراب

المستنتجة من التشبيه أن يشبه الشئ بما يطلق عليه لفظة أفعل أى يشبه بما هو أبين وأوضح أو بما هو أحسن منه أو أقبح وكذلك يشبه الاقل بالاكثر والادنى بالاعلى وهذا الموضع لا ينقض هذه القاعدة لان الذى قدمناذكره مطرد فى بابه وعليه مدار الاستعمال وهذا غير مطرد وانما يحسن فى عكس المعنى المتعارف وذاك أن تجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به ولا يحسن فى غير ذلك مما ليس بمتعارف ألا ترى أن من العادة والعرف أن تشبه الاعجاز بالكثبان فلما عكس ذو الرمة هذه القضية فى شعره جاء حسنا لائقا وكذلك فعل البحترى فان من العادة والعرف أن يشبه الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس البحترى القضية فى ذلك جاء أيضا حسنا لائقا ولو شبه ذو الرمة الكثبان بما هو أصغر منها غير الاعجاز لما حسن ذلك وهكذا لو شبه البحترى طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير قدها لما حسن ذلك أيضا وهكذا القول فى تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال بالقلامة لان من العادة أن تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه

﴿النوع الثالث فى التجريد﴾ وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد فى الكلام حسن ثم سكت فسألته عن حقيقته فقال كذا سمعت ولم يزد شيأ فأنعمت حينئذ نظرى فى هذا النوع من الكلام فألقى فى روعى أنه ينبغى أن يكون كذا وكذا وكان الذى وقع لى صوابا ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل الى ما ذكره أبو على الفارسى رحمه الله تعالى وقد أوردته ههنا وذكرت ما أتيت به من ذات خاطرى من زيادة لم يذكرها وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامى (فأما حد التجريد) فانه اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه لان أصله فى وضع اللغة من جردت السيف اذا نزعته من غمده وجردت فلانا اذا نزعت ثيابه ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم لا مد ولا تجريد وذلك فى النهى عند اقامة الحد أن يمد صاحبه على الارض وأن تجرد عنه ثيابه وقد نقل هذا المعنى الى نوع من أنواع علم البيان (وقد تأملته فوجدت له فائدتين) احداهما أبلغ من الاخرى (فالاولى) طلب التوسع فى الكلام فانه اذا كان ظاهره خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك فان ذلك من باب التوسع وأظن أنه شئ اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات (والفائدة الثانية) وهى الابلغ وذلك أنه يتمكن المخاطب من اجراء الاوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه اذ يكون مخاطبا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه (وعلى هذا فان التجريد ينقسم قسمين) أحدهما تجريد محض والآخر تجريد غير محض (فالاول) وهو المحض أن تأتى بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك وذلك كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحيص بيص فى مطلع قصيدة له

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
كتمت بعيب الشعر حلما وحكمة * ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـمقال ومحيى الدارسات الغوابر
وانك أعييت المسامع والنهى * بقولك عما فى بطون الدفاتر

فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كى يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعد ما عده من الفضائل التائهة وكل ما يجئ من هذا القبيل فهو التجريد المحض (وأما ما قصد به التوسع خاصة) فكقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

الندى مقصور بالياء والثراء الغنى ممدود والغنى من السعة مقصور والغناء من الصوت ممدود والخلا الرطب الحشيش مقصور بالالف والخلاء من الخلوة ممدود والعشا فى العين مقصور بالالف والعشاء والغداء ممدودان والعرا الفناء الساحة مقصور يكتب بالالف والعراء ممدود المكان الخالى والحفى حفى القدم والحافر اذا رقا مقصور بالياء والحفاء مشى الرجل حافيا بلا خف ممدود والنقا من الرمال مقصور يكتب بالالف لانه يقال فى تثنيته نقوان ونقيان والنقاء من النظافة ممدود والحيا الغيث والخصب مقصور بالالف والحياء من الناقة ومن الاستحياء ممدودان والصبى من الصغر مقصور بالياء والصباء من الشوق ممدود وصبا الريح مقصور بالالف والملا من الارض مقصور بالالف والملاء من قولك غنى ملئ ممدود والجدا من العطية مقصور والجداء ممدود الغناء تقول هو قليل الجداء عنى والعدى الاعدا مقصور بالياء والعداء الموالاة بين الشيئين ممدود

﴿باب حروف المد المستعمل المكسور الاول﴾

الرداء وسلاء السمن والحذاء من النعال والمحاذاة ورثاء الناس وهجاء الحروف والشعر والسقاء والرشاء الحبل والكساء والحباء العطية والنداء من ناديت والشتاء والبغاء والخصاء والكراء والشفاء والوجاء نحو من الخصاء

فاحسن أن تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا

وقد ورد بعد هذين البيتين مايدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لانه قال

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن يصدعا

بنفسى تلك الارض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمتربعا

فانتقل من الخطاب التجريدى الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضى عليه بالتوسع وانما كان يقضى عليه بالتجريد البليغ الذى هو الطرف الآخر ويتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أن ينفى عن نفسه سمعة الهوى ومعرة العشق لما فى ذلك من الشهرة والفضاضة لكن قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أولا الى خطاب النفس وعلى هذا الاسلوب ورد قول أبى الطيب المتنبى

لاخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

واجز الامير الذى نعماه فاجئة * بغير قول ونعمى القوم أقوال

وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح بها فاتكا الاخشيدى بمصر وكان وصله بصلة سنية من نفقة وكسوة قبل أن يمدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهى من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك اياه بالصلة قبل المديح وليس فى التجريد المذكور فى هذين البيتين مايدل على وصف النفس ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد فى الابيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع لاغير (وأما القسم الثانى) وهو غير المحض فانه خطاب لنفسك لا لغيرك ولئن كان بين النفس والبدن فرق الا أنهما كأنهما شئ واحد لعلاقة أحدهما بالآخر وبين هذا القسم والذى قبله فرق ظاهر وذلك أولى بأن يسمى تجريدا لان التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لانك لم تجرد به عن نفسك شيأ وانما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهى منك (فمما جاء منه) قول عمرو بن الاطنابة

أقول لها وقد جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحى

وكذلك قوله الآخر

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد

وليس فى هذا مايصلح أن يكون خطابا لغيرك كالاول وانما المخاطب هو المخاطب بعينه وليس ثم شئ خارج عنه (وأما الذى ذكره أبو على الفارسى رحمه الله) فانه قال ان العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لتسألن منه البحر وهو عينه الاسد والبحر لا أن هناك شيأ منفصلا عنه أو متميزا منه ثم قال وعلى هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما قال الاعشى

وهل تطيق وداعا أيها الرجل * وهو الرجل نفسه لاغيره هذا خلاصة ماذكره أبو على رحمه الله (والذى عندى فيه) أنه أصاب فى الثانى ولم يصب فى الاول لان الثانى هو التجريد الا ترى أن الاعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريدها وأما الاول وهو قوله لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لتسألن منه البحر فان هذا تشبيه مضمر الاداة اذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه وبيان ذلك أنك تقول لئن لقيت فلانا لتلقين منه كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر وليس هذا بتجريد لان حقيقة التجريد غير موجودة فيه وانما هو تشبيه مضمر الاداة ألا ترى أن المذكور هو كالاسد وهو كالبحر وليس ثم شئ مجرد عنه كما تقدم

والاذاء والطلاء والهناء والبغاء الزناء وخل بطاء ووكاء القربة والاناء الذى يشرب فيه وجلاء المرآة والسيف وفعلت ذلك ولاء وهداء العروس وأصابهم سباء والغذاء من الطعام وفناء الدار والوعاء والاخاء والاساء الاطباء والقثاء والحناء وحراء جبل بمكة وسحاء القرطاس جمع سحاة والدماء ولحاء الشجر والرواء الحبل والعفاء الريش والطلاء الشراب والغطاء والعشاء وقت صلاة العتمة والخفاء الكساء والجلاء مصدر جلوت العروس والشواء والمراء والاباء والكفاء من التكفؤ واللحاء الملاحاة وبالرفاء والبنين والغشاء واللقاء هذا كله مكسور الاول ﴿وهو من الممدود المفتوح الاول﴾ العطاء والغناء والسماء والثناء والفناء والبقاء والنماء والهباء وبرح الخفاء والغلاء وداء عياء والبذاء والبهاء ورجاء الخراج تيسر جبايته والوطاء والزماء بقية النفس والوفاء والقضاء والشقاء واللقاء والعزاء والبلاء والحساء والولاء فى العتق والزكاء والرخاء والدهاء وعليه العفاء والفضاء والعناء والدواء والجفاء والثواء والخلاء من الخلوة والخلاء أيضا المتوضأ والجلاء الامر الجلى وكذلك هو من الخروج عن الموضع والجزاء والوجاء من توجيت والبداء من بدأ له فى الامر والنجاء مصدر نجوت والعراء والوضاء الحسن والذكاء من ذكوت والقواء من أقوى المنزل والغثاء من غثا العود يغثو والقساء

في الابيات الشعرية ويبطل على أبي علي قوله أيضا من وجه آخر وذلك أنه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو كالمثال الذي مثله في تشبيهه بالاسد وتشبيهه بالبحر وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الاسد لترين منه هضبة ولئن لقيته لتلقين منه الموت فان الصورة التي أوردها في الانسان وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردناه مثلها في الاسد فتخصيصه ذلك بالانسان باطل وكلا الصورتين ليس بتجريد وانما هو تشبيه مضمر الاداة وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تطلق الخطاب على غيرك ولا يكون هو المراد وانما المراد نفسك وهذا لا يوجد في هذا المثال المضمر الاداة بل المخاطب هو هو لا غيره فلا يطلق عليه اذا اسم التجريد لانه خارج عن حقيقته ومناف لموضوعه فاذا قال القائل لئن لقيته لتلقين به كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر لم يجرد عن المقول عنه شيأ وانما شبهه تارة بالاسد في شجاعته وتارة بالبحر في سخائه وما أعلم كيف ذهب هذا على مثل أبي علي رحمه الله حتى خلطه بالتجريد وأجراه مجراه وأما قوله ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فأقول وغير العرب أيضا تعتقد ذلك فان عني بالمعنى الكامن معنى الانسانية الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع فما هذا من الشيء الغريب الخفي الذي علمته العرب خاصة وانفرد باستخراجه أبو علي رحمه الله وان عني بالمعنى الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخاء في المثال الذي ذكره حتى يشبه بالاسد تارة وبالبحر أخرى فليس الانسان مختصا بهذا المعنى الكامن دون غيره من الحيوانات بل الاسد فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الانسان ولهذا اذا بولغ في وصف الانسان بالشجاعة شبه بالاسد وكذلك في بعض الحيوانات من السخاء ما ليس في الانسان ومن الامثال أكرم من ديك لانه اذا ظفر بحبة من الحنطة أخذها في منقاره وطاف بها على الدجاج حتى يضعها في منقار واحدة منهن فالاخلاق اذا مشتركة بين الانسان وبين غيره من الحيوانات غير أن الانسان يجتمع فيه ما تفرق في كثير منها وما أعلم ما أراد أبو علي رحمه الله بقوله ان في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله الا أن يكون أحد هذين القسمين اللذين أشرت اليهما على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة والسخاء وغيره من الاخلاق ليس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال في حده حيوان شجاع ولا سخي بل يقال حيوان ناطق فالنطق الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع هو حقيقة الانسان فبطل اذا قول أبي علي رحمه الله في تمثيله حقيقة الانسان بالشجاعة والسخاء فالخطأ توجه في كلامه من وجهين أحدهما أنه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والآخر أنه أدخل في التجريد ما ليس منه وهذا القدر كاف في هذا الموضع فليتأمل

﴿النوع الرابع في الالتفات﴾ وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن واليها تستند البلاغة وعنها يعنعن وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقالات من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلا ويسمى أيضا شجاعة العربية وانما سمي بذلك لان الشجاعة هي الاقدام وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورده سواه وكذلك هذا الالتفات في الكلام فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات (وهو ينقسم

الى

من قسوة القلب والعداء الظلم والاناء من التأخير وسواء الشيء وسطه والعباء جمع عباءة والعظاء جمع عظاءة والاشاء جمع اشاءة وهي النخل الصغار ﴿ومن الممدود المضموم أوله﴾ الدعاء والحداء والرغاء والبكاء والثغاء والمكاء والضغاء والعواء (وكل الاصوات ممدود مضموم الاول) الا ان الغناء والنداء مكسوران والغثاء والجفاء ما رماه الوادي وزقاء الديك والمكاء الصفير والمكاء مشدد طائر والرخاء الريح اللينة والملاء جمع ملاءة وهم زهاء كذا أي مقدار كذا وسلاء النخل ولفلان رواء أي منظر وبغيت الشيء بغاء

﴿باب ما يمد ويقصر﴾

(الزناء) يمد ويقصر واذا قصر كتب بالياء (والثراء) يمد ويقصر واذا قصر كتب بالياء (والشقاء) يمد ويقصر واذا قصر كتب بالالف (والضواء) يمد ويقصر واذا قصر كتب بالياء (والوناء) يمد ويقصر واذا قصر كتب بالياء (والبكاء) يمد ويقصر واذا قصر كتب بالياء قال الشاعر

بكت عيني وحق لها بكاها
وما يغني البكاء ولا العويل

(والدهناء) تمد وتقصر واذا قصرت كتبت بالالف (والهيجاء) كذلك (ونحوى) كلامه يمد ويقصر (وهؤلاء) يمد ويقصر فيكتب اذا قصر بالياء (وحروف المعجم) يمددن ويقصرن واذا قصرن كتبت كل واحدة منهن بالالف

الى ثلاثة أقسام القسم الاول فى الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة) اعلم أن عامة المنتمين الى هذا الفن اذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت عادة العرب فى أساليب كلامها وهذا القول هو عكاز العميان كما يقال ونحن انما نسأل عن السبب الذى قصدت العرب ذلك من أجله وقال الزمخشرى رحمه الله ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن فى الكلام والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه وليس الامر كما ذكره لان الانتقال فى الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح فى الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا لما مل ولو سلمنا الى الزمخشرى ماذهب اليه لكان انما يوجد ذلك فى الكلام المطول ونحن نرى الامر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معا يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشرى فى الانتقال من أسلوب الى أسلوب انما يستعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصد الاستعمال الاحسن وعلى هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فى جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعا فى موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذ لم ينتقل فيه من أسلوب الى أسلوب وهذا قول فيه ما فيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشرى مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة (والذى عندى فى ذلك) أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط لكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فانا قد رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الاول قد استعمل فى الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجرى على وتيرة واحدة وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى بها على حسب الموضع الذى ترد فيه وسأوضح ذلك فى ضرب من الامثلة الآتى ذكرها فأما الرجوع من الغيبة الى الخطاب فكقوله تعالى فى سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب ومما يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله اياك نعبد واياك نستعين بعد قوله الحمد لله رب العالمين فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة فى الخبر فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ولما صار الى العبادة التى هى أقصى الطاعات قال اياك نعبد فخاطب بالعبادة اصراحا بها وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء الى محدود منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط الذين أنعمت عليهم فأصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المغضوب عليهم عطفا على الاول لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فأسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا فانظر الى هذا الموضع وتناسب هذه المعانى الشريفة التى الاقدام لا تكاد تطؤها والافهام مع قربها صافحة عنها وهذه السورة قد انتقل فى أولها من الغيبة الى

الا الزاى فانها تكتب بياء بعد ألف

﴿باب ما يقصر فاذا غير بعض حركة بنائه مد﴾

البلاء بلا الثوب والاناء من الساعات وسوى والقلا البغض وماور وى كل ذلك اذا كسر أوله قصر وكتب بالياء (واذا فتح مد) واللقاء والبناء اذا كسر أولهما مدا واذا ضم أولهما قصرا (وكتبا بالياء) وغمى البيت وغمى السرج وهو فداء لك (كل اذا فتح أوله قصر وكتب بالياء) خلا غرا السرج فانه يكتب بالالف واذا كسر أول ذلك كله مد والنعما والبؤسا والعليا والرغبى والضحى والعلى (كل ذلك اذا ضم أوله قصر وكتب بالياء) الا العليا فانها تكتب بالالف كراهة لاجتماع ياءين (واذا فتح أول ذلك كله مد) والباقلى والباقلاء والمرعزى والمرعزاء والقبيطى والقبيطاء (اذا خفف مد واذا شدد قصر)

تم كتاب الهجا بحمد الله ومنه

﴿هذا كتاب تقويم اللسان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب الحرفين يتقاربان فى اللفظ وفى المعنى ويلتبسان فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر﴾

قالوا عظم الشئ أكثره وعظمه نفسه وكبر الشئ معظمه قال الله عز وجل والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقال قيس بن الخطيم ينكر المرأة تنام عن كبر شأنها فاذا قامت رويدا تكاد تنغرف ويقال الولاء للكبر وهم أقعدولد

الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ثم انتقل فى آخرها من الخطاب الى الغيبة لتلك العلة بعينها وهى تعظيم شأن المخاطب أيضا لان مخاطبة الرب تبارك وتعالى باسناد النعمة اليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته باسناد الغضب اليه تعظيم لخطابه فينبغى أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالما بوضع أنواعه فى مواضعها على اشتباهها (ومن هذا الضرب) قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا وانما قيل لقد جئتم وهو خطاب للحاضر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهى زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه لهم على عظم ما قالوه كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكرا عليهم وموبخا لهم (ومما جاء من الالتفات) مرارا على قصر متنه وتقارب طرفيه قوله تعالى أول سورة بنى اسرائيل سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير فقال أولا سبحان الذى أسرى بلفظ الواحد ثم قال الذى باركنا بلفظ الجمع ثم قال انه هو السميع البصير وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الاول لكان سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى بارك حوله ليريه من آياته انه هو السميع البصير وهذا جميعه يكون معطوفا على أسرى فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه فى الانتقال من صيغة الى صيغة كان ذلك اتساعا وتفننا فى أساليب الكلام ولمقصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ (وسأذكر ما سنح لى فيه فأقول) لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذى أسرى اذ لا يجوز أن يقال الذى أسرينا فلما جاء بلفظ الواحد والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم فى نفسه الذى هو بلفظ الجمع استدرك الاول بالثانى فقال باركنا ثم قال لنريه من آياتنا فجاء بذلك على نسق باركنا ثم قال انه هو عطفا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لان السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره وتلك حال متوسطة تخرج بهما عن خطاب العظيم فى نفسه الى خطاب غائب فانظر الى هذه الالتفاتات المترادفة فى هذه الآية الواحدة التى جاءت لمعان اختصت بها يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (ومما ينخرط فى هذا السلك) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن وأوحى والفائدة فى ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست فى سماء الدنيا وأنها ليست حفظا ولا رجوما فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب الفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه وفى خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الغيبة (ومما ينخرط فى هذا السلك أيضا) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أبرز الكلام لهم فى معرض المناصحة وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم لان ذلك أدخل فى امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله ومالى لا أعبد الذى فطرنى مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرنى واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال انى آمنت بربكم فاسمعون (فانظر) أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التى تمر عليها فى آيات القرآن الكريم وأنت

الرجل من الذكور (والجهد الطاقة) تقول هذا جهدى أى طاقتى والجهد المشقة تقول فعلت ذلك بجهد وتقول اجهد جهدك ومنهم من يجعل الجهد والجهد واحدا ويحتج بقول الله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم وقد قرئ جهدهم (والكره) المشقة يقال جئتك على كره أى على مشقة ويقال أقامنى على كره اذا أكرهك غيرك عليه ومنهم من يجعل الكره والكره واحدا (وعرض الشئ) احدى نواحيه وعرض الشئ خلاف طوله (وربض الشئ) وسطه وربضه نواحيه ومنه قيل ربض المدينة (والميل) بسكون الياء ما كان فعلا يقال مال عن الحق ميلا والميل مفتوح الياء ما كان خلقة تقول فى عنقه ميل (والغبن) فى الشرا والبيع والغبن فى الرأى يقال فى فى رأيه غبن وقد غبن رأيه كما يقال سفه رأيه (والحمل) حمل كل أنثى وكل شجرة قال الله عز وجل حملت حملا خفيفا والحمل ما كان على ظهر الانسان (فلان قرن فلان) اذا كان مثله فى السن وقرنه اذا كان مثله فى الشدة (وعدل الشئ) بفتح العين مثله قال الله سبحانه أو عدل ذلك صياما وعدل الشئ بكسر العين زنته (والحرق) فى الثوب وغيره من النار والحرق النار نفسها يقال فى حرق الله وقال رؤبة

* شدا سريعا مثل اضرام الحرق

يعنى النار والحرق فى الثوب من الدق

تظن أنك فهمت فحواها واستنبطت رموزها وعلى هذا الاسلوب يجرى الحكم فى الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم والفائدة ههنا فى الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه وان لم يكن ذلك صريحا لكن مفهوم الكلام يدل عليه واذا تأملت مطاوى القرآن الكريم وجدت فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة وانما اقتصرنا على هذه الامثلة المختصرة ليقاس عليها ما يجرى على أسلوبها وقد ورد فى فصيح الشعر شئ من ذلك كقول أبى تمام

وركب يساقون الركاب زجاجة * من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق * اذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر * وبالعرمس الوجناء غرة آئب
كأن بها ضغنا على كل جانب * من الارض أو شوقا الى كل جانب
اذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد * تقطع ما بينى وبين النوائب
هنالك تلقى الجود من حيث قطعت * تمائمه والمجد مرخى الذوائب

ألا ترى أنه قال فى الاول يصرف مسراها مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك اذا العيس لاقت بى مخاطبا نفسه وفى هذا من الفائدة أنه لما صار الى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشرا لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذى يليه معدولا به عن خطاب نفسه الى خطاب غيره وهو أيضا خطاب لحاضر فقال هنالك تلقى الجود والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهده كأنه يصف له جود الممدوح وما لاقاه منه اشادة بذكره وتنويها باسمه وحملا لغيره على قصده وفى صفته جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهى قوله حيث قطعت تمائمه ما يقتضى له الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مألف الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك اذ التمائم لا تقطع الا عمن أمنت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول أبى الطيب المتنبى فى قصيد يمدح به ابن العميد فى النوروز ومن عادة الفرس فى ذلك اليوم حمل الهدايا الى ملوكهم فقال فى آخر القصيد

كثر الفكر كيف نهدى كما اهـ * ـدت الى ربها الملوك عباده
والذى عندنا من المال والخيـ * ـل فمنه هباته وقياده
فبعثنا بأربعين مهارا * كل مهر ميدانه انشاده
عدد عشته يرى الجسم فيه * أربا لا يراه فيما يزاده
فارتبطها فان قلبا نماها * مربط تسبق الجياد جياده

وهذا من احسان أبى الطيب المعروف وهو رجوع عن خطاب الغائب الى الحاضر واحتج أبو الطيب عن تخصيص أبياته بالاربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة وهى أنه جعلها كعدد السنين التى يرى الانسان فيها من القوة والشباب وقضاء الاوطار ما لا يراه فى الزيادة عليها ثم اعتذر بألطف اعتذار فى أنه لم يزد القصيد على هذه العدة وهذا حسن غريب (وأما الرجوع من الخطاب الى الغيبة) فكقوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك

(والعر) الجرب والعر قروح تخرج فى مشافر الابل وقوائمها قال النابغة

حملت على ذنبه وتركته
كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وأما العرو فقصر السنام وجئت فى عقب الشهر اذا جئت بعد ما يمضى وجئت فى عقبه اذا جئت وقد بقيت منه بقية (والقرح) يقال انه وجع الجراحات والقرح الجراحات بأعيانها (والضلع) الميل يقال ضلع فلان مع فلان أى ميله وقد ضلعت على أى ملت والضلع الاعوجاج (والسكن) أهل الدار والسكن ما سكنت اليه (والذبح) مصدر ذبحت والذبح المذبوح والرعى مصدر رعيت (والرعى) الكلاء (والطحن) مصدر طحنت والطحن الدقيق (والقسم) مصدر قسمت والقسم النصيب (والسقى) مصدر سقيت والسقى النصيب يقال كم سقى أرضك أى نصيبها من الشرب (والسمع) مصدر سمعت والسمع الذكر يقال ذهب سمعه فى الناس ونحو منه الصوت صوت الانسان والصيت الذكر يقال ذهب صيته فى الناس (والغسل) مصدر غسلت والغسل الخطمى وكل ما غسل به الرأس فهو غسل والغسل بالضم الماء الذى يغتسل به (والسبق) مصدر سبقت والسبق الخطر (والهدم) مصدر هدمت والهدم ما انهدم من جوانب البئر فسقط فيها منها (والوقص) دق العنق والوقص قصر العنق (والسب) مصدر سببت والسب الذى يسابك

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب الى الغيبة لفائدة وهى أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعى منهم الانكار عليهم ولو قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها وساق الخطاب معهم الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التى أنتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام (ومما ينخرط فى هذا السلك) قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون الاصل فى تقطعوا تقطعتم عطفا على الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله تعالى فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فانه انما قال فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل فآمنوا بالله وبى عطفا على قوله انى رسول الله اليكم لكى تجرى عليه الصفات التى أجريت عليه وليعلم أن الذى وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبى الامى الذى يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اظهارا للنصفة وبعدا من التعصب لنفسه فقدر أولا فى صدر الآية انى رسول الله الى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين الاول منهما اجراء تلك الصفات عليه والثانى الخروج من تهمة التعصب لنفسه (القسم الثانى فى الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الامر وعن الفعل الماضى الى فعل الامر) وهذا القسم كالذى قبله فى أنه ليس الانتقال فيه من صيغة الى صيغة طلبا للتوسع فى أساليب الكلام فقط بل لامر وراء ذلك وانما يقصد اليه تعظيما لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيما لامره وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الامر (فمما جاء منه) قوله تعالى يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون فانه انما قال أشهد الله واشهدوا ولم يقل وأشهدكم ليكون موازنا له وبمعناه لان اشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجىء به على لفظ الامر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على انى أحبك تهكما به واستهانة بحاله وكذلك يرجع عن الفعل الماضى الى فعل الامر الا أنه ليس كالاول بل انما يفعل ذلك توكيدا لما أجرى عليه فعل الامر لمكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين الآية وكان تقدير الكلام أمر ربى بالقسط وباقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الامر للعناية بتوكيده فى نفوسهم فان الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم اتبعها بالاخلاص الذى هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا باخلاص النية ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات (واعلم) أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الالفاظ الى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه فى كلامه الا العارف برموز الفصاحة

(والنكس) مصدر نكست والنكس الفسل من الرجال مشبه بالنكس من السهام وهو الذى نكس والنكس بالضم هو ان ينكس الرجل فى علته (والقد) مصدر قددت السير والقد السير (والضر) الهزال وسوء الحال والضر ضد النفع (والغول) البعد والغول ما اغتال الانسان فأهلكه (والطم) الطعام والطم الشهوة قال أبو خراش

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
وأوثر غيرى من عيالك بالطم

بضم الطاء (وقال)

واغتبق الماء القراح فانتهى
اذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

بفتح الطاء والطعم أيضا ما يؤديه الذوق (والهجر) الافحاش فى المنطق يقال اهجر الرجل فى منطقه والهجر الهذيان يقال هجر الرجل فى كلامه (والكور) كور الحداد المبنى من طين والكير زق الحداد (والحرم) الحرام وكذلك الحل الحلال يقال حرم وحرام وحل وحلال قال الله عز وجل وحرام على قرية وقرئت وحرم على قرية والحرم الاحرام (والجرم) البدن والجرم الذنب (والسلم) الصلح والسلم الاستسلام (والارب) الدهى يقال رجل ذو أرب ذو دهاء والارب الحاجة (والورق) المال من الدراهم والورق المال من الغنم والابل (والعوج) فى الدين والارض قال الله عز وجل وتبغونها عوجا والعوج فى غيره ما خالف الاستواء وكان قائما مثل الخشبة والحائط ونحوه (والنصب) الشر قال الله

والبلاغة

والبلاغة الذى اطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنهما ولا تجد ذلك فى كل كلام فانه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما وأغمضها طريقا (القسم الثالث فى الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن المستقبل بالماضى) فالاول الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى اعلم أن الفعل المستقبل اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المستقبل يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى وربما أدخل فى هذا الموضع ماليس منه جهلا بمكانه فانه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماض يجارى هذا المجرى وسأبين ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضى ينقسم الى ضربين أحدهما بلاغى وهو اخبار عن ماض بمستقبل وهو الذى أنا بصدد ذكره فى كتابى هذا الذى هو موضوع لتفصيل ضروب الفصاحة والبلاغة والآخر غير بلاغى وليس اخبارا بمستقبل عن ماض وانما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماض ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض * فالضرب الاول كقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فانه انما قال فتثير مستقبلا وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال التى يقع فيها اثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك وعلى هذا الاسلوب ماورد من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه فى غزوة بدر فانه قال لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لأمة كاملة لا يرى منه الا عيناه وهو يقول أنا أبو ذات الكؤس وفى يدى عنزة فأطعن بها فى عينه فوقع وأطأ برجلى على خده حتى خرجت العنزة متعقفة فقوله فأطعن بها فى عينه وأطأ برجلى معدول به عن لفظ الماضى الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التى فعل فيها مافعل من الاقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم ألا ترى أنه قال أولا لقيت عبيدة بلفظ الماضى ثم قال بعد ذلك فأطعن بها فى عينه ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها فى عينه وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بشهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

فانه قصد أن يصور لقومه الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها مشاهدة للتعجب من جراءته على ذلك الهول ولو قال فضربتها عطفا على الاول لزالت هذه الفائدة المذكورة (فان قيل) ان الفعل الماضى أيضا يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل (قلت فى الجواب) ان التخيل يقع فى الفعلين معا لكنه فى أحدهما وهو المستقبل أوكد وأشد تخيلا لانه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر الى فاعلها فى حال وجود الفعل منه ألا ترى أنه لما قال تأبط شرا فأضربها تخيل للسامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بازاء الغول وقد رفع سيفه ليضربها وهذا لا يوجد فى الفعل الماضى لانه لا يتخيل السامع منه الا فعلا قد مضى من غير احضار للصورة فى حالة سماع الكلام الدال عليه وهذا الاختلاف فيه وهكذا يجرى الحكم فى جميع الآيات المذكورة وفى الاثر عن الزبير رضى الله عنه وفى الابيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى أيضا وهو ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق فقال أولا خر من السماء

عز وجل بنصب وعذاب النصب مانصب قال الله عز وجل كأنهم الى نصب يوفضون وهو النصب أيضا والنصب التعب قال الله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (الذل) ضد الصعوبة والذل ضد العز يقال دابة ذلول بين الذل اذا لم يكن صعبا ورجل ذليل بين الذل (واللقط) مصدر لقطت واللقط ماسقط من ثمر الشجر فلقط (والنفض) مصدر نفضت الشئ والنفض ماسقط من الشئ تنفضه (والخبط) مصدر خبطت الشئ خبطا والخبط ماسقط عن الشئ تخبطه من ذلك خبط الابل الذى توجره انما هو ورق الشجر يخبط فينتثر (والخلف) الردى من القول ومنه قولهم فى المثل سكت ألفا ونطق خلفا ويقال هذا خلف سوء قال الله عز وجل فخلف من بعدهم خلف وهذا اخلف من هذا اذا قام مقامه (والمرط) النتف والمرط ذهاب الشعر (والحور) الرجوع عن الشئ ومنه أعوذ بالله من الحور بعد الكور والحور النقصان قال الشاعر

لا تبخلى فان الدهر ذو غير
الذم يبقى وزاد القوم فى حور

(والاكل) مصدر أكلت والاكل المأكول وفلان ذو أكل اذا كان ذا جد وحظ تقول لا آتيك الى عشر من ذى قبل لا غير أى الى عشر فيما استأنف ورأيت الهلال قبلا فى أول ما يرى ولا قبل لى بفلان أى لا طاقة لى ورأيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا أى عيانا (والعذق) النخلة نفسها والعذق الكباسة

بلفظ الماضى ثم عطف عليه المستقبل الذى هو فتخطفه وتهوى وانما عدل فى ذلك الى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير اياه وهوى الريح به والفائدة فى ذلك ما أشرت اليه فيما تقدم وكثيرا ما يراعى أمثال هذا فى القرآن * وأما الضرب الثانى الذى هو مستقبل فكقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فانه انما عطف المستقبل على الماضى لان كفرهم كان ووجدولم يستجدوا بعده كفرا ثانيا وصدهم متجدد على الايام لم يمض كونه وانما هو مستمر يستأنف فى كل حين وكذلك ورد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضى ههنا الى المستقبل فقال فتصبح الارض مخضرة ولم يقل فأصبحت عطفا على أنزل وذلك لافادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الارض باق لم يمض وهذا كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكراله ولو قلت فرحت وغدوت شاكراله لم يقع ذلك الموقع لانه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع حسن ينبغى أن يتأمل (وأما الاخبار بالفعل الماضى عن المستقبل) فهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضى اذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذى لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد فى تحقيق الفعل وايجاده لان الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وانما يفعل ذلك اذا كان الفعل المستقبل من الاشياء العظيمة التى يستعظم وجودها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى أن الغرض بذاك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها والغرض بهذا هو الدلالة على ايجاد الفعل الذى لم يوجد بعد فمن أمثلة الاخبار بالفعل الماضى عن المستقبل قوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض فانه انما قال ففزع بلفظ الماضى بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لا محالة لان الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به وكذلك جاء قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وانما قيل وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الاحوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك لان الحشر هو المهم لان من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضى ﴿ومما يجرى هذا المجرى﴾ الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل وانما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى وقد سبق الكلام عليه (فمن ذلك) قوله تعالى ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فانه انما آثر اسم المفعول الذى هو مجموع على الفعل المستقبل الذى هو يجمع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فانك تعثر على صحة ما قلت (النوع الخامس فى توكيد الضميرين) (ان قيل) فى هذا الموضع ان الضمائر مذكورة فى كتب النحو فأى حاجة الى ذكرها ههنا ولم نعلم أن النحاة لايذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وأن المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك وأما أنا فانى أوردت فى هذا النوع أمرا خارجا عن الامر النحوى وأعنى بقولى توكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك انك أنت أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك انك انك لعالم أوانك انك لجواد وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال فى معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان (ولنقدم فى ذلك قولا يحصره ويجمع أطرافه فنقول) اذا كان المعنى

(والشق) الصدع فى عود أو زجاجة والشق نصف الشئ وهو أيضا المشقة (امرأة حصان) بفتح الحاء العفيفة وفرس حصان (وجمام) الفرس بالفتح وجمام المكوك بالضم (والسداد) فى المنطق والفعل بالفتح وهو الاصابة والسداد بكسر السين كل شئ سددت به شيأ مثل سداد القارورة وسداد الثغر أيضا ويقال أصبت سدادا من عيش أى ما يسد الخلة وهذا سداد من عوز (والقوام) العدل قال الله عز وجل وكان بين ذلك قواما وقوام الرجل قامته والقوام بكسر القاف ما أقامك من الرزق يقال أصبت قواما من عيش وما قوامى الا بكذا (ليل تمام) بالكسر لا غير وولد تمام وقمر تمام بالفتح والكسر فيهما (الدعوة) فى النسب بكسر الدال الدعوة الى الطعام بالفتح (والكفة) بكسر الكاف كفة الميزان وكفة الصائد وهى حبالته وكفة القميص والرمل ما استطال بضم الكاف (والولاية) ضد العداوة قال الله عز وجل ما لكم من ولايتهم من شئ والولاية من وليت الشئ وعلاقة الحب والخصومة بالفتح وعلاقة السوط بالكسر والحمالة الشئ تتحمله عن القوم والحمالة بالكسر محمل السيف (الاصمعى) مسقط السوط ومسقط النجم حيث سقطا مفتوحات ومسقط الرمل أى منقطعه ومسقط رأسه أى حيث ولد مكسوران فلان حسن فى مرآة العين بالفتح والمرآة التى ينظر الى الوجه فيها بالكسر (والمروحة) التى يتروح بها

المقصود معلوما ثابتا فى النفوس فأنت بالخيار فى توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر فى الدلالة عليه لتقرره وتثبته (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما فى أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى عليه السلام الى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما نكون ونحن دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم موسى عليه السلام أن كان قالوا اما أن تلقى واما أن نلقى لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم واما أن نكون نحن الملقين استدل بهذا القول على رغبتهم فى الالقاء قبله (وأما توكيد المتصل بالمتصل) فكقوله تعالى فى سورة الكهف فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا وهذا بخلاف قصة السفينة فانه قال فيها ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير فى الثانية دون الاولى فقال فى الاولى ألم أقل انك وقال فى الثانية ألم أقل لك انك والمجىء بذلك للزيادة فى مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان ما نهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس انك تزيد فى لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فانه قيل فى الملامة أولا ألم أقل انك ثم قيل ثانيا ألم أقل لك انك وهذا موضع يدق عن العثور عليه ببادرة النظر ما لم يعط التأمل فيه حقه (وأما توكيد المتصل بالمنفصل) فنحو قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فتوكيد الضميرين ههنا فى قوله انك أنت الاعلى أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت فى نفسه للغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الاعلى أو فأنت الاعلى لم يكن له من التقرير والاثبات لنفى الخوف ما لقوله انك أنت الاعلى (وفى هذه الكلمات الثلاث) وهى قوله انك أنت الاعلى ست فوائد (الاولى) ان المشددة التى من شأنها الاثبات لما يأتى بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول ان زيدا قائم ففى قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس فى قولك زيد قائم (الثانية) تكرير الضمير فى قوله انك أنت ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المكانة فى التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره (الثالثة) لام التعريف فى قوله الاعلى ولم يقل أعلى ولا عال لانه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحا لكل واحد من جنسه كقولك رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علما فيهم وكذلك جاء قوله تعالى انك أنت الاعلى أى دون غيرك (الرابعة) لفظ أفعل الذى من شأنه التفضيل ولم يقل العالى (الخامسة) اثبات الغلبة له من العلو لان الغرض من قوله الاعلى أى الاغلب الا أن فى الاعلى زيادة وهى الغلبة من عال (السادسة) الاستئناف وهو قوله تعالى لا تخف انك أنت الاعلى ولم يقل لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه كونه عاليا ولكن نفى الخوف عنه أولا بقوله لا تخف ثم استأنف الكلام فقال انك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ فى ايقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك فى نفسه (وربما وقع لبعض الاغمار أن يعترض على ما ذكرناه) فى توكيد أحد الضميرين بالآخر فيقول لو كان توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو أولى بما هو أبلغ وأوكد من القول وقد رأينا فى القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله عز اسمه قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك

والمروحة التى تخترق فيها الريح قال الشاعر

كأن راكبها غصن بمروحة
اذا تدلت به أو شارب ثمل

والرحلة بضم الراء السفرة والرحلة الارتحال قال الكسائى دولة بضم الدال مثل العارية يقال اتخذوه دولة بضم الدال يتداولونه بينهم ودولة مفتوحة الدال من دال عليهم الدهر دولة ودالت الحرب بهم وقال عيسى بن عمر تكونان جميعا فى المال والحرب سواء ولست أدرى فرق ما بينهما قال يونس غرفت غرفة واحدة بالفتح وفى الاناء غرفة ففرق ما بينهما وكذلك قال فى الحسوة والحسوة وقال الفراء خطوت خطوة بالفتح والخطوة ما بين القدمين (الثقلة) بكسر القاف اثقال القوم وأنا أجد ثقلة فى بدنى بفتح الثاء والقاف والطفلة من النساء الناعمة والطفلة الحديثة السن الاصمعى ما استدار فهو كفة نحو كفة الميزان وكفة الصائد لانه يديرها وما استطال فهو كفة نحو كفة الثوب وكفة الرمل (الخمرة) الريح الطيبة بفتح الخاء والميم والخمرة بضم الخاء وتسكين الميم الخميرة فى اللبن والعجين والنبيذ (والجد) بفتح الجيم الحظ يقال منه رجل مجدود وفى الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد عظمة الله من قول الله عز وجل وانه تعالى جد ربنا أى عظمة ربنا والجد الاجتهاد والمبالغة (واللحن) بفتح الحاء الفطنة يقال رجل لحن اذا كان فطنا واللحن خطأ فى الكلام (هذا رجل

ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير ولم يقل انك أنت على كل شئ قدير فما الموجب لذلك ان كان توكيد أحد الضميرين بالآخر أبلغ من الاقتصار على أحدهما ﴿ فالجواب عن ذلك ﴾ أنا نقول قد قدمنا القول فى أول هذا النوع انه اذا كان المعنى المقصود معلوما ثابتا فصاحب الكلام مخير فى توكيد أحد الضميرين بالآخر فان أكد فقد أتى بفضل بيان وان لم يؤكد فلان ذلك المعنى ثابت لا يفتقر فى تقريره الى زيادة تأكيد كهذه الآية المشار اليها وهى قوله تعالى قل اللهم مالك الملك فان العلم بأن الله على كل شئ قدير لا يفتقر الى تأكيد يقرره وقد ورد ما يجرى مجرى هذه الآية مؤكدا كقوله تعالى واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب فوكد فى هذه الآية ولم يؤكد فى الآية الاخرى وقد عرفتك الطريق فى ذلك وأما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى أن يؤكد بالضميرين فى الدلالة عليه كقوله تعالى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فان موسى لم يكن متيقنا أنه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون أبلغ فى تقرير ذلك فى نفسه (وأما توكيد المنفصل بمنفصل مثله) فكقول أبى تمام

لا أنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى وتولت الاوطار

فقوله لا أنت أنت ولا الديار ديار من الملح النادر فى هذا الموضع لانه هو هو والديار الديار وانما البواعث التى كانت تبعث على قضاء الاوطار زالت فبقى ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ولا الديار فى عينه من الحسن تلك الديار وعلى هذا ورد قول أبى الطيب المتنبى

قبيل أنت أنت وأنت منهم * وجدك بشر الملك الهمام

فقوله أنت أنت من توكيد الضميرين المشار اليهما وفائدته المبالغة فى مدحه ولو مدحه بما شاء الله لما سد مسد قوله أنت أنت أى أنك المشار اليه بالفضل دون غيرك وأما قوله وأنت منهم فخارج عن هذا الباب وهو كلام مستأنف لا يتعلق بتوكيد الضميرين كأنه قال أنت الموصوف بكذا وكذا وأنت من هذا القبيل يريد بذلك مدح قبيله به وهذا البيت لم أمثل به اختيارا له واستجادة وانما مثلت به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل والا فالبيت ليس من المرضى لان سبكه سبك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير (وقرأت فى كتاب الاغانى لابى الفرج) ان عمرو ابن ربيعة قال لزياد بن الهبولة يا خير الفتيان اردد على ما أخذته من ابلى فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد لو صرعتم يابنى شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو له لقد أعطيت قليلا وسمت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا فقوله لكنتم أنتم أنتم أى أنتم الاشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس أو ما جرى هذا المجرى الا أن فى أنتم الثانية تخصيصا لهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال لكنتم أنتم الشجعان دون غيركم ولو مدحهم بأى شئ مدحهم من وصف البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعنى أنتم الثانية وهذا موضع من علم البيان تتكاثر محاسنه فاعرفه (النوع السادس فى عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده) وهذا انما يعمد اليه لفائدة وهى تعظيم شأن الامر الذى أظهر عنده الاسم المضمر أولا ومثال ذلك قول القائل ولما تلاقينا وبنو تميم أقبلوا نحونا يركضون فرأينا منهم أسود الشكل تسابق الاسنة الى الورود ولا ترتد على أعقابها اذا ارتدت أمثالها من الاسود وتناجد بنو تميم علينا بجملة فلذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار فانه انما قيل وتناجد بنو تميم مصرحا باسمهم ولم يقل وتناجدوا كما قيل أقبلوا للدلالة على التعجب من

شرعك من رجل أى ناهيك به والقوم فيه شرع أى سواء بفتح الراء (والعرض) مصدر عرضت الجند قال يونس يقال قد فاته العرض كما يقال قبضت قبضا وقد ألقاه فى القبض فلان منكر بين النكر والنكر المنكر قال الله عز وجل لقد جئت شيأ نكرا أى منكرا

﴿ باب الحروف التى تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها ﴾

(الاربة) الحاجة الاربة العقدة والحدأة الفأس ذات الرأسين وجمعها حدد (والامة) القامة والامة النعمة والدين امة امة (واللقوة) العقاب بكسر اللام وفتحها واللقوة داء فى الوجه بالفتح (والرمة) القطعة من الحبل والرمة العظام البالية (وشعار) القوم فى الحرب بالكسر والشعار ما ولى الجلد من الثياب بالكسر أيضا وأرض كثيرة الشعار أى كثيرة الشجر بفتح الشين (ومحجر العين) بكسر الجيم والمحجر بفتحها من الحجر وهو الحرام (والمنسر) جماعة من الخيل والمنسر بكسر الميم منسر الطائر (والمحلب) الاناء يحلب فيه والمحلب من الطيب بالفتح (والوقر) بفتح الواو والثقل فى الاذن والوقر الحمل (والغرب) الدلو العظيمة والغرب الماء الذى بين البئر والحوض (والسلم) الدلو لها عروة واحدة والسلم الصلح والسلم السلف يقال اسلم فى كذا وكذا أى أسلف فيه والسلم الاستسلام قال الله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

اقدامهم عند الحملة وثباتهم عند الصدمة لاسيما وقد أردف ذلك بقوله لذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار كأنه قال وتناجد أولئك الفرسان المشاهير والكماة المناكير وحملوا علينا حملة واحدة فولينا مدبرين منهزمين (ومما جاء من ذلك) قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة مع ايقاعه مبتدأ فى قوله كيف يبدئ الله الخلق وقد كان القياس أن يقول كيف يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة والفائدة فى ذلك أنه لما كانت الاعادة عندهم من الامور العظيمة وكان صدر الكلام واقعا معهم فى الابداء وقررهم أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء واذا كان الله الذى لا يعجزه شئ هو الذى لا يعجزه الابداء فوجب أن لا يعجزه الاعادة فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الامر الذى هو الاعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ثانيا وعلى هذا ورد قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ألا ترى أنه قال أولا ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فذكر مضمرا تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذى هو له وهو قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وكان العطف لو أضمر كما أضمر الاول لقيل ثم أنزل الله سكينته عليكم وأنزل جنودا لم تروها وفائدة الاظهار ههنا للمعطوف بعد اضماره أولا التنويه بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المؤمنين أولان الامر عظيم وهو الانتصار بعد الفرار فأى الامرين قدر كان لاظهار المعطوف مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على ضميره فانه يستند الى فائدة يهتم ذكرها فان لم يكن هناك مثل هذه الفائدة والا فلا يحسن الاظهار بعد الاضمار وكذلك جاء قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا كالذى قبله للدلالة على صدور ذلك عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من كفرهم بليغ لاسيما وقد انضاف اليه قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى ذلك من المبادهة كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين قبل أن يتدبروه ان هذا الا سحر مبين وعلى نحو من ذلك ورد قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وكان القياس أن يقال وقالوا هذا ساحر كذاب عطفا على عجبوا وانما أتى باسم الكافرين مظهرا بعد اضماره للاشعار بتعظيم ما اجترؤا عليه من القول فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أولان هذا القول كان أهم عندهم وأرسخ فى نفوسهم فصرح باسم قائله دلالة على ما كان فى أنفسهم منه (النوع السابع فى التفسير بعد الابهام) اعلم أن هذا النوع لا يعمد الى استعماله الا ضرب من المبالغة فاذا جىء به فى كلام فانما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم واعظامه لانه هو الذى يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مذهب كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ففسر ذلك الامر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفى ابهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر وتعظيم لشأنه فانه لو قال وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لما كان بهذه المكانة من الفخامة فان الابهام أولا يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام

السلم (والوكف) وكف البيت والوكف أيضا النطع والوكف الاثم والوكف العيب قال قيس ابن الحطيم * لا يأتيهم من ورائهم وكف * (والنشر) الريح ورأيت القوم نشرا أى منتشرين (ألف صتم) أى تام وجمل صتم أى غليظ شديد (والسرب) الطريق والسرب جماعة الابل هذان مفتوحان وفلان آمن فى سربه أى فى نفسه وهو واسع السرب أى رخى البال والسرب جماعة النسا والظبا (والرق) ما يكتب فيه والرق الملك (الماء الغمر) الكثير ورجل غمر الخلق أى واسعه وفرس غمر أى جواد والغمر الحقد والرجل الغمر الذى لم يجرب الامور (الاثر) الفرند فى السيف والاثر خلاصة السمن والاثر الحديث يقال آثرته آثره أثرا والاثر بالضم أثر الجراح وفلان فى أثر فلان وأثره أى خلفه (والهون) الهوان قال الله عز وجل عذاب الهون والهون الرفق يقال هو يمشى هونا (والروع) الفزع والروع النفس يقال وقع ذلك فى روعى أى فى خلدى (واللوح) العطش واللوح الهواء (والمور) الطريق والمور الغبار (والشفر) شفر العين وشفر أيضا وما بالدار شفر أى ما بها أحد (والبوص) السبق والفوت والبوص اللون والبوص العجز (كور) العمامة بالفتح وكذلك الكور من الابل وهو الكثير والكور بالضم الرحل باداته (والقتل) مصدر قتلت والقتل العدو (والخير) ضد الشر والخير الكرم

لما قرع سمعه وتشوف الى معرفته والاطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم ففسر ما يوحى بقوله أن اقذفيه وهذا كالاول فى ابهامه أولا وتفسيره ثانيا ومثل هذا ورد قوله تعالى فى سورة أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فانه انما قال ذلك ولم يقل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما فى الاول من التنبيه والاشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ثم تقول فلان فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك تثبت ذكره مجملا ومفصلا لانك جعلته علما فى الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين جميعا فعليه بفلان ﴿فان قيل﴾ فما الفرق بين عطف المظهر على ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمر كالمبهم ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنى أقول ان كان سؤالك عن فائدتهما فانهما فى الفائدة سواء وذلك أنهما انما يرادان لتعظيم الحال والاعلام بفخامة شأنهما وان كان سؤالك عن الفرق بينهما فى العبارة فانى أقول المضمر يأتى بعد مظهر تقدم ذكره أولا ثم يعطف المظهر على ضميره أى على ضمير نفسه كالمثال الذى ضربناه فى بنى تميم وأما التفسير بعد الابهام فان المبهم يقدم أولا وهو أن يذكر شئ يقع عليه محتملات كثيرة ثم يفسر بايقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر على ضميره (ومما جاء من التفسير بعد الابهام) قوله تعالى وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ألا ترى كيف قال أهدكم سبيل الرشاد فأبهم سبيل الرشاد ولم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شأنها ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة فى الآخرة والامتناع من الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسارعة الى الاعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها وكذلك ورد قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل فانه انما قال القواعد من البيت ولم يقل قواعد البيت لما فى ابهام القواعد أولا وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين مما ليس فى الاضافة (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى فانه لما أراد تفخيم ما أمل فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولا ثم فسرها ثانيا ولانه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد فانه قال أولا أعظكم بواحدة فأبهم الواحدة ثم فسرها بقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأن تتفكروا وهذا فى القرآن الكريم كثير الاستعمال (وأما الابهام من غير تفسير) فكثير شائع فى القرآن الكريم أيضا كقوله تعالى وفعلت فعلتك التى فعلت وكذلك ورد قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم أى للطريقة أو الحالة أو الملة التى هى أقومها وأسدها وأى ذلك قدرت لم تجد له مع الافصاح ذوق البلاغة التى تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب

وايقاعه

﴿باب اختلاف الابنية فى الحرف الواحد لاختلاف المعانى﴾

قالوا رجل مبطن اذا كان خميص البطن وبطين اذا كان عظيم البطن فى صحة ومبطون اذا كان عليل البطن وبطن اذا كان منهوما ومبطان اذا ضخم بطنه من كثرة ما أكل (ورجل مظهر) اذا كان شديد الظهر ورجل ظهر اذا اشتكى ظهره مثل فقر اذا اشتكى فقاره قال طرفة

واذا تلسنى ألسنها
انى لست بموهون فقر

ورجل مصدر شديد الصدر ومصدور يشتكى صدره ومنه قول القائل لابد للمصدور من أن ينفث (النحض) الكثير اللحم والنحيض الذى قد ذهب لحمه قال الفراء هذا رجل تمرى اذا كان يحب أكل التمر فاذا كان يبيعه فهو تمار فان كثر عنده التمر وليس بتاجر فهو متمر واذا أطعمه الناس فهو تامر ومنه قول الحطيئة

وغررتنى وزعمت انـ
ـك لابن بالصيف تامر

أى تسق الناس اللبن وتطعمهم التمر وغيره يقول لابن ذو لبن وتامر ذو تمر قال وتقول هذا رجل شحم لحم اذا كان قرما الى الشحم واللحم يشتهيهما فاذا كان يبيعهما قلت شحام لحام واذا كثرا عنده قلت مشحم ملحم فان أطعمهما الناس قلت شاحم لاحم فاذا كثر اللحم والشحم على جسمه قلت لحيم شحيم فان كان مرزوقا من الصيد مطعما له قلت رجل ملحم وتقول رجل ملبن وقوم ملبنون اذا كثر

وايقاعه على محتملات كثيرة وهذا كقول القائل لو رأيت عليا بين الصفين فانه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات واقدام وأطال القول فى ذلك لم يكن بمثابة مايترامى اليه الوهم مع الابهام وهذا للعارف به رمز هذه الصناعة وأسرارها (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم وأبلغ من ذلك قوله تعالى والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى فانه قال فى تلك الآية فغشيهم من اليم ماغشيهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذى غشيهم انما هو منه خاصة وقال فى هذه الآية فغشاها ماغشى فأبهم الامر الذى غشاها به وجعله عاما وذلك أبلغ لان السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب وأما ماجاء من ذلك شعرا فكقول البحترى

بعيد مقبل الصدر لايقبل التى * يحاولها منه الاريب المخادع

فقوله التى يحاولها من الابهام المقدم ذكره فى الآية (ومما ينتظم بذلك) قول الشاعر فى أبيات الحماسة

صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

فقوله صبا ماصبا من الابهام الذى لو قدرت ماقدرت فى تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ماتجد له مع الابهام (وعليه ورد) قول أبى نواس

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم * وأسمت سرح اللحظ حين أساموا

وبلغت مابلغ امرؤ بشبابه * فاذا عصارة كل ذاك أثام

فقوله وبلغت مابلغ امرؤ بشبابه من هذا النمط المشار اليه وهو من الملح النادر (ومما يجرى على هذا النهج) قول الآخر فى وصف الخمر

مضى بها مامضى من عقل شاربها * وفى الزجاجة باق يطلب الباقى

والكلام على هذا البيت كالكلام على البيت الذى قبله (ومثله ورد) قول بعض المتأخرين فؤاد فيه مافيه وعلى هذا ورد قولى فى فصل من تقليد لبعض الوزراء فقلت وأنت مؤهل لواحدة متخلق لها غرر الجياد وتناديها العلياء بلسان الامجاد وتفخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد فابسط يدك لأخذ كتابها واسمع لطيب ذكرها بعد سعيك فى طلابها واعلم أن الخطاب اليها كثيرا لكنها صدت بك عن خطابها ولقد مضى عليها زمن وهى تفور حتى استقادها الآن تأنيسك ولم تسبق الاقدار باسمك الا لتكون سليمانها وهى بلقيسك وهذا الوزير كان اسمه سليمان فسقت المعنى اليه فجاء كما تراه من الحسن واللطافة وأما قولى وأنت مؤهل لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف ماورد فى الآية المقدم ذكرها الان تلك من التفسير بعد الابهام (ومما ينتظم فى هذا السلك) الاستثناء العددى وهو ضرب من المبالغة لطيف المأخذ وفائدته أنه أول مايطرق سمع المخاطب ذكر العقد من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرناه من الابهام أولا ثم التفسير بعده ثانيا وذلك كقول القائل أعطيته مائة الا عشرة أو أعطيته ألفا الا مائة فان ذلك أبلغ من أن لو قال أعطيته تسعين أو تسعمائة (وعليه ورد) قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما الفائدة حسنة وهى ذكر ماابتلى به نوح من أمته وما كابده من طول المصابرة ليكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقاه من أمته وتثبيتا له فان ذكر رأس العدد الذى هو منتهى العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره ومالاقاه من قومه (النوع الثامن فى استعمال العام فى النفى والخاص فى الاثبات) اعلم أنه اذا كان الشيآن أحدهما خاصا والآخر عاما فان استعمال العام فى حالة النفى أبلغ من استعماله فى حالة الاثبات وكذلك استعمال الخاص فى حالة الاثبات أبلغ من استعماله

عندهم اللبن ورجل لبن اذا كان يمام الى اللبن ومحض اذا كان يحب المحض وهو الحليب ورجل لابن يسقى الناس اللبن يقال هو يلبن جيرانه ورجل ملبون وقوم ملبونون اذا ظهر منهم سفه وجهل يصيبهم من شرب اللبن كما يصيب شراب النبيذ وهذا رجل مستلبن أى يطلب لعياله أولضيفانه لبنا (طعام مسمون) اذالت بالسمن أوجعل فيه يقال سمنته أسمنه وسمنت القوم اذا جعلت أدمهم السمن وسمنتهم اذا أنت زودتهم السمن وجاؤا يستسمنون أى يستوهبون السمن (وطعام مزيت) ومزيوت اذالت بالزيت أوجعل فيه وقد زتنه أزيته زيتا وزت القوم أى جعلت أدمهم الزيت وزيتهم اذا زودتهم الزيت وجاؤا يستزيتون أى يستوهبون الزيت ومثله (عسلت الطعام) والقوم الا انك تقول أعسله وأعسله جميعا وطعام معسول وقوم معسولون وعسلتهم اذا زودتهم العسل وجاؤا يستعسلون (بعير) غاض يأكل الغضا وبعير غض اذا اشتكى عن أكل الغضا واذا نسبته الى الغضا قلت غضوى (وبعير عاضه) يأكل العضاه وعضه يشتكى عن أكل العضاه واذا نسبته الى العضاه قلت عضاهى واذا نسبته الى واحدة العضاه وهى عضة قلت عضهى (بعير) حامض يأكل الحمض وهارم يأكل الهرم وهو ضرب من الحمض وآرك يأكل الاراك وعاشب يأكل العشب

في حالة النفي (ومثال ذلك) الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الانسانية ولا يوجب اثباتها اثبات الانسانية (ومما ينتظم بذلك) الاسماء المفردة الواقعة على الجنس التي يكون بينها وبين واحدها تاء التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها أبلغ (وكذلك يتصل بهذا النوع) الصفتان الواردتان على شيء واحد فانه اذا لزم من وجود احداهما وجود الاخرى اكتفى بها في الذكر ولم يحتج الى ذكر الاخرى لانه يجيء ضمنا وتبعا أو أن يبدأ بها في الذكر أولا ثم تجيء الاخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فانه ينبغي أن يبدأ في الذكر بالادنى مرتبة ثم بعدها بما هو أعلى منها الى أن ينتهي الى آخرها هذا في مقام المدح فان كان في مقام الذم عكست القضية فالاول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم موازنا لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور في حالة النفي أبلغ من حيث ان الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطي ذهاب تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نورا لان الاضاءة هي فرط الانارة قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوأ فالغرض من قوله تعالى ذهب الله بنورهم انما هو ازالة النور عنهم أصلا فهو اذا ازاله فقد أزال الضوء وكذلك أيضا قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل أذهب نورهم لان كل من ذهب بشيء فقد أذهبه وليس كل من أذهب شيأ فقد ذهب به لان الذهاب بالشيء هو استصحاب له ومضي به وفي ذلك نوع احتجار بالمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهاب للشيء لزوال معنى الاحتجار عنه (ومما يحمل على ذلك) الاوصاف الخاصة اذا وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فانه انما خص العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذي أشرنا اليه والمراد بذلك انه اذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا في حالة الاثبات ولو أريد النفي لكان له أسلوب غير ما ذكرناه وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض (وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس) فنحو قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بي ضلالة ولم يقل ليس بي ضلال كما قالوا لان نفي الضلالة أبلغ من نفي الضلال عنه كما لو قيل ألك تمر فقلت في الجواب مالي تمرة وذلك أنفى للتمر ولو قلت مالي تمر لما كان يؤدي من المعنى ما أداه القول الاول وفي هذا الموضع دقة تحتاج الى فضل تأمل فينبغي لصاحب هذه الصناعة مراعاته والعناية به ﴿فان قيل﴾ لا فرق بين الضلالة والضلال وكلاهما مصدر قولنا ضل يضل ضلالا وضل يضل ضلالة كما يقال لذ يلذ لذاذة (فالجواب) عن ذلك أن الضلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة تقول ضل يضل ضلالة أي مرة واحدة كما تقول ضرب يضرب ضربة وقام يقوم قومة وأكل يأكل أكلة والمراد بالضلالة في هذه الآية انما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة (وأما الصفتان الواردتان على شيء واحد) فكقول الاشتر النخعي

حاقت وفدى وانحرفت على العلى * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

(ومن البقل) بعير مبتقل ومتبقل اذا كان يأكل البقل وأرض عضيهة وأرض حميضة اذا كانت كثيرة العضاه والحمض (يقال امرأة متآم) اذا كان من عادتها أن تلد كل مرة توأمين فان أردت انها وضعت اثنين في بطن قلت متئم وكذلك مذكار ومذكر ومحماق اذا كان من عادتها أن تلد الحمقى ومحمق اذا ولدت أحمق وامرأة مئناث ومؤنث كذلك ومفعال يكون لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه تقول رجل مضحاك ومهذار ومطلاق اذا كان مدمنا للضحك والهذر والطلاق (وكذلك ما كان) على فعيل فهو مكسور الاول لا يفتح منه شيء وهو لمن دام منه الفعل نحو رجل سكير كثير السكر وخمير كثير الشرب للخمر ونخير كثير الفخر وعشيق كثير العشق وسكيت دائم السكوت وضليل وصريع وظليم ومثل ذلك كثير ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة وكذلك كل اسم يكون على فعول نحو قتول للرجال وضروب بالسيف أو على فعال نحو قتال وضراب قال أبو زيد يقال رجل مقطع اذا لم يرد النساء ولم ينتشر يقال منه اقطع الرجل اقطاعا ويقال للرجل الغريب مقطع عن أهله يقال منه أقطع عنهم اقطاعا ورجل مقطع أيضا وهو الذي يفرض لنظرائه ويترك هو ورجل مقطع بكسر الطاء وهو الذي انقطعت حجته يقال أقطع الرجل اذا بكتوه

خيلا كأمثال السعالى شزبا * تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حمى الحديد عليهمو فكأنه * لمعان برق أو شعاع شموس

ألا ترى أنه رقى فى التشبيه من الادنى الى الاعلى فقال لمعان برق أو شعاع شموس لان لمعان البرق دون شعاع الشموس (ومما ورد من ذلك فى القرآن الكريم) قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فان وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة وعلى القياس المشار اليه أولا فينبغى أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لانه اذا لم يغادر صغيرة فمن الاولى أن لا يغادر كبيرة وأما اذا لم يغادر كبيرة فانه يجوز أن يغادر صغيرة لانه اذا لم يعف عن الصغيرة فيقضى القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة واذا لم يعف عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة غير أن القرآن الكريم أحق أن يتبع وأجدر بان يقاس عليه لا على غيره والذى ورد فيه من هذه الآية ناقض لما تقدم ذكره (وكذلك ورد قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما لان التأفيف أدنى درجة وقد تقدم قولى فى أول هذا النوع أنه اذا جاءت صفتان يلزم من وجود احداهما وجود الاخرى أن يكتفى بذكرها دون الاخرى لان الاخرى تجيء ضمنا وتبعا وأن يبدأ بها فى الذكر ثم تجيء الاخرى بعدها وعلى هذا فيقال أولا فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف لكن اذا لم يقل لهما أف امتنع أن ينهرهما وقد كان هذا هو المذهب عندى حتى وجدت كتاب الله تعالى قد ورد بخلافه وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (وأما الصفات المتعددة الواردة على شىء واحد) فكقول أبى عبادة البحترى فى وصف نحول الركاب

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجارى
كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

ألا ترى أنه رقى فى تشبيه نحولها من الادنى الى الاعلى فشبهها أولا بالقسى ثم بالاسهم المبرية وتلك أبلغ فى النحول ثم بالاوتار وهى أبلغ فى النحول من الاسهم وكذلك ينبغى أن يكون الاستعمال فى مثل هذا الباب وقد أغفل كثير من الشعراء ذلك فمن جملتهم أبو الطيب المتنبى فى قوله

يا بدر يا بحر يا غمامة يا * ليث الشرى يا حمام يا رجل

وينبغى أن يبدأ فيه بالادنى فالادنى فانه اذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل الى محل أعلى منه واذا خالفه كان كالمنخفض من محل الى محل أدنى منه فأما قوله يا بدر فانه اسم الممدوح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول يا رجل يا ليث يا غمامة يا بحر يا حمام لان الليث أعظم من الرجل والبحر أعظم من الغمامة والحمام أعظم من البحر وهذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة الى منزلة حتى ينتهى الى المنزلة العليا آخرا ولو كان مقام ذم لعكس القضية وعلى مثله ورد قول أبى تمام يفتخر

سما بى أوس فى الفخار وحاتم * وزيد القنا والاثرمان ورافع
نجوم طوالع جبال فوارع * غيوث هوامع سيول دوافع

فان السيول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما أخر لما اختل النظم بأن قال

سيول دوافع غيوث هوامع * جبال فوارع نجوم طوالع

وهذا عندى أشد ملامة من المتنبى لان المتنبى لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته وتأخيرها وأبو تمام متمكن من ذلك وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع مع معرفته بالمعانى (النوع التاسع فى التقديم والتأخير) وهذا باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ومنها ما وجدته فى أقوال علماء البيان وسأورد ذلك مبينا (وهو ضربان) الاول يختص بدلالة الالفاظ

بالحق فلم يجب ورجل مقطوع به اذا قطع عليه الطريق يقال قطع بفلان قطعا ورجل منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت أو راحلة قامت عليه أو ضلت يقال منه انقطع به انقطاعا (غير واحد فقت السهم) أفوقه كسرت فوقه وهو سهم مفوق وفوقته تفويقا عملت له فوقا وهو سهم مفوق وأفقت السهم وبالسهم فهو سهم مفاق ومفاق به اذا وضعته فى الوتر لترمى به ويقال أيضا أوفقت السهم وبالسهم فى هذا المعنى فهو موفق وموفق به وانفاق السهم فهو منفاق اذا انشق فوقه (قالوا) وكل حرف على فعلة وهو وصف فهو للفاعل نحو هذرة ونكحة وطلقة وسخرة اذا كان مهذارا نكاحا مطلاقا ساخرا من الناس فان سكنت العين من فعلة وهو وصف فهو للمفعول تقول رجل لعنة أى يلعنه الناس فان كان هو يلعن الناس قلت لعنة ورجل سبة أى يسبه الناس فان كان هو يسب الناس قلت سببة وكذلك هزءة وهزأة وسخرة وسخرة وضحكة وضحكة وخدعة وخدعة

﴿باب المصادر المختلفة عن المصدر الواحد﴾

قال وجدت فى الغضب موجدة ووجدت فى الحزن وجدا ووجدت الشىء وجدانا ووجودا وافتقر فلان بعد وجد (ووجب) القلب وجيبا ووجبت الشمس وجوبا ووجب البيع وجبة (وغلت)

على المعانى ولو أخر المقدم أوقدم المؤخر لتغير المعنى والثانى يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لما تغير المعنى (فأما الضرب الاول فانه ينقسم الى قسمين) أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ والآخر يكون التأخير فيه هو الابلغ (فأما القسم الذى يكون التقديم فيه هو الابلغ) فكتقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدا وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيدا ضربت وضربت زيدا فان فى قولك زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار فى ايقاعه على أى مفعول شئت بأن تقول ضربت خالدا أو بكرا أو غيرهما واذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم خبر المبتدا عليه كقولك زيد قائم وقائم زيد فقولك قائم زيد قد أثبت له القيام دون غيره وقولك زيد قائم أنت بالخيار فى اثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك وهكذا يجرى الحكم فى تقديم الظرف كقولك ان الى مصير هذا الامر وقولك ان مصير هذا الامر الى فان تقديم الظرف دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف قولك ان مصير هذا الامر الى اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد أو عمرو أو غيرهما وكذلك يجرى الامر فى الحال والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشرى رحمه الله ان تقديم هذه الصورة المذكورة انما هو للاختصاص وليس كذلك والذى عندى فيه أنه يستعمل على وجهين أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة نظم الكلام وذاك أن يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص فأما الاول الذى هو الاختصاص فنحو قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين فانه انما قيل بل الله فاعبد ولم يقل بل اعبد الله لانه اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال بل اعبد لجاز ايقاع الفعل على أى مفعول شاء وأما الوجه الثانى الذى يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره أن التقديم فى هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لمكان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد واياك نستعين ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فجاء بعد ذلك قوله اياك نعبد واياك نستعين وذلك لمراعاة حسن النظم السجعى الذى هو على حرف النون ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان وعلى نحو منه ورد قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وتقدير الكلام فأوجس موسى فى نفسه خيفة وانما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصدا لتحسين النظم وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فبطل اذا ما ذهب اليه الزمخشرى وغيره (ومما ورد من هذا الباب) قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فان تقديم الجحيم على التصلية وان كان فيه تقديم المفعول على الفعل الا أنه لم يكن ههنا للاختصاص وانما هو للفضيلة السجعية ولا مراء فى أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم (فان قيل) انما قدمت الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها كما يقال ضربت زيدا وزيدا ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك (فالجواب عن ذلك)

القدر غليا وغليانا وغلوت فى القول غلوا وغلا السعر غلاء وغلوت بالسهم غلوا (كل) بصره كلة وكلولا وكذلك اللسان وكل السيف كلة اذا لم يقطع وكل من الاعياء يكل كلالا (وبرأت) من المرض برأ وبرأ الله الخلق يبرأهم برأ وبريت القلم أبريه بريا (نحل جسمه) ينحل نحولا ونحلته من العطية أنحله نحلا ونحلة ونحلته القول أنحله نحلا (أويت) له ماوية واية أى رحمته وأويت الى فلان آوى أويا وآويت فلانا ايواء (عثر فى ثوبه) يعثر عثارا وعثر عليهم يعثر عثرا وعثورا أى اطلع وأعثرت فلانا على القوم من قول الله عز وجل وكذلك أعثرنا عليهم (وقعت) فى العمل وقوعا ووقعت فى الناس وقيعة (سكرت الريح) سكورا سكنت بعد الهبوب وسكرت البثق أسكره سكرا اذا سددته وسكر الرجل يسكر سكرا وسكرا (عبر الرؤيا) يعبرها عبارة وعبر النهر يعبره عبورا وعبر الرجل يعبر عبرا اذا استعبر والعبر سخنة العين يقال لامه العبر (جادله) بالمال جودا وجاد المطر يجود جودا وجاد عمله يجود جودة وفرس جواد بين الجودة (ضويت) اليه فانا أضوى ضويا (وروى) أبو زيد ضويت اليه ضيا اذا أويت اليه وضويت من الهزال فأنا أضوى ضوى (غار الماء) يغور غورا وغارت عينه تغور غؤورا وغار على أهله يغار غيرة وغار أهله بمعنى مارهم يغيرهم غيارا وغار الرجل اذا أتى الغور يغور غورا

أن الدرك الاسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخاص بالذكر دون الجحيم على ماذهب اليه لانه أعظم وهذا لايذهب اليه الا من هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة ولفظة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها الانها جاءت ملاءمة لنظم الكلام ألا ترى أن من أسماء النار السعير ولظى وجهنم ولو وضع بعض هذه الاسماء مكان الجحيم لما كان له من الطلاوة والحسن ما للجحيم والمقصود بذكر الجحيم انما هو النار أى صلوه النار وهكذا قوله في ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فانه لم يقدم السلسلة على السلك للاختصاص وانما قدمت لمكان نظم الكلام ولاشك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والكلام على هذا كالكلام على الذي قبله وله في القرآن نظائر كثيرة ألا ترى الى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فقوله والقمر قدرناه منازل ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو من باب مراعاة نظم الكلام فانه قال والليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس تجري فاقتضى حسن النظم أن يقول والقمر قدرناه ليكون الجميع على نسق واحد في النظم ولو قال وقدرنا القمر منازل لما كان بتلك الصورة في الحسن وعليه ورد قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وانما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي (وأما تقديم خبر المبتدا عليه) فقد تقدمت صورته كقولك زيد قائم وقائم زيد فمما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم لان في تقديم الخبر الذي هو مانعتهم على المبتدا الذي هو حصونهم دليلا على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها اياهم وفي تصويب ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع لايبالى معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض وليس شئ من ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله (ومن تقديم خبر المبتدا) قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم فانه انما قدم خبر المبتدا عليه في قوله أراغب أنت ولم يقل أأنت راغب لانه كان أهم عندهم وهو به شديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وان آلهته لاينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف مالو قال أأنت راغب عن آلهتي (ومن غامض هذا الموضع) قوله تعالى واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا فانه انما قال ذلك ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لامرين أحدهما تخصيص الابصار بالشخوص دون غيرها أما الاول فلو قال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضع موضع شاخصة غيره فيقول حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخوص بالابصار دون غيرها وأما الثاني فانه لما أراد أن الشخوص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولا ثم بصاحبه ثانيا كأنه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم ولولا أنه أراد هذين الامرين المشار اليهما لقال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لانه أخصر بحذف الضمير من الكلام (ومن هذا النوع) قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور وميتته حل لان الالف واللام ههنا بمعنى الذي (وأما تقديم الظرف) فانه اذا كان الكلام مقصودا به الاثبات فان تقديمه أولى من تأخيره وفائدته اسناد الكلام الواقع بعده الى صاحب الظرف دون غيره فاذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره وكلا هذين الامرين له موضع

وأنجد بالالف وغارني الرجل يغيرني ويغورني اذا أعطاك الدية والدية غيرة وجمعها غير (قبلت العين) تقبل قبلا وقبل الهدية قبولا بفتح القاف وقبلت المرأة القابلة قبالة (تلوت) القرآن فأنا أتلوه تلاوة وتلوت الرجل تبعته فأنا أتلوه تلوا وتليت من حقي تلية وتلاوة أي بقية (فركت) الحب أفركه فركا وفركت المرأة زوجها تفركه فركا (لبست عليه) الامر اذا شبهت عليه فأنا ألبس لبسا ولبست ثوبي فأنا ألبس لبسا (خطبت) المرأة خطبة حسنة وخطبت على المنبر خطبة (وحميت) المريض أحميه حمية وحموة وحميت القوم حماية أي نصرتهم ومنعت من ظلمهم وحميت الحي حميا اذا منعت منه فأما أحميت المكان بالالف فجعلته حمى وقد حميت من الانفة حمية ومحمية (شب الغلام) يشب شبابا وشب الفرس يشب شبابا وشبيبا وشببت النار فأنا أشبها شبا وشبوبا (بلوته) أبلوه بلوا اذا جربته وبلاه الله يبلوه بلاء اذا أصابه ببلاء يقال اللهم لاتبلنا الا بالتي هي أحسن وأبلاه الله يبليه ابلاء حسنا وقال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو * أراد الذي يختبر به عباده وبلي الثوب بلاء مفتوح الاول ممدود وبلي مكسور الاول مقصور (نزعت) الشئ من موضعه نزعا ونزعت عن الشئ نزوعا اذا كففت عنه ونازعت الى أهلي نزعا ومنازعة (حفيت) الدابة تحفى حفى اذا رق حافرها وحفي فلان يحفى حفية وحفاية وحفوة فهو حاف والاول حف

يختص به فأما تقديمه فى النفى فانه يقصد به تفضيل المنفى عنه على غيره وأما تأخيره فانه يقصد به النفى أصلا من غير تفضيل فأما الاول وهو تقديم الظرف فى الاثبات فكقولك فى الصورة المقدمة ان الى مصير هذا الامر ولو أخرت الظرف فقلت ان مصير هذا الامر الى لم يعط من المعنى ما أعطاه الاول وذلك أن الاول دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف الثانى اذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد او عمرو أو غيرهما وعلى نحو منه جاء قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد فانه انما قدم الظرفين ههنا فى قوله له الملك وله الحمد ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره (وقد استعمل تقديم الظرف فى القرآن كثيرا) كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أى تنظر الى ربها دون غيره فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص وانما هو كالذى أشرت اليه فى تقديم المفعول وأنه لم يقدم للاختصاص وانما قدم من أجل نظم الكلام لان قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أحسن من أن لو قيل وجوه يومئذ ناضرة ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر وكذلك قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا روعى فيه حسن النظم لا الاختصاص فى تقديم الظرف وفى القرآن مواضع كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى وردت للاختصاص وليست كذلك فمنها قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر وقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور وله الحكم واليه ترجعون وعليه توكلت واليه أنيب فان هذه جميعها لم تقدم الظروف فيها للاختصاص وانما قدمت لمراعاة الحسن فى نظم الكلام فاعرف ذلك (وأما الثانى وهو تأخير الظرف وتقديمه فى النفى) فنحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه انما أخر الظرف فى الاول لان القصد فى ايلاء حرف النفى الريب نفى الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولاه الظرف لقصد أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد فى قوله تعالى لا فيها غول فتأخير الظرف يقتضى النفى أصلا من غير تفضيل وتقديمه يقتضى تفضيل المنفى عنه وهو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا أى ليس فيها ما فى غيرها من الغول وهذا مثل قولنا لا عيب فى الدار وقولنا لا فيها عيب فالاول نفى للعيب عن الدار فقط والثانى تفضيل لها على غيرها أى ليس فيها ما فى غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا الباب (وأما تقديم الحال) فكقولك جاء راكبا زيد وهذا بخلاف قولك جاء زيد راكبا اذ يحتمل أن يكون ضاحكا أو ماشيا أو غير ذلك (وأما الاستثناء) فجار هذا المجرى نحو قولك ما قام الا زيد أحد أو ما قام أحد الا زيدا والكلام على ذلك كالكلام على ما سبق (وأما القسم الثانى) فهو أن يقدم ما الاولى به التأخير لان المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاظلة المعنوية وقد قدمنا القول فى المقالة الاولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاظلة تنقسم قسمين أحدهما لفظى والآخر معنوى أما اللفظى فذكرناه فى بابه وأما المعنوى فهذا بابه وموضعه وهو كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانه (فمن هذا القسم) قول بعضهم

فقد والشك بين لى عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح

فانه قدم قوله بوشك فراقهم وهو معمول يصيح ويصيح صفة لصرد على صرد وذلك قبيح ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم وانما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على

موصوفها

والانثى حفية مخففة وقد حفى فلان بفلان حفاوة وحفاوة اذا عنى به وبره (حالت) القوس تحول حولا وكذلك حال عن العهد يحول حولا وحالت الناقة تحول حيالا (حل) بالمكان يحل حلولا وحل لك الشئ يحل حلا وحل العقد يحله حلا (حد الارض) يحدها حدا من الحدود وكذلك حده أى جلده الحد وحد يحد حدا وحدة اذا أصابته عجلة (جمت البئر) تجم جموما كثر ماؤها وجم الفرس يجم جماما (هبت الريح) تهب هبوبا وهبيبا وهب من نومته يهب هبوبا وهب التيس يهب هبابا هداه فى الدين هدى وهداه الطريق هداية وهدى العروس الى زوجها هداء (بغت المرأة) تبغى بغاء وبغيت الشئ بغاء وبغية وبغيت على القوم بغيا (سفرت) عن وجهه أسفر سفرا وسفرت أنا سفورا وسفرت بينهم سفارة من السفير واسفر وجهى يسفر اسفارا اذا أشرق (رأيت) فى المنام رؤيا ورأيت فى الفقه رأيا ورأيت الرجل رؤية (بطل الاجير) يبطل بطالة وبطل الشئ يبطل بطلا وبطلانا وهو بطل بين البطولة (زلت الدراهم) تزل زلولا وزللت فى الطين أزل زللا وزللت أيضا أزل زليلا (عفت) الطير أعيفها عيافة زجرتها وعافت الطير تعيف عيفا اذا حامت على الماء وعاف الرجل الطعام يعافه عيافا اذا كرهه (حسبت) الشئ بمعنى ظننت حسبانا وحسبت الحساب حسبانا قال الله عز وجل الشمس والقمر

موصوفها ومن هذا النحو قول الآخر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

فانه قدم خبر كأن عليها وهو قوله خط وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه والاصل فى هذا البيت فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها الا أنه على تلك الحالة الاولى فى الشعر مختل مضطرب والمعاظلة فى هذا الباب تتفاوت درجاتها فى القبح وهذا البيت المشار اليه من أقبحها لان معانيه قد تداخلت وركب بعضها بعضا (ومما يجرى هذا المجرى) قول الفرزدق

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

وهو يريد الى ملك أبوه ما أمه من محارب وهذا أقبح من الاول وأكثر اختلالا (وكذلك جاء قوله أيضا)

وليست خراسان التى كان خالد * بها أسد اذ كان سيفا أميرها

وحديث هذا البيت ظريف وذلك أنه فيما ذكر يمدح خالد بن عبد الله القسرى ويهجو أسدا وكان أسد وليها بعد خالد وكأنه قال وليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفا اذ كان أسد أميرها وعلى هذا التقدير ففى كان الثانية ضمير الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما اذ مضافة اليه وهو أسد عليها وفى تقديم المضاف اليه أو شىء منه على المضاف من القبح ما لا خفاء به وأيضا فان أسدا أحد جزأى الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره الا من بعده ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق أيضا

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى أبوه يقاربه

ومعنى هذا البيت وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وعلى هذا المثال المصوغ فى الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من التعاظل كثيرا كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لان مثله لا يجىء الا متكلفا مقصودا والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيتها وطبعها فى الاسترسال لم يعرض له شىء من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم فى هذا الضرب المشار اليه اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما واعلم أن هذا الضرب من الكلام هو ضد الفصاحة لان الفصاحة هى الظهور والبيان وهذا عار عن هذا الوصف (وأما الضرب الثانى) الذى يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصره حد ولا ينتهى اليه شرح وقد أشرنا الى نبذة منه فى هذا الكتاب ليستدل بها على أشباهها ونظائرها (فمن ذلك تقديم السبب على المسبب) كقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فانه انما قدم العبادة على الاستعانة لان تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب وأسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين واياك نعبد لكان جائزا الا أنه لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الموقع وهذا لا يخفى على المنصف من أرباب هذه الصناعة وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا فقدم حياة الارض واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا أشرف محلا لان حياة الارض هى سبب لحياة الانعام والناس فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة فى الذكر ولما كانت الانعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها فى الذكر على الناس لان حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقى ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم (ومن هذا الضرب تقديم الاكثر

بحسبان أى بحساب (فاح) الطيب يفوح فوحا وفاحت الشجة تفيح فيحا بالدم (كبا) الفرس يكبو كبوا وكبا الزند يكبو وكبوا اذا لم يور (قنع) يقنع قناعة اذا رضى وقنع يقنع قنوعا اذا سأل ومنه وأطعموا القانع والمعتر (رضع) الصبى يرضع ورضع يرضع رضاعا ورضاعا ورضع الرجل يرضع رضاعة اذا لؤم من قولك لئيم راضع والاصل فيهما واحد لان أصل قولهم لئيم راضع انه يرضع الابل والغنم ولا يحلبهما كى لا يسمع صوت الحلب ثم قيل لكل لئيم اذا وكد لؤمه راضع فانتقل عن حد الفعل الى مذهب الطبائع والاخلاق فقيل رضع كما قيل لؤم وجبن وشجع وظرف وكذلك أكثر هذه الحروف اذا أنت رجعت الى أصولها وجدتها من موضع واحد وفرق بين مصادرها وبين بعض أفعالها ليكون لكل معنى لفظ غير لفظ الآخر (بعد فلان) يبعد بعدا وبعد بكسر العين يبعد بعدا اذا هلك من قول الله عز وجل كما بعدت ثمود وبعدا أيضا (عرضت) له الغول تعرض عرضا وغيرها عرض يعرض عرضا (ضرب الفحل) الناقة يضربها ضرابا وضرب العرق يضرب ضربانا وضرب الرجل فى الارض اذا خرج يطلب الرزق ضربا (لوى يده) يلويها ليا ولواه بدينه يلويه ليانا اذا مطله (قر يقر) قرارا اذا سكن وقر يوما يقر قرا (وحر يوما) يحر حرارة وحرا (وقرت عينى) تقر وتقر قرة وقرورا (نفر القوم) فى الامر

على الاقل) كقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وانما قدم الظالم لنفسه للايذان بكثرته وأن معظم الخلق عليه ثم أتى بعده بالمقتصدين لانهم قليل بالاضافة اليه ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل أعنى من المقتصدين فقدم الاكثر وبعده الاوسط ثم ذكر الاقل آخرا ولو عكست القضية لكان المعنى أيضا واقعا فى موقعه لانه يكون قد روعى فيه تقديم الافضل فالافضل (ولنوضح لك فى هذا وأمثاله طريقا تقتفيه فنقول) اعلم أنه اذا كان الشيآن كل واحد منهما مختصا بصفة فأنت بالخيار فى تقديم أيهما شئت فى الذكر كهذه الآية فان السابق بالخيرات مختص بصفة الفضل والظالم لنفسه مختص بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله (ومن هذا الجنس) قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فانه انما قدم الماشى على بطنه لانه أدل على القدرة من الماشى على رجلين اذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشى ثم ذكر الماشى على رجلين وقدمه على الماشى على أربع لانه أدل على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشى فى الاربع وهذا من باب تقديم الاعجب فالاعجب ﴿فان قيل﴾ قد ورد فى القرآن الكريم فى مواضع منه ما يخالف هذا الذى ذكرته كقوله تعالى فى سورة هود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار ثم قال وأما الذين سعدوا ففى الجنة فقدم أهل النار فى الذكر على أهل الجنة وهذا مخالف للاصل الذى أصلته فى هذا الموضع ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أن هذا الذى أشرت اليه فى سورة هود وما أشبهه له أسرار تحتاج الى فضل تأمل وامعان نظر حتى تفهم أما هذا الموضع فانه لما كان الكلام مسوقا فى ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الاولين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير كان الاليق أن يوصل الكلام بما يناسبه فى المعنى وهو ذكر أهل النار فمن أجل ذلك قدموا فى الذكر على أهل الجنة واذا رأيت فى القرآن شيأ من هذا القبيل وما يجرى مجراه فتأمله وأمعن نظرك فيه حتى يتبين لك مكان الصواب منه واعلم أنه اذا كان مطلع الكلام فى معنى من المعانى ثم يجىء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر وكان المعنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام فأنت بالخيار فى تقديم أيهما شئت لانك ان قدمت الافضل فهو فى موضعه من التقديم وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر الشئ مع ما يناسبه أيضا وارد فى موضعه (فمن ذلك) قوله تعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير فانه انما قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن لانه ذكر البلاء فى آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى هن من جملة ما لا يشاؤه الانسان ولا يختاره أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر ذكر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه اياهم لان التعريف تنويه بالذكر كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وهذه دقائق لطيفة قل من يتنبه لها أو يعثر على رموزها (ومن هذا

(الباب

ينفرون نفورا ونفر الحاج نفرا ونفرت الدابة نفارا (أنفق البيع) ينفق نفاقا ونفقت الدابة اذا ماتت تنفق نفوقا (جلوت السيف) أجلوه جلاء وجلوت العروس جلوة وجلوت بصرى بالكحل جلوا (خطر بيالى) خطورا وخطر فى مشيته خطرانا وخطر البعير بذنبه خطرا وخطيرا (طاف حول الشئ) يطوف طوفا وطاف الخيال يطيف طيفا وأطاف يطاف اطيافا اذا قضى حاجته وأطاف به اطافة اذا ألم به (عجزت) عن الشئ أعجز عجزا ومعجزة وعجزت المرأة تعجز عجزا اذا عظمت عجيزتها وعجزت تعجز تعجيزا اذا صارت عجوزا (حمر) يحمر حمرا من الحمرة وحمر عن ذراعيه يحمر حمرا (قطعت الحبل) قطعا وقطع رحمه قطيعة وقطعت الطير قطوعا اذا انحدرت من بلاد البرد الى بلاد الحر وقطعت النهر قطوعا (ومن المصادر التى لا افعال لها) رجل بين الرجولة والرجولية وراجل بين الرجلة (فارس على الدابة) بين الفروسة والفروسية وفارس بالعين بين الفراسة (رجل غمر) أى معنى بين الغمورة من قوم غمار وغمور وكذلك ماغمر ورجل غمر أى غير مجرب بين الغمارة من قوم أغمار (كلبة صارف) بينة الصروف وناقة صروف بينة الصريف (امرأة حصان) بينة الحصانة والحصن وفرس حصان بين التحصين والتحصن (حافر وقاح) بين الوقاحة والوقح والقحة ورجل وقاح الوجه بين القحة والقحة

الباب) قوله تعالى وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء فانه انما قدم الارض فى الذكر على السماء ومن حقها التأخير لانه لما ذكر شهادته على شؤن أهل الارض وأحوالهم ووصل ذلك بقوله وما يعزب لاءم بينهما ليلى المعنى المعنى ﴿فان قيل﴾ قد جاء تقديم الارض على السماء فى الذكر فى مواضع كثيرة من القرآن (قلنا) اذا جاءت مقدمة فى الذكر فلا بد لتقديمها من سبب اقتضاه وان خفى ذلك السبب وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض

(النوع العاشر فى الحروف العاطفة والجارة) وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المعزى وما رأيت أحدا من علماء هذه الصناعة تعرض اليه ولا ذكره وما أقول انهم لم يعرفوه فان هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى لانه مذكور فى كتب العربية جميعها ولست أعنى بايراده ههنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه فى الاعراب ولا أن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه بل أمرا وراء ذلك وان كان المرجع فيه الى الاصل النحوى (فأقول) ان أكثر الناس يضعون هذه الحروف فى غير مواضعها فيجعلون ما ينبغى أن يجر بعلى بفى فى حروف الجر وفى هذه الاشياء دقائق أذكرها لك أما حروف العطف فنحو قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين فالاول عطفه بالواو التى هى للجمع وتقديم الاطعام على الاسقاء والاسقاء على الاطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الثانى بالفاء لان الشفاء يتعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جىء فى عطفه بثم التى هى للتراخى ولو قال قائل فى موضع هذه الآية الذى يطعمنى ويسقين ويمرضنى ويشفين ويميتنى ويحيين لكان للكلام معنى تام الا أنه لا يكون كمعنى الآية اذ كل شئ منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه (ومما جاء من هذا الباب) قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ألا ترى أنه لما قال من نطفة خلقه كيف قال فقدره ولم يقل ثم قدره لان التقدير لما كان تابعا للخلقة وملازما لها عطفه عليها بالفاء وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان بين خلقته وتقديره فى بطن أمه وبين اخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره لان بين اخراجه من بطن أمه وبين موته تراخيا وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضا ولذلك عطفهما بثم ولما لم يكن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يتفطن لاستعماله كما ينبغى (ومما جاء من ذلك أيضا) قوله تعالى فى قصة مريم وعيسى عليهما السلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفى هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى هى للتراخى والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الاخرى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فانها عطفت بالفاء وقد اختلف الناس فى مدة حملها فقيل انه كان كحمل غيرها من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثة أيام وقيل أقل وقيل أكثر وهذه الآية مزيلة للخلاف لانها دلت صريحا على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير

والوقاحة (ورجل هجين) بين الهجونة وامرأة هجان بينة الهجانة وفرس هجين بين الهجنة (جارية) بينة الجراء والجراء وجرى بين الجراية والجراية (أمة) بينة الاموة (وأم) بينة الامومة (وأب) بين الابوة (وأخت) بينة الاخوة (وبنت) بينة البنوة (وخال) بين الخؤلة (وعم) بين العمومة (ورجل) سبط الشعر بين السبوطة وسبط الجسم بين السباطة

﴿باب الافعال﴾

(علوت) فى الجبل علوا وعليت فى المكارم علاء (وحليت) فى عينى وفى صدرى تحلى وحلا فى الشراب يحلو (ولهيت) عن كذا فأنا ألهى اذا غفلت ولهوت من اللهو فأنا ألهو (وهذا شراب يحذى اللسان) وهو يحذو النعل (وقلوت اللحم) والبسر وقليت الرجل أبغضته (وفلوت المهر) عن أمه فطمته وفليت رأسه حنوت عليه عطفت وحنيت العود وحنيت ظهرى وحنوت لغة (كبر الرجل) اذا أسن وكبر الامر اذا عظم (بدن الرجل) يبدن بدنا وبدانة وهو بادن اذا ضخم وبدن الرجل اذا أسن تبدينا وهو رجل بدن قال الاسود بن يعفر

هل لشاب فات من مطلب
أم ما بكاء البدن الاشيب

وقال حميد الارقط

وكنت خلت الشيب والتبدينا
والهم مما يذهل القرينا

(استخبينا) خباءنا اذا نصبناه

مهلة وربما كان ذلك فى يوم واحد أو أقل أخذا بما دلت عليه الآية (ومما ورد من هذا الاسلوب) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففى الآية المتقدم ذكرها قال من نطفة خلقه فقدره فعطف التقدير على الخلق بالفاء لانه تابع له ولم يذكر تفاصيل حال المخلوق وفى هذه الآية ذكر تفاصيل حاله فى تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه الخلق الثانى الذى هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخى وحيث صار الى التقدير الذى يتبع بعضه بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكرا أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بثم (فان قيل) انه قد عطف المضغة على العلقة فى هذه الآية بالفاء وفى أخرى بثم وهى قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فالجواب عن ذلك)

(بياض باصله)

(واعلم) أن فى حروف العطف موضعا تلتبس الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه الى فضل تأمل وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفاء دون الواو وقد يجىء من الافعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطى ظاهره أنه كذلك الا أن معناه يكون مخالفا لمعنى فعل المطاوعة فيعطف حينئذ بالواو ولا بالفاء كقوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقوله أغفلنا قلبه ههنا بمعنى صادفناه غافلا وليس منقولا عن غفل حتى يكون معناه صددناه لانه لو كان كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء وقيل فاتبع هواه وذلك أنه يكون مطاوعا وفعل المطاوعة لا يعطف الا بالفاء كقولك أعطيته فأخذ ودعوته فأجاب ولا تقول أعطيته وأخذ ولا دعوته وأجاب كما لا يقال كسرته وانكسر وكذلك لو كان معنى أغفلنا فى الآية صددنا ومنعنا لكان معطوفا عليه بالفاء وكان يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالواو وطريقه أنه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أى لا تطع من فعل كذا وكذا مدد أفعاله التى توجب ترك طاعته فاعرف ذلك (وأما حروف الجر) فان الصواب يشذ عن وضعها فى مواضعها وقد علم أن فى للوعاء وعلى للاستعلاء كقولهم زيد فى الدار وعمرو على الفرس لكن اذا أريد استعمال ذلك فى غير هذين الموضعين مما يشكل استعماله عدل فيه عن الاولى (فمما ورد منه) قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ألا ترى الى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفى الجر ههنا فانه انما خولف بينهما فى الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس فى ظلام منخفض فيه لا يدرى أين يتوجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله فى الكلام وكثيرا ما سمعت اذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الامور فيقول له أنت على ضلالك القديم كما أعهدك فيأتى بعلى فى موضع فى وان كان هذا جائزا الا أن استعمال فى ههنا أولى لما أشرنا اليه ألا ترى الى قوله تعالى فى سورة يوسف قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم (ومن هذا النوع قوله تعالى) انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فانه انما عدل عن اللام الى فى فى الثلاثة الاخيرة للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام لان فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم

ودخلنا فيه وأخبيناه نصبناه (استعم) الرجل عما اذا اتخذ عما هذا قول الكسائى قال أبو زيد تعممت الرجل اذا دعوته عما * (زعت الناقة) عطفتها قال ذو الرمة

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له
زع بالزمام وجوز الليل مركوم

أى اعطف الناقة بالزمام ووزعت الناقة كففتها وجاء فى الحديث من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن ومنه الوازع فى الجيش ولا بد للناس من وزعة أى من سلطان يكفهم (قتل الرجل) بالسيف فان قتله عشق النساء والجن فليس يقال فيه الا اقتتل قال ذو الرمة

اذا ما امرؤ حاولن أن يقتتلنه
بلا احنة بين النفوس ولا ذحل

(تأييت) بالتشديد والقصر تحبست قال الكميت

قف بالديار وقوف زائر
وتأى انك غير صاغر

وتأييت بالمد وترك التشديد تعمدت (تهجدت) سهرت وهجدت نمت (جبت) القميص قورت جيبه وجيبته جعلت له جيبا (نميت الحديث) نقلته على جهة الاصلاح ونميته مشددا نقلته على جهة الافساد (ثغر) الصبى اذا سقطت رواضعه وأثغر اذا نبتت أسنانه وثغر الرجل فهو مثغور اذا كسر ثغره قال جرير

أيشهد مثغور علينا وقد رأى
سميرة منا فى ثناياه مشهدا

(عرج) الرجل اذا صار أعرج وعرج اذا أصابه شىء فجمع وليس ذلك بخلقة وعرج فى الدرجة

الصدقات كما يوضع الشىء فى الوعاء وأن يجعلوا مظنة لها وذلك لما فى فك الرقاب وفى الغرم من التخلص وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسياق الكلام أن يقال وفى الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جىء بفى مرة ثانية وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أوكد فى استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لا توجد الا فى هذا الكلام الشريف فاعرفها وقس عليها (النوع الحادى عشر فى الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما) ولم أذكر هذا الموضع لان يجرى الامر فيه على ما يجرى مجراه فقط بل لان يقاس عليه مواضع أخرى مما يماثله وتشابهه ولو كان شبها بعيدا وانما يعدل عن احد الخطابين الى الآخر لضرب من التأكيد والمبالغة (فمن ذلك قولنا قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم معناه الاخبار عن زيد بالقيام ايضا الا ان فى الثانى زيادة ليست فى الاول وهى توكيده بان المشددة التى من شأنها الاثبات لما يأتى بعدها واذا زيد فى خبرها اللام فقيل ان زيدا لقائم كان ذلك اكثر توكيدا فى الاخبار بقيامه وهذا مثال ينبنى عليه أمثلة كثيرة من غير هذا النوع (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فانهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان المشددة لانهم فى مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط فكان ذلك متقبلا منهم ورائجا عند اخوانهم وأما الذى خاطبوا به المؤمنين فانما قالوه تكلفا واظهارا للايمان خوفا ومداجاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين الا رواجا ظاهرا لا باطنا ولانهم ليس لهم فى عقائدهم باعث قوى على النطق فى خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا فى خطاب المؤمنين آمنا وفى خطاب اخوانهم انا معكم وهذه نكت تخفى على من ليس له قدم راسخة فى علم الفصاحة والبلاغة (ومما يجرى هذا المجرى) وورود لام التوكيد فى الكلام ولا يجىء ذلك الا لضرب من المبالغة وفائدته أنه اذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه جىء باللام تحقيقا لذلك (فمما جاء منه) قوله تعالى فى أول سورة المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فانظر الى هذه اللامات الثلاثة الواردة فى خبر ان والاولى وردت فى قول المنافقين وانما وردت مؤكدة لانهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبى صلى الله عليه وسلم وتقوّلوه وبالغوا فى التملق وفى باطنهم خلافه وأما ما ورد فى الثانية والثالثة فصحيح لا ريب فيه واللام فى الثانية لتصديق رسالته وفى الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذين هم على خلافه (وكذلك) ورد قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون فانه انما جىء باللام ههنا لزيادة التوكيد فى اظهار المحبة ليوسف عليه السلام والاشفاق عليه ليبلغوا الغرض من أبيهم فى السماحة بارساله معهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ثم قال أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ألا ترى كيف أدخلت اللام فى آية المطعوم دون آية المشروب وانما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب ملحا أسهل امكانا فى العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب وكثيرا ما اذا جرت

والسهم يعرج عروجا (ضاعفت) للرجل الشىء أعطيته أضعافا مثله وأضعفته أعطيته ضعفه (آزرنى فلان) عاوننى ووازرنى صار لى وزيرا (نشطت) العقدة اذا عقدتها بأنشوطة وأنشطتها حللتها ومنه يقال كأنما أنشط من عقال (أملحت القدر) اذا أكثرت ملحها وملحتها خفيف اذا ألقيت فيها ملحا بقدر (حمأت البئر) اذا أخرجت حمأتها وأحمأتها جعلت فيها حمأة (أدلى الرجل) دلوه اذا ألقاها فى الماء ليستقى فاذا جذبها ليخرجها قيل دلا يدلو (فرى الاديم) قطعه على جهة الاصلاح وأفرى الرجل قطعه على جهة الافساد (تربت يداك) افتقرت وأتربت يداك استغنيت (أخفيت الشىء) اذا سترته وأخفيته اذا أظهرته قال أبو عبيدة أخفيته فى معنى خفيته اذا أظهرته (أنصلت الرمح) اذا نزعت نصله وكان يقال لرجب منصل الأسنة لانهم كانوا ينزعون الاسنة فيه ونصلته ركبت عليه النصل (أعذرت) فى طلب الحاجة اذا بالغت وعذرت مشددا اذا توانيت (أفرط فى الشىء) جاز القدر وفرط قصر (أقذيت العين) ألقيت فيها القذى وقذيتها أخرجت منها القذى (أمرضت) المريض فعلت به فعلا يمرض عنه ومرضته قمت عليه فى مرضه (أعل) عن الوسادة ارتفع عنها وأعل على الوسادة أى صر فوقها من علوت (قسط) فى الجور فهو قاسط وأقسط فى العدل فهو مقسط (وأضفت الرجل) أزلته

المياه العذبة على الاراضى المتغيرة التربة أحالتها الى الملوحة فلم يحتج فى جعل الماء العذب ملحا الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله حطاما من الاشياء الخارجة عن المعتاد واذا وقع فلا يكون الا عن سخط من الله شديد فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة فى تحقيق أمره وتقرير ايجاده (ومما يتصل بذلك) قوله تعالى وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون فاللام فى لنحن هى اللام المشار اليها (وكذلك ورد قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا فان هذه اللام فى قوله ليستخلفنهم وليمكنن وليبدلنهم انما جاءت لتحقيق الامر واثباته فى نفوس المؤمنين وأنه كائن لا محالة (ومما يجرى هذا المجرى فى التوكيد) لام الابتداء المحققة لما يأتى بعدها كقوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فاللام فى ليوسف لام الابتداء وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها أى ان زيادة حبه ايا هما أمر ثابت لا امراء فيه (ومن هذا النوع قول بعضهم)

والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس
لم ينتقص منى المشيب قلامة * ولما بقى منى ألب وأكيس

فقوله ولما بقى منى تقديره وما بقى منى وانما أدخل على ما هذه اللام قصد التأكيد المعنى لانه موضع يحتاج الى التأكيد ألا ترى أن قوة العمر فى الشباب ولما أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب وليس مما يوصف وانما يذم أتى باللام لتؤكد ما قصده من الصفة وكذلك ورد قول الشاعر من أبيات الحماسة

انا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو الاصيد
ومتى نجد يوما فساد عشيرة * نصلح وان نر صالحا لا نفسد

وهذا كثير سائغ فى الكلام الا أنه لا يتأتى لمكان العناية بما يعبر به عنه ألا ترى الى قول الشاعر انا لنصفح عن مجاهل قومنا فانه لما كان الصفح مما يشق على النفس فعله لانه مقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان أكده باللام تحقيقا له فان عرى الموضع الذى يؤتى فيه بهذه اللام من هذه الفائدة المشار اليها وما يجرى مجراها فان ورود اللام فيه لغير سبب اقتضاه وأكثر ما تستعمل هذه اللام فى جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك فى الايجاب دون النفى لانها لا تستعمل فى النفى ألا ترى أنه لا يقال والله لا لقمت وانما يقال والله لا قمت لكن فى الايجاب تستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لاقوم فان أضيف اليها النونان الخفيفة والثقيلة كان ذلك أبلغ فى التأكيد كقولك والله لاقومن وعلى ذلك وردت الآية المتقدم ذكرها وهى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات وان لم يكن جوابا القسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة فى التأكيد وهما تأكيدان أحدهما مردف بالآخر وكذلك فاعلم أن النون الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت فى موضع فانما يقصد بها التأكيد (فمما جاء منها) قول البحترى فى معاتبة الفتح بن خاقان

هل تجلبن الى عطفك موقف * ثبت لديك أقول فيه وتسمع
ما زال لى من حسن رأيك موئل * آوى اليه من الخطوب ومفزع
فعلام أنكرت الصديق وأقبلت * نحوى جناب الكاشحين تطلع
وأقام يطمع فى تهضم جانبى * من لم يكن من قبل فيه يطمع
الا يكن ذنب فعدلك واسع * أو كان لى ذنب فعفوك أوسع

وهذه

وصفته نزلت عليه وضيفته نزلته منزلة الضيف قال الله عز وجل فأبوا أن يضيفوهما (قال أبو عبيدة) كل شئ من العذاب يقال فيه أمطر بالالف قال الله تعالى فأمطر علينا حجارة من السماء وكل شئ من الرحمة والغيث يقال فيه مطر وغيره يجيز مطرنا وأمطرنا فى كل شئ (أدين) بالفتح آخذ بالدين قال الانصارى

أدين وما دينى عليكم بمغرم
ولكن على الشم الجلاد القراوح

يعنى النخل وأدين بالضم أعطى الدين قال الهذلى

أدان وأنبأه الاولو
ن بان المدين ملئ وفى

(أقصر عن الامر) نزع عنه وهو يقدر عليه وقصر عنه اذا عجز عنه (وعدتك خيرا وشرا) قال الله عز وجل النار وعدها الله الذين كفروا والاسم الوعد وتوعدتك تهددتك وواعدتك مواعدة لوقت قال أبو عبيدة الوعد والميعاد والوعيد واحد قال الفراء يقولون وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا وعدته فى الخير وفى الشر أوعدته فأثبتوا الالف قال الراجز

* أوعدنى بالسجن والاداهم *

قال الكسائى (وضمت اللحم) عملت له وضما وأوضمته جعلته على الوضم غيره (خفق النجم) اذا غاب وأخفق اذا تهيأ للمغيب وكذلك خفق الطائر اذا طار وأخفق اذا ضرب بجناحيه ليطير (لاح النجم) اذا بدا وألاح اذا تلألأ قال المتلمس

وهذه أبيات حسنة مليحة فى بابها يمحى بها حر الصدود ويستمال بها أصعر الخدود وإغا ذكرتها بجملتها لمكان حسنها والبيت الأول هو المراد ألا ترى أنه قال هل تعلمن الى عطفك موقف فالنون جاءت قصد اللتأكيد وهو فى هذا المقام متمن فأحب أن يؤكد هذه الامنية وكل ما يجىء من هذا الباب فانه واقع هذا الموقع واذا استعمل عبثا لغير فائدة تقتضيه فانه لا يكون استعماله الا من جاهل بالاسرار المعنوية وأما ما يمثل به النحاة فى قول القائل والله لا قومن فانه مثال نحوى يضرب للجواز والا فاذا قال القائل والله لأقومن وأكده كان ذلك لغوا لانه ليس فى قيامه من الامر العزيز ولا من الامر العسير ما يحتاج معه الى التأكيد بل لو قال والله لأقومن اليك مهددا له لكان ذلك واقعا فى موقعه فافهم هذا وقس عليه (النوع الثانى عشر فى قوة اللفظ لقوة المعنى) هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جنى فى كتاب الخصائص الا أنه لم يورده كما أوردته أنا ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التى تضمنته وهذا يظهر بالوقوف على كلامى وكلامه (فأقول) اعلم أن اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لان الالفاظ أدلة على المعانى وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد فى الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعانى وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل الا فى مقام المبالغة (فمن ذلك) قولهم خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو فعل وافعوعل وكذلك قولهم أعشب المكان فاذا رأوا كثرة العشب قالوا اعشوشب (ومما ينتظم بهذا السلك) قدر واقتدر فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر قال الله تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فمقتدر ههنا أبلغ من قادر وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذى لا يصدر الا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة فان المقتدر أبلغ فى البسطة من القادر وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر وقادرا اسم فاعل من قدر ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل وعلى هذا ورد قول أبى نواس

فعفوت عنى عفو مقتدر * حلت له نقم فألغاها

أى عفوت عنى عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شىء عن امضاء قدرته وأمثال هذا كثيرة وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فان غفارا أبلغ فى المغفرة من غافر لان فعالا يدل على كثرة صدور الفعل وفاعلا لا يدل على الكثرة وعليه ورد قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فالتواب هو الذى تتكرر منه التوبة مرة على مرة وهو فعال وذلك أبلغ من التائب الذى هو فاعل فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب أى صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قيل تواب كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة وهذا وما يجرى مجراه انما يعمد اليه لضرب من التوكيد ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه نحو قوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون فان معنى كبكبوا من الكب وهو القلب الا أنه مكرر المعنى وانما استعمل فى الآية دلالة على شدة العقاب لانه موضع يقتضى ذلك ولربما انظر بعض الجهال فى هذا فقاس عليه زيادة التصغير وقال انها زيادة ولكنها زيادة نقص لانه يزاد فى اللفظ حرف كقولهم فى الثلاثى فى رجل رجيل وفى الرباعى فى قنديل قنيديل فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظتين وهذا ليس من الباب الذى نحن بصدد ذكره لانه عار عن معنى الفعلية والزيادة فى الالفاظ لا توجب زيادة فى المعانى الا اذا تضمنت معنى الفعلية لان الاسماء التى لا معنى للفعل فيها اذا زيدت استحال معناها ألا ترى أنا لو نقلنا لفظة عذب وهى ثلاثية الى الرباعى فقلنا عذيب على وزن جعفر

وقد ألاح سهيل بعد ما هجعوا
كأنه ضرم بالكف مقبوس

(أزررت القميص) جعلت له ازرارا وزررته شددت أزراره (أقبلت النعل) جعلت لها قبالا وقبلتها شددت قبالها (عمدت الشىء) أقمته وأعمدته جعلت تحته عمدا (أزججت الرمح) جعلت له زجا وزججته طعنت بزجه (أنشدت الضالة) عرفتها ونشدتها أنشدها نشدا اذا طلبتها (اكننت الشىء) اذا سترته قال الله عز وجل أو أكننتم فى أنفسكم وكننت الشىء صنته قال الله عز وجل كأنهن بيض مكنون وبعضهم يجعل كننته واكننته بمعنى (أتبعت القوم) لحقتهم وتبعت القوم سرت فى أثرهم (شرقت الشمس) شروقا طلعت وأشرقت أضاءت (جزت الموضع) سرت فيه وأجزته قطعته وخلفته قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى
بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل

(وأرهقت فلانا) أعجلته ورهقته غشيته قال الفراء (عجلت الشىء) سبقته ومنه قول الله جل وعز أعجلتم أمر ربكم وأعجلته استحثثته (وقللت الشىء وكثرته) اذا جعلت كثيرا قليلا وقليلا كثيرا وأقللت وأكثرت جئت بقليل وكثير وبعضهم يجعل أقللت وقللت وأكثرت وكثرت بمعنى واحد قال الكسائى والعرب تقول (أكذبت الرجل) اذا أخبرته انه جاء بالكذب ورواه وتقول كذبته اذا أخبرت انه كاذب وبعضهم يجعلهما جميعا بمعنى (أولدت الغنم) حان ولادها

لاستحال معناها ولم يكن لها معنى وكذلك لو نقلنا لفظة عسجد وهى رباعية الى الخماسى فقلنا عسجدد على وزن جحمرش لاستحال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر فان قادر اسم فاعل قدر وهو ثلاثى ومقتدر اسم فاعل اقتدر وهو رباعى فلذلك كان معنى القدرة فى اقتدر أشد من معنى القدرة فى قدر وهذا لا نزاع فيه وهذا الباب بجملته لا يقصد به الا المبالغة فى ايراد المعانى وقد يستعمل فى مقام المبالغة فينعكس المعنى فيه الى ضده كما جاء لابى كرام التميمى من شعراء الحماسة وهو قوله

لله تيم أى رمح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد
ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير مكذب جياد

فلفظة جياد قد وردت ههنا وانما أوردها هذا الشاعر وقصد بها المبالغة فى وصف شجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذى قصده لان جيادا من جيد فهو جياد أى وجدمنه الجيدودة مرارا كما يقال قتل فهو قتال أى وجد منه القتل مرارا واذا كان هذا الرجل غير جياد كان حائدا أى وجدت منه الجيدودة مرة واحدة واذا وجدت منه مرة كان ذلك جبنا ولم يكن شجاعة والاولى ان كان قال غير مكذب حائد (وينبغى) أن يعلم أنه اذا وردت لفظة من الالفاظ ويجوز حملها على التضعيف الذى هو طريق المبالغة وحملها على غيره أن ينظر فيها فان اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه (فن ذلك) قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها

منى النفس فى أسماء لو تستطيعها * وهى قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بين بنى تغلب فما جاء فيها قوله

رفعت بضبعى تغلب ابنة وائل * وقد يئست أن يستقل صريعها
فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتح يوم ذاك شفيعها
تألفتهم من بعد ما شردت بهم * حفائظ أخلاق بطىء رجوعها
فأبصر غاويها المحجة فاهتدى * وأقصر غاليها ودانى شسوعها

فقوله تألفتهم من بعد ما شردت بهم يجوز أن تخفف لفظة شردت ويجوز أن تثقل والتثقيل هو الوجه لانه فى مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم وكل ما يجىء من الالفاظ على هذا النحو فينبغى أن يجرى هذا المجرى (وههنا نكتة لا بد من التنبيه عليها) وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم الا فى نقل صيغة الى صيغة أكثر منها كنقل الثلاثى الى الرباعى والا فاذا كانت صيغة الرباعى مثلا موضوعة لمعنى فانه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثى الى مثل تلك الصيغة ألا ترى أنه اذا قيل فى الثلاثى قتل ثم نقل الى الرباعى فقيل قتل بتشديد التاء فان الفائدة من هذا النقل هى التكثير أى أن القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما فان كلم على وزن قتل ولم يرد به التكثير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه اياه طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثى نقلت عنه الى الرباعى لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثى ورباعى فكان الرباعى أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذاك أن تكون كلم من الجرح أى جرّح ولها ثلاثى وهو كلم مخففا أى جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة واذا وردت مثقلة دلت على التكثير (وكذلك) ورد قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا فان لفظة رتل على وزن لفظة قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وانما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأنى والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثى

وولدت اذا وضعت (أسجد الرجل) اذا طأطأ رأسه وانحنى وسجد اذا وضع جبهته بالارض (أكبحت الدابة) اذا جذبت عنانه حتى ينتصب رأسه وكبحته بالباء وهو أن تجذبه اليك باللجام لكى يقف ولا يجرى (قد أفصح الاعجمى) اذا تكلم بالعربية وفصح اذا حسنت لغته ولم يلحن (أمرته فأطاع) بالالف وقد طاع له اذا انقاد فهو يطوع ويقال أطاع له المرتع وطاع اذا امتنع وأمكنه من الرعى (أضللت الشئ) بمكان كذا اذا أضعته وضللته اذا أردته فلم تهتد له (أحميت المكان) جعلته حمى وحميته منعته وأحميت الحديدة فى النار وأحميت الرجل أغضبته (أعال الرجل) اذا كثر عياله وعال يعيل اذا افتقر وعال يعول اذا جار قال الله عز وجل ذلك أدنى أن لا تعولوا (أقبرت الرجل) أمرت بأن يقبر قال الله عز وجل ثم أماته فأقبره وقبرته دفنته (سبعت الرجل) وقعت فيه وأسبعته أطعمته السبع (غب فلان) عندنا اذا بات (ومنه سمى اللحم البايت الغاب) وأغبنا أتانا غبا (بصرت من البصيرة) أى علمت قال الله عز وجل بصرت بما لم يبصروا به وأبصرت بالعين (جزى عنى الامر) يجزى بغير همز أى قضى عنى وأغنى قال الله عز وجل يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ وأجزأنى يجزئنى مهموز أى كفانى (أخدجت الناقة) والشاة اذا ألقت ولدها التمام وهو ناقص الخلق وخدجت فهى خادج اذا

لها حتى تنقل عنه الى رباعى واغا هى رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة فى اللفظ والمعنى الا بالنقل من وزن الى وزن أعلى منه فاعرف ذلك (ومن ههنا) شذ الصواب عمن شذ عنه فى عالم وعليم فان جمهور علماء العربية يذهبون الى أن عليما أبلغ فى معنى العلم من عالم وقد تأملت ذلك وأنعمت نظرى فيه فحصل عندى شك فى الذى ذهبوا اليه والذى أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة اذ كل منهما أربعة أحرف وليس بينهما زيادة ينقل فيها الادنى الى الاعلى والذى يوجبه النظر أن يكون الامر على عكس ماذكروه وذلك أن يكون عالم أبلغ من عليم وسببه أن عالما اسم فاعل من علم وهو متعد وان عليما اسم فاعل من علم الا أنه أشبه وزن الفعل القاصر نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا الوزن لا يكون الا فى الفعل القاصر فلما أشبهه عليم انحط عن رتبة عالم الذى هو متعد ألا ترى أن فعل بفتح الفاء وكسر العين يكون متعديا نحو علم وحمد ويكون قاصرا غير متعد نحو غضب وشبع وأما فعل بفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون الا قاصرا غير متعد ولما كان فعل بفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدى والقاصر وكان فعل بفتح الفاء وضم العين قاصرا غير متعد صار القاصر أضعف مما يدور بين المتعدى والقاصر وحيث كان الامر كذلك وأشبه وزن المتعدى وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله فى الرتبة دون المتعدى الذى ليس بقاصر هذا هو الذى أوجب لى التشكيك فيما ذهب اليه غيرى من علماء العربية ولربما كان ماذهبوا اليه لامر خفى عنى ولم أطلع عليه ﴿ النوع الثالث عشر فى عكس الظاهر ﴾ وهو نفى الشئ باثباته وهو من مستطرفات علم البيان وذاك أن تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفى لصفة موصوف وهو نفى للموصوف أصلا (فمما جاء منه) قول على بن أبى طالب رضى الله عنه فى وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته أى لا تذاع سقطاته فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتنثى وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وقد ورد فى الشعر كقول بعضهم * ولا ترى الضب بها ينجحر * فان ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب ذلك أن الفهم يكاد يأباه ولا يقبله الا بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه وما كان عاريا عن قرينة فانه لا يفهم منه ما أراد قائله وسأوضح ذلك فأقول أما قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته فان مفهوم هذا اللفظ انه كان هناك فلتات الا أنها تطوى ولا تنشر وتكتم ولا تذاع ولا يفهم منه أنه لم يكن هناك فلتات الا بقرينة خارجة عن اللفظ وهى أنه قد ثبت فى النفوس وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فلما قيل انه لا تنثى فلتاته فهمنا منه أنه لم يكن هناك فلتات أصلا وأما قول القائل * ولا ترى الضب بها ينجحر * فانه لا قرينة تخصصه حتى يفهم منه ما فهم من الاول بل المفهوم أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر ولقد مكثت زمانا أطوف على أقوال الشعراء قصد الظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد الا بيتا لامرئ القيس وهو

على لاحب لا يهتدى لمناره * اذا ساقه العود النباطى جرجرا

فقوله لا يهتدى لمناره أى أن له منارا الا أنه لا يهتدى به وليس المراد ذلك بل المراد أنه لا منار له يهتدى به ولى أنا فى هذا بيت من الشعر وهو

ألقته قبل تمام الوقت (أرم العظم) من الشاة اذا صار فيه رم وهو المخ ورم العظم اذا بلى (أشجيت الرجل) أغصصته وشجوته أشجوه شجوا أحزنته ويقال منها شجى يشجى شجى (رصنت الشئ) أكملته وأرصنته أحكمته (وغيت) غاية عملتها وهى الراية وأغييتها نصبتها (أشررت الشئ) أظهرته ومنه قول الشاعر

فما برحوا حتى قضى الله صبرهم
وحتى أشرت بالاكف المصاحف

أى أظهرت وشررت الثوب اذا بسطته وشررت الملح اذا جعلته على شئ ليجف (أكنفت الرجل) أعنته وكنفته حطته (يبست الارض) اذا ذهب ماؤها ونداها وأيبست كثر يبسها (أخلت فيه الخير) رأيت مخيلته وكذلك أخلت السحابة وأخيلتها أى رأيتها مخيلة للمطر وخلت كذا أخاله خيلا ظننته قال ابن الاعرابى شجر مثمر اذا طلع ثمره وشجر ثامر اذا نضج أعقدت الرب وغيره وعقدت الحلف والخيط (أحبست الفرس) فى سبيل الله وحبست فى غيره أرهنت فى المخاطرة وأرهنت أيضا أسلفت ورهنت فى غير ذلك (أوعيت المتاع) جعلته فى الوعاء (ووعيت العلم) حفظته (أحصره المرض) والعدو اذا منعه من السفر قال الله عز وجل فان أحصرتم فما استيسر من الهدى وحصره العدو اذا ضيقوا عليه (أوهم الرجل) فى كتابه وكلامه يوهم ايهاما اذا أسقط منه شيأ ووهم يوهم وهما محركة الهاء اذا غلط ووهم الى

أدنين جلباب الحياء فلن يرى * لذيولهن على الطريق غبار

وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هونا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلا أي أنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون اذا لذيولهن على الطريق غبار وهذا حسن رائق وهو أظهر بيانا من قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * فمن استعمل هذا النوع من الكلام فليستعمله هكذا والا فليدع على أن الاكثار من استعماله عسر لانه لا يظهر المعنى فيه ﴿النوع الرابع عشر في الاستدراج﴾ وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه لا قصيرا في خطابه فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى القاء يده والا فليس بكاتب ولا شبيه له الا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية وقد ذكرت في هذا النوع ما تعلم منه سلوك هذه الطريق (فمن ذلك) قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقا فيصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له وفي هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما أذكره لك فأقول انما قال يصبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم لا بعضه لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى الى سكونهم اليه فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل كأنه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه لئلا ينفروا منه وكذلك قوله في آخر الآية ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب أي هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما اذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف (ومما يجري على هذا الاسلوب) قوله تعالى واذكر في الكتاب انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا هذا كلام يهز أعطاف السامعين وفيه من الفوائد ما أذكره وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من

الخطا

الشيء بهم وهما مسكنة الهاء اذا ذهب وهمه اليه (أخلد بالمكان) اذا أقام به وخلد يخلد خلودا اذا بقي أعييت في المشي فأنا معي وعييت بالمنطق أعيا عيا وأنا عيي (يقال لكل شيء بلغ نصف غيره نصف) بلا ألف تقول قد نصف الازار ساقه ينصفها واذا بلغ الشيء نصف نفسه قلت أنصف بالالف تقول أنصف النهار اذا بلغ نصفه وبعضهم يجيز نصف النهار ينصف اذا انتصف قال المسيب بن علس وذكر غائصا

نصف النهار الماء غامره
ورفيقه بالغيب لا يدري

أراد انتصف النهار وهو في الماء لم يخرج (أصعد في الارض) وصعد في الجبل بالتشديد وصعد قليلة (غثت الشاة) هزلت وأغث حديث القوم فسد (وغل يغل) اذا توارى بشجر ونحوه فاذا تباعد في الارض قيل أوغل (صحبت الرجل) من الصحبة وأصحبت له انقدت وتابعت (أقبست الرجل) علما وقبسته نارا اذا جئته بها فان كان طلبها له قال أقبسته هذا قول اليزيدي وقال الكسائي أقبسته نارا وعلما سواء قال وقبسته أيضا فيهما جميعا (اسفر لونه) اذا أشرق وأسفر الصبح اذا أضاء وأنار وسفرت المرأة نقابها فهي سافر (أمددته) بالمال والرجال ومددت دواتي بالمداد قال الله عز وجل والبحر يمده من بعده سبعة أبحر هو من المداد لا من الامداد ومد الفرات وأمد الجرح اذا صارت فيه مدة (أجمع فلان) أمره فهو مجمع اذا عزم

الخطأ العظيم الذى عصى به أمر العقل رتب الكلام معه فى أحسن نظام مع استعمال المجاملة واللطف والأدب الجميل والخلق الحسن مستنصحا فى ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولا العلة فى خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ من غفلته لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب الا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر يعنى به الصنم ثم ثنى ذلك بدعوته الى الحق مترفقا به فلم يسم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى لطائفة من العلم وشيأ منه وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق فلا تستنكف وهب أنى واياك فى مسير وعندى معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه فقال ان الشيطان الذى استعصى على ربك وهو عدوك وعدو أبيك آدم هو الذى ورطك فى هذه الورطة وألقاك فى هذه الضلالة وانما ألغى ابراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته فى نصيحة أبيه لانه لامعانه فى الاخلاص لم يذكر من جنايتى الشيطان الا التى تختص بالله وهى عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته آدم وذريته ثم ربع ذلك بتخويفه اياه سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال انى أخاف أن يمسك عذاب فنكر العذاب ملاطفة لابيه وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فانه قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم فأقبل عليه بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بنى وقدم الخبر على المبتدا فى قوله أراغب أنت لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وفى القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لا سيما فى مخاطبات الانبياء صلوات الله عليهم للكفار والرد عليهم وفى هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقنع (وبلغنى حديث) تفاوض فيه الحسين بن على رضى الله عنهما ومعاوية بن أبى سفيان فى أمر ولده يزيد وذلك أن معاوية قال للحسين أما أمك فاطمة فانها خير من أمه وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من امرأة من كلب وأما حبى يزيد فانى لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت وأما أبوك وأبوه فانهما تحاكما الى الله فحكم لابيه على أبيك وهذا كلام من معاوية كلما أمررته بفكرى عجبت من سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فان معاوية علم ما لعلى رضى الله عنه من السبق الى الاسلام والاثر فيه وما عنده من فضيلة العلم فلم يتعرض فى المنافرة الى شئ من ذلك ولم يقل أيضا ان الله أعطانى الدنيا ونزعها منكم لان هذا لا فضل فيه اذ الدنيا ينالها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله ان أباك وأباه تحاكما الى الله فحكم لابيه على أبيك وهذا قول ايهامى يوهم شبهة من الحق واذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ويستدرجه الى الصمت عن الجواب فليقل هكذا (النوع الخامس عشر فى الايجاز) وهو حذف زيادات الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا فرسان البلاغة من سبق الى غايتها وما صلى وضرب فى أعلى درجاتها بالقدح المعلى وذلك لعلو مكانه وتعذر امكانه والنظر فيه انما هو الى المعانى لا الى الالفاظ ولست أعنى بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعنى أن مدار النظر فى هذا النوع انما يختص بالمعانى فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ومن ينظر الى شرف المعانى يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها ولهذا سمى النبى صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم الكتاب

عليه قال الشاعر

* لها أمر حزم لا يفرق مجمع *

وجمعت الشئ المتفرق جمعا (ويقال أخلف الله عليك) لمن ذهب له مال أو ولد أو شئ يستعاض منه وخلف الله عليك لمن هلك له والد أو عم أى كان الله خليفة من المفقود عليك (اجعلت لفلان) من الجعل فى العطية قال وهى الجعالة وأجعلت القدر أنزلتها بالجعال وهى الخرقة التى تنزل بها القدر وجعلت لك كذا جعلا والجعل الاسم (أجبرت فلانا) على الامر فهو مجبر وجبرت العظم فهو مجبور (أحدت المرأة) وحدت وهى فى احداد وحداد وأحددت النظر فى الامر وأحددت السكين والسلاح وحددت الارض من الحدود (يقال لكل ما حبسته بيدك) مثل الدابة وغيره وقفته بغير ألف وما حبسته بغير يدك أوقفته تقول أوقفته على الامر وبعضهم يقول وقفته فى كل شئ (أصحت السماء) وأصحت العاذلة وصحا من السكر (ضربت فى الارض) تباعدت وأضربت عن الامر أمسكت (أكب فلان على العمل) وكببت الاناء أكبه كبا وكببت الجزور وكبا وية قال كبه الله لوجهه بغير ألف قال الفراء (ابعث الخليل) اذا أردت انك أمسكتها للتجارة والبيع فان أردت أنك أخرجتها قلت بعتها قال وكذلك قالت العرب أعرضت العرضان أمسكتها للبيع وعرضتها ساومت بها (وطعنه) فأرماه عن ظهر الدابة كما تقول

واذا نظرنا الى مجموعها وجدناه يسيرا وليست من الكثرة الى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرهما من السور الطوال فعلمنا حينئذ أن ذلك لامر يرجع الى معانيها (والكلام فى هذا الموضع) يخرج بنا الى غير ما نحن بصدده لانه يحتاج فيه الى ذكر المراد بالقرآن الكريم وما يشتمل عليه سوره وآياته الى حصر أقسام معانيه لكنا نشير فى ذلك اشارة خفيفة (فنقول) المراد بالقرآن هو دعوة العباد الى الله تعالى ولذلك انحصرت سوره وآياته فى ستة أقسام ثلاثة منها هى الاصول وثلاثة هى الفروع (أما الاصول) فالاول منها تعريف المدعو اليه وهو الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله والاصل الثانى تعريف الصراط المستقيم الذى يجب ملازمته فى السلوك الى الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على التبتل بعبادة الله بأفعال القلب وأفعال الجوارح والاصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول الى الله تعالى أعنى بعد الموت ويشتمل هذا الاصل على تفصيل أحوال الدار الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأشباه ذلك فهذه الاصول الثلاثة (وأما الفروع) فالاول منها تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله بهم من النصرة والادالة وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والحادّين لها وكيفية صنع الله فى التدمير عليهم والتنكيل بهم والفرع الثانى ذكر مجادلة الخصوم ومحاجتهم ومداواتهم بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق وهؤلاء هم اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم من أرباب الشرائع والفلاسفة والملحدة من غير أرباب الشرائع والفرع الثالث تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والاهبة للاستعداد وذلك قياس الشريعة وتبيين الحكمة فى أوامرها التى تتعلق بأفعال أهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها هى التى يدور معانى القرآن عليها ولا يتعداها وههنا تقسيم آخر يطول الخطب فيه ولا حاجة الى ذكره واذا نظرنا الى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعانى وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبى صلى الله عليه وسلم أم الكتاب كما أنه دل ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن واذا نظرنا فى الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص بمنزلة ثلث القرآن وكذلك قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسى سيدة آى القرآن وروى أنه سأل أبىّ بن كعب رضى الله عنه فقال أى آية معك فى كتاب الله أعظم فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم فضرب فى صدره وقال ليهنك العلم أبا المنذر وكل هذا يرجع الى المعانى لا الى الالفاظ فاعرف ذلك وبينه لرموزه وأسراره (واعلم) أن جماعة من مدعى علم البيان ذهبوا الى أن الكلام ينقسم قسمين فمنه ما يحسن فيه الايجاز كالاشعار والمكاتبات ومنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات وكتب الفتوح التى تقرأ فى ملا من عوام الناس فان الكلام اذا طال فى مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم ولو اقتصر فيه على الايجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يقال فى ذكر الحرب التقى الجمعان وتطاعن الفريقان واشتد القتال وحمى النصال وما جرى هذا المجرى والمذهب عندى فى ذلك ما أذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطا معتبرا فى اختيار الكلام لانه لو كان شرطا لوجب على قياسه أن يستعمل فى الكلام الالفاظ العامية المبتذلة عندهم ليكون ذلك أقرب الى فهمهم لان العلة فى اختيار تطويل الكلام اذا كانت فهم العامة اياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها فى اختيار المبتذل من الكلام فانه لا خلاف فى أن العامة الى فهمه أقرب من فهم ما يقل ابتذالهم اياه وهذا شئ مدفوع وأما الذى يجب توخيه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم فى تركيب الالفاظ على المعانى بحيث لا تزيد هذه على هذه مع الايضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه

فان

أذرأه ورمى الرمية يرميها رميا وقال الفراء (تقول أبغنى خادما) أى ابتغه لى فاذا أراد أعنى على طلبه قال أبغنى بقطع الالف وكذلك المسنى نارا وألمسنى نارا واحلبنى وأحلبنى فقوله أحلبنى احلب لى واكفنى الحلب (وأحلبنى) أعنى عليه وكذلك (احملنى) وأحملنى (واعلمنى) وأعلمنى (أخفرت الرجل) نقضت ما بينى وبينه من العهد (وخفرته) حفظته

﴿باب ما يكون مهموزا بمعنى وغير مهموز بمعنى آخر﴾

(عبأت المتاع) والطيب تعبئة اذا هيأته وصنعته وعبأت الطيب أيضا بلا تشديد فأنا أعبؤه وما عبأت بفلان هذا كله بالهمز وعبيت الجيش بلا همز هذا قول الاخفش (بارأت الكرى) والمرأة واستبرأت الجارية واستبرأت ما عندك وبرأته مما لى عليه وبرئت اليه منه كله مهموز فأما باريته فى المفاخرة فغير مهموز يقال فلان يبارى الريح جودا (أخطأت فى الامر) وتخطأت له فى المسئلة وتخطيت اليه بالمكروه غير مهموز لانه من الخطوة (نكأت القرحة) أنكؤها اذا قرفتها ونكيت فى العدو أنكى نكاية قال أبو النجم
ننكى العدى ونكرم الاضيافا
(ذرأت) يا ربنا الخلق وذروته فى الريح وذريته وأذرته الدابة عن ظهرها ألقته (وربأت القوم) حفظتهم وأنا ربيئة لهم وربوت فى

فان نور الشمس اذا لم يره الاعمى لا يكون ذلك نقصا فى استنارته وانما النقص فى بصر الاعمى حيث لم يستطع النظر اليه

على نحت القوافى من معادنها ✻ وما على بأن لا تفهم البقر

(وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع) فلنرجع الى ما هو غرضنا ومهمنا من الكلام على الايجاز وحده وأقسامه ونوضح ذلك ايضاحا جايا والله الموفق للصواب فنقول حد الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه والتطويل هو ضد ذلك وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه فى الدلالة عليه كقول الجبير السلولى من أبيات الحماسة

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق ✻ الى غاية من يبتدرها يقدم

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره أنه قال طلوع الثنايا بالمطايا فان لفظة المطايا فضلة لا حاجة اليها وبيان ذلك أنه لا يخلو الامر فيها من وجهين اما أن يريد انه سابق الهمة الى معالى الامور كما قال الحجاج على المنبر عند وصوله العراق ✻ أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ✻ أى أنا الرجل المشهور السابق الى معالى الامور فان أراد الجبير بقوله طلوع الثنايا ما أشرت اليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى لان معالى الامور لا يرقى اليها بالمطايا وان أراد الوجه الآخر وهو أنه كثير الاسفار فاختصاصه الثنايا بالذكر دون الارض من المفاوز وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا الوجهين فان ذكر المطايا فضلة لا حاجة اليه وهو تطويل بارد غث فقس على هذا المثال ما يجرى مجراه من التطويلات التى اذا أسقطت من الكلام بقى على حاله لم يتغير شئ وكذلك يجرى الامر فى ألفاظ يوصل بها الكلام فتارة تجئ لفائدة وذلك قليل وتارة تجئ لغير فائدة وذلك كثير وأكثر ما ترد فى الاشعار ليوزن بها الابيات الشعرية وذلك نحو قولهم لعمرى ولعمرك ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى وبات وأشباه ذلك ونحو ياصاحبى وياخليلى وما يجرى هذا المجرى فمما جاء منه قول أبى تمام

أقر والعمرى لحكم السيوف ✻ وكانت أحق بفصل القضاء

فان قوله لعمرى زيادة لا حاجة للمعنى اليها وهى حشو فى هذا البيت لا فائدة فيه الا اصلاح الوزن لا غير ألا ترى أنها من باب القسم وانما يرد القسم فى موضع يؤكد به المعنى المراد اما لانه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما جرى هذا المجرى وهذا البيت الشعرى لا يفتقر معناه الى توكيد قسمى اذ لا شك فى أن السيوف حاكمة وأن كل أحد يقر لحكمها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله أيضا اذا أنا لم ألم عثرات دهر ✻ بليت به الغداة فمن ألوم

فقوله الغداة زيادة لا حاجة للمعنى اليها لانه يتم بدونها الان عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشى وانما نالته ونيلها اياه لا بد وأن يقع فى زمن من الازمنة كائنا ما كان ولا حاجة الى تعيينه بالذكر وعلى هذا ورد قول البحترى

ما أحسن الايام الا أنها ✻ ياصاحبى اذا مضت لم ترجع

فقوله ياصاحبى زيادة لا حاجة بالمعنى اليها الا انها وردت لتصحيح الوزن لا غير وهذه الالفاظ التى ترد فى الابيات الشعرية لتصحيح الوزن لا عيب فيها الا انا لو عبناها على الشعراء لتحجرنا عليهم وضيقنا والوزن يضطر فى بعض الاحوال الى مثل ذلك لكن اذا وردت فى الكلام المنثور فانها ان وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد ترد فى الابيات الشعرية ويكون ورودها لفائدة وذلك هو الاحسن كقول البحترى

قوم أهانوا الوفر حتى أصبحوا ✻ أولى الانام بكل عرض وافر

بنى فلان وربيت فيهم وربوت من الربو (وسبأت الخمر) اشتريتها وسبيت العدو (وصبأت يارجل) اذا خرجت من شئ الى شئ والصابئون منه وصبوت الى فلانة أصبو من الشوق (ولبأت اللبأ) مهموز ولبيت فلانا أجبته (وما فتئت أقول) كذا يعنى لا أزل ولا أفتأ أقوله وما كنت فتيا ولقد فتيت بغير همز (ورثأت فلانا) اذا قلت فيه مرثية هذا قول البصريين الاخفش وغيره وأما الفراء وغيره من البغداديين فيجعلونه من غلطهم مثل حلأت السويق ورثيت له اذا رحمته (أدأت الشئ) أصبته بداء وأدويته اذا أصبته بشئ فى جوفه فهو دو (وبدأت بهذا الامر) وابتدأته وأبدأت فى الامر وأعدت والله يبدئ ويعيد (وأبديت لى سوءا) أظهرته وبدوت لفلان اذا ظهرت له وبدوت الى البادية (وبرأت من العلة) وبريت القلم (وجرأتك على حتى أجرأت وجريت جريا أى وكلت وكيلا (أردأت فلانا) جعلته رديئا وردأته أى أعنته من قول الله عز وجل رداء يصدقنى وأرديته من الردى وهو الهلاك (وكلأت الرجل) أكلؤه اذا حرسته وهو فى كلاءة الله وكليته أصبت كليته وكفأت الاناء قلبته وأكفأته أيضا لغة وكفيتك ما أهمك

﴿باب الافعال التى تهمز والعوام تدع همزها﴾

طأطأت رأسى وأبطأت واستبطأت

فقوله أصبحوا يعنى صاروا أى أنهم صاروا أولى الناس بالاعراض الوافرة وهذه اللفظة لم ترد فى هذا البيت حشوا كما وردت فى بيتى أبى تمام المقدم ذكرهما (وسأزيد هذا الموضع بيانا) بمثال أضربه للتطويل حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه والمثال الذى أضربه هو حكاية أوردت بحضرمنى وذلك أنه جلس الىّ فى بعض الايام جماعة من الاخوان وأخذوا فى مفاوضة الاحاديث وانساق ذلك الى ذكر غرائب الوقائع التى تقع فى العالم فذكر كل من الجماعة شيأ فقال شخص منهم انى كنت بالجزيرة العمرية فى زمن الملك فلان وكنت اذذاك صبيا صغيرا فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان فى الحارة الفلانية وصعدنا الى سطح طاحون لبنى فلان وأخذنا نلعب على السطح فوقع صبىّ منا الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون فخفنا أن يكون أذاه فأسرعنا النزول اليه فوجدناه قد وطئه البغل فختنه ختانة صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيرا منها فقال له شخص من الحاضرين والله ان هذا عىّ فاحش وتطويل كثير لا حاجة اليه فانك بعد أن تذكر أنك كنت صبيا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوقع صبى منكم الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون فختنه ولم يؤذه ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة فى بلد نعرفه أو فى بلد لا نعرفه ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قدحا فى غرابتها واما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية فى الحارة الفلانية فى طاحون بنى فلان وكان زمن الملك فلان فان مثل هذا كله تطويل لا حاجة اليه والمعنى المقصود يفهم بدونه (فاعلم) أيها الناظر فى كتابى هذا أن التطويل هو زيادات الالفاظ فى الدلالة على المعانى ومهما أمكنك حذف شئ من اللفظ فى الدلالة على معنى من المعانى فان ذلك اللفظ هو التطويل بعينه (وأما الايجاز) فقد عرفتك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) الايجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون الا فيما زاد معناه على لفظه (والقسم الآخر) ما لا يحذف منه شئ وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر (واعلم أن القسم الاوّل) الذى هو الايجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة فى استخراجه لمكان المحذوف منه (وأما القسم الثانى) فان التنبه له عسر لانه يحتاج الى فضل تأمل وطول فكرة لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك الا من رست قدمه فى ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة ولم أجد أحدا علم هذين القسمين بعلامة ولا قيدهما بقيد وقد أشرت الى ذلك فيما يأتى من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ من هناك (فان قيل) ان هذا التقسيم الذى قسمته فى المحذوف وغير المحذوف ليس بصحيح لان المعانى ليست أجساما كالالفاظ حتى يصح التقدير بينهما ثم لو سلمت جواز التقدير فى المساواة لم أسلم جواز الزيادة فليس لقائل أن يقول هذا المعنى زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك قيل فمن أين فهمت تلك الزيادة الخارجة عن اللفظ وقد علم أن الالفاظ انما وضعت للدلالة على افهام المعانى فان قال انها فهمت من شئ خارج عن اللفظ قيل له فتلك الزيادة بازاء ذلك الشئ الخارج عن اللفظ والباقى مساو للفظ وان قال انها فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه وهى زائدة عليه فان قال انها فهمت من تركيبه لان التركيب أمر زائد على اللفظ قيل الالفاظ تدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى آخر واللفظ المركب يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان أريد بها زيادة معنى المركب على المركب فلا يخلو اما أن تكون تلك الزيادة مفهومة من دلالة اللفظ المركب عليها أو من دلالة

وتوضأت للصلاة وهيأت وتهيأت وهنأتك بالمولود وتقرأت وتوكأت عليك وترأست على القوم وهنأنى الطعام ومرأنى فاذا أفردوا قالوا أمرأنى وطرأت على القوم ونتأت فى البلد وناوأت الرجل اذا عاديته وبرطأته بقدمى ووطئته ووطأت له فراشه وخبأته واختبأت منه وأطفأت السراج وقد استخذأت له وخذأت وخذيت لغة وقد جشأت نفسى اذا ارتفعت وقد أقأت الرجل فقمؤ وقد لجأت اليه وألجأته الى كذا ونشأت فى بنى فلان ونتأت القرحة تنتأ نتوءا اذا ورمت وقد اندرأت عليه ومارزأته شيأ وقد تلكأت تلكؤا وتفيأت تفيؤا وتقيأت تقيؤا وتهيأت تهيؤا وتواطأنا على الامر تواطؤا وكان ذلك عن تواطؤ وتلكؤ وتهيؤ وأشباه ذلك وقد تجشأت تجشؤا وقد استهزأت به وهزأت وهزئت وقد فاجأت الرجل مفاجأة وفجئته أفجأه فجأة وقد مالأته على الامر وقد تمرأت بفلان أى طلبت المروءة بنقصه وعيبه فأنا متمرئ به وقد قرأت الكتاب وأقرأته منك السلام وفقأت عينه وتفقأت شحما وملأت الاناء وامتلأت وتملأت شبعا وما كنت مليئا ولقد ملؤت بعدى ملأ وما كنت قميئا ولقد قمؤت قماءة وما كنت بذيئا ولقد بذؤت بذاءة وما كنت جريئا ولقد جرؤت جرأة وجراءة وما كنت رديئا ولقد ردؤت رداءة وقد اتكأت وتوكأت على الخشبة وضربته حتى أتكأته وهى

شئ خارج فان كانت مفهومة من دلالته عليها لم تكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت مفهومة من دلالة الشئ الخارج عنه فهى بازاء ذلك الشئ الخارج والباقى مساو للباقى ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أن نقول هذا الذى ذكره كلام شبيه بالسفسطة وهو باطل من وجهين أحدهما أن المعانى اذا كانت لا تزيد على الالفاظ فيلزم من ذلك أن الالفاظ لا تزيد أيضا على المعانى لانهما متلازمان على قياسك ونحن نرى معنى قد دل عليه بألفاظ فاذا أسقط من تلك الالفاظ شئ لا ينقص ذلك المعنى بل يبقى على حاله والوجه الآخر أن الايجاز بالحذف أقوى دليلا على زيادة المعانى على الالفاظ لانا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضرورة لا بد منه فعلمنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالته عليه (فان قيل) ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بد له من تقدير لفظ آخر يدل عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدر (قلت فى الجواب عن ذلك) هذا لا ينقض ما ذهبت اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى الزائد ظاهر واللفظ الدال عليه مضمر واذا كان مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكأنه لم يكن وحينئذ يبقى المعنى موجودا واللفظ الدال عليه غير موجود وكذلك كل ما يعلم من المعانى بمفهوم الخطاب ألا ترى أنك اذا قلت لمن دخل عليك أهلا وسهلا علم أن الاهل والسهل منصوبان بعامل محذوف تقديره وجدت أهلا ولقيت سهلا الا أن لفظتى وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذى دلا عليه باق فصار المعنى حينئذ مفهوما مع حذفهما فهو اذا زائد لا محالة وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها وتشعب مقاصدها وهذا لا نزاع فيه لبيانه ووضوحه (وقد سنح لى فى زيادة المعنى على اللفظ فى غير المحذوفات دليل أنا ذاكره) وهو أنا نجد من الكلام ما يدل على معنيين وثلاثة واللفظ واحد والمعانى التى تحته متعددة فأما الذى يدل على معنيين فالكنايات جميعها كالذى ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا خرجوا من عنده لا يتفرقون الا عن ذواق وهذا يدل على معنيين أحدهما الطعام الطعام أى انهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا والآخر أنهم لا يتفرقون الا عن استفادة علم وأدب يقوم لانفسهم مقام الطعام لاجسامهم وأما الذى يدل على ثلاثة معان فكقول أبى الطيب المتنبى

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

فهذا يدل على ثلاثة معان الاول أنه يحسد من أنعم عليه الثانى ضد الاول الثالث أنه يحسد كل رب نعمة كائنا من كان أى يحسد من بات فى نعماء نفسه يتقلب وهذا وأمثاله من أدل الدليل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شئ استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق (وحيث فرغنا من الكلام) على هذا الموضع فلنتبعه بذكر أقسام الايجاز المشار اليها أولا وما ينصرف اليه (فنقول) أما الايجاز بالحذف فانه عجيب الامر شبيه بالسحر وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون مبينا اذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر والاصل فى المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون فى الكلام ما يدل على المحذوف فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ومن شرط المحذوف فى حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام الى شئ غث لا يناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب كقولنا أهلا وسهلا فان نصب الاهل والسهل يدل على ناصب محذوف وليس لهذا من الحسن ما للذى لا يظهر بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى

التكأة وأرفأت السفينة حبستها وهذا موضع ترفأ فيه السفن ودرأت فلانا دفعته ودارأته دافعته ورويت فى الامر نظرت فيه وحنأت لحيته بالحناء حتى قنأت من الخضاب تقافئوا ولطأت بالارض ولطئت وما كانت مائة أمأتها وفأفأت من الفأفأة فى اللسان ونأنأت فى الامر ضعفت واستمرأت الطعام وقدرقأ الدم وأرقأته وقد رفأت الثوب أرفؤه ورفوت لغة وقد هرأت اللحم وأهرأته اذا أنضجته وقد كافأته على ما كان منه وقد أكفأت فى الشعر اكفاء مثل أقويت فيه وقد فثأته عن نحيته وما هدأت البارحة وزنأت فى الجبل صعدته

﴿باب ما يهمز من الاسماء والافعال والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها﴾

يقال آكلت فلانا اذا أكلت معه ولا تقل واكلته (وآزيته) حاذيته ولا تقل وازيته وكذلك آجرته الدابة والدار وآخذته بذنبه وآمرته فى أمرى وآخيته وآسيته بنفسى (وآزرته) على الامر أى أعنته وقويته فأما وازرته فصرت له وزيرا وآتيته على الامر هذا كله العوام تجعل الهمزة فيه واوا وهى الدناءة والكآبة ودخل فى مساءة فلان وهى سحاءة القرطاس وما أحسن قرأته للقرآن ومات فلان فجاءة وهى الملاءة للثوب وهى الباءة للنكاح وهى المرآة والجمع مراء هذا كله العوام تسقط الهمزة منه وهو

كقولنا فلان يحل ويعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى أى أنه يحل الامور ويعقدها والذى يظهر بالاعراب يقع فى المفردات من المحذوفات كثيرا والذى لا يظهر بالاعراب يقع فى الجمل من المحذوفات كثيرا (وسأذكر فى كتابى هذا ما وصل الى علمه وهو ينقسم قسمين) أحدهما حذف الجمل والآخر حذف المفردات وقد يرد كلام فى بعض المواضع ويكون مشتملا على القسمين معا (فأما القسم الاول) وهو الذى تحذف منه الجمل فانه ينقسم الى قسمين أيضا (أحدهما) حذف الجمل المفيدة التى تستقل بنفسها كلاما وهذا أحسن المحذوفات جميعها وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجده الا فى كتاب الله تعالى (والقسم الآخر) حذف الجمل غير المفيدة وقد ورداهنا مختلطين (وجملتهما أربعة أضرب الضرب الاول) حذف السؤال المقدر ويسمى الاستئناف (ويأتى على وجهين الوجه الاول) اعادة الاسماء والصفات وهذا يجيء تارة باعادة اسم من تقدم الحديث عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجيء باعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك وهو أحسن من الاول وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه (فما ورد من ذلك) قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والاستئناف واقع فى هذا الكلام على أولئك لانه لما قال الم ذلك الكتاب الى قوله وبالآخرة هم يوقنون اتجه لسائل أن يقول ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا (الوجه الثانى) الاستئناف بغير اعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فخرج هذا القول مخرج الاستئناف لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه وكأن قائلا قال كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله تعالى ياليت قومى يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد ومن هذا النحو قوله عز وجل ياقومى اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب والفرق بين اثبات الفاء فى سوف كقوله تعالى قل ياقومى اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وبين حذف الفاء ههنا فى هذه الآية أن اثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وحذفها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو قسم من أقسام علم البيان تتكاثر محاسنه فاعرفه ان شاء الله تعالى (الضرب الثانى الاكتفاء بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب (فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب) فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى له وعليه

ولكنا

جرى بين الجرأة والجراءة اذا ضممت أولها فهى على فعلة واذا فتحت أولها فهى على فعالة وهو املاك المرأة ولا يقال ملاك ونحن على أوفاز جمع وفز ولا يقال وفاز وهى الاهليلجة والاهاليج ولا يقال هليلجة وخذ للامر أهبته ولا يقال هبته وفى صدر فلان على احنة ولا يقال حنة وتقول غنيته أغنية وأعطيته الامنية وحدثته أحدوثة وأخبرته بأعجوبة وهى الاترجة والاوقية والجمع أواقى ومن العرب من يخفف فيقول أواق ويقال أصابه أسر اذا احتبس بوله وهو عود أسر ولا يقال يسر وهذا طعام لا يلاغنى ملاغة أى لا يوافقنى فأما يلاومنى فلا يكون الا من اللوم ان تلوم رجلا ويلومك ويقال لبائع الرؤس رآس ولا يقال رواس ويقال طعام مؤوف تقديره مفعول ولا يقال مايوف ولا ماووف وأنت صاغر صدئ مهموز مقصور وهى الكمأة بالهمز والواحدة كمء وما أشأم فلانا وهو مشؤم وقوم مشائيم وقد يئست من الامر أيأس منه يأسا ولا يقال آيست (آساس البنيان) بالمد جمع أس فاذا قصرت فهو واحد يقال أساس وأسس ويقال أحفر المهر للاثناء والارباع فهو محفر ولا يقال حفر (وأصحت السماء) فهى مصحية ولا يقال صحت (وأغامت) وأغيمت وتغيمت وغيمت (وأشلت الشئ) اذا رفعته ولا يقال شلته وشال هو اذا ارتفع (وأرميت العدل) عن

ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب الذى هو الوحى على عادة اختصارات القرآن لان تقدير الكلام ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى الى موسى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم العمر أى أمد انقطاع الوحى فاندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وعرفناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى فالمحذوف اذا جملة مفيدة وهى جملة مطولة دل السبب فيها على المسبب وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضا وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان فى هذا الكلام محذوفا ولولاه لما فهم لانه قال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وهذا لابد له من محذوف حتى يستقيم نظم الكلام وتقديره ولكن عرفناك ذلك وأوحيناه اليك رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التى هى سبب ارساله الى الناس ودل بها على المسبب الذى هو الارسال وأما حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فقوله ولنجعله آية للناس تعليل معلله محذوف أى وانما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس فذكر السبب الذى صدر الفعل من أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذى هو الفعل (ومما ورد من ذلك) فى الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه والرجل الانصارى الذى خاصمه فى شراج الحرة التى يسقى منها النخل فلما حضرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير اسق ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصارى وقال يارسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر وفى هذا الكلام محذوف تقديره أن كان ابن عمتك حكمت له أو قضيت له أو ما جرى هذا المجرى فذكر السبب الذى هو كونه ابن عمته ودل به على المسبب الذى هو الحكم أو القضاء لدلالة الكلام عليه (وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب) فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أى اذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب الذى هو القراءة عن السبب الذى هو الارادة والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة والذى دلت عليه أنها بعد القراءة كقول القائل اذا ضربت زيدا فاجلس فان الجلوس انما يكون بعد الضرب لا قبله وهذا أولى من تأول من ذهب الى أنه أراد فاذا تعوذت فاقرأ فان ذلك قلب لا ضرورة تدعو اليه وأيضا فليس كل مستعيذ واجبة عليه القراءة (وعلى هذا ورد) قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلاة لا عند القيام اليها لأن القيام اليها هو مباشرة لافعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد الوضوء وتأويل الآية اذا أردت القيام الى الصلاة فاغسل فاكتفى بالمسبب عن السبب وكذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فليتوضأ أى اذا أراد القيام الى الصلاة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لان الفعل مسبب عن الارادة وهو مع القصد اليه موجود فكان منه بسبب وملابسة ظاهرة (ومن ذلك قوله تعالى) فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا أى فضرب فانفجرت منه فاكتفى بالمسبب الذى هو الانفجار عن السبب الذى هو الضرب (الضرب الثالث) وهو الاضمار على شريطة التفسير وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به فى آخره فيكون الآخر دليلا على الاول (وهو ينقسم الى ثلاثة أوجه الاول) أن يأتى على طريق

البعير ألقيته وتقول ان ركبت الفرس ارماك ولا يقال رماك (وأعقدت الرب) والعسل فهو معقد ولا يقال عقدت الا فى الحلف والخيط وأشباه ذلك (وأزللت له زلة) ولا يقال زللت ومنه قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أزللت اليه نعمة فليشكرها أى من أسديت اليه واصطنعت عنده وقال كثير

وانى وان صدت لمثن وصادق
عليها بما كانت الينا أزلت

أى أحسنت واصطنعت (وأجبرته على الامر) فهو مجبر ولا يقال جبرت الا للعظم وجبرته من فقره (وأعجمت الكتاب) ولا يقال عجمته (وأحبست الفرس) فى سبيل الله ولا يقال حبسته (وأغلقت الباب) وأقفلته ولا يقال غلقته ولا قفلته وأقفلت الجند من بعثهم فقفلوا وقد أغفيت اذا نمت ولا يقال غفوت وقد أثغرت البرذون وألبيته وأعذرته وأحكمته وسنته هذا وحده بلا ألف ويقال أرسنته أيضا أقرد فلان اذا سكت ولا يقال قرد (وأشب الله) قرنه ولا يقال شب (وأعتقت العبد) فعتق ولا يقال عتقته (وأعييت فى المشى) فأنا معى ولا يقال عييت الا فى المنطق وضربه بالسيف فما أحاك فيه وما حاك خطأ أو يقال ما حاك فى صدرى منه شئ وأحذيته من الحذيا وحذوته خطأ (وأخلت فيه الخير) أى رأيت فيه مخيلته (وآذيت فلانا) ولا يقال أذيته (وأصابه وثء) ولا يقال وثى

الاستفهام فتذكر الجملة الاولى دون الثانية كقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين تقدير الآية أفمن شرح الله صدره للاسلام كمن أقسى قلبه ويدل على المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم (الوجه الثانى) يرد على حد النفى والاثبات كقوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا تقديره لا يستوى منكم أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ويدل على المحذوف قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا (الوجه الثالث) أن يرد على غير هذين الوجهين فلا يكون استفهاما ولا نفيا واثباتا وذلك كقول أبى تمام يتجنب الآثام ثم يخافها * فكأنما حسناته آثام

وهذا البيت تختلف نسخ ديوانه فى اثباته فنها ما يجئ فيه

يتجنب الايام خيفة غيها * فكأنما حسناته آثام

وليس بشئ لان المعنى لا يصح به وكنت سئلت عن معناه وقيل كيف ينطبق عجز البيت على صدره واذا تجنب الآثام وخافها فكيف تكون حسناته آثاما فأفكرت فيه وأنعمت نظرى فسنح لى فى القرآن الكريم آية مثله وهى قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وفى صدر البيت اضمار مفسر فى عجزه وتقديره أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ثم يخاف تلك الحسنة فكأنما حسناته آثام وهو على طباق الآية سواء (ومن الاضمار على شريطة التفسير) قول أبى نواس سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن

فحذف لفظ الاستكانة من الاول وذكره فى الثانى أى سنة العشاق واحدة وهى الاستكانة فاذا أحببت فاستكن ومن الناس من يقول فاذا أحببت فاستنن وهذا لا معنى له لانه اذا لم يبين سنة العشاق ماهى فبأى شئ يستن المستن منها لكنه ذكر السنة فى صدر البيت من غير بيان ثم بينها فى عجزه (الضرب الرابع) ما ليس بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف (فاما ما حذف فيه من الجمل المفيدة) فكقوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فقد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف فعجبوا لها أو فصدقوه عليها وقال الملك ائتونى به والمحذوف اذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا ثبتت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه (وكذلك ورد) قوله تعالى فى هذه السورة أيضا فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فقد حذف أيضا من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه (وقد ورد هذا الضرب فى القرآن الكريم كثيرا) كقوله تعالى فى سورة القصص وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها فى هذا محذوف وهو جواب الاستفهام لانها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم احتاج الى جواب لينتظم ما بعده من رده الى أمه والجواب فقالوا نعم فدلتهم على امرأة فجئ بها وهى أمه ولم يعلموا بمكانها فأرضعته وهذه الجملة الثانية أعنى قوله تعالى فرددناه الى أمه تدل على

المحذوف

(وأعرس الرجل) بامرأته ولا يقال عرس (وهى الاوزة) والاوز والعامة تقول وزة

﴿باب ما لا يهمز والعوام تهمزه﴾

يقولون رجل (أعزب) وانما هو عزب (وهى الكرة) ولا يقال اكرة ويقال اساء سمعا فأساء جابة هكذا بلا ألف وهو اسم بمنزلة الطاقة والطاعة ويقال فلان أعسر يسر وهو الذى يعمل بكلتا يديه ولا يقال ايسر وفلان خير الناس وشر الناس ولا يقال أخير ولا أشر ويقولون (تخطأت) الى كذا وانما هو تخطيت من الخطوة يقال خطوت أخطو قال الله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان بلا همز (ويقولون) أبدأت لى سوءا بالالف وانما هو أبديت لى أى أظهرت من بدا الشئ يبدو (وتقول) نبذت النبيذ (وهزلت) دابتى وعلفتها قال الشاعر

اذا كنت فى قوم عدى لست منهم
فكل ما علفت من خبيث وطيب

(وزكنت) الامر أزكنه أى علمته وأزكنت فلانا كذا أى أعلمته وليس هو فى معنى الظن قال الغطفانى * زكنت منهم على مثل الذى زكنوا * أى علمت منهم مثل ما علموا منى (ورعبت الرجل) فهو مرعوب (ووتدت) الوتد أتده وتدا (وقرح الدابة) بلا ألف ويقال (أجذع) وأثنى وأربع بالالف (وشغلته) عنك وأشغلته ردىء (وفرشت فلانا امرى) ما نجع فيه القول) قال الاعشى

المحذوف لان ردّه الى أمه لم يكن الا بعد رد الجواب على أخته ودلالتها اياهم على امرأة ترضعه ويكفى هذا الموضع وحده لمن يتبصر فى مواقع المحذوفات وكيفيتها (ومما يجرى على هذا المنهج) قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدهد فى ارساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم وفى هذا المحذوف تقديره فأخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته قالت يا أيها الملأ (ومن حذف الجمل المفيدة) ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها اذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوفات التى حذفت منها ثم اذا قدّر تلك المحذوفات سهل تقديرها ببديهة النظر والذى أذكره الآن ليس كذلك بل اذا تأمله المتأمل وجده غير متصل المعنى واذا أراد أن يقدّر المحذوف عسر عليه (فمما جاء منه) قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أوّاب فهذا الكلام اذا تأمله المتأمل لم يجده متصل المعنى ولم يتبين له مجىء ذكر داود عليه السلام رادفا لقوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا أراد أن يقدّر ههنا محذوفا يوصل به المعنى عسر عليه (وتقديره يحتمل وجهين أحدهما) أنه قال اصبر على ما يقولون وخوّفهم أمر معصية الله وعظمها فى عيونهم بذكر قصة داود الذى كان نبيا من الانبياء وقد آتاه الله ما آتاه من النبوة والملك العظيم ثم لما زلّ زلة قوبل بكذا وكذا فما الظن بكم أنتم مع كفركم (الوجه الآخر) أنه قال اصبر على ما يقولون واحفظ نفسك أن تزلّ فى شىء مما كلفته من مصابرتهم واحتمال أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلة فلقى من توبيخ الله ما لقى فهذا الكلام كما تراه يحتاج الى تقدير حتى يتصل بعضه ببعض وهو من أغمض ما يأتى من المحذوفات وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة (وأما ما ورد) من هذا الضرب فى حذف الجمل التى ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يا يحيى خذ الكتاب بقوة فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (وعلى هذا النهج ورد) قوله تعالى قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقد حذف من هذا الكلام جملة الا أنها غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى ورآهم على تلك الحال من عبادة العجل قال لأخيه هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى (وكذلك) ورد قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام من سورة النمل قال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوىّ أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنىّ كريم قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم

لو أطعموا المنّ والسلوى مكانهم
ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

شملت الريح وجنبت وصبت وقبلت ودبرت كل ذلك بلا ألف (رعدت) السماء وبرقت ورعد لى بالقول وبرق قال ابن أحمر

يا جل ما بعدت عليك بلادنا
فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد

وبعضهم يجيز أرعد وأبرق ببيت الكميت

أرعد وأبرق يا يزيـ
ـد فما وعيدك لى بضائر

نعشه الله ينعشه وكبه الله لوجهه يكبه وقد قلبت الشىء وصرفت الرجل عما أراد ووقفته على ذنبه وقد سعرت القوم شرا وقد غظته وقد رفدته وقد عبته وقد حدرت السفينة فى الماء هذا كله بلا ألف (لا يفضض) الله فاك لانه من فض يفض ويفضض خطأ (مط) عنا تنح وأمط غيرك

باب ما يشدد والعوام تخففه

(هو الفلوّ) مشدد الواو مضموم اللام قال دكين * كان لنا وهو فلوّ نربه * وهذا أمر (مؤامّ) بتشديد الميم مأخوذ من الامم وهو القرب وهى (الاترجة) والاترج وأبو زيد يحكى ترنجة وترنج أيضا قال علقمة بن عبدة

يحملن أترجة نضخ العبير بها
كأن تطيابها فى الانف مشموم

(والاجاص والاجانة والقبرة والقبر) قال الشاعر

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى

يقال جاء (فى) فلان بالتشديد

تكون من الذين لايهتدون وفي هذا محذوف تقديره فلما جاءبه قال نكروا لها عرشها لان تنكيره لم يكن الابعد أن جيء به اليه وقد أغنى عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلا عليه (ومما ورد على ذلك شعرا) قول أبي الطيب المتنبي

لاأبغض العيس لكني وقيت بها * قلبي من الهم أو جسمي من السقم

وهذا البيت فيه محذوف تقديره لاأبغض العيس لانضائي اياها في الاسفار ولكني وقيت بها كذا وكذا فالثاني دليل على حذف الاول وهذا موضع يحتاج في استخراجه واستخراج أمثاله الى فكرة وتدقيق نظر (ومما يتصل بهذا الضرب) حذف ما يجيء بعد أفعل كقولنا الله أكبر فان هذا يحتاج الى تمام أي أكبر من كل كبير أو أكبر من كل شيء يتوهم كبيرا وما جرى هذا المجرى ومثله يرد قولهم زيد أحسن وجها وأكرم خلقا تقديره أحسن وجها من غيره وأكرم خلقا من غيره أو ما يسد هذا المسد من الكلام وعليه ورد قول البحتري

الله أعطاك المحبة في الورى * وحباك بالفضل الذي لا ينكر
ولأنت أملأ في العيون لديهم * وأجل قدرا في الصدور وأكبر

أي أنت أملأ في العيون من غيرك (وأما القسم الثاني) المشتمل على حذف المفردات فانه يتصرف على أربعة عشر ضربا (الاول) حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل كقول العرب أرسلت وهم يريدون جاء المطر ولا يذكرون السماء ومنه قول حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يريد النفس ولم يجر لها ذكر (وعلى هذا ورد) قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق والضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر وقد نص عثمان بن جني رحمه الله تعالى على عدم الجواز في حذف الفاعل وهذه الآية وهذا البيت الشعري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب اليه لان حذف الفاعل لا يجوز على الاطلاق بل يجوز فيما هذا سبيله وذلك أنه لا يكون الا فيما دل الكلام عليه ألا ترى أن التي تبلغ التراقي انما هي النفس وذلك عند الموت فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة وان كان الكلام خاليا عن ذكرها وكذلك قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت (وأما قول العرب) أرسلت وهم يريدون أرسلت السماء فان هذا يقولونه نظرا الى الحال وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجيء المطر ولم ترد في شيء من أشعارهم ولا في كلامهم المنثور وانما يقولها بعضهم لبعض اذا جاء المطر فالفرق بينها وبين حشرجت وبين بلغت التراقي ظاهر وذلك أن حشرجت وبلغت التراقي يفهم منها أن النفس التي حشرجت وأنها هي التي بلغت التراقي وأما أرسلت فلولا شاهد الحال والا لم يجز أن تكون دالة على مجيء المطر ولو قيل في معرض الاستسقاء انا نحتاج أن نسأل الله فلم نزل حتى أرسلت لفهم من ذلك أن التي أرسلت هي السماء ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف والا كان لغوا لا يلتفت اليه (الضرب الثاني) حذف الفعل وجوابه (اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين أحدهما) يظهر بدلالة المفعول عليه كقولهم في المثل أهلك والليل فنصب أهلك والليل يدل على محذوف ناصب تقديره الحق أهلك وبادر الليل وهذا مثل يضرب في التحذير (وعليه ورد) قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ومما ورد منه في الاخبار النبوية أن جابرا تزوج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوجت قال ثيبا فقال له فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك يريد فهلا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه (ومما ورد منه شعرا) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الكافية التي يمتدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه ومطلعها

ومعه (رئي) من الجن كقولك (رعي) وتميم تقول رئي وهي العارية بالتشديد والعواري وهي الدوخلة والقوصرة قال

أفلح من كانت له قوصره
يأكل منها كل يوم مره

وفي خلقه (زعارة) ولا يقال بالتخفيف وهذا (شمر شمر) أي شديد ولا يقال شمر وهذا (سام أبرص) مشدد وجمعه سوام أبرص (وآري) الدابة مشدد (وأواري) وكذلك الآخية والاواخي وهذه (فوهة) النهر بالتشديد ولا يقال فوهة وهو (البارى والبارياء) قال العجاج * كالخص اذ جلله الباري *
وهذه (بخاتي وعلالي وسراري وأواقي وأماني) وان شئت خففت وكذلك كل ما كان مشددا تقول تعهدت فلانا وتقعدت عن الامر وتزيد السعر وغيره وكع فلان عن الامر ولا يقال كاع وقد كععت يارجل ولا يقال كععت وهو (مراق) البطن بالتشديد ولا يقال مراق خفيف قال الاصمعي (عنست المرأة) اذا كبرت ولم تزوج فهي معنسة ولا يقال عنست وأبو زيد يجيزه وقال تعنس عنوسا وهي عانس (وعزت) اليك في كذا وأوعزت ولم يعرف الاصمعي وعزت خفيفة

باب ما جاء خفيفا والعامة تشدده

هي (الرباعية) للسن ولا يقال رباعية وفرس رباع والانثى رباعية مخففة وهي الكراهية والرفاهية والطواعية ورجل شآم والانثى

* فدى لك من يقصر عن مداكا * وسأذكر الموضع الذى حذف منه الفعل وجوابه لتعلق الابيات بعضها ببعض وهى من محاسن ما يؤتى به فى معنى الوداع ولم يأت لغيره مثلها وهى

اذا التوديع أعرض قال قلبى * عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمنى * معاودة لقلت ولا مناكا
قد استشفيت من داء بداء * وأقتل ما أعلك ما شفاكا
فأكتم منك نجوانا وأخفى * هموما قد أطالت لها العراكا
اذا عاصيتها كانت شدادا * وان طاوعتها كانت ركاكا
وكم دون الثوية من حزين * يقول له قدومى ذا بذاكا
ومن عذب الرضاب اذا أنخنا * يقبل رحل تروك والوراكا
يحرم أن يمس الطيب بعدى * وقد علق العبير به وصاكا
يحدث مقلتيه النوم عنى * فليت النوم حدث عن نداكا
وما أرضى لمقلته بحلم * اذا انتبهت توهمه ابتشاكا
ولا الا بأن يصغى وأحكى * فليتك لا يتيمه هواكا

فقوله ولا مناكا فيه محذوف تقديره ولا صاحبت مناكا وكذلك قوله ولا الا بأن يصغى وأحكى فان فيه محذوفا تقديره ولا أرضى الا بأن يصغى وأحكى (وأما القسم الآخر) فانه لا يظهر فيه قسم الفعل لانه لا يكون هناك منصوب يدل عليه وانما يظهر بالنظر الى ملاءمة الكلام (فمما جاء منه قوله تعالى) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة فقوله لقد جئتمونا يحتاج الى اضمار فعل أى فقيل لهم لقد جئتمونا أو فقلنا لهم وقد استعمل هذا فى القرآن الكريم فى غير موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا فقوله أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا يحتاج الى تقدير الفعل المضمر وكذلك ورد قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهداك لا بد له من اضمار القول أى وقلنا له ان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما (ومن هذا الضرب) ايقاع الفعل على شيئين وهو لاحدهما كقوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم وهو لامركم وحده وانما المراد أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لان معنى أجمعوا من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وقد قرأ أبى رضى الله عنه فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما أشرت اليه وكذلك هو مثبت فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (ومن حذف الفعل باب يسمى باب اقامة المصدر مقام الفعل) وانما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب قوله فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وفى ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدرى (وأما حذف جواب الفعل) فانه لا يكون فى الامر المحتوم كقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا الجزم يخوضوا ويلعبوا لانهما جواب أمر فذرهم وحذف الجواب فى هذا لا يدخل فى باب الايجاز لانا اذا قلنا ذرهم أى اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب وكذلك ما يجرى مجراه وانما يكون الجواب بالفاء فى ماض كقولنا قلت له اذهب فذهب وحينئذ يظهر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ألا ترى كيف حذف جواب الامر فى هذه الآية فان تقديره فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا اليهم

شآمية ورجل يمان وامرأة يمانية وفعلت ذلك (طماعية) فى معروفك هذا كله بالتخفيف وهو (الدخان) ولا يشدد وتقول للداعى (أمين) فعل الله كذا بقصر الالف وتخفيف الميم وآمين بتطويل الالف وتخفيف الميم ولا تشدد الميم (حمة العقرب) بالتخفيف وجمعها حمات بالتخفيف رجل (آدر) مطولة الالف خفيفة ولا يقال أدر (وهى الادرة) والادرة وهى (القدوم) والجمع قدم ولا يقال قدوم بالتشديد وهو (عنب ملاحى) مخففة اللام وهو من الملحة والملحة البياض ولا تشدد اللام أنشد الاصمعى

ومن تعاجيب خلق الله غاطية
يعصر منها ملاحى وغربيب

غاطية عالية يقال غطا يغطو قال الاصمعى سمعت عقبة بن رؤبة يقول والنجم قد تصوب كأنه عنقود ملاحى ويقال (غلفت) لحيته بالطيب مخفف ولا يقال غلفت الاصمعى قد (تغلى) بالغالية وتغلل اذا أدخل يده فى شاربه ولحيته وهى (لثة الرجل) لما حول أسنانه وجمعها لثات مكسورة اللام مخففة ولا يقال لثة أرض (دوية) وندية وعذية وعذاة أيضا وامرأة (عمية) القلب وعمية عن الصواب ورجل (شج) اذا غص بلقمة وامرأة شجية وويل للشجى من الخلى الشجى خفيف والخلى مشدد وهذا عود (ملتو) ومكان (مستو) والمؤنث ملتوية ومستوية خفيف ورجل (طوى) البطن (وحف) اذا رقت قدماه

فكذبوهما فدمرناهم تدميرا فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (ومن هذا الضرب أيضا) قوله تعالى قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب فجواب الامر من هذا الكلام محذوف تقديره فأرسله معهم ويدلنا على ذلك ما جاء بعده من قوله فلما ذهبوا به كما حذف أيضا فى قوله عز وجل وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان الآية فجواب الامر من هذا الموضع محذوف وتقديره فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال له يوسف أيها الصديق وكذلك قوله تعالى وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه الآية ففى هذا الكلام حذف واختصار استغنى عنه بدلالة الحال عليه وتقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطبكن (وهكذا ورد قوله تعالى) ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين وقد حذف جواب الامر ههنا وتقديره فأتوه به فلما كلمه وفى سورة يوسف عليه السلام محذوفات كثيرة من أولها الى آخرها فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة ههنا التى كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ودلالة الحال عليه وعلى نحو من ذلك ينبغى أن تكون محذوفات الكلام (الضرب الثالث) حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده أخص فان اللطائف فيه أكثر وأعجب كقولنا فلان يحل ويعقد ويبرم وينقض ويضر وينفع والاصل فى ذلك على اثبات المعنى المقصود فى نفسه للشئ على الاطلاق وعلى هذا جاء قوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى ومن بديع ذلك قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير فان فى هاتين الآيتين قد حذف المفعول به فى أربعة أماكن اذ المعنى وجد أمة من الناس يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهما وقالتا لانسقى مواشينا فسقى لهما مواشيهما لان الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سقى ومن الامرأتين ذود وأنهما قالتا لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقى فأما كون المسقى غنما أو ابلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض وقد ورد فى الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من أبيات الحماسة

دعانى يزيد بعد ما ساء ظنه * وعبس وقد كانا على حد منكب
وقد علما أن العشيرة كلها * سوى محضرى من حاضرين وغيب

فالمفعول الثانى من علما محذوف لان قوله أن العشيرة فى موضع مفعول علما الاول وتقدير الكلام قد علما أن العشيرة سوى محضرى من حاضرين وغيب لاغناء عندهم أو سواء حضورهم وغيبتهم أو ما جرى هذا المجرى (ومن هذا الضرب أيضا) حذف المفعول الوارد بعد المشيئة والارادة كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم فمفعول شاء ههنا محذوف وتقديره ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها أو على نحو من ذلك جاء قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ومما جاء على مثال ذلك شعرا قول البحترى

ورجل (شر) اذا شرى جلده ومال (لو) اذا ذهب ورجل (نس) اذا اشتكى نساه ورجل (قذى العين) وكلام (خن) من الخنا ورجل (رد) للهالك (وصد) من العطش (وحر) الجوف ورجل (كر) من النعاس هذا كله مخفف والمؤنث منه بالتخفيف (وهذا) موضع (دفىء) مهموز مقصور ولا يقال دفى مشدد ولا ممدود وتقول قد (بقل) وجه الغلام بالتخفيف ولا يقال بقل ويقال (السمانى) خفيفة ولا يقال سمانى وهى (جدية) السرج والرحل والجمع جديات وجدا أيضا وهم (المكارون) والواحد مكار وذهبت الى المكارين ولا يقال المكاريين ورماه (بقلاعة) خفيفة اللام وهو ما اقتلعه من الارض ولا يقال قلاعة بالتشديد (وعايرت) المكاييل وعاورتها ولا يقال عيرتها وهم المعايرون ولا يقال المعيرون (ولطخنى) يلطخنى مخففة (وكنانى) فلان مخففة (وقصر) الصلاة يقصرها مخففة (وقشرت) الشئ أقشره مخففة (وقلبته) ظهر البطن مخففة ولا يقال أقلبته وتقول أرادفلان الكلام (فارتج) عليه ولا يقال ارتج وارتج من الرتاج وهو الباب كأنه أغلق عليه وتقول نظر الى (بمؤخر) عينه مثل مقدم عينه وبردت عينى بالبرود وبردت فؤادى بشربة من ماء أبرده خفيف (وطن) الكتاب وطن الحائط ولا يقال طين وأترب الكتاب

﴿باب ما جاء ساكنا والعامة تحركه﴾

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم * كرما ولم تهدم مآثر خالد

الاصل فى ذلك لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها فحذف ذلك من الاول استغناء بدلالته عليه فى الثانى وقد تقدم أن من الواجب فى حكم البلاغة أن لا تنطق بالمحذوف ولا تظهره الى اللفظ ولو أظهرت لصرت الى كلام غث ومجيء المشيئة بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شئ كثير شائع بين البلغاء ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد حتى انهم لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء (وعلى هذا الاسلوب) جاء قول الشاعر

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلو كان حذو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب أن يقول ولو شئت لبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه أليق فى هذا الموضع وسبب ذلك أنه كان بدعا عجيبا أن يشاء الانسان أن يبكى دما فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن أن يذكر ولا يضمر (الضرب الرابع) وهو حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام الآخر وذلك باب عريض طويل شائع فى كلام العرب وان كان أبو الحسن الاخفش رحمه الله لا يرى القياس عليه (فأما حذف المضاف) فكقوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية فى قوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل ولكن البر من اتقى أى خصلة من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذا البر من اتقى والاول أولى لان حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدا لان الاتساع بحذف الاعجاز أولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف مكررا فى قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول أى من أثر حافر فرس الرسول وهذا الضرب أكثر اتساعا من غيره ومما جاء منه شعرا قول بعضهم من شعراء الحماسة

اذا لاقيت قومى فاسأليهم * كفى قوما بصاحبهم خبيرا

هل اعفو عن أصول الحق فيهم * اذا عسرت واقتطع الصدورا

أراد أنه يقتطع ما فى الصدور من الضغائن والاوغام أى يزيل ذلك باحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (وأما حذف المضاف اليه) فانه قليل الاستعمال فمما جاء منه قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد أى من قبل ذلك ومن بعده وربما أدخل فى هذا الموضع ما ليس منه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة قيل أراد ظهر الارض فحذف المضاف اليه وليس كذلك فان الهاء والالف قائمة مقام الارض الا ترى ان قوله ظهرها يريد به الارض لانه ضمير راجع اليها وكذلك ورد قول جرير

اذا أخذت قيس عليك وخندف * بأقطارها لم تدر من أين تسرح

وهذا لا يسمى ايجازا وانما هو تعريض بالضمير عن الضمير (الضرب الخامس) وهو حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الآخر ولا يكون اطراده فى كل موضع وأكثره يجىء فى الشعر وانما كانت كثرته فى الشعر دون الكلام المنثور لامتناع القياس فى اطراده (فمما جاء منه فى الشعر) قول البحترى من أبيات فى صفة ايوان كسرى فقال فى ذكر التصاوير التى فى الايوان وذلك أن الفرس كانت تحارب الروم فصور واصورة مدينة انطاكية فى الايوان وحرب الروم والفرس عليها فاذكره فى ذلك قوله

يقال فى اسنانه (حفر) وهو فساد فى أصول الاسنان وحفر رديئة يقال أجد فى بطنى (مغسا) ومغصا وأصله الطعن وهو (شغب) الجند ولا يقال شغب وفى صدره على (وغر) أى توقد من الغضب وأصله من وغرة القيظ وهو شدة حره وروى عن أبى زيد وغر بتسكين الغين وعن الاصمعى وغر بفتحها من وغر يوغر وغرا وجاءت كلام فلان (دبر) اذنى بفتح الدال وتسكين الباء اذا أنت أعرضت عن كلامه وجبل (وعر) ورجل (سمح) وبلد (وحش) وفلان (حمش الساق) هذا كله بالتسكين وهى (حلقة الباب) وحلقة القوم بتسكين اللام قال أبو عمرو الشيبانى لا يقال حلقة فى شئ من الكلام الا حلقة الشعر جمع حالق مثل كافر وكفرة وظالم وظلمة وفى رأسه (سعفة) وهى داء يصيب الرأس وتقول هما (شرج) واحد أى ضرب واحد ولا يقال شرج وأمر فيه (لبس) والعامة تقول لبس وهو (الجبن) بضم الباء ولا تشدد النون انما شددها بعض الرجاز ضرورة

(باب ما جاء محركا والعامة تسكنه)

أتحفته (تحفة) وأصابته (تخمة) وهى (اللقطة) لما يلتقط وتجشأت (جشأة) على فعلة قال الاصمعى ويقال الجشاء ممدود كأنه من باب العطاء والبوال والدوار وهم (نخبة) القوم أى خيارهم وطلعت (الزهرة) للنجم قال الشاعر

قد وكلتنى طلتى بالسمسره
وأيقظتنى لطلوع الزهره

واذا مارأيت صـورة انطا * كية ارتعت بين روم وفرس

والمنايا مـوائـل وأنوشر * وان يزجى الصفوف تحت الدرس

فى اخضرار من اللباس على أصـ * ـفر يختال فى صبيغـة ورس

فقوله على أصفر أى على فرس أصفر وهـذا مفهوم من قرينـة الحال لانه لما قال على أصفر علم بذلك أنه أراد فرسا أصفر والصـفة تأتى فى الكلام على ضربين اما للتأكيد والتخصيص واما للمدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب والتطويل لا من مقامات الايجاز والاختصار واذا كان الامر كذلك لم يلق الحذف به هذا مع ماينضاف اليه من الالتباس وضد البيان ألا ترى أنك اذا قلت مررت بطويل لم يبن من هذا اللفظ الممرور به انسان هو أم رمح أم ثوب أم غير ذلك واذا كان الامر على هـذا فحـذف الموصوف انما هو شئ قام الدليل عليـه أو شهدت به الحال واذا استبهم كان حـذفه غير لائق ومما يؤكد عندك ضعف حـذفه انك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك أن تكون الصفة جملة نحو مررت برجل قام أبوه ولقيت غلاما وجهـه حسن ألا تراك لو قلت مررت بقام أبوه ولقيت وجهه حسن لم يجز (وقد ورد) حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فى غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعـالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فانه لم يرد أن النـاقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وانما يريد آية مبصرة فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ولقد تأملت حذف الموصوف فى مواضع كثيرة فوجدت أكثر وقوعه فى النداء وفى المصدر أما النداء فكقولهم يا أيها الظريف تقديره يا أيها الرجل الظريف وعليـه ورد قوله تعالى يا أيها الساحر تقديره يا أيهـا الرجـل الساحر وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا وأما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا تقديره ومن تاب وعمل عملا صالحا وقد أقيمت الصـفة الشبيهة بالجملة مقام الموصوف المبتدا فى قوله تعـالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك أى قوم دون ذلك (وأما حـذف الصفة واقامـة الموصوف مقامها) فانه أقل وجودا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع فى الكلام الا نادرا لمكان استبهامه (فمن ذلك ما حكاه سيبويه رحمه الله) من قولهم سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل وانما حذفت الصفة فى هذا الموضع لما دل من الحال عليـه وذلك أنه يحسـن فى كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم والتعظـيم ما يقوم مقام قوله طويل وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته وهو أن يكون فى مدح انسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا أى رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريمـا أو ما جرى هـذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سألناه فوجـدناه انسانا أى انسانا سمحا أو جوادا أو ما أشبهه فعلى هـذا ونحوه تحذف الصفة فأما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فان حذفها لا يجوز وقد تأملت حذفها فوجدته لا يسوغ الا فى صفة تقدمها ما يدل عليها أو تأخر عنها أو فهم ذلك من شئ خارج عنها أما الصفة التى تقـدمها ما يدل عليها فقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فحذف الصفة أى كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدل على المحذوف قوله فأردت أن أعيبها فان عيبـه اياها لم يخرجها عن كونها سفينة وانما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب فحـذفت الصـفة ههنا لانه تقدمها ما يدل عليها وأما التى تأخر عنها ما يدل عليها فقول بعض شعراء الحماسة

كل امرئ ستئيم منـ * ـه العرس أو منها يئيم

فانه أراد كل امرئ متزوج اذ دل عليه ما بعده من قوله ستئيم منه أو منها يئيم اذ لا تئيم هى الامن

وهى زهرة الدنيا وزهرتها أى حسنها وأخوال النبى صلى الله عليه وعلى آله بنو زهرة بسكون الهاء وهم فى هذا الامر (شرع) واحد بفتح الراء وهو (أحر) من القرع وهو (بثر) يخرج بالفصال يحت أوبارها وأنا أجد فى بدنى (ثقلة) متحركة القاف وثقلة القوم بكسر القاف أثقالهـم ولقيت فلانا (بأخرة) مفتوح الخاء أى أخيرا وبعتـه الشئ بأخرة مكسورة الخاء أى نسيئة مثـل نظرة وهو سلف الرجل قال أوس

والفارسية فيهم غير منكرة

فكلهم لابيه ضيزن سلف

وهو (المر والصـبر) فأما ضـد الجزع فهو الصـبر ساكن وهو (قربوس) السرج محـرك الراء وهو (عجـم) التمر وعجم الرمان للنوى والحب وتقول (هم أكلة رأس) أى قليـل كقوم اجتمعوا على رأس يأكلونه وهى (الصلعة والقرعـة والنزعـة والكشفة والفطسة والقطعة) من الاقطع (والشترة والخرمـة) كل هـذا بالتحريك (والوسمة) التى يختضب بها بكسر السين (والورشان) بفتح الراء للطائر وهو (الوحـل) بفتح الحاء اذا كان مصـدرا واذا كان اسمـا كان وحـلا وهو (الاقط والنبق والنمر والكذب والحلف والحبق والضرط) وهى الطيرة وفلان (خيرتى) من الناس وقد تملأت (من الشبـع) وهى (الضلع) لضلع الانسان والضلع قليلة ويقال احمل (بحسب) ذلك بفتح السين فان كان فى معنى كفاك فهو بتسكين

زوج ولا ينيم هو الامن زوجة فجاء بعد الموصوف مادل عليه ولولا ذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرئ ينيم من عرس ولا تنيم منه عرس الا اذا كان متزوجا وأما ما يفهم حذف الصفة فيه من شئ خارج عن الكلام فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فانه قد علم جواز صلاة جار المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم حينئذ أن المراد به الفضيلة والكمال وهذا شئ لم يعلم من نفس اللفظ وانما علم من شئ خارج عنه (الضرب السادس) وهو حذف الشرط وجوابه (فأما حذف الشرط) فنحو قوله تعالى يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون فالفاء في قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا الى العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقدمه معنى الاختصاص والاخلاص (ومن هذا الضرب) قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية أى فحلق فعليه فدية وكذلك قولهم الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر أى ان فعل المرء خيرا جزى خيرا وان فعل شرا جزى شرا وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر تقدير ذلك فأفطر فعدة من أيام أخر ولهذا ذهب داود الظاهرى الى الاخذ بظاهر الآية ولم ينظر الى حذف الشرط فأوجب القضاء على المريض والمسافر سواء أفطر أولم يفطر (ومن حذف الشرط) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون اعلم أن هذه الفاء التى في قول الشاعر فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها في جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم ان خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك هذه الآية يقول ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أى قد تبين بطلان قولكم (وأما حذف جواب الشرط) فكقوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين (الضرب السابع) وهو حذف القسم وجوابه فأما حذف القسم فنحو قولك لأفعلن أى والله لأفعلن أو غير ذلك من الاقسام المحلوف بها وأما حذف جوابه فكقوله تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله سوط عذاب (ومما ينتظم في هذا السلك) قوله تعالى ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب فان معناه ق والقرآن المجيد لتبعثن والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيرا) كقوله تعالى في سورة النازعات والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فجواب القسم ههنا محذوف تقديره لتبعثن أو لتحشرن ويدل على ذلك ما أتى من بعده من ذكر القيامة في قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك الى آخر السورة (الضرب الثامن) وهو حذف لو وجوابها وذلك من ألطف ضروب الايجاز وأحسنها (فأما حذف لو) فكقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه

السين وهو (سعف) النخل بفتح السين الواحدة سعفة بفتح العين والسعف أيضا داء كالجرب يأخذ في أفواه الابل بفتح العين فأما السعفة في الرأس فساكنة العين وفلان حسن (السحنة) بفتح الحاء وفلان نغل أى فاسد النسب والعامة تقول نغل وأخذته (الذبحة والذبحة) قال ذلك أبو زيد ولم يعرف الذبحة بالضم واسكان الباء ذهب دمه (هدرا) بفتح الدال

﴿باب ما تصحف فيه العوام﴾

يقولون (النجير) وهو الثجير بالثاء ويقولون (الزمرد) وهو بالذال معجمة ويقولون (الحلتيث) بالثاء وهو الحلتيت بالتاء ويقولون لعيب بالدواب (الجرد) بالدال وهو بالذال معجمة ويقولون ان برذون (فسكل) وهو تصحيف انما هو فسكل وهو الفرس الذى يجئ في الحلبة آخر الخيل ويقولون ملح (أندرانى) وانما هو ذرآنى بفتح الراء وبالذال معجمة وهو من الذرأة والذرأة البياض يقال ذرئ رأسه وقد علته ذرأة ويقولون (شن) عليه درعه وانما هو سن عليه درعه أى صبها وسن الماء على وجهه أى صبه صبا سهلا فأما الغارة فانه يقال فيها شن عليهم الغارة بالشين معجمة أى فرقها ويقولون (نعق الغراب) وذلك خطأ انما يقال نغق بالغين معجمة فأما نعق فهو زجر الراعى الغنم الاصمعى قال الفرس (تقول) توت والعرب تقول توت وقد شاع الفرصاد في الناس كلهم

من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض تقديره ذلك اذ لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق (وكذلك) ورد قوله تعالى وما كنت تتلو امن قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون تقديره اذ لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون وهذا من أحسن المحذوفات ومما جاء من ذلك شعرا قول بعضهم فى صدر الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

فلو فى البيت الثانى محذوفة لانها فى البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله لم تستبح ابلى ثم حذفها فى الثانى وتقدير حذفها اذ لو كنت منهم لقام بنصرى معشر خشن أو اذ لو كانوا قومى لقام بنصرى معشر خشن (وأما حذف جواب لو) فانه كثير شائع وذلك كقولك لو زرتنا أو ألممت بنا معناه لأحسنا اليك أولأ كرمناك أو ما جرى هذا المجرى (ومما ورد منه فى القرآن الكريم) قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فان جواب لو ههنا محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة أو غير ذلك مما جرى مجراه (ومما جاء على نحو من هذا) قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذى يستعجلونه وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام ولا يقدرون على دفعها عن أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذى هونه عليهم (ومما يجرى على هذا النهج) قوله تعالى لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فجواب لو فى هذا الموضع محذوف كما حذف فى قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أى لو أن لى بكم قوة لدفعتكم أو منعتكم أو ما أشبهه وكذلك قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال لكان هذا القرآن وهذا الضرب من المحذوفات أظهر الضروب المذكورة وأوضحها لعلم المخاطب به لان قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يتسارع الفهم الى أن الكلام يحتاج الى جواب ومما جاء منه شعرا قول أبى تمام فى قصيدته البائية التى يمدح بها المعتصم عند فتحه مدينة عمورية

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت * له العواقب بين السمر والقضب

فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبة الحذار أو غير ذلك (واعلم) أن حذف هذا الجواب لا يسوغ فى أى موضع كان من الكلام وانما يحذف ما دل عليه مكان المحذوف ألا ترى أنه قد ورد فى القرآن الكريم غير محذوف كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذى تقدم من الآيات لان تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الآية لو حذفت الجواب فيها لم يعلم مكانه لانه يحتمل وجوها منها أن يقال لما آمنوا أو لطلبوا أمورا غير ذلك وقد تقدم القول فى أول باب الايجاز أنه لا بد من دلالة الكلام على المحذوف (الضرب التاسع) وهو حذف جواب لولا (فمن ذلك قوله تعالى) والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فجواب لولا ههنا محذوف تقديره لما أنزل عليكم هذا الحكم بطريق التلاعن وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه (وكذلك ورد قوله

تعالى)

﴿باب ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد﴾

دابة (شموس) ولا يقال شموص وأخذته (قسرا) ولا يقال قصرا وقد قصره اذا حبسه ومنه حور مقصورات فى الخيام فأما القسر بالسين فهو القهر وهو (الرسغ) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (القريس) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (النقس) من المداد بالسين وكسر النون وجمعه انقاس ومثله (أنبار الطعام) واحدها نبر

﴿باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين﴾

يقال أخذته على (المقبص) بالصاد وهو الحبل الذى ترسل منه الخيل وهو (قص) الشاة وقصصها ولا يقال قس وهو (صفح) الجبل لوجه الجبل مثل صفح الوجه ومنه الحديث ان موسى صلى الله عليه وسلم مر بلى وصفاح الروحاء تجاوبه ولا يقال سفح الا لما سفح فيه الماء وهو أسفل الجبل فأما السفح الذى ذكره الاعشى فى قوله

ترتعى السفح فانه موضع بعينه

ونبيذ (قارص) وابن قارص أى يقرص اللسان والبرد قارس وانقرس البرد وسمك قريس ويقال (بخصت) عينه بالصاد ولا يقال بخستها انما البخس النقصان وأصاب فلان (فرصته) هى (صنجة الميزان) ولا يقال سنجة وهى أعجمية معربة وهو (الصماخ) ولا يقال السماخ وهو (الصندوق) بالصاد وقد (بصق) الرجل و (بزق) وهو البصاق

تعالى) ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب أو فعل بكم كذا وكذا (الضرب العاشر) وهو حذف جواب لما وجواب أما (فأما حذف جواب لما) فكقوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين فان جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما أشبه ذلك مما اكتسباه بهذه المحنة من عظائم الوصف دنيا وآخرة وقوله انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة (وأما حذف جواب أما) فنحو قوله تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم (الضرب الحادى عشر) وهو حذف جواب اذا فمما جاء منه قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ألا ترى كيف حذف الجواب عن اذا فى هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (الضرب الثانى عشر) حذف المبتدا والخبر أما حذف المبتدا فلا يكون الا مفردا والاحسن هو حذف الخبر لان منه ما يأتى جملة كقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وههنا قد حذف خبر المبتدا وهو جملة من مبتدا وخبر وتقديرها واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر ومما ورد منه شعرا قول أبى عبادة البحترى

كل عذر من كل ذنب ولكن * أعوز العذر من بياض العذار

وههنا قد حذف منه خبر المبتدا الا أنه مفرد غير جملة وتقديره كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع أو ما جرى هذا المجرى (الضرب الثالث عشر) وهو حذف لا من الكلام وهى مرادة وذلك كقوله تعالى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف يريد به لا تفتؤ أى لا تزال فحذفت لا من الكلام وهى مرادة وعلى هذا جاء قول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا فحذفت لا فى هذا الموضع وهى مرادة (ومما جاء منه) قول أبى محجن الثقفى لما نهاه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن شرب الخمر وهو اذ ذاك فى قتال الفرس بالقادسية

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتى * ولا أسقى بها أبدا نديما

يريد لا أشربها فحذف لا من الكلام وهى مفهومة منه (الضرب الرابع عشر) وهو حذف الواو من الكلام واثباتها وأحسن حذوفها فى المعطوف والمعطوف عليه واذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وايجازا كقول أنس بن مالك رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن أو قال ثم يصلون لا يتوضؤن فقوله لا يتوضؤن بحذف الواو أبلغ فى تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضؤن باثباتها كأنه جعل ذلك حالة لهم لازمة أى أنها داخلة فى الجملة وليست جملة خارجة عن الاولى لان واو العطف تؤذن بانفراد المعطوف عن المعطوف عليه واذا حذفت فى مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف

والبزاق ولا يقال بسق الا فى الطول وقد (أصاخ) فهو مصيخ اذا استمع ولا يقال أساخ

﴿باب ما جاء مفتوحا والعامة تكسره﴾

هو (الكتان) بفتح الكاف (والطيلسان) بفتح اللام (ونيفق) القميص (وألية) الكبش والرجل وألية اليد (وفقار) الظهر هو (الدرهم) وماله دار ولا عقار والعقار النخل وهو (معسكر) القوم بفتح الكاف فاذا كسرتها فهو الرجل وهو (المغتسل) ولا يقال مغتسل انما المغتسل الرجل وأنا نازل بين (ظهرانيهم) وظهريهم بفتح النون وقعدت (حواليه وحوليه) بفتح اللام وكسرها خطأ ومثله (جنبتيه) وهو (الصولجان) بفتح اللام وفلان يملك (رجعة) المرأة بالفتح وفلان لغير رشدة ولزنية ولغية ولاعبته (امرة) مطاعة بالفتح تريد المرة الواحدة من الامر فأما الامرة بالكسر فهى الولاية وهى (فلكة) المغزل وقرأ سورة السجدة وهى (الجفنة) هو (ثدى) المرأة وهو (الجدى) بفتح الجيم وتسكين الدال وجمعه الجداء مكسور الجيم ممدود وهو (اللحى) واللحيان وفلان (خصمى) وهى (اليمين) واليسار بفتح الياء وهى (بضعة) لحم بفتح الباء وهى (الغيرة) بفتح الغين وهو (الرصاص) وهى (الكثرة) بفتح الكاف وهو حب (المحلب) بالفتح فأما المحلب فالقدح الذى يحلب

عليه جملة واحدة وقد جاء مثل ذلك فى القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جملا من القول كل واحدة منها مستقلة بنفسها ثم تسرد سردا بغير عاطف كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر تقديره هذا الكلام لا يألونكم خبالا وودّوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم فلما حذفت الواو جاء الكلام أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفا ونظما وأمثاله فى القرآن الكريم كثير (واعلم) أنه قد حذفت الواو وأثبتت فى مواضع فأما اثباتها فنحو قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وأما حذفها فنحو قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو واثباتها فى كل موضع وانما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين (ولنبين لك فى ذلك رسما تتبعه فنقول) اعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد الا يجوز اثبات الواو فى خبره وحذفها كقولك ما رأيت رجلا الا وعليه ثياب وان شئت قلت الا عليه ثياب بغير واو فان كان الذى يقع على النكرة ناقصا فلا يكون الا بحذف الواو نحو قولك ما أظن درهما الا هو كافيك ولا يجوز الا وهو كافيك بالواو لان الظن يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لانه يصير كالمكتفى من الافعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وان وأشباهها فخطأ أن تقول ان رجلا وهو قائم ونحو ذلك ويجوز هذا فى ليس خاصة تقول ليس أحد الا وهو قائم لان الكلام يتوهم تمامه بليس وبحرف نكرة ألا ترى أنك تقول ليس أحد وما من أحد فجاز فيها اثبات الواو ولم يجز فى أظن لانك لا تقول ما أظن أحدا فأما أصبح وأمسى ورأى فان الواو فيهن أسهل لانهن تَوامّ فى حال وكان وأظن ونحوهما بنين على النقص الا اذا كانت تامة وكذلك لا فى التنزيه وغيرها نحو لا رجل وما من رجل فيجوز اثبات الواو فيها وحذفها (واعلم) أن العرب قد حذفت من أصل الالفاظ شيأ لا يجوز القياس عليه كقول بعضهم

كان ابريقهم ظبي على شرف * مقدّم بسبا الكتان ملثوم

فقوله بسبا الكتان يريد بسبائب الكتان وكذلك قول الآخر

بدر بن جندل حائز لجنوبها * فكأنما تذكى سنابكها الحبا

فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن وان كانت العرب قد استعملته فانه لا يجوز لنا أن نستعمله (وأما القسم الثانى من الايجاز) فهو ما لا يحذف منه شئ (وذلك ضربان أحدهما) ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير (والآخر) ما زاد معناه على لفظه ويسمى الايجاز بالقصر (فأما الايجاز بالتقدير) فانه الذى يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفى عدتها (وأما الايجاز بالقصر فانه ينقسم قسمين أحدهما) ما دل لفظه على محتملات متعددة وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفى عدتها (والآخر) ما يدل لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفى عدتها الا بل يستحيل ذلك (ولنورد الآن الضرب الاول الذى هو الايجاز بالتقدير) فمما جاء منه قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فقوله قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما أكفره تعجب من افراطه فى كفران نعمة الله عليه ولا ترى أسلوبا أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه ثم انه أخذ فى صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال من أى شئ خلقه ثم بين الشئ الذى خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدّره أى هيأه لما يصلح له ثم السبيل يسره أى سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير والشر والاول

فيه وهو (الوداع) بالفتح وما أكثر (كسب) فلان بفتح الكاف ويقال (ضلع) فلان معك أى ميله يقال ضلعت تضلع ضلعا وفلان (جرئ) المقدم أى جرئ عند الاقدام وهم (فى ليان) من العيش وهى (الدجاجة) والدجاج وهى (شفة) الرجل وهو (جفن) عينه وجفن السيف جميعا بالفتح وهو يأتيك بالامر من (فصه) وهو فص (الخاتم) وهى (الشتوة والصيفة) بالفتح وهذا جزع (ظفارى) منسوب الى ظفار مدينة باليمن والعامة تقول ظفارى وهو (بثق السيل) وهو (الشقراق) للطائر بفتح الشين وهو (ملك) يمينى بفتح الميم وهى (مرقاة) الدرجة (ومسقاة) الطير وقد يكسران يشبهان بالآلة والاداة التى يعمل بها وفلان (سكران) بفتح السين وهو (النصرانى) بفتح النون وهو (النسر) بفتح النون للطائر والنجم وهو (الابريسم) بفتح الالف والراء وقال بعضهم ابريسم بكسر الالف وفتح الراء وهى (دمشق) وتقول أنا فى (مسكك) ان لم أفعل كذا أى فى جلدك بفتح الميم وهو (المنـدبا) مقصور وآخرون يكسرون الدال ويمدّون وهى (الجردقة) بفتح الجيم نزلنا على (ضفة الوادى وضفتيه) بفتح الضاد

باب ما جاء مكسورا والعامة تفتحه

هو (السرداب والدهليز والانفحة) نزلنا على (ضفة) الوادى وضفتيه

أولى لانه تال لخلقته وتقديره ثم بعد ذلك يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريق الخير والشر ثم أماته فأقبره أي جعله ذا قبر يوارى فيه ثم اذا شاء أنشره أي أحياه كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما أمره أي لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به يعني أن انسانا لم يخل من تقصير قط ألا ترى الى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والايجاز هو أن لا يمكنك أن تسقط شيأ من ألفاظه (والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرة) كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف فقوله فله ماسلف من جوامع الكلم ومعناه أن خطاياه الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الآن فقوله فله ماسلف أبلغ أي أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى من كفر فعليه كفره فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضروب من العذاب لان من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فهذه الآية من جوامع الآيات الواردة في القرآن الكريم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن أخي أعد فأعاد النبي صلى الله عليه وسلم قراءتها عليه فقال له ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر (ومن هذا النحو) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التي دلت على تخويف وارهاب ترق له القلوب وتقشعر منه الجلود وهي مشتملة مع قصرها على حال الانسان منذ خلقه الى حين حشره وحشر غيره من الناس وتصوير ذلك الامر الفظيع في أسهل لفظ وأقربه وما مررت عليها الا جددت لي موعظة وأحدثت عندي ايقاظا (ومن هذا الضرب) ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لأبي سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته في المهتدين واخلفه في عقبه في الغابرين لنا وله يا رب العالمين وهذا دعاء جامع بين الايجاز وبين مناسبة الحال التي وقع فيها فأوله مفتتح بالمهم الذي يفتقر اليه المدعو له في تلك الحال وهو رفع درجته في الآخرة وثانيه مردف بالمهم الذي يؤثره المدعو له من صلاح حال عقبه من بعده في الدنيا وثالثه مختتم بالجمع بين الداعي والمدعو له وهذا من الايجاز البليغ الذي هو طباق ما قصد له وكلام النبي صلى الله عليه وسلم كله هكذا كما قال أوتيت جوامع الكلم وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فانه قال هذا يوم له ما بعده وهو شبيه بقوله تعالى فله ماسلف (ولما جرح عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الجراحة التي مات بها اجتمع اليه الناس فجاءه شاب من الانصار وقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدم في الاسلام ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام سديد قد حوى المعنى المقصود وأتى به في أوجز لفظ وأحسنه ومع ما فيه من الايجاز فانه مستغرب وسبب استغرابه أنه جعل المساءة بشرى وأخرجها مخرج المسرة وتلطف في ذلك فأبلغ ولو أراد الكاتب البليغ والخطيب المصقع أن يأتي بذلك على هذا الوجه لأعوزه (ومن هذا النمط) ما كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه اياه وقتله فكتب اليه كتابي الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه في يدي وعسكره

بكسر الضاد وأصابته (ابردة) بالكسر وهي (الاطرية) وهو (الضفدع) بكسر الدال وطعام (مدود) وتمر (مسوس) بكسر الواو وفيهما قال

قد أطعمتني دقلا حوليا
مدودا مسوسا حجريا

هذا الامر (معرض) لك بكسر الراء أي قدامكنك من عرضه حلفت له (بالمحرجات) بكسر الراء يريد الايمان التي تحرج وهو (الديوان والديباج) بكسر الدال فيهما (وكسرى) بالكسر هذه الثلاثة بالكسر وهو (النسيان) بكسر النون وسكون السين مصدر نسيت وهذا بسر (مذنب) بكسر النون وكم (سق) أرضك أي حظها من الشرب وسق البطن أيضا بالكسر وهي (صنارة) المغزل بكسر الصاد وهو (الايل) بالكسر ويقال الايل بالضم والوجه الكسر ولا يفتح وهي (المطرقة والمكنسة والمغرفة والمقدحة والمروحة والمصدغة) من الصدغ بالصاد لانها توضع تحته وكذلك (المخدة) من الخد لانها توضع تحته (والمظلة والمسلة والمطهرة) بكسر الميم فيهن ومما يعمل أيضا (مقطع ومجز ومخرز) للاشفى (ومبضع) وهي (المشية وجرية الماء) وقتله شر (قتلة) وليس على فلان (محمل) وقعدت له في (مفرق الطريق) ويقال مفرق وهذا (موطئ) قدمك وهو (منسر) الطائر (ومرفق) اليد ولى في هذا مرفق بكسر الميم فيهن صوف (جزز) بكسر

مصرف تحت أمرى والسلام وهذا من الكتب المختصرة التى حوت الغرض المطوّل وما يكتب فى هذا المقام مثله (ولما أرسل المهلب بن أبى صفرة) أبا الحسن المداينى الى الحجاج بن يوسف يخبره أخبار الازارقة كلمه كلاما موجزا كالذى نحن بصدد ذكره ههنا وذلك أن الحجاج سأله فقال كيف تركت المهلب فقال أدرك ما أمّل وأمن مما خاف فقال كيف هو لجنده قال والد رؤف قال كيف جنده له قال أولاد بررة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بفضله وأغناهم بعدله قال كيف تصنعون اذا لقيتم العدو قال نلقاهم بجدّنا ويلقونا بجدّهم قال كذلك الجدّ اذا لقى الجدّ قال فأخبرنى عن بنى المهلب قال هم أحلاس القتال بالليل حماة السرح بالنهار قال أيهم أفضل قال هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها فقال الحجاج لجلسائه هذا والله هو الكلام الفصل الذى ليس بمصنوع (وقد ورد فى الاخبار النبوية من هذا الضرب شئ كثير) وسأورد منه أمثلة يسيرة فمن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات وهذا الحديث من أجمع الاحاديث للمعانى الكثيرة وذلك أنه يشتمل على جلّ الاحكام الشرعية فان الحلال والحرام اما أن يكون الحكم فيهما بيّنا لا اخلاف فيه بين العلماء واما أن يكون خافيا يتجاذبه وجوه التأويلات فكل منهم يذهب فيه مذهبا (وكذلك) جاء قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فان هذا الحديث أيضا من جوامع الاحاديث للاحكام الشرعية (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم المضعف أمير الركب وقد ورد آخر هذا الحديث بلفظ آخر فقال صلى الله عليه وسلم سيروا بسير أضعفكم الا أن الاول أحسن لانه أبلغ معنى فان الامير واجب الحكم فهو يتبع واذا كان المضعف أمير الركب كانوا مؤتمرين له فى سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد فى قوله سيروا بسير أضعفكم (وأحسن من هذا كله) ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث مطوّل يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله تعبد الله كأنك تراه من جوامع الكلم لانه ينوب مناب كلام كثير كأنه قال تعبد الله مخلصا فى نيتك واقفا عند أدب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذا أهبة الحذر وأشباه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظرا اليه استقصى فى آداب الخدمة بكل ما يجد اليه السبيل وما ينتهى اليه الطوق (ومما أطربنى من ذلك) حديث الحديبية وهو أنه جاء بديل بن ورقاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى تركت كعب بن لؤىّ وعامر بن لؤىّ معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا قد نهكتهم الحرب فان شاؤا ماددناهم مدّة ويدعوا بينى وبين الناس فان أظهر عليهم وأحبوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا كانوا قد جموا وان أبوا فو الذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى هذه ولينفذن الله أمره وهذا الحديث من جوامع الكلم وهو من الفصاحة والبلاغة على غاية لا ينتهى اليها وصف الواصف (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فقول النابغة

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وتخصيصه الليل دون النهار مما يسئل عنه وكذلك قوله

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أىّ الرجال المهذب

وعلى هذا الاسلوب ورد قول الاعشى فى اعتذاره الى أوس بن لام عن هجائه اياه

وانى على ما كان منى لنادم * وانى الى أوس بن لام لتائب

وانى الى أوس ليقبل عذرتى * ويصفح عنى ما حييت لراغب

فهب

الجيم وهو جمع جزة وفلان (حبر) من الاحبار بكسر الحاء وقد يقال بفتحها والاجود الكسر وهو (زئبر) الثوب بالهمز وكسر الباء (والزئبق) بالهمز وكسر الباء ودرهم مزأبق ولا يقال درهم مزبق وثوب مزأبر بكسر الباء ومزأبر بفتحها من الزئبر وهذا (جماع) الامر بكسر الجيم أى جملته (والسرع) السرعة ولقيت فلانا (لقاءة) واحدة ولا يقال لقاة بالفتح ويقال أيضا لقية واحدة وهى (الجنازة) بكسر الجيم وهى (الحدأة) للطائر مكسورة الحاء مهموزة وهو (الاذخر) ورجل (مصك) للشديد ولا يقال مصك وهو (الجراب) بالكسر وهى (الغسلة) التى تجعل فى الرأس ولا يقال غسلة (والبطيخ) بكسر الباء وبصل (حريف) وهو جاهل (جدا) ولا يقال جدا وهذه (مقدمة) الجيش وهم (المقاتلة) بالكسر ولا يقال مقدمة ولا مقاتلة (يوشك) أن يكون كذا ولا يقال يوشك ومتاع (مقارب) ولا يقال مقارب وهى (الزنفيلجة) بكسر الزاى ولا تفتح وقرأت (المعوذتين) بكسر الواو وتقول فى الدعاء ان عذابك الجد بالكفار (ملحق) بكسر الحاء بمعنى لاحق وهو (المنديل) و(القنديل) والسمك (الجرى) والجريث (والاربيان) و(القريب) و(الزنيخ) وتمرة (نرسيانة)

﴿باب ما جاء مفتوحا والعامة تضمه﴾

هى (الترقوة) و(عرقوة) الدلو

فهب لى حياتى فالحياة لقائم * بشكرك فيها خير ما أنت واهب
سامحو بمدح فيك اذ أنا صادق * كتاب هجاء سار اذ أنا كاذب

وهذا من المعانى الشريفة فى الالفاظ الخفيفة وهو من طنانات الاعشى المشهورة وعلى نحو منه جاء قول الفرزدق

صبحناهم الشعث الجياد كأنها * قطا هيجته يوم ريح أجادله
الى كل حى قد خطبنا بناتهم * بأرعن جرار كثير صواهله
اذا ما التقينا أنكحتنا رماحنا * من القوم أبكارا كراما عقائله
وانا لمناعون تحت لوائنا * حمانا اذا ما عاذ بالسيف حامله

وهذا من محاسن ما يجئ فى هذا الباب ومما يجرى هذا المجرى قول جرير

تمنى رجال من تميم منيتى * وما ذاد عن أحسابهم ذائد مثلى
فلو شاء قومى كان حلمى فيهم * وكان على جهال أعدائهم مثلى

وكذلك ورد قوله متغزلا وهو من محاسن أقواله

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الاقوام
ولقد أراك وأنت جامعة الهوى * أثنى بعهدك خير دار مقام
طرقتك صائدة القلوب فليس ذا * حين الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذى حدثتنا * لوصلت ذاك فكان خير زمام
ولقد أرانى والجديد الى بلى * فى موكب طرف الحديث كرام
لولا مراقبة العيون أريننا * حدق المها وسوالف الآرام
واذا صرفن عيونهن بنظرة * نفذت نوافذها بغير سهام
هل تنفعنك ان قتلن مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام

وحلاوة هذا الكلام أحسن من ايجازه ولقد أعوز غيره أن يأتى بمثله حتى أقترب اعوازه ومن باب الايجاز الذى يسمى التقدير قول على بن جبلة

وما لامرئ حاولته عنك مهرب * ولو حملته فى السماء المطالع
بلى هارب ما يهتدى لمكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

فهذا هو الكلام الذى ألفاظه وفاق معانيه فانه قد اشتمل على مدح رجل بشمول ملكه وعموم سلطانه وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وان صعد السماء ثم ذكر جميع المهارب فى المشارق والمغارب وأشار الى أنه يبلغ الظلام والضياء وذلك مما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه ومن هذا الضرب قول أبى نواس وهو من نادر ما يأتى فى هذا الموضع

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبى فجددت عهدهم * وانى على أمثال تلك لحابس
تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

بالفتح قبلت الشئ (قبولا) بفتح القاف وعلى فلان قبول حسن اذا قبلته النفس وهو (المصوص) بفتح الميم وهو درهم (ستوق) بفتح السين وكلب (سلوقى) بفتح السين أحسبه نسب الى سلوق اليمن وهو (شنف) المرأة بفتح الشين وفعلت ذلك به (خصوصية) ولص بين (اللصوصية) هى (الانملة) واحدة الانامل بفتح الميم وهو (السعوط) و(الغرور) و(السنون) و(الوجور) بفتح أوائلها وثوب (معافرى) منسوب الى معافر بفتح الميم وهو (الكوسج) و(الجورب) وتقول (شلت) يده بالفتح تشل شللا وهى (تخوم) الارض والجميع تخم حكاها أبو عمرو والشيبانى وسمعت البصريين يقولون تخوم بالضم يذهبون الى انها جميع ويرون واحدها تخم أنشد الاصمعى

يا بنى التخوم لا تظلموها
ان ظلم التخوم ذو عقال

بالضم وهو (الروشم والروسم) بالفتح وهو (النشوط) و(الشبوط)

باب ما جاء مضموما والعامة تفتحه

على وجهه (طلاوة) بضم أوله وهى ثياب (جدد) بضم الدال الاولى ولا يقال جدد بفتحها انما الجدد الطرائق قال الله عز وجل ومن الجبال جدد بيض أى طرائق وهذا دقيق (حوارى) بضم الحاء وهو من البياض وهى (الجنبذة) بضم الباء والعامة

(ومما انتهى الى من أخبار ابن المزرع) قال سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات التى لابى نواس ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا هو الشعر ولو نقر لطن فقلت له ويحك ماتفارق عمل الجرار والخزف ولعمرى ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذى ذكره هو الحق وعلى هذا الاسلوب جاء قول أبى تمام

ان القـــوافى والمساعى لم تزل * مثل النظام اذا أصاب فريدا
هى جـــوهر نثر فان ألفتـــه * بالشـــعر صار قلائدا وعقودا
فى كل معـترك وكل مقامـة * يأخذن منـــه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراءها * لم ترض منها مشهـدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الأولى * يدعون هـذا سوددا محـدودا
وتند عنـــدهم العـــلا الاعـلا * جعلت لها مرر القريض قيودا

(وأما الضرب الثانى) وهو الايجاز بالقصر فان القرآن الكريم ملآن منـه وقد تقـدم القول أنه قسمان أحدهما مايدل على محتملات متعـددة فمن ذلك قوله تعالى ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهـم طريقا فى البحر يبسا لاتخاف دركا ولاتخشى فأتبعهـم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم وأضل فرعون قومه وماهدى فقوله فغشيهم من اليم ماغشيهم من جوامع الكلم التى يستدل على قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم من الامور الهائلة والخطوب الفادحة مالا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره (ومن هـذا الضرب) قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فجمع فى الآية جميع مكارم الاخلاق لان فى الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما (وقال بعض الاعراب فى دعائه اللهم هب لى حقك وأرض عنى خلقك فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا هو البلاغة (ومن ذلك) قوله عز وجـل أولئك لهـم الامن فانه دخـل تحت الامن جميع المحبوبات وذلك أنه نفى به أن يخافوا شيأ من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النقمة وغير ذلك من أصناف المكاره وأشباه هذا فى القرآن الكريم كثيرة فهو يكثر فى بعض الصور ويقل فى بعض قال النبى صلى الله عليه وسلم من شاء يرتع فى الرياض الانائق فعليه بآل حم (ومن ذلك) قول النبى صلى الله عليه وسلم الخراج بالضمان وذلك أن رجلا اشترى عبدا فأقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم البائع الى النبى صلى الله عليه وسلم فرده عليه فقال يارسول الله انه استغل غلامى فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان أن الرجل اذا اشترى عبدا فاستغله ثم وجد به عيبا دلسه عليه البائع فله أن يرده ويسترجع الثمن جميعه وللرجل غلات العبد أو أبق أو سرقه سارق كان فى مال المشترى وضمانه عليه واذا كان ضمانه عليه فخراجه له أى له ماتحصل من أجرة عمله (وأما ماورد شعرا) فقول السموأل بن عاديا الغسانى من جملة أبياته اللامية المشهورة وذلك قوله منها

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضيم النفس لانها تجد بحملها ضيما أى مشقة وعناء وقد تقدم القول أن الايجاز بالقصر يكون فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل ولا أعلم أن شاعرا قديما ولا حديثا أتى بمثله وقد أخذه أبو تمام فأحسن فى أخذه وهو

وظلمت نفسك طالبا انصافها * فعجبت من مظلومة لم تظلم

تفتحها وهى ماارتفع من الشئ وأعطيته الشئ (دفعة) وهذه (نقاوة المتاع) ونقايته (وثؤلول) وجمعه ثآليل وهو (النكس) فى العلة وطال (مكثه) فى المكان وهى (الدوامة) و(دوارة) الرأس وبلغت باللحم (النضج) وهو (الخرنوب) والخروب بفتح الخاء وتشديد الراء اذا حذفت النون ولا يقال الخرنوب وهى (الشقوق) فى اليد والرجل ولا يقال الشقاق الا فى قوائم الدابة وجعلته (نصب عينى) وعن أبى زيد (رفق) الله بك ورفق عليك رفقا ومرفقا وأرفق ارفاقا وأخذنى منه (ماقدم وما حدث) ولا يضم حدث فى شئ الا فى هذا الكلام وهو (مرزبان الزأرة) بضم الزاى

﴿باب ماجاء مضموما والعامة تكسره﴾

هو (الفلفل) بالضم وهى (لعبة الشطرنج والنرد وغير ذلك تقول اقعد حتى أفرغ من هـذه اللعبة وتقول لعبت لعبة واحدة فاما اللعبة بالكسر فمثل الجلسة والركبة تقول هو حسن اللعبة كما تقول هو حسن الجلسة وهى (الخصية والخصيان) الفراء جاء فلان على (ذكر) بالضم قال ولا يكسر انما يقال ذكرت الشئ ذكرا وأبو عبيدة يجيزهما قال هما لغتان وهو (الفسطاط) بضم الفاء (والمصران) بضم الميم وهو جمع مصير مثل جريب وجربان وجمع الجمع مصارين وهو (جربان القميص) بضم الجيم والراء وهو

فقال في بيته هذا بالمقابلة بين الضدين في الظلم والانصاف ثم قال فعجبت من مظلومة لم تظلم وهذا أحسن من الاول ومعنى قوله ظلمت نفسك طالبا انصافها أى أنك أكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ثم انك مع ظلمك اياها قد أنصفتها لانك جلبت اليها أشياء حسنة تكسبها ذكرا جميلا ومجدا مؤثلا فأنت منصف لها في صورة ظالم وكذلك قوله فعجبت من مظلومة لم تظلم أى أنك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك اياها أدى الى ما هو جميل حسن وهذا القدر في الامثلة كاف في هذا الباب (القسم الآخر من الضرب الثاني في الايجاز بالقصر) وهو الذى لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها وهو أعلى طبقات الايجاز مكانا وأعوزها امكانا واذا وجد في كلام بعض البلغاء فانما يوجد شاذا نادرا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فان قوله تعالى القصاص حياة لا يمكن التعبير عنه الا بألفاظ كثيرة لان معناه أنه اذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فأوجب ذلك حياة الناس ولا يلتفت الى ما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل فان من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية وليس كذلك بل بينهما فرق من ثلاثة أوجه (الاول) أن القصاص حياة لفظتان والقتل أنفى للقتل ثلاثة ألفاظ (الوجه الثاني) أن في قولهم القتل أنفى للقتل تكريرا ليس في الآية (الثالث) أنه ليس كل قتل نافيا للقتل الا اذا كان على حكم القصاص وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب في بعض بيت من شعره فقال

وأخافكم كى تغمدوا أسيافكم * ان الدم المغبر يحرسه الدم

فقوله ان الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل (ويروى) عن معن بن زائدة أنه سأله أبو جعفر المنصور فقال له أيما أحب اليك دولتنا أو دولة بني أمية فقال ذاك اليك فقوله ذاك اليك من الايجاز بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه الا بألفاظ كثيرة لان معنى قوله ذاك اليك وهو لفظتان أنه ان زاد احسانك على احسان بني أمية فأنتم أحب الىّ وهذه عشرة ألفاظ ﴿فان قيل﴾ كيف لا يمكن التعبير عن ألفاظ بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها وفي المترادف من الالفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك فانه اذا قيل راح ثم قيل مدامة أو سلافة كان ذلك سواء وقامت هذه اللفظة مقام هذه اللفظة ﴿قلت﴾ في الجواب ليس كل الالفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض ألا ترى أن لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها بالقتل في قول العرب القتل أنفى للقتل ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة فالذى أردته أنا انما هو الكلام الذى لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها فان كان كذلك والا فليس داخلا في هذا القسم المشار اليه (النوع السادس عشر في الاطناب) هذا النوع من الكلام أنعمت نظرى فيه وفي التكرير وفي التطويل فلكتني حيرة الشبه بينها طويلا وكنت في ذلك كعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكلالة حيث قال قد أعياني أمر الكلالة وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كثيرا حتى ضرب في صدرى وقال ألا يكفيك أنه الصنف وبعد أن أنعمت نظرى في هذا النوع الذى هو الاطناب وجدت ضربا من ضروب التأكيد التى يؤتى بها في الكلام قصد المبالغة ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره لان من التأكيد ما يتعلق بالتقديم والتأخير كتقديم المفعول بالاعتراض كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين المعطوف والمعطوف عليه وأشباه ذلك وسيأتي الكلام عليه في بابه وهذا الضرب الذى هو الاطناب ليس كذلك (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه) فمنهم من ألحقه بالتطويل الذى

(للزبون) بضم الباء وهذه عصا (معوجة) ولا يقال معوجة بكسر الميم وهذا قدح (نضار) بضم النون وهو (الرقاق) بمعنى رقيق مثل طويل وطوال ودقيق ودقاق وهو (ظفر اليد) بالضم ولا يقال ظفر

﴿باب ما جاء مكسورا والعامة تفتحه﴾

هو (الخوان) بكسر الخاء وفعلت ذلك (صراحا) بكسر الصاد لانه مصدر صارحت بالامر ودابة فيه (قماص) ولا يقال قماص (وهو السواك) بالكسر ولا يقال السواك (وقمر سهريز وشهريز) بالكسر ولا يضم أولهما ويقال نحن (في العلو) وهم (في السفل) ويقال ذهب الرجل علاء وعلوا ولم يذهب سفلا

﴿باب ما جاء على فعلت (بكسر العين) والعامة تقوله على فعلت بفتحها﴾

(قضمت الدابة) الشعير تقضمه مثل خضمت والخضم الاكل بجميع الفم (ولقمت) الطعام و(لعقته) و(لحسته) و(بلعت) اللقمة و(زردتها) و(جرعت) هذه وحدها باللغتين (وقمحت) القمحة (وسففت) السفوف (وفركت) المرأة زوجها تفركه فركا اذا أبغضته وهو رجل مفرك (وقد شركت) الرجل في أمره أشركه شركا (وصدقت) في يمينك و(بررت) وقد (نهكته) الحمى تنهكه نهكا ونهكة (وقد لججت) تلج لجاجة وقد (مضضت) من

هو ضد الايجاز وهو عنده قسم غيره فأخطأ من حيث لا يدرى كأبى هلال العسكرى والغانمى حتى انه قال ان كتب الفتوح وماجرى مجراها مما يقرأ على عوام الناس ينبغى أن تكون مطوّلة مطنبا فيها وهذا القول فاسد لانه ان عنى بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم وان عنى بذلك أنها تكون مكررة المعانى مطوّلة الالفاظ قصد الافهام العامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب اليه من عنده أدنى معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة ويكفى فى بطلانه كتاب الله تعالى فانه لم يجعل لخواص الناس فقط وانما جعل لعوامهم وخواصهم وأكثره لا بل جميعه مفهوم الالفاظ للعوام الا كلمات معدودة وهى التى تسمى غريب القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك فى المقالة الاولى المختصة بالالفاظ وعلى هذا فينبغى أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة مفهومة وكذلك الاشعار والخطب ومن ذهب الى غير ذلك فانه بنجوة عن هذا الفن وعلى هذا فان الاطناب لا يختص به عوام الناس وانما هو للخواص كما هو للعوام وسأبين حقيقته فى كتابى هذا وأحقق القول فيه بحيث تزول الشبهة التى خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالا لا تعرب عن فائدة (والذى عندى فيه) أنه اذا رجعنا الى الاسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسبا لمسماه وهو فى أصل اللغة مأخوذ من أطنب فى الشئ اذا بالغ فيه ويقال أطنبت الريح اذا اشتدت فى هبوبها وأطنب فى السير اذا اشتد فيه وعلى هذا فان حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة فى ايراد المعانى وهذا لا يختص بنوع واحد من أنواع علم البيان وانما يوجد فيها جميعا اذ ما من نوع منها الا ويمكن المبالغة فيه واذا كان الامر كذلك فينبغى أن يفرد هذا النوع من بينها ولا يتحقق افراده الا بذكر حده الدال على حقيقته (والذى يحد به أن يقال) هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذى يميزه عن التطويل اذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مردد واللفظ واحد وسيرد بيان ذلك مفصلا فى بابه بعد باب الاطناب لانى ذكرت الايجاز ثم الاطناب ثم التكرير وهى أبواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى مرددا فمنه ما يأتى لفائدة ومنه ما يأتى لغير فائدة فأما الذى يأتى لغير فائدة فانه جزء من الاطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتى لفائدة فهو اطناب وليس كل اطناب تكريرا يأتى لفائدة وأما الذى يأتى من التكرير لغير فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتى لغير فائدة تطويل وليس كل تطويل تكريرا يأتى لغير فائدة وكنت قدمت القول فى باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه واذا تقررت هذه الحدود الثلاثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل مثال مقصد يسلك اليه فى ثلاثة طرق فالايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان فى البعد اليه الا أن طريق الاطناب تشتمل على منزه من المنازه لا يوجد فى طريق التطويل وسيأتى بيان ذلك بضرب الامثلة التى تسهل من معرفته (والاطناب يوجد) تارة فى الجملة الواحدة من الكلام ويوجد تارة فى الجمل المتعددة والذى يوجد فى الجمل المتعددة أبلغ لاتساع المجال فى ايراده (وعلى هذا فانه بجملته ينقسم قسمين القسم الاول) الذى يوجد فى الجملة الواحدة من الكلام وهو يرد حقيقة ومجازا (أما الحقيقة) فمثل قولهم رأيته بعينى وقبضته بيدى ووطئته بقدمى وذقته بفمى وكل هذا يظن الظان أنه زيادة لا حاجة اليها ويقول ان الرؤية لا تكون الا بالعين والقبض لا يكون الا باليد والوطء لا يكون الا بالقدم

والذوق

المصيبة أمض مضضا وقد (مصصت) الشراب (ولثمت) فم المرأة ألثمه لثما وقد (نشفت الارض) الماء نشفا (ونشقت) من الرجل ريحا طيبة نشقا (ونشيت) منه نشوة مثله (وبلهت) أبله بلها (ولببت) ألب لبا (وبششت) بفلان أبش بشاشة (وشهيت) ذلك اشهاه شهوة (وودت) لو يكون كذا ودا وودادة (ونفد الشئ) ينفد نفادا (ونكد الشئ) نكدا (وضرمت النار) تضرم ضرما و (صدقت وبررت) فأنت تبر

باب ما جاء على فعلت (بفتح العين) والعامة تقول على فعلت (بكسرها)

(نكلت) عن الامر أنكل نكولا و (حرصت) على الامر أحرص وقد (كللت) اذا أعييت أكل كلالا وكلالة (وعمدت) لفلان أعمد له اذا قصدت اليه (وقد جهدت) جهدى وقد (غطست) و (سبحت) فى الماء (وعجزت) عن الامر أعجز (وقد ولدت) المرأة وقد (لحت) فلانا بعينى وقد (عتبت) عليه أعتب وقد (غثت) نفسى تغثى غثيا وغثيانا (وغلت القدر) تغلى غليا وغليانا (ونحل جسمه) ينحل نحولا (وولغ الكلب) فى الاناء يلغ ولغا (وخمدت النار) تخمد (وهمدت) تهمد (وأجن الماء) يأجن ولا يقال أجن يأجن هذا قول الاصمعى وقال أبو زيد قد (قبلت) و (نقهت) من المرض أنقه بفتح

والذوق لا يكون الا بالفم وليس الامر كذلك بل هذا يقال فى كل شئ يعظم مثاله ويعز الوصول اليه فيؤكد الامر فيه على هذا الوجه دلالة على نيله والحصول عليه كقول أبى عبادة البحترى

تأمل من خلال السجف وانظر * بعينك ماشربت ومن سقانى
تجد شمس الضحى تدنو بشمس * الى من الرحيق الخسروانى

ولما كان الحضور فى هذا المجلس مما يعز وجوده وكان الساقى فيه على هذه الصفة من الحسن قال انظر بعينك (وعلى هذا ورد) قوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم فان هذا القول لما كان فيه افتراء عظيم على الله تعالى على قائله ألا ترى الى قوله تعالى فى قصة الافك اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فصرح فى هذه الآية بما أشرت اليه من تعظيم الامر المقول وفى مساق الآية المشار اليها جاء قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وماجعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ألا ترى أن مساق الكلام أن الانسان يقول لزوجته أنت على كظهر أمى ويقول لمملوكه يابنى فضرب الله لذلك مثلا فقال كيف تكون الزوجة أما وكيف يكون المملوك ابنا والجمع بين الزوجية والامومة وبين العبودية والبنوة فى حالة واحدة كالجمع بين القلبين فى الجوف وهذا تعظيم لما قالوه وانكار له ولما كان الكلام فى حال الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف والا فقد علم أن القلب لا يكون الا فى الجوف والتمثيل يصح بقوله ماجعل الله لرجل من قلبين وهو تام لكن فى ذكر الجوف فائدة وهى ما أشرت اليها وفيها أيضا زيادة تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان ذلك أسرع الى انكاره (وعليه ورد) قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فكما أن القلب لا يكون الا فى الجوف فكذلك السقف لا يكون الا من فوق وهذا مقام ترهيب وتخويف كما أن ذلك مقام انكار وتعظيم ألا ترى الى هذه الآية بكمالها وهى قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ولذكر لفظة فوقهم فائدة لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك فانك اذا تلوت هذه الآية تخيل اليك أن سقفا خر على أولئك من فوقهم وحصل فى نفسك من الرعب مالا يحصل مع اسقاط تلك اللفظة وفى القرآن الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكل هذه الآيات انما أطنب فيها بالتأكيد لمعان اقتضتها فان النفخ فى الصور الذى تقوم به الاموات من القبور مهول عظيم دل على القدرة الباهرة وكذلك حمل الارض والجبال فلما كانا بهذه الصفة قيل فيهما نفخة واحدة ودكة واحدة أى ان هذا الامر المهول العظيم سهل يسير على الله تعالى يفعل ويمضى الامر فيه بنفخة واحدة ودكة واحدة ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا كلفة مشقة فجئ بذكر الواحدة لتأكيد الاعلام بأن ذلك هين سهل على عظمه وهذه المواضع وأمثالها ترد فى القرآن الكريم ويتوهم بعض الناس أنها ترد لغير فائدة اقتضتها وليس الامر كذلك فان هذه الاسرار البلاغية لا يتنبه لها الا العارفون بها وهكذا يرد ما يرد منها فى كلام العرب (وههنا نكتة لابد من الاشارة اليها) وذلك أنى نظرت فى قوله تعالى نفخة واحدة ودكة واحدة وفى قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم وسأبينه ببيان شاف فأقول ان قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى انما جئ به لتوازن الفقر التى نظمت

القاف فأما نقهت بكسرها فمعنى فهمت

﴿باب ماجاء على فعلت (بفتح العين) والعامة تقوله على فعلت (بضمها)﴾

(جمد) الماء يجمد (وذبل) الريحان يذبل (وكفلت به) أكفل كفالة (وقبلت به) أقبل قبالة مثله (وقد خثر اللبن) يخثر ويقال خثر وهى قليلة (وعثرت) أعثر (وضمر الرجل) يضمر (وشحب لونه) يشحب وشحب لغة البصريون يقولون (حمض) الخل (وطلقت) المرأة لاغير (وحلم الرجل) فى نومه بفتح اللام فأما حلم فمن الحلم (بكسر الحاء)

﴿باب ماجاء على يفعل (بضم العين) مما يغير﴾

بزغت الشمس (تبزغ) وهمعت عينه (تهمع) وكعبت المرأة (تكعب) ونهدت (تنهد) وسهم وجهه (يسهم) وكهن الرجل (يكهن) وسبغ الثوب (يسبغ) ورعدت السماء (ترعد) وبرقت (تبرق) ولس الشئ (يلسه) ونكل عن الامر (ينكل) ودر الحلب (يدر) وزر القميص (يزره)

﴿باب ماجاء على يفعل (بكسر العين) مما يغير﴾

نعر فهو (ينعر) من الصوت وزحر (يزحر) ونحت (ينحت) وبغمت الظبية (تبغم) ونسج الثوب (ينسجه) وقشرت الشئ (أقشره) ونشرت الثوب (أنشره) وهلك (يهلك) وأبق الغلام (يأبق) نعق بالشاء (ينعق)

السورة كلها عليها وهي والنجم اذا هوى ولو قيل أفرأيتم اللات والعزى ومناة ولم يقل الثالثة الاخرى لكان الكلام عاريا عن الطلاوة والحسن وكذلك لو قيل ومناة الاخرى من غير أن يقال الثالثة لانه نقص في الفقرة الثانية عن الاولى وذلك قبيح وقد تقدم الكلام عليه في باب السجع لكن التأكيد في هذه الآية جاء ضمنا للتوازن الفقري وتبعا وأما نفخة واحدة ودكة واحدة فانما جيء بلفظ الواحدة فيهما وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة لمكان نظم الكلام لان السورة التي هي الحاقة جارية على هذا المنهاج في توازن السجع ولو قيل نفخة من غير واحدة ودكة من غير واحدة ثم قيل بعدهما فيومئذ وقعت الواقعة لكان الكلام منثورا محتاجا الى تمام لكن التأكيد جاء فيهما ضمنا وتبعا واذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ظاهر وذلك ان نفخة هي واحدة ومناة هي الثالثة (وأما ما جاء منه على سبيل المجاز) فقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ففائدة ذكر الصدور ههنا أنه قد تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب تشبيه ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أن مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار وهذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه وافرة لطائفه والمجاز فيه أحسن من الحقيقة لمكان زيادة التصوير في اثبات وصف الحقيقي للمجازي ونفيه عن الحقيقي (وأما القسم الثاني المختص بالجمل) فانه يشتمل على ضروب أربعة (الاول) منها أن يذكر الشئ فيؤتى فيه بمعان متداخلة الا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر وذلك كقول أبي تمام

قطعت الى الزابيين هباته * التاث مأمول السحاب المسبل
من منة مشهورة وصنيعة * بكر واحسان أغر محجل

فقوله منة مشهورة وصنيعة بكر واحسان أغر محجل تداخلت معانيه اذ المنة والصنيعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير لانه لو اقتصر على قوله منة وصنيعة واحسان لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فقال منة مشهورة فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها وصنيعة بكر فوصفها بالبكارة أي أنها لم يؤت بمثلها من قبل واحسان أغر محجل فوصفه بالغرة والتحجيل أي هو ذو محاسن متعددة فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شئ واحد بأوصاف متباينة صار ذلك اطنابا ولم يكن تكريرا ولم أجد في ضروب الاطناب أحسن من هذا الموضع ولا ألطف وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيرا بخلاف غيره من الشعراء كقوله

زكى سجاياه تضيف ضيوفه * ويرجى مرجيه ويسئل سائله

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه وصفه بصفات متعددة فجعل ضيوفه تضيف وراجيه يرجى وسائله يسئل وليس هذا تكريرا لانه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يكون راجيه مرجوا ولا أن يكون سائله مسؤلا لان ضيفه يستصحب ضيفا طمعا في كرم مضيفه وسائله يسئل أي يعطى السائل عطاء كثيرا يصير به معطيا وراجيه يرجى أي أنه اذا تعلق به رجاء راج وقد أيقن بالفلاح والنجاح فهو حقيق بأن يرجى لمكان رجائه اياه وهذا أبلغ الاوصاف الثلاثة (الضرب الثاني) يسمى النفي والاثبات وهو أن يذكر الشئ على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات أو بالعكس ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست

وهررت الحرب (أهرها) قال عنترة

حلفت لهم والخيل تردي بنا معا
نزاولهم حتى يهروا العواليا

﴿باب ما جاء على يفعل (بفتح العين) مما يتغير﴾

مص (يمص) ولح (يلح) وشم (يشم) وهمهم (يهمهم) اذا أخذهم وعسر علي الامر (يعسر) عسرا وقصت عنقه (توقص) وفلان (يبش) بضيفانه والدابة (تقضم) الشعير

﴿باب ما جاء على لفظ ما لم يسم فاعله﴾

تقول (وثئت يده) فهي موثوءة ولا يقال وثئت (وزهي) فلان فهو مزهو ولا يقال زها ولا هو زاه وكذلك (نخي) من النخوة فهو منخو (وعنيت) بالشئ فأنا أعنى به ولا يقال عنيت قال الحرث بن حلزة

وأتانا عن الاراقم أنبا
ء وخطب نعنى به ونساء

فاذا أمرت قلت لتعن بفلان واتعن بأمري (ونتجت) الناقة ولا يقال نتجت ويقال قد نتجت ناقتي قال الكميت

وقال المذمر للناتجيـ
ـن متى ذمرت قبلي الارجل

ويقال أنتجت اذا استبان حملها فهي نتوج ولا يقال منتج ويقال أولعت بالامر وأوزعت به سواء ولوعا (وأرعدت) فأنا أرعد وأرعدت فرائصه (ووضعت) في البيع ووكست (وشدهت) عند المصيبة (وبهت الرجل) قال الله عز وجل فبهت الذي كفر قال الكسائي ويقال بهت وبهت وبهت (وسقط) في يده (وأهرع

فى الآخر والا كان تكريرا والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود (فما جاء منه) قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون (واعلم) ان لهذا الضرب من الاطناب فائدة كبيرة وهو من أوكد وجوهه ألا ترى أنه قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم قال انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والمعنى فى ذلك سواء الا أنه زاد فى الثانية قوله وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغى أن يتأمل و ينعم النظر فيه (وعليه ورد) قوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذى نحن بصدد ذكره ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفى عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم علموا وما علموا اذ العلم بظاهر الامور ليس بعلم وانما العلم هو ما كان بالباطن من الامور (الضرب الثالث) هو أن يذكر المعنى الواحد تاما لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول أبى عبادة البحترى

ذات حسن لو استزادت من الحسـ * ـن اليه لما أصابت مزيدا

فهى كالشمس بهجة والقضيب الـ * ـلدن قدا والريم طرفا وجيدا

ألا ترى أن الاول كاف فى بلوغ الغاية فى الحسن لانه لما قال لو استزادت لما أصابت مزيدا دخل تحته كل شئ من الاشياء الحسنة الا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا وتخييلا لا يحصل له من الاول وهذا الضرب من أحسن ما يجىء فى باب الاطناب (وكذلك) ورد قوله

تردد فى خلق سودد * سماحا مرجى وبأسا مهيبا

فكالسيف ان جئته صارخا * وكالبحر ان جئته مستثيبا

فالبيت الثانى يدل على معنى الاول لان البحر والسيف للبأس المهيب الا أن فى الثانى زيادة التشبيه التى تفيد تخييلا وتصويرا (الضرب الرابع) أن يستوفى معانى الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الضروب الاربعة طريقا وأضيقها بابا لانه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعانى وأرباب النظم والنثر يتفاوتون فيه وليس الخاطر الذى يقذف بالدرر فى مثله الا معدوم الوجود ومثاله ومثال الايجاز مثال مجمل ومفصل (وقد تقدم) القول بأن الايجاز والاطناب والتطويل بمنزلة مقصد يسلك اليه ثلاثة طرق وقد أوردت ههنا أمثلة لهذه الاساليب الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذى تسلك اليه الطرق الثلاثة (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف بستان ذات فواكه متعددة فاذا أريد وصفه على حكم الايجاز قيل فيه من كل فاكهة زوجان وهذا كلام الله تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره واذا أريد وصف ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ما أذكره وهو فصل من كتاب أنشأته وهو جنة علت أرضها أن تمسك ماء وغنيت بينبوعها أن تستجدى سماء وهى ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة منجبة وما كل تربة توصف بالنجابة ففيها المشمش الذى يسبق غيره بقدومه ويقذف أيدى الجانين بنجومه فهو يسمو بطيب الفرع والنجار ولو نظم فى جيد الحسناء لاشتبه بقلادة من نضار وله زمن الربيع الذى هو أعدل الازمان وقد شبه بسن

الرجل) فهو مهرع اذا كان يرعد من غضب أو غيره (وأهل الهلال (واستهل) (وأغمى) على المريض وغمى عليه (وغم) الهلال على الناس

﴿باب ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حروفه بغيره﴾

هو (السرجين) بالجيم وكسر السين قال الاصمعى هو فارسى لا أدرى كيف أقوله فأقول الروث وهى (القاقوزة) والقازوزة ولا يقال قاقزة وهو (القرقل) باللام القميص الذى لا كمى له وجمعه قراقل والعامة تسميه قرقرا وهى (البالوعة) وفلان يقرأ (بالسليقة) أى بطبيعته لا عن تعليم ويقال للطبيعة السليقة (والشيزى) بالياء خشب أسود ويقال (شتان) ما هما بنصب النون ولا يقال شتان ما بينهما قال الاعشى

شتان ما يومى على كورها

ويوم حيان أخى جابر

وليس قول الآخر

* شتان ما بين اليزيدين فى الندى *

بحجة وشتان بمنزلة قولك (وشكان وسرعان) ذا خروجا وأصله وشك ذا خروجا وسرع ذا خروجا (تأنق) فى الشئ ولا يقال تنوق قال وبعض العرب يقول تنوق (واستخفيت) من فلان ولا يقال اختفيت انما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش مختف قال الله عز وجل يستخفون من الناس ويقال هذا (ماء ملح) ولا يقال مالح قال الله عز وجل هذا عذب فرات

الصبا فى الاسنان وفيها التفاح الذى رق جلده وعظم قده وتورد خده وطابت أنفاسه فلا بان الوادى ولا رنده واذا نظر اليه وجد منه حظ الشم والنظر ونسبته من سرر الغزلان أولى من نسبته الى منابت الشجر وفيها العنب الذى هو أكرم الثمار طينة وأكثرها ألوان زينة وأول غرس اغترسه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة فقطفه يميل بكف قاطفه ويغرى بالوصف لسان واصفه وفيها الرمان الذى هو طعام وشراب وبه شبهت نهود الكعاب ومن فضله أنه لا نوى له فيرمى نواه ولا يخرج اللؤلؤ والمرجان من فاكهة سواه وفيها التين الذى أقسم الله به تنويها بذكره واستتر آدم عليه السلام بورقه اذ كشفت المعصية من ستره وخص بطول الاعناق فـابرى بها من ميل فهو نشوة من سكره وقد وصف بأنه راق طعما ونعم جسما وقيل هذا كنيف ملئ شهدا لا كنيف ملئ علما وفيها من ثمرات النخيل ما زهى بلونه وشكله ويشغل بلذة منظره عن لذة أكله وهو الذى فضل ذوات الافنان بعرجونه ولا تماثل بينه وبين الحلواء هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه وفيها غير ذلك من أشكال الفاكهة وأصنافها وكلها معدود من أوساطها الا من أطرافها ولقد دخلتها فاستهوتنى حسدا ولم ألم صاحبها على قوله لن تبيد هذه أبدا (فهذا الوصف) على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذلك الاول هو الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفاكهة (وأما التطويل) فهو أن تعد الاصناف المذكورة تعدادا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق فيقال مشمش وتفاح وعنب ورمان ونخل وكذا وكذا وانظر أيها المتأمل الى ما أشرت اليه من هذه الاقسام الثلاثة فى الايجاز والاطناب والتطويل وقس عليها ما يأتى منها (وسأزيد ذلك بيانا بمثال آخر فأقول) قد ورد فى باب الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون رحمه الله تعالى يخبره بهزيمة عيسى بن ماهان وقتله اياه وهو كتابى الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يدى وخاتمه فى يدى وعسكره مصرف تحت أمرى والسلام وهذا كتاب جامع للمعنى شديد الاختصار واذا كتب ما هو فى معناه على وجه الاطناب قيل فيه ما أذكره وهو ما أنشأته مثالا فى هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز والاطناب وهو أصدر كتابه هذا وقد نصر بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة وانقلب باليد الملأى والعين القريرة وكان انتصاره بجد أمير المؤمنين لا بحد نصله والجد أغنى من الجيش وان كثرت أمداد خيله ورجله وجئ برأس عيسى بن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال انه يسعى بقدمه ولا يد فيقال انه يبطش بيده ولقد طال وطوله موذن بقصر شانه وحسدت الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم الذى كان الامر يجرى على نقش أسطره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح بختمه فحال ورود المنية دون مصدره وكذلك البغى مرتعه وبيل ومصرعه جليل وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل وقد نطق الفأل بأن الخاتم والرأس مبشران بالحصول على خاتم الملك ورأسه وهذا الفتح أساس لما يستقبل بناؤه ولا يستقر البناء الاعلى أساسه والعساكر التى كانت على أمير المؤمنين حربا صارت له سلما وأعطته البيعة علما بفضله وليس من تابع تقليدا كمن هو تابع علما وهم الآن مصرفون تحت الاوامر ممتحنون بكشف السرائر مطيفون باللواء الذى خصه الله باستفتاح المقالد واستيطاء المنابر وكما سرت خطوات القلم فى أثناء هذا القرطاس فكذلك سرت طلائع الرعب قبل الطلائع فى قلوب الناس وليس فى البلاد ما يغلق بمشيئة الله بابا ولا يحسر نقابا وعلى الله اتمام النعم التى افتتحها واجابة أمير المؤمنين الى مقترحاته التى اقترحها والسلام

سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ويقال سمك مليح ومملوح ولا يقال مالح وقد قال عذافر وليس بحجة

بصرية تزوجت بصريا
يطعمها المالح والطريا

وهو سمك (ممقوز) ولا يقال منقوز ويقال أعد على كلامك (من رأس) ولا يقال من الرأس قال أبو زيد من رأس ومن الرأس جميعا ورئاس السيف قائمه وتقول أنت على رئاس أمرك ولا تقل على رأس أمرك ورجل (منهوم) من الطعام ولا يقال نهم وهذا (يوم عرفة بهذا) غير منون ولا يقال العرفة ويقال قد (فاظ الميت) يفيظ فيظا ويفوظ فوظا هكذا رواه الاصمعى وأنشد لرؤبة

* لا يدفنون منهم من فاظا *

قال ولا يقال فاظت نفسه وحكاها غيره ولا يقال فاضت انما يفيض الماء والدمع وأنشد الاصمعى أيضا

كادت النفس أن تفيظ عليه
اذ ثوى حشو ريطة وبرود

فذكر النفس وجاء بأن مع كاد ويقال (يامن) بأصحابك (وشائم بهم) أى خذ بهم يمينا وشمالا ولا يقال تيامن بهم وقولهم (ياماصان) خطأ انما هو ياماص ان ويامصانة قال الشاعر

فان تكن الموسى جرت فوق بظرها
فما وضعت الا ومصان قاعد

وتقول هو أخوه (بلبان) أمه ولا يقال بلبن أمه انما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم قال الاعشى

وهذا الكتاب يشتمل على ما اشتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين من المعنى الا أنه فصل ذلك الاجمال (ولو كتبت على وجه التطويل) الذى لا فائدة فيه لقيل أصدر كتابه فى يوم كذا من شهر كذا والتقى عسكر أمير المؤمنين وعسكر عدوه الباغى وتطاعن الفريقان وتزاحف الجمعان وحمى القتال واشتد النزال وترادفت الكتائب وتلاحقت المقانب وقتل عيسى بن ماهان واحتز رأسه وقطع ونزع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعاما للطيور والسباع والذئاب والضباع وانجلت الوقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره وخذلان عدوه وقهره والسلام فهذا الكتاب يشتمل على تطويل لا فائدة فيه لانه كرر فيه معانى يتم الغرض بدونها وذكر ما لا حاجة اليه فى الاعلام بالواقعة فانظر الى هذه الكتب الثلاثة وتأملها كما تأملت الذى تقدمها (وبعد ذلك انى أورد لك كتابا وتقليدا يوضحان لك فائدة الاطناب أما الكتاب) فانه كتاب كتبته عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من أيدى الكفار وذلك فى معارضة كتاب كتبه عبد الرحيم بن على البيسانى عنه وكان الفتح فى السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة خلد الله سلطان الديوان العزيز النبوى وجعل أيام دولته أترابا ومناقب مجدها هضابا وزادها على مرور الايام شبابا وأوسعها توشية واذهابا اذا أوسع غيرها تلاشيا وذهابا ومنحها فى الدنيا والآخرة عطاء وفاقا لا عطاء حسابا ومثل جدودها فى عيون الاعداء شيأ عجابا وأراهم منها وراءهم فى اليقظة ارهابا وارعابا وفى المنام ابلاصعابا تقود خيلا عرابا لو جمعت العصور فى صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا وفاز بسبق أوائلها وان جاء آخرا وليس ذلك الا لحظوته بالدولة الناصرية التى كسته حبرا وقلدته دررا ودونت له من المحامد سيرا وجعلت فى كل ناحية من وجهه شمسا وقمرا وقيض الله لها من الخادم وليا يوصل يومه فى طاعتها بأمسه ولا يرى الا ومن نفسه فى خدمتها رقيب على نفسه وطالما سعى بين يديها بمساع تنص بأخبارها محافل القوم ويقال له فيها ما ضرك ما صنعت بعد اليوم وقد سلفت منها آيات تماثل فى أشباهها وأضرابها واستؤنف لها الآن واحدة تدعى بأم كتابها وهى فتح البيت المقدس الذى تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء واسترد حق الاسلام وطالما سعت الهمم فى طلبه بالزاد والماء ومن أحسن ما أتى به أنه آنس قبلته الثانية بقبلته الاولى وأطال منه كل ما قصرت به يد الكفر وكانت هى الطولى وبه صح لهذا البيت معنى اسمه وانتقل الى الطهارة وتزاهتها عن الرجس ووصمه ولم يحزه الخادم حتى طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة وكان مركز الدائرتها فغادره وهو طرف من أطراف الدائرة ولما شارفه نظر منه الى ظلة من الظلل ورأى بلدا قد استقر على متن الجبل مثل الجبل ويطيف به واد تستهزئ عصمته بنوب الدهر وقد انعطف على جوانبه انعطاف الحبوة على الظهر والمسالك اليه مع ذلك ذات تعاريج ومعارج وهى ضيقة مستوعرة يطلق عليها اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج فلما رآه قال هذا أمنية لمن يرى وعلم حينئذ أن كل الصيد فى جوف الفرا الا أن لسان حاله خاطبه وهو أفصح الخطاب وقال امدد يدك فليس دونها من حجاب وكان قد برز من السلاح فى لباس رائع من المنعة وأخرج من السواد الاعظم ما خدع العيون والحرب خدعة وما يمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ولا يحمى بعوالى الاسوار بل بعوالى الصعاد وفى يوم كذا وكذا خيم المسلمون فى عقد داره ونزلوا منه نزول الجار الى جانب جاره ثم ارتادوا موقفا للقتال وان لم يكن هنالك موقف يقرب مناله ولا يتسع مجاله واتفق

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما
بأسحم داج عوض لا نتفرق

وقال أبو الاسود

دع الخمر تشربها الغواة فاننى
رأيت أخاها مجزئا بمكانها
فالا يكنها أو تكنه فانه
أخوها غذته أمه بلبانها

وتقول هذه غرفة (محردة) فيها حرادى القصب والواحد حردى ولا يقال هردى وتقول (أحشفا) وسوء كيله أى تجمع على هذين والكيلة مثل الجلسة والركبة وهو (الاربان) والاربون ولا يقال الربون و (هو الفالوذ) والفالوذق (والزماورد) (والقرقس) للبرجس وهو (الرزداق) ولا يقال الرستاق وهو (الشفارج) للذى تسميه العامة الفيشفارج وجاء فلان (بالضح والريح) أى جاء بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ولا يقال الضيح والضح الشمس قال ذو الرمة يذكر الحرباء

غدا أكهب الاعلى وراح كأنه
من الضح واستقباله الشمس أخضر

ويقال قد (قوزع) الديك ولا يقال قنزع وهذه دابة لا ترادف ولا يقال تردف وقد (عار) الظليم يعار عرارا اذا صاح ولا يقال عر وهى (الكلية) ولا يقال الكلوة ويقال قد (نثل) درعه عنه أى ألقاها عنه ولا يقال نثر درعه ويقال هو (مضطلع) بحمله أى قوى عليه وهو مفتعل من الضلاعة ولا يقال مطلع ويقال ما به من (الطيب) ولا يقال ما به من الطيبة وقال بعضهم وهو أبو حاتم (الحلبلاب) هو النبت

الرأى على لسان المنجنيق فى خطبة عقيلية أبلغ خطابا وأدنى من المطلوب طلابا وانه اذا ضرب بعصاه الحجر انبجست عيون أهله دماء كما انبجست عيون الجرماء هذا والعزائم تنظر الى هذا الرأى نظر المستجهل وتصدّ عنه صدود المستعجل وتقول ما بارتياد السهل تملك الصعاب ومن ابتنى السيف صرح حالم بناء عنه بلوغ الاسباب والحديد لا يفلح الا بالحديد والركن الشديد لا يصدم الا بركن شديد فعندها صمم الخادم أن يلقى البلد مواثبا لا مواربا وأن يجعل للزحف جانبا وللمنجنيق جانبا ونوى أن يبدى صفحة وجهه أمام الناس وتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاتقاء به اذا اشتدّ الباس ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها وأن النفاذ لأسنة الرماح لا لكعوبها ولا يشتفى من الوغى الا من كان طرفه أمام طرفه ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمها من خلفه ولما وقع الزحف صورع البلد صراعا بعد أن قورع قراعا ثم هزهزة طوته بيمينها ونشرته بشمالها وأذاقته العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من نكالها وبدون ذلك يكون عرك أديمه وعطف شكيمه ولم يكن قتاله بالسهام التى غايتها أن تصف أجنحتها الاطار وتنال بكلومها من فوق الاسوار بل بالسيوف التى اذا جالدت بلدا أخذت بكظمه وتوغلت فى هجمه وأغنت بسرعة خطواتها اليه عن المنجنيق وابطاء هدمه والسيف ليس بمرتومن النفس التى تطن طائشة عند لقائها جائشة عند استيفائها فالقلب توصف بأنها تجيش اذا كانت أعدادا والنفوس لا تجيش الا اذا كانت ثمادا وما يستوى وجوه الاقران فى اقدامها واحجامها فمنها المظلم اذا رابها الروع باشراقها ومنها المشرق اذا شابها الروع باظلامها وكانت وجوه المؤمنين فى هذا المقام أحظى بلباس الاشراق وأتم ابدارا والبدور لا يكون تمامها فى المحاق فمنهم الا من عرض نفسه ليوم العرض ومشى الى جنة عرضها السموات والارض حتى اتسع المكر وضاق بأعداء الله المقر وحرقت أوعار الخنادق وصار الرجاء لمنطقة السور كالمناطق ولم يستشهد منهم الا عدد يسير لا تدخله لام التعريف وكانت أجنحة الملائكة مطيفة بهم فأكرم بالمطاف به وبالمطيف وقد أسعد الله أولئك بالشهادة التى هى الفوز الاكبر وقرنها بادناء مضاجعهم من الارض المقدسة التى هى أرض المحشر فما يسرهم أن يعودوا الى الدنيا الا للاستزادة من ثواب الجهاد وأيسر ذلك أن أرواحهم فى حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة الى يوم المعاد ولما رأى الكفار أن صليبهم قد صار خوارا وأن زئيرهم قد انقلب خوارا أذعنت أيديهم باستسلامها وصانعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها وبالبلد عن النفوس وحمامها فأبى السيف أن يترك رقابا تغذى بأكلها ويحل من عشقها على مداومة وصلها وأذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزع هذا البلد قسرا وقتل من كان به من المسلمين غدرا وذلك ثأر ذخره الله لك حتى تحظى فى الآخرة بثوابه وتجمل فى الدنيا بزينة أثوابه والمسلم أخو المسلم يأخذ بدمه وان تطاولت أمداد السنين على قدمه فيا بعد عهد هذا الثأر من ثائره ويا طيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذو والرأى بقبول الفدية المبذولة والا يحمل العدوّ على ما ليست نفسه عليه بمحمولة فان النقد اذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهؤلاء اذا رأوا عين القتل تجرّدوا للقتال وركبوا الاهوال للنجاة من الاهوال ومن يدع الى خطة رشد فليقبلها ومن أنشط له عقل الامور فلا يعقلها وعلى كل حال فان الفدية للمسلمين أرغب وأموال يتقوى بها على العدوّ خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمته عند الله خير مما طلعت عليه الشمس ولا يوازى فتحه عنوة أن يتعدى اليهم اضراره ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره

الذى تسميه العامة لبلابا ورووى فى كتاب سيبويه انه الحلب الذى تعتاده الظباء يقال قيس حالب قال الاصمعى الحلب بقلة جعدة غبراء فى خضرة تنبسط على وجه الارض يسيل منها لبن اذا قطع منها شئ قال الاصمعى هو (النسا) للعرق ولا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الاكحل ولا عرق الابجل (والدودم) صمغ السمر والنساء تستعمله فى الطراز ويسمونه دميدما وبعضهم يسميه دمادما وهو خطأ انما هو دودم ودوادم واذا قيل لك (تغد) قلت ما بى تغد فاذا قيل لك تعش قلت ما بى تعش ولا يقال ما بى غداء ولا عشاء تقول لقيت (فلانا وفلانة) اذا كنيت عن الآدميين بغير ألف ولام فاذا كنيت عن البهائم قلته بالالف واللام تقول ركبت الفلان وحلبت الفلانة تقول وقع فى الشراب (ذباب) ولا تقول ذبابة والجميع القليل أذبة والكثير ذبان مثل قولهم غراب وأغربة والكثير غربان وهى (آخرة الرحل والسرج) ولا يقال مؤخرة قال أبو زيد هما (خصيان) اذا جمعا فاذا أفردت الواحدة قلت هذه خصية وهما (أليان) فاذا أفردت قلت ألية وأنشد

قد حلفت بالله لا أحبه
ان طال خصياه وقصر زبه

وأنشد

* يرتج ألياه ارتجاج الوطب *

قال الاصمعى من قال خصية قال خصيتان ومن قال خصى قال خصيان أبو زيد جاء فلان (دبريا)

فرأى الخادم عند ذلك أن الرأى مشترك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودموع أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بفراق قمامه حتى كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشيل نعامتهم ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار واستنصروه فلم يحظوا منه بمعونة الانتصار وكيف يرجى النصر من معبود تقر شيعته بقتله أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله وهذه عقول سخيفة نفذ فيها كيد شيطانها وأخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها ولقد كان يوم التسليم عريض الفخار زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاك للكفار وزاده فخرا الى فخره أنه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوى الذى كان فى تلك الارض موعده ومن صخرتها مصعده وذلك هو الاسراء الذى ركب اليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع الطباق ولو رقى فيه الانبياء على اختلاف درجاتهم قطفر خير ملق بخير لاق وبركة ذلك اليوم سرت الى هذا فأطالت من شهرته وضمنته نصرة الدين الحنيف الذى لله عناية بنصره وجعلته تاريخا يؤرخ بفتحه كما أرخ للنبى صلى الله عليه وسلم بدار هجرته واذا أنصف واصفه قال انه لليوم البدرى فى اقتراب النسب وانه العجيبة التى لم تجفل عنها الايام فى صفر وانما أجفلت عنها فى رجب فما أكثر الفائز فيه والمغبون والمسرور والمحزون فمن جد راكب ومن جد راجل ومن عز قادم وذل راحل ولطالما جد الخادم فى السعى له وأبصار العدا تزلقه وألسنتهم تسلقه وما منهم الا من أكثر الشناعة أن ذلك السعى للاستكثار من البلاد والله يعلم أنه لم يكن الا للاستكثار من موارد الجهاد لا جرم أن صدق النية كان له عقبى الدار وتلك الاقوال الكاذبة كان لها عقبى البوار ويوم هذا الفتح يفتقر قبله الى أيام تجلو بياضه عن سوادها ويلقح لها بطون المساعى حتى يكون هو نتيجة ميلادها ولما ظفر به الخادم لم يكن لاهل النجابة فيه قول يرد كذابه ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على ذوات السروج أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج على أنهما وان اتفقا رجما فانهما يختلفان علما فعلم هذه يسأل عنه ثغر الاعناق وعلم هذه يسأل عنه بطون الاوراق ولما دخل البلد وجد به أمما لولا أن ضربت عليهم الذلة لدافعوا المنايا مكاثرة وغالبوا السيوف مصابرة وهم طوائف مختلفو الالسنة والالوان وان قيل انهم أناسى فان صورهم صور الجان ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها وخصت الشعر عن أوساط رؤسها وتوحشت بالرهبانية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها ولما رأوا طالعة الاسلام داخلة عليهم أعلنوا بالجؤار واصطرخوا جميعا كما يصطرخون غدا فى النار وزادهم غيظا الى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صار الناقوس أذانا وكلمة الكفر ايمانا وأقيمت الجمعة وهى أول جمعة حظى الاقصى بشهودها وحضرتها الائمة الاسلامية بأحمرها وأسودها فمن باك بدمعة سروره البارده ومن مجيل نظره فى نعمة الله الوارده ومن شاكر للزمن الذى أبقاه الى يومه هذا الذى كل الايام له حاسدة من كان مولده تقدم قبله أو بعده فكأنه لم يولد وكانت هذه الجمعة فى رابع شعبان وهو الشهر الذى جعله الله طليعة لشهر الصيام وليلة نصفه هى الليلة المعروفة باحياء قيامها الى حين وفاة شخص الظلام والتى يغفر فيها لاكثر من شعر غنم كلب من ذوى الذنوب والآثام وجىء باللواء الاسود فركز من المنبر فى أعلاه ونطق لسان حاله فقال من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب بأفصح بيان من لسانه غير أن هذا زهى ببلاغ موعظته وهذا زهى بعزة سلطانه ولما ذكرت سمات الخلافة المعظمة

وجاء فلان آخريا وعن أبى عبيدة رجل (مشناء) يبغضه الناس على مثال مفعال وكذلك فرس مشناء والعامة تقول مشناء وتقول (لا يساوى) هذا الشىء درهما ولا يقال يسوى وتقول هو (يزن) عال وأزنته بكذا ولا تقول هو يوزن عال ولا وزنته بكذا وتقول هو منى (مدى البصر) ولا يقال مد البصر والمدى الغاية قال القحيف

بنات بنات أعوج ملجمات
مدى الابصار عليتها الفعال

يقولون أتانى الاسود والابيض (والمسموع) أتانى الاسود والاحمر وانما اراد أتانى جميع الناس عربهم وعجمهم ويقال كلمت فلانا فما رد على (سوداء ولا بيضاء) أى كلمة ردية ولا حسنة ويقولون (حكنى) موضع كذا من جسدى وهو خطأ انما يقال أكلنى فحككته ويقولون (شق الميت) بصره وهو خطأ انما يقال قد شق بصر الميت ويقولون فلان (مستأهل) لكذا وهو خطأ انما يقال فلان أهل لكذا وأما المستأهل فهو الذى يأخذ الاهالة قال الشاعر

لا بل كلى يامى واستأهلى
ان الذى أنفقت من ماليه

ويقولون سكران (ملطخ) وهو خطأ انما هو سكران ملتخ أى مختلط ومنه يقال التخ عليهم أمرهم أى اختلط ويقولون (توفر وتحمد) والمسموع توفر وتحمد من قولك قد وفرت عرضه أفره وفرا ويقولون فلان (يتندى) علينا وهو خطأ انما هو يتندى علينا كما يقال يتسخى ويقولون

أتبعها الناس بالدعاء الذى ملأ المسجد بعجيجه وسبق الكرام الكاتبون بزميله الى السماء وشجيجه وكان اليوم فصلا والموقف حفلا وذلك الدعاء فرضا لا نفلا ولا ينتهى الوصف الى ما شهد بالبلد من الآثار العجيبة التى تستلبث العجلان وتستحلب الاذهان وتستنطق الالسنة بالتسبيح لله الذى فطر الانسان ومن جملة ذلك ما تبوهى فى حسنه من البيع والصوامع ذوات الابنية الروائع التى روّضت بالزخارف ترويض الازهار ورفعت معاقدها حتى كادت النجوم توحى اليها بالاسرار وما منها الاما يقال انه ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تخير وافى توسيعها بضروب الاختيار وجعلوها أعاجيب للاسماع والابصار وقيل فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار هذا الى غيره مما وجد من معبودات القوم الموصوفة بانها آلهة الصلب اللاتى من ذوات النصب وأكثر ذلك وجد فى المسجد موضوعا وعلى قبته مرفوعا فأزلت على قرونها واستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طعن عيونها واستوطن المؤمن مكان الكفور وبدلت الظلمات بالنور وقالت الصخرة الآن جمع بينى وبين الحجر الاسود لخاطب الاسلام والجمع بين الاختين فى هذا الامر من الحلال لا من الحرام وقال الاقصى سبحان الذى أسرى الى بجنده كما أسرى بعبده وأعادلى عهود الفتح الاول بهذا الفتح الذى أتى من بعده وعود الذاهب ارجاء لدوام أحقابه وخلود الانسان لا يكون الا فى مآبه وهذا هو الخطب الذى جدد للاسلام عهود ابن خطابه رضى الله عنه الآن مستنقذ الطريدة أولى بها من صاحبها ولئن غصبتها يد غالبة فقد جاء الله باليد التى غصبتها من غاصبها هذا ولم يستنقذها الخادم الا بانضاء سلاح أنفقته الوقعة الاولى التى استأصلت حماة البلاد واستباحت أغيالها بقتل الآساد فكانت لهذا الفتح عنوانا ولتقرير أصوله بنيانا ولم ينج بها من طواغيت الكفر الا طاغية ترابلس فان السيوف أسارته وبفؤاده قلق من أوجالها وفى عينه دهش من أهوالها وقد قرن الله هذا الفتح ببشرى موته وكفى المسلمين مؤنة الاهتمام لفوته ففر من الوقعة ولم ينج بذلك الفرار واعتصم بذات جداره فقتله الخوف من وراء الجدار ولا فرق بين قتيل خوف السفار وبين قتيل الشفار ولقد فر من المكروه الى مثله لكنه انتقل من ميتة عزه الى ميتة ذله وكذلك آثار الخادم فى أعداء الله فهم هلكى بسيفه فى مواقف الطراد فان فروا فحتوفه على جنوب الوساد وبعد هذه فهل يمترون فى أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سواء لديه من أمكن منها فى دنوه ومن امتنع منها فى بعاده وكل ذلك مستمد من الاستنصار بعناية الديوان العزيز التى من شأنها أن تجعل الرؤيا حقا وأحاديث الآمال صدقا وتقرب بعيدات الامور حتى تجعل الشرق غربا والغرب شرقا فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعى فى تسهيله والمجاهد بنفسه وماله فى سبيله فعلى عطف دولتها ترقم أعلامه وفى أيامها تؤرخ أيامه ولو أبيح للقلم الخيلاء فى مقام المقال كما أبيح لصاحبه فى مقام القتال لاختالت مشيته فى هذا الكتاب واقال وأسهب فليس الاكثار ههنا من الاسهاب لكنه منعه من ذلك أن يكون ممن نخر بعمله فأبطله وأرسل خطابه الى الديوان العزيز فلم يقبضه بالادب حين أرسله وقد ارتاد من يبلغ عنه مشاريح هذه الوقائع التى اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها وهى عرائس المساعى فاحسن الناس بيانا مؤهل لابداع حسانها والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التى صحبها فى تجريح الرجال وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوال والايام والليالى رواة فالظن برواية الايام والليال وستتلو هذه

(فى سبيل الله عليك) وهو خطأ انما يقال فى سبيل الله أنت ويقولون لم يكن ذلك (فى حسابى) وليس للحساب ههنا وجه انما الكلام ما كان ذلك فى حسبانى أى فى ظنى يقال حسبت الامر حسبانا ومنهم من يجعل الحساب مصدرا لحسبت وقد يجوز على هذا أن يقال ما كان ذلك فى حسابى ويقولون (آخر الداء الكى) وهو خطأ انما هو آخر الدواء الكى ويقولون (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) يذهبون الى أنها لا تأكل لحم الثدى وانما هو لا تأكل بثديها أى لا تسترضع فتأخذ على ذلك الاجر ويقولون ان فعلت كذا وكذا (فبها ونعمه) يذهبون الى النعمة وانما هو ونعمت بالتاء فى الوقف يريدون ونعمت الخصلة فحذفوا وقال قوم فبها ونعمت بكسر العين وتسكين الميم ويقولون فى رأسه (خطبة) وانما هى خطة ويقولون (أباد) الله خضراءهم يريدون جماعتهم والخضراء الكتيبة قال الاصمعى انما هو غضراءهم أى غضارتهم وخيرهم قال الاصمعى وأصل الغضراء طينة خضراء علكة يقال أنبط بئره فى غضراء ويقولون (النقد) عند الحافر يذهبون الى أن النقد عند مقام الانسان ويجعلون القدم ههنا الحافر وانما هو النقد عند الحافرة أى عند أول كلمة قال وقول الله عز وجل انا لمردودون فى الحافرة أى فى أول أمرنا ومن فسرها الارض فالى هذا يذهب لانا منها ابتدئنا قال

أحافرة على صلع وشيب
معاذ الله من سفه وعار

الاخبار الصادقة بمشيئة الله أخبار مثلها صادقة وما دامت السيوف ناطقة في يد الخادم فالألسنة عنها ناطقة وللآراء العالية مزيد العلو ان شاء الله تعالى (وأما التقليد) فانه تقليد أنشأته لمنصب الحسبة وهو (أما بعد) فقد جعل الله جزاء التمكين في أرضه أن يقام بحدود فرضه ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذي ثقل حمله وعدم أهله فقد جيء بنا في زمن أصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه غريبا كما بدا وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراط اليوم الاخير وغربلت فيه الامة حتى لم يبق الا حثالة كحثالة التمر والشعير ومن أهم ما نقرر بناءه ونقدم عناءه ونصلح به الزمن وأبناءه أن نمضي أحكام الشريعة المطهرة على ما قررته في تعريف ما عرفته وتنكير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تتنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند وقد أخلصنا النية في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ويصطفي لها ولا يصطفيها وهو أنت أيها الشيخ الأجل فلان أحسن الله لك الاثر وصدق فيك النظر فتولها غير موكول اليها بل معانا عليها واعلم أن الناس قد أماتوا سننا وأحيوا بدعا وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعا وأظلم منهم من أقرهم على أمرهم ولم يأخذهم بقوارع زجرهم فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها وترك النهي عنها كالامر باتيانها ولم يأت بنا الله تعالى الا ليعيد الدين قائما على أصوله صادعا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نأمرك أن تتصفح أحوال الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة مالهم وأمر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم فابدأ أولا بالنظر في العقائد واهد فيها الى سبيل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزموا مواطن الحق فأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم شعب دانوا أديانا وعبدوا من الاهواء أوثانا واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانا ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم فمن انتهى من هؤلاء الى فلسفة فاقتله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا ولا عدلا وليكن قتله على رؤس الاشهاد ما بين حاضر وباد فما تكدرت الشرائع بمثل مقالته ولا تدنست علومها بمثل أرجاس جهالته والمنتمي اليها يعرف بنكره ويستدل عليه بظلمة كفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالابصار وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الانوار وما تجده من كتبها التي هي سموم ناقعة لا علوم نافعة وأفاعي ملففة لا أقوال مؤلفة فاستأصل شأفتها بالتمزيق وافعل بها ما يفعله الله بأهلها من التحريق ولا يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع آثارها والكشف عن مكامن أسرارها فمن وجدت في بيته فليؤخذ جهارا ولينكل به اشهارا وليقل هذا جزاء من استكبر استكبارا ولم يرج لله وقارا وأما من تحدث في القدر وقال فيه بمخالفة نص الخبر فليس في شيء من ربقة الاسلام وان تنسك بمداومة الصلاة والصيام قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة والمراد بذلك أنهم ماثلوا بين الله والعبد والضياء والظلمة فعلاج هذه الطائفة أن تجزى بأن تخزى فاياك قابل جمعها بالتكسير واسمها بالتصغير ولتنقل الى ثقل الحدود عن خفة التعزير ومن كان منها ذا مكانة نابهة فليهبط أو شهادة عادلة فلتسقط وكذلك يجري الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم أو قال بحدوث القرآن القديم ومن ملحدي القرآن فرقة فرقت بين المعنى والخط وفرقة قالت فيه بالشكل والنقط وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم وعميت بصائرهم وعظمت عند الله جرائمهم فخذهم بالتوبة التي تطهر أهلها وتجب ما قبلها وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان والقلب لاه في قبضة النسيان بل هي عبارة عن الندم على ما فات واستئناف الاخلاص

كأنه قال أأرجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبي ويقولون افعل كذا (وخلاك ذنب) يريدون ولا يكون لك ذنب فيما فعلت والمسموع وخلاك ذم أي لا تذم ويقولون (معدا) ان فعل فلان كذا صنعت كذا وكذا ويتوهمونه حين فعل كذا وانما أصل الكلمة ما عدا أن فعل كذا حتى فعلت كذا ويقولون (ركض) الدابة والفرس وهو خطأ انما الراكض الرجل والركض تحريكك الرجل عليه ليعدو ويقال ركضت الفرس فعدا ويقولون (حلبت) الشاة عشرة أرطال وانما هو حلبت قال الاصمعي يقال رجل (دائن) اذا كثر ما عليه من الدين وقد دان فهو يدين دينا ولا يقال من الدين دين فهو مدين ولا مديون اذا كثر عليه الدين ولكن يقال دين الملك فهو مدين اذا دان له الناس ويقال ادان الرجل مشددا اذا أخذ بالدين فهو مدان ويقولون افعل ذلك (لا أبا لشانيك) والعامة تقول لا بل لشانيك (وامحى الكتاب) ولا تقول امتحى قوموا (بأجمعكم) والاجمع جماعة جمع ولا يكون بأجمعكم وغيره يجيزها وتقول العامة (أنت سفلة) وذلك خطأ لان السفلة جماعة والصواب ان تقول أنت من السفلة (عدس) زجر البغل والعوام تقول عد قال الشاعر

اذا حملت بزتي على عدس

فما أبالي من غزا ومن جلس

أي على بغل فسماه بزجره وقال ابن مفرغ الحميري

فيما هو آت وقد جعل الله التائب من أحبابه ووصفه في مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله أن الملائكة يستغفرون لذنبه ويشفعون له الى ربه فان أبت هذه الطوائف الا اصرارا ولم يزدهم دعاؤك الا فرارا فاعلم أن الله قد طبع على قلوبهم طبعا وألحقهم بالذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكره وكانوا لا يستطيعون سمعا فخذهم عند ذلك بحد الجلاد فان لم ينجع فبحد ذوات الحد فان هذه أمراض عمى لا ترجى لها الافاقة ولا تبرئ منها الا الدماء المراقة وأما الفرقة المدعوة بالرافضة التي هي لما رفعه الله خافضة فانهم أناس ليس لهم من الدين الا اسمه ولا من الاسلام الا رسمه واذا نقب عن مذهبهم وجد على العصبية موضوعا ولغير ما شرعه الله ورسوله مشروعا ذبوا عن علي رضي الله عنه فأسلوه وأخروه اذ قدموه وهؤلاء وضعوا أحاديث فنقلوها وأولوها على ما أولوها فتبع الآخر منهم الاول على عمة وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وههنا غير ما ذكرناه من عقائد محلولة ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة وبالهدى يتبين طريق الضلال وبالصحة يظهر أثر الاعتلال ولا عقيدة الا عقيدة السنة والكتاب ولا دين الا دين الجهاز الماء والمحراب واذا فرغنا من الوصية بالاصول التي هي للدين ملاك فلنتبعها بالفروع التي هي له مسالك وأول ذلك الصلاة وهي في مباني الاسلام الخمس أوكد خمسه وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مفارقة نفسه ومن فضلها أنها العمل الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ولا عذر في تركها لاحد من الناس فيقال انه يعذر فاجمع الناس اليها وأحلهم عليها ومرهم بالاجتماع لها في المساجد ونادفيهم بفضيلة صلاة الجماعة على صلاة الواحد وراقبهم عند أوقات الاذان في الاسواق التي هي معركة الشيطان فمن شغل بتثمير مكسبه ولهاعنها بالاقبال على لهوه ولعبه فخذه بالآلة العمرية التي تضع من قدره وتذيقه وبال أمره ولا يمنعك عن ذي هيبة هيبته ولا عن ذي شيبة شيبته فانما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذي هو في الايام بمنزلة الاعياد في الاعوام وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المجاب التي ما صادفها عبد الا ظفر بالطلاب فمر الناس بابتداره في البواكر والفوز فيه بقربان البدنات الاخاير فانه اليوم الذي لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على أهل الكتاب من قبله فهو واسطة عقد الايام السبعة ولاشتماله على مجموع فضلها سمي يوم الجمعة وفي الاعوام مواسم لصلوات مخصوصة كالتراويح في شهر رمضان والرغائب في أول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان فاملأ المساجد في هذه المواسم التي تكثر فيها شهادات الاقلام في كتب الطاعات ومحو الآثام ومن حضرها وليس همه الا أن يعتريها طروقا ويواعد اليه أخدانه رفثا أو فسوقا فهؤلاء هم الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فابعث عليهم قوما يسلبونهم سلبا ويوجعونهم ضربا ويملؤن عيونهم مهابة وقلوبهم رعبا فبيوت الله مطهرة من هذه الادناس ولم تعمر لشياطين الانس وانما عمرت للناس فلا يحضرها الا راكع وساجد أو ذاكر وحامد وههنا عظيمة عضيهة وفاحشة يفقه لها من ليست نفسه بفقيهة وهي الربا فانه قد كثرا كله وتظاهر به فاعله وقال فساق الفقهاء بتأويله وتوصلوا الى شبهة تحليله ولا يتسارع الى ذلك الا من أعمى الله قلبه ومحق كسبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها ونحن نأمرك أن تشمر في هذا الامر تشميرا برهبة الباس ولا تدع ربا حتى تضعه وأول ربا تضعه ربا العباس فتأديب الكبير قاض بتهذيب الصغير والاسوة بالرفيع خلاف الاسوة بالنظير وجل معاملة الربا

تجري

عدس ما للعباد عليك امارة
نجوت وهذا تحملين طليق

سألته (الاقالة) في البيع والعامة تقول القيالة وذلك خطأ انما القيالة نوم نصف النهار كساء (منبجاني) ولا يقال أنبجاني لانه منسوب الى منبج وفتحت باؤه في النسب لانه خرج مخرج منظراني ومخبراني رجل (أبح) ولا يقال باح وهو الدرياق قال الشاعر

سقتني بصهباء درياقة
متى ما تلين عظامي تلن

وهو (الخندقوق) نبطي معرب ولا يقال خندقوقى

باب ما يعدى بحرف صفة أو بغيره والعامة لا تعديه أو لا يعدى والعامة تعديه

يقال ما سرني بذاك (مفرح) لانه يقال أفرحني الشيء ولا يقال مفروح الا أن تقول مفروح به وهو حديث (مستفيض) لانه من استفاض الحديث ولا يقال مستفاض الا أن يقال مستفاض فيه وتقول (اياك وان تفعل) كذا ولا تقول اياك ان تفعل بلا واو ألا ترى انك تقول اياك وكذا ولا يقال اياك كذا وقد جاء في الشعر وهو قليل قال الشاعر

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا
واياك المحاين ان تحينا

وتقول (كاد) فلان يفعل ولا تقول كاد أن يفعل قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد جاء في الشعر وهو قليل قال الشاعر

قد كاد من طول البكا ان يمصحا

ويقال (بنى) فلان على أهله ولا يقال بنى بأهله ويقال (سخرت)

تجرى فى سوق الصرف الذى تختلف به النقود وتفترض فيـه العقود ويخاض فى نار نيره الى النـار ذات الوقود وبه قوم أوسعوا عيون الموازين غمزا وألسنتها همزا ولمزا وأصبح الدرهـم والدينار عندهـم بمنزلة الصنمين اللات والعزى ولا يرى منهـم الامن الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة بالحرام والهجوم على ارتكابه فعدّل ميل هؤلاء تعديلا وتحولهـم على مرور الايام تحويلا واعـلم أنك قد وليت من الكيل والميزان أمرين هلكت فيهـما الامم السالفة فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار ولا تقل أهلهما عثرة فان الاقالة لا تنهى عن العثار وكل هؤلاء من سواد الناس ممن لم يزك غرسه ولا فقهت نفسه وليس همه الافرجه أوضرسـه فخذهم بآلة التعزير التى هى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ومن آثارها أنها ترج أرض الرأس رجا وتفرج سماءه فرجا ويسلك بصاحبـه هـديا ونهجا وقد كثر فى الاسواق الخلابة والنجش وتلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى وتنفيق السلعة باليمين الكاذبة وكل هـذه من المحظورات التى وردت الاخبار النبوية ببيانها والنهى عن تورّد مكانها فمن قارف شيأ منها جاهلا بتحريمه فقومه بالتعليم واهـده الى الصراط المستقيم ومن عرف ما اقترف فأذقه حرّ التأديب قبل أن يذاق غدا حرّ التعـذيب واعلمه أن الارزاق بيـد الله تعالى لا ينقصها عجز القاعـد ولا يزيدها حرص الكادح وقد ينقلب الجاهد فيها بصفقة الخاسر والوادع بصفقة الرابح ومن سـنة الله تعالى أن يمحى الحـلال وان كان يسـيرا ويمحق الحرام وان كان كثيرا ومن الناس من آتاه الله مالا فبث فى الاسواق جنود ذهبـه وورقه واحتكر ما جـلبه الميزان من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات وسـقه فاصبح فقراء بلده فى ضيق من عدم الرفق ومد الرزق فليمنع هؤلاء أن يجعلوا رزق الله محتكرا ومعاش عباده محتجرا وليؤمروا بأن يتراحموا ولا يتزاحموا وأن يأخذ الغنى منهم بقـدر الكفاف ويترك للفقير ما يعينه على الاسـعاف قال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه لا حكرة فى سوقنا لا يعـمد رجال بايديهـم فضول من اذهاب الى رزق من أرزاق الله تعالى ينزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده فذلك ضيف عمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله وأما التسعير فانه وأن آثره القاطنون وحكم به القاسطون وقيـل ان فى ذلك للفقير تيسير العسـير فليس لاحـد أن يكون يد الله فى حفظ ما رفع وبذل ما منع فقف أنت حيث أوقفك حكم الحق ودع ما يعن لك من مصلحة الخلق ولا تكن ممن تبع الرأى والنظر وترك الآية والخبر فحكمة الله مطوية فيما يأمر به على ألسنة رسله وليست مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ولا يسـتدل عليه ذو العـقل بعقله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختـلافا كثيرا ومما أمرك به أن تمحو الصغيرة كما تمحو الكبيرة فان لم الذنوب كالقطر يصير مجتمعه سيلا متدفقا وكان أوله قطرا متفرقا وقد اسـتمر فى الناس عوائد تهـاونوا باسـتمرارها ولم ينظروا الى ثقل أوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحرير الذى لم يلبسـه الامن عدم عنـد الله خلاقا وان قيل انه شعار للغنى فلم يزد صاحبـه من الحسـنات الا املاقا وللبس عباءة مع التقوى أحسـن فى العيون شعارا وأعظم فى الصدور وقارا ويلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنية يمنع منها حق الصـدقات وهو حق يقاتل مانعـه ويعصى فى اسـتعمالها أمر الله وهو حـد من حدوده يعاقب عاصيه ويثاب طائعه وكذلك يجرى الحكم فى الصور المرقومة فى البيوت والثياب وعلى السـتور المعلقة على الابواب واخراجها فى ضروب أشكال الحيوان الملاعبة الصبيان وذلك مما ئلة لخلق الله فى التقدير ولهـذا يؤمر صانعـه بنفخ الروح فيما صوره من

منه ولا يقال سخرت قال الله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقال سخر الله منهم وتقول (طوبى) لك ولا تقول طوباك وتقول (فزعت) منك و(فرقت) منك ولا يقال فرقتك ولا فزعتك ويقال (خشيتك وهبتك وخفتك) ويقال رميت عن القـوس ولا يقـال رميت بالقوس الا أن تلقيها من يدك وتقول (عـيرتنى) كذا ولا يقـال عيرتنى بكذا قال النابغة

وعيرتنى بنو ذبيان رهبته
وهل علىّ بأن أخشاك من عار

وقال المتلمس

تعيرنى أمى رجال ولن ترى
أخا كرم الا بأن يتكرما

وقالت ليلى الاخيلية

أعيرتنى داء بامك مثله
وأى حصان لا يقال له هلا

﴿باب ما يتكلم به مثنى والعامة تتكلم بالواحد منه﴾

يقال اشتريت (زوجى نعال) ولا يقال زوج لان الزوج ههنا الفرد ويقال اشتريت (مقراضين ومقصين وجلمين) ولا يقـال مقراض ولا مقص ولا جلم ويقال هما اخوان (توءمان) وجاءت المرأة بتوءمين ولا يقال توأم انما التوأم أحدهما

﴿باب ما جاء فيـه لغتان استعمل الناس اضعفهما﴾

يقولون (نقمت) عليـه ونقمت فانا أنقم أجود ويقولون (فحل) الشيء اذا جف وفحل أجود ويقولون (دهمهم) الامر ودهمهم أجود ويقولون (شماهم) الامر وشماهم أجود ويقولون (حذق) الغلام القرآن وغيره وحذق أجود ويقولون (ضللت) وضللت أجود ويقولون (غويت) وغويت أغوى أجود ويقولون (زللت) وزللت أجود ويقولون (لغبت) ولغبت أجود فانا الغب ويقولون (سفد الطائر) يسفد وسفد يسفد أجود ويقولون (ركنت) الى

التصوير ومما يغلظ نكيره اطالة الذيول للاجترار والمباهاة لما فيها من عنجهية التيه
والاستكبار ولن يخرق صاحبها الارض باعجابه ولا يبلغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء ومما هو أشد نكيرا أمر
الحمامات فان الناس قد أصروا بها على الاجهار وترك الاستتار والتهاون بأمر العورات
التي لصاحبها اللعنة وله سوء الدار والنساء في هذا المقام أشد تهالكا من الرجال وقد ابتذلن
أنفسهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الارفاه
والاتراف وأهمل انكارها حتى سرت في الاوساط والاطراف وقد احدثن الآن من الملابس
ما لم يخطر للشيطان في حساب وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستر منه اسبال مرط ولا ادناء
جلباب ومن جلتها أنهن يعتصبن عصائب كأمثال الاسنمة ويخرجن من جهارة أشكالها في
الصور المعلمة وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فيما ورد عنه من الاخبار وجعل صاحبها
معدودا من زمرة أصحاب النار ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالحان
وتلك قراءة تخرج حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد
أمر الله بترتيله وايراده على هيئة تنزيله فمن قرأه بالترجيع والترديد وزلزل حروفه بالتمطيط
والتمديد فقد ألحقه بدرجات الاغاني وذهب بما فيه من طلاوة الالفاظ والمعاني قال النبي
صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق ولحون
أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم
مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ويلتحق بذلك اقتناء القينات المغنيات اللاتي يلعبن
بالعقول لعبهن بالاسماع ويغنين الشيطان بغنائهن عن بث الجنود والاشياع وفتيا النفس
الامارة في ذلك أن تقول هؤلاء اماء يحل نغمة سماعهن كما يحل ما تحت قناعهن وقد علم
أن لكل شئ غماما وقد ينقلب الحلال فيصير حراما ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير
في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث وكذلك
يجري الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفورا والقبح مستورا ويخدعن نظر الناظر
حتى يجعلنه مسحورا فهن يبدين صدقا من كذب وجدا من لعب وفعلهن هذا من الغش
الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال انه ليس منه وقد لعن الواصلة والمستوصلة
والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة ومن غش المنكرات أيضا خضاب الشيب الذي
يخالف فيه الظاهر الباطن ويتخلق صاحبه بخلق الكاذب الخائن وهب أنه أخفى لون شعره
وهل يخفي أخلاق لباسه واذا استسن ملائم المرء فلا يغنيه سواد عارضه ولا سواد راسه وقد
جعل الله الشيب من نعمه المبشرة بطول الاعمار وسماه نورا للونه وهدايته ولا تستوي
الظلمات والانوار قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيب أن يشتغل بتغيير صبغة الكتاب
ويدأب في محو سواد العقاب ببياض الثواب ففي بقية عمره مندوحة لادخار ما يمحو مدخوره
وتبديل ما تقدم سطره ومما خولفت فيه السنة عقد مجالس التعازي لحضور الناس واظهار
شعار الاسود والازرق من اللباس والتشبيه بالجاهلية في النوح والندب ومجاوزة دمع العين
وخشوع القلب الى الاعلان باسخاط الرب وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور
وجعل الاعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور فصارت المآتم بينهم ولائم والمناديب عندهم
مآدب وربما نشأ من ذلك ما يغض طرفا ويجدع أنفا ويوجب حدا وقذفا وهكذا أهمل

الامر والاجود ركنت أركن ويقولون (مسست) أمس والاجود مسست أمس ويقولون (غصصت) باللقمة
والاجود غصصت ويقولون
(بحت) والاجود بححت
ويقولون (جرعت) الماء والاجود
جرعت ويقولون (شحب) لونه
والاجود شحب يشحب ويقولون
(رعف) الرجل والاجود رعف
يرعف ويقولون (ماعسيت) ان
أصنع والاجود ماعسيت
ويقولون قد (فسد) الشئ
والاجود قد فسد ويقولون قد
(ضننت) فأنا أضن والاجود
ضننت فأنا أضن ويقولون
(طهرت المرأة) والاجود طهرت
تطهر و (سخن) الماء والاجود
سخن يسخن ويقولون (طر)
شاربه والاجود طر شاربه
ويقولون (أصابه) سهم غرب
والاجود غرب (والشمع) والاجود
الشمع ويقولون (بغيه حفر)
والاجود حفر ساكنة ويقولون
للعالم (حبر) والاجود حبر
ويقولون (صفر) والاجود صفر
ويقولون أنت مني على (ذكر)
والاجود على ذكر ويقولون
قطعت يده على (المرق) والاجود
المرق ويقولون (قع) والاجود
قع (وضلع) والاجود ضلع
و (نطع) والاجود نطع وفلان
حسن (الجوار) والجوار أجود
ويقولون أوطأته (العشوة)
بالفتح والعشوة والعشوة أجود
والكسائي لا يعرف الفتح فيها
ويقولون (رفقة) والاجود رفقة
ويقولون (حصبة) والاجود
حصبة (وفطنة) والاجود فطنة
(وكلمة) والاجود كلمة (وسفلة)
الناس والاجود سفلة (وضبنة)
الرجل) والاجود ضبنة (ومعدة) والاجود معدة (ولبنة) والاجود لبنة ويقولون هو (فصيح

أمس

أمر الاسلام فى تشبيه أهل الذمة بأهله وما كانوا يشابهوه فى زى غرته ويخالفوه فى سلوك سبله ولابد من الغيار بأن يشد النصرانى عقدة زناره ويصفر اليهودى أعلى ازاره وليمنعوا من التظاهر بطغيان النعمة وعلو الهمة ويؤمروا بالوقوف عندما حكم عليهم من الاحكام وأخذوا فيه بالاختفاء والاكتتام فخمورهم تستتر وشعائر دينهم لا تظهر وموتاهم تقبر بالخمول قبل أن تقبر فلا يوقد خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بندب ولا صياح ومما عرف الناس منكره اثارة التحريش بين الحيوانات وهى ذوات اكباد رطبة وأخلاق صعبة وما منها الا ما يحل أكله ولا يحل قتله كالكبش والحجلة والديك والسمانى وما أشبهها وقد أكثر الناس من اقتنائها والمواظبة على اضرام شحنائها ولربما نشأ من ذلك فتنة تؤول الى ضراب وشق ثياب واحداث شجاج واثارة عجاج وتحزب الى أحزاب كثيرة وأفواج ويتصل بهذه المنكرات المذكورة أشياء أخرى تجرى مجراها فى التقديم وتتنزل منزلتها فى التحريم فاحكم فيها بحكمك وامض فى شبهاتها بدليل علمك ونب عنا فى التذكير والتحذير والتعريف والتنكير حتى يتقوم الاود ويتضح الرشد ويمكث فى الارض ما ينفع ويذهب الزبد وليكن عملك لله الذى يسمع ويرى وله ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم أن الامر بالمعروف عبادة يتعدى نفع صاحبها الى غيره وتستضيف خير المأمور بها الى خيره وهى الجهاد الاكبر الذى تقاتل فيه عواصى النفوس وتضرب به رؤس الشهوات التى هى أمنع من معاقد الرؤس فقتيله يحيا بقتله وجريحه يوسى بجراحة نصله وبمثل هذا الجهاد يستنزل امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردفة فاقدم عليه بذا عزم باتر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر حتى تظل لمعاقل الشيطان فاتحا وتكون فيمن دعا الى الله وعمل صالحا واعلم أنك فى صبيحة كل يوم يتبدرك الملك والشيطان وكل منهما يقول يا أيها الانسان فان أجبت نداء الملك كتبك فى زمرة من مهد لجنبه وخاف مقام ربه وعرج بك الى الله طيبا نشره مضاعفا أجره وان أجبت نداء الشيطان كتبك فى زمرة من أغواه وقرنك بمن أغفل الله قلبه واتبع هواه ثم نزل به الى الارض خبيثا مخبثا وأقبل به على اخوانه من الشياطين محدثا وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذى طوقت اليوم بكتابه وستناقش غدا على حسابه وكما جعلناه لك فى الدنيا ذكرا فاجعله لك فى الآخرة ذخرا ان شاء الله تعالى والسلام (وهذا الذى ذكرته فى هذين) من الكتاب والتقليد يتضمن اطنابا مستوفى الاقسام ولولا خوف الاطالة التى لا حاجة اليها لأوردت قصائد من الشعر أيضا حتى لا يخلو الموضع من ضرب أمثلة من المنظوم والمنثور ولكن فى الذى ذكرته كفاية لمن يحمله على أشباهه ونظائره (فان قيل) ان الاطناب فى الكلام قد وضعتموه اسما على غير مسمى فان الكلام لا يخلو من حالين اما أن لا يزيد لفظه على معناه وهو الايجاز أو يزيد لفظه على معناه وهو التطويل وليس ههنا قسم ثالث فما الاطناب اذا (قلت) فى الجواب اعلم أن الايجاز هو ضد التطويل كما أن السواد ضد البياض غير أن بين الضدين مراتب ومنازل ليست أضدادا فالاطناب لا ايجاز هو ولا تطويل كما أن الحمرة أو الخضرة ليست بياضا ولا سوادا وقد قدمنا القول ان الاطناب يأتى فى الكلام مؤكدا كالذى يأتى بزيادة التصوير للمعنى المقصود اما حقيقة واما مجازا والتطويل ليس كذلك فانه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقى المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شئ وهذا بخلاف الاطناب فانه اذا حذف منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغير ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التى تفيد السامع ما لم يكن

اللهجة) والاجود اللهجة وهو فى (منعة) والاجود منعة ويقولون (دجاجة ودجاج) والاجود دجاجة ودجاج يقولون (سداد) من عوز والاجود سداد ويقولون (خوان) والاجود خوان ويقولون (ماقوامى) الا بكذا والاجود ماقوامى ويقولون (الوثاق) والوثاق أجود ويقولون (بالثوب عوار) والاجود عوار ويقولون للولد (سقط) والاجود سقط ويقولون (الجنازة) والاجود الجنازة ويقولون (مادلالتك) على كذا والاجود دلالتك ويقولون (الخفارة) والاجود الخفارة ويقولون عليه (طلاوه) والاجود طلاوة ويقولون (مرقاة ومسقاة) والاجود مرقاة ومسقاة ويقولون (الرامك) لضرب من الطيب والاجود رامك ويقولون يوم (الاربعاء) والاجود الاربعاء بكسر الباء ويقولون (طنفسة) وطنفسة بكسر الطاء أجود ويقولون (برقع) والاجود برقع ويقولون (الرضاع) والرضاع أجود ويقولون (الرصاص) والرصاص أجود ويقولون (الحصاد) والحصاد أجود ويقولون (سوار) المرأة والسوار أجود ويقولون (قصاص الشعر) وقصاص أجود ويقولون (فص الخاتم) وفص الخاتم أجود ويقولون (نصحتك وشكرتك) والاجود نصحت لك وشكرت لك قال الله تعالى اشكر لى ولوالديك وقال عز اسمه وأنصح لكم وقال النابغة فى اللغة الاخرى

نصحت بنى عوف فلم يتقبلوا
رسولى ولم تنجح لديهم وسائلى

ويقولون بيننا حن كذلك (اذجاء فلان) والاجود جاء فلان بطرح اذ ويقولون فلان (أحيل) من فلان من الحيلة والاجود أحول لان أصل الحرف الواو ومنه

الابها ألا ترى الى قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وهذا لا يسمى ايجازا لانه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور وقد علم أن القلوب لا تكون الا فى الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل لا فائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة وهى ما أشرنا اليه وكذلك باقى أقسام الاطناب التى نبهنا عليها وهذا لا نزاع فيه (النوع السابع عشر فى التكرير) قد تقدم الكلام فى صدر كتابى هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط بهذا النوع الذى هو تكرار المعانى والالفاظ (واعلم) أن هذا النوع من مقاتل علم البيان وهو دقيق المأخذ وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا وربما اشتبه على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالتطويل أخرى وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الانواع الثلاثة فى باب الاطناب فلا حاجة الى اعادته ههنا وأما التكرير فقد عرفتكه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) يوجد فى اللفظ والمعنى (والآخر) يوجد فى المعنى دون اللفظ فأما الذى يوجد فى اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع ومنه قول أبى الطيب المتنبى

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وأما الذى يوجد فى المعنى دون اللفظ فكقولك أطعنى ولا تعصنى فان الامر بالطاعة نهى عن المعصية (وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد) ولا أعنى بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فانه عندهم عبارة عن اللفظ المركب اما من الاسم مع الاسم بشرط أن يكون للاول بالثانى علاقة معنى يسع مكافحا جهله واما من الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضا واما من حرف النداء مع الاسم فهذا هو المفيد عند النحاة وأنا لم أقصد ذلك ههنا بل مقصودى من المفيد أن يأتى لمعنى وغير المفيد أن يأتى لغير معنى (واعلم) أن المفيد من التكرير يأتى فى الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ الذى كررت فيه كلامك اما مبالغة فى مدحه أو فى ذمه أو غير ذلك ولا يأتى الا فى أحد طرفى الشئ المقصود بالذكر والوسط عار منه لان أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة اما بمدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد لا يأتى فى الكلام الا عيا وخطلا من غير حاجة اليه (فأما الاول) وهو الذى يوجد فى اللفظ والمعنى (فانه ينقسم الى ضربين) مفيد وغير مفيد (فالاول المفيد وهو فرعان الاول) اذا كان التكرير فى اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرير فى اللفظ والمعنى وهو قوله يحق الحق وليحق الحق وانما جىء به ههنا لاختلاف المراد وذلك أن الاول تمييز بين الارادتين والثانى بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها وأنه ما نصرهم وخذل أولئك الا لهذا الغرض (ومن هذا الباب) قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه فكرر قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له دينى والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والاخلاص فى دينه والثانى اخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة فى الثانى وأخره فى الاول لان الكلام أولا واقع فى الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه فاعبدوا ما شئتم

من

الحول والقوة وأصل الياء فى الحيلة الواو قلبت لكسرة ياء وقد يقال أحيل من فلان وهى رديئة ويقولون (ضربة لازم) والاجود لازب واللازب الثابت قال الله تعالى من طين لازب ويقولون للمرأة هذه (زوجة الرجل) والاجود زوج قال الله تعالى امسك عليك زوجك ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وزوجة قليلة قال الفرزدق

فان الذى يسعى ليفسد زوجتى
كساع الى أسد الشرى يستبيلها

ويقولون هو ابن عمى (دنيه) ودنيا أجود ويقال دنيا أيضا قال النابغة

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
أولئك قوم بأسهم غير كاذب

ويقولون (انتقع) لونه وامتقع بالميم أجود

﴿باب ما يغير من أسماء الناس﴾

هو (وهب) مسكن الهاء ولا يفتح وهو (ظبيان) مفتوح الظاء ولا يكسر وهو (علوان) بفتح العين ولا يضم وهو (كسرى) بكسر الكاف ولا يفتح وهو (دحية الكلبى) بفتح الدال قول الاصمعى وحده وعند (جهينة) الخبر اليقين ولا يعرف جهينة ولا جعينة الاصمعى هو (بخت نصر) هكذا سمعت قرة بن خالد يقول وغيره من المسان وهو (أبو المهزم) بكسر الزاى (وعاصم بن أبى النجود) بفتح النون (وابن أبى العروبة) بالالف واللام وهو (أبو مجلز) بكسر الميم (وشرحبيل وهم (الحبطات) بكسر الباء لانهم ولد الحرث الحبط فاذا نسبت قلت حبطى ففتحت الباء وهو (ابن الجلندى) بفتح اللام وهو (ابن عبد القارى) بالتنوين منسوب الى القارة ولا يضاف وهو فلان (السحتنى) منسوب الى سحتن قبيلة باليمن أو بلد وهو

من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وظاهر الاول والثانى أنهما سواء فى المعنى وليس كذلك لان الثانى فيه تخصيص غير موجود فى الاول الا ترى أنا اذا قلنا زيد الافضل وقلنا الافضل زيد كان فى الثانى تخصيص له بالفضل وهذا التخصيص لا يوجد فى القول الاول الذى هو زيد الافضل ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضدها فيقال زيد الاجمل أو زيد الانقص واذا قلنا الافضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه وكذلك يجرى الحكم فى هذه الآية فان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستأذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب الا باذنه وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها من الصفات كما قال تعالى فى موضع آخر انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فجاء بصفة غير تلك الصفة ولما قال ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وجب تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن فى تكرير المعانى (ومما يعد من هذا الباب) قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين وقد ظن قوم أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله لا أعبد يعنى فى المستقبل من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة الهى ولا أنا عابد ما عبدتم أى وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى أنه لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فى وقت ما فكيف يرجى ذلك منى فى الاسلام ولا أنتم عابدون فى الماضى فى وقت ما ما أنا على عبادته الآن (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكرر الرحمن الرحيم مرتين والفائدة فى ذلك أن الاول يتعلق بأمر الدنيا والثانى يتعلق بأمر الآخرة فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع الى خلق العالمين فى كونه خلق كلا منهم على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج اليه حتى البقة والذباب وقد يرجع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها وأما ما يتعلق بأمر الآخرة فهو اشارة الى الرحمة الثانية فى يوم القيامة الذى هو يوم الدين وبالجملة فاعلم أنه ليس فى القرآن مكرر لا فائدة فى تكريره فان رأيت شيأ منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه فانظر الى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه (ومما ورد فى القرآن الكريم مكررا) قوله تعالى كذب قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ايؤكده عندهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فجعل علة الاول كونه أمينا فيما بينهم وجعل علة الثانى حسم طمعه عنهم وخلوه من الاغراض فيما يدعوهم اليه (ومن هذا النحو) قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وانما كرر تكذيبهم ههنا لانه لم يأت به على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنوع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه وهذا باب من تكرير اللفظ

(عامر بن ضبارة) بالفتح ولا يضم وهو (الجلودى) بفتح الجيم منسوب الى جلود وأحسبها قرية بافريقية (وفرافصة) بضم أوله ولا يفتح وهو (رؤبة بن العجاج) بالهمز (والسموأل بن عادياء) بالهمز (وأبو جزء) بالهمز (وعامر ابن لؤى) بالهمز (ورئاب) بالهمز (وهلال بن اساف) وهو (مهنأ) و (أزد شنوءة) و (طئ) وهم (بنو عيذ الله) ولا يقال عائذ الله (وبنو عائش) ولا يقال بنو عيش (ومكنف) بالضم وكسر النون (وموهب وحرى) مشدد الياء والراء كأنه نسب الى الحر ويقال (ذبيان وذبيان) وهى (ربطة) بلا ألف (وعائشة) بالف (والدول) فى حنيفة و (الديل) فى عبد القيس و (الدئل) من كنانة واليهم نسب أبو الاسود الدؤلى ابن الكلبى (وسدس) فى شيبان بالفتح وسدوس فى طئ بالضم قال الاصمعى اسم الرجل سدوس بالضم والسدوس الطيلسان بالفتح قال غير واحد غلط الاصمعى السدوس الطيلسة واسم الرجل سدوس بالفتح وأنشد أبو عبيدة

وداويتها حتى شتت حبشية
كأن عليها سندسا وسدوسا

هكذا أنشده أبو عبيدة وغيره ويقولون (بستان بن عامر) وانما هو بستان بن معمر قال الاصمعى سألت ابن أبى طرفة عن المستفى شعر الهذلى ألفيت اغلب من أسد المسد حديد الناب أخذته عفر فتطريح فقال هو بستان بن معمر

باب ما يغير من أسماء البلاد

هى (البصرة) مسكنة الصاد وكسرها اخطأ والبصرة الحجارة الرخوة قال الفرزدق

لولا ابن عتبة عمرو والرجاء له
ما كانت البصرة الحمقاء لى وطنا

فاذا حذفوا الهاء قالوا البصر فكسروا الباء وانما أجازوا فى النسب بصرى لذلك وهى

والمعنى حسن غامض وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره فافهمه ان شاء الله تعالى (الفرع الثانى من الضرب الاول) اذا كان التكرير فى اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر والتكرير دلالة التعجب من تقديره واصابته الغرض وهذا كما يقال قتله الله ما أشجعه أوما أشعره وعليه ورد قول الشاعر * ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى * وهذا مبالغة فى الدعاء لها بالسلامة وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد واثباته (وعليه ورد الحديث النبوى) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أى ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يطلق على ابنتى وينكح ابنتهم فقوله لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن من التكرير الذى هو أشد موقعا من الايجاز لانصباب العناية الى تأكيد القول فى منع على رضى الله عنه من التزويج بابنة أبى جهل بن هشام وهذا مثل قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ومن أجل ذلك نقول لا اله الا الله وحده لا شريك له لان قولنا لا اله الا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما فى المعنى سواء وانما كررنا القول فيه لتقرير المعنى واثباته وذلك لان من الناس من يخالف فيه كالنصارى والثنوية والتكرير فى مثل هذا المقام أبلغ من الايجاز وأحسن وأسد موقعا (ومما جاء فى مثل هذا) قوله تعالى والله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فقوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (وعلى ذلك ورد) قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقوم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لان من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق وانما كرره ههنا للحض على المأمور بقتالهم والتسجيل عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم وقد قلنا ان التكرير انما يأتى لما أهم من الامر الذى بصرف العناية اليه يثبت ويتقرر (وكذلك ورد) قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فتكرير لفظة أولئك من هذا الباب الذى أشرنا اليه لمكان شدة النكير واغلاظ العقاب بسبب انكارهم البعث (وعلى هذا ورد) قوله تعالى أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الاخسرون فانه انما تكررت لفظة هم للايذان بتحقيق الخسار والاصل فيها وهم فى الآخرة الاخسرون لكن لما أريد تأكيد ذلك جىء بتكرير هذه اللفظة المشار اليها وكذلك قوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وأمثال هذا فى القرآن كثير (وكذلك ورد) قوله تعالى فى سورة القصص فاصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فقوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش بتكرير أن مرتين دليل على أن موسى عليه السلام لم تكن مسارعته الى قتل الثانى كما كانت مسارعته الى قتل الاول بل كان عنده ابطاء فى بسط يده اليه فعبر القرآن عن ذلك فى قوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش (وجرت بينى وبين رجل من النحويين مفاوضة) فى هذه الآية فقال ان أن الاولى زائدة ولو حذفت

(كفرتوثى) ساكنة الفاء ولا تفتح والكفر القرية ومنه قيل أهل الكفور هم أهل القبور وهو مرج (القلعة) بفتح اللام ولا تسكن وهى (طرسوس) و(سلعوس) و(سفوان) و(برهوت) باليمن كل ذلك بفتح ثانيه (والنهروان) بفتح الراء والنون (ودمشق) بفتح الميم (وفلسطين) بكسر الفاء (وارمينية) بكسر الالف (وفلان ارمنى) بكسر الالف والميم وهو (العمق) للمنزل بطريق مكة بفتح الميم ولا تضم (والمسلح) بفتح الميم (وأفاعية) و(أسنمة) جبل بقرب طخفة وهى (الابلة) بضم الهمزة (وقطربل) بضم القاف وتشديد الباء وهى (الاردن) بضم الهمزة وتشديد النون (والحوأب) المنزل الذى تسميه العامة الحوب يقال نبحتها كلاب الحوأب بفتح الحاء وتسكين الواو وهمزة مفتوحة بعدها وهى (رأس عين) ولا يقال رأس العين وهو من أهل (برك) و(نعام) بكسر الباء من برك وهما موضعان من أطراف اليمن وهى (السيلحون) بنصب اللام (والخورنق) تفسيره خرنقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ويشرب (والسدير) سه دلى كان له ثلاث شعب (وطبرستان) بالفارسية معناه أخذه الفاس كأنه لا شبه لم يوصل اليه حتى قطع شجره وكان الاصمعى لا يقول (بغداد) وينهى عن ذلك ويقول مدينة السلام لانه سمع فى الحديث أن بغ صنم وداد عطية بالفارسية كأنها عطية الصنم وهذا آخر كتاب تقويم اللسان والحمد لله رب العالمين

﴿كتاب الابنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى﴾ (جد) فلان فى أمره و(أجد) فقيل

يقال فلان جاد مجد (لاف) الدواة و(ألاقها) الفراء (ضاء) القمر و(أضاء) وأنشد غيره للعباس بن عبد المطلب عليه السلام

فقيل فلما أراد أن يبطش لكان المعنى سواء ألا ترى الى قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه وقد اتفق النحاة على أن الواردة بعد لما وقبل الفعل زائدة فقلت له النحاة لا قيبا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارهما من حيث انهم نحاة ولا شك أنهم وجدوا أن ترد بعد لما وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب فظنوا أن المعنى بوجودها كالمعنى اذا أسقطت فقالوا هذه زائدة وليس الامر كذلك بل اذا وردت لما ورد الفعل بعدها باسقاط أن دل ذلك على الفور واذا لم تسقط لم يدل ذلك على أن الفعل كان على الفور وانما كان فيه تراخ وابطاء (وبيان ذلك من وجهين أحدهما) أني أقول فائدة وضع الالفاظ أن تكون أدلة على المعاني فاذا أوردت لفظة من الالفاظ في كلام مشهود له بالفصاحة والبلاغة فالاولى أن تحمل تلك اللفظة على معنى فان لم يوجد لها معنى بعد التنقيب والتنقير والبحث الطويل قيل هذه زائدة دخولها في الكلام كخروجها منه ولما نظرت أنا في هذه الآية وجدت لفظة أن الواردة بعد لما وقبل الفعل دالة على معنى واذا كانت دالة على معنى فكيف يسوغ أن يقال انها زائدة (فان قيل) انها اذا كانت دالة على معنى فيجوز أن تكون دالة على غير ما أشرت أنت اليه (قلت في الجواب) اذا ثبت أنها دالة على معنى فالذي أشرت اليه معنى مناسب واقع في موقعه واذا كان مناسبا واقعا في موقعه فقد حصل المراد منه ودل الدليل حينئذ أنها ليست بزائدة (الوجه الآخر) أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدحا في كلام الله تعالى وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة اليها والمعنى يتم بدونها وحينئذ لا يكون كلامه معجزا اذ من شرط الاعجاز عدم التطويل الذي لا حاجة اليه وان التطويل عيب في الكلام فكيف يكون ما هو عيب في الكلام من باب الاعجاز هذا محال (وأما قوله تعالى) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فانه اذا نظر في قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه في الجب والى أن جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم ابطاء بعيد وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاول لما جيء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة لانها ليست من شأنهم (واعلم) أن من هذا النوع قسما يكون المعنى فيه مضافا الى نفسه مع اختلاف اللفظ وذلك يأتي في الالفاظ المترادفة وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام فمنه قوله تعالى والذين سعوا في آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم والرجز هو العذاب وعليه ورد قول أبي تمام

نهوض بثقل العبء مضطلع به * وان عظمت فيه الخطوب وجلت

والثقل هو العبء والعبء هو الثقل وكذلك ورد قول البحتري

ويوم تثنت للوداع وسلمت * بعينين موصول لا بلحظهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

فان الكرى هو النوم وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى عذاب من رجز أي عذاب مضاعف من عذاب وأما بيت أبي تمام فانه تضمن المبالغة في وصف الممدوح بحمله للاثقال وأما بيت البحتري فانه أراد أن يشبه طرفها الفتور بالنائم فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف اليه تأكيدا له

يمدح النبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله

وأنت لما ظهرت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

قال الفراء و(أوحى) و(وحى) و(وأما) و(وما) وقال غيره (محضته) الود و(أمحضته) سلكته و(أسلكته) قال الله عز وجل ما سلككم في سقر وقال الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

(عمر) الله بك دارك وأعمرها (أمر) الله ماله وآمره (نضر) الله وجهه وأنضره (مددت) الدواة و(أمددتها) وأمددته بالرجال لا غير (خلف) الله عليك بخير وأخلف (نهج) الثوب و(أنهج) اذا بلي و(سكت) القوم و(أسكتوا) و(صمتوا) وأصمتوا (خلق) الثوب وأخلق (سمح) الرجل وأسمح (مح) الكتاب و(أمح) اذا درس (ينعت) الثمرة وأينعت (نسل) الوبر و(أنسل) اذا وقع (سندت) في الجبل وأسندت (قطرت) عليه الماء وأقطرت (خلد) الى الارض و(أخلد) اذا ركن (عصفت) الريح وأعصفت (طلعت) على القوم وأطلعت (نزفت) البئر وأنزفتها (جلب) الجرح و(أجلب) اذا صارت عليه جلبة قشرة يابسة (قدعته) و(أقدعته) أي كففته (فتنته) وأفتنته (ساس) الطعام و(أساس) اذا سوس و(داد) و(أداد) اذا دود (وسريت) وأسريت (كنبت) يداه و(أكنبت) اذا اشتدت وغلظت (سؤت) به ظنا و(أسأت) به ظنا (قتر الرجل) و(أقتر) اذا قل ماله (حقت الامر) و(أحققته) و(هرقت الماء) و(أهرقته) (بت) البيع وأبتته (زها) البسر

وزيادة فى بيانه وهذا الموضع لم ينبه عليه أحد سواى ولربما أدخل فى التكرير من هذا النوع ماليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضا أحد سواى (فمنه قوله تعالى) ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فلما تكرر ان ربك مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ومثل هذا قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب وهذه الآيات يظن أنها من باب التكرير وليست كذلك وقد أنعمت نظرى فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير وذلك أنه اذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يفتقر الى تمام لايفهم الا به فالاولى فى باب الفصاحة أن يعاد لفظ الاول مرة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل كى لايجىء الكلام منثورا لاسيما فى ان وأخواتها فاذا وردت ان وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام فاعادة ان أحسن فى حكم البلاغة والفصاحة كالذى تقدم من هذه الآيات وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

أصبحنا وقيدا واشتياقا وغربة * ونأى حبيب ان ذا لعظيم

وان امرأ دامت مواثيق عهده * على مثل هذا انه لكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم ان وخبرها أعيدت ان مرة ثانية لان تقدير الكلام وان امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا لكريم لكن بين الاسم والخبر مدى طويل فاذا لم تعد ان مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولارونق وهذا لايتنبه لاستعماله الا الفصحاء اما طبعا واما علما (وكذلك يجرى الامر) اذا كان خبر ان عاملا فى معمول يطول ذكره فان اعادة الخبر ثانية هو الاحسن وعلى هذا جاء قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام اذ قال يوسف لابيه ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين فلما قال انى رأيت ثم طال الفصل كان الاحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لى ساجدين وكذلك جاءت الآية المذكورة ههنا قبل هذه وهى قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا فانه لما طال الفصل أعاد قوله فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه وكذلك الآية التى قبلها وهى قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة وكذلك الآية الاخرى وهى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا (ومن باب التكرير فى اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد قوله عز وجل) وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار فانه انما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة ولانهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لايتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وأن ينزلوا على نصيحته لهم وهذا من التكرير الذى هو أبلغ من الايجاز وأشد موقعا من الاختصار فاعرفه ان شاء الله تعالى (وعلى نحو منه) جاء قوله تعالى فى سورة القمر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فانه قد تكرر ذلك فى السورة كثيرا وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين اذكارا وايقاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وأن تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبهم السهو وتستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير فى قوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وذلك عند كل نعمة عددها على

وأزهى (شنقت) القربة و (أشنقتها) اذا شددت رأسها (قصر) عنه وأقصر (زكا) الزرع وأزكى (جمت) الدابة والركية وأجمت (قلته) البيع وأقلته (سار) الدابة وأسارها (مطرنا) و (أمطرنا) أبو عبيدة يفرق بينهما (غسا الليل) يغسو و (أغسى) اذا أظلم (حشمته) و (أحشمته) اذا غضبته (زننت) به خيرا وأزننت (جهده) السير وأجهده (جرمت) و (أجرمت) من الجرم (خلا) المكان وأخلا (عسرت) الرجل و (أعسرت) اذا طلبت الدين منه على عسرة (خفق) الطائر بجناحيه وأخفق (سفقت) الباب وأسفقته (ثاب) جسمه و (أثاب) أى رجع (أجرت) الغلام وآجرته (ذرت) الريح وأذرت (لغطوا) و (ألغطوا) و (ضجوا) وأضجوا (نبت) البقل وأنبت (رجنت) الشاة وأرجنت (ثرى) الرجل و (أثرى) اذا أيسر (زحف) و (أزحف) اذا أعيا (سحته) الله و (أسحته) اذا استأصله وقرئ فيسحتكم وفيسحتكم (جاح) الله ماله وأجاحه (هديت) العروس وأهديتها (عرض) لك الخير وأعرض (حدت) المرأة وأحدت (فرزت) الشئ وأفرزته (عقم) الله رحمها وأعقمها (أحدق) القوم به وحدقوا (أوخفت) الخطمى و وخفته (دجنت) السماء وأدجنت (جلبوا) عليه و (أجلبوا) اذا صاحوا (لاذوا) به و ألاذوا (وجرته) الدواء وأوجرته (صل) اللحم و (أصل) و (خم) وأخم (سعرنى) شرا وأسعرنى (مهرت) المرأة وأمهرتها (شار) العسل وأشاره (عذر) الغلام وأعذر (ضب) الرجل و (أضب) اذا سكت (صددت الرجل) وأصددته (صردت) السهم و (أصردته) اذا أنفذته (وعيت العلم)

عباده وأمثال هذا فى القرآن الكريم كثير (ومما ورد) من هذا النوع شعرا قول بعض شعراء الحماسة

الى معدن العز المؤثل والندى * هناك هناك الفضل والخلق الجزل

فقوله هناك هناك من التكرير الذى هو أبلغ من الايجاز لانه فى معرض مدح فهو يقرر فى نفس السامع ماعند الممدوح من هذه الاوصاف المذكورة مشيرا اليها كأنه قال أدلكم على معدن كذا وكذا ومقره ومقاده وكذلك ورد قول المساور بن هند

جزى الله عنى غالبا من عشيرة * اذا حدثان الدهر نابت نوائبه

فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت * على وموج قد علتنى غواربه

فصدر البيت الثانى وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كتعالى الموج من فوقه وانما سوغ ذلك لانه مقام مدح واطراء ألا ترى أنه يصف احسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره فى التكرير وفى قبالته لو كان القائل هاجيا فان الهجاء فى هذا كالمدح والتكرير انما يحسن فى كلا الطرفين لا فى الوسط (واعلم) أنه اذا وردت ان المكسورة المخففة بعدما كانت بمعناها سواء ألا ترى الى قوله تعالى ان هم الا كالانعام فان وما بمعنى واحد واذا أوردت من بعدما كانت من باب التكرير كقولنا ما ان يكون كذا وكذا أى ما مايكون كذا وكذا واذا وردت فى الكلام فانما ترد فى مثل ما أشرنا اليه من التكرير فان استعملت فى غير ما يكون منها الفائدة بتجها تكريرها كان استعمالها لغوا لا فائدة فيه وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبى أتى فى هذا البيت بتكرير لا حاجة به اليه وهو قوله

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ * ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وليس فى هذا البيت من تكرير فانه كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف بكذا وكذا أى انه عريق النسب فى هذا الوصف (وقد ورد) فى الحديث النبوى مثل ذلك كقول النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف يوسف الصديق عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (ولقد فاوضنى فى هذا البيت المشار اليه) بعض علماء الادب وأخذ يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على مواضع الصواب منه وعرفته أنه كالخبر النبوى من جهة المعنى سواء بسواء لكن لفظه ليس بمرضى على هذا الوجه الذى قد استعمل فيه فان الالفاظ اذا كانت حسانا فى حال انفرادها فان استعمالها فى حال التركيب يزيدها حسنا على حسنها أو يذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم الكلام على ذلك فى المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولو تهيأ لابى الطيب المتنبى أن يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أحسن وكذلك لفظة الهتن فانها ليست بمرضية فى هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة العارض وان كانت قد وردت فى القرآن وهى لفظة حسنة فالفرق بين ورودها فى القرآن الكريم وورودها فى هذا البيت الشعرى ظاهر وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وبيت لابى الطيب أيضا وهو فى المقالة اللفظية عند الكلام على الالفاظ المفردة فليؤخذ من هناك وكثيرا ما يقع الجهال فى مثل هذه المواضع وهم الذين قيل فيهم

وكذا كل أخى حذاقة * ماشى فى يابس الازلق

فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع فى وصف كلام بالايجاز وكلام بالتطويل أو بالتكرير واذا طولب بأن يبدى سببا لما ذكره لا يوجد عنده من القول شئ

و (أوعيته) و (أوعيت المتاع) و (وفيت) بالعهد و (أوفيت) و (أوفيت) الكيل لا غير (غلت) و (أغللت) من الغلول (لحدت القبر) وألحدته (ولحد الرجل) فى الدين و (ألحد) وقرئت يلحدون ويلحدون (بدأ الله) الخلق و (أبدأ) وقال الله عز وجل يبدئ ويعيد (بشرت الرجل) و (أبشرته) اذا بشرته (وبشرت الاديم) و (أبشرته) اذا قشرت ما عليه (قبل) وأقبل و (دبر) وأدبر (وقع الحافر) وأوقع و (جهشت) فى البكاء وأجهشت (أجمع) القوم رأيهم و (جمعوا) رأيهم (سمل الثوب) وأسمل (عفصت) القارورة وأعفصتها (حل) من احرامه وأحل (بل) من مرضه و (أبل) أى نجا (ثويت) عنده وأثويت (منيت) و (أمنيت) من المنى (ومذيت) من المذى وأمذيت (طافوا) به وأطافوا (حال) فى متن فرسه وأحال (صر) الفرس أذنه وأصر (مر) الطعام و (أمر) و (قعت) بالقوم فى القتال وأوقعت (نويت) النوى و (أنويته) اذا أكلت التمر ورميت بالنوى (غمى) عليه وأغمى (مطت) عنه و (أمطت) تنحيت وكذلك (مطت) غيرى و (أمطت) هذا قول أبو زيد قال الاصمعى مطت أنا وأمطت غيرى لا غير (قمت) الرجل وأقمته (صعقتهم) السماء و (أصعقتهم) ألقت عليهم صاعقة (قستة) فى الماء (وأقسته) اذا غططته (حرمته) وأحرمته (مضنى) و (أمضنى) قال الاصمعى أمضنى بالالف لم يعرف غيره (صليت) الشئ فى النار وأصليته (نجوت) اللحم عن الجلد و (انجيته) اذا قشرته (جاب) الجرح و (أجلب) اذا علته جلبة

الا تحكما محضا صادرا عن جهل محض (الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى) وهو غير المفيد فمن ذلك قول مروان الاصغر

سقى الله نجدا والسلام على نجد * ويا حبذا نجد على النأي والبعد
نظرت الى نجد وبغداد دونها * لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد

وهذا من العي الضعيف فانه كرر ذكر نجد في البيت الاول ثلاثا وفي البيت الثاني ثلاثا ومراده في الاول الثناء على نجد وفي الثاني أنه تلفت اليها ناظرا من بغداد وذلك مرمى بعيد وهذا المعنى لا يحتاج الى مثل هذا التكرير أما البيت الاول فيحمل على الجائز من التكرير لانه مقام تشوق وتحرق وموجدة بفراق نجد ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معا من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي نواس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويا عجبا له يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الابيات العجيبة الحسن التي تقدم ذكرها في باب الايجاز وهي

* ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * (ومن هذا الباب أيضا) ما أوردناه في صدر هذا النوع وهو قول أبي الطيب المتنبي

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام

فهذا هو التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصا ألا ترى أنه يقول لم أر مثل جيراني في سوء الجوار ولا مثلي في مصابرتهم ومقامي عندهم انه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله أيضا

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل عيس كلهن قلاقل

(وأما القسم الثاني من التكرير) وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ (فذلك ضربان) مفيد وغير مفيد (الضرب الاول المفيد وهو فرعان الاول) اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير مشكل لانه يسبق الى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحد (فمما جاء منه) حديث حاطب بن أبي بلتعة في غزوة الفتح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب والزبير والمقداد رضي الله عنهم فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به قال علي رضي الله عنه فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة واذا فيها الظعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو من حاطب ابن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما هذا يا حاطب فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقوله ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن وبعض الجهال يظنه تكريرا لا فائدة فيه فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام وليس كذلك والذي يدل عليه اللفظ هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر أي باق على الكفر ولا مرتدا أي اني كفرت بعد اسلامي ولا رضا بالكفر بعد الاسلام أي ولا ايثارا لجانب الكفار

للبرء (وجننته) في القبر وأجننته (ربعت) عليه الحمى و(أربعت) و(غبت) عليه الحمى وأغبت (رميت) على الخمسين و(أرميت) زدت (كلأت) الناقة و(أكلأت) اذا أكلت الكلأ (حكمت) الفرس و(أحكمته) و(رسنته) وأرسنته (رحبت) الدار و(أرحبت) اذا اتسعت (جهرت) بالقول وأجهرت (خسرت) الميزان و(أخسرته) نقصته (حصر) الرجل من الغائط وأحصر (صقعت) الارض و(أصقعت) من الصقيع (عند) العرق و(أعند) اذا سال بالدم وأكثر (لحيت) الغلام و(ألحيته) اذا أوجرته الدواء (فرشته) فراشا وأفرشته (صرت) الى رأسه و(أصرته) اذا أملته (ضنأت) المرأة و(أضنأت) اذا كثر ولدها (هلكت) الشئ و(أهلكته) قال العجاج

* ومهمه هالك من تعرجا *

يعني مهلك هذا قول أبي عبيدة وقال غيره أي هالك المتعرجين أي من عرج فيه واحتبس هلك (جذى) الشئ و(أجذى) اذا ثبت قائما (زلت) الشئ وأزلته (رفل) في مشيته (وأرفل) و(ضعت) في مالي و(أوضعت) و(وكست) وأوكست (زحفت) في المشي و(أزحفت) أعييت (أويته) و(آويته) وأويت الى فلان مقصور لا غير (حلت) في ظهر دابتي و(أحلت) اذا وثبت عليه (حشت) عليه الصيد وأحوشت (قصرنا) و(أقصرنا) من قصر العشي (وكف) البيت وأوكف (خطل) في كلامه وأخطل (حاك) فيه القول و(أحاك) أي نجع (غمدت) سيفي وأغمدته (رشت) السماء و(أرشت) و(طشت) وأطشت (هلت) عليه التراب وأهلت

على جانب المسلمين وهذا حسن فى مكانه واقع فى موقعه وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذى نحن بصدد ذكره ههنا وهو الذى يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسيأتى بيانه فى الفرع الثانى الذى يلى هذا الفرع الاول والذى يجوزه أن هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمى به من تلك القارعة العظيمة التى هى نفاق وكفر فكرر المعنى فى اعتذاره قصدا للتأكيد والتقرير لما ينفى عنه ما رمى به (ومما ينتظم بهذا السلك) أنه اذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمرا بالمعروف وذلك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الامر بالمعروف ففائدة التكرير ههنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وكقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها فان الجبال داخلة فى جملة الارض لكن لفظ الارض عام والجبال خاص وفائدته ههنا تعظيم شأن الامانة المشار اليها وتفخيم أمرها وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كثيرا ومما ورد منه شعرا قول من أبيات الحماسة

وان الذى بينى وبين بنى أبى * وبين بنى عمى لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا

فهذا من الخاص والعام فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه أكلا للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلى عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعى فى كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخاص والعام المشار اليه فى الآية المقدم ذكرها وهو موضع يرد فى الكلام البليغ ويظن أنه لا فائدة فيه (الفرع الثانى) اذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنى واحد لا غير وقد سبق مثال ذلك فى أول هذا الباب كقولك أطعنى ولا تعصنى فان الامر بالطاعة نهى عن المعصية والفائدة فى ذلك تثبيت الطاعة فى نفس المخاطب والكلام فى هذا الموضع كالكلام فى الموضع الذى قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان الغرض به شيأ واحدا ولا نجد شيأ من ذلك يأتى فى الكلام الا لتأكيد الغرض المقصود به كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فانه انما كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد للزيادة فى تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته وهذا وأمثاله ينظر فى الغرض المقصود به وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الايجاز وأولى بالاستعمال (وقد ورد) فى القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون فان البث والحزن بمعنى واحد وانما كرره ههنا لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة فى قلبه وهذا المعنى كالذى قبله وكذلك ورد قوله تعالى تلك عشرة كاملة بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لان عشرة هى ثلاثة وسبعة ثم قال كاملة وذلك توكيد ثالث والمراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع فى الطريق على الفور لا عند الوصول الى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء وبيانه أنى أقول اذا صدر الامر من الآمر على المأمور بلفظ

(نار) الشئ و(أنار) خذما (طف) لك وأطف (شمس) يومنا وأشمس ٢٣٥ (حالت) الدار و(أحالت) من الحول و(بان) و(أبان) حفرت حتى (عنت) و(أعينت) أى بلغت العيون (طلق يده) بالخير وأطلق (رملت) الحصير و(أرملته) و(سففته) و(أسففته) نسجته (بر) الله حجك وأبره (سعده) الله و(أسعده) و(نعشه) الله وأنعشه (قطبت) الشراب و(أقطبته) مزجته (شظظت) الوعاء و(أشظظته) من الشظاظ (رجعت) يدى وأرجعتها (محته) وأمحته (تبله) الحب وأتبله (جلا) القوم عن الموضع و(أجلوا) تنحوا عنه و(أجليتهم) أنا وجلوتهم قال أبو ذؤيب

فلما جلاها بالايام تحيزت
ثبات عليها ذلها واكتئابها

يعنى مشتار العسل جلاها عن موضعها بالدخان ليشتاره (لاح) الرجل و(ألاح) اى أشفق (سقت) اليها الصداق وأسقته (جفلت) الريح واجفلت (خوت) النجوم و(اخوت) اذا سقطت ولم تمطر (غبش) الليل و(اغبش) اظلم (ذرق) الطائر واذرق (صم) الرجل واصم (غامت) السماء واغامت (خلف) فوه واخلف (زففت) العروس و(ازففتها) و(عزت) اليك فى الامر واعزت (داء) الرجل يداء مثل شاء يشاء و(اداء) يدىء اذا صار فى جوفه الداء (ظلفت) اثرى اذا مشيت فى الحزونة حتى لا يرى و(اظلفته) و(شنقت) الناقة و(اشنقتها) اذا كففتها بزمامها و(سنفتها) و(اسنفتها) من السناف (بقت) المرأة و(ابقت) كثر ولدها و(بققت) يا رجل و(ابققت) اذا كثر كلامه (حرثت) الناقة و(احرثتها) اذا سرت عليها حتى تهزل (قمدت) الناقة

التكرير مجردا من قرينة تخرجه عن وصفه ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حثا له على المبادرة الى امتثال الامر على الفور فانك اذا قلت لمن تأمره بالقيام قم قم قم فانما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر الى القيام فى تلك الحال الحاضرة (فان قلت) الغرض بتكرير الامر أن يتكرر فى نفس المأمور أنه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة الى امتثال الامر (قلت فى الجواب) ان المرة الواحدة كافية فى معرفة المأمور أن الذى أمر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لا تخلو اما أن تكون دالة على مادلت عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم تكن فى المرة الواحدة فان كانت دالة على مادلت عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا فى الكلام لا حاجة اليه وقد ورد مثله فى القرآن الكريم كهذه الآية المشار اليها وغيرها من الآيات والتطويل فى الكلام عيب فاحش عند البلغاء والفصحاء والقرآن معجز ببلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة اليه فينبغي أن تكون تلك الزيادة دالة على معنى زائد على مادلت عليه المرة الواحدة واذا ثبت هذا فتلك الزيادة هى الحث على المبادرة الى امتثال الامر فان سلمت لى ذلك والا فبين معنى تلك الزيادة ببيان غير ماذكرته أنا ولا أراك أن تستطيع ذلك (فان قلت) ان الواو فى قوله تعالى وسبعة اذا رجعتم لولا أن تؤكد بقوله تلك عشرة لظن أنها وردت بمعنى أو أى فثلاثة أيام فى الحج أو سبعة اذا رجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وليست بمعنى أو (قلت فى الجواب) هذا باطل من أربعة أوجه الوجه الاول أن الواو العاطفة لا تجعل بمعنى أو أين وردت من الكلام وانما تجعل بمعنى أو حال ضرورة ترجح جانبها على جانب جعلها عاطفة لان الاصل فيها أن تكون عاطفة فاذا عدل بها عن أصلها احتاج الى ترجيح ولا ترجيح ههنا الوجه الثانى بلاغى وذلك أن القرآن الكريم منتهى البلاغة والفصاحة لمكان اعجازه فلو كان معنى الواو فى هذه الآية بمعنى أو لقيل فثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ولم يحتج الى هذا التطويل فى قوله فثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة الوجه الثالث أن هذا الصوم حكم من أحكام العبادات والعبادات يجب فيها الاحتياط أن تؤدى على أكمل صورة لئلا يدخلها النقص واذا كان الامر على ذلك فكيف يظن أن الواو فى هذه الآية بمعنى أو الوجه الرابع أن السبعة ليست مماثلة للثلاثة حتى تجعل فى قبالتها لان معنى الآية اذا كانت الواو فيها بمعنى أو اما أن تصوموا ثلاثة أيام فى الحج أو سبعة اذا رجعتم (فان قلت) هذا تعبد لا يعقل معناه كغيره من التعبدات التى لا يعقل معناها (قلت فى الجواب) ان لنا من التعبدات ما لا يعقل معناه كعدد ركعات الصلوات وعدد الطواف والسعى وأشباه ذلك ولنا ما يعقل معناه كهذه الآية فانا نعقل التفاوت بين الصوم فى الحضر والسفر ونعقل التفاوت بين العدد الكثير والعدد القليل وعلى هذا فلا يخلو اما أن يكون صوم الايام السبعة عند الرجوع فى الطريق أو عند الوصول الى البلد فان كان فى الطريق فانه أشق من الصوم بمكة لان الصوم فى السفر أشق من الصوم فى الحضر فكيف يجعل صوم سبعة أيام فى السفر فى مقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة وان كان الصوم عند الوصول الى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول الى البلد لان كليهما صوم فى المقام ببلد من البلاد لا تفاوت بينهما حتى يجعل صوم ثلاثة أيام فى مقابلة سبعة أيام على غير مثال ولا تساو فعلى كلا التقديرين لا يجوز أن تكون الواو فى سبعة اذا رجعتم بمعنى أو فتحقق اذا أنها للعطف خاصة واذا كانت للعطف خاصة فتأكيدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الايام السبعة فى الطريق قبل الوصول الى البلد (فان قلت) ان الصوم بمكة أشق من الصوم فى الطريق لان الواجب عليه

و(اقعدت) اذا صارت مقعدا وهى العظيمة السنام و(هنه) الله و(أوهنه) قال طرفة

واذا تلسنني ألسنها *
انى لست بموهون فقر

وقال آخر
اقتلت سادتنا بغير دم
الا لتوهن آمن العظم

(صفوت) الى الرجل واصفيت (ذروت) الحب و(اذريته) قال الفراء (جمات) الشحم و(اجملته) اذا اذبته (نجزت) الحاجة و(انجزتها) قضيتها (ركست) الشئ و(اركسته) اذا رددته قال الله تعالى والله اركسهم بما كسبوا روى فى التفسير ردهم الى كفرهم ابن الاعرابى (دلع) لسانه وادلعه (مرأنى) الطعام و(أمرأنى) وروى ايضا (لط) دون الحق بالباطل (والط) وقول الناس الالطاط وهو ملط من هذا وروى (كفأت) الاناء واكفأته (ألفت) المكان وآلفته (نكرت) القوم وانكرتهم (نعم) الله بك عينا وانعم (جدب) الوادى و(أجدب) و(خصب) واخصب (وبثت) الارض و(أوبأت) و(حطبت) و(احطبت) و(عشبت) و(اعشبت) و(بقلت) و(ابقلت) و(ضبعت) الناقة و(اضبعت) اذا اشتهت الفحل (لحقته) و(ألحقته) ومنه ان عذابك بالكفار ملحق أى لاحق (قويت) الدار وأقوت (زكنت) الامر وأزكنته (خطئت) و(أخطأت) وقال الله عز وجل لا يأكله الا الخاطئون وقال الشاعر

عبادك يخطؤن وأنت رب
بكفيك المنايا لا تموت

(ردفته) وأردفته (ملح) الماء وأملح و(نتن) الشئ وأنتن (أعورت) عينه وعورتها (دير) بالرجل و(أدير) به من دوار الرأس

الصوم

الصوم بمكة فى نصب وتعب بتصريف زمانه فى السعى والطواف والصلاة والعمرة وغير ذلك (قلت فى الجواب) هذا لا يلزم اذ الواجب عليه سعى واحد وطواف واحد لا غير وما عدا ذلك نافلة لا يلزم ونحن فى هذا المقام ناظرون الى ما يجب لا الى النافلة والذى يجب أداؤه بمكة يفرغ منه فى ساعة واحدة فكيف تجعل الزيادة على ذلك دليلا يورد فى هذا المقام هذا غير وارد وهذا ورد قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فقوله غير يسير بعد قوله عسير من هذا النوع المشار اليه والا فقد علم أن العسير لا يكون يسيرا وانما ذكر ههنا على هذا الوجه لتعظيم شأن ذلك اليوم فى عسره وشدته على الكافرين وكذلك ورد قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فان البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما حسن ايرادهما معا فى معرض واحد لتأكيد البراءة بين ابراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده وللمبالغة فى اظهار القطيعة والمصارمة وورد مثل ذلك فى مثل هذا الموضع كالايجاز فى موضعه ولن ترى شيأ يرد فى القرآن الكريم من هذا القبيل الا وهو لامر اقتضاه وان خفى عنك موضع السر فيه فاسأل عنه أهله العارفين به (ومما ورد منه شعرا) قول بعضهم فى أبيات الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا ＊ بعيدا عن الاوطان فى زمن المحل
فما زال بى اكرامهم وافتقادهم ＊ واحسانهم حتى حسبتهم أهلى

فان الاكرام والافتقاد داخلان تحت الاحسان وانما كرر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والايجاب لحقه وعلى هذا ورد قول الاعشى فى قصيدته المشهورة التى يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم فقال منها

فآليت لا أرثى لها من كلالة ＊ ولا من وجى حتى تلاقى محمدا

فان الوجى والكلالة معناهما سواء وانما حسن تكريره ههنا للاشعار ببعد المسافة (الضرب الثانى من القسم الثانى) فى تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد فمن ذلك قول أبى تمام

قسم الزمان ربوعها بين الصبا ＊ وقبولها ودبورها أثلاثا

فان الصبا هى القبول وليس ذلك مثل التكرير فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير فى قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبى تمام الصبا والقبول لا يشتمل الا على معنى واحد لا غير وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا والاكثر منهم أجازه فقالوا اذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس استعمال ذلك بعيب وهذا القول فيه نظر والذى عندى فيه أن الناثر يعاب على استعماله مطلقا اذا أتى لغير فائدة وأما الناظم فانه يعاب عليه فى موضع دون موضع أما الموضع الذى يعاب استعماله فيه فهو صدور الابيات الشعرية وما والاها وأما الموضع الذى لا يعاب استعماله فيه فهو الاعجاز من الابيات لمكان القافية وانما جاز ذلك ولم يكن عيبا لانه قافية والشاعر مضطر اليها والمضطر يحل له ما حرم عليه كقول امرئ القيس فى قصيدته اللامية التى مطلعها ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى ＊ فقال

وهل ينعمن الا سعيد مخلد ＊ قليل الهموم لا يبيت بأوجال

واذا كان قليل الهموم فانه لا يبيت بأوجال وهذا تكرير للمعنى الا أنه ليس بعيب لانه قافية

(مرع) الوادى و(أمرع) (زريت) عليه و(أزريت) به (رفقت) به وأرفقته (أنسأ) الله أجله و(نسأ) فى أجله (ذهبت) بالشئ و(أذهبته) و(جئت) به و(أجأته) و(دخلت) به و(أدخلته) و(خرجت) به و(أخرجته) و(علوت) به و(أعليته) تكلم فما (سقط) بحرف وما (أسقط) حرفا (غفلت) عنه وأغفلته (جن) عليه الليل و(أجنه) الليل (شالت) الناقة بذنبها و(أشالت) بذنبها (أشلت) الحجر و(شلت) به (ألوى) الرجل برأسه و(لوى) رأسه (أجفته) الطعنة و(جفته) بها (ابذيت) القوم و(بذوت) عليهم (أغببتهم) و(غببت) عنهم فاذا أردت انك دفعت عنهم قلت غببت بالتشديد (رصدته) بالمكافأة و(أرصدته) أى ترقبته بها و(أرصدت) له أعددت له قال أبو زيد رصدته بالخير وغيره أرصده رصدا وأنا راصده وأرصدت له بالخير وغيره ارصادا وأنا مرصد له بذلك قال ابن الاعرابى أرصدت له بالخير والشر لا يقالان الا بالالف

﴿باب أفعلت الشئ عرضته للفعل﴾

(أقتلت) الرجل عرضته للقتل (وأبعت) الشئ عرضته للبيع وأنشد

فرضيت آلاء الكميت فمن يبع
فرسا فليس جوادنا بمباع

أى بمعرض للبيع وقال الفراء تقول أبعت الخيل اذا أردت انك أمسكتها للتجارة والبيع فان أردت انك أخرجتها من يدك قلت بعتها قال وكذلك قالت العرب (أعرضت) العرضان أى أمسكتها للبيع و(عرضتها) ساومت بها فقس على هذا كل ما ورد عليك

﴿باب أفعلت الشئ وجدته كذلك﴾

أتيت فلانا (فأحمدته) و(أذممته)

و(أخلفته) أي وجدته محمودا ومذموما ومخلافا للوعد وأتيت فلانا (فأبخلته) و(أجبنته) و(أحمقته) و(أنوكته) و(أهوجته) اذا وجدته كذلك و(أقهرته) اذا وجدته مقهورا وأنشد

تمنى حصين ان يسود جذاعه
فأمسى حصين قد أذل وأقهرا

وقال الاعشى * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا * أي وجده خلفا ويقال هاجيت فلانا (فأفحمته) أي وجدته مفحما لا يقول الشعر ويقال خاصمته حتى أفحمته أي قطعته وروى عن عمرو بن معدي كرب أنه قال لبني سليم قاتلناكم فما (أجبناكم) وسألناكم فما (أبخلناكم) وهاجيناكم فما (أفحمناكم) أي ما صادفناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين وأتيت الارض (فأجدبتها) و(أحييتها) و(أوحشتها) و(أهيجتها) اذا وجدتها حية النبات وجدبة ووحشة وهايجة النبات

﴿باب افعل الشيء حان منه ذلك﴾

(أركب) المهر حان أن يركب (وأحصد) الزرع حان أن يحصد (وأقطف) الكرم حان أن يقطف وكذلك يقال (أقطف) القوم حان أن يقطفوا كرومهم و(أجزوا) و(أجدوا) و(أغلوا) كذلك (وأنتجت) الخيل حان نتاجها و(أفصح) النصارى حان فصحهم و(أشهر) القوم أتى عليهم شهر و(أحال) القوم أتى عليهم حول

﴿باب افعل الشيء صار كذلك واصابه ذلك﴾

(اجرب) الرجل و(انحز) و(احال) اى صار صاحب جرب ونحاز وحيال في ماله وكذلك (أهزل) الناس اذا أصابت السنة أموالهم فصارت مهازيل (وأحمر) الرجل

وكذلك ورد قول الحطيئة

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها * ان العزاء وان الصبر قد غلبا
هلا التمست لنا ان كنت صادقة * مالا نعيش به في الناس أو نشبا

فالبيت الاول معيب لانه كرر العزاء والصبر اذ معناهما واحد ولم يرد اقافية لان القافية هي الباء وأما البيت الثاني فليس بعيب لان التكرير جاء في النشب وهو قافية (ومما يجرى هذا المجرى) قول المنخل اليشكري

ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر * فل في الدمقس وفي الحرير

فان الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ﴿فان قيل﴾ ان الحرير هو الابريسم المنسوج بدليل قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فانه لم يرد خيوط ابريسم وانما أراد أثوابا من الابريسم وأما الدمقس فانه خيوط الابريسم محلولة بدليل قول امرئ القيس * وشحم كهداب الدمقس المفتل فانه لم يرد ابريسما منسوجا وانما أراد خيوط الابريسم (فالجواب عن ذلك) أنه لو حمل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه لان المرأة لا ترفل في خيوط من الابريسم وانما ترفل في الاثواب منه وأما قول امرئ القيس كهداب الدمقس فانه لو كان الدمقس هو الخيوط المحلولة من الابريسم لما احتاج أن يقول كهداب فان الهداب جمع هدب ثم قال المفتل فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الابريسم سواء كان منسوجا أو غير منسوج وكذلك الحرير أيضا وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة ألا ترى أنه لما قال المنخل ترفل في الدمقس وفي الحرير فهم من ذلك أنه أراد أثوابا من الدمقس ومن الحرير لان الرفول لا يكون في خيوط من الابريسم وانما يكون في أثوابه (ومما يجرى على هذا النهج) قول الآخر من شعراء الحماسة

انى وان كان ابن عمي غائبا * لمقاذف من خلفه وورائه

فان خلفا ووراء بمعنى واحد وانما جاز تكرارهما لانهما قافية وعلى هذا ورد قول أبي تمام

دمن كأن البين أصبح طالبا * دمنا لدى آثارنا وحقودا

فان الدمنة هي الحقد وكذلك قول أبي الطيب المتنبي

بحر تعود أن يذم لأهله * من دهره وطوارق الحدثان
فتركته واذا أذم من الورى * راعاك واستثنى بني حمدان

فان الدهر وطوارق الحدثان سواء وانما جاز استعمال ذلك لانه قافية وأما ما ورد في أثناء الابيات الشعرية فكقول عنترة

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فقوله أقوى وأقفر من المعيب لانهما لفظان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة اذ الضرورة لا تكون الا في القافية كما أريتك (وأما ما ورد من صدور الابيات) فكقول البحتري في قصيدته العينية

ألمت وهل المامها بك نافع * وزارت خيالا والعيون هواجع

فان قوله ألمت وقوله زارت خيالا سواء ولا فرق اذا بين صدر البيت وعجزه ﴿فان قيل﴾ انه أراد بالالمام زيارة اليقظة ثم قال وزارت خيالا ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنه لم يرد الا زيارة المنام في الحالتين لانه قال ألمت وهل المامها بك نافع ولو كان الالمام في اليقظة لما قال وهل المامها بك نافع فانه لا نفع أنفع من زيارة المحبوب في اليقظة وهذا غير خاف لا يحتاج الى السؤال عنه ﴿فان

قيل)

قيل لم أجزت ذلك للناظم وحظرته على الناثر (قلت فى الجواب) أما الناثر فانه اذا سجع كلامه فالغالب أن يأتى به مزدوجا على فقرتين من الفقر ويمكنه ابدال تلك الفقرتين بغيرهما فيسلم منه وأما الشاعر فانه يصوغ قصيدا اذا أبيات متعددة على قافية من القوافى فاذا تكرر اديه شئ من الكلام فى آخر بيت من الابيات عسر ابداله من أجل القافية وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد وهذا الذى ذكرته اذا ورد فى غير القافية سمى اخلاء ويقال ان البحترى كان يخلى كثيرا فى شعره وهو لعمرى كذلك الا أن حسن سبكه ورونق ديباجته يغفر له ذلك (ويروى عنه) أنه كان اذا امتثل بين يدى الفتح بن خاقان وزير المتوكل مادحاله اختال بين يديه معجبا بنفسه فتقدم خطوات ثم تأخر وقال أى شئ تسمعون فنقم عليه ذلك بعض حسدته وحمل الفتح بن خاقان عليه فقال له الفتح لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مغفورا له فيما يقوله (النوع الثامن عشر فى الاعتراض) وبعضهم يسميه الحشو وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقى الاول على حاله مثال ذلك أن تقول زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر فاذا أدخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد والله قائم ولو أزلنا القسم منه لبقى الاول على حاله واذا أدخلنا فى هذا الكلام لفظا مركبا قلنا زيد على مابه من المرض قائم فأدخلنا بين المبتدا والخبر لفظا مركبا وهو قولنا على مابه من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا حده (واعلم) أن الجائز منه وغير الجائز انما يؤخذ من كتب العربية فانه يكون مستقصى فيها كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف والمعطوف عليه وأشباه ذلك مما يحسن استعماله وكالاعتراض بين المضاف والمضاف اليه وبين ان واسمها وبين حرف الجر ومجروره وأمثال ذلك مما يقبح استعماله وليس هذا مكانه لان كتابنا هذا موضوع ان استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا اليه فى صدر الكتاب وليس المراد ههنا من الاعتراض الا ما يفرق به بين الجيد والردىء لا ما يعلم به الجائز وغير الجائز لان كتابى هذا موضوع لذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفى الفصاحة والبلاغة فالذى أذكره فى باب الاعتراض انما هو ما اشتمل على شئ من هذين الوصفين المشار اليهما (واعلم أن الاعتراض ينقسم قسمين أحدهما) لا يأتى فى الكلام الا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد (والآخر) أن يأتى فى الكلام لغير فائدة فاما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه واما أن يؤثر فى تأليفه نقصا وفى معناه فسادا (فالقسم الاول) وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ففى هذا الكلام اعتراضان أحدهما قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين القسم الذى هو فلا أقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذى هو انه لقرآن كريم وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو قسم وبين صفته التى هى عظيم وهو قوله لو تعلمون فذانك اعتراضان كما ترى وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه انما هى تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع ألا ترى الى قوله لو تعلمون اعتراضا بين الموصوف والصفة وذلك الامر بحيث لو علم وفى حقه من التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر لعظيم بحيث لو تعلم يا فلان عظمه لقدرته حق قدره فان ذلك يكبر فى نفس المخاطب ويظل متطلعا الى معرفة عظمه (وكذلك) ورد قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وتقديره ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون فاعترض بين المفعولين بسبحانه وهو مصدر يدل على التنزيل فكأنه قال ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك ولهم ما يشتهون وفائدة هذا الاعتراض ههنا ظاهرة (وكذلك) ورد قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قالوا نفقد صواع الملك

اذا صارت ابله حرارا أى عطاشا و(اعاه) الرجل اذا صارت العاهة فى ماله و(اصح) صارت الصحة فى ماله بعد العاهة و (اسنت) اصابته السنة و (اقحط) و (أيبس) اذا اصابه القحط واليبس و (اشمل) القوم صاروا فى ريح الشمال وكذلك الجنوب والصبا والدبور و (اراحوا) صاروا فى ريح و (أربعوا) صاروا فى ربيع فاذا اردت ان شيأ من هذا اصابهم قلت فعلوا فهم مفعولون تقول (شملوا) و (جنبوا) و (صبوا) و (دبروا) و (ريحوا) و (ربعوا) وتقول (أربعوا) و (أصافوا) و (أشتوا) و (أخرفوا) صاروا فى هذه الازمنة فاذا أردت انهم أقاموا هذه الازمنة فى موضع قلت (صافوا) و (شتوا) و (ارتبعوا) و (الحم) القوم و (أشحموا) و (البنوا) و (أتمروا) و (ألبأوا) و (أقثأوا) و (أبطخوا) صار ذلك عندهم كثيرا و (أخلت) الارض و (أجنت) و (أرعت) صار فيها الخلا والجنى والرعى و (أبسر) النخل و (أحشف) و (أبلح) و (أدقل) و (أخوص) و (أشوك) اذا صار فيه ذلك و (أوقر) النخل كثر حمله يقال نخلة موقر وموقرة و (أرعد) القوم و (أبرقوا) و (أغيموا) أصابهم رعد وبرق وغيم و (أفرس) الراعى اذا أصاب الذئب شاة من غنمه و (أفرضت) الماشية صارت الفريضة فيها واجبة و (أنفق) القوم نفقت سوقهم و (أكسد) و (أكسدت) سوقهم و (أخبث) الرجل اذا صار أصحابه خبثاء وأهله ولذلك قالوا خبيث مخبث و (أقوى) الجمال اذا صارت ابله قوية ولذلك قالوا قوى مقو (أظهرنا) أى صرنا فى وقت الظهر وسرنا فى ذلك الوقت أيضا (اعاف) الرجل اذا صارت ابله تعاف الماء (وأكلب)

الرجل صار في ابله الكلب وهو شبيه بالجنون و (أعاه) و (أعوه) صارت العاهة في ماله و (أمات) مات ولده و (اشب) شب ولده و (اطلب) الماء اذا بعد فلم ينل الا بطلب يقال ماء مطلب

﴿باب أفعل الشيء أتى بذلك واتخذ ذلك﴾

(أخس) الرجل أتى بخسيس من الفعل و (أذم) أتى بما يذم عليه و (أقبح) أتى بقبيح و (ألام) أتى بما يلام عليه فهو مليم قال الله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم وقال الشاعر * ومن يخذل أخاه فقد ألاما * (وأراب) الرجل أتى بريبة و (أكاس) الرجل وأكاست المرأة أتيا بولد كيس و (أقصرت) و (أطالت) و (آنثت) و (اذكرت) و (أصبت) و (احمقت) و (أتلد) الرجل اتخذ تلادا من المال و (اهرب) الرجل اذا جد في الذهاب مذعورا فهو مهرب و (اساد) الرجل ولد سيدا او (اسود) و (اساد) ولد اسود اللون

﴿باب أفعلت الشيء جعلت له ذلك﴾

(أرعيت) الماشية و (أرعاها) الله أي جعل لها ما ترعاه وانشد ابو زيد

كأنها ظبية تعطو الى فنن
تأكل من طيب والله يرعيها

اي ينبت لها ما ترعاه و (أقبرت) الرجل جعلت له قبرا يدفن فيه قال الله عز وجل ثم أماته فأقبره وقال ابو عبيدة أقبره أمر بان يدفن فيه وقبرته دفنته (أقدت) الرجل خيلا أعطيته خيلا يقودها و (أسقته) ابلا أعطيته ابلا يسوقها وحكى ابو عبيدة (اشفني) عسلا أي اجعله لي شفاء و (اسقني) اهابك أي اجعله لي سقاء (احلبتك) الناقة و (اعكمتك) و (احملتك) و (ابغيتك) كل هذا اذا اردت

ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقوله لقد علمتم اعتراض بين القسم وجوابه وفائدته تقرير اثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أي انكم قد علمتم هذا منا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض في القرآن كثيرا وذلك في كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية المبالغة في المعنى المقصود (ومن هذا القسم) قوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون فهذا الاعتراض بين اذا وجوابها لان تقدير الكلام واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر فاعترض بينهما بقوله تعالى والله أعلم بما ينزل وهو مبتدأ وخبر وفائدته اعلام القائلين انه مفتر أن ذلك من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك ألا ترى الى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة وفائدته أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق في حمل الولد وفصاله ايجابا للتوصية بها وتذكيرا بحقها وانما خصها بالذكر دون الاب لانها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر فقال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك (ومما جاء على هذا الاسلوب) قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤ بني اسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في اخفائه وكتمانه لان الله تعالى مظهر لذلك ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه ومما ورد من ذلك شعرا قول امرئ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

تقديره كفاني قليل من المال فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله ولم أطلب وفائدته تحقير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء وانما الذي يحتاج الى الطلب هو المجد المؤثل (وكذلك) قول جرير

ولقد أراني والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام

تقديره ولقد أراني في موكب طرف الحديث فاعترض بين المفعولين وانما جاء بهذا الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذي فاز به من عشرة أولئك الاحباب ولقد أعهدني في كذا وكذا من اللذة وذلك قد مضى وسلف وبلي جديده وكذلك كل جديد فانه الى بلى والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفا ان كان غزلا وكساه أبهة وجلالا ان كان مديحا أو ما يجري مجراه من أساليب الكلام وان كان هجاء كساه تأكيدا واثباتا كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض لو أن الباخلين رأوك فاعترض بين اسم ان وهو الباخلين وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدا والخبر الذي هو وأنت منهم (ومن محاسن ما جاء في هذا الباب) قول المضرب السعدي

فلو سألت سراة الحي سلمى * على أن قد تلون بي زماني
لخبرها ذوو أحساب قومي * وأعدائي فكل قد بلاني

وهذا

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلو سألت سراة الحى سلمى لخبرها ذوو أحساب قومى وأعدائى وفائدة قوله على أن قد تلون بى زمانى أى أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان بى يريد تنقل حالاته من خير وشر وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يعجمه ولا أبان عنه ومن ذلك قول أبى تمام

وان الغنى لى ان لحظت مطالبى * من الشعر الا فى مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان الاول بين اسم ان وخبرها تقديره وان الغنى أطوع لى من الشعر فاعترض بين الاسم والخبر بقوله ان لحظت مطالبى وأما الاعتراض الثانى فقوله الا فى مديحك فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة وموضعها التأخير فاعترض بها بين الجملة التى هى خبر ان وتقدير البيت بجملته وان الغنى أطوع لى من الشعر ان لحظت مطالبى الا فى مديحك وفائدة قوله الا فى مديحك من الاعتراض الذى اكتسب به الكلام رقة فائدة حسنة والمراد به وصف جود الممدوح بالاسراع ووصف خاطر شعره بالاسراع اذا كان فى مدحه خاصة دون غيره فهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمادح معا وهو من محاسن ما يجىء فى هذا الموضع وكذلك ورد قوله ردت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم

وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أم حقنت دمى

فقوله وخير القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل لان موضع حقنت نصب اذ هو مفعول أبالى وفائدته اثبات ما ماثل به بين ماء الوجه والدم أى ان هذا القول صدق ليس بكذب (وأما القسم الثانى) وهو الذى يأتى فى الكلام لغير فائدة فهو ضربان (الضرب الاول) يكون دخوله فى الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسنا ولا قبحا فمن ذلك قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتى * لعل زيادا لا أبالك غافل

فقوله لا أبالك من الاعتراض الذى لا فائدة فيه وليس مؤثرا فى هذا البيت حسنا ولا قبحا ومثله جاء قول زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وقد وردت هذه اللفظة وهى لا أبالك فى موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة حسنة كقول أبى تمام * عتابك عنى لا أبالك واقصدى * فانه لما كره عتابها اعترض بين الامر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم (الضرب الثانى) وهو الذى يؤثر فى الكلام نقصا وفى المعنى فسادا وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره فى باب التقديم والتأخير وانما جىء بذكره ههنا مكررا لاتمام التقسيم الاعتراضى فيما أفاد وفيما لا يفيد وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أو مثالين فمما ورد منه قول بعضهم فقد والشك بين لى عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح

فان فى هذا البيت من ردىء الاعتراض ما أذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل الذى هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الافعال ألا تراها تعد مع الفعل كالجزء منه ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه وقول الشاعر

ولقد أجمع رجلى بها * حذر الموت وانى لفرور

الا ان فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به نحو قولك قد والله كان ذلك وقد فصل فى هذا البيت أيضا بين المبتدا الذى هو الشك وبين الخبر الذى هو عناء بقوله بين لى وفصل بين الفعل الذى هو بين وبين فاعله الذى هو صرد بخبر المبتدا الذى هو عناء فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها الى مكان بعض (ومن هذا الضرب) قول

انك طلبته له وأعنته عليه فان اردت انك فعلت به ذلك قلت (بغيتك) و(حلبتك) و(عكمتك) العكم و(حلبتك) الفراء يقال (ابغنى) خادما أى ابتغه لى فاذا أراد أعنى على طلبه قال (ابغنى) بقطع الالف وكذلك (المسنى) نارا و(ألمسنى) و(احلبنى) و(أحلبنى) فقوله احلبنى يريد احلب لى اكفنى الحلب وأحلبنى أعنى عليه وكذلك (احملنى) و(أحملنى) و(اعكمنى) و(أعكمنى) فقس على هذا ما ورد عليك

﴿باب أفعلت وأفعلت بمعنيين متضادين﴾

(أشكيت) الرجل أحوجته الى الشكاية و(أشكيته) نزعت عن الامر الذى شكانى له و(أطلبت) الرجل أحوجته الى الطلب ولذلك قالوا ماء مطلب اذا بعد فأحوج الى طلبه و(أطلبته) أسعفته بما طلب و(أفزعت) القوم أحللت بهم الفزع و(أفزعتهم) اذا أحوجتهم الى الفزع و(أفزعتهم) اذا فزعوا اليك فأعنتهم و(أودعت) فلانا مالا دفعته اليه وديعة و(أودعته) قبلت وديعته (أسررت) الشئ أخفيته وأعلنته

﴿باب أفعل الشئ فى نفسه وأفعل الشئ غيره﴾

(أضاءت) النار و(أضاءت) النار غيرها قال الجعدى

أضاءت لنا النار وجها أغـ
ـر ملتبسا بالفؤاد التباسا

و(أقض) عليه المضجع و(أقض) عليه الهم المضجع و(أفدت) مالا أى استفدته و(أفدت) فلانا مالا أعطيته اياه

﴿باب فعل الشئ وفعل الشئ غيره﴾

(هجمت) على القوم و(هجمت) عليهم غيرى (وهجمت) بالمكان و(هجمت) غيرى (دلع) لسان الرجل و(دلع) الرجل لسانه

الآخر   نظرت وشخصى مطلع الشمس ظله * الى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل

أراد نظرت مطلع الشمس وشخصى ظله الى الغرب حتى عقل الشمس أى حاذاها وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدا الذى هو شخص وبين خبره الجملة وهو قوله ظله الى الغرب وأغلظ من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله بالاجنبى وهذا وأمثاله مما يفسد المعانى ويورثها الاختلال (واعلم) أن الناثر فى استعمال ذلك أكثر ملامة من الناظم وذلك أن الناظم مضطر الى اقامة ميزان الشعر وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طلب الوزن فى مثل هذه الورطات وأما الناثر فلا يضطر الى اقامة الميزان الشعرى بل يكون مجال الكلام عليه واسعا ولهذا اذا اعترض فى كلامه اعتراضا يفسده توجه عليه الانكار وحق عليه الذم ﴿النوع التاسع عشر فى الكناية والتعريض﴾ وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانبا وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما ولا حدوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه بل أوردوا لهما أمثلة من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما فى الآخر فذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمن فعل ذلك الغانمى وابن سنان الخفاجى والعسكرى فأما ابن سنان فانه ذكر فى كتابه قول امرئ القيس

فصرنا الى الحسنى ورق كلامها * ورضت فذلت صعبة أى اذلال

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة وهو مثال للتعريض ووجدت فى كتاب التذكرة لابن حمدون البغدادى وكان مشارا اليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيما فى الكتابة فوجدت فى كتابه ذلك بابا مقصورا على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيهما نظما ونثرا وهو محشو بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد أورد أيضا فى بعضه أمثلة غثة باردة وسأذكر ما عندى فى الفرق بينهما وأميز أحدهما عن الآخر ليعرف كل منهما على انفراده فأقول أما الكناية فقد حدت بحد فقيل هى اللفظ الدال على الشئ على غير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه كاللمس والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقى واللمس كناية عنه وبينهما الوصف الجامع اذ الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازى وهذا الحد فاسد لانه يجوز أن يكون حد التشبيه فان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقى بجامع بين المشبه والمشبه به وصفة من الاوصاف ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد كان ذلك لفظا دالا على غير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين زيد والاسد وذلك الوصف هو الشجاعة ومن ههنا وقع الغلط لمن أشرت اليه فى الذى ذكره فى حد الكناية وأما علماء أصول الفقه فانهم قالوا فى حد الكناية انها اللفظ المحتمل يريدون بذلك أنها اللفظ الذى يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد أيضا فانه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فافعل ما شئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه وبيان ذلك أنه يقول فى أحد معنييه انك اذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء فافعل ما شئت وأما معناه الآخر فانه يقول اذا لم تفعل فعلا يستحى منه فافعل ما شئت وهذا ليس من الكناية فى شئ فبطل اذا هذا الحد ومثال الفقيه فى قوله ان الكناية هى اللفظ المحتمل مثال من أراد أن يحد الانسان فأتى بحد الحيوان فعبر بالاعم عن الأخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال ههنا فان كل كناية لفظ محتمل وليس كل لفظ محتمل كناية (والذى عندى فى ذلك) أن الكناية اذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز وجاز حملها على الجانبين معا ألا ترى أن اللمس فى قوله تعالى أو لامستم النساء يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل

ولهذا

وروى ابن الاعرابى دلع لسانه وأدلعه (فغر) فم الرجل و(فغر) الرجل فمه (سار) الدابة و(سار) الرجل الدابة (جبرت) اليد و(جبر) الرجل اليد قال العجاج

قد جبر الدين الاله فجبر

(غاض) الماء و(غاض) الرجل الماء و(قس) فى الماء و(قسته) و(رجنت) الناقة و(رجنتها) و(نقص) الشئ و(نقصته) و(زاد) و(زدته) و(مد) النهر و(مده) نهر آخر و(هدر) دم الرجل و(هدرته) و(هبط) ثمن السلعة و(هبطته) ويقال أهبطته أيضا (ورجع) الشئ و(رجعته) و(صد) و(صددته) و(كسفت) الشمس و(كسفها) الله عز وجل (وسرحت) الماشية و(سرحتها) و(رعت) و(رعيتها) (وعفا) الشئ أى كثر و(عفوته) و(عفا) المنزل و(عفوته) الريح (وخسف) المكان و(خسفه) الله و(وفر) الشئ و(وفرته) و(ذرى) الحب و(ذرته) الريح و(رفع) البعير فى السير و(رفعته) و(نفى) الرجل و(نفيته) و(عاب) الشئ و(عبته) و(ثرم) الرجل و(ثرمه) الله و(شتر) و(شتره) الله و(سعد) و(سعده) الله و(أسعده) و(نزفت) البئر و(نزفتها) و(نشر) الشئ و(نشره) الله و(فتن) الرجل و(فتنته) و(افتتنته) و(خسأت) الكلب (فخسأ)

﴿باب فعلت وفعلت بمعنيين متضادين﴾

(بعت) الشئ اشتريته و بعته و(شريت) الشئ اشتريته و بعته (رتوت) الشئ شددته وأرخيته (خفيت) الشئ أظهرته وكتمته (شعبت) الشئ جمعته وفرقته (طلعت) على القوم أقبلت عليهم حتى يروني و(طلعت) عنهم غبت عنهم حتى لا يروني (نهلت) عطشت ورويت (مثلت) قمت ولطئت بالارض (تهجدت)

ولهذا ذهب الشافعى رحمه الله الى أن اللمس هو مصافحة الجسد الجسد فاوجب الوضوء على الرجل اذا لمس المرأة وذلك هو الحقيقة فى اللمس وذهب غيره الى أن المراد باللمس هو الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فانه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معا وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز لانه لا يجوز حمله الا على جانب المجاز خاصة ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد لا يصح الا على جانب المجاز خاصة وذلك أنا شبهنا زيدا بالاسد فى شجاعته ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى لان زيدا ليس ذلك الحيوان ذا الاربع والذنب والوبر والانياب والمخالب واذا كان الامر كذلك فحد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز والدليل على ذلك أن الكناية فى أصل الوضع أن تتكلم بشئ وتريد غيره يقال كنيت بكذا عن كذا فهى تدل على ما تكلمت به وعلى ما أردته من غيره وعلى هذا فلا تخلو اما أن تكون فى لفظ تجاذبه جانبا حقيقة ومجاز أو فى لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز أو فى لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة وليس لنا قسم رابع ولا يصح أن تكون فى لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة لان ذلك هو اللفظ المشترك واذا أطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهما غير مفهوم واذا أضيف اليه القرينة صار مختصا بشئ بعينه والكناية أن تتكلم بشئ وتريد غيره وذلك مخالف للفظ المشترك اذا أضيف اليه القرينة لانه يختص بشئ واحد بعينه لا يتعداه الى غيره وكذلك لا يصح أن تكون الكناية فى لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز لان المجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها لانه فرع عليها وذلك اللفظ الدال على المجازين اما أن يكون للحقيقة شركة فى الدلالة عليه أولا يكون لها شركة فان كان لها شركة فى الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة وهذا مخالف لاصل الوضع لان أصل الوضع أن تتكلم بشئ وأنت تريد غيره وههنا تكون قد تكلمت بشئ وأنت تريد شيئين غيره وان لم يكن للحقيقة شركة فى الدلالة كان ذلك مخالفا للوضع أيضا لان أصل الوضع أن تتكلم بشئ وأنت تريد غيره فيكون الذى تكلمت به دالا على ما تكلمت به وعلى غيره واذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة فى الدلالة لم يكن الذى تكلمت به دالا على ما تكلمت به وهذا محال فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا الكلام فى حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لاحد فيه قول سابق (واعلم) أن الكناية مشتقة من الستر يقال كنيت الشئ اذا سترته وأجرى هذا الحكم فى الالفاظ التى يستر فيها المجاز بالحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا ألا ترى الى قوله تعالى أو لامستم النساء فانه ان حمل على الجماع كان كناية لانه ستر الجماع بلفظ اللمس الذى حقيقته مصافحة الجسد الجسد وان حمل على الملامسة التى هى مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما يتم به المعنى وقد تأولت الكناية بغير هذا وهى أنها مأخوذة من الكنية التى يقال فيها أبو فلان فانا اذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فان شئنا ناديناه بهذا وان شئنا ناديناه بهذا وكلاهما واقع عليه وكذلك يجرى الحكم فى الكناية فانا اذا شئنا حملناها على جانب المجاز واذا شئنا حملناها على الحقيقة الا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ألا ترى الى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكنى بذلك عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ولولا ذلك لقيل فى مثل هذا الموضع ان أخى له تسع وتسعون كبشا ولى كبش واحد وقيل هذه كناية عن النساء ومن أجل ذلك

صليت بالليل وغت وقال بعضهم تهجدت وسهرت وهجدت غت قال لبيد * قال هجدنا فقد طال السرى * أى نومنا (ظننت) تيقنت وشككت (لقمت) كتبت ومحوت

﴿باب أفعلته ففعل﴾

تقول (أدخلته) فدخل و (أخرجته) فخرج و (أجلسته) فجلس و (أفزعته) ففزع و (أخفته) فخاف و (أجلته) فجال و (أجأته) فجاء و (أمكثته) فمكث هذا القياس وقد جاء نفى فى هذا انفعل وافتعل قال الكميت

* ولا يدفى حميت السكن تندخل *

وقال آخر

وأبى الذى ورد الكلاب مسوما
بالخيل تحت عجاجها المنجال

والقياس تدخل والجائل وقالوا (أحرقته) فاحترق (وأطلقته) فانطلق و (أقحمته) فانقحم ويقال (محوته) فامحى ولا يقال امتحى وقد يجىء الشئ على فعلته فيشرك أفعلته تقول (فرحته) و (أفرحته) ففرح و (غرمته) و (أغرمته) فغرم و (فزعته) و (أفزعته) ففزع و (قلاهم) الله و (أقلاهم) فقلوا وقد كان بعضهم يفرق بين أقل وأكثر وبين قلل وكثر وبين نزل وأنزل (وقد جاء) فعلته فأفعل وهو قليل قالوا (فطرته) فأفطر و (بشرته) فأبشر

﴿باب فعلته فانفعل وافتعل﴾

يقال (كسرته) فانكسر و (خسرته) فانخسر و (حطمته) فانحطم و (صرفته) فانصرف (ومنه ما يأتى) على افتعل قالوا (عزلته) فاعتزل و (رددته) فارتد و (عددته) فاعتد و (كلته) فاكتال و (منه) ما جاء فيه هذان جميعا قالوا (شويته) فانشوى واشتوى هذا قول سيبويه وقال غيره لا يقال اشتوى لان المشتوى الشاوى واشتوى فعله وقالوا

(غممته) فاغتم و (انغم) قال سيبويه وليس هذا مطردا فى كل شئ تقول (طردته) فذهب ولا تقول فانطرد ولا اطرد وتقول (كسرته) فتكسر و (عشيته) فتعشى و (غديته) فتغدى

﴿باب فعلت وأفعلت غيرى﴾

(بركت) الابل و (أبركتها) و (ربضت) الغنم و (أربضتها) و (سامت) الابل و (أسمتها) و (كمنت) و (أكمنت) غيرى و (ونيت) فى الامر و (أونيت) غيرى (خضت) الماء و (أخضته) دابتى (تلد) المال و (اتلدته) أنا (ثأى) الخرز و (أثأيته) و (ثبت) الموضع و (أثبت) دابتى (رهن) لى الشئ أى قام و (أرهنته) لك (خنعت) للشئ و (أخنعتنى) الحاجة و (قرت) الدابة وأنا أوقرتها و (رهصت) وأنا أرهصتها و (ثقبت) النار وأنا أثقبتها (راع) الطعام وأرعته

﴿باب أفعل الشئ وفعلته أنا﴾

(أقشع الغيم) و (قشعته) الريح وكذلك (أقشع) القوم اذا تفرقوا و (أنسل) ريش الطائر ووبر البعير اذا سقط و (نسلته) أنا نسلا و (أنزفت) البئر اذا ذهب ماؤها و (نزفتها) أنا (ومرت) الناقة اذا در لبنها و (مريتها) أنا بالمسح و (أشنق) البعير اذا رفع رأسه و (شنقته) أنا (مددته) بالزمام حتى رفع رأسه و (أكب) على وجهه قال الله تعالى فكبت وجوههم فى النار

﴿معانى ابنية الافعال﴾

﴿باب فعلت ومواضعها (بتشديد العين)﴾

(تأتى فعلت بمعنى أفعلت) كقولك خبرت وأخبرت وسميت وأسميت وبكرت وأبكرت وكذبت وأكذبت وكان الكسائى يفرق بينهما وكذلك قللت وأقللت وكثرت وأكثرت (وتدخل فعلت على

فالبيت

لم يلتفت الى تأويل من تأول قوله تعالى وثيابك فطهر أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية لانه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا ﴿فان قيل﴾ فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنيت الشئ اذا سترته ومن الكنية ﴿قلت﴾ فى الجواب أما اشتقاقها من كنيت الشئ اذا سترته فان المستور فيها هو المجاز لان الحقيقة تفهم أولا ويتسارع الفهم اليها قبل المجاز لان دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية وأما المجاز فانه يفهم منه بعد فهم الحقيقة وانما يفهم بالنظر والفكرة ولهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى وهو مستور بالحقيقة ألا ترى الى قوله تعالى أو لامستم النساء فان الفهم يتسارع فيه الى الحقيقة التى هى مصافحة الجسد الجسد وأما المجاز الذى هو الجماع فانه يفهم بالنظر والفكر ويحتاج الذاهب اليه الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وأما اشتقاقها من الكنية فلان محمدا فى هذه الصورة المذكورة هو حقيقة هذا الرجل أى الاسم الموضوع بازائه أولا وأما أبو عبد الله فانه طارئ عليه بعد محمد لانه لم يكن له الا بعد أن صار له ولد اسمه عبد الله وكذلك الكناية فان الحقيقة لها هو الاسم الموضوع بازائها أولا فى أصل الوضع وأما المجاز فانه طارئ عليها بعد ذلك لانه فرع والفرع انما يكون بعد الاصل وانما يعمد الى ذلك الفرع للمناسبة الجامعة بينه وبين الاصل على ما تقدم الكلام فيه وهذا القدر كاف فى الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار اليهما (فان قيل) انك قد ذكرت أقسام المجاز فى باب الاستعارة التى قدمت ذكرها فى كتابك هذا وحصرتها فى أقسام ثلاثة وهى التوسع فى الكلام والاستعارة والتشبيه وتراك قد ذكرت الكناية فى المجاز أيضا فهل هى قسم رابع لتلك الاقسام الثلاثة أم هى من جملتها فان كانت قسما رابعا فذلك نقض للحصر الذى حصرته وان كانت من جملتها فقد أعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا المكرر لا حاجة اليه ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنى أقول أما الحصر الذى حصرته فى باب الاستعارة فهو ذاك ولا زيادة عليه وأما الكناية فانها جزء من الاستعارة ولا تأتى الا على حكم الاستعارة خاصة لان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وكذلك الكناية فانها لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه ونسبتها الى الاستعارة نسبة خاص الى عام فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية ويفرق بينهما من وجه آخر وهو أن الاستعارة لفظها صريح والصريح هو ما دل عليه ظاهر لفظه والكناية ضد الصريح لانها عدول عن ظاهر اللفظ وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم والآخر الصريح والآخر الحمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد تقدم القول فى باب الاستعارة أنها جزء من المجاز وعلى ذلك فتكون نسبة الكناية الى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص وكان ينبغى أن نذكر الكناية عند ذكر الاستعارة فى النوع الاول من هذه الانواع المذكورة فى المقالة الثانية وانما أفردتها بالذكر ههنا من أجل التعريض لان من العادة أن يذكرا جميعا فى مكان واحد وقد يأتى فى الكلام ما يجوز أن يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه بمفرده والنظر الى ما بعده كقول نصر بن سيار فى أبياته المشهورة التى يحرض بها بنى أمية عند خروج أبى مسلم

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالزندين تورى * وان الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان هبوا فذاك بقاء ملك * وان رقدوا فانى لا ألام

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية لانه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى وميض جمر فى خلل الرماد وأنه سيضطرم وأما المجاز فانه أراد أن هنالك ابتداء شر كامن ومثله بوميض جمر من خلل الرماد واذا نظرنا الى الابيات جملتها اختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا ما يرد مثل ذلك ويشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة على أنه لا يشكل الا على غير العارف (وأما التعريض) فهو اللفظ الدال على الشئ من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى فانك اذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب والله انى لمحتاج وليس فى يدى شئ وأنا عريان والبرد قد آذانى فان هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا فى مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا انما دل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللمس على الجماع وعليه ورد التعريض فى خطبة النكاح كقولك لمرأة انك لخاطبة وانى لعزب فان هذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض أخفى من الكناية لان دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى وانما سمى التعريض تعريضا لان المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانبه وعرض كل شئ جانبه (واعلم) أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتى على هذا تارة وعلى هذا أخرى وأما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتى فى اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج فى الدلالة عليه الى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرئ القيس الذى ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتعريض فان غرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لم يذكره بل ذكر كلاما آخر يفهم الجماع من عرضه لان المصير الى الحسناء ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراده امرؤ القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا وهذا لا خفاء به فاعرفه وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا أحدهما عن الآخر فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ولنبدأ أولا بالكناية فنقول (اعلم) أن الكناية تنقسم قسمين أحدهما ما يحسن استعماله والآخر ما لا يحسن استعماله وهو عيب فى الكلام فاحش وقد ذهب قوم الى أن الكناية تنقسم أقساما ثلاثة تمثيلا وارداف ومجاورة (فأما التمثيل) فهو أن تراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك مثالا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه كقولهم فلان نقى الثوب أى منزه من العيوب (وأما الارداف) فهو أن تراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك ردافا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ولازما له كقولهم فلان طويل النجاد أى طويل القامة فطول النجاد رادف لطول القامة ولازم له بخلاف نقاء الثوب فى الكناية عن النزاهة من العيوب لان نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة (وأما المجاورة) فهى أن تريد ذكر الشئ فتتركه الى ما جاوره كقول عنترة

بزجاجة صفراء ذات أسرة * قرنت بأزهر فى الشمال مفدم

يريد بالزجاجة الخمر فذكر الزجاجة وكنى بها عن الخمر لانها مجاورة لها وهذا التقسيم غير صحيح لان من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم الاصل كقولنا الحيوان ينقسم أقساما منها الانسان وحقيقته كذا وكذا ومنها الاسد وحقيقته كذا وكذا ومنها الفرس وحقيقته كذا وكذا ومنها غير ذلك وههنا لم يكن التقسيم كذلك فان التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية لان الكناية انما هى أن تراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر

افعلت اذا أردت تكثير العمل والمبالغة) تقول أجدت وجودت وأغلقت الابواب وغلقت وأقفلت وقفلت (وتدخل فعلت على فعلت اذا أردت كثرة العمل) فتقول قطعته باثنين وقطعته آرابا وكذلك كسرته وكسرته وجرحته وجرحته اذا أكثرت الجراحات فى جسده وتجولت فى البلاد وطوفت اذا أردت كثرة التطواف والجولان فيها فاذا لم ترد الكثرة قلت جلت وطفت قال الله عز وجل جنات عدن مفتحة لهم الابواب وقال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقال الفرزدق

مازلت أفتح أبوابا وأغلقها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فجاء به مخففا وهى جماعة أبواب وهو جائز الا ان التشديد كان أحسن وأشبه بالمعنى (وتأتى فعلت مضادة لافعلت) نحو أفرطت جزت المقدار وفرطت قصرت وأعذرت فى طلب الشئ بالغت وعذرت قصرت وأقذيت العين ألقيت فيها القذى وقذيتها انظفتها من القذى وأمرضته فعلت به فعلا مرض منه ومرضته قمت عليه فى مرضه (وتأتى فعلت لا يراد بها التكثير) نحو كلمته وعلمته وغديته وعشيته وصبحت القوم أتيتهم صباحا (وتأتى فعلت مخالفة لفعلت) نحو غيبت الحديث نقلته على جهة الاصلاح وغبته نقلته على جهة الافساد وجاب القميص قور جيبه وجيبه جعل له جيبا (وتأتى فعلت للشئ ترمى به الرجل) نحو شجعته وجبنته وسرقته وخطأته وضللته وظلمته وفسقته وفجرته وزنيته وكفرته اذا رميته بذلك ومما يشبه هذا قولهم حييته ولبيته ورعيته وسقيته اذا قلت له حياك الله وسقاك الله الغيث ورعاك ومثل هذا جنته وجدعته وعقرته اذا قلت له جدعا وعقرا وأففت به اذا قلت له أف

ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ألا ترى الى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فانه أراد الاشارة الى النساء فوضع لفظ المعنى آخر وهو النعاج ثم مثل به النساء وهكذا يجرى الحكم فى جميع ما يأتى من الكنايات لكن منها ما يتضح التمثيل فيه وتكون الشبهية بين الكناية والمكنى عنه شديدة المناسبة ومنه ما يكون دون ذلك فى الشبهية وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه فوجدت الكناية اذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهية واذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة فى قوة المناسبة والمشابهة ألا ترى الى قولهم فلان نقى الثوب وقولهم اللمس كناية عن الجماع فان نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبها الا انا اذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة واذا قلنا اللمس كالجماع لم يكن بتلك الدرجة فى قوة المشابهة وهذا الذى ذكر فى أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير سائغ ولا وارد بل الكناية كلها هى ذلك والذى قدمته من القول فيها هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيرى كذلك (وأما الارداف) فانه ضرب من اللفظ المركب الا أنه اختص بصفة تخصه وهى أن تكون الكناية دليلا على المكنى عنه ولازمة له بخلاف غيرها من الكنايات ألا ترى أن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له وكذلك يقال فلان عظيم الرماد أى كثير اطعام الطعام وعليه ورد قول الاعرابية فى حديث أم زرع فى وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك وغرض الاعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم الا أنها لم تذكر ذلك بلفظه الصريح وانما ذكرته من طريق الكناية على وجه الارداف الذى هو لازم له ✻ وكذلك ورد فى الاخبار النبوية أيضا وذلك أن امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ثم قال خذى فرصة من مسك فتطهرى بها قالت كيف أتطهر بها فقال تطهرى بها قالت كيف أتطهر بها قال سبحان الله تطهرى بها فاجتذبتها عائشة رضى الله عنها اليها وقالت تتبعى بها أثر الدم فقولها أثر الدم كناية عن الفرج على طريق الارداف لان أثر الدم فى الحيض لا يكون الا فى الفرج فهو رادف له ومما ورد من ذلك شعرا قول عمر بن أبى ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ✻ أبوها واما عبد شمس وهاشم

فان بعد مهوى القرط دليل على طول العنق ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما يأتى بلفظة مثل كقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبيح مثلى لا يفعل هذا أى أنا لا أفعله فنفى ذلك عن مثله ويريد نفيه عن نفسه لانه اذا نفاه عمن يماثله ويشابهه فقد نفاه عن نفسه لا محالة اذ هو بنفى ذلك عنه أجدر وكذلك يقال مثلك اذا سئل أعطى أى أنت اذا سئلت أعطيت وسبب ورود هذه اللفظة فى هذا الموضع أنه يجعل من جماعة هذه أوصافهم تثبيتا للامر وتوكيدا ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرس فيه قدمه وهذا مثل قول القائل اذا كان فى مدح انسان أنت من القوم الكرام أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلا فيه وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير والفرق بين قوله ليس كمثله شئ وبين قوله ليس كالله شئ هو ما أشرت اليه وان كان الله سبحانه وتعالى لا مثل له حتى يكون لمثله مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصد المبالغة وقد يأتى هذا الموضع بغير لفظة مثل وهى مقصودة كقولك للعربى العرب لا تخفر الذمم أى أنت لا تخفر الذمم وهذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذمم لما أشرت اليه وعلى نحو من هذا جاء قول أبى الطيب المتنبى

ألست

وقد تدخل أفعلت عليها بمعنى على فعلت فى هذا المعنى لانهما يشتركان كما دخلت فعلت مشددا الا ان ذلك قليل قالوا سقيته وأسقيته قلت له سقيا قال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتى ✻ فما زلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه ✻ تكلمنى أحجاره وملاعبه

(وتجىء أفعلت بمعنى فعلت) نحو شغلته وأشغلته ومحضته الود وأمحضته وجددت فى الامر وأجددت (وتجىء أفعلت مخالفة لفعلت) نحو أجبرت فلانا على الامر وجبرت العظم (وأنشدت) الضالة عرفتها (ونشدتها) طلبتها (وتجىء أفعلت مضادة لفعلت) نحو (نشطت) العقدة عقدتها بأنشوطة (وأنشطتها) حللتها (وتربت) يداك افتقرت (وأتربت) استغنت (وأخفيت) الشئ سترته (وخفيته) أظهرته (وتجىء أفعلت الشئ عرضته للفعل) نحو (أقتلت) الرجل عرضته للقتل و (أبعت) الشئ عرضته للبيع (وتجىء أفعلت الشئ وجدته كذلك) نحو (أحمدت) الرجل وجدته محمودا وأذممته وأبخلته وأجبنته وأحمقته كذلك (ويجىء أفعل الشئ حان منه ذلك) نحو (أركب) المهر (وأحصد) الزرع (وأقطف) الكرم أى حان أن يركب وأن يحصد وأن يقطف (ويجىء أفعل الشئ صار كذلك وأصابه ذلك) نحو (أجرب) الرجل و (أهزل) اذا أصاب ماله الجرب والهزال (وأرغد) صار فى رغد من العيش ويجىء (أفعل) الشئ أتى بذلك نحو (أذم) الرجل أتى ما يذم عليه و (ألام) أتى بما يلام عليه (وأخس) أتى بخسيس من الفعل (ويجىء أفعلت الشئ جعلت له ذلك) نحو (أقبرت) الرجل جعلت له قبرا يدفن فيه

(وأحلبت) الرجل جعلت له ما يحلبه و (أركبته) جعلت له ما يركبه و (أرعى) الله الماشية أنبت لها ما ترعاه

ألست من القوم الذي من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل

(واذا فرغت) من ذكر الاصول التي قدمت ذكرها فاني أتبعها بضرب الامثلة نثرا ونظما حتى يزداد ما ذكرته وضوحا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن الكريم نحو قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله فأما جعل الغيبة كأكل الانسان لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا لان الغيبة انما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لان أكل اللحم تمزيق على الحقيقة وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة لان العقل والشرع مجتمعان على استكراهها آمران بتركها والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر الا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة وأما جعل اللحم ميتا فمن أجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل الى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها لانك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التي أشرنا اليها وجدتها مناسبة لما قصدت له (وكذلك) ورد قوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها والارض التي لم تطؤها كناية عن مناكح النساء وذلك من حسن الكناية ونادره (وكذلك) ورد قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فانه كنى بالماء عن العلم وبالاودية عن القلوب وبالزبد عن الضلال وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه الموسوم باحياء علوم الدين وفي كتابه الموسوم بالجواهر والاربعين وأشار بها الى أن في القرآن الكريم اشارات وايماآت لا تنكشف الا بعد الموت وهذا يدل على أن الغزالي رحمه الله يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات الذي لفظها يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز (وقد رأيت جماعة) من أئمة الفقه لا يحققون أمر الكناية واذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز وليس الامر كذلك وبينهما وصف جامع كهذه الآية وما جرى مجراها فانه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز حمل الاودية على مهابط الارض وعلى القلوب وهكذا يجوز حمل الزبد على الغثاء الرابي الذي تقذفه السيول وعلى الضلال وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمله على الطرفين معا سوى الكناية (وبلغني عن الفراء النحوي) أنه ذكر في تفسيره آية وزعم أنها كناية وهي قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فقال ان الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الآيات وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية لان الكناية لا تكون الا فيما جاز حمله عن جانبي المجاز والحقيقة والجبال ههنا لا يصح بها المعنى الا اذا حملت على جانب المجاز خاصة لان مكر أولئك لم يكن لتزول منه جبال الارض فان ذلك محال (وأما ما ورد منها في الاخبار النبوية) فقول النبي صلى الله عليه وسلم انه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا وكان لها ابن عم يحبها فراودها على نفسها فامتنعت عليه حتى اذا أصابتها شدة فجاءت اليه تسأله فراودها فمكنته من نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فقام عنها وتركها وهذه كناية واقعة في موقعها

﴿باب فاعلت ومواضعها﴾

(تأتي فاعلت بمعنى فعلت وأفعلت) كقولك قاتلهم الله أي قتلهم الله وعافاك الله أي أعفاك وعاقبت فلانا وداينت الرجل اذا أعطيته الدين بمعنى أدنته وشارفت بمعنى أشرفت وباعدته بمعنى أبعدته وجاوزته بمعنى جزته وعاليت رحلي على الناقة أي أعليت (وتأتي فاعلت من واحد بغير معنى فعلت وأفعلت) تقول سافرت وظاهرت وناولت وضاعفت (وتأتي فاعلت من اثنين) وأكثر ما تكون كذلك نحو قاتلته وخاصمته ونافرته وسابقته وصارعته وضاربته وهذا كثير (وتأتي فاعلت وفعلت بمعنى واحد) قالوا ضاعفت وضعفت وبعدت وباعدت ونعمت وناعمت ويقال امرأة منعمة ومناعمة

﴿باب تفاعلت ومواضعها﴾

(تأتي تفاعلت من اثنين بمعنى افتعلت) تقول (تضاربنا) بمعنى أضربنا و (تقاتلنا) بمعنى اقتتلنا و (تجاوزنا) بمعنى اجتوزنا و (تلاقينا) بمعنى التقينا و (تخاصمنا) و (اختصمنا) و (ترامينا) و (ارتمينا) (وتأتي تفاعلت من واحد كما جاءت فاعلت من واحد) تقول (تقاضيته) و (تراءيت) له و (تماريت) في ذلك و (تعاطيت) منه أمرا قبيحا و (تأتي تفاعلت بمعنى اظهارك ما لست عليه) نحو (تغافلت) و (تجاهلت) و (تعاميت) و (تعاشيت) و (تعارجت) و (تعاقلت) و (تخازرت) قال الشاعر * اذا تخازرت وما بي من خزر * فقوله ما بي من خزر يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق

(ومن ذلك) أيضا قول النبى صلى الله عليه وسلم رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكنى عنهن بالقوارير وذلك أنه كان فى بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه كناية لطيفة (وكذلك) ورد حديث الحديبية وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الركية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهى الناقة التى وضعت وقوى ولدها وهذا يجوز حمله على طريق الحقيقة كما جاز حمله على طريق المجاز أى معهم الاموال من الابل وهى كانت جل أموال العرب أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها ولما جاز حمل العوذ المطافيل على النساء والصبيان وعلى الاموال كان من باب الكناية (ومن ذلك) ما ورد فى اقامة الحد على الزانى وهو أن يشهد عليه برؤية الميل فى المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج فى الفرج (ومن لطايف الكناية) أن امرأة جاءت الى عائشة رضى الله عنها فقالت لها أقيد جملى فقالت عائشة رضى الله عنها لا أرادت المرأة أنها تصنع لزوجها شيأ يمنعه عن غيرها أى تربطه أن يأتى غيرها فظاهر هذا اللفظ هو تقييد الجمل وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة منها (وكذلك) يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة (ويروى) أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فمكثت المرأة عنده ثلاث ليال لم يدن منها وانما كان ملتفتا الى صلاته فدخل عليها عمرو بعد ثلاث فقال كيف ترين بعلك فقالت نعم البعل الا أنه لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا من الكناية الغراء الظاهرة (ومن ألطف ما بلغنى فى هذا) قول عبد الله بن سلام فانه رأى على رجل ثوبا معصفرا فقال لو أن ثوبك فى تنور أهلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فأحرقه نظرا الى حقيقة قول عبد الله وظاهره فهو مما وان أراد المجاز منه وهو انك لو صرفت ثمنه الى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقى فمضى فأحرق ثوبه ومراد عبد الله غيره (ومن هذا القسم ما ورد فى أمثال العرب) كقولهم اياك وعقيلة الملح وذلك كناية عن المرأة الحسناء فى منبت السوء فان عقيلة الملح هى اللؤلؤة تكون فى البحر فهى حسنة وموضعها ملح وكذلك قولهم لبس له جلد النمر كناية عن العداوة وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الاسد ولبس له جلد الذئب ولبس له جلد الارقم لان هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر اذ العداوة محتملة فى الجميع وكذلك قولهم قلب له ظهر المجن كناية عن تغيير المودة (ومما ورد فى ذلك شعرا) قول أبى نواس

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهذه له حكاية وهو أنه كان لابى نواس صديقة تغشاه فقيل له انها تختلف الى آخر من أهل الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوما من الايام فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ثم ان ذلك الرجل جاءه وكان صديقا له فكلمه فصرف وجهه عنه ثم نظم قصيدته المشهورة التى مطلعها

* أيها المنتاب عن عفره * وهذا البيت من جملة أبياتها (وكذلك) ورد قوله أيضا

وناظرة الى من النقاب * تلاحظنى بطرف مستراب
كشفت قناعها فاذا عجوز * مموهة المفارق بالخضاب

(تأتى تفعلت بمعنى ادخالك نفسك فى أمر حتى تضاف اليه أو تصير من أهله) نحو (تشجعت) و (تجلدت) و (تبصرت) و (تمرأت) أى صرت ذا مروءة و (تخشعت) و (تنبلت) و (تدهقنت) أى تشبهت بالدهاقين و (تحلمت) قال حاتم

تحلم عن الادنين واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

و (تقيست) و (تنزرت) و (تمعربت) قال الراجز

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

وليس تفعلت فى هذا بمنزلة تفاعلت ألا ترى انك تقول تحالمت فالمعنى انك أظهرت الحلم ولست كذلك وتقول تحلمت فالمعنى انك التمست ان تصير حليما (وتأتى تفاعلت وتفعلت بمعنى) تقول (تعطيت) و (تعاطيت) و (تجوزت) عنه و (تجاوزت) و (تذأبت) الريح و (تذاءبت) أى جاءت مرة من ههنا ومرة من ههنا قالوا وأصله من الذئب اذا حذر من وجه جاء من وجه آخر و (تكأدنى) الشئ و (تكاءدنى) أى شق على وهو من العقبة الكؤد (وتأتى تفعلت للشئ تأخذ منه الشئ بعد الشئ) نحو قولك (تفهمت) و (تبصرت) و (تأملت) و (تبينت) و (تثبت) و (تجرعت) و (تحسيت) و (تفوقت) و (تعرقته) الايام و (تنقصته) و (تخونته) و (تخوفته) وكله بمعنى تنقصته و (تسمعت) و (تحفظت) و (تدخلت) و (تقعدت) عن الامر و (تعهدت) فلانا و (تنجزت) حوائجى فهذا كله ليس عمل وقت واحد لكنه عمل شئ بعد شئ فى مهلة وكذلك (تحسست) و (تجسست) و (تدسست) و (تمززت الشراب

فما

فمازالت تحمسنى طويلا * وتأخذ فى أحاديث التصابى

تحاول أن يقوم أبوزياد * ودون قيامه شيب الغراب

أتت بجرابها تكتال فيه * فقامت وهى فارغة الجراب

فقوله أتت بجرابها تكتال فيه من باب الكناية اذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكذلك الكيل أيضا (ومما جاء من هذا الباب) قول أبى تمام فى قصيدته التى يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها * أرض مصردة وأرض مثجم

مالى رأيت ترابكم يبس الثرى * مالى أرى أطوادكم تتهدم

فيبس الثرى كناية عن تنكر ذات البين تقول يبس الثرى بينى وبين فلان اذا تنكر الود الذى بينك وبينه وكذلك تهدم الاطواد فانه كناية عن خفة الحلوم وطيش العقول ومن الكناية الحسنة قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته التى يعاتب فيها سيف الدولة بن حمدان التى مطلعها * واحر قلباه ممن قلبه شبم *

وشر ما قنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم

يشير بذلك الى أن سيف الدولة يستوى فى المنال منه هو وغيره فهو البازى وغيره الرخمة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعلى هذا ورد قول الأقيس الاسدى وكان عنينا لا يأتى النساء وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه فجاس اليه يوما رجل من قيس فانشده الاقيس

ولقد أروح بمشرف ذى ميعة * عسر المكرة ماؤه يتقصد

مرح يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدد

ثم قال له أتبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت تركبه لو رأيته قال اى والله وأثنى عطفه فكشف له عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب الرجل عن مكانه وقال قبحك الله من جليس سائر اليوم (وكذلك أيضا يحكى) أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم ذلك قال

انه قد رام منى خطة * لم يرمها قبله منى أحد

قال ماهى قال

راح جهلا بى وجهلا بأبى * يدخل الافعى على حبس الاسد

قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيأ لم أنكره عليك (ومن ألطف ما سمعته فى هذا الباب) قول أبى نواس فى الهجاء

اذا ما كنت جار أبى حسين * فنم ويداك فى طرف السلاح

فان له نساء سارقات * اذا ما بتن أطراف الرماح

سرقن وقد نزلت عليه ايرى * فلم أظفر به حتى الصباح

فجاء وقد تخدش جانباه * يئن الى من ألم الجراح

فتعبيره عن العضو المشار اليه بأطراف الرماح تعبير فى غاية اللطافة والحسن (وقد أدخل فى باب الكناية) ما ليس منه كقول نصيب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا يروى عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة فان الكناية هى ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز وههنا لا يصح

﴿باب استفعلت ومواضعها﴾ وقد تدخل استفعلت على بعض حروف تفعلت قالوا (تعظم) و(استعظم) وتكبر و(استكبر) وتيقن و(استيقن) و(تثبت) و(استثبت) وتنجز حوائجه و(استنجز) و(تأتى استفعلت بمعنى سألته ذلك) تقول (استوهبته) كذا أى سألته هبته لى و(استعطيته) سألته العطية و(استعتبته) سألته العتبى و(استعفيته) سألته الاعفاء و(استفهمته) سألته الافهام و(استخبرته) سألته أن يخبرنى و(استخرجته) سألته أن يخرج أو يخرج ما عنده وكذلك (استنزلته) و(استثمرته) و(استخففته) أى طلبت خفته و(استعملته) طلبت اليه العمل و(استعجلته) طلبت منه عجلته (وتأتى استفعلت بمعنى وجدته كذلك) تقول (استجدته) أى أصبته جيدا و(استكرمته) و(استعظمته) و(استسمنته) و(استخففته) و(استثقلته) اذا أصبته كذلك (وتأتى استفعلت بمعنى فعلت وأفعلت) تقول (استقر) فى مكانه كقولك قر وعلا قرنه و(استعلاه) و(استخلف) لاهله وأخلف أى استقى (وتأتى استفعلت بمعنى التحول من حال الى حال) كقولهم (استنوق) الجمل و(استتيست) الشاة و(استنسر) البغاث و(استضرب) العسل أى صار ضربا بمحرك الراء

﴿باب افتعلت ومواضعها﴾

(تأتى افتعلت بمعنى اتخذت ذلك) تقول (اشتويت) أى اتخذت شواء وشويت أنضجت وكذلك (اختبزت) وخبزت و(اطبخت) وطبخت و(اذبحت) وذبحت فذبحت قتلت وأذبحت اتخذت ذبيحة وحبسته كقولك ضبطته و(احتبسته) اتخذته حبيسا (وأما كسب) فمعناه أصاب و(اكتسب) فمعناه تصرف

وطلب والاعتمال بمنزل الاضطراب (ويأتي افتعل لا يراد به شيء من هذا) وذلك (افتقر) و (اشتد) وقلع و (اقتلع) وجذب و (اجتذب) وقرأت و (اقترأت) و (تأتي افتعلت بمعنى تفاعلت من اثنين) نحو (اقتتلنا) بمنزلة تقاتلنا و (اجتوزنا) بمنزلة تجاوزنا

﴿باب أفعوعلت وأشباهها وما يتعدى من الافعال وما لا يتعدى﴾

(تأتي أفعوعلت بمعنى المبالغة والتوكيد) تقول (أعشبت الارض) فاذا أردت أن تجعل ذلك كثيرا عاما قلت (أعشوشبت) وكذلك حلا (واحلولى) وخشن و (اخشوشن) وهو يتعدى قال الشاعر

فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دما ثايرودها

وقالوا (أعروريت) الفلو أي ركبته عريا واعروريت مني أمرا قبيحا أي ركبته (وافعوّل يتعدى) تقول (اعلوّطه) و (فعللت يتعدى) قالوا صعررته فتصعرر وأنشد

* سود كحب الفلفل المصعرر *

و (دحرجته) و (جلببته) وفوعلت نحو (صومعته) و (ما كان على فعلت) فانه لا يتعدى الى مفعول لا تقول (فعلته) نحو (مكث) و (كرم) و (عظم) و (ظرف) ولا يقال (طلته) لانه فعلت وأما قولهم قلته فان أصلها معتلة من فعلت حوّلت اليها ليغير واحركة الفاء عن حالها ولو لم تعتل فلو لم يحوّلوها وجعلوها تعتل من فعلت نحو قولت لكانت ألفا (وما كان على انفعلت فانه لا يتعدى الى مفعول) لا تقول (انفعلته) نحو (انطلقت) و (انكمشت) و (انحدرت) و (انسلكت) وما كان على (افعللت وافعاللت فانه لا يتعدى) نحو (احمررت) و (احماررت) و (اشهببت) و (اشهاببت)

ذلك ولا يستقيم لان الثناء للحقائب لا يكون الا مجازا وهذا من باب التشبيه المضمر الاداة الخارج عن الكناية والمراد به أن في الحقائب من عطاياك ما يعرب عن الثناء لو سكت أصحابها عنه (وأما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية) فانه لا يحسن استعماله لانه عيب في الكلام فاحش وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه (فمما جاء منه) قول الشريف الرضي يرثي امرأة

ان لم تكن نصلا فغمد نصال * وفي هذا من سوء الكناية ما لا خفاء

به فان الوهم يسبق في هذا الموضع الى ما يقبح ذكره وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق فمسخه وشوه صورته فان الفرزدق رثى امرأته فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث اليه البواكيا

وفي جوفه في دارم ذو حفيظة * لو أن المنايا أمهلته لياليا

وهذا حسن بديع في معناه وما كنى عن امرأة ماتت بجمع أحسن من هذه الكناية ولا أفخم شأنا فجاء الشريف الرضي فأخذ معناها وفعل به ما ترى وليس كل من تصرف في المعاني أحسن في تصريفها وأبقى هذه الرموز في تأليفها وقد عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبي فاحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الكناية فاخطأ حيث قال

اني على شغفي بما في خمرها * لأعف عما في سراويلاتها

وهذه كناية عن النزاهة والعفة الا أن الفجور أحسن منها وقد أخذ الشريف الرضي هذا المعنى فأبرزه في أجمل صورة حيث قال

أحن الى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما في ضمان المآزر

وأمثال هذا كثير وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع (وأما التعريض) فقد سبق الاعلام به وعرفناك الفرق بينه وبين الكناية (فمما جاء منه) قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وغرض ابراهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لانه قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء وهذا من رموز الكلام والقول فيه أن قصد ابراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا غير ما أشرت اليه وهو أن كبير الاصنام غضب أن تعبد معه هذه الاصنام الصغار فكسرها وغرض ابراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع الله تعالى من هو دونه فان من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل احالة القول الى كبير الاصنام مثالا لما أراده (ومن هذا القسم) أيضا قوله تعالى قال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فقوله ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملا وموازيهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلتك لثلاث لو لم تكن الا واحدة منهن لاوجبت عزلك احداهن أني أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفي منه والثانية كراهتك أمر زياد والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال له مروان أما عبد الله بن عامر فاني لا أنتصر منه في سلطاني ولكن اذا تساوت الاقدام علم أين موضعه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية

كرهوه

كرهوه وأما استعداء رملة على عمر بن عثمان والله انه لتأتى على سنة وأكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يريد بذلك أن رملة بنت معاوية انما استعدت لطلب الجماع فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان هو ذاك وهذا من التعريضات اللطيفة ﴿ومثله فى اللطافة﴾ ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه كان يخطب يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال عمر أية ساعة هذه فقال عثمان يا أمير المؤمنين انقلبت من أمر السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت فقال عمر والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل فقوله أية ساعة هذه تعريض بالانكار عليه لتأخره عن المجىء الى الصلاة وترك السبق اليها وهو من التعريض المعرب عن الادب (ووقفت فى كتاب العقد) على حكاية تعريضية حسنة الموقع وهى أن امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الفأر فى بيتى فقال ما أحسن ما ورّت عن حاجتها املؤا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما ﴿ومن خفى التعريض وغامضه﴾ ما ورد فى الحديث النبوى وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول والله انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوج اعلم أن وجا واد بالطائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وج لان غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوتا الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيهما وطأة أى قتال وانما كانتا مجرد خروج الى الغزو من غير ملاقاة عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف فكأنه قال وانكم لمن ريحان الله أى من رزقه وأنا مفارقكم عن قريب الا أنه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله وان آخر وطأة وطئها الله بوج وكان ذلك تعريضا بما أراده وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم ﴿ومما ورد من هذا الباب شعرا﴾ قول الشميذ الحارثى

بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وليس قصده ههنا الشعر بل قصده ما جرى لهم فى هذا الموضع من الظهور عليهم والغلبة الا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر وجعله تعريضا بما قصده أى لا تفخروا بعد تلك الوقعة التى جرت لكم ولنا بذلك المكان ﴿ومن أحسن التعريضات﴾ ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب الى المأمون فى أمر بعض أصحابه وهو أما بعد فقد استشفع بى فلان الى أمير المؤمنين ليتطول فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته فوقع المأمون فى ظهر كتابه قد عرفت تصريحك له وتعريضك لنفسك وقد أجبناك اليهما ﴿واعلم﴾ ان هذين القسمين من الكناية والتعريض قد وردا فى غير اللغة العربية ووجدتهما كثيرا فى اللغة السريانية فان الانجيل الذى فى أيدى النصارى قد أتى منهما بالكثير ﴿ومما وجدته من الكناية فى لغة الفرس﴾ أنه كان رجل من أساورة كسرى وخواصه فقيل ان الملك يختلف الى امرأتك فهجرها لذلك وترك فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له قد بلغنى أن لك عينا عذبة وأنك لا تشرب منها فما سبب ذلك قال أيها الملك بلغنى أن الاسد يردها فخفته فاستحسن كسرى منه هذا الكلام وأسنى عطاءه ﴿النوع العشرون فى المغالطات المعنوية﴾ وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه لما فيه من التورية وحقيقته أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شىء آخر ونقيض

ونظيره من بنات الاربعة (اطمأننت) و(اشمأززت) لاتقول فيه (فعللته) و(ما كان على افعنللت فانه لايتعدى) نحو (احرنجمت) و(اخرنجمت) و(الخصال التى تكون فى الاشياء من القبح والحسن والشدة والضعف والجراءة والجبن والصغر والعظم تأتى على فعل يفعل وليست تتعدى نحو (قبح يقبح) و(صغر يصغر) و(عظم يعظم) و(صعب يصعب) و(سرع يسرع) وأشباه ذلك وشذ منه شىء فقالوا (نضر وجهه ينضر) وقال بعضهم (جبن يجبن) و(علم يعلم) و(جهل يجهل) و(فقه يفقه) و(بخل يبخل) و(نبه ينبه) و(المضاعف يستثقل فيه فعل يفعل) نحو (ذل يذل) و(قل يقل) و(شح يشح) الا حرفا حكاه يونس (لببت تلب) من اللب

﴿باب فعلت بفتح العين فى الواو والياء بمعنى واحد﴾

(كنوت) الرجل و(كنيته) و(محوت) الكتاب أمحوه و(محيته) أمحاه و(حثوت) التراب أحثوه و(حثيته) أحثيه و(حنوت) العود و(حنيته) و(نقوت) العظم و(نقيته) اذا استخرجت نقيه وهو المخ و(عزوت) الرجل وعزيته اذا نسبته الى أبيه و(هذوت وهذيت) و(قنوت الغنم وقنيتها) و(لحوت العصا ولحيتها) اذا قشرتها فاما لحيت الرجل من اللوم فبالياء لاغير و(جبيت) الخراج و(جبوته) جباية وجباوة و(زقوت) بالطائر و(زقيت) و(طغوت) يا رجل و(طغيت) و(صغوت) و(صغيت) و(قلوت) الحب و(قليته) و(منوت) الرجل و(منيته) اذا اختبرته و(شأوت) القوم شأوا و(شأيتهم) أى سبقتهم و(سحوت) الطين عن الارض أى قشرته و(سحيته) وكذلك تقول فى القرطاس

والنقيض أحسن موقعا وألطف مأخذا فالاول الذى يكون له مدخل يقع فى الالفاظ المشتركة فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبى

يشاهمو بكل أقب نهد * لفارسه على الخيل الخيار
وكل أصم يعسل جانباه * على الكعبين منه دم ممار
يغادر كل ملتفت اليه * ولبته لثعلبه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضا هو طرف سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار فى طرف السنان وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله وعليه ورد قول المتنبى أيضا

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

فان شبيبا الخارجى الذى خرج على كافور الاخشيدى وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يمانى فى نسبته الى اليمن ومراد المتنبى من هذا البيت أن شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يمانى وصاحبك قيسى ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة وهى كالاولى الا أنها أدق وأغمض (وكذلك ورد قول بعضهم) من أبيات يهجو بها شاعرا الخجاء من جملتها قوله

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء فى الانعام

ومعنى ذلك أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم والانعام اسم سورة أيضا والشعراء جمع شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر (وكذلك) ورد قول بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثم انتقل الى مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ثم انتقل الى مذهب الشافعى رضى الله عنه

من مبلغ عنى الوجيه رسالة * وان كان لا تجدى لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا * ولكنما تهوى الذى منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل

ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ومالك هو خازن النار وهذه مغالطة لطيفة (ومن أحسن ما سمعته) فى هذا الباب قول أبى العلاء بن سليمان فى الابل

صلب العصا بالضرب قد دمّاها * تودّ أن الله قد أفناها
اذا أرادت رشدا أغواها * محاله من رقه اياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب فى الارض وهو المسير فيها وكذلك دمّاها فانه لفظ مشترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دماه اذا أسال دمه ودماه اذا جعله كالدمية وهى الصورة وهكذا لفظ الفناء فانه يطلق وعلى عنب الثعلب على اذهاب الشئ اذا لم يبق منه بقية يقال أفناه اذا أذهبه وأفناه اذا أطعمه الفناء وهو عنب الثعلب والرشد والغوى نبتان يقال أغواه اذا أضله وأغواه اذا أطعمه الغوى ويقال طاب رشد اذا طاب ذلك النبت وطلب رشد اذا طلب الهداية وبعض الناس يظن هذه الابيات من باب اللغز وليس كذلك لانها تشتمل على ألفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة اللفظ عليه واللغز

و (طهيت) اللحم و (طهوته) و (أتيته) و (أتوته) أتيا وأتوا وما أحسن أتو يدى الناقة وأتى يديها و (مأوت) السقاء و (مأيته) اذا مددته حتى يتسع و (طلوت) الطلى و (طليته) بمعنى ربطته برجله والطلى الطلا (حلوت) المرأة و (حليتها) اذا جعلت لها حليا و (حزوت) الطير و (حزيتها) و (أثوت) به و (أثيت) ثأوة وأثاية اذا وشيت به و (رثيت) الرجل و (رثوته) و (رثأت) أيضا (سخوت) النار فأنا أسخاها سخوا و (سخيت) أسخى سخيا وذلك اذا أوقدت فاجتمع الجمر والرماد ففرجته (لحوت) الصبى و (لحيته) اذا أسعطته وأسعطته قليل وقد يقالان جميعا

﴿أبنية من الافعال مختلفة بالياء والواو بمعنى واحد﴾

(تحيزت) الى فئة و (تحوزت) أى انحزت وتقول مالك تحوز كما تحوز الحية وتحيز و (توهت) الرجل و (تيهته) و (طوحته) و (طيحته) و (تبوغ) الدم بصاحبه و (تبيغ) و (تصوح) البقل و (تصيح) اذا هاج و (تهور) الجرف و (تهير) اذا انهار و (تضوع) ريحه و (تضيع) و (شوطه) و (شيطه) و (دوختهم) تدويخا و (ديختهم) تديخا (لا توجل) و (لا تيجل) و (لا تاجل) بغير همز وقد همزه قوم (ما أعيج) من كلامه بشئ أى ما أعبأ به وبعضهم يقول (ما أعوج) بكلامه أى ما التفت اليه مأخوذ من عجت الناقة

﴿باب ما يهمز أوله من الافعال ولا يهمز بمعنى واحد﴾

(أرشت) بينهم و (ورشت) و (وكدت عليهم) و (أكدت) قال الله جل ثناؤه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها و (ورخت) الكتاب و (أرخته) و (وقت) و (أقت) من الوقت و (آكفت) الحمار (أوكفته) وهو الاكاف والوكاف هو

هو الذى يستخرج من طريق الحزر والحدس لا من دلالة اللفظ عليه وسأوضح ذلك ايضاحا جليا فى النوع الحادى والعشرين وهو الذى يتلو هذا النوع فليؤخذ من هناك ﴿ ويروى ﴾ فى الاخبار الواردة فى غزاة بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء لينظر أى بطون العرب يقال لها ماء فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلية لانه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء وقد جاء فى شئ من ذلك فى الكلام المنثور (فمنه) ما كتبته فى فصل من كتاب عند دخولى الى بلاد الروم أصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر فى خلقه والدمع فى طرفه وربما تعدى الى قليب الخاطر فأجفه أن يجرى بوصفه فالشمس مأسورة والنار مقرورة والارض شهباء غير أنها حولية لم ترض ومسيلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تخض ومكان المغالطة من هذا الكلام فى قولى والارض شهباء غير أنها حولية لم ترض فان الشهباء من الخيل يقال فيها حولية أى لها حول ويقال انها مروضة أى ذللت للركوب وهذه الارض مضى للثلج عليها حول فهى شهباء حولية وقولى لم ترض أى لم تسلك بعد ﴿ ومن ذلك ما ذكرته فى وصف كريم فقلت ﴾ ولقد نزلت منه بهابى الصنع أحنف الاخلاق ولقيته فكأنى لم أرع ممن أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للاهل والوطن حتى أقول انى قد استبدلت به أهلا ووطنا وعهدى بالايام وهى من الاحسان فاطمة فاستولدتها بجواره حسنا وهذه تورية لطيفة فان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضى الله عنهما ولدها وفاطمة هى اسم فاعلة من الفطام يقال فطمت فهى فاطمة كما يقال فطم فهو فاطم والحسن هو الشئ الحسن (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وعهده بقلمى وهو يتحلى من البيان بأسمائه وتبرز أنوار المعانى من ظلمائه وقد أصبحت يدى منه وهى حمالة الحطب وأصبح خاطرى أبا جهل بعد أن كان أبا لهب وهذا أحسن من الاول وأخلب عبارة فانظر أيها المتأمل الى ما فيه من التورية اللطيفة ألا ترى أن الخاطر يحمد فيوصف بأنه وقاد وملتهب ويذم فيوصف بأنه بليد وجاهل وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان وكذلك حمالة الحطب هى المرأة المعروفة واذا ذم القلم قيل انه حطب وان صاحبه حاطب فلما نقلت أنا هذا الى المعنى الذى قصدته جئت به على حكم المغالطة وورّيت فيه تورية والمسلك الى مثل هذه المعانى وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لاجرم أن الاجادة فيها قليلة (ومما يجرى هذا المجرى) ما ذكرته فى وصف شخص بمعالى الامور وهو من أبرّ مساعيه أنه حاز قفل المكرمات ومفتاحها فاذا سئل منقبة كان مناعها واذا سئل موهبة كان مناحها وأحسن آثارا من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب وألان جماحها فاذا شهد حومة حرب كان منصورها واذا لقى مهجة خطب كان سفاحها والمغالطة فى هذا الكلام فى ذكر المنصور والسفاح فانهما لقب خليفتين من بنى العباس والسفاح أول خلفائهم والمنصور أخوه الذى ولى الخلافة من بعده وهما أيضا من النصر فى حومة الحرب والسفح الذى هو الاراقة والمهجة دم القلب فكأنى قلت هو منصور فى حومة الحرب ومريق لدم الخطوب وقد اجتمع فى هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح وهذا من المغالطة المثلية لا من النقيضية ولا خفاء بما فيها من الحسن (ومن ذلك) ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الانس يقربه يعقب ايحاشا وأن تلك

و(أوصدت) الباب و(آصدته) وقرئ (موصدة) بالهمز وغير الهمز و(أوصدت) الكلاب و(آصدته) اذا أغريته بالصيد الاصمعى يقال الحمد لله الذى (آجدنى) بعد ضعف أى قوانى من قولهم ناقة أجد اذا كانت موثقة الخلق قوية وبناء مؤجد والحمد لله الذى أوجدنى بعد فقر أى أغنانى من الواجد وهو الغنى والوجد السعة قال * الحمد لله الغنى الواجد *

﴿ باب ما يهمز أوسطه من الافعال ولا يهمز بمعنى واحد ﴾

(ذوى) العود يذوى ذويا و(ذأى) يذأى ذأوا وذأيا قال يونس و(ذوى) لغة (رقأت) فى الدرجة و(رقيت) بكسر القاف وترك الهمز أجود قال الله عز وجل أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك وأما (رقأ) الدم والدمع فهو مهموز يقال (رقأ) يرقأ رقوا (تأممت) و(تيممت) وأممت أى تعمدت (ناوأت) الرجل وناويته و(دارأته) و(داريته) و(احبنطأت) و(احبنطيت) و(روأت) فى الامر و(رويت) و(أرجأت) الامر (أرجيته) وقد روى أيضا (أوميت) الى فلان و(أومأت) و(أرفأت) السفينة و(أرفيت) و(أخطأت) و(أخطيت) و(أطفأت) النار و(أطفيت) و(رفأت) الثوب و(رفوت) هذا بالواو

﴿ باب فعلت وفعلت بمعنى أى بفتح العين وضمها ﴾

(سخن) يومنا يسخن و(سخن) و(صلح) الشئ و(صلح) و(شحب) لونه يشحب و(شحب) لغة و(خثر) اللبن يخثر و(خثر) و(رعف) الرجل يرعف و(رعف) يرعف و(طهرت) المرأة و(طهرت) وحكى سيبويه عن بعض (جبن) يجبن و(جبن) و(نبه) ينبه و(نبه)

النهلة من لقائه تجعل الاكباد عطاشا فانّ من شيمة الدهر أن يبدل الصفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام برّه قصرا وما أقول الا أنه شعر بتلك المسرّة المسروقة فأقام عليها حد القطع ورأى العيش فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع والمغالطة في هذا الكلام هي في ذكر الخفض والرفع فانّ الخفض هو سعة العيش والخفض هو أحد العوامل النحوية والرفع هو من قولنا رفعت الشئ اذا أزلته والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا وهذا من المغالطات الخفية (ومن ذلك) ما كتبته في فصل أصف فيه الحمى وكنت اذ ذاك بحصن سميساط وهو بلد من بلاد الارمن فقلت ومما أكره في حال المرض بهذه الارض انّ الحمى خيمت بها فاستقرت ولم تقنع بأهلها حتى سرت الى تربتها فاقترى وقد أخذتها النافض فاقشعرت ولم يشكل أمرها الا انها حمى أرمنية مستعجمة اللسان وقد تشتبه الامراض وأهل بلادها في الابان واذا كانت الحمى كافرة لم تزل للمسلم حربا وشكاتها الا تسمى شكاة وانما تسمى طعنا وضربا ولهذا صارت الادوية في علاجها ليست بأدوية وأصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية وليس موسمها في فصل معلوم بل كل فصول العام من مواسمها ولو كانت بها نصيبين أو ميافارقين بكتاب الترجمة بعبدها وخادمها والمغالطة ههنا في قولي وأصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية والمراد بذلك أنها تقبل بغتة من غير تروّ أي من غير تلبث ويوم النحر هو يوم عيد الاضحى وقبله يوم يسمى يوم التروية فالمغالطة حصلت بين نحر الحمى للناس ونحر الضحايا الا أنّ يوم النحر مبتدأ بيوم تروية ولا خفاء بما في هذه المغالطة من الحسن واللطافة (وأما القسم الآخر) وهو النقيض فانه أقل استعمالا من القسم الذى قبله لانه لا يتهيأ استعماله كثيرا فن جملته ما ورد شعرا لبعضهم وهو قوله

وما أشياء تشريها بمال * فان نفقت فأكسد ما تكون

يقال نفقت السلعة اذا راجت وكان لها سوق ونفقت الدابة اذا ماتت وموضع المناقضة ههنا في قوله انها اذا نفقت كسدت فجاء بالشئ ونقيضه وجعل هذا سببا لهذا وذلك من المغالطة الحسنة (ومن ذلك ما كتبته في جملة كتاب) الى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلد من بلاد الكفار فقلت في آخر الكتاب وقد ارتاد الخادم من يبلغ عنه مساريح هذه الوقائع التى اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها وهي عرائس المساعي فأحسن الناس بيانا مؤهل لابداع حسانها والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التى صحتها في تجريح الرجال وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوالى والليالى والأيام لها رواة فما الظن براوية الايام والليالى في هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية أما المغالطة المثلية فهي في قولي وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوالى وقد تقدم الكلام على هذا وما يجرى مجراه في القسم الاول وأما المغالطة النقيضية فهي قولى وهو راوى أخبار نصرها التى صحتها في تجريح الرجال وموضع المغالطة منه انه يقال في رواة الاخبار فلان عدل صحيح الرواية وفلان مجروح أى سقيم الرواية غير موثوق به فأتيت بهذا المعنى على وجه النقيض فقلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجريح الرجال أى تجريحهم في الحرب وفي هذا من الحسن ما لا خفاء به وقد أوردت من هذه الامثلة ما فيه كفاية ومقنع ﴿فان قيل﴾ ان الضرب الاول من هذا النوع هو التجنيس الذى لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذى مثلته وفي قول أبى الطيب المتنبي ثعلب وجار فان الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضا طرف السنان وكذلك باقى الامثلة (قلت في الجواب) ان الفرق بين هذين النوعين ظاهر وذلك أن التجنيس

﴿باب فعلت وفعلت بمعنى أى بكسر العين وضمها﴾ (سفه) يسفه و(سفه) يسفه و(حرمت) الصلاة على المرأة تحرم و(حرمت) تحرم و(سرى) الرجل يسرى و(سرو) يسرو و(سخى) يسخى و(سخو) يسخو وروى سيبويه عن يونس ان بعض العرب يقول (لببت) الب بالضم وهذا حرف شاذ لا يعرف له مثل لانه يستثقل في المضاعف فعل يفعل قال الفراء قد (عجف) و(عجف) و(حمق) و(حمق) و(سمر) و(سمر) من الاسمر و(خرق) و(خرق)

﴿باب فعل (بفتح العين) يفعل ويفعل بضمها وبكسرها﴾

(عطس يعطس) و(يعطس) و(عتب يعتب) و(يعتب) من المعتبة وكذلك هو من المشى على ثلاث و(رفض يرفض) و(يرفض) و(هذر في منطقه يهذر) و(يهذر) و(فسق يفسق) و(يفسق) و(خرز يخرز) و(يخرز) و(زمر يزمر) و(يزمر) و(نفر ينفر) و(ينفر) و(ختن الحجام يختن) و(يختن) و(شرط يشرط) و(يشرط) وكذلك هو من الشرائط (عزفت نفسى عن الشئ تعزف) و(تعزف) و(فتك يفتك) و(يفتك) و(عثر يعثر) و(يعثر) و(أبق يأبق) و(يأبق) و(خفق الفؤاد يخفق) و(يخفق) و(عذل يعذل) و(يعذل) و(برض له من ماله يبرض) و(يبرض) و(عند عن الحق يعند) و(يعند) و(سمطت الجدى أسمطه) و(أسمطه) و(تلد المال يتلد) و(يتلد) و(جاب المتاع يجلبه) و(يجلبه) و(حشر يحشر) و(يحشر) و(حجل الغراب يحجل) و(يحجل) و(قتر يقتر) و(يقتر) و(حسد يحسد) و(يحسد) و(نجب الشجرة ينجبها) و(ينجبها) اذا قشرها و(كرم يكرم) و(يكرم) و(حنك الدابة يحنكها) و(يحنكها) اذا جعل الرسن في يذكر

يذكر فيه اللفظ الواحد مرتين فهو يستوى فى الصورة ويختلف فى المعنى كقول أبى تمام

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محيا محلى حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب هو الضرب بالسيف فى القتال فاللفظ لا بد من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف والمغالطة ليست كذلك بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة ويدل به على مثله وليس بمذكور ﴿النوع الحادى والعشرون فى الاحاجى﴾ وهى الاغاليط من الكلام وتسمى الالغاز جمع لغز وهو الطريق الذى يلتوى ويشكل على سالكه وقيل جمع لغز بفتح اللام وهو ميلك بالشئ عن وجهه وقد يسمى هذا النوع أيضا المعمى وهو يشتبه بالكناية تارة وبالتعريض أخرى ويشتبه أيضا بالمغالطات المعنوية ووقع فى ذلك عامة أرباب هذا الفن (فمن ذلك) أن أبا الفرج الاصفهانى ذكر بيتى الاقيس الاسدى فى جملة الالغاز وهما

ولقد أروح بمشرف ذى ميعة * عسر المكرة ماؤه يتقصد

مرح يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدد

وهذان البيتان من باب الكناية لانهما يحملان على الفرس وعلى العضو المخصوص واذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الالغاز وكذلك فعل الحريرى فى مقاماته فانه ذكر فى الاحاجى التى جعلها على حكم الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن أنهما من الاحاجى الملغزة كقوله أيحل للصائم أن يأكل نهارا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذى هو ضد الليل وبين فرخ الحبارى فانه يسمى نهارا واذا كان من الاسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لا من باب الاحاجى والالغاز شئ منفصل عن ذلك كله ولو كان من جملته لما قيل لغز واحجية وانما قيل كناية وتعريض أو مغالطة ولكن وجد من الكلام ما يطلق عليه الكناية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه المغالطة ومنه شئ آخر خارج عن ذلك فجعل لغزا واحجية وكنت قدمت القول بأن الكناية هى اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز فهو يحمل عليهما معا وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالته عليه حقيقة ولا مجازا وأن المغالطة هى التى تطلق ويراد بها شيئان أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعى والآخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه (وأما اللغز والاحجية) فانهما شئ واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لان قول القائل فى الضرس

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهد

ما ان رأيت له شخصا فمذ وقعت * عينى عليه افترقنا فرقة الابد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم وانما هو شئ يحدس ويحزر والخواطر تختلف فى الاسراع والابطاء وعند عثورها عليه ﴿فان قيل﴾ ان اللغز يعرف من طريق المفهوم وهذان البيتان يعلم معناهما بالمفهوم (قلت فى الجواب) ان الذى يعلم بالمفهوم انما هو التعريض كقول القائل انى افقير وانى لمحتاج فان هذا القول لا يدل على المسئلة والطلب لا حقيقة ولا مجازا وانما فهم منه أن صاحبه متعرض للطلب وهذان البيتان ليسا كذلك فانهما لا يشتملان على ما يفهم منه شئ الا بالحدس والحزر لا غير وكذلك كل لغز من الالغاز (واذا ثبت هذا فاعلم) أن هذا الباب الذى هو اللغز والاحجية والمعمى يتنوع أنواعا فمنه المصحف ومنه المعكوس ومنه ما ينقل الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل اسمى اذا صحفته بالفارسية آخر وهذا اسمه اسم تركى وهو دنكر بالدال المهملة والنون وآخر

فيها و(حلجت عينه تحلج) و(تحلج) و(ذملت الناقة تذمل) و(تذمل) و(جاب الجرح يجلب) و(يجلب) اذا علته جلبة للبرء و(عرم الغلام يعرم) و(يعرم) و(قدر يقدر) و(يقدر) و(عضل الايم يعضلها) و(يعضلها) و(خمش وجهه يخمش) و(يخمش) و(خزر النخل يخزره) و(يخزره) و(جزر الماء يجزر) و(يجزر) و(أهل يأهل) و(يأهل) أهولا اذا خرج و(نطف ينطف) و(ينطف) اذا قطر و(نطف ينطف) أيضا و(حدرت الشئ أحدره) و(أحدره) و(خمرت العجين أخمره) و(أخمره) و(فطرته) مثله و(ذبر الكتاب يذبره) و(يذبره) و(زبره يزبره) و(يزبره) كتبه و(عسرت الرجل أعسره) و(أعسره) اذا طلبت الدين منه على عسرة و(طمث المرأة يطمثها) و(يطمثها) اذا جامعها و(قنط يقنط) و(يقنط) وهو (ينسب) بالنساء و(ينسب) و(أبنت الرجل آبنه) و(آبنه) اذا اتهمته و(نخر الرجل ينخر) و(ينخر) و(عرنت البعير أعرنه) و(أعرنه) و(قرت الرجل أقره) و(أقر بكسر العين لغة) الاصمعى عن عيسى بن عمر (هملت عينه تهمل) وتهمل (ومن المضاعف) قال الفراء ما كان على فعلت من ذوات التضعيف غير متعد فان يفعل منه مكسور العين مثل (عففت أعف) و(خففت أخف) و(شححت أشح) وقال غيره (وقد جاء بعضه باللغتين جميعا قالوا (جد يجد ويجد) و(شب الفرس يشب ويشب) و(جم يجم ويجم) و(صد عنى يصد ويصد) و(شح يشح ويشح) وعن أبى زيد (نخت الافعى تنخ تنخ) قال الفراء ما كان على فعلت من ذوات التضعيف متعديا مثل رددت ومددت وعددت فان يفعل منه مضموم الا ثلاثة أحرف نادرة

جاءت باللغتين جميعا وهي (شده يشده ويشده) و(نم الحديث ينمه وينمه) و(علّه في الشراب يعله ويعله) وزاد غيره (بتّ الشيء يبته ويبته) و(من المعتل) قالوا (وجد يجد ويجد) من الموجدة والوجدان جميعا وهو حرف شاذ لا نظير له (ومن ذوات الياء والواو) و(طما الماء يطمو ويطمي) إذا ارتفع (فاحت القدر تفوح وتفيح) و(لاط حبه بقلبي يلوط ويليط) و(طباني الشيء يطبوني ويطبيني) و(صار عنقه يصورها ويصيرها) أمالها وقرئت فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها و(صاف عني يصوف ويصيف) أي عدل و(غار يغور ويغير) من الدية والاسم الغيرة وجمعها غير (بان الرجل صاحبه يبينه ويبونه) وبينهما بون بعيد وبين بعيد وهذا في فضل أحدهما على الآخر فإن أردت القطيعة فالبين لا غير و(غار أهله يغيرهم ويغورهم) أي عيرهم و(ساغ الطعام يسيغه ويسوغه) والجيد أساغ يسيغ و(ماهت الركية تموه وتميه وتماه) و(ضاره يضيره ويضوره) و(لاته يليته ويلوته) و(ماث الشيء فهو يموثه ويميثه) إذا دافه و(فاخ يفوخ ويفيخ) و(ثاخت رجله في الوحل تثوخ وتثيخ) و(فاد يفود ويفيد) إذا مات (نما الحديث ينموه وينميه) و(فعل يفعل ويفعل) و(جنح الفؤاد يجنح ويجنح) إذا مال و(مضغ يمضغ ويمضغ) و(دبغ يدبغ ويدبغ) و(صبغ يصبغ ويصبغ) و(سلخ يسلخ ويسلخ) و(مخض اللبن يمخضه ويمخضه) و(شخب اللبن يشخب ويشخب) و(درج يرج ويرج) و(شم يشم ويشم) ومن ذوات الواو والألف و(شحوت في أشحاه وأشحوه) إذا فتحه و(نحوت بصري أنحاه وأنحوه) إذا صرفه

فإن

بالفارسية ديكر بالدال المهملة والياء المعجمة بثنتين من تحت وإذا صحفت هذه الكلمة صارت دنكر بالنون فانقلبت الياء نونا بالتصحيف وهذا غير مفهوم إلا لبعض الناس دون بعض وإنما وضع واستعمل لأنه مما يشحذ القريحة ويحد الخاطر لأنه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ثم جاء المحدثون فأكثروا منه وربما أتى منه بما يكون حسنا وعليه مسحة من البلاغة وذلك عندي بين بين فلا أعده من الأحاجي ولا أعده من فصيح الكلام فمما جاء منه قول بعضهم

قد سقيت آبالهم بالنار * والنار قد تشفي من الأوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الإبل ذوو وجاهة وتقدم ولهم وسم معلوم فلما وردت إبلهم الماء عرفت بذلك الوسم فأفرج لها الناس حتى شربت وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده وجعل أحدهما سببا للآخر فصار غريبا عجيبا وذلك أنه قال سقيت بالنار وقال إن النار تشفي من الأوار وهو العطش وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب (ومما يجري على هذا النهج) قول أبي نواس في شجر الكرم

لنا هجمة لا يدري الذئب سخلها * ولا راعها غض الفحالة والخطر

إذا امتحنت ألوانها مال صفوها * إلى الحو إلا أن أوبارها خضر

ومن هذا القبيل قول بعضهم

سبع رواحل ما ينخن من الونا * شيم تساق بسبعة زهر

متواصلات لا الدؤوب يملها * باق تعاقبها على الدهر

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان ولياليه وهي الأسبوع فإن الزمان عبارة عنه وذلك من الألغاز الواقعة في موقعها (وعلى هذا الأسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدته التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهي

* الرأي قبل شجاعة الشجعان * فقال

وحشاه عادية بغير قوائم * عقم البطون حوالك الألوان

تأتي بما سبت الخيول كأنها * تحت الحسان مرابض الغزلان

وهذا حسن في بابه ومن ذلك قول بعضهم في حجر المحك

ومدرع من صنعة الليل برده * يفوق طورا بالنضار وطلس

إذا سألوه عن غويص أشكله * أجاب بما أعيا الورى وهو أخرس

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل زماننا فأجاب عنه ببيتين على وزنه وقافيته وهما

سؤالك جلمود من الصخر أسود * خفيف لطيف ناعم الجسم أطلس

أقيم بسوق الصرف حكما كأنه * من الزنج قاض بالخلوق مطلس

وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائك بجزيرة ابن عمر وليس عنده من أسباب الأدب شيء سوى أنه قد أصلح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك يقول الشعر طبعا وكان يجيد في الكثير منه (ومن الألغاز) ما يرد على حكم المسائل الفقهية كالذي أورده الحريري في مقاماته وكنت سئلت عن مسئلة منه وهي

ولي خالة وأنا خالها * ولي عمة وأنا عمها * فأما التي أنا عم لها

فإن أبي أمه أمها * أبوها أخي وأخوها أبي * ولي خالة هكذا حكمها

فأين الفقيه الذى عنده * فنون الدراية أو علمها
يبين لنا نسبا خالصا * ويكشف للنفس ما عمها
فلسنا مجوسا ولا مشركين * شريعة أحمد نأتمها

وهذه المسئلة كتبت الىّ فتأملتها تأمل غير ملجج فى الفكر ولم ألبث أن انكشف لى ما تحتها من اللغز وهو أن الخالة التى الرجل خالها تصور على هذه الصورة وذلك أن رجلا تزوّج امرأتين اسم احداهما عائشة واسم الاخرى فاطمة فأولد عائشة بنتا وأولد فاطمة ابنا ثم زوّج بنته من أبى امرأته فاطمة فجاءت ببنت فتلك البنت هى خالة ابنه وهو خالها لانه أخو أمها وأما العمة التى هو عمها فصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوّج أخاه من أمه أم أبيه فجاءت ببنت فتلك البنت هى عمته لانها أخت أبيه وهو عمها لانه أخو أبيها وأما قوله ولى خالة هكذا حكمها فهو أن تكون أمها أخته وأختها أمه كما قال أبوها أخى وأخوها أبى وصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخت من أمه فزوجها من أبى أمه فجاءت ببنت فأختها أمه وأمها أخته (وأحسن من ذلك كله وألطف وأحلى) قول بعضهم فى الخلخال

ومضروب بلا جرم * مليح اللون معشوق
له قد الهلال على * مليح القد ممشوق
وأكثر ما يرى أبدا * على الامشاط فى السوق

وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال قد دخلت السوق فما رأيت على الامشاط شيأ وظن أنها الامشاط التى يرجل بها الشعر وأن السوق سوق البيع والشراء (واعلم) أنه قد يأتى من هذا النوع ما هو ضروب وألوان فمنه الحسن الذى أوردت شيأ منه كما تراه ومنه المتوسط الذى هو دونه فى الدرجة فلا يوصف بحسن ولا قبح كقول بعضهم

راحت ركائبهم وفى أكوارها * ألفان من عم الاثيل الواعد
ما ان رأيت ولا بارك هكذا * حملت حدائق كالظلام الراكد

وهذا يصف قوما وفدوا على ملك من الملوك فأعطاهم نخلا وكتب لهم به كتابا والاثيل الموضع الذى كتب لهم اليه والعم العظام الرؤس من النخيل والواعد الاقناء من النخل فلما حملوا الكتب فى أكوارهم فكأنهم حملوا النخل وهذا من متوسط الالغاز وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج الا بمسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القبض الداخل أو القبض الخارج والبياض والحمرة وغيرها ولئن كان معناه دقيقا يدل على فرط الذكاء فانى لا أعده من اللغة العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرهما من اللغات فى عدم الفهم ﴿وأما ما ورد من الالغاز نثرا﴾ فقد ألغز الحريرى فى مقاماته ألغازا ضمنها ذكر الابرة والمرود وذكر الدينار وهى أشهر كما يقال من قفا نبك فلا حاجة الى ايرادها فى كتابى هذا وقد ورد من الالغاز شئ فى كلام العرب المنثور غير انه قليل بالنسبة الى ما ورد فى أشعارها وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيأ منها ولا ينبغى أن يتضمن منها شيأ لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز (وأما ما ورد للعرب) فيروى عن امرئ القيس وزوجته عدة من الالغاز وذلك أنه سألها قبل أن يتزوّجها فقال ما اثنان وأربعة وثمانية فقالت أما الاثنان فثديا المرأة وأما الاربعة فأخلاف الناقة وأما الثمانية فأطباء الكلبة ثم انه تزوّجها وأرسل اليها هدية على يد عبد له وهى حلة من عصب اليمن ونحى من عسل ونحى من سمن فنزل العبد ببعض المياه ولبس الحلة فعلق طرفها بسمرة فانشق وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسأل عن أبيها وأمها وأخيها ودفع اليها الهدية فقالت له

(بعوت أبعو وأبعا) اذا اجترمت (سعوت الطين عن الارض أسحاه وأسحوه) (محوت اللوح أمحاه) وأمحوه

﴿فعل يفعل ويفعل﴾

(منح يمنح ويمنح) و (نبح الكلب ينبح وينبح) و (نطح الثور ينطح وينطح) و (نهق الحمار ينهق وينهق) و (نحج البغل ينحج وينحج) و (شهق يشهق ويشهق) و (نهش ينهش وينهش) و (طحر يطحر ويطحر) طحيرا اذا زحر وطحرت العين قذاها تطحره اذا ألقته وتطحره (ومن المعتل عام الى اللبن يعام ويعيم) وقالوا (كل ما جاء على فعل مفتوح العين فان مستقبله بالكسر والضم) نحو (ضرب يضرب) و (قتل يقتل) الا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق وهى العين والغين والحاء والخاء والهمزة والهاء فان الحرف اذا جاء كذلك فربما جاء يفعل منه مفتوحا نحو (قرأ يقرأ) و (بدأ يبدأ) و (صنع يصنع) و (ذبح يذبح) و (نسخ ينسخ) و (قرع يقرع) و (فخر يفخر) و (سأل يسأل) و (ثأر يثأر) و (قهر يقهر) و (نعب ينعب) و (نحر ينحر) و (فغر فيه يفغر) و (ربما جاء يفعل على الاصل) (هنأ يهنئ) و (نزع ينزع) و (رجع يرجع) و (دخل يدخل) و (صلح يصلح) ولم يأت فعل يفعل بالفتح فى الماضى والمستقبل اذا لم يكن فيه أحد حروف الحلق لاما ولا عينا الا فى حرف واحد جاء نادرا وهو أبى يأبى وزاد أبو عمرو ركن يركن والنحويون من البصريين والبغداديين يقولون (ركن يركن) و (ركن يركن)

﴿فعل يفعل ويفعل﴾

(حسب يحسب ويحسب) و (يئس ييأس وييئس) و (نعم ينعم وينعم) و (بئس يبأس ويبئس) عليا مضر

تكسر وسفلاها تفتح وقراءة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يحسب ويحسبون بالكسر وهذه الحروف الاربعة فى الافعال
السالمة شواذ وماسواها من فعل
فان المستقبل منه يفعل نحو (علم
يعلم) و (عجل يعجل) ﴿فاما المعتل
فنه ماجاء ماضيه ومستقبله
بالكسر﴾ نحو (ورم يرم) و (ولى
يلى) و (وثق يثق) و (ومق يمق)
و (ورع يرع) و (ورث يرث) و (ورى
الزند يرى) و (وفق أمره يفق)

﴿فعل يفعل ويفعل﴾

أبو عبيدة يقال (فضل) منه شئ
قليل فاذا أرادوا المستقبل ضموا
الضاد فقالوا (يفضل) وليس فى
الكلام حرف من السالم يشبهه
وقد جاء من المعتل مثله قالوا
(مت) فكسروا ثم قالوا (تموت)
وكذلك (دمت) ثم قالوا (تدوم)
قال وروى ان من العرب من يقول
(فضل يفضل) مثل حذر يحذر
وقالوا أيضا يدام ويمات والاجود
(فضل يفضل) و (مت تموت)
و (دمت تدوم) قال سيبويه بلغنا
أن بعض العرب يقول (نعم ينعم)
مثل (فضل يفضل)

﴿باب فعل يفعل (بضم العين فى
الماضى وفتحها فى المضارع﴾

(كل ما كان على فعل فستقبله
بالضم) لم يأت غير ذلك الا فى حرف
واحد من المعتل رواه سيبويه
قال بعض العرب يقول كدت تكاد
فقالوا فعلت تفعل كما قالوا فعلت
تفعل فى فضل يفضل قال الفراء
أما الذين ضموا كدنا فانهم أرادوا
أن يفرقوا بين فعل الكيد من
المكيدة فى فعل وبين فعل الكيد
فى القرب فقالوا كدنا نفعل ذلك
وقالوا كدنا القوم من المكيدة كما
فرقوا بينهما فى يفعل فقالوا فى الاول يكاد وفى الثانى يكيد ﴿باب المبدل﴾ قالوا (مدهته) بمعنى مدحته

أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا او يبعد قريبا وان أمى ذهبت تشق النفس نفسين وان أخى
يرقب الشمس وأخبره أن سماءكم انشقت وأن وعاءيكم نضبا فعاد العبد الى امرئ القيس وأخبره
بما قالته له فقال أما أبوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه وأما أمها فانها ذهبت تقبل امرأة
وأما أخوها فانه فى سرح يرعاه الى أن تغرب الشمس وأما قولها ان سماءكم انشقت فان الحلة
انشقت وأما قولها ان وعاءيكم نضبا فان النحيين نقصا ثم قال للعبد أصدقنى فقال له انى نزلت
بماء من مياه العرب وفعلت كذا وكذا فهذا وأمثاله قد ورد عنهم الا أنه يسير (وكذلك يروى
عن شن بن أقصى) وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلائمه فصاحبه رجل فى بعض أسفاره
فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب
راكبا فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال شن أترى هذا الزرع قد أكل فقال له يا جاهل
أما تراه فى سنبله فأمسك عنه ثم سارا فاستقبلتهما جنازة فقال شن أترى صاحبها حيا فقال له
الرجل ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فسار به
الى بيته وكانت له بنت فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت ما نطق الا بالصواب ولا استفهم
الا عما يستفهم عن مثله أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع
الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل فانه أراد هل استسلف ربه ثمنه أم لا
وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فانه أراد هل خلف له عقبا يحيا بذكره أم لا فلما سمع كلام
ابنته خرج الى شن وحدثه بتأويلها فخطبها فزوجه اياها (وأدق من هذا كله وألطف) ما يحكى
عن رجل من المناقذة أصحاب شيزر وهو أولهم الذى استنقذه من أيدى الروم بالمكر والخديعة
ولذلك قصة ظريفة وليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها فى خدمة محمود بن صالح
صاحب حلب وكان اذ ذاك يلقب بسديد الملك فنبا به مكانه وحدثت له حادثة أوجبت له أن هرب
ومضى الى مدينة ترابلس فى زمن بنى عمار أصحاب البلد فأرسل اليه ابن صالح واستعطفه ليعود
اليه فخافه ولم يعد فاحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه لحمة
مودة أكيدة وأجلسه بين يديه وأمره أن يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح
ليعود فما وسعه الا أن يكتب وهو يعلم أن باطن الامر فى ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد
ابن منقذ الى حلب هلك فأفكر وهو يكتب فى اشارة عمياء لا تفهم ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ
فأداه فكره أن كتب فى آخر الكتاب عند انهائه ان شاء الله تعالى وشدد ان وكسرها ثم سلم
الكتاب الى ابن صالح فوقف عليه وأرسله الى ابن منقذ فلما صار فى يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب
صديقى وما يغشنى ولولا أن يعلم صفاء قلب ابن صالح لى لما كتب الى ولا غرنى ثم عزم على العود
وكان عنده ولده فأخذ الكتاب وكرر نظره فيه ثم قال له يا أبة مكانك فان صديقك قد حذرك
وقال لا تعد فقال وكيف قال انه قد كتب ان شاء الله تعالى فى آخر الكتاب وشدد ان وكسرها
وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سهو ومعنى ذلك أنه يقول ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك وان شككت فى ذلك فأرسل الى حلب وهذا من أعجب ما بلغنى من حدة الذهن
وفطانة الخاطر ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة لما تفطن الى مثل ذلك أبدا لانه ضرب من علم
الغيب وانما الخوف دله على استنباط ما استنبطه (ووجد لبعض الادباء لغز فى حمام) فمنه ما أجاد
فيه كقوله وقد أظلتها سماء ذات نجوم لا استراق لها ولا رجوم وهى مركبة فى فلك صحت
استدارته وسكنت ادارته

أعجب بها من أنجم * عند الصباح ظاهره
لكنها اذا بدا * نجم الظلام غائره

فهي على القياس جنة نعيم مبنيـة على لظى جحيم لا خلود فيها ولا مقام ولا تزاور بين أهلها ولا سـلام أنهارها متدفقـة ومياهها مترقرقة والاكواب بها موضوعـة والنمارق عنها منزوعة

يطيع بها المولى أوامر عبده * ويصبح طوعا في يديه مقاتله
ويرفع عنه التاج عند دخوله * ويسلب من قبل الجلوس غلائله

التجمل بها معدوم والخادم فيها مخدوم يتكرر بها التستر من البرد ويكره حرّها اذا جاوز الحدّ هذا اللغز من فصيح الالغاز ولا يقال ان صاحبه في العمى صانع العكاز واذا طرّز غيره بلمعة من الوشي فهـذا كله طراز (ومما سمعته) من الالغاز الحسان التي تجري في المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة وشريك النمـيري وذلك أن عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له والى جانبـه شريك النميري على بغلة فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر اغضض من لجامها فقال أصلح الله الامير انها مكتوبة فتبسم عمر ثم قال له ويحك لم أرد هذا فقال له شريك ولا أنا أردته وكان عمر أراد قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأجابه شريك بقول الآخر

لا تأمننّ فزاريا نزلت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

وهذا من الالغاز اللطيفة وتفطن كل من هذين الرجلين لمثله ألطف وأحسن * ومما يجري هذا المجرى * أن رجـلا من تميم قال لشريك النميري ما في الجوارح أحب اليّ من البـازي فقال له شريك اذا كان يصيد القطا وكان التميمي أراد قول جرير

أنا البـازي المطلّ على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد شريك قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كتفاضل الاشخاص ومن ههنا قيـل سبحان خالق أبي موسى وعمرو بن العاص (النوع الثاني والعشرون في المبادي والافتتاحات) هـذا النوع هو أحـد الاركان الخمسة البلاغية المشار اليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام ان كان فتحا ففتحا وان كان هناء فهناء أو كان عزاء فعزاء وكذلك يجري الحكم في غـير ذلك من المعاني وفائدته أن يعرف من مبدا الكلام ما المراد به ولهذا النوع والقاعدة التي يبنى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر اذا نظم قصـيدا أن ينظر فان كانت مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل بل يرتجل المديح ارتجالا من أولها كقول القائل

ان حارت الالباب كيف تقول * في ذا المقام فعـذرها مقبول
سامح بفضلك مادحيك فمالهم * أبدا الى ما تستحق سـبيل
ان كان لا يرضيك الا محسن * فالمحسـنون اذا اليك قليـل

فان هـذا الشاعر ارتجل المديح من أول القصيد فأتى به كما ترى حسنا لائقا وأما اذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل أو هزيمة جيش أو غـير ذلك فانه لا ينبـغي أن يبدأ فيها بغزل وان فعـل ذلك دلّ على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه (فان قيـل) انك قلت يجب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك (قلت في الجواب) ان الغزل رقة محضـة والالفاظ التي تنظم في الحوادث المشار اليها من فحل الكلام ومتين القول وهي ضد الغزل وأيضـا فان الاسماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء بالخوض في ذكرها لا الابتداء بالغزل اذ المهم واجب التقديم ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في

و(الايم والاين الحية) والقبر (جدث) وجدف (استأديت عليه) واستعديت و(آدني) عليه وأعدني عليه (فناء الدار) وثناؤها واحد (سبدرأسه) و(سبده) اذا استأصله وهي (المغافير) و(المغاثير) جثوت عليه و(جذوت) مرث الخبز في الماء و(مرده) و(نبض) العرق ونبذ و(هرد فلان الستر) وهرته اذا خرقـه وهو (شثن الاصابع) وشثل وأخس الله حظه و(أخته) فهو خسيس وختيت (جاحفت) عن الرجـل وجاحشت سواء مـددت و(متت) وهو المد و(المت) و(المط) لج به و(ابط) به اذا ضرب بنفسـه الارض دهدهت الحجر و(دهديت) ربيت الصبي وربيته وربته (كلب هراش) وخراش (قشوت العود) وقشرته نشرت الخشـبة و(وشرتها) و(أشرتها) وهو المنشار والميشار لص و(لصت) طس و(طست) قمح يقمح قموحا و(قمه يقمه قموها) اذا رفع البعير رأسـه فلم يشرب أهمني الامر و(أحمني) أحم خروجنا و(أجم) اذا أزف (وصيت) الشيء بالشيء ووصلته ومنه قول ذي الرمة

نصي الليل بالايام حتى صلاتنا
مقاسمة يشتق أنصافها السفر

(طانه) الله على الخير وطامه أي جبله نشزت المرأة على زوجها و(نشصت) سرت اليه و(ترت) اليه تترو (نفز) سواء قال الشماخ * وان ردع منها أسلته النوافز * يعني القوائم لانها تنفز (أفزعتهم) وأفززتهـم (عانشت) الرجـل وعانقته الماء (جامس) وجامد سكنت الريح و(سكرت) من قول أوس * فليست بطالق ولا ساكره

(ثاخ) وساخ في الارض سواء أي دخل قال أبو ذؤيب * فهو تثوخ فيها الاصبع * انتفيت من الشيء و(انتفلت) سواء أرقت الماء

و(هرقته) الفراء (عمار الناس) وعمار وله ق و(لزق) و(لصق) ضخت الزعفران و(سهكته) ﴿ابدال الياء من أحد الحرفين المثلين اذا اجتمعا﴾

افتتاح قصيدة بالمديح مايتطير منه وهذا يرجع الى أدب النفس لا الى أدب الدرس فينبغي أن يحترز منه في مواضعه كوصف الديار بالدثور والمنازل بالعفاء وغير ذلك من تشتت الالاف وذم الزمان لاسيما اذا كان في التهاني فانه يكون أشد قبحا وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ومتى كان الكلام في المديح مفتتحا بشيء من ذلك تطير منه سامعه وانما خصت الابتدا آت بالاختيار لانها أول مايطرق السمع من الكلام فاذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه ويكفيك من هذا الباب الابتدا آت الواردة في القرآن كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور وكذلك الابتدا آت بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى في أول سورة الحج يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه وكذلك الابتدا آت بالحروف كقوله تعالى الم وطس وحم وغير ذلك فان هذا أيضا مما يبعث على الاستماع اليه لانه يقرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه والاصغاء اليه (ومن قبيح الابتدا آت) قول ذي الرمة * مابال عينك منها الماء ينسكب * لان مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لاخفاء بقبحه وكراهته ولما أنشد الاخطل عبد الملك بن مروان قصيدته التي أولها * خف القطين فراحوا منك أو بكروا * قال له عند ذلك لا بل منك وتطير من قوله فغيرها ذو الرمة وقال

خف القطين فراحوا اليوم أو بكروا * ومن شاء أن يذكر الديار والاطلال في شعره فليتأدب بأدب القطامي على جفاء طبعه وبعده عن فطانة الادب فانه قال انا محيوك فاسلم أيها الطلل * فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة وقد قيل ان امرأ القيس كان يجيد الابتداء كقوله ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي * وكقوله * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (ومما يكره من الابتدا آت) قول أبي تمام * تجرع أسى قد أقفر الجرع الفرد وانما ألقى أبا تمام في مثل هذا المكروه تتبعه للتجنيس بين تجرع والجرع وهذا دأب الرجل فانه كثيرا مايقع في مثل ذلك وكذلك استقبح قول البحتري فؤاد ملاه الحزن حتى تصدعا * فان ابتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبو عنها السمع وهو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لا مديح وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحتري وهو من مفلقي الشعراء (وحكى) أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق بن ابراهيم الموصلي في الانشاد فأذن له فأنشد شعرا حسنا أجاد فيه الا أنه استفتحه بذكر الديار وعفائها فقال

يا دار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم بذلك وتغامز الناس على اسحق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر فاذا أراد الشاعر أن يذكر دارا في مديحه فليذكر كما ذكر أشجع السلمي حيث قال قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام وما أجدر هذا البيت بمفتتح شعر اسحق بن ابراهيم الذي أنشده للمعتصم فانه لو ذكر هذا أو ما جرى مجراه لكان حسنا لائقا (وسئل) بعضهم عن أحذق الشعراء فقال من أجاد الابتداء والمطلع ألا ترى الى قصيدة أبي نواس التي أولها

يا دار مافعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

(تظنيت) من الظن وأصله تظننت قال العجاج

* تقضي البازي اذا البازي كسر *

أراد تقضض وقال الله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال أبو عبيدة المكاء الصفير والتصدية التصفيق ورفع الاصوات وأصله من صددت أصد ومنه قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدون أي يضجون ويعجون فجعل احدى الدالين ياء (لبيك) هو من ألب بالمكان اذا أقام به فابدل من احدى الباءين ياء قال أبو عبيدة (دساها) من دسست (تمطى) أصله تمطط أي تمدد ومنه المشية المطيطاء وهي التبختر (أمليت) الكتاب وأمليته قال الله جل ثناؤه فليملل وليه بالعدل وقال في موضع آخر فهي تملى عليه بكرة وأصيلا

﴿الابدال من المشدد﴾

(تكمكم) الرجل من الكمة وهي القلنسوة والاصل تكمم وتملل على فراشه والاصل تملل من الملة وهي الرماد الحار قال الشاعر

* باتت تكركره الجنوب *

أصله تكرره من التكرير وقول الفرزدق

* ويخلفن ماظن الغيور المشفشف *

(أي المهزول) هو من شففته الغيرة وشفه الحزن وأصله المشفف (فكبكبوا) فيها هي فكببوا من كببت الرجل على وجهه

﴿ما أبدل من القوافي﴾

أنشد الفراء قال أنشدني أبو الجراح

والله مافضلني على الجيران * الا على الاخوال والاعمام

وأنشد غيره في مثل ذلك

فانها

فانها من أشرف شعره وأعلاه منزلة وهى مع ذلك مستكرهة الابتداء لانها فى مدح الخليفة الامين وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها مما يتطير منه لاسيما فى مشافهة الخلفاء والملوك ولهذا يختار فى ذكر الاماكن والمنازل مارق لفظه وحسن النطق به كالعذيب والغوير ورامة وبارق والعقيق وأشباه ذلك ويختار أيضا أسماء النساء فى الغزل نحو سعاد وأميم وفوز وما جرى هذا المجرى وقد عيب على الاخطل فى تغزله بقذور وهو اسم امرأة فانه مستقبح فى الذكر وقد عيب على غيره التغزل باسم تماضر فانه وان لم يكن مستقبحا فى معناه فانه ثقيل على اللسان كما قال البحترى

ان للبين منة لا تؤدى * ويدا فى تماضر بيضاء

فتغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل ويثقل من خفته وأمثال هذه الاشياء يجب مراعاتها والتحرز منها (وقد استثنى من ذلك) ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الوقائع فان ذكره لا يكره وان كان فى اسمه كراهة كما ذكر أبو تمام فى شعره مواضع مكروهة الاسماء لضرورة ذكر الوقائع التى كانت بها كذكر الحشال وعقوقس وأمثالهما وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبى هنزيط وسمساط وما جرى مجراهما وهذا لا عيب فى ذكره لمكان الضرورة التى تدعو اليه وهكذا يسامح الشاعر والكاتب أيضا فى ذكر ما لا بد من ذكره وان قبح ومهما أمكنه من التورية فى هذا المقام فليسلكها وما لا يمكنه فانه معذور فيه (واعلم) أنه ليس من شرط الابتداء أن لا يكون مما يتطير منه فقط فان من الابتداآت ما يستقبح وان لم يتطير منه كقول أبى تمام * قدك اتئب أربيت فى الغلواء وكقوله * تقى جمعاتى لست طوع مؤنبى * وكقول أبى الطيب المتنبى أقل فعالى بله أكثره مجد * وكقوله * كفى أرانى ويك لومك ألوما * والعجب أن هذين الشاعرين المفلقين يبتدئان بمثل ذلك ولهما من الابتداآت الحسنة ما أذكره (أما أبو تمام) فانه افتتح قصيدته التى مدح بها المعتصم عند فتحه مدينة عمورية فقال

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وهذه الابيات لها قصة وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تفتح فى ذلك الوقت وأفاضوا فى هذا حتى شاع وصار أحدوثة بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وجعل السيف أصدق من الكتب التى خبرت بامتناع البلد واعتصامها ولذلك قال فيها

والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وهذا من أحسن ما يأتى فى هذا الباب وكذلك قوله فى أول قصيدة يمدحه بها أيضا ويذكر فيها خروج بابك الخرمى عليه وظفره به وهى من أمهات شعره فقال

الحق أبلج والسيوف عوار * فحذار من أسد العرين حذار

وكذلك قوله متغزلا عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وان تعتب الايام فيهم فربما

وهذا من الاغزال الحلوة الرائقة وهو من محاسن أبى تمام المعروفة وكذلك قوله فى أول مرثية

أصم بك الناعى وان كان أسمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

(وأما أبو الطيب) فانه أكثر من الابتداآت الحسنة فى شعره كقوله فى قصيدة يمدح بها كافورا وكان قد جرت بينه وبين ابن سيده نزغة فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال

يارب جعد فهم لو تدرين * يضرب ضرب السبط المقاديم وأنشد غيره كأن أصوات القطا المنقض * بالليل أصوات الحصا المنقز

وأنشد غيره والله لولا شيخنا عباد
لكمرونا عندها أو كادوا
فرشط لما كره الفرشاط
بفيشة كأنها ملطاط

وأنشد الفراء
كان تحت درعها المنقد
شطا رميت فوقه بشط

والشط السنام وأنشد غيره
اذا رجالا فاجعلونى وسطا
انى كبير لا أطيق العندا

وأنشد ابن الاعرابى
أزهر لم يولد بنجم الشح
ميمم البيت كريم السنخ

وأنشد
قبحت من سالفة ومن صدغ
كأنها كشية ضب فى صقع

وأنشد
كأنها والعهد مذ أقياظ
أس جراميز على وجاذ

الجرموز الحوض الصغير والوجاذ المشرق من الارض وأنشد غيره
حشورة الجنبين معطاء القفا
لا تدع الدمن اذا الدمن طفا
الا بجرع مثل اثباج القطا

(ومن المقلوب جذب وجبذ) اضمحل الشئ و(امضحل) أحجمت عن الامر و(أجحمت) (طمس الطريق) وطسم اذا درس (ثنت اللحم) ونثت اذا أنتن (أنى الشئ) يأنى مثل أتى يأتى وآن يئين اذا حان بير عميقة و(معيقة) * (قاع الفحل) على الناقة وقعا يقعو اذا ضربها مثل يومنا و(محت) اذا اشتد حره شفنت و(شنفت) أى نظرت صعق الرجل و(صقع) وهى الصاعقة والصاقعة عقاب عقنباة و(عبنقاة) وهى ذات المخالب اشاف الرجل على الشئ و(أشفى) اذا أشرف اعتام و(اعتمى) اذا اختار واعتاق الامر فلانا و(اعتقاه) اذا حبسه (بلت) الشئ وبتلته قطعته ومنه قول الشنفرى

حسم الصلح ماأشتهته الاعادى * وأذاعته ألسن الحساد

وهذا من بديع الابتداء ونادره وكذلك ورد قوله فى سيف الدولة وكان ابن الشمشقيق حلف ليلقينه كفاحا فلما التقينالم يطق ذلك وولى هاربا فافتتح أبو الطيب قصيدته بفحوى الامر فقال

عقبى اليمين على عقبى الوغاندم * ماذا يزيدك فى اقدامك القسم

وفى اليمين على ماأنت واعده * مادل أنك فى الميعاد متهم

وكذلك قوله وقد فارق سيف الدولة وسار الى مصر فجمع بين ذكر فراقه اياه ولقائه كافورا فى أول بيت من القصيد فقال فراق ومن فارقت غير مذمم * وأم ومن يممت خير ميمم

(ومن البديع النادر فى هذا الباب) قوله متغزلا فى مطلع قصيدته القافية وهى

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى

وله مواضع أخر كثيرة لاحاجة الى ذكرها (ومن محاسن الابتدا آت) التى دلت على المعنى من أول بيت فى القصيدة ماقرأته فى كتاب الروضة لأبى العباس المبرد فانه ذكر غزوة غزاها الرشيد هرون رحمه الله فى بلاد الروم وأن نقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض نقفور العهد فلم يجسر أحد على اعلام الرشيد لمكان هيبته فى صدور الناس وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على أن يقولوا أشعارا فى اعلامه فكلهم أشفق من لقائه بمثل ذلك الا شاعرا من أهل جدة يكنى أبا محمد وكان شاعرا مفلقا فنظم قصيدا وأنشدها الرشيد أولها نقض الذى أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير

نقفور انك حين تغدر ان نأى * عنك الامام لجاهل مغرور

أظننت حين غدرت أنك مفلت * هبلتك أمك ماظننت غرور

فلما أنهى الابيات قال الرشيد أوقد فعل ثم غزاه فى بقية الثلج وفتح مدينة هرقلة (وقرأت فى كتاب الاغانى لأبى الفرج الاصبهانى) مارواه من شعر سديف فى تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بنى أمية فقال قدم سديف من مكة الى الحيرة والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو أمية يجلسون عنده على الكراسى تكرمة لهم فلما دخل عليه سديف حسر لثامه وأنشده أبياتا من الشعر فالتفت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال لآخر الى جانبه قتلنا والله العبد فلما أنهى الابيات أمرهم السفاح فأخرجوا من بين يديه وقتلوا عن آخرهم وكتب الى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه منهم ومن الابيات

أصبح الدين ثابتا فى الاساس * بالبها ليل من بنى العباس

أنت مهدى هاشم وهداها * كم أناس رجوك بعد اياس

لاتقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس

خوفهم أظهر التودد فيهم * وبهم منكم كحز المواسى

أقصهم أيها الخليفة واحسم * عنك بالسيف شأفة الارجاس

واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس

ولقد ساءنى وساء سوائى * قربهم من منابر وكراسى

وهذه الابيات من فاخر الشعر ونادره افتتاحا وابتداء وتحريضا وتأليبا ولو وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء الاسهاب والاطناب لما بلغت مقدار ما الهام ن الحسن (ومن لطيف الابتدا آت)

كان اهانى الارض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت أى تقطع انف الرجل وجهه و (قوله) أى صرفه هجمت بالسبع و (جهجت) به اذا صحت به وزجرته تزحزحت عن المكان و (تحزحزت) أهذب فى المشى و (أهبذ) انتق الشئ و (انتاقه) من النقاوة قال الراجز * مثل القياس انتاقها المنتق * قال الكسائى هو من النيقة شاءنى الامر و (شآنى) اذا حزنك وراءنى و (رآنى) مثل رعى و (راع) ابن الاعرابى غرسه و (رغسه) رجل أرغل و (أغرل) جاءت الخيل شوائع و (شواعى) أى متفرقة الامة ناداء و (دأناء) * (استدمى الرجل غريمه) واستدامه اذا رفق به شاكى السلاح و (شائك) ولاث و (لائث) عمج فى السير و (معج) وهار و (هائر) وعاقنى عنه عائق و (عاق) وعاث و (عائث) وآن و (ائن) والصبر و (البصر) الجانب والحرف من كل شئ استنباع الشئ و (استنعى) اذا تقدم قلقلت الرجل و (لقلقته) ما أطيبه و (أيطبه) أنبضت القوس و (أنضبتها) اذا أنت جذبت وترها ثم أرسلته فصوت

* ماتكلم به العامة من الكلام الاعجمى *

الاصمعى (الزرجون) الخمر وأصله بالفارسية زركون أى لون الذهب قال و (الخندريس) الخمر و (اسفنط) و (اسفند) الخمر قال وأحسبها بالرومية قال و (السجنجل) المرآة بالرومية فيما أحسب و (البرنساء) الخلق وأصله بالنبطية ابن الانسان يقال فى المثل ما أدرى أى البرنسا هو و (القفشليل) المغرفة وأصله بالفارسية كفجلاز و (الكرد) العنق وأصله بالفارسية كردن وأنشد وكنا اذا القيسى نب عتوده * ضربناه دون الانثيين على الكرد

ماذكره

ماذكره مهيار وهو
أماوهواهاعذرة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليها فأمحلا
سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولوشاء قللا

فانه أبرز الاعتذار فى هيئة الغزل وأخرجه فى معرض النسيب وكان وشى به الى الممدوح فافتتح قصيدته بهذا المعنى فاحسن (ومما جاء على نحو من ذلك) قول بعض المتأخرين من العراقيين

وراءك أقوال الوشاة الفواجر * ودونك أحوال الغرام المخامر
ولولا ولوع منك بالصد ماسعوا * ولولا الهوى لم أنتدب للمعاذر

فسلك فى هذا القول مسلك مهيار الا أنه زاد عليه زيادة حسنة وهى المعاتبة على الاصغاء الى أقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من أغرب ماقيل فى هذا المعنى (ومن الحذاقة فى هذا الباب) أن تجعل التحميدات فى أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعانى تلك الكتب وانما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لان التحاميد لاتصدر فى غيرها فانها تكون قد تضمنت أمور الائقة بالتحميد كفتح مقفل أوهزيمة جيش أوماجرى هذا المجرى (ووجدت أبااسحق الصابى) على تقدمه فى فن الكتابة قدأخل بهذا الركن الذى هومن أوكد أركان الكتابة فاذا أتى بتحميدة فى كتاب من هذه الكتب لاتكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب وانما تكون فى واد والكتاب فى واد الا ماقل من كتبه (فمما خالف فيه مطلع معناه) انه كتب كتابا يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاتراك عنها وكان ذلك فتحا عظيما فابتدأ بالتحميد فقال الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلى المجيد الذى لايوصف الابسلب الصفات ولاينعت الابرفع النعوت الازلى بلا ابتداء الابدى بلا انتهاء القديم لامنذ أمد محدود الدائم لاالى أجل معدود الفاعل لامن مادة استمدها ولابآلة استعملها الذى لاتدركه الاعين بلحاظها ولاتحده الالسن بألفاظها ولاتخلقه العصور بمرورها ولاتهرمه الدهور بكرورها ولا تضارعه الاجسام باقطارها ولاتجانسه الصور بأعراضها ولاتجاريه أقدام النظر أو الاشكال ولاتزاحمه مناكب القرناء والامثال بل هو الصمد الذى لاكفوله والفذ الذى لاتوأم معه والحى الذى لاتخرمه المنون والقيوم الذى لاتشغله الشؤن والقدير الذى لاتؤده المعضلات والخبير الذى لاتعييه المشكلات وهذه التحميدة لاتناسب الكتاب الذى افتتح بها ولكنها تصلح أن توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب الشامل للجوينى أوكتاب الاقتصاد أوماجرى مجراهما واما أن توضع فى صدر كتاب فتح فلا وهو وان أساء فى هذا الموضع فقد أحسن فى مواضع أخر وذلك أنه كتب كتابا عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى الى الاطراف عند عوده الى كرسى ملكه وزوال مانزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من قادحة الاتراك فقال الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الوهن اذا ألم وكاشف الخطب اذا أظلم والقاضى للمسلمين بما يضم نشرهم ويشد أزرهم ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفة عليهم وان شابت ذلك فى الاحيان شوائب من الحدثان فلن تتجاوز بهم الحد الذى يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون الى فضل ماأولاهم الله وعوّدهم ووثق لهم ووعدهم من امان سربهم واعذاب شربهم واعزاز جانبهم واذلال مجانبهم واظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعانى فيها مكررة كالذى أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه فى باب السجع فليؤخذ من هناك (ومن المبادى التى قد أخلقت وصارت مزدراة) أن يقال فى أوائل التقليدات ان أحق الخدم بأن ترعى خدمة كذا وكذا وان أحق من قلد

(والانثيان) الاذنان أبو عبيدة قال ربما وافق الاعجمى العربى قالوا غزل (مضت) أى صلب و(الزورة) القوة و(الدشت) الصحراء وأنشد للاعشى

قد علمت فارس وحمير والـ
اعراب بالدشت أيكم نزلا

يريد الصحراء وهى دشت بالفارسية ولم يكن أبو عبيدة يذهب الى ان فى القرآن شيأ من غير لغة العرب وكان يقول هو اتفاق يقع بين اللغتين وكان غيره يزعم ان القسطاس الميزان بلغة الروم والغساق البارد المنتن بلسان الترك والمشكاة الكوة بلسان الحبشة والسجيل بالفارسية سنك وكل أى حجارة وطين والطور الجبل بالسريانية واليم البحر بالسريانية وروى عن ابن عباس انه قال التنور بكل لسان عربى وعجمى (وعن على) عليه السلام انه قال التنور وجه الارض و(البرق) الحمل أصله بالفارسية بره و(السرق) الحرير أصله بالفارسية سره و(اليلمق) القباء أصله بالفارسية يلمه و(المهرق) الصحيفة وهى بالفارسية مهره و(المسح) البلاس وهو بالفارسية فلاس قال لبيد

فخمة ذفراء ترتى بالعرا
قردمانيا وتركا كالبصل

عن أبى عبيدة هو قباء محشو وعن غيره انه قال هى دروع وأصله بالفارسية كردمانده معناه عمل وبقى (البورياء) بالفارسية وهى بالعربية بارى وبورى قال العجاج * كالخص اذجلله البارى * و(السبيج) قميص وأصله بالفارسية شبى وهو القميص قال العجاج

كما رأيت فى الملاء البردجا
كالحبشى التف أوتسبجا

قال (البردج) السبى وهو بالفارسية برده وقوله * عكف النبيط يلعبون الفنزجا * وهو بالفارسية بنجكان وقوله * يوم خراج يخرج السمرجا *

الاعمال من اجتمع فيه كذا وكذا فان هذا ليس من المبادى المستحسنة ومن استعمله أولا فقد
ضعفت فكرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادى والذى تبعه فى ذلك اما مقلد ليس عنده
قوة على أن يختار لنفسه واما جاهل لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردىء وأهل زماننا
هذا من الكتاب قد قصروا مبادى تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها وان أتوا بتحميدة
من التحاميد كانت مباينة لمعنى التقليد الذى وضعت فى صدره وكذلك قد كان الكتاب
يستعملون فى التقليدات مبدأ واحدا لا يتجاوزونه الى غيره وهو هذا ما عهد فلان الى فلان
والتحميد خير ما افتتح به التقليدات وكتب الفتوح وما جرى مجراهما وقد أنكرت ذلك على
مستعمله فى مفتتح تقليد أنشأته بولاية وال فقلت كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس بذى شان
ولا يوضع فى ميزان ولا يجتنى من أفنان وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان الى فلان وتلك
فاتحة لم تكن جديدة فتخلق بتطاول الايام ولا حسنة النظم فيضاهى بها من ذوات النظام
وهذا التقليد مفتتح بحمد الله الذى تكفل لحامده بالزيادة وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله
بالاعادة وهو الذى بلغ بنا من مآرب الدنيا منتهى الارادة وسلم الينا مقاده فذلل لنا بها كل
مقادة ووسد الامر منا الى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة ونرجو أن يجمع لنا بين
سعادة الاولى والاخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك السعادة ثم نصلى على نبيه محمد الذى
ميزه الله على الانبياء بشرف السيادة وجعل انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق
الايوان من آيات الولادة وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا فى الاشادة
وبسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة أما بعد كذا
وكذا ثم أنهيت التقليد الى آخره (ومن الحذاقة فى هذا الباب) أن يجعل الدعاء فى أول الكتاب
من السلطانيات والاخوانيات وغيرهما مضمنا من المعنى ما بنى عليه ذلك الكتاب وهذا شئ
انفردت بابتداعه وتراه كثيرا فيما أنشأته من المكاتبات فانى توخيته فيها وقصدته (فمن ذلك)
ما كتبته فى الهناء بفتح وهو هذا الكتاب مشافه بخدمة الهناء للمجلس السامى الفلانى جدد
الله له فى كل يوم فتحا وبدل عرش كل ذى سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف
جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضحى وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالدا ومدحا
وأسكنه بعد العمر الطويل دار الاخلد لا يظمأ فيها ولا يضحى ثم أخذت بعد ذلك فى انشاء الكتاب
المتضمن ما يقتضيه معانى ذلك الفتح (ومن ذلك) ما ذكرته فى الهناء بمولود وهو جدد الله
مسرات المجلس السامى الفلانى ووصل صبوح هناته بغبوقه وأمتعه بسليله المبشر بطروقه
وأبقاه حتى يستضىء بنوره ويرمى من فوقه وسر به أبكار المعانى حتى تخلق أعطافها بخلوقه
وجعله كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ثم أخذت فى اتمام الكتاب
بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتأمل ما أوردته ههنا من هذين المثالين وانسج
على منوالهما فيما تقصده من المعانى التى تبنى عليها كتبك فان ذلك من دقائق هذه الصناعة
(وأما فواتح الكتب التى أنشأتها) فمنها ما اخترعته اختراعا ولم أسبق اليه وهى عدة كثيرة وقد
أوردت ههنا بعضها (ومن ذلك) مفتتح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشأت سحابة من سماء
الديوان العزيز النبوى جعل الله الخلود لدولته أوطانا والحدود لها أركانا ونصب أيامها فى
أيام الدهر أحيانا وصورها فى وجهه عينا وفى عينه انسانا ومد ظلها على الناس عدلا واحسانا
وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا أديانا وآتاها من معجزات سلطانه ما لم ينزل به لغيرها
سلطانا فارتاح الخادم لالتقائها وبسط يده لاستسقائها وقال رحمة مرسلة لا تخشى

قال أصله بالفارسية سه مره أى استخراج الخراج فى ثلاث مرات وقوله * مباحة غنم مشيار هوجا * قال الرهوج السهل وهو
بالفارسية رهوار اى هملاج وقوله
* وكان ما اقتض الجاف بهرجا *
(البهرج) الباطل وهو بالفارسية
نبهره (البالغاء) ممدود الاكارع
وهو بالفارسية بايها و (الالوة)
العود وأصلها بالفارسية وقال
الشاعر وهو أوس بن حجر

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها
من الفصافص بالنمى سفسير

و (السفسير) بالفارسية السمسار
(القمجر) و (القمنجر) القواس
وهو بالفارسية كمانكر قال الاعشى

وبيداء تحسب آرامها
رجال اياد بأجيادها

قال أبو عبيدة أراد الجوز يابالنبطية
أو الفارسية وهو الكساء والاصمعى
يرويه بأجلادها أى شخوصها
وخلقها و (القيروان) وأصله
بالفارسية كاروان فعرب وقال
امرؤ القيس

وغارة ذات قيروان
كأن أسرابها الرعال

والقيروان معظم الشئ والكاروان
بالفارسية جماعة الناس والقافلة
(والبالة) الجراب باله قال الاعشى
وذكر الحمار

أظل مظلته بالسراج
والليل غامر جدادها

(الجداد) الخيوط المعقدة وهى
بالفارسية كداد قال اوس

تضمنها وهم ركوب كأنه
اذا ضم جنبيه المخارم رزدق

(رزدق) سطر ممدود وهو بالفارسية
رسته وقال رؤبة

* ضوابعا ترمى بهن الرزدقا *

و (الديابوذ) ثوب ينسج على نيرين
وهو بالفارسية دوابوذ قال الشماخ
وذكر ظبية

كأنها وابن أيام تربيه * من قرة العين مجتابا ديابوذ

(واليرندج) جلد أسود وهو بالفارسية رنده (الكرز) البازى

رعودها

رعودها ولا تخاف وعودها ومن شأنها ترويض الصنائع التى يبقى آثارها لا الخمائل التى تذوى أزهارها وقد يعبر عن الكتاب ونائله بالسحاب ووابله فان صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع الصواب وصدق حينئذ قول القائل ان البحر عنصر السحاب لكن فرق بين ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه وبين ما يسم الارض الماحلة وبين ما يسمى الاقدار الخاملة ومازالت كتب الديوان العزيز تضرب لها الامثال وتصرف نحوها الآمال ويرى الحسد فيها حسنا وان عد فى غيرها من سيئ الاعمال وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وأرسلته اليه من الموصل الى أرض الشمال من بلاد الروم وهو طلع كوكب من أفق المجلس السامى لا خلت سيادته من عدو وحاسد ولا شينت بتوأم يخرجها عن حكم الواحد ولا عدمت صحبة الجدود المتيقظة فى الزمن الراقد ولا أوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذى هو عمر خالد ولا زال مرفوعا الى المحل الذى يعلم به أن الدهر للناس ناقد والكواكب تختلف مطالعها فى الشمال والجنوب فمنها ما يطلع دائما فى أحدهما وهو فى الآخر دائم الغروب وكتاب المجلس كوكب لم ير بهذه الارض مطلعه وان علم من السماء أين موضعه ولما ظهر الآن للخادم سجد له حامدا وخر له ساجدا وقال قد عبدت الكواكب من قبلى فلا عجب أن أكون لهذا الكوكب عابدا وها أنا قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشعرى وهذا مطلع غريب والسياقة التالية لمطلعه أغرب ومن أغرب ما فيها قولى وها أنا قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشعرى والمراد بذلك أن ابن كبشة كان رجلا فى الجاهلية يعبد الشعرى فخالف بذلك دين قومه ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قالت قريش هذا قد خالف ديننا وسموه ابن أبى كبشة أى انه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه فى عبادة الشعرى فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء كما تراه مبتدعا غريبا (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان بالشام وهو طلعت من الغرب شمس فقيل قد آذنت أشراط الساعة بالاقتراب ولم يعلم أن تلك الانوار انما هى أنوار الكتاب لم تألف الابصار من قبله أن تطلع الشمس من المغرب وليس ذلك الا كتاب المجلس لا سلبه الله مزية هذا الوصف الكريم وآتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذى علم عليم وأحيا النفوس من كلمها بروح كلمه كما شفى غليلها من أقلامه بسقيا الكليم ولما ورد عن الخادم صار ليله نهارا وأصبح الناس فى الحديث به أطوارا والمنصف منهم يقول قد جرت الشمس الى مستقرها والشمس لا تجد قرارا وهذا الكتاب فى الحسن والغرابة كالذى قبله (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تأوب زور من جانب المجلس السامى أدنى الله داره وجعل كلماته التامة جاره وأشهد أفعال التقوى ليله وأفعال المكارم نهاره ووهبه من أعوام العمر طواله ومن أعوام العيش قصاره ولا أقدر السابقين الى المعالى أن يجروا معه ولا أن يشقوا غباره وليس ذلك الزور الا سطورا فى قرطاس ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله فى ملاطفة الايناس والله لا يصغر ممشى هذا الزائر وتقر عينى برؤيته حتى لا أزال به قرير الناظر ومع هذا فانى عاتب لتأخره وهو مظنة العتاب ومن تأخر عنه كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتياب والظنين بالمودة لا يرى الا ظنينا وقد قيل انها وديعة وقليلا ما تجد على الودائع أمينا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو سنحت روضة من جانب المجلس

وهو الرجل الحاذق بالفارسية كره (مرعزى) وهو بالنبطية مرنزى و (الصيق) الريح وأصله نبطى زيقا و (الطست) والتور والقمقم بالرومية و (البستان) فارسى معرب و (الطابق) و (الطاجن) فارسى (الصرد) و (الحرم) البرد والحر و (المرج) و (العسكر) و (الديدبان) و (الخندق) و (الموزج) و (الموق) هذه كلها فارسية أعربت و (الغرانق) انما هو بروانه (السدير) فارسى معرب وأصله سادلى أى قبة فى ثلاث قباب مداخلة وهو الذى يسميه الناس سهدلى فأعرب والعرب تقول (قربز) للجربز قال ودرهم (قسى) انما هو تعريب قاش ويقال هو فعيل من القسوة أى فضة رديئة صلبة ليست بلينة وقول الاعشى فى النعمان

* حتى مات وهو محرزق *

قالوا هو بالنبطية هرزوقا محبوس أو نحو ذلك وقول رؤبة فى جسم نخت المنكبين (قوش) قال قوش صغير وهو بالفارسية كوشك فعربه وقول العبدى كدكان الدرابنة المطين قال و (الدرابنة) البوابون واحدهم دربان بالفارسية وقول أبى دواد

فسمروناعنه الجلال كما * سل لبيع اللطيمة الدخدار

(الدخدار) الثوب وهو بالفارسية تخت دار أى يمسكه التخت وقال الكميت يصف بقرة

* تجلو البوارق منها صفح دخدار *

(الخورنق) كان يسمى الخورنكاه أى موضع الشرب فأعرب

(دخول بعض الصفات على بعض)

(تدخل من على عند) تقول جئت (من عندك) و (تدخل على على) أنشد الكسائى

باتت تنوش الحوض نوشا من على * نوشا به تقطع أجواز الفلا

(وتدخل على عن) قال ذو الرمة

السامى جعل الله المعالى له رداء ونهايات المساعى له ابتداء وفداه من يقصر عن درجته حتى تكون الاكارم له فداء وهدى المحامد لافعاله وأهدى البقاء لايامه حتى يجتمع له الامران هدى واهداء وأتاه من السيادة ما يجعل أعداءه أصادق ومن السعادة ما يجعل أصدقاءه أعداء فاستنشق الخادم رباها وتلقى بالتحية محياها واستمتع بازهارها التى أنبتها سقيا الاقلام لا سقى الغمام وقال هذا ربيع الارواح لا ربيع الاجسام ولو رام الاحاطة بوصفها لكانت الاقوال المطولة فيها مختصرة ولكنه اكتفى بأن رفعها على رأسه حتى يتمثل أن الجنة فى شجرة ومن أوصافها أنها جاءت رائدة ومن شأن الروض أن يرتاد وحلت محاسنها التى هى فى غيرها من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفؤاد ولما سرح فيها ناظره وجد شوقه حمامة تغرد فى أكنافها وتردد الشجى لبعد أليفها اذا رددته الحمائم لقرب الافها وهذا قول له عند اخوان الصفاء علامة واذا تمثل كتاب الحبيب روضة فهل يتمثل شوق محبه الا حمامة وأى فرق بين هذه وبين أخواتها من ذوات الاطواق لولا أنها تملى شجوها على صفحات القلوب وتلك تمليه على عذبات الاوراق وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب وفيه معنيان مبتدعان وأعجبهما وأغربهما قولى حتى يتمثل أن الجنة فى شجرة وهذا مستخرج من الحديث النبوى (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تضوعت نفحة من تلقاء المجلس السامى رعى الله عهده وسقاه وصان وده ووقاه ويسر لى القاء العصا بلقاه فعطرت الطريق التى سايرتها والريح التى جاورتها وأنت فأفرشتها خدى وضممت عليها ودى وجعلتها ردعا لجيبى ولطيمة لردنى ووشاحا لعقدى وعلمت أنها ليست بنفحة طيب ولكنها كتاب حبيب فان مناشق الارواح غير مناشق الاجسام ولا يستوى عرف الطيب وعرف الاقلام ثم مددت يدى الى الكتاب بعد أن صافحت يده موصله كما صافحت عبقة منديله وقلت أهلا بمن أدنى من الحبيب مزارا وأهدى لعينى قرة ولقلبى قرارا وهذا فى الغرابة كأخواته التى تقدمت ولم أستقص ما اخترعته من هذا الباب فى مطالع الكتب (وأما ما أتيت فيه بالحسن) من المعانى ولكنه غير مخترع فمن ذلك مطلع كتاب كتبته عن الملك نور الدين ارسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الملك الافضل على بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما التعزية فبوفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده وهو لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنئة لكنه جمعهما جميعا فأتى بهما على حكم التثنية وفى مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضى آخرا وهذا البيت الناصرى يتداول درجات العلى فاقتضى الاوائل ترجع وشموسه وأقماره تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب الا وآخر يطلع والناس ان فجعوا بماجد ردفه من بعده ماجد وان قيل ان الماضى كان واحدا قيل بل الآتى هو الواحد وهذا فصل من أول الكتاب ثم كتبت فى هذا المعنى كتابين آخرين وفى الذى أوردته من هذا الفصل مقنع (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بينى وبينه زمانا وهو لقاء كتب الاحباب كلقاء الاحباب وقد تأتى بعد يأس منها فيشتبه لها دمع السرور بدمع الاكتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس السامى الفلانى جعل الله الليالى له صحبا والمعالى له عقبا ورفع مجده فوق كل ماجد حتى تكون حسنات من لدى حسناته ذنبا ولا زال اسمه فى الافواه عذبا وذكره فى الالسنة رطبا ووده لكل انسان انسانا ولكل قلب قلبا ثم انتهيت الى آخر الكتاب على هذا النسق وانما ذكرت ههنا مبتدأه لانه الغرض المقصود فى هذا الموضع (ومن

* اذا نفحت من نحو عين المشارق * وقال القطامى * من عن يمين الحبيا نظرة قبل * وتقول كنت مع أصحاب لى فأقبلت من معهم وكان معها فانتزعته من معها وقال الكسائى سمعت بعض العرب يقول أخذته من كمكان ذلك قال سيبويه العرب تقول جئت من عليه كقولك من فوقه وجئت من معه كقولك من عنده وقال مزاحم

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها
تصل وعن قيض ببيداء مجهل

قال الكسائى من تدخل على جميع حروف الصفات الا على الباء واللام وفى قال الفراء ولا تدخل أيضا عليها نفسها قال وانما امتنعت العرب من ادخالها على الباء واللام لانهما قلتا فلم يتوهم وفيهما الاسماء لانه ليس من أسماء العرب اسم على حرف وأدخلت على الكاف لانها فى معنى مثل (والباء تدخل على الكاف) وقال الشاعر

وزعت بكالهراوة أعوجى
اذا ونت الركاب جرى وثابا

وقال امرؤ القيس

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا
تصوب فيه العين طورا وترتقى

كأنه قال بمثل ابن الماء وأنشد سيبويه

* وصاليات ككما يؤثفين *

فأدخل الكاف على الكاف وأنشد القاسم بن معن

على كالخنيف السحق يدعو به الصدى

(دخول بعض الصفات مكان بعض)

(فى مكان على) تقول لا يدخل الخاتم فى أصبعى أى على أصبعى قال الله عز وجل ولاصلبنكم فى جذوع النخل أى على جذوع النخل وقال الشاعر

وهم صلبوا العبدى فى جذع نخلة
فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال عنترة * بطل كأن ثيابه فى سرحة * أى على سرحة من طوله (الى مكان فى) قال النابغة

ذلك) ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو البشرى تعطى للكتاب كما تعطى لمرسله وكل منهما يوفى حق قدره وينزل فى منزله وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامى الفلانى لازال محله أنيسا وذكره للفرقدين جليسا وسعيه على المكارم حبيسا ومجده جديد الملابس اذا كان المجد لبيسا وههنا ذكرت فى هذا الكتاب كما ذكرته من الذى قبله فانى لم أذكر الا مبدأه الذى هو الغرض (ومما ينتظم فى هذا السلك) ما كتبته فى صدر كتاب يتضمن تعزية وهو لولم يلبس قلمى ثوب الحداد لهجر مداده ونضى عنه سواده وبعد عن قرينته وعاد الى طينته وحرم على نفسه أن يمتطى يدا أو يجرى الى مدى لكنه أحد فندب وبكى فسكب وسطر هذا الكتاب من دموعه وضمنه ما حملته أحناء ضلوعه وانما استعار ذلك من صاحبه الذى أعداه وأبدى اليه من حزنه ما أبداه وهو نائب عنه فى تعزية سيدنا أحسن الله صبره ويسر أمره وأرضى عنه دهره ثم أنهيت الكتاب الى آخره (ومن محاسن هذا الباب) أن يفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الاخبار النبوية أو ببيت من الشعر ثم يبنى الكتاب عليه (فمن ذلك) ما كتبته فى ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو

ومن طاب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم وجعلنا السيف وسيلة الى استفتاح الملك العقيم ورأينا المجد لا تنصب الا على النصب والراحة الكبرى لا تنال الا على جسر من التعب وكتابنا هذا وقد استولينا على مملكة فلانة وهى المملكة التى تمنى الآمال دونها حاصرعى واذا قيس اليها غيرها من الممالك كانت أصلا وكان غيرها فرعا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن ذلك) ما كتبته فى مفتتح تقليد بالحسبة وهو ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ولا يختص به الا ذوو الاوامر المطاعة وذوو العلوم وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستخلفين عليهما فنبدأ أولا بحمده الذى هو سبب للمزيد ثم لنأخذ فى القيام بأمره الذى هو على كل نفس منه رقيب عتيد ولا ريب أن اصلاح العباد يسرى الى الارض حتى تزكو بطونها وتنام عيونها ويشترك فى بركات السماء ساكنها ومسكونها والامر بذلك جلل ان لم تتوزعه الاكف ثقل على الرقاب واذا انتشرت أطراف البلاد فانها تفتقر الى مساعدة من مستنيب ومستناب وقد اخترنا لمدينة فلانة رجلا لم نأل فى اختياره جهدا وقدمنا فيه خيرة الله التى اذا صدقت نيتها صادفت رشدا وهو أنت أيها الشيخ فلان فابسط يدك بقوة الى أخذ هذا الكتاب وكن حسنة من حسناتنا التى يرجح بها ميزان الثواب وحقق نظرنا فيك فانه من نور الله الذى ليس دونه حجاب فتأمل كيف فعلت فى هذه الآية التى بنيت التقليد عليها وهو من محاسن المبادى والافتتاحات (وكذلك فعلت فى موضع آخر) وهو مفتتح كتاب كتبته الى شخص كافته السفارة الى مخدومه فى حاجة عرضت وهو ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا هذا القول تتبع آثاره وتحمل عليه أنظاره وأولى الناس بسيدنا من شاركه فى لحمة أدبه وان لم يشاركه فى لحمة نسبه فان المناقب أقارب والمآثر أواصر

وليس يعرف لى فضلى ولا أدبى * الا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بعث خلقه الكريم على عوارف افضاله واستهداء صنيعة جاهه التى هى أكرم من صنيعة ماله ولا تجارة أربح من هذه التجارة والساعى فيها شريك فى الكسب برىء من الخسارة (وأما الاخبار النبوية) فيسلك بها هذا المسلك بان يذكر الخبر فى صدر الكتاب ثم

فلا تتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار أجرب

يريد فى الناس وقال طرفة

وان يلتق الحى الجميع تلاقنى *
الى ذروة البيت الكريم المصمد

أى فى ذروة البيت الكريم الذى يصمد اليه ويقصد ويقال جلست الى القوم أى فيهم (على مكان عن) يقال رضيت عليك بمعنى عنك وقال القحيف العقيلى

اذا رضيت على بنو قشير
لعمر الله أعجبنى رضاها

ورميت على القوس بمعنى عنها قال

* أرمى عليها وهى فرع أجمع *

وقال ذو الاصبع

ان تعقلا جفرة على ولم
أوذ صديقا ولم أنل طبعا

أى عنى وقال آخر

اذا ما امرؤ ولى على بوده
وأدبر لم يصدر بادباره ودى

أى ولى عنى بوده (من مكان عن) يقال حدثنى فلان من فلان بمعنى عنه ولهيت من فلان بمعنى عنه (الباء مكان عن) انما تأتى الباء بمعنى عن بعد السؤال قال الله عز وجل فاسأل به خبيرا أى عنه ويقال أتيتنا فلانا نسأل به أى عنه وقال علقمة بن عبدة

فان تسألونى بالنساء فاننى
بصير بأدواء النساء طبيب

وقال ابن أحمر

تسائل بابن أحمر من رآه
اعارت عينه أم لم تعارا

وأنشد أبو عمرو بن العلاء

دع المغمر لا تسأل بمصرعه
واسأل بمصقلة البكرى ما فعلا

وقال آخر

ولا يسأل الضيف الغريب اذا شتا
بما زخرت قدرى له حين ودعا

(عن مكان الباء) يقال رميت عن القوس بمعنى بالقوس قال امرؤ القيس

تصد وتبدى عن أسيل * أى تصد بأسيل وقال أبو عبيدة فى قول الله عز وجل وما ينطق عن الهوى (فى مكان الى) قال الله

يبنى عليه ولنذكر منها ولو مثالا واحدا وهو توقيع كتبته لولد رجل من أصحاب السلطان توفى والده ونقل ما كان باسمه اليه فقلت قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو كلا أو ضياعا فالىّ وعلىّ وهذا خلق من الاخلاق النبوية لا مزيد على حسنه وأساليب المكارم باسرها موضوعة فى ضمنه ونحن نرجو أن نمشى على أثره فننزل منزلة رديفه أو ان نتشبه به فنبلغ مبلغ مده أو نصيفه وقد أرانا الله ذلك فى قوم صحبونا فاسعفناهم بمباغى الانعام وأحمدناهم صحبة الليالى والايام وتكفلنا أيتامهم من بعدهم حتى ودوا أن يكونوا هم الايتام وهذا فلان بن فلان رحمه الله ممن كان له فى خدمة الدولة قدم صدق وأولية سبق وحفظ كتاب المحافظة عليها فقيل له فى تلاوته اقرأ وارق ثم أنهيت التوقيع الى آخره فتأمل مفتتح هذا التوقيع فانه تضمن نص الخبر من غير تغيير وقد ضمنته بعض خبر آخر من الاخبار النبوية وهو قوله اقرأ وارق قال النبى صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها (وقد مثلت لك) ههنا أمثلة يقتدى بها فاحذ حذوها وامض على نهجها والله الموفق للصواب

(النوع الثالث والعشرون فى التخلص والاقتضاب) وهذا النوع أيضا كالذى قبله فى أنه أحد الاركان الخمسة التى تقدمت الاشارة اليها فى الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وينبغى لك أيها المتوشح لهذه الفضيلة أن تصرف اليه جل همتك فانه مهم عظيم من مهمات البلاغة (أما التخلص) وهو أن يأخذ مؤلف الكلام فى معنى من المعانى فبينا هو فيه اذ أخذ فى معنى آخر غيره وجعل الاول سببا اليه فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغا وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعا للوزن والقافية فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته وأما الناثر فانه مطلق العنان يمضى حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر (وأما الاقتضاب) فانه ضد التخلص وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذى هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثانى علاقة بالاول وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين وأما المحدثون فانهم تصرفوا فى التخلص فأبدعوا وأظهروا فيه كل غريبة (فمن ذلك) قول أبى تمام

يقول فى قومس صحبى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وهذان البيتان من بديع ما يأتى فى هذا الباب ونادره وكذلك قوله أيضا فى وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكر الربيع وما وصفه به من الاوصاف فقال

خلق أطل من الربيع كأنه * خلق الامام وهديه المتيسر
فى الارض من عدل الامام وجوده * ومن النبات الغض سرج تزهر
تنسى الرياض وما يروض جوده * أبدا على مر الزمان ويذكر

وهذا من ألطف التخلصات وأحسنها وكذلك قوله فى قصيدته الفائية التى أولها

* أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا * فقال فيها

غيداء جادولىّ الحسن سنتها * فصاغها بيديه روضة أنفا
يضحى العذول على تأنيبه كلفا * بعذر من كان مشغوفا بها كلفا
ودع فؤادك توديع الفراق فما * أراه من سفر التوديع منصرفا

عز وجل فردوا أيديهم فى أفواههم أى الى أفواههم (فى مكان الباء) قال زيد الخيل ويركب يوم الروع فيها فوارس * بصيرون فى طعن الاباهر والكلى

وقال آخر
وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه
على كل حال من غمار ومن وحل
أى خضخضن بنا وقال آخر
* تلوذ فى أم لنا ما تغتصب *
أى بأم وقال الاعشى
* واذا تنوشد فى المهارق أنشدا *
أى اذا سئل بكتب الانبياء أجاب (على مكان اللام) قال الراعى
رعته أشهرا وخلا عليها
فطار النىّ فيها واستغارا
أى خلا لها (اللام مكان على) يقال سقط لفيه بمعنى على فيه وقال آخر
* فخر صريعا لليدين وللفم *
أى على اليدين والفم وقال آخر
كأن مخواها على ثفناتها
معرس خمس وقعت للجناجن
أى وقعت على الجناجن (الى مكان من) قال ابن أحمر
* يسقى فلا يروى الىّ ابن أحمرا *
أى منى (الى مكان عند) يقال هو أشهى الىّ من كذا أى عندى قال أبو كبير
أم لا سبيل الى الشباب وذكره
أشهى الىّ من الرحيق السلسل
أى عندى قال الراعى
ثقال اذا أراد النساء خريدة
صناع فقد سادت الىّ الغوانيا
وقال الجعدى
وكان اليها كالذى اصطاد بكرها
شقاقا وبغضا أو أطم وأهجرا
أى عندها وقال حميد بن ثور
* وذكرك سبات الىّ عجيب *
أى عندى (عن مكان على) قال ذو الاصبع لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى أى لم تفضل فى الحسب علىّ وقال قيس بن الخطيم تجاهد

تجاهد الشوق طورا ثم تجذبه * جهاده للقوافى فى أبى دلفا

وهذا أحسن من الذى قبله وأدخل فى باب الصنعة وكذلك جاء قوله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلول باللوى ورسوم
لا والذى هو عالم أن النوى * أجل وأن أبا الحسين كريم
ما حلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم

وهذا خروج من غزل الى مديح أغزل منه (ومن البديع فى هذا الباب) قول أبى نواس من جملة قصيدته المشهورة التى أولها * أجارة بيتينا أبوك غيور فقال عند الخروج الى ذكر الممدوح

تقول التى من بيتها خف مركبى * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى جريهن عبير
ذرينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيها الخصيب أمير

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته الدالية التى أولها

* عواذل ذات الخال فى حواسد *

وأورد نفسى والمهند فى يدى * موارد لا يصدرن من لا يجالد
ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * فكيف اذا لم يحمل الكف ساعد
خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى الى الخروج الى مدح الممدوح فى هذه الابيات كأنه أفرغ فى قالب واحد ثم ان أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة فى بيت واحد وهو من بدائعه المشهورة (وكذلك) قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات وهو فى قصيدته التائية التى أولها * سرب محاسنه حرمت ذواتها * فقال فى أثنائها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كأننى لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها * أقوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها
الثابتين فروسة كجلودها * فى ظهرها والطعن فى لباتها
فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها
تلك النفوس الغالبات على العلا * والمجد يغلبها على شهواتها
سقيت منابتها التى سقت الورى * بيدى أبى أيوب خير نباتها

فانظر الى هذين التخلصين البديعين فالاول خرج به الى مدح قوم الممدوح والثانى خرج به الى نفس الممدوح وكلاهما قد أغرب فيه كل الاغراب وعلى هذا جاء قوله

اذا صلت لم أترك مصالا لفاتك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم
والا فخانتنى القوافى وعاقنى * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

والشعراء متفاوتون فى هذا الباب وقد يقصر عنه الشاعر المفلق المشهور بالاجادة فى ايراد الالفاظ واختيار المعانى كالبحترى فان مكانه من الشعر لا يجهل وشعره هو السهل الممتنع الذى تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها وكالقناة لينا مسها خشنا سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء فى الاطراب وعنقاؤهم فى الاغراب ومع هذا فانه لم يوفق فى التخلص من الغزل الى

تدحرج عن ذى سامه المتقارب أى على ذى سامه (عن مكان بعد) منه قوله ٢٦٩ *اقحمت حرب وائل عن حيال* أى بعد حيال ومنه
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
ومنه *ومنهل وردته عن منهل*
أى بعد منهل ويقال أنا فاعل ذلك عن قليل أى بعد قليل قال الجعدى
واسأل بهم أسدا اذا جعلت
حرب العدو تشول عن عقم
أى بعد عقم (على بمعنى فى) قال الله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أى فى ملك سليمان ويقال كان كذا على عهد فلان وفى عهده (عن مكان من أجل) قال لبيد
لورد تقاص الغيطان عنه
أى من أجله وقول النمر بن تولب
ولقد شهدت اذا القداح توحدت
وشهدت عند الليل موقد نارها
عن ذات أوكية أساود ربها
وكأن لون الملح فوق شفارها
أى من أجل (الباء بمعنى من) قال الشاعر
شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج
أى شربن من ماء البحر ومثله قول عنترة
شربت بماء الدحرضين فاصبحت
زوراء تنفر عن حياض الديلم
(الى بمعنى فى) قال الاعشى
ما بكاء الكبير بالاطلال
أى فى الاطلال (الى بمعنى مع) يقال ان فلانا ظريف عاقل الى حسب ثاقب أى مع حسب وقال ابن مفرغ
شدخت غرة السوابق فيهم
فى وجوه الى اللمام الجعاد
أى مع اللمام وقال ذو الرمة
بها كل خوار الى كل صعلة
أى مع كل صعلة وقال أبو عبيدة فى قوله جل ثناؤه ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم وقوله عز وجل من أنصارى الى الله أى مع الله وقولهم الذود الى الذود ابل أى مع الذود (الى بمعنى اللام)

يقال هديته له واليه قال الله عز وجل الحمد لله الذي هدانا لهذا وفي موضع آخر وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى

المديح بل اقتضبه اقتضابا ولقد حفظت شعره فلم أجد له من ذلك شيأ مرضيا الا اليسير كقوله في قافية الباء من قصيدة

وكفاني اذا الحوادث أظلمـ * ـن شهابا بغرة ابن شهاب

وكقوله في قافية الدال من قصيدة

قصدت لنجران العراق ركابنا * فظلمن ازجيها لمحلة ماجد

آليت لا تلقين جدا اصاعدا * في مطلب حتى تناخ بصاعد

وكقوله في قصيدته التي أولها * حلفت لها بالله يوم التفرق * فانه تشوق فيها الى العراق من الشام ووصف العراق ومنازله ورياضه فأحسن في ذلك كله ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضها برقاب بعض فقال

رباع من الفتح بن خاقان لم تزل * غنى لعديم أو فكاكا لموثق

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي أولها
* ميلوا الى الدار من ليلى نحييها * فانه وصف البركة فأبدع في أوصافها ثم خرج منها الى مدح الخليفة المتوكل فقال

كأنها حين لجت في تدفقها * يد الخليفة لما سال واديها

وأحسن ما وجدته له وهو مما ألطف فيه كل التلطيف قوله في قصيدته التي يمدح بها ابن بسطام ومطلعها * نصيب عينك من سح وتسجام * فقال عند تخلصه الى المديح

هل الشباب ملم بي فراجعة * أيامه لي في أعقاب أيام

لو أنه بابل عمر يجاذبه * اذا تطلبته عند ابن بسطام

وهذا من الملائح في هذا الباب وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة الى كثرة شعره وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي ان كتاب الله خال من التخلص وهذا القول فاسد لان حقيقة التخلص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والبشارة بالجنة الى أمر ونهي ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل الى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان آخذ بعضها برقاب بعض (فما جاء من التخلص في القرآن الكريم) قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين هذا كلام يسكر العقول ويسحر الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة فانه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثناءه ومطاوي حكمته علم أن في ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن ألا ترى ما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين

وأوحى ربك الى النحل وفي موضع آخر بان ربك أوحى لها (على بمعنى الباء) يقال اركب على اسم الله أي باسم الله ويقال عنف عليه وبه وخرق عليه وبه وقول الشاعر

شدوا المطي على دليل دائب

أي بدليل وقول أبي ذؤيب

وكأنهن ربابة وكأنه * يسر يفيض على القداح ويصدع

أي بالقداح (على بمعنى مع) قال لبيد

كأن مصفحات في ذراه * وأنواحا عليهن المآلي

أي كأن مصفحات على ذرى السحاب وأنواحا معهن المآلي وقال الشماخ

وبردان من خال وسبعون درهما * على ذاك مقروظ من القد ماعز

أي مع ذاك (على بمعنى من) قال أبو عبيدة في قول الله عز وجل اذا اكتالوا على الناس يستوفون أي من الناس وقال صخر الغي

متى ما تنكروها تعرفوها * على أقطارها علق نفيث

أي من أقطارها (في بمعنى من) قال امرؤ القيس

وهل ينعمن من كان أقرب عهده * ثلاثون شهرا في ثلاثة أحوال

أي من ثلاثة أحوال (في بمعنى مع) يقال فلان عاقل في حلم أي مع حلم وقال الجعدي ولوح ذراعين في بركة أي مع بركة وقال الآخر

أو طعم غادية في جوف ذي حدب * من ساكن المزن يجري في الغرانيق

أي مع الغرانيق وهي طير الماء (اللام بمعنى مع) قال متمم بن نويرة

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أي مع طول اجتماع (اللام بمعنى بعد) كقولهم كتبت لثلاث خلون

أى بعد ثلاث خلون وقال الراعى حتى وردن لتم خمس بائص * جدا تعاوره الرياح وبيلا

حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليد آبائهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذى لا تجب العبادة الا له ولا ينبغى الرجوع والانابة الا اليه فصور المسئلة فى نفسه دونهم بقوله فانهم عدو لى على معنى انى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله فى يده وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظر وافيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة فى نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعديد نعمه من لدن خلقه وأنشأه الى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة واجب على الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين لان الطالب من مولاه اذا قدم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنجح لحصول الطلبة ثم أدرج فى ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى من آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند معاينة الجزاء وهو سؤال موبخ لهم مستهزئ بهم وذكر ما يدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى العودة ليؤمنوا فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على ضروب من المعانى فيخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطيفة ملائمة حتى كأنه أفرغ فى قالب واحد فخرج من ذكر الاصنام وتنفير أبيه وقومه عن عبادتهم اياها مع ما هى فيه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه فتدبر هذه التخلصات اللطيفة المودعة فى أثناء هذا الكلام وفى القرآن مواضع كثيرة من التخلصات كالذى ورد فى سورة الاعراف فانه ذكر فيها قصص الانبياء والامم الخالية من آدم الى نوح عليهما السلام وكذلك الى قصة موسى عليه السلام حتى انتهى الى آخرها الذى هو واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون هذا تخلص من التخلصات الحسان فان الله تعالى ذكر الانبياء والقرون الماضية الى عهد موسى عليه السلام فلما أراد ذكر نبينا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض الا ترى أنه قال موسى عليه السلام واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى

أى بعد تمام خمس (اللام بمعنى من أجل) تقول فعلت ذلك لك أى من أجلك وفعلت ذاك لعيون الناس أى من أجل عيونهم وقال العجاج

تسمع للجرع اذا استحيرا
للماء فى أجوافها خريرا

أراد تسمع للماء خريرا فى أجوافها من أجل الجرع (الباء بمعنى على) قال عمرو بن قميئة

بودك ماقومى على أن تركتهم
سليمى اذا هبت شمال وريحها

أى على ودك قومى وما زائدة (الباء بمعنى من أجل) قال لبيد غلب تشذر بالذحول أى من أجل الذحول

﴿زيادة الصفات﴾

قال الله جل ثناؤه تنبت بالدهن وقال تعالى اقرأ باسم ربك أى اسم ربك وقال عز وجل عينا يشرب بها عباد الله أى يشربها وقال أمية

* اذ يسفون بالدقيق * وقال الراعى

* سود المحاجر لا يقرأن بالسور *

وقال آخر

بواد يمان ينبت الشث صدره
وأسفله بالمرخ والشبهان

وقال الاعشى

* ضمنت برزق عيالنا أرماحنا *

وقال الله عز وجل وهزى اليك بجذع النخلة وقال عز وجل فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أى أيكم المفتون قال امرء القيس

* فهصرت بغصن ذى شماريخ ميال *

أى غصنا وقال آخر

* نضرب بالسيف ونرجو بالفرج *

أى نرجو الفرج وقال حميد بن ثور

أبى الله الا أن سرحة مالك
على كل أفنان العضاه تروق

أراد تروق كل

﴿ادخال الصفات واخراجها﴾

(شكرتك) وشكرت لك (ونصحتك) ونصحت لك (وكلتك) وكلت لك (واستجبتك) واستجبت لك وقال الشاعر كعب بن سعد الغنوى

اليك (بلغتك) وبلغت اليك
(وهديته الطريق) والى الطريق
(وعددتك مائة) وعددت لك
(اخترت الرجال زيدا) واخترت من
الرجال زيدا قال الله جل ثناؤه
واختار موسى قومه سبعين رجلا
وأستغفر الله ذنبى ومن ذنبى قال
أستغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل
(وكنيتك أبا فلان) وبأبى فلان
(وسميتك فلانا) وبفلان (ولست
منطلقا) ولست بمنطلق (وسرقت
زيدا مالا) وسرقت من زيد مالا
وكذلك سلبت (وزوجته) امرأة
وبامرأة أبو زيد (شغبت) على
القوم وشغبتهم (وشبعت) خبزا
ولحما ومن خبز ولحم (ورويت)
ماء ولبنا ومن ماء ولبن (ورحت)
القوم ورحت اليهم (وتعرضت)
معروفهم وتعرضت لمعروفهم
(ونأيتهم) ونأيت عنهم (وحللتهم)
وحللت بهم (ونزلتهم) ونزلت بهم
(وأمللتهم) وأمللت عليهم من
الملالة (ونعم الله بك عينا) ونعمك
عينا (وطرحت الشئ) وطرحت
به (أثمنت الرجل بمتاعه) وأثمنت
له (وأشاب الحزن) برأسه ورأسه
(وبت القوم) وبت بهم (وحققت
ان تفعل) وحق لك (غاليت
السلعة) وغاليت بها (وثويت
البصرة) وثويت بها (جاورت
بنى فلان) وجاورت فيهم (وأويت
الى الرجل) وأويته اذا نزلت به
(وظفرت بالرجل) وظفرته قال
عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

أى أظل عليه (جملك الله) وجمل عليك (حاطهم الله بقصاهم) وحاطهم قصاهم معناه كان منهم فى قاصيتهم

الآخرة فأجيب بقوله تعالى قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين من حالهم كذا وكذا ومن صفتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبى الامى ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته الى آخر الكلام وياالله العجب كيف يزعم الغانمى أن القرآن خال من التخلص ألم يكفيه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها وهى مضمنة شرح حاله مع اخوته من أول أمره الى آخره وفيها عدة تخلصات فى الخروج من معنى الى معنى وكذلك الى آخرها ولو أخذت فى ذكر مافى القرآن الكريم من هذا النوع لأطلت ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة (وقد جاءنى من التخلصات فى الكلام المنثور أشياء كثيرة) وسأذكر ههنا نبذة يسيرة منها (فمن ذلك) ما أوردته فى كتاب الى بعض الاخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت وكأن هذه الاوصاف فى شأنها بديعة فكذلك شوقى فى شأنه بديع غير أنه لحره فصل مصيف وهذا فصل ربيع فأنا أملى أحاديثه العجيبة على النوى وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أستقص حديث من قتله الهوى (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان أيضا وأرسلته اليه من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقيته منه ثم خرجت من ذلك الى ذكر الشوق فقلت ومما أشكوه من بردها أن الفرو لا يلبس الا فى شهر ناجر وهو قائم مقام الظل الذى يتبرد به من لافح الهواجر ولفرط شدته لم أجد ما يخففه فضلا عما يذهبه فان النار المعدة له تطلب من الدفء أيضا ما أطلبه لكن وجدت نار أشواقى أشد حرا فاصطليت بجمرها التى لا تذكى بزناد ولا تؤول الى رماد ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشد من حر الفؤاد غير أنى كنت فى ذلك كمن سد خلة بخلة واستشفى من علة بعلة وأقل ما أعللك ما شفاك فما ظنك بمن يصطلى نار الاشواق وقد قنع من أخيه بالاوراق فضن عليه بالاوراق (ومما ينتظم فى هذا العقد) ماذكرته فى مفتتح كتاب يتضمن عناية ببعض المتظلمين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا المكارم أنفس من هدايا الاموال وأبقى على تعاقب الايام والليال وقد حمل هذا الكتاب منها هدية تورث حمدا وتكسب مجدا وهى خير ثوابا وخير مردا ولا يسير بها الا سجية طبعت على الكرم وخلقت من عنصر الديم كسجية مولانا أعلاه الله علوا تفخر به الارض على السماء وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولا زالت أياديه مخجلة صوب الغمام معدية على نوب الايام مغنية بشرف فضلها على شرف الاخوال والاعمام وتلك الهدية هى تجريد الشفاعة فى أمر فلان ومن ايمان المرء سعيه فى حاجة أخيه وان لم يمسه بشئ من أسباب أواخيه فان المؤمنين اخوة وان تباينت مناسبهم وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم أن يسعى بذمتهم أدناهم وخيرهم من عناه من الامر ما عناهم ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن ذلك) ما كتبته من كتاب الى صديق استحدثت مودته وهو من أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ثم سار عنى فكتبت اليه أستهديه رطبا فقلت هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذى ترف كلمه رفيف الاوراق وتسجع سجع ذوات الاطواق وتهتف وهى مقيمة بالموصل فتسمع من هو مقيم بالعراق وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد وود استجدت حلته واللذة مقترنة بكل شئ جديد وأرجو أن لا يبلى قدم الايام لهذه الجدة لباسا وأن يعاذ من نظرة الجن والانس حتى لا يخشى جنة ولا باسا وقد قيل ان للمودات طعما كما أن لها وسما وان ذا اللب يصادق نفسا قبل أن يصادق جسما وانى لأجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذ دوامها ولا يمل استطعامها وقد أذكرتنى الآن بحلاوة الرطب الذى هو من أرضها وغير عجيب لمناسبة

الاشياء أن يذكر بعضها ببعضها الا أن هـذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين ما يغترس بالارض وما يغترس بالقلب فى شرف الثمار فلا ينظر سيدنا على فى هذا التمثيل ولربما كان ذلك تعريضا ينوب مناب التطفيل وهـذا من التخلصات البديعة فانظر أيها المتأمل كيف ساقت الكلام الى استهداء الرطب وجعلت بعضه آخذا برقاب بعض حتى كأنه أفرغ فى قالب واحـد وكذلك فليكن التخلص من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف للمتعلم (ومما استطرف من هذا النوع فى الشعر) قول ابن الزمكرم الموصلى وهو

وليل كوجه البرقعيدى مظلم * وبرد أغانيـه وطول قرونه
سريت ونومى فيـه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيـه التفات كأنه * أبو جابر فى خبطـه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات لها حكاية وذلك أن هـذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب وكان صاحب الموصل فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه فى ليلة من ليالى الشتاء وفى جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر وكان البرقعيدى مغنيا وسليمان بن فهـد وزيرا وأبو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه فأنشد هذه الابيات ارتجالا وهى غريبة فى بابها لم يسمع بمثلها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى فى معانيه المقصودة الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الاول بهجو البرقعيدى فجاء فى ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهى الظلمة والبرد والطول ثم ان هـذه الاوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له وكذلك البيت الثانى والثالث ثم خرج الى المديح بألطف وجه وأدق صنعة وهذا يسمى الاستطراد وما سمعت فى هذا الباب بأحسن من هـذه الابيات ومما يجرى على هذا الاسلوب ما ورد لابن الحجاج البغدادى وهى أبيات لطيفة جدا

ألا يا ماء دجلة لست تدرى * بأنى حاسـد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجرى
فقال الماء ماهـذا عجيب * بما استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبى الفضـل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

وما علمت معنى فى هذا المقصد ألطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هـذا اللفظ ويكفى ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هـذه الابيات ولا تظن أن هـذا شئ انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وفات من تقدمهم لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع بل قد تقدم أولئك الى هذا الاسلوب وان أقلوا منه وأكثر منه المحدثون وأى حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا اليه وكيف لا وهم أهله ومنهم علم وعنهم أخذ (فمن ذلك) ما جاء للفرزدق وهو

وركب كأن الريح تطلب عندها * لها قوة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

فانظر الى هذا الاستطراد ما أفحله وأفخمه واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأتى به قبيحا كما فعل أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى أولها

ملت القطر أعطشها ربوعا * فقال عند الخروج من الغزل الى المديح

(انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم بأوليائه وقوله عزوجل (لتنذر يوم التلاق) أى لينذركم بيوم التلاق وقوله عزوجل (لينذر بأسا شديدا) أى لينذركم ببأس شديد

﴿أبنية الاسماء﴾

ما جاء من ذوات الثلاثة فيه لغتان ﴿فعل وفعل﴾ أبو عبيدة (شاة يبس ويبس) اذا لم يكن لها لبن (وطريق يبس ويبس) أى يابس قال الله جل ثناؤه فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا وقال علقمة

كأن خشخشت يبس الحصاد جنوب

(وماله عندى قدر ولا قدر) وكذلك قدر الله وقدره وقال الكسائى وما قدروا الله حق قدره لو ثقلت كان صوابا وقوله عزوجل أودية بقدرها لو خففت كان صوابا وأنشد

وما صب رجلى فى حديد مجاشع
مع القدر الا حاجة لى أريدها

أراد القدر والبرد قرس وقرس) وهو (الدرك والدرك) قرئ بهما جميعا فى الدرك الاسفل والدرك الاسفل (والطرد) والطرد (والظعن) والظعن (والعذل) والعذل (والشلل) والشلل (والدأب) والدأب (ونشز من الارض) ونشز (ولغط) ولغط (وشبع) وشبع (وسطر) وسطر (ورجل صدع) وصدع الخفيف اللحم (وليلة النفر) من منى والنفر (ورجل قط الشعر) وقطط وهو (السحر) والسحر للرئة (والشعر) والشعر (والنهر) والنهر (والصخر) والصخر (والفحم) والفحم (والبعر) والبعر (والشمع) والشمع قال الفراء (الشمع) بتحريك الميم لغة العرب والمولدون يقولون (شمع) وروى ابن الاعرابى عن اعرابية بفيه (حفر) وحفر والاجود حفر بالسكون ومن المعتل (أيد) وآد للقوة (وذيم) وذام (وعيب)

غدا بك كل خلو مستهاما * وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جرّ غل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

وهذا تخلص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجمال شئ وههنا يكون الاقتضاب أحسن من التخلص فينبغي لسالك هذه الطريق أن ينظر الى ما يصوغه فان واتاه التخلص حسنا كما ينبغي والا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب ولهذا نظائر وأشباه وقد استعمل ذلك فى موضع آخر فى قصيدته التى أولها * أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا * فقال

علّ الامير يرى ذلى فيشفع لى * الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما ألقاه فى هذه الهوّة الا أبو نواس فانه قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه أفسده ولم يأت به كما أتى به قيس ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبنى فى كل واد وجنّ بها رقّ له الناس ورحموه فسعى له ابن أبى عتيق الى أن طلقها من زوجها وأعادها الى قيس فزوّجها اياه فقال عند ذلك

جزى الرحمن أفضل ما يجازى * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جرّبت اخوانى جميعا * فما ألفيت كابن أبى عتيق
سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حرت فيه عن طريق
وأطفى لوعة كانت بقلبى * أغصتنى حرارتها بريق

وبين هذا الكلام وبين كلام أبى نواس بون بعيد وقد حكى عن ابن أبى عتيق أنه قال ياحبيبى أمسك عن هذا المديح فما يسمعه أحد الا ظننى قوادا ﴿وأما الاقتضاب﴾ فهو الذى أشرنا اليه فى صدر هذا النوع وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه (فمن ذلك) ما يقرب من التخلص وهو فصل الخطاب والذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد لان المتكلم يفتتح كلامه فى كل أمر ذى شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (ومن الفصل الذى هو أحسن من الوصل لفظة هذا) وهى علاقة وكيدة بين الخروج من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب ألا ترى الى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن مآب ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين لشرّ مآب وذلك من فصل الخطاب الذى هو ألطف موقعا من التخلص وقد وردت لفظة هذا فى الشعر الا أن وروده فيه قليل بالنسبة الى الكلام المنثور فمن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدى فى قصيدة أولها * العيش غض والزمان غرير

انى ليعجبنى الزناء سحرة * ويروق لى بالجاشرية زير
وأكاد من فرح السرور اذا بدا * ضوء الصباح من الستور أطير
واذا رأيت الجوّ فى فضية * للغيم فى جنباتها تكسير
منقوشة صدر البزاة كأنه * فيروزج قد زانه بلور

وعاب (ماله هيد) ولاهاد (وريح ريدة) ٢٧٤ ورادة أسوت الجرح (أسوا) وأسأوهو (اللغو) واللغا قال العجاج * عن اللغا ورفث التكلم *

﴿فعل وفعل﴾ بفتح الفاء وكسرها (حجر الانسان) وحجره (ورطل) ورطل (والزغ) والزغ (والبذر) والبذر (والنقط) والنقط (وسترشف) وشف (وجص) وجص (ورخو) ورخو (ونهى) ونهى للغدير (وسلم) وسلم المسالمة والعرب تقول اماسلم مخزية واما حرب مجلية وقال أبو عمرو (السلم) الاسلام (والسلم) المسالمة (أجدك) وأجدك بكسر الجيم وفتحها بمعنى مالك (وصلاة الوتر والوتر) وكذلك الرحل يقال فيه وتر ووتر (وكسر البيت) وكسره (والجرس) والجرس الصوت وخدعته (خدعا) وخدعا وصرعته (صرعا) وصرعا (وجسر) وجسر (والحج) والحج (وقفع) وقفع لضرب من الكمأة (وبضع سنين) وبضع سنين (وأثر) وأثر (وصنف) من المتاع وصنف وهو (فى ملكه) وملكه (وهيد) وهيد ونخرص النخلة (نخرصا) ونخرصا (وحيص بيص) وحيص بيص وهو (البشق) والبشق (وزرب) البهم وزرب والعالم (حبر) وحبر فعلت ذلك من (أجلك) وأجلك حذق الغلام (حذقا) وحذقا وفى صدره (ضيق) وضيق

﴿فعل وفعل﴾ بفتح الفاء وضمها (سم) وسم (وسحر) وسحر للرئة (وعقر الدار) وعقرها (والزعم) والزعم (والضعف) والضعف (والفقر) والفقر وضربه بالسيف (صلتا) وصلتا ونظر اليه (بصفح وجهه) وصفح وجهه وهو (السد) والسد للجبل وبعضهم يفرق بينهما وقد بينا ذلك (وضوء) وضوء (والرفغ) والرفغ أصول الفخذين وسامه (الخسف) والخسف (وسم الخياط) وسم ثقب الابرة

نادت

نادت بى اللذات ويحك فانتهز * فرص المنى يا أيها المغرور
مل بى الى جور السقاة فاننى * أهوى سقاة الكاس حين تجور
هذا وكم لى بالجنينة سكرة * أنا من بقايا شربها مخمور
باكرتها وغصونها مغروزة * والماء بين مروزها مذعور
فى ستة أنا والنديم وقينة * والكاس والمزمار والطنبور

هذه الابيات حسنة وخروجها من شدق هذا الرجل الخباز عجيب ولو جاءت فى شعر أبى نواس لزانت ديوانه * والاقتضاب الوارد فى الشعر كثير لا يحصى والتخلص بالنسبة اليه قطرة من بحر ولا يكاد يوجد التخلص فى شعر الشاعر المجيد الا قليلا بالنسبة الى المقتضب من شعره (فمن الاقتضاب) قول أبى نواس فى قصيدته النونية التى أولها * يا كثير النوح فى الدمن * وهذه القصيدة هى عين شعره والملاحة للعيون وهى تنزل منه منزلة الالف لا منزلة النون الا أنه لم يكمل حسنها بالتخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا فبينا هو يصف الخمر ويقول

فاسقنى كأسا على عذل * كرهت مسموعه أذنى
من كميت اللون صافية * خير ما سلسلت فى بدنى
ما استقرت فى فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزن

حتى قال

تضحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فندوا * فكأن البخل لم يكن

فأكثر مدائح أبى نواس مقتضبة هكذا والتخلص غير ممكن فى كل الاحوال وهو من مستصعبات علم البيان (ومن هذا الباب) الذى نحن بصدد ذكره قول البحترى فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان وذكر لقاءه الاسد وقتله اياه وأولها * أجدك ما ينفك يسرى لزينبا * وهى من أمهات شعره ومع ذلك لم يوفق فيها التخلص من الغزل الى المديح فانه بينما هو فى تغزله وهو يقول

عهدتك ان منيت منيت موعدا * جهاما وان أبرقت أبرقت خلبا
وكنت أرى أن الصدود الذى مضى * دلال فان كان الاتجنبا
فوا أسفا حتام أسأل مانعا * وآمن خوانا وأعتب مذنبا

حتى قال فى اثر ذلك

أقول لركب معتفين تدرعوا * على عجل قطعا من الليل غيهبا
ردوا نائل الفتح بن خاقان انه * أعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

فخرج الى المديح بغير وصلة ولا سبب وكذلك قوله فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان أيضا وذكر نجاته عند انخساف الجسر به وقد أغرب فيها كل الاغراب وأحسن كل الاحسان وأولها * متى لاح برق أو بدا طلل قفر * فبينا هو فى غزلها حتى قال

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدى * اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

فخرج الى المديح مقتضبا له لا متعلقا به وأمثال هذا فى شعره كثير * النوع الرابع والعشرون فى التناسب بين المعانى * وينقسم الى ثلاثة أقسام * القسم الاول فى المطابقة * وهذا النوع يسمى البديع أيضا وهو فى المعانى ضد التجنيس فى الالفاظ لان التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشئ وضده كالسواد والبياض والليل والنهار وخالفهم فى ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظين متساويين فى البناء والصيغة مختلفين فى المعنى وهذا الذى ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها الا اذا

وهو (العمر) والعمر و (الدف) والدف الذى يلعب به فأما الجنب فهو الدف بالفتح وهو (الحش) والحش لجماعة النخل (والشهد) والشهد (والينع) والينع ادراك الثمرة و (عمق البئر) وعمقها و (البوص) والبوص عجيزة المرأة وهو (العقم) والعقم من الرحم المعقومة وهو (لحد القبر) ولحده و (الزهو) والزهو البسر الملون وشده فلان (شدها) وشدها اذا تحير والريح (هيف) وهوف لأذهبن فاما (هلك واما ملك) واما هلك واما ملك * فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وفتحهما * (بخل وبخل) و (حزن وحزن) و (عرب وعرب) و (عجم وعجم) وطعام قليل (النزل والنزل) و (سقم وسقم) و (سخط وسخط) و (رجل غمر وغمر) الذى لم يجرب الامور و (عدم وعدم) و (رشد ورشد) و (رهب ورهب) و (رغب ورغب) و (شغل وشغل) و (شكل وشكل) و (صلب الظهر وصلب) وهو (الخبر والخبر) يقال لأخبرن خبرك وخبرك ورجل بين (العقم والعقم) وسكر من النبيذ (سكرا وسكرا) و (الجد والجد) من قلة الخير يقال رجل جد أى قليل الخير ولامه (العبر والعبر) وهو بين (الضر والضر) للعليل أو السيئ الحال ومن المعتل (الكوع) فى اليد و (الكاع) و (جول البئر) جانبها و (الجال) و (رادور ود) لاصل اللحى و (حاب وحوب) للاثم و (قاق وقوق) للطويل و (قار وقور) لجميع قارة و (لاب ولوب) لجميع لابة وهى الحرة * فعل وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفتحها وضمها * رجل (حذر وحذر) و (يقظ ويقظ) و (عجل وعجل) و (طمع وطمع) و (فطن وفطن) و (أشر وأشر) و (حدث وحدث) اذا كان كثير

الحديث حسنه و(فرح وفرح) و(قذر وقذر) ٢٧٦ و(نطس ونطس) اذا كان متنوقا و(نكر ونكر) و(بكر) فى حاجته و(بكر)

كانت مشتقة وانما نظر نحن فى ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة فى وضع اللغة وقد وجدنا الطباق فى اللغة من طابق البعير فى سيره اذا وضع رجله موضع يده وهذا يؤيد ما ذكره قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحد فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سمى به وذلك مناسب وواقع فى موقعه الا أنه جعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ولا بأس به الا ان كان مثله بالضدين كالسواد والبياض فانه يكون قد خالف الاصل الذى أصله بالمثال الذى مثله وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فانهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه هذا الظاهر لنا من هذا القول الا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ولنرجع الى ذكر هذا القسم من التأليف وايضاح حقيقته فنقول الاليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لانه لا يخلو الحال فيه من وجهين اما أن يقابل الشئ بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث (فأما الاول) وهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فانه ينقسم قسمين أحدهما مقابلة فى اللفظ والمعنى والآخر مقابلة فى المعنى دون اللفظ (أما المقابلة فى اللفظ والمعنى) فكقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فقابل بين الضحك والبكا والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا من أحسن ما يجئ فى هذا الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة (ومن الحسن المطبوع الذى ليس بمتكلف) قول على رضى الله عنه لعثمان رضى الله عنه ان الحق ثقيل مرئ والباطل خفيف وبئ وأنت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقيل المرئ بالخفيف الوبئ والصدق بالكذب والسخط بالرضا وهذه خمس مقابلات فى هذه الكلمات القصار وكذلك ورد قوله رضى الله عنه لما قال الخوارج لا حكم الا لله تعالى هذه كلمة حق أريد بها باطل (وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضى الله عنه) وقد أحضره بين يديه ليقتله فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقى بن كسير وقد كان الحجاج من الفصحاء المعدودين وفى كلامه هذا مطابقة حسنة فانه نقل الاسمين الى ضدهما فقال فى سعيد شقى وفى جبير كسير وهذا النوع من الكلام لم تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات ﴿ومما وجدته فى لغة الفرس﴾ انه لما مات قباذ أحد ملوكهم قال وزيره حركنا بسكونه وأول كتاب الفصول لابقراط فى الطب قوله العمر قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان ﴿ومن كلامى فى هذا الباب﴾ ما كتبته فى صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو صدر هذا الكتاب عن قلب مقيم وجسد سائر وصبر مليم وجزع عاذر وخاطر أدهشته لوعة الفراق فليس بخاطر (وكذلك) كتبت الى بعض الاخوان أيضا فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس بلقائه وطرف مستوحش لفراقه فهذا مروع بكآبة اظلامه وهذا ممتع ببهجة اشراقه غير أن لقاء القلوب لقاء عنيت بمثله خواطر الافكار وتتناجى به من وراء الاستار وذلك أخو الطيف الملم فى المنام الذى يموه بلقاء الارواح على لقاء الاجسام (ومن هذا النوع) ما ذكرته فى كتاب أصف المسير من دمشق الى الموصل على طريق المناظر فقلت من جملته ثم نزلت أرض الخابور فغربت الارواح وشرقت الجسوم وحصل الاعدام من المسار والانزال من الهموم وطالبتنى النفس بالعود والقدرة مفلسة وأويت الى ظل الآمال والآمال مشمسة (ومن ذلك) ما ذكرته فى جملة كتاب الى بعض الاخوان وعرضت فيه بذكر

و(نجد ونجد) للشجاع و(ندس وندس) ووظيف (عجر وعجر) و(وعل ووعل) و(وقل ووقل) للمتوقل فى الجبل

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وكسرها وسكونها﴾ (عضو وعضو) و(صفر وصفر) للذى تعمل منه الآنية و(سقط للولد (سقط) وكذلك سقط النار وسقط الرمل وهو (الشح والشح) و(جرو وجرو) و(طبى وطبى) واحد الاطباء و(سفل الدار وعلوها) و(سفلها وعلوها) ويقال أنت منى على (ذكر وذكر) وأنت ابن (انسه وأنسه) و(نصف ونصف) و(جلب الرحل وجلبه) أحناؤه وكذلك الجلب من السحاب والجلب وهلكت فلانة (بجمع وجمع) أى وهى حامل ويقال للتى لم تفتض هى (بجمع وجمع) و(ولد وولد) للولد ويكون الولد واحدا وجمعا و(قوت وقيت) وجمع عائط (عوط وعيط) وهى الناقة التى لم تحمل قال الاصمعى (اص واص) قال والضم أعجب الى وواحد الاصبار (صبر وصبر) وأتانا (لمسى) خامسة و(مسى) خامسة وكذلك (لصبح) خامسة وصبح خامسة و(جنح الليل وجنح) وهو (النسك والنسك) وجاءنه (بجمع كف وجمع) وهو (الاسم والاسم)

﴿فعل وفعل بكسر الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (مثل ومثل) و(شبه وشبه) و(نجس ونجس) وان ذكرت مع رجس نجسا قلت رجس نجس ولم تقل نجس وان أفردت قلت نجس و(عشق وعشق) و(ضغن وضغن) ومثل فى صدره على (غمر وغمر) وناس من العرب يقولون ليس فى هذا الامر (حرج وحرج)

جماعة

جماعة من أهل الادب فقالت وهم مسؤلون أن لا ينسونى فى نادى فضلهم الذى هو منبع الآمال وملتقط اللآل فوجوه ألفاظه مشرقة بأيدى الاقلام المسوّدة وقلوب معانيه مستنبطة بنار الخواطر المتوقدة والواغل اليه يسكر من خمرته التى تنبه العقول من اغفائها ولا يشربها أحد غير أكفائها وهذه الفصول المذكورة لا خفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة ومما ورد من هذا النوع شعرا قول جرير

وأعور من نبهان أمّا نهاره * فاعمى وأمّا ليله فبصير

وهكذا ورد قول الفرزدق

قبح الاله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون بجار
يستيقظون الى نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

فقابل بين الغدر والوفاء وبين التيقظ والنوم وفى البيت الاول معنى يسأل عنه وكذلك ورد قول بعضهم فلا الجود يفنى المال والجدّ مقبل * ولا البخل يبقى المال والجدّ مدبر

وقد أكثر أبو تمام من هذا فى شعره فأحسن فى موضع وأساء فى موضع فمن احسانه قوله

ما ان ترى الاحساب بيضا وضحا * الا بحيث ترى المنايا سودا

وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا

سوف على أولى الزمان وانما * خلق المناسب ما يكون جديدا

وعلى هذا النهج ورد قوله

اذا كانت النعمى سلوبا من امرئ * غدت من خليجى كفه وهو منبع
وان عثرت بيض الليالى وسودها * بوحدته ألفيتها وهى مجمع
ويوم يظل العز يحفظ وسطه * بسمر العوالى والنفوس تضيع
مصيف من الهيجاء ومن حاجم الوغى * ولكنه من وابل الدم مربع

ومن هذا الاسلوب قوله أيضا

تقرب الشقة القصوى اذا أخذت * سلاحها وهو الارقال والرمل
اذا تظلمت من أرض فصلت بها * كانت هى العز الا أنها ذلل
لمرضياتك ما أرغمت آنفها * والهاديات وهى الشرّد الضلل

وعلى هذا النحو ورد قوله

وناضرة الصباحين اسبكرّت * طلاع المرط والدرع النّدىّ
تشكى الاين من نصف سريع * اذا قامت ومن نصف بطىّ

وقد جاء لابى نواس ذلك فقال

أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عدت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد

فقابل بين الاضداد من الجحود والاقرار والعفو والسخط والقرب والبعد وعلى نحو من ذلك ورد قول على بن جبلة فى أبى دلف العجلى وهو

أيم المهير ونكاح الايم * يوماك يوم أبؤس وأنم * وجمع مجد وندى مقسم وكذلك قوله أيضا

هو الامل المبسوط والاجل الذى * يمرّ على أيامه الدهر أو يحلو
ولا تحسن الايام تفعل فعله * وان كان فى تصريفها النقض والفعل
فعش واحدا أمّا الثراء فسلم * مباح وأمّا الجار فهو حمى بسل

و(حلس وحلس) و(قتب وقتب) و(بدل وبدل) وفلان (نكل لاعدائه ونكل) أى ينكل به أعداؤه (ومن المعتل) قد كثر (القيل والقال) و(القير والقار) و(كيح الجبل) وكاحه عرضه و(ذير وذار) للذائب من الهزال و(القاد والقيد) القدر يقال قيد رمح وقاد رمح وقدا رمح و(قاب قوس وقيب قوس) و(قيس رمح وقاس رمح) ورجل (فيل الرأى وفال الرأى) وفائل (صعفوك معه وصفاك) و(غير وغار) للغيرة وأنشد

* ضرائر حرمى تفاحش غارها *

(والطيب والطاب)

* فعل وفعل بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسر العين * رجل (سبط الشعر وسبط) وشعر (رجل ورجل) ورجل (دنف ودنف) ورجل (ضنى وضن) و(دوى ودو) للفاسد الجوف وفرس (عتد وعتد) و(كتد وكتد) لمجتمع الكتفين وثغر (رتل ورتل) اذا كان مفلجا وكلام (رتل ورتل) اذا كان مرتلا ومكان (حرج وحرج) أى ضيق وقرئ يجعل صدره (حرجا وحرجا) وفلان (حرا بكذا وحر) و(قمن وقمن) أى خليق الفراء رجل (وحد فرد ووحد فرد) و(وتد ووتد) ومن أدغم قال ودّ أبيض (يقق ويقق) و(لهق ولهق) قطعت يده (على السرق والسرق)

* فعل وفعل بفتح الفاء والعين وكسر الفاء وفتح العين * ماء (صرى وصرى) للذى يطول مكثه وواحد الانحا (نحا ونحا) وهى ابزار القدر وآلاء الله واحدها الاو آلا وهو (الجزر للذى يؤكل والجزر) وذهبت ابله (شذر مذر وشذر مذر) و(بذر وبذر) اذا تفرقت وكذلك (شغر بغر) مثله و(نطع ونطع) ورأيته (قبلا وقبلا) أى معاينة * فعل وفعل بضم الفاء والعين وضم الفاء وفتح العين *

ومما جاء من هذا القسم قول البحترى

أحسن الله فى ثوابك عن ثغـ * ـرمضاع أحسنت فيه البلاء
كان مستضعفا فعز ومحرو * ما فأجدى ومظلما فأضاء

ومن أحسن ما ورد له فى هذا الباب قوله

أشكو اليك أناملا ما تنطوى * بخلا واملاقا تقصفها اليد
أرضيهم قولا ولا يرضوننى * فعلا وتلك قضية لا تقصد
فأذم منهم ما يذم وربما * سامحتهم فحمدت ما لا يحمد

وعلى هذا النهج ورد قوله

وتوقعى منك الاساءة جاهدا * والعدل أن أتوقع الاحسانا
وكما يسرك لين مسى راضيا * فكذاك فاخش خشونتى غضبانا

(وأما أبو الطيب المتنبى) فانه استعمل هذا النوع قليلا فى شعره فن ذلك قوله

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا اشتدوا قليل اذا عدوا

وكذلك قوله

الى رب مال كلما شت شمله * تجمع فى تشتيته للعلا شمل

ومما استعذبته من قوله فى هذا الباب

كأن سهاد الليل يعشق مقلتى * فبينهما فى كل هجر لنا وصل

ومما جاء من هذا الباب

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين معاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وهذا تحته معنى يسئل عنه غير المقابلة وذهب بعض أهل العلم الى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخد المرأة لان من العادة ان يشبه العارض بالبنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما يشبه بالبنفسج عند أول ظهوره فاذا طر وظهرت خضرته فى ابتداء سن الشباب شبه بالبنفسج لانه يكون بين الاخضر والاسود وليس فى الشعر ما يدل على أن المودع كان شابا قد طر عارضه والذى يقتضيه المعنى أن المرأة قامت للوداع فرقت خمارها ولطمت خدها فجمعت بين أثر اللطم وهو شبيه بالبنفسج وبين لون الخد وهو شبيه الشقائق وفرقت بين خمارها وبين وجهها بالتمزيق لها وموجدة على الوداع هذا هو معنى البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل (وأما المقابلة فى المعنى دون اللفظ فى الاضداد) فما جاء منه قول المقنع الكندى من شعراء الحماسة

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لم أكلفهم رفدا

فقوله تتابع لى غنى بمعنى قوله كثر مالى فهو اذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان حقيقة الاضداد اللفظية انما هى فى المفردات من الالفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد وقل وكثر فان القيام ضد القعود والحل ضد العقد والقليل ضد الكثير فاذا ترك المفرد من الالفاظ وتوصل الى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ كقول هذا الشاعر تتابع لى غنى فى معنى كثر مالى وهذه مقابلة معنوية لا لفظية فاعرف ذلك (وأما مقابلة الشئ بما ليس بضده فهى ضربان) أحدهما أن لا يكون مثلا والآخر أن يكون مثلا (فالضرب الاول) يتفرع الى فرعين (الاول) ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب كقول قريط ابن أنيف

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

فقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدها وانما هو ضد العدل الا أنه لما كانت المغفرة قريبة من

العدل

تخرج عن (سنن الطريق وسننه) وهو (أشر الاسنان وأشرها) وهو (شطب السيف وشطبه) للطرائق فيه

﴿فعل وفعل بكسر الفاء وسكون العين وكسر الفاء وفتح العين﴾ (قمع وقمع) و (ضلع وضلع) و (نطع ونطع)

﴿فعل وفعل بفتحهما وضمهما﴾ فلاة (قذف وقذف)

﴿فعل وفعل بضم الفاء وفتح العين وكسرها وفتحها﴾ يقال (صور وصور) قال الله عز وجل مكانا (سوى وسوى) وقوم (عدى وعدى) أى أعداؤهم الغرباء أيضا الاصمعى اذا ضممت أول عدى ألحقت الهاء فقلت عداة

﴿فعل وفعل بفتحهما وضم الفاء وفتح العين﴾ يقال للقدح (زلم وزلم) وهو سدى وسدى اذا أهمل

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وكسر الفاء وفتح العين﴾ يقال قطع (سر الصبى وسرره) للذى تقطعه القابلة فأما السرة فهو ما يبقى

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وضمهما﴾ (قفل وقفل) و (هزؤ وهزؤ) و (كفؤ وكفؤ) و (غفل وغفل) و (أكل وأكل) و (السحت والسحت) و (الرعب والرعب) و (النكر والنكر) و (أذن وأذن) و (السحق والسحق) و (البعد والبعد) و (العقب والعقب) و (الحقب والحقب) و (الشغل والشغل) و (الثلث والثلث) و (العذر والعذر) و (النذر والنذر) و (العمر والعمر) ولا قبل لك (قبلك وقبلك) وقرأ بعض القراء (الجزؤ) و (العسر واليسر) والاكثر التخفيف واذا توالت الضمتان فى حرف واحد كان لك ان تخفف مثل (رسل ورسل) و (كتب وكتب) و (طنب وطنب) وكذلك اذا توالت

العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وعلى هذا جاء قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضد الشدة وانما ضد الشدة اللين الا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة وكذلك ورد قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل فان المصيبة سيئة لان كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة فالتقابل ههنا من جهة العام والخاص (الفرع الثاني) ما كان بين المقابل والمقابل به بعد وذلك مما لا يحسن استعماله كقول أم الحنف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فقالت من أبيات تذمها فيها

تربص بها الايام علّ صروفها * سترمى بها في جاحم متسعر
فكم من كريم قد مناه الهه * بمذمومة الاخلاق واسعة الحر

فقولها بمذمومة الاخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة بل الاولى أن كانت قالت بضيقة الاخلاق واسعة الحر حتى تصح المقابلة وهذا مما يدل على ان العربي غير مهتد الى استعمال ذلك بصنعته وانما يجيء له منه ما يجيء بطبعه لا بتكلفه واذا أخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك أنه لو أبدلت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما يعذر من يعذر في ترك المقابلة في مثل هذا المقام اذا كان الوزن لا يواتيه (وأما المحدثون من الشعراء) فانهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه لا جرم أنهم أشد ملامة من العرب فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي

لمن يطلب الدنيا اذا لم يرد بها * سرور محب أو مساءة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها وانما هي بعيدة فانه ليس كل من أجرم اليك كان مبغضا لك (ومما يتصل بهذا الضرب) ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين المعاني والمواخاة بين المباني وكان ينبغي أن نعقد له بابا مفردا لكنا رأيناه ينظر الى التقابل من وجه وصلناه به (أما المواخاة بين المعاني) فهو أن يذكر المعنى مع أخيه لا مع الاجنبي مثاله أن تذكر وصفا من الاوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به فان ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة وان كان جائزا فمن ذلك قول الكميت

أم هل ظعائن بالعلياء رافعة * وان تكامل فيها الدل والشنب

فان الدل يذكر مع الغنج وما أشبهه والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه وهذا موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا وهو مظنة الغلط لانه يحتاج الى ثاقب فكرة وحذق بحيث توضع المعاني مع أخواتها لا مع الاجنبي منها ﴿وقرأت في كتاب الاغاني لابي الفرج﴾ انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فأنشد الكميت أم هل ظعائن البيت فعقد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تحصي قال خطأك فانك تباعدت في القول أين الدل من الشنب ألا قلت كما قال ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك

له اعتدال وانتصاب قد * وجلده يشبه وشي البرد
كأنها الهداب في الفرند * محدودب الظهر كريم الجد

فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجد وهذا لا يناسب هذا لان الظهر من جملة الخلق والجد من النسب وكان ينبغي أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه ويواخيه أيضا وكذلك أخطأ أبو نواس في قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

الكسرتان خففوا فقالوا في (ابل ابل) ولم يسكنوا شيأ من المفتوح لخفة الفتحة نحو جمل وجبل وقتب لا يقولون جبل وجمل فاذا خففوا مثل عضد ونحو فخذ وكبد فربما أبقوا الحركة التي أسقطوها على أول الحرف فقالوا في فخذ وكبد وعضد فخذ وكبد وعضد وربما تركوا حركة الحرف الاول على حالها فقالوا فخذ وكبد وعضد وقالوا في تخفيف رجل رجل ولم أسمع رجل وقالوا في تخفيف لعب لعب ولم نسمع لعب والافعال اذا كانت على فعل أو فعل أو فعل خففت يقولون قد علم ذلك أي علم وقال أبو النجم

لو عصر منه البان والمسك انعصر

ويقولون كرم الرجل يريدون كرم ونعم وبئس انما أصلهما فعل فخففتا واذا جاء الفعل على فعل لم يخففوه نحو ضرب وقتل وأكل لانهم لا يستثقلون الفتحة وقال الاخطل

وما كل مغبون ولو سلف صفقه
يراجع ما قد فاته برداد

أراد سلف فسكن المفتوح وهذا شاذ

﴿ما جاء على فعلة فيه لغتان فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وكسرها وسكونها﴾

العقاب (لقوة ولقوة) فأما التي تسرع اللقح فهي لقوة بالفتح فلان بعيد (الهمة والهمة) وهذه أمة حسنة (المهنة والمهنة) أي الخدمة وقوم (شجعة وشجعة) للشجعاء ولفلان في بني فلان (حوبة وحيبة) وهي (الام والاخت والبنت) وتكون في موضع آخر الهم والحاجة فلان يأكل (الحينة والحينة) أي مرة في اليوم وهي (الطسة والطسة) للطست عن أبي زيد فلان حسن (الهيئة والهيئة) وهي (اللقحة واللقحة) ومن المعتل (ضعة وضعة) و(قحة وقحة) و(وطئ بين الطئة والطأة) ويقال الوطاءة (وان أردت في فعلة المرة الواحدة فهي بالفتح) تقول قعد (قعدة) وجلس

فان ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب وانما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وماجرى مجراهما وأما زمزم والصفا والمحصب فيذكر معها الركن والحطيم وماجرى مجراهما وعلى هذا الاسلوب ورد قوله أيضا

أحسن من منزل بذى قار * منزل خمارة وخمار
وشم ريحانة ونرجسة * أحسن من أينق بأكوار

فالبيت الثانى لامقارنة بين صدره وعجزه وأين شم الريحان من الاينق بالاكوار وكان ينبغى له أن يقول شم الريحان أحسن من شم الشيح والقيصوم وركوب الفتيات الرود أحسن من ركوب الاينق بالاكوار وكل هذا لايتفطن لوضعه فى مواضعه فى كل الاوقات وقد كان يغلب على السهو فى بعض الاحوال حتى أسلك هذه الطريق فى وضع المعانى مع غير أنسابها وأقاربها ثم انى كنت أتأمل ماصنعته بعد حين فأصلح ماسهوت عنه (وأما المواخاة بين المبانى) فانه يتعلق بمبانى الالفاظ فمن ذلك قول أبى تمام فى وصف الرماح

مثقفات سلبن العرب سمرتها * والروم زرقتها والعاشق القضفا

وهذا البيت من أبيات أبى تمام الافراد غير أن فيه نظرا وهو قوله العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن اذ كانت الاوصاف تجرى على واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضفا وكان ينبغى أن يقول قضفها أودقتها وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد

نفضت بك الاحلاس نفض اقامة * واسترجعت نزاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * يثنى عليها السهل والاوعار

والاحسن أن يقال السهل أو الوعر أو السهول والاوعار ليكون البناء اللفظى واحدا أى أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الافراد ولا يكون أحدهما مجموعا والآخر مفردا وكذلك ورد قول أبى نواس فى الخمر

صفراء مجدها مرازبها * جلت عن النظراء والمثل

فجمع وأفرد فى معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والامثال وعلى ذلك ورد قوله أيضا والانكار يتوجه فيه أكثر من الاول وهو

ألا يا ابن الذين فنوا فماتوا * أما والله ماماتوا لتبقى
ومالك فاعلمن فيها مقام * اذا استكملت آجالا ورزقا

وموضع الانكار ههنا أنه قال آجالا ورزقا وكان ينبغى أن يقول أرزاقا أو أن يقول أجلا ورزقا وقد زاده انكارا أنه جمع الاجل فقال آجالا والانسان ليس له الا أجل واحد ولو قال أجلا وأرزاقا لما عيب لان الأجل واحد والارزاق كثيرة لاختلاف ضروبها وأجناسها واذا أنصفنا فى هذا الموضع وجدنا الناثر مطالبا به دون الناظم لمكان امكانه من التصرف وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجبا فى الاستعمال وأنه لايحسن الحيد عنه حتى مر بى فى القرآن الكريم ما يخالفه كقوله تعالى فى سورة النحل أولم يروا الى ماخلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظى على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين وكذلك ورد قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون فجمع القلوب والابصار وأفرد السمع وكذلك ورد قوله تعالى حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فذكر السمع بلفظ الافراد وذكر الابصار والجلود بلفظ الجمع وفى القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ولو كان هذا معتبرا فى الاستعمال لورد فى كلام الله تعالى الذى هو أفصح من كل كلام والاخذ فى مقام الفصاحة

والبلاغة

(جلسة) و (ان أردت الضرب من الفعل كسرت) تقول هو حسن (القعدة والجلسة والركبة) وقتله شر (قتلة) ومات ميتة سوء

﴿فعلة وفعلة بكسر الفاء وسكون العين وضمها وسكونها﴾ (كسوة وكسوة) و (رشوة ورشوة) و (قدوة وقدوة) و (اسوة وأسوة) والرحم (شجنة من الله وشجنة) و (نسوة ونسوة) و (حبوة وحبوة) وحظى فلان (حظوة وحظوة) و (خصية وخصية) و (خفية وخفية) و (نسبة ونسبة) و (مرية ومرية) من الشك وحاف بين (الحفوة والحفوة) و (الشقة والشقة) للسفر البعيد (والعدوة والعدوة) المكان المرتفع (وعدوة الوادى وعدوته) وفيه (غلظة وغلظة) و (رفقة ورفقة) و (كنية وكنية) وامرأة ذات (كدنة وكدنة) اذا كانت ذات لحم (ومدية ومدية) السكين والغيبة (الاكلة والاكلة) و (حشوة البطن وحشوة) و (منية الناقة ومنيتها) وهى الايام التى يتعرف فيها ألاقح هى أم حائل (وذروة الشئ وذروته) أعلاه (واخوة واخوة) وجدنا آباءنا على (أمة وأمة) أى دين (الجثوة والجثوة) الحجارة المجتمعة (وجذوة من النار وجذوة) و (قنوة المال وقنوة) و (قنية وقنية) ويقال (سروة وسروة) للنصال القصار

﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وضم الفاء وسكون العين﴾ خطوت (خطوة وخطوة) وهى (لحمة الثوب ولحمة) قال ابن الاعرابى لحمة النسب والثوب مفتوحان ولحمة السبع والبازى وكل صائد مضموم عن أبى زيد فى لحمة مثل ذلك سواء وهى (كفوة الابل وكفاة) وهى أن تفرق فرقتين فيضرب الفحل احداهما سنة والفرقة الاخرى سنة وهى (البلجة والبلجة)

والبلاغة انما يكون منه والمعوّل عليه وما ينبغى أن يقاس على هذا قوله تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وربما قيل ان هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وافراد وظن أنها من هذا الباب وليس كذلك لانها مشتملة على خطاب موسى وهرون عليهما السلام أولا فى اتخاذ المساجد لقومهما ثم ثنى الخطاب لهما ولقومهما جميعا ثم أفرد موسى عليه السلام ببشارة المؤمنين لانه صاحب الرسالة

(الضرب الثانى فى مقابلة الشئ بمثله وهو يتفرع الى فرعين أحدهما) مقابلة المفرد بالمفرد والآخر مقابلة الجملة بالجملة (الفرع الاول) كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وكقوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقد ورد على هذا الموضع فى القرآن الكريم كثيرا فاذا ورد فى صدر آية من الآيات ما يحتاج الى جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى من كفر فعليه كفره وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا هو الاحسن والا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه كان ذلك جائزا لكن الاحسن هو ما ورد فى كتاب الله تعالى وعليه مدار الاستعمال وهذا الحكم يجرى فى النظم والنثر من الاسجاع والابيات الشعرية فأما ان كان ذلك غير جواب فانه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية ألا ترى أنه قد قوبلت الكلمة بكلمة هى فى معناها وان لم تكن مساوية لها فى اللفظ وهذا يقع فى الالفاظ المترادفة ولذا يستعمل ذلك فى الموضع الذى ترد فيه الكلمة غير جواب (فما جاء منه) قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ولو كان لا تورد الكلمة الا مثلا لقيل وهو أعلم بما تعملون وكذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوّروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فقال لا تخف بعد قوله ففزع ولما كان هذا فى معنى هذا قوبل أحدهما بالآخر ولم يقابل اللفظ بنفسه وكذلك جاء قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن فذكر الاستهزاء الذى هو فى معنى الخوض واللعب وقابل به الخوض واللعب ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون ﴿فان قيل﴾ انك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ونرى قد ورد فى القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها ﴿الجواب عن ذلك﴾ أنى أقول أردت أن تنقض علىّ ما ذكرته فلم تنقضه ولكنك شيدته والذى ذكرته هو دليل لى لا لك ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وبين قوله جزاء سيئة سيئة مثلها اذ المعنى واحد لا يختلف ولو جاء عوضا عن السيئة لفظة أخرى فى معناها كالاذى والسوء أو ما جرى مجراهما لصح لك ما ذهبت اليه وقد ذهب بعض المتصدرين فى علم البيان أنه اذا ذكرت اللفظة فى أوّل كلام يحتاج الى تمام وان لم يكن جوابا كالذى تقدم فينبغى أن تعاد بعينها فى آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيبا ثم مثل ذلك بقول أبى تمام وقول أبى الطيب المتنبى فقال ان أبا تمام أخطأ فى قوله

بسط الرجاء لنا برغم نوائب * كثرت بهن مصارع الآمال

فحيث ذكر الرجاء فى صدر البيت فكان ينبغى أن يعيد ذكره أيضا فى عجزه أو كان ذكر الآمال فى صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبى فى قوله

انى لأعلم واللبيب خبير * ان الحياة وان حرصت غرور

فانه قال انى لأعلم واللبيب خبير وكان ينبغى أن يقول انى لأعلم واللبيب عليم ليكون ذلك تقابلا صحيحا وهذا الذى ذكره هذا الرجل ليس بشئ بل المعتمد عليه فى هذا الباب أنه اذا كانت اللفظة فى معنى أختها جاز استعمالها فى المقابلة بينهما والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن

وهى (الدلجة والدلجة) ومنهم من يفرق بينهما وقد بينا ذلك وعليه (بهلة الله وبهلته) وجلست (نبذة ونبذة) أى ناحية (وحوبة الرجل وحوبته) أم الرجل (وسدفة من الليل وسدفة) و(حسوة وحسوة) و(غرفة وغرفة) و(جرعة وجرعة) و(نغبة ونغبة) و(لحسة ولحسة) و(بقعة وبقعة) و(برهة من الدهر وبرهة) و(جهمة من الليل وجهمة) وهى بقية من الليل وفلان ينام (الصبحة والصبحة) ومالى عليه (عرجة ولا عرجة)

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (قلفة وقلفة) و(قطعة وقطعة) لقطع اليد (وجذمة وجذمة) مثل قطعة (وصلعة وصلعة)

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وضم الفاء وفتح العين﴾ الحرب (خدعة وخدعة) وزاد يونس (وخدعة) وهو العبد (زغة وزغة) و(زلة وزلة) ويقال أيضا زلة وزغة قال (وفعلة) من صفات المفعول (وفعلة) من صفات الفاعل تقول (رجل هزأة) يهزأ بالناس (وهزءة) يهزؤن منه وكذلك (سخرة وسخرة) و(ضحكة وضحكة) و(لعنة ولعنة) و(سبة وسبة) و(خدعة وخدعة)

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وفتح العين وفتحهما﴾ رجل (أمنة وأمنة) للذى يثق بكل أحد (ودرجة ودرجة)

﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (فحمة العشاء وفحمة) و(صخرة وصخرة) و(غزوة وغزاة) وهو فى عز (ومنعة ومنعة) وهو فصيح (اللهجة واللهجة) وهى (المغرة والمغرة) و(الودعة والودعة) ﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وكسر العين وكسرها وسكونها﴾ (معدة ومعدة) (وضبنة الرجل

الكريم وكفى به دليلا وهذه الرموز التى هى أسرار الكلام لا يتفطن لاستعمالها الا أحد رجلين اما فقيه فى علم البيان قد مارسه واما مشقوق اللسان فى الفصاحة قد خلق عارفا بلطائفها مستغنيا عن مطالعة صحائفها وهذا لا يكون الا عربى الفطرة يقول ما يقوله طبعا على أنه لا يسدد فى جميع أقواله ما لم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية ﴿الفرع الثانى فى مقابلة الجملة بالجملة﴾ اعلم انه اذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة وان كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احداهما فى معنى الاخرى (فمن ذلك) قوله تعالى قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى فان هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وان اهتديت فانما اهتدى لها وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها او ضار لها فهو بسببها ومنها لانها الامارة بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربها او توفيقه اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند ذلك الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (ومن هذا الضرب) قوله تعالى ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا فانه لم يراع التقابل فى قوله ليسكنوا فيه ومبصرا لان القياس يقتضى أن يكون والنهار لتبصروا فيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى قوله مبصر التبصر وفيه طرق التقلب فى الحاجات ﴿واعلم﴾ أن فى تقابل المعانى بابا عجيب الامر يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالاعجاز من الابيات الشعرية (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى فى ذم المنافقين واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ألا ترى كيف فصل الآية الاخرى بيعلمون والآية التى قبلها بيشعرون وانما فعل ذلك لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما النفاق وما فيه من البغى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التحارب والتغاور فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وأيضا فانه لما ذكر السفه فى الآية الاخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقا فقال لا يعلمون وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير وكقوله له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد وكقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم فانه انما فصلت الآية الاولى بلطيف خبير لان ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بانزال الغيث وغيره وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه قال له ما فى السموات وما فى الارض له لا لحاجة بل هو غنى عنها جواد بها لانه ليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان جوادا منعما واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وأما الآية الثالثة فانها فصلت برؤف رحيم لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما فى الارض لهم واجراء الفلك فى البحر بهم وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم وخلقه السماء فوقهم وامساكه اياها عن

الوقوع

وضبنة) و (لبنة ولبنة) و (قطنة) للتى تكون مع الكرش و (قطنة) و (كلمة وكلمة) و (سفلة الناس وسفلة)

﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وكسر العين وفتحها وسكونها﴾ هى (الحصبة والحصبة) و (الوسمة والوسمة) التى يختضب بها

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وضمها﴾ (ظلمة وظلمة) و (حلبة وحلبة) وفى هذا (رخصة ورخصة) و (هدنة وهدنة)

﴿فعلة بالواو والياء﴾ هى (الجموة والجمية) وهى (النفوة والنفية) لكل ما نفيته وحاف بين (الحفية والحفوة) و (قنية وقنوة) للشئ تقتنيه

﴿فعلة بالياء وأصله بالواو﴾ قالوا (ربية) من الربا (وحبية) من الاحتباء وأصلهما (ربوة) و (حبوة)

﴿ما جاء على فعال فيه لغتان﴾

﴿فعال وفعال﴾ (صداق المرأة وصداقها) و (وجار الضبع ووجارها) و (ملاك الامر وملاكه) و (جهاز العروس وجهازها) و (سرار الشهر) وسرره أجود (وفكاك الرهن وفكاكه) و (حجاج العين وحجاج) اعظم الحاجب (والمخاض والمخاض) وجع الولادة (الرضاع والرضاع) و (الدجاج والدجاج) وكذلك الواحدة (نعم ونعام) عين و (طاف المكوك وطفاف) وهو مثل جمام المكوك و (الوطاء والوطاء) الفراش اللين وكذلك (الوثار والوثار) و (الوقاء) والوقاء (بغاث الطير وبغاث) و (الوحام والوحام) الشهوة على الحمل وهو (الدواء والدواء) ورجل (خشاش وخشاش) وهو اللطيف الرأس الضرب الجسم جارية بينة (الشطاط والشطاطة والشطاطة) جارية بينة (الجراء والجراء) مصدر جارية ليس بينى وبينه (وجاح ووجاح)

الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله رؤف رحيم أي ان هذا الفعل فعل رؤف بكم رحيم لكم (واعلم) أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قلما توجد هذه الملاءمة والمناسبة في كلام ناظم أو ناثر ومن الآيات ما يشكل فاصلته فيحتاج الى فكرة وتأمل كقوله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فانه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ويظن الظان أن هذا كذلك ويقول ان التوبة مع الرحمة لا مع الحكمة وليس كما يظن بل الفاصلة بتواب حكيم أولى من تواب رحيم لان الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التي أمر بها وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه ففصلت الآية الواردة في آخر الآيات بتواب حكيم فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه نفعا ولا أعظم فائدة ومما جاء من هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقد أوخذ على ذلك وقيل لو جعل آخر البيت الاول آخر البيت الثاني وآخر البيت الثاني آخرا للبيت الاول لكان أولى ولذلك حكاية وهي أنه لما استنشده سيف الدولة يوما قصيدته التي أولها * على قدر أهل العزم تأتي العزائم * فلما بلغ الى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرئ القيس قوله

كأني لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد اجفال

فبيتاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرئ القيس وكان ينبغي لك أن تقول

وقفت وما في الموت شك لواقف * ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي ان صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك لان البزاز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة بسباء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الاول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤما ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوسا وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لاجمع بين الاضداد

﴿القسم الثاني في صحة التقسيم وفساده﴾

ولسنا نريد بذلك ههنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون فان ذلك يقتضي أشياء مستحيلة كقولهم الجواهر لا تخلو اما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة ومفترقة معا أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده وانما نريد بالتقسيم ههنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره فتارة يكون

و(أجاج واجاج) أي ستر وحكى ابن الاعرابي (سداد من عوز وسداد) وهذا (قوامهم وقوامهم) و(الوثاق والوثاق) وأيام (الحصاد والحصاد) و(القطاف والقطاف) و(الجزاز والجزاز) لجذاذ النخل والغنم (والجداد والجداد) و(الصرام والصرام) و(القطاع والقطاع) و(الكناز والكناز) حين يكنز التمر و(الجرام والجرام) و(الرفاع والرفاع) حين يحصد الزرع فيرفع قال الكسائي سمعت أخواتها بالوجهين الا الرفاع فاني لم أسمعها مكسورة قط (تمام وتمام) و(ولد تمام وتمام) وليل (تمام) لاغير

﴿فعال وفعال﴾

(سوار المرأة وسوار) وهو حسن (الجوار والجوار) و(حوار الناقة وحوار) و(شواظ من نار وشواظ) و(خوان وخوان) للذي يؤكل عليه (والهيام والهيام) داء يأخذ الابل و(النداء والنداء) و(الهتاف والهتاف) و(رجل شجاع وشجاع) وقوم (شجعان وشجعان) وهو كريم (النجار والنجار) (والنحاس والنحاس) أي الاصل و(الصياح والصياح) و(صوان الثوب وصوان) التخت أو الوعاء الذي يصان فيه (هم رهاق مائة ورهاق مائة) كقولك هم زهاء مائة (وصار البيض فلاقا وفلاقا) أي فلقا (وابل طلاحية وطلاحية) تأكل الطلح ورجل (نباطي ونباطي) منسوب (وأصابه اطام واطام) اذا احتبس بطنه

﴿فعال وفعال﴾

بالثوب (عوار وعوار) و(فواق الناقة وفواقها) ما بين الحلبتين الصقر (قطامي وقطامي) أجاب الله (غوائه وغوائه) من الاستغاثة ولم يأت في الاصوات الا مضموم مثل (الحداء) و(الدعاء) و(البكاء) غير غوات فانه يفتح ويضم وجاء في الاصوات مكسور انحو (النداء)

التقسيم بلفظة اما وتارة بلفظة بين كقولنا بين كذا وكذا وتارة منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا وتارة بأن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم يقسم كقولنا فانشعب القوم شعبا أربعة فشعبة ذهبت يمينا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت بمكانها وشعبة رجعت الى ورائها (فمما جاء من هذا القسم) قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهذه قسمة صحيحة فانه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاص ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات واما مقتصد بينهما (ومن ذلك) أيضا قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهذه الآية منطبقة المعنى على الآية التى قبلها فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم وأصحاب الميمنة هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات (وعلى نحو من ذلك) جاء قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس لنا قسم ثالث ﴿فان قيل﴾ ان استيفاء الاقسام ليس شرطا وترك بعض الاقسام لا يقدح فى الكلام وقد ورد فى القرآن الكريم كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار (فالجواب عن ذلك) أنى أقول هذا لا ينقض على ما ذكرته فان استيفاء الاقسام يلزم فيما استبهم الاجمال فيه ألا ترى الى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم فانه حيث قال فمنهم لزم استيفاء الاقسام الثلاثة ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز وأما هذه الآية التى هى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فانه انما خص أصحاب الجنة بالذكر للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا ما لأصحاب الجنة وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى فانه انما ينظر فيه الى المستبهم وغير المستبهم فاعرفه وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يعجبون بقول بعض الاعراب ويزعمون أن ذلك من أصح التقسيمات وهو قولهم النعم ثلاثة نعمة فى حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتى غير محتسبة فأبقى الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول فاسد فان فى أقسام النعم التى قسمها نقصا لا بد منه وزيادة لا حاجة اليها فأما النقص فانه اغفال النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد المستقبلة ونعمة تأتى غير محتسبة لأن النعمة التى تأتى غير محتسبة داخلة فى قسم النعمة المستقبلة وذلك أن النعمة المستقبلة تنقسم قسمين أحدهما يرجى حصوله والآخر لا يحتسب فقوله ونعمة تأتى غير محتسبة يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان ينبغى له أن يقول النعم ثلاث نعمة ماضية ونعمة فى حال كونها ونعمة تأتى مستقبلة فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التى أنت فيها ووفر حظك من النعمة التى تستقبلها ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى فى قوله

جمعت لنا فوق الأمانى منكم * بأبر من روح الحياة وأوصل
فصنيعة فى يومها وصنيعة * قد أحولت وصنيعة لم تحول
كالمزن من ماضى الرباب ومقبل * متنظر ومخيم متهلل

(ووقف أعرابى) على مجلس الحسن البصرى رضى الله عنه فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة فقال الحسن البصرى ما ترك لأحد عذرا (وقد عاب أبو هلال العسكرى على جميل قوله

و (الصياح) وقد ضما أيضا الكسائى دخلت فى (غمار الناس وغمارهم) أى فى جماعتهم وكثرتهم وكذلك (خمار الناس وخمارهم)

﴿فعال وفعيل﴾

رجل (شحاح وشحيح) و (عقام وعقيم) و (صحاح الاديم وصحيح) و (بجال وبجيل) وهو الضخم الجليل ورجل (كهام وكهيم) للذى لا دفع عنده (والجرام والجريم) النوى وهما أيضا التمر اليابس و (ثقال وثقيل)

﴿فعال وفعيل﴾

(طوال وطويل) و (عراض وعريض) و (كبار وكبير) و (خفيف وخفاف) و (عجيب وعجاب) و (جليل وجلال) و (دقيق ودقاق) و (رقيق ورقاق) و (كريم وكرام) و (مليح وملاح) و (جميل وجمال) و (كثير وكثار) و (قليل وقلال) و (زحير وزحار) و (أنين وأنان) و (نسيل ونسال) ما سقط من الوبر والشعر والريش (وشحيج البغل والغراب وشحاج) و (نهيق الحمار ونهاق) و (صهيل وصهال) و (نبيح ونباح) و (ضغيب وضغاب) لصوت الارنب و (ذنين وذنان) لما يسيل من الانف و (عظيم وعظام) و (جسيم وجسام) و (شجيع وشجاع) وحكى الفراء (صغير وصغار) وحكى أبو زيد عظام و (جسام) و (ضخام) و (طوال) ولم يقل فى ضخام (ضخيم) انما هو (ضخم) ولكن الاصل فيه (ضخيم) على بناء أمثاله مثل (عظيم) و (كبير) و (ثقيل) و (بطىء) و (غليظ) فاجازوا فيه (ضخاما) على أصل الحرف وقد بينت أمثلة هذه الحروف وأضدادها وروى أبو عبيدة عن المؤرج فى الامثال

نزو الفرار استجهل الفرار قال (الفرار) ولد البقرة الوحشية قال ويقال له (فرير وفرار) مثل (طويل وطوال) وكان غيره يزعم   لو

لو كان فى قلبى كقدر قلامة * حبا وصلتك أو أتتك رسائلى

فقال أبو هلال ان اتيان الرسائل داخل فى جملة الوصل وليس الامر كما وقع له فان جميلا انما أراد بقوله وصلتك أى أتيتك زائرا أو قاصدا أو كنت راسلتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين اما زيارة واما رسالة (ومن أعجب ما وجدته فى هذا الباب) ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجر وحبكم قلا * وعطفكم صد وسلمكم حرب

ثم قال الغانمى هذا والله أصح من تقسيمات اقليدس ويالله العجب أين التقسيم من هذا البيت هذا والله فى واد والتقسيم فى واد ألا ترى أنه لم يذكر شيأ تحصره القسمة وانما ذم أحبابه فى سوء صنيعهم به فذكر بعض أحواله معهم ولو قال أيضا

ولينكم عنف وقربكم نوى * واعطاؤكم منع وصدقكم كذب

لكان هذا جائزا وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ولو أنه تقسيم لما احتمل زيادة والاولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الغانمى الى باب المقابلة فانه أولى به لانه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصد والسلم بالحرب (ومن فساد التقسيم) قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها *ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا* فقال

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

فان المشوق يكون حزينا والمسعد يكون معينا وكذلك يكون المسعد عاذرا وكثيرا ما يقع البحترى فى مثل ذلك وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى وهو

فافخر فان الناس فيك ثلاثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل

فان المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما (ومن شرط التقسيم) أن لا تتداخل أقسامه بعضها فى بعض ومن هذا الاسلوب ما ورد فى أبيات الحماسة وهو

وكنت امرأ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فأنت من الامر الذى قد أتيته * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فان الخيانة من الاثم وهذا تقسيم فاسد ﴿ومما جاء من ذلك نثرا﴾ قول بعضهم فى ذكر منهزمين فمن جريح متضرج بدمائه وهارب لا يلتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال فمن بين قتيل ومأسور وناج لصح له التقسيم أو لو قال فمن بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا لعدم الناجى بينهما وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى حيث قال

غادرتهم أيدى المنية صبحا * بالقنا بين ركع وسجود

فهم فرقتان بين قتيل * قنصت نفسه بحد الحديد

أو أسير غدا له السجن لحدا * فهو حى فى حالة الملحود

فرقة للسيوف ينفذ فيها الـ * حكم قصدا وفرقة للقيود

(ومن فساد التقسيم) قول أبى تمام

وموقف بين حكم الذل منقطع * صاليه أو بحبال الموت متصل

فانه جعل صالى هذا الموقف اما ذليلا لا عنه أو هالكا فيه وههنا قسم ثالث وهو أن لا يكون ذليلا ولا هالكا بل يكون مقدما فيه ناجيا وفى هذا نظر على من ادعى فساد تقسيمه فان أبا تمام قصد الغلو فى وصف هذا الموقف فقال ان الناس فيه أحد رجلين اما ذليل عن مورده واما هالك فيه أى انه لا ينجو منه أحد يرده وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه ﴿القسم الثالث فى ترتيب التفسير﴾

ان (فرارا) جمع فرير قال ولم يأت شئ من الجمع على فعال الا أحرف هذا أحدها (توأم وتؤام) وشاة (ربى وغنم رباب) و (ظئر وظؤار) و (عرق وعراق) و (رخل ورخال) و (فرير وفرار) قال ولا نظير لهذه الاحرف قال أبو عبيدة فاذا أرادوا المبالغة شددوا فقالوا (كرّام) و (كبّار) و (ظرّاف) و (عجّاب) فالكرّام أشد كرما من الكرام وقد يجئ من المشدد ما ليس من هذا الباب قالوا (حسان) حسن وقراء للقارئ و (وضاء) للوضئ

﴿فعال وفعول﴾

(الثبات والثبوت) و (الذهاب والذهوب) و (الفساد والفسود) و (الصلاح والصلوح) و (قطاع الطير وقطوعها) وهو ان تقطع من بلد الى بلد فاما (قطاع الماء) يعنى انقطاعه فمفتوح و (القتام والقتوم) وفرغت من الامر (فراغا وفروغا)

﴿فعال وفعول﴾

هو (الكلاح والكلوح) و (السكات والسكوت) و (الصمات والصموت) ورزحت الناقة (رزوحا ورزاحا) اذا سقطت من الهزال والتعب

﴿فعال وفعول﴾

هو النفار (والنفور) و (الشراد والشرود) و (الشباب) من شب الفرس و (الشبوب) و (الشماس) من شمس و (الشموس) و (الطماح) من طمح و (الطموح)

﴿فعل وفعال﴾ رجل (حل وحلال) و (حرم وحرام)

﴿فعل وفعال﴾ (ريش ورياش) و (لبس ولباس) و (دبغ ودباغ)

﴿ما جاء على فعالة مما فيه لغتان فعالة وفعالة﴾

هى (الرطانة والرطانة) و (الوقاية والوقاية) و (الوكالة والوكالة) ودليل بين (الدلالة والدلالة) ومهرت الشئ (مهارة ومهارة) و (الوصاية

ومايصح من ذلك ومايفسده* اعلم أن صحة الترتيب فى ذلك أن يذكر فى الكلام معان مختلفة فاذا عيد اليها بالذكر لتفسير قدم المقدم وأخر المؤخر وهو الاحسن الا أنه قد ورد فى القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير المؤخر كقوله تعالى أفلم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولو قدم تفسير المقدم فى هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقيل ان نشأ نسقط عليهم كسفا من السماء أو نخسف بهم الارض وكذلك ورد قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم فقدم المؤخر وأخر المقدم والقسمان قد وردا جميعا فى القرآن الكريم (فمما روعى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر) قوله تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ومن ذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وكذلك قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ولتبتغوا من فضله فلما قدم الليل فى الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التعيش (ومن ذلك) ما كتبته فى كتاب تعزية وهو فصل منه فقلت ولقد أوحشت منه المعالى كما أوحشت المنازل وآمت المكارم كما آمت الحلائل وعمت لوعة خطبه فما تشتكى ثكلى الا الى ثاكل وما أقول فيمن عدمت الارض منه حياها والمحامد محياها فلو نطق الجماد بلسان أو تصور المعنى لعيان لاعربت تلك عن ظما صعيدها وبرزت هذه حاسرة حول فقيدها (ومن ذلك) ما كتبته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وما زالت أيادى سيدنا متنوعة فى زيادة جودها وكتابها فهذه متطولة بترقية وردها وهذه آخذة بسنة اغبابها وأحسن مافى الاولى أنها تأتى متحلية بفواضل الاكثار وفى الثانية أنها تأتى متحلية بفضائل الاختصار فاختصار هذه فى فوائد أقلامها كتطويل تلك فى عوائد انعامها وقد أصبحت خواطرى مستغرقة بانشاء القول المبتكر فى شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر وماجعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستقل بأداء حقوق تنقل على الرقاب ومقابلة بلاغات تنقل على الالباب (ومما جاء من ذلك) شعرا قول ابراهيم بن العباس

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * ويفترعنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستباح دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأيسر خطب يوم حق فناؤها

وهذه الابيات من نادر ما يجىء فى هذا الباب معنى وترتيب تفسير ومما جاء منه أيضا قول أبى تمام

وما هو الا الوحى أو حد مرهف * تميل ظباه أخدعى كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل

وكذلك قوله أيضا

وكان لهم غيثا وعلما لمعدم * فيسأله أو باحث فيسائله

وهذا من بديع ماياتى فى هذا الباب ومما ورد منه قول على بن جبلة

فتى وقف الايام بالسخط والرضا * على بذل عرف أو على حد منصل

ومن الحسن فى هذا الباب قول أبى نواس

والوصاية) و(الجنازة والجنازة) و(الجراية والجراية) و(البداوة والبداوة) و(الحضارة والحضارة) و(الولاية من الموالاة والولاية) و(الوزارة والوزارة) والكسر أجود و(الرضاعة والرضاعة) و(الخلالة والخلالة) بصدر خليل ويقال أيضا الخلولة وقد نوت الناقة تنوى (نواية ونواية) اذا سمنت و(الجداية والجداية) الرشاء

فعالة وفعالة

(بشارة وبشارة) قال الاصمعى الكسر وحده لاغير وروى الكسائى (الزيارة والزوارة) و(دواية اللبن ودوايته) الجلدة الرقيقة التى تعلوه وهى (الخفارة والخفارة) و(الفتاحة والفتاحة) وهى المحاكمة

فعالة وفعالة فى صوته (رفاعة ورفاعة) أى علو وعليه (طلاوة من الحسن وطلاوة)

فعالة وفعولة (فسل فسالة وفسولة) و(رذل رذالة ورذولة) وفارس بين (الفراسة والفروسية) ولحية كثة بينة (الكثاثة والكثوثة) وجلد بين (الجلادة والجلودة) وحف بين (الوحافة والوحوفة) اذا كان كثيرا وشعر جثل بين (الجثالة والجثولة) ووقاح بين (الوقاحة والوقوحة)

ماجاء على مفعل فيه لغتان مفعل ومفعل

(منسج الثوب حيث ينسج ومنسج) و(مغسل الموتى حيث يغسلون ومغسل) و(مقبض السيف ومقبضه) و(مضربه ومضربه) و(المنسك والمنسك) و(المسكن والمسكن) ومفرق الطريق و(مفرقه) وكذلك (مفرق الرأس) و(مطلع ومطلع) و(محشر ومحشر) و(منبت ومنبت) و(مذب السيل ومذب) وهو (محل أجر ومحل أجر) *كل ما كان على فعل يفعل فالاسم

يرجو

يرجو ويخشى حالتيك الورى * كأنك الجنة والنار

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الارجاني

يوم المتيم فيك حول كامل * يتعاقب الفصلان فيه اذا أتى

ما بين حر جوى وماء مدامع * ان حن صاف وان بكى وجدا شتا

ومما أخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم

لألفيت منهم معطيا أو مطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

لانه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول في البيت الاول ثانيا في البيت الثاني والاولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبا ففسر ما هو أول في البيت الاول بما هو ثان في البيت الثاني واعلم أن الناظم لا ينكر عليه مثل هذا ما ينكر على الناثر لان الناظم يضطره الوزن والقافية الى ترك الاولى (وأما فساد التفسير) فانه أقبح من فساد ترتيبه وذلك أن يؤتى بكلام ثم يفسر تفسيرا لا يناسبه وهو عيب لا تسامح فيه بحال وذلك كقول بعضهم

فيا أيها الحيران في ظلمة الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا

تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

وكان يجب لهذا الشاعر أن يقول بازاء بغي العدا ما يناسبه من النصرة والاعانة أو ما جرى مجراهما ليكون ذلك تفسيرا له كما جعل بازاء الظلمة الضياء وفسرها به فاما ان جعل بازاء ما يتخوف منه بحرا من الندى فان ذلك غير لائق ﴿النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط﴾ اعلم أن هذه المعاني الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والافراط توجد في كل شيء من علم وصناعة وخلق ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة حتى يتبين نقلها الى هذا النوع من الكلام فاما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل الى أحد الطرفين قال الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط بينهما وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالاسراف والاقتار طرفان والقوام وسط بينهما وقال الشاعر

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وأما التفريط فهو التقصير والتضييع ولهذا قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء أي ما أهملنا ولا ضيعنا وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد يقال أفرط في الشيء اذا أسرف وتجاوز الحد والتفريط والافراط هما الطرفان البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة الى هذا النوع من علم البيان وأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته وأما التفريط والافراط فهما ضدان أحدهما أن يكون المعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته والتفريط في ايراد المعاني الخطابية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله فمنه الحسن ومنه دون ذلك فما جاء من التفريط قول الاعشى

وما مزبد من خليج الفرا * ت جون غوار به تلتطم

بأجود منه بماعونه * اذا ما سماؤهم لم تغم

فانه مدح ملكا بالجود بماعونه والماعون كل ما يستعار من قدوم أو قصعة أو قدر أو ما أشبه ذلك وليس للملوك في بذله مدح ولا لأوساط الناس أيضا وفي مدح السوقة به قولان ومدح

منه مكسور والمصدر مفتوح ﴿ قال الله جل ثناؤه (أين المفر) فمن قرأه بالفتح أراد أين الفرار وان أراد المكان الذي يفر اليه قال المفر بالمكسر وتقول هذا (مضرب فلان) تريد الموضع الذي ضرب اليه وبلغه فان أردت المصدر قلت ان في ألف درهم لمضربا أي ضربا قال الله جل ثناؤه وجعلنا النهار (معاشا) يريد عيشا وهو مصدر (وقد جاء بعض المصادر على مفعل) والاول أكثر وأقيس قال جل ثناؤه الى الله (مرجعكم) أي رجوعكم وقال عز وجل يسألونك عن (المحيض) أي الحيض (فاذا كان يفعل مفتوح العين فالموضع والمصدر مفتوحان) نحو (المذهب) و (المشرب) وربما كسروا العين في مفعل اذا أرادوا الاسم وليس بالكثير قالوا (المكبر) وهو شاذ وكذلك (المحمدة) فاذا كان يفعل مضموم العين فالاسم والمصدر مفتوحان (مثل المدخل) و (المخرج) و (المطلب) الا أحرفا كسرت مثل (المسجد) و (المطلع) و (المغرب) و (المشرق) و (المسقط) و (المفرق) و (المجزر) و (المنسك) من نسك ينسك جعلوا الكسر علامة الاسم وربما فتحه بعض العرب في الاسم ولزموا القياس فقد روى (مسكن ومسكن) و (مسجد ومسجد) وقال بعضهم (المسجد موضع السجود والمسجد اسم البيت وقالوا (مطلع ومطلع) وقال الفتح في هذه الاحرف التي كسرت جائز وان لم يسمع في بعضها ﴿وما كان من ذوات الياء والواو﴾ مثل (مغزى من غزوت) و (مرمى من رميت) فمفعل مفتوح اسما كان أو مصدرا الا (مأقي العين) و (مأوي الابل) فان العرب قد تكسر هذين الحرفين وهما نادران ﴿وما كان فاء الفعل منه واوا﴾ مثل و (عد) و (ورد) و (وضع) فان مفعلا منه مكسور اسما كان

الملوك به عيب وذم فاحش وهذا من أقبح التفريط ومما يجرى هذا المجرى قول الفرزدق

ألا ليتنا كنا بعيرين لا نرد * على حاضر الا نشل ونقذف
كلانا به عر يخاف قرافه * على الناس مطلى المشاعر أخشف

هذا رجل ذهب عقله حين نظم هذين البيتين فان مراده منهما التغزل بمحبوبه وقد قصر تمنيه على أن يكون هو ومحبوبه كبعيرين أجربين لا يقربهما أحد ولا يقربان أحدا الا طردهما وهذا من الامانى السخيفة وله فى غير هذه الامنية مندوحات كثيرة وما أشبه هذا بقول القائل

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللاقداح أولا كؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * فى الدهر فلتك من عيون النرجس

فانظر كم بين هاتين الامنيتين (ومما أخذ على أبى نواس) فى قصيدته الميمية الموصوفة التى مدح بها الامين محمد بن الرشيد وهو قوله

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر * أملا لعقد حباله استحكام

فان ذكر أم الخليفة فى مثل هذا الموضع قبيح وكذلك قوله فى موضع آخر

وليس كجدتيه أم موسى * اذا نسبت ولا كالخيزران

وهذا الغو من الحديث لا فائدة فيه فان شرف الانساب انما هو الى الرجال لا الى النساء وياليت شعرى أما سمع أبو نواس قول قتيلة بنت النضر فى النبى صلى الله عليه وسلم

أمحمد ولانت نجل كريمة * من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

فانها ذكرت الام بغير اسم الأم وأبرزت هذا الكلام فى هذا اللباس الانيق وكذلك فليكن المادح اذا مدح وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكائه وما كان يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس لقائل أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هرون عليهما السلام قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى فان الفرق بين الموضعين ظاهر لان المنكر على أبى نواس انما هو التلفظ باسم الام وهى زبيدة وكذلك اسم الجدة وهى الخيزران وليس كذلك ما ورد فى الآية ﴿فان قيل﴾ قد ورد فى القرآن الكريم ما يسوغ لابى نواس مقالته وهو قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فناداه باسم أمه قلت الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب ينودى باسم أمه ضرورة اذ لو كان له أب لنودى باسم أبيه الوجه الآخر أن هذا النداء انما هو من الاعلى الى الادنى اذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطا لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على أن أبا نواس لم يوقعه فى هذه العثرة الا ما سمعه عن جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز كقوله

وتبنى المجد يا عمر بن ليلى * وتكفى الممحل السنة الجمادا

وكذلك قال فيه كثير عزة أيضا وليس المعيب من هذا بخاف فان العرب قد كان يعير بعضها بعضا بنسبته الى أمه دون أبيه ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حنتمة وانما كان يقول ذلك من يغض منه وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم للزبير بن صفية بشر قاتل ابن صفية بالنار فان صفية كانت عمة النبى صلى الله عليه وسلم وانما نسبه اليها رفعا لقدره فى قرب نسبه منه وأنه ابن عمته وليس هذا كالاول فى الغض من عمر رضى الله عنه فى نسبه الى أمه (وقد عاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة) قول أبى نواس فى قصيدته السينية التى أولها

أو مصدر انحو (الموعد) و(المورد) و(الموضع) و(الموقع) الا أحرفا أتت نادرة قال أكثرهم موجل وقال بعضهم موحل قال الهذلى فأصبح العير ركودا على الأوشات أن يرسخن فى الموحل يروى (الموحل والموحل) جميعا قال و(مورق) و(موهب) و(موكل) اسم رجل أو مكان و(موحد) معدول عن واحد يقال دخل القوم (موحد موحد) كما يقال أحاد أحاد

﴿مفعل ومفعل﴾ (مصحف ومصحف) و(مغزل ومغزل) و(مخدع ومخدع) و(مطرف ومطرف) و(مجسد ومجسد) قال بعضهم المجسد ما صبغ بالجساد فأجيد وأشبع صبغه والجساد الزعفران والمجسد الذى يلى الجسد من الثياب قال الفراء المجسد والمجسد واحد وهو من اجسد أى ألصق بالجسد فكسر أوله بعضهم استثقالا للضم وكذلك قالوا مصحف وهو مأخوذ من أصحف أى جمعت فيه الصحف فكسر أوله بعضهم استثقالا للضم وأصله الضم ومطرف من أطرف أى جعل فى طرفيه العلمان ومغزل أدير وفتل قال فمن ضم الحرف من هذه جاء به على أصله ومن كسره فلاستثقاله الضمة

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (منخر ومنخر) بكسر الميم لا يعرف غيره

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (منتن ومنتن) بكسر الميم لا يعرف غيره فمن أخذه من أنتن قال منتن ومن أخذه من نتن قال منتن

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (مدق ومدق) لا يعرف غيره فمن قال مدق جعله مثل مسعط ومدهن ومن قال مدق جعله مثل محلب

﴿مفعل ومفعل﴾ (ما جاوز بنات الثلاثة) فلك فيه وجهان (مخرج صدق) (ومدخل صدق) ان جعلته من أخرج وادخل وان جعلته من دخل

نبه نديك قد نعس * فقال من جلتها ورث الخلافة خامسا * وبخير سادسهم سدس

قال وفي ذكر السادس نظر ويا عجباه مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضع أما قرأ سورة الكهف يريد قوله تعالى ويقولون خمسة سادسهم كلبهم وهذا ليس بشئ لانه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه وهو قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم (ومما عابته على البحتري) قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها * أجدك ما ينفك يسري لزينبا فقال

شهدت لقد أنصفته حين تبترى * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا

فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراكا اذا الهيابة النكس كذبا

قوله اذا الهيابة النكس تفريط في المدح بل كان الاولى أن يقول اذا البطل كذب والا فأي مدح في اقدام المقدم في الموضع الذي يفر منه الجبان والا كما قال أبو تمام

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى * مفرا غداة المارق ارتاد مصرعا

وعلى أسلوب البحتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

واني لقوال لعافي مرحبا * وللطالب المعروف انك واجده

واني لمن أبسط الكف بالندى * اذا شنجت كف البخيل وساعده

وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل وانما الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم ومن هذا الباب قول أبي تمام

يقظ وهو أكثر الناس اغضا * ء على نائل له مسروق

فانه أراد أن يمدح فذم ومما هو أقبح من ذلك قوله أيضا

يتقي الحرب منه حين تغلي * مراجلها بشيطان رجيم

وقد استعمل هذا في شعره حتى أفحش كقوله

أنت دلو وذو السماح أبو مو * سى قليب وأنت دلو القليب

ومراده من ذلك أنه جعله سببا للعطاء المشار اليه كما أن الدلو سبب في امتياح الماء من القليب ولم يبلغ هذا المعنى من الاغراب الى حد يدندن أبو تمام حوله هذه الدندنة ويلقيه في هذا المثال السخيف على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره بل أوردها في مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله

مازال يهذي بالمكارم والعلا * حتى ظننا أنه محموم

فانه أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بالمكارم والعلا فقال مازال يهذي وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين

ويلحقه عند المكارم هزة * كما انتفض المجهود من أم ملدم

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا وكم ممن يتأول معنى كريما فأساء في التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي

ذهب الذين تهزهم مداحهم * هز الكماة عوالي المران

كانوا اذا امتدحوا رأوا ما فيهم * فالاريحية منهم بمكان

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا والا فليسكت (ووجدت) أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقال انه جمع الجفنات والاسياف جمع قلة وهو في مقام فخر وهذا مما يحط من المعنى ويضع منه

وخرج قلت (مدخل ومخرج) وكذلك (ممسى ومصبح) و(ممسى ومصبح) وباسم الله (مجراها ومرساها) و(مجراها ومرساها) وقد قرئ بهما جميعا

﴿مفعل ومفعل﴾ الكسائي (المشعر الحرام) و(المشعر الحرام) وأكثر العرب على كسرها ولا يقرأ بذلك ولا يعرف غير هذا الحرف وأكثر ما جاء مما يستعمل مكسور الميم نحو (مقطع) و(مبضع) و(مخرز) و(محلب) للقدح الذي يحلب فيه فان جعلت شيأ من هذا المكان أفتحت الميم (فالمقطع) الموضع الذي يقطع فيه و(المقطع) الشئ الذي يقطع به و(المقص) الموضع الذي يقص فيه و(المقص) المقراض و(المفتح) الموضع الذي يفتح فيه و(المفتح) المفتاح وكذلك ان جعلت شيأ من هذا مصدرا فهو مفتوح

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (منخل ومنخل) و(منصل ومنصل) للسيف وهذا مما يستعمل وأوله مضموم ومما ضم من هذا الفن أوله (مسعط) و(مدهن) و(مكحلة) لا يقال فيه غير ذلك

﴿مفعل وفعال﴾ قالوا (مسن وسنان) و(مسرد وسراد) وهو الاشفى و(معطف وعطاف) و(ملحف ولحاف) و(مقرم وقرام) و(منطق ونطاق)

﴿مفعل ومفعال﴾ (مفتح ومفتاح) وأصله مفتح وكذلك (مضراب ومقراض) و(مصبح ومصباح) و(منسج ومنساج) و(مقول ومقوال)

﴿ماجاء على مفعلة فيه لغتان مفعلة ومفعلة﴾

أرض (مهلكة ومهلكة) و(مضلة ومضلة) وهو علق (مضنة ومضنة) و(معتبة ومعتبة) ولا تلنوا بدار (معجزة ومعجزة) أي تعجز عن طلب الرزق أخذتني منه (مذمة ومذمة) وهي (مضربة السيف ومضربته)

وقد ذهب الى هذا غيره أيضا وليس بشئ لان الغرض انما هو الجمع فسواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم أفترى نعم الله أكانت قليلة على ابراهيم صلوات الله عليه وكذلك ورد قوله عز وجل فى سورة النمل وادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة وما كان قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا مئين ألوفا وهذا أيضا مما يبطل قول الصولى وغيره فى مثل هذا الموضع وكذلك ورد قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها والنفوس المتوفاة والنائمة لا ينتهى الى كثرتها كثرة لانها نفوس كل من فى العالم (واعلم) أن للمدح ألفاظا تخصه وللذم ألفاظا تخصه وقد تعمق قوم فى ذلك حتى قالوا من الأدب أن لا تخاطب الملوك ومن يقاربهم بكاف الخطاب وهذا غلط بارد فان الله الذى هو ملك الملوك قد خوطب بالكاف فى أول كتابه العزيز فقيل اياك نعبد واياك نستعين وقد ورد أمثال هذا فى مواضع من القرآن غير محصورة الا أنى قد راجعت نظرى فى ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم والعوائد لا حكم لها ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق فى ترك الخطاب بالكاف لكنى تأملت أدب الشعراء والكتاب فى هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب فى الشعر ويعاب فى الكتابة اذا كان المخاطب دون المخاطب درجة وأما ان كان فوقه فلا عيب فى خطابه اياه بالكاف لانه ليس من التفريط فى شئ فن خطاب الكاف قول النابغة

وانك كالليل الذى هو مدركى ‌* وان خلت أن المنتأى عنك واسع

(وكذلك قوله أيضا)

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ‌* وليس وراء الله للمرء مذهب

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضا فقال أبو نواس

اليك أبا المنصور عذبت ناقتى ‌* زيارة خل وامتحان كريم

لأعلم ما يأتى وان كنت عالما ‌* بأنك مهما تأت غير ملوم

وكذلك ورد قول السلامى

اليك طوى عرض البسيطة جاعل ‌* قصار المطايا أن يلوح لها القصر

وبشرت آمالى بملك هو الورى ‌* ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

وعليه ورد قول البحترى

ولقد أتيتك طالبا فبسطت من ‌* أملى وأطاب جود كفك مطلبى

وجل خطاب الشعراء للممدوحين انما هو بالكاف وذلك محظور على الكتاب فانه ليس من الادب عندهم أن يخاطب الادنى الاعلى بالكاف وانما يخاطبه مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على أن هذا الباب بجملته يوكل النظر فيه الى فطانة الخطيب والشاعر وليس مما يوقف فيه على المسموع خاصة (ومن ألطف ما وجدته) أنك اذا خاطبت الممدوح أن تترك الخطاب بالامر بأن تقول افعل كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهذا الاسلوب حسن جدا وعليه مسحة من جمال بل عليه الجمال كله (فمما جاء منه) قول البحترى فى قصيدة أولها

‌* بودى لو يهوى العذول ويعشق ‌* فقال منها

﴿مفعلة ومفعلة﴾ عبد (مملكة ومملكة) اذا ملك ولم يملك أبواه و(مأكلة ومأكلة) و(مأربة ومأربة) الحاجة و(المأدبة والمأدبة) الطعام يدعى اليه و(مصنعة البناء ومصنعة) و(محرمة ومحرمة) و(مزبلة ومزبلة) و(مقبرة ومقبرة) و(مخراة ومخروة) و(مخبرة ومخبرة) و(مأثرة ومأثرة) و(معركة ومعركة) و(ميسرة وميسرة) و(مفخرة ومفخرة) و(مزرعة ومزرعة) و(مبطخة ومبطخة) و(مشربة ومشربة) وهى كالصفة بين يدى الغرفة و(مقناة ومقنوة) المكان الذى لا تطلع عليه الشمس ما بينهم (مقربة ولا مقربة) أى قرابة

﴿مفعلة ومفعلة﴾ (المبناة والمبناة) النطع و(مثناة ومثناة) الحبل الفرد يقال (مرقاة ومرقاة) والفتح أكثر وكذلك (مسقاة ومسقاة) من جعلهما آلة تستعمل كسر مثل (مغرفة ومقدحة ومصدغة) ومن جعلهما موضعا للارتقاء والسقى نصب

﴿مفعلة ومفعلة﴾ أغنيت عنك (مغناة فلان ومغناته) وأجزأتك (مجزأة فلان ومجزأته)

﴿ما جاء على فعلل وفيه لغتان فعلل وفعلل﴾

(دخلل فلان ودخلله) أى خاصته ورجل (قعدد وقعدد) اذا كان قريب الآباء الى الجد الاكبر (جؤذر وجؤذر) و(قنفذ وقنفذ) و(عنصل وعنصل) للبصل البرى (والعنصر والعنصر) الاصل و(البرقع والبرقع) و(طحلب وطحلب)

﴿فعلل وفعلل﴾ (جنجن وجنجن) لواحد الجناجن وهى عظام الصدر وبفيه (الاثلب والاثلب) و(الكثكث والكثكث) أى التراب (ومما جاء بالهاء) ناقة (مجازة ومجازة) والمال بيننا شق (الابلمة والابلمة) وقد روى الابلمة وهى الخوصة

فهل

فهل أنت يا ابن الراشدين مختمى * بياقوتة تبهى على وتشرق

وهذا من الادب الحسن فى خطاب الخليفة فانه لم يخاطبه بأن قال ختمنى بياقوتة على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام وقد أعجبنى هذا المذهب وحسن عندى وقد حذا حذو البحترى شاعر من شعراء عصرنا فقال فى مدح الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد من قصيدله على قافية الدال فقال من أبيات يصف بها قصيده

أمقبولة يا ابن الخلائف من فتى * لديك بوصفى غادة الشعر رودة

فقوله أمقبولة من الادب الحسن الذى نسج فيه على منوال البحترى وهذا باب مفرد وهو باب الاستفهام فى الخطاب واذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه من الالفاظ والمعانى تصرف فى هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج من ذات نفسه شيأ لم يسبقه اليه أحد (واعلم) أن من المعانى ما يعبر عنه بالفاظ متعددة ويكون المعنى المندرج تحتها واحدا فمن تلك الالفاظ ما يليق استعماله بالمدح ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع الالفاظ الدالة عليه سواء فى الاستعمال وانما يرجع فى ذلك الى العرف دون الاصل ولنضرب له مثالا فنقول هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على وحق رأسك وهذا يرجع الى أدب النفس دون أدب الدرس فاذا أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكر الرأس والهامة والكاهل وما جرى هذا المجرى فاذا أراد أن يهجو ذكر الدماغ والقفا والقذال وما جرى هذا المجرى وان كانت معانى الجميع متقاربة ومن أجل ذلك حسنت الكناية فى الموضع الذى يقبح فيه التصريح (ومن أحسن ما بلغنى) من أدب النفس فى الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قباث بن أشيم فقال له أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أقدم منه فى الميلاد فانظر الى أدب هذا العربى الذى من شأنه وشأن أمثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطانة الآداب (وأما الافراط) فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحمده آخرون والمذهب عندى استعماله فان أحسن الشعر أكذبه بل أصدقه أكذبه لكنه تتفاوت درجاته فمنه المستحسن الذى عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانه مهما ذكر به من المعاملات فى صفاته فانه دون ما يستحقه ومما ورد من ذلك فى الشعر قول عنترة وأنا المنية فى المواطن كلها * والطعن منى سابق الآجال وقد يروى بالباء وكلا المعنيين حسن الا أن الباء أكثر غلوا ومما جاء على نحو من ذلك قول بشار

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

ومنه ما يستهجن كقول النابغة الذبيانى

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا يصف طول قامتها لكنه من الاوصاف المنكرة التى خرجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان وكذلك ورد قول أبى نواس

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وهذا أشد افراطا من قول النابغة ويروى أن العتابى لقى أبا نواس فقال له أما استحييت الله حيث تقول وأنشده البيت فقال له وأنت ما راقبت الله حيث قلت

مازلت فى غمرات الموت مطرحا * يضيق عنى وسيع الرأى من حيلى
فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

فقال له العتابى قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك قد أعددت لكل ناصح جوابا

﴿فعلال وفعلول﴾ (شمراخ وشمروخ) و(عثكال وعثكول) و(اثكال وأثكول) مثله و(عنقاد وعنقود) و(جذمار وجذمور) وهى قطعة تبقى من السعفة اذا قطعت و(تفراق وتفروق) و(معلاق ومعلوق)

﴿أفعل وفعل﴾ (أشعث وشعث) و(أجرب وجرب) و(أخشن وخشن) و(أحمق وحمق) و(أقعس وقعس) و(أكدر وكدر) و(أعمى وعم) و(انكد ونكد) و(أوجل ووجل) قال الشاعر

لعمرك ما أدرى وانى لاوجل
على أينا تعدو المنية أول

و(أوجر ووجر) و(أشنع وشنع) قال أبو ذؤيب * واليوم يوم أشنع * و(شنيع) أيضا و(أرمد ورمد)

﴿فعيل وفاعل﴾ (ضريب قداح وضارب) و(صريم وصارم) و(عريف وعارف) وأنشد * بعثوا الى عريفهم يتوسم * أى عارفهم و(سميع وسامع) و(عليم وعالم) و(قدير وقادر) و(حفيظ وحافظ) و(غريق وغارق) قال أبو النجم * من بين مقتول وطاف غارق * أى غريق

﴿فعل وفعيل﴾ (جدب وجديب) و(شخت وشخيت) و(سمج وسميج) قال أبو ذؤيب

فان تصرمى حبلى وان تتبدلى
خليلا ومنهم صالح وسميج

﴿فعل وفعيل﴾ (أنق وأنيق) و(بهج وبهيج) ولسان (ذلق وذليق) و(طرف فى النسب وطريف) و(حزن وحزين) و(كمد وكميد)

﴿فعول وفعيل﴾ سمعت (قرونه وقرينه) أى نفسه و(الحصور والحصير) الذى لا يشرب مع القوم من بخله و(أتان وديق وودوق) وهو الكذاب (الاثيم والاثوم) و(القتيت والقتوت) وهو (نجئ العين) و(نجوء العين)

﴿فاعل وفاعل﴾ (تابل القدر وتابل) و(رامك ورامك) اضرب من الطيب

وقد أراد أبو نواس هذا المعنى فى قالب آخر فقال

كذت منادمة الدماء سيوفه * فلقلما تحتازها الاجفان

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

ومايجىء فى هذا الباب مايجرى هذا المجرى وقد استعمل أبو الطيب المتنبى هذا القسم فى شعره كثيرا فاحسن فى مواضع منه فن ذلك قوله

عجاجا تعثر العقبان فيه * كأن الجو وعث أو خبار

ثم أعاد هذا المعنى فى موضع آخر فقال

عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا

وهذا أكثر مغالاة من الاول ومن ذلك قوله أيضا

كأنما تتلقاهم لتسلكهم * فالطعن يفتح فى الاجواف مايسع

وعلى هذا ورد قول قيس بن الحطيم

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ماوراءها

لكن أبو الطيب أكثر غلوا فى هذا المعنى وقيس بن الحطيم أحسن لانه قريب من الممكن فان الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء واما أن يجعل المطعون مسلكا يسلك كما قال أبو الطيب فان ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعيد ﴿وأما الاقتصاد﴾ فهو وسط بين المنزلتين والامثلة به كثيرة لاتحصى اذ كل ماخرج عن الطرفين من الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن أحسنه أن يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى فيه بلو أو بكاد وماجرى مجراهما فن ذلك قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم وكذلك قوله عز وجل وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كثيرا ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

وكذلك ورد قول البحترى

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وهذا هو المذهب المتوسط ﴿النوع السادس والعشرون فى الاشتقاق﴾ اعلم أن جماعة علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك أن التجنيس فى أصل الوضع من قولهم جانس الشىء الشىء اذا ماثله وشابهه ولما كانت الحال كذلك ووجدنا من الالفاظ مايتماثل ويتشابه فى صيغته وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس وكذلك لما وجدنا من المعانى مايتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس أيضا فالتجنيس اذن ينقسم قسمين أحدهما تجنيس فى اللفظ والآخر تجنيس فى المعنى فأما الذى يتعلق باللفظ فانه لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه وقد تقدم ذكره فى باب الصناعة اللفظية وأما الذى يتعلق بالمعنى فانه نقل عن بابه فى التجنيس وسمى الاشتقاق أى أحد المعنيين مشتق من الآخر (وهو على ضربين) صغير وكبير فالصغير أن تأخذ أصلا من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه كتركيب س ل م فانك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه نحو سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم اللديغ أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة والاصل فى ذلك أن يضع واضع اللغة اسما لمسمى أولا ثم يجد مسمى آخر ومسميات شبيهة بالمسمى الاول فيضع لها اسما كالاسم الاول كقوله ضرير اسم للأعمى والضر ضد النفع والضراء الشدة من الامر والضر بالضم الهزال وسوء الحال والضر والضيق والضرة احدى

﴿فعلى وفعلى﴾ قالوا (فتيا وفتوى) و(بقوى وبقيا) و(تقوى وثنيا) و(رعوى ورعيا) واما (القصوى والقصيا) فضمومة الاول فى اللغتين جميعا

﴿فاعل وفاعال﴾ (دانق وداناق) و(خاتم وخاتام)

﴿ماجاء فيه لغتان من حروف مختلفة الابنية﴾

مايضم ويكسر (القرطم والقرطم) و(الحولاء والحولاء) انفحة (وانفحة) يقال للوسادة (غرفة وغرفة) ولواحد الاساورة (اسوار واسوار) و(اخوة واخوة) جمع أخ و(قضبان وقضبان) جمع قضيب و(قثاء وقثاء) ورجل (ترعية وترعية) للذى يجيد رعية الابل و(الخيلاء والخيلاء) و(جندب وجندب) اسم و(يوسف ويوسف) و(يونس ويونس) و(سفيان وسفيان) و(ذبيان وذبيان) و(المغيرة والمغيرة)

﴿مايضم ويفتح﴾ (الجدرى والجدرى) وقوم (كسالى وكسالى) و(عجالى وعجالى) و(غيازى وغيازى) و(سكارى وسكارى) جاء القوم (بأجمعهم وأجمعهم)

﴿مايكسر ويفتح﴾ (منجنيق ومنجنيق) ديماس (وديماس) (الشريان والشريان) شجر تعمل منه القسى (يوم الاربعاء) بكسر الباء وفتح الهمزة وهى الجيدة وحكى الاصمعى الاربعاء بفتح الباء وحكاها ابن الاعرابى أيضا شاو (مغرب ومغرب) أى بعد بعيد (الذفارى والذفارى) جمع ذفرى و(عذارى وعذارى) و(صحارى وصحارى) وهى (الطنفسة والطنفسة) زبيل مفتوحة الزاى فان كسرتها زدت نونا فقلت (زنبيل) ولا يقال (زنبيل) المرعزى ان شددت الزاى قصرت وان خففتها مددت وكذلك (القبيطاء) والقبيطى الناطف (والباقلى) أيضا (والحلى) ان شددت

الزوجتين فان هذه المسميات كلها تدل على الاذى والشر وأسماؤها متشابهة لم تخرج عن الضاد
والراء الا أنا الآن لا نعلم ماهو الاول منها حتى نحكم على الثانى أنه مشتق منه لكن نعلم فى السليم
اللديغ أنه مشتق من السلامة لانه ضدها قيل من أجل التفاؤل بالسلامة وعلى هذا جاء غيره
من الاصول كقولنا هشمك هاشم وحاربك محارب وسالمك سالم وأصاب الارض صيب فهذه
الالفاظ كلها لفظها واحد ومعناها واحد أما هاشم فانه لم يسم بهذا الاسم الا لأنه هشم الثريد
فى عام محل فسمى بذلك وأما محارب فانه اسم فاعل من حارب فهو محارب وأما سالم فمن السلامة
وهو اسم فاعل من سلم وأما الصيب فهو المطر الذى يشتد صوبه أى وقعه على الارض ولا يقاس
على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله فان أسلم
وغفار وعصية أسماء قبائل ولم تسم أسلم من المسالمة ولا غفار من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا
وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والنظر فى مثل ذلك يحتاج الى فكرة وتدبر كى لا يختلط
التجنيس بالاشتقاق ومما جاء من ذلك شعرا قول البحترى * أمحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وكذلك
قول الآخر

ومازال معقولا عقال من الندى * ومازال محبوسا عن الخير حابس

وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس حيث قيل فيه معقول وعقال ومحبوس
وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفته
وقد تقدم القول أن حقيقة التجنيس هى اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وعقال ومعقول وحابس
ومحبوس اللفظ فيهما واحد والمعنى أيضا واحد فهذا مشتق من هذا أى قد شق منه وكذلك ورد
قول عنترة

لقد علم القبائل أن قومى * لهم حد اذا لبس الحديد

فان حدا وحديدا لفظهما واحد ومعناهما واحد (وأما الاشتقاق الكبير) فهو أن تأخذ أصلا
من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها
وان تباعد شئ من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل اليها ولنضرب لذلك مثالا فنقول
ان لفظة ق م ر من الثلاثى لها ست تراكيب وهى قدم قمر رقم رمق مقر مرق
فهذه التراكيب الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقرم شدة شهوة اللحم وقمر
الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من دهره وعيش
مرمق أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا والمقر شبه الصبر يقال امقر الشئ اذا أمر وفى ذلك
شدة على الذائق وكراهة ومرق السهم اذا انفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته (واعلم)
أنه اذا سقط من تراكيب الكلمة شئ فجائز ذلك فى الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه
كمال تركيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها
وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها فمثال ماسقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فان لها
خمس تراكيب وهى وسق وقس سوق قسو قوس وسقط من جملة التراكيب قسم
واحد وهو سقو وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا فالوسق من قولهم
استوسق الامر أى اجتمع وقوى والوقس ابتداء الجرب وفى ذلك شدة على من يصيبه وبلاء
والسوق متابعة السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه
والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجه الى ذلك المرمى المتباعد
(واعلم) أنا لا ندعى أن هذا يطرد فى جميع اللغة بل قد جاء شئ منها كذلك وهذا مما يدل على شرفها
وحكمتها لان الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من التقاليب وهى مع ذلك دالة على معنى
واحد وهذا من أعجب الاسرار التى توجد فى لغة العرب وأغربها فاعرفه الا أن الاستعمال فى

ضممت أوله وان خففت فتحت أوله فقلت (الحلى) الفراء الحلى جمع حلى مثل وحى ووحى (قوبا) بفتح الواو ومؤنثة
لا تنصرف وجمعها قوب وان سكنت
الواو ذكرت وصرفت وهى
(القلنسوة والقلنسية) اذا فتحت
القاف ضممت السين واذا ضممت
القاف كسرت السين وهى
(الارزبة) التى يضرب بها بالتشديد
فاذا قلتها بالميم خففت فقلت
مرزبة أنشد الفرا

* ضربك بالمرزبة العود النخر *

وهو (البارى) بالتشديد فاذا
خففت زدت ألفا فقلت البارياء
ممدود وهو (عشر الشئ) فان
فتحت العين قلت (عشير) فزدت
ياء وكذلك (ثمين وخميس وثليث
ونصيف) فى الثمن والخمس
والثلث والنصف قال أبو زيد
(تسيع وسبيع وسديس) وأنكر
خميس وثليث قال الشاعر

* فما صار لى فى القسم الا ثمينها *

وقال آخر

* لم يغذها مد ولا نصيف *

ويقال (أحاد وثناء وثلاث ورباع)
كل ذلك لا ينصرف ولم نسمع فيما
جاوز ذلك شيأ على هذا البناء غير
قول الكميت خصالا عشارا
وأجرى هذا المجرى وأنشد الصخر
السلمى

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا
وتركت مرة مثل أمس الدابر

ويقال مثنى كما قيل موحد ولا
ينون لانه معدول قال الشاعر

ولكنما أهلى بواد أنيسه
ذئاب تبغى الناس مثنى وموحدا

(ما يقال بالياء والواو)

رجل (سبروت وسبريت) وبينهما
(بون) فى الفضل (وبين) فأما فى
البعد فلا يقال الا بين أتانا (التوفاق
الهلال وتيفاق) أى حين أهل هو عشى (الخوزلى والخيزلى) وهو (البجاوة والبجاية) لعصبة تكون فى فرسن البعير وهو سريع (الاينة

النظم والنثر انما يقع فى الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الالفاظ الواردة عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد فى اللغة الا قليلا وأيضا فان الحسن اللفظى الذى هو الفصاحة انما يقع فى الاشتقاق الصغير ولا يقع فى الاشتقاق الكبير ألا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وهما ق رم و وس ق اذا نظرنا الى تراكيبهما وأردنا أن نسبكهما فى الاستعمال لم يأت منهما مثل ما يأتى فى الاشتقاق الصغير حسنا ونقالان ذلك لفظه لفظ تجنيس ومعناه معنى اشتقاق والاشتقاق الكبير ليس كذلك ﴿النوع السابع والعشرون فى التضمين﴾ وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة وبين معيب عند قوم وهو عندهم معدود من عيوب الشعر ولكل من هذين القسمين مقام (فأما الحسن) الذى يكتسب به الكلام طلاوة فهو أن يضمن الآيات والاخبار النبوية وذلك يرد على وجهين أحدهما تضمين كلى والآخر تضمين جزئى فأما التضمين الكلى فهو أن تذكر الآية والخبر بجملتهما وأما التضمين الجزئى فهو ان تدرك بعض الآية والخبر فى ضمن كلام فيكون جزأ منه كالذى أوردته فى حل الآيات والاخبار فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى مضمون الكلام من غير تبيين كى لا يشتبه وهذا القول لا أقول به فان القرآن الكريم أبين من أن يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المعجز الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله فان كانت المفاوضة فى التفرقة بينه وبين غيره من الكلام اذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه وان كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره ومذهبى فى هذا هو ما تقدم ذكره فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو أحسن الوجهين عندى وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكمالها بل يؤخذ جزء منها ويجعل أول الكلام أو آخرها هذا اذا لم يقصد به التضمين فأما اذا قصد التضمين فتؤخذ الآية بكمالها وتدرج درجا وهذا ينكره من لم يذق ما ذقته من طعم البلاغة ولا رأى ما رأيته (وأما المعيب عند قوم) فهو تضمين الاسناد وذلك يقع فى بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور على أن يكون الاول منهما مسندا الى الثانى فلا يقوم الاول بنفسه ولا يتم معناه الا بالثانى وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عندى غير معيب لانه ان كان سبب عيبه أن يعلق البيت الاول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيبا اذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنثور فى تعلق احداهما بالاخرى لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى فالفرق بينهما يقع فى الوزن لا غير والفقر المسجوعة التى يرتبط بعضها ببعض قد وردت فى القرآن الكريم فى مواضع منه فمن ذلك قوله عز وجل فى سورة الصافات فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون فهذه الفقر الثلاث الاخيرة مرتبط بعضها ببعض فلا تفهم كل واحدة منهن الا بالتى تليها وهذا كالابيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ولو كان عيبا لما ورد فى كتاب الله عز وجل وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة الصافات أيضا فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فالآيتان الاوليان لا تفهم احداهما الا بالاخرى وهكذا ورد قوله عز وجل فى سورة الشعراء أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فهذه ثلاث آيات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة ألا ترى أن الاولى والثانية فى معرض استفهام يفتقر الى جواب والجواب هو فى الثالثة ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم

والاوبة) وهى (المصايب والمصاوب) أجد بقلبى (لوطا وليطا) وهذه (نقاوة الشىء ونقايته) أى خياره فلان (أحول منك وأحيل) من الحيلة وهو (المتأوب والمتأيب) وهو (من صيابة قومه وصوابتهم) أى صميمهم و(داهية دهياء ودهواء) أرض (مسنوة ومسنية) وفلان (مرضو ومرضى) و(مجفو ومجفى) قال الشاعر

* ما أنا بالجافى ولا المجفى *

قالوا بناه على جفى وقال الآخر

* أنا الليث معديا عليه وعاديا *

بناه على عدى عليه اشتد (حمو الشمس وحميها) وهو (بلو سفر وبلى سفر) للذى قد بلاه السفر وهو (العبيثران والعبوثران) لضرب من النبت طيب الريح أبو زيد تثنية عرق النسا (نسيان ونسوان) وتثنية الرضا (رضوان ورضيان) والحمى (حموان وحميان) والرحا (رحوان ورحيان) ونقا الرمل (نقوان ونقيان) جمع صائم (صوم وصيم) ونائم (نوم ونيم) وخائف (خوف وخيف) قال الفراء من قاله بالواو فعلى أصله ومن قاله بالياء فعلى خائف ونائم بنوا جمعه على واحده وجمع ميثره (مياثر ومواثر) والميثاق (مواثق ومياثق) و(الاقاوم والاقايم) القوم وجمع حائر (حوران وحيران)

﴿ما يقال بالهمز والياء﴾

(يبرين وأبرين) الرمل (ويسروع وأسروع) دودة (اليرقان والارقان) يقال (زرع مأروق وميروق) رمح (يزنى وأزنى) منسوب الى ذى يزن (ورجل يلندد وألندد) الخصم (رجل يلمعى وألمعى) الذكى (أعصر ويعصر) و(الارندج واليرندج) الجلد الاسود (يلملم وألملم) ميقات أهل اليمن فى احرامهم (يلنجوج وألنجوج) العود الذى يتبخر به طيب (يناديد وأناديد) ومن

ومن البلوى التى ليس لها فى الناس كنه * أن من يعرف شيأ * يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الاول لم يقم بنفسه ولا تم معناه الا بالبيت الثانى وقد استعملته العرب كثيرا وورد فى شعر فحول شعرائهم فمن ذلك قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وكذلك ورد قول الفرزدق

وما أحد من الاقوام عدوا * عروق الاكرمين الى التراب
بمحتفظين ان فضلتمونا * عليهم فى القديم ولا غضاب

وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة

لعمرى لرهط المرء خير بقية * عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

﴿الضرب الثانى من التضمين﴾ وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر لغيره قصدا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاما وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جحظة

قم فاسقنيها يا غلام وغننى * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم

ألا ترى أنه لو لم يقل فى هذا البيت ذهب الذين يعاش فى أكنافهم لكان المعنى تاما لا يحتاج الى شئ آخر فان قوله قم فاسقنيها يا غلام وغننى فيه كفاية اذ لا حاجة له الى تعيين الغناء لان فى ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود وقد ورد هذا فى عدة مواضع من شعر أبى نواس فى الخمريات كقوله فى مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب

فقلت هل لك فى الصهباء تأخذها * من كف ذات حر فالعيش مقتبل
حبرية كشعاع الشمس صافية * تطير بالكأس من لألائها شعل
فقال هات وغنينا على طرب * ودع هريرة ان الركب مرتحل

وكذلك قوله أيضا

وظبى خلوب اللفظ حلو كلامه * مقبله سهل وجانبه وعر
نحلت له منها نحو لوجهه * وأمكن منه ما يحيط به الازر
فقمت اليه والكرى كحل عينه * فقبلته والصب ليس له صبر
الى أن تجلى نومه عن جفونه * وقال كسبت الذنب قلت لى العذر
فأعرض مزورا كأن بوجهه * تفقأ رمان وقد برد الصدر
فما زلت أرقيه وألثم خده * الى أن تغنى راضيا وبه سكر
ألا فاسلمى يا دارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقد استعمل هذا الضرب كثيرا الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله فمن ذلك قوله فى بعض خطبه وهو فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون فما لكم منه لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وكذلك قوله فى ذكر يوم القيامة وهو فيومئذ تغدو الخلائق على الله بهما فيحاسبهم على ما أحاط به علما وينفذ فى كل عامل بعمله حكما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ألا ترى الى براعة هذا التضمين الذى كأنه قد رصع فى هذا الموضع رصعا وعلى نحو من ذلك جاء قوله فى ذكر يوم القيامة وهو هناك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا وتكون الاعمال المشوبة بالنفاق سرابا يوم يقوم الروح

متفرقة بمعنى أبابيل (عظاءة وعظاية) و (عباية وعباءة) و (صلاءة وصلاية)

﴿ما يقال بالهمز وبالواو﴾ (وشاح واشاح) و (عاء واعاء) (أكاف ووكاف) (اسادة ووسادة) (وقاء واقاء)

﴿ما جاء فيه ثلاث لغات من بنات الثلاثة﴾

رأيته (قبلا وقبلا وقبلا) أى معاينة (خرص الرمح وخرصه وخرصه) (قطب الرحا وقطب وقطب) وهو (العمر والعمر والعمر) وكذلك (العصر والعصر والعصر) الدهر وهو (الولد والولد والولد) وهو (الرغم والرغم والرغم) وهو (المشط والمشط والمشط) و (سقط الرمل وسقط وسقط) أى منقطعه (وسقط المرأة والنار) فيه اللغات الثلاث (والفتك والفتك والفتك) أن يقتل الرجل مجاهرة (الددن والددا والدد) اللعب (صفوه معك وصفوه وصفاه) شربت (شربا وشربا وشربا) وهذا (فم وفم وفم) وكان الاصمعى يرويه

* اذ تقاص الشفتان عن وضح الفم *

وشنئته (شنئا وشنئا وشنئا) ورجل (قز وقز وقز) للمتقزز وهو (الزعم والزعم والزعم) وهو (الوجد والوجد والوجد) من المقدرة ورجل (ذو طب وطب وطب) أى حذق وهو (قلب النخلة وقلبها وقلبها) والصنم (نصب ونصب ونصب) مثل (العمر والعمر والعمر)

﴿فعلة بثلاث لغات﴾ كلمته (بحضرة فلان وحضرة وحضرة) قال الكسائى وكلهم يقولون (بحضرة فلان) واليمين (ألوة وألوة وألوة) و (رغوة اللبن ورغوة ورغوة) و (صفوة الشئ وصفوة وصفوة) فاذا نزعوا الهاء قالوا (صفو الشئ) ففتحوا لا غير قال الاصمعى (أخذت صفوة الشئ وصفوه) كما يقال للصدر (برك

والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ومما ينتظم بهذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو أسكتهم الله الذى أنطقهم وأبادهم الذى خلقهم وسيجددهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (ومن هذا الباب) قوله أيضا هنالك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وأمثال هذه التضمينات في خطبه كثيرة وهي من محاسن ما يجيء في هذا النوع ﴿النوع الثامن والعشرون في الارصاد﴾ وحقيقته أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له أى أعدها في نفسه فاذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي به في قافيته وذلك من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض وفي الافتخار بذلك يقول ابن نباتة السعدي

خذها اذا أنشدت في القوم من طرب * صدورها عرفت منها قوافيها
ينسى لها الراكب العجلان حاجته * ويصبح الحاسد الغضبان يطويها

فمن هذا الباب قول النابغة

فداء لامرئ سارت اليه * بعذرة ربها عمي وخالي
ولو كفى اليمين بغتك خوفا * لافردت اليمين عن الشمال

ألا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية في البيت الاول أن في البيت الثاني ذكر الشمال وكذلك جاء قول البحتري

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذى حللته بمحلل * وليس الذى حرمته بحرام

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول وصدر البيت الثاني أن عجزه هو ما قاله البحتري (وقد جاء الارصاد في الكلام المنثور كما جاء في الشعر) فمن ذلك قوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى لقضى بينهم فيما فيه عرف أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وعلى نحو منه جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا وقع السامع على قوله عز وجل وان أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت (ورأيت أبا هلال العسكري) قد سمى هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان وسيأتي ذكره بعد هذا النوع ان شاء الله تعالى ﴿واعلم﴾ أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كذلك بل هما نوع واحد فممن غلط في ذلك الغانمي فانه ذكر بابا من أبواب علم البيان وسماه التبليغ وقال هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى في الجودة كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وبركة) أوطأته (العشوة والعشوة والعشوة) وهي (الربوة والربوة والربوة) المكان المرتفع وهي (وجنة ووجنة ووجنة) و (جذوة من النار وجذوة وجذوة) و (جثوة وجثوة وجثوة) وهي (الغشوة والغشوة والغشوة) وفيه (غلظة وغلاظة وغلظة) والحرب (خدعة وخدعة) زاد يونس وخدعة

﴿فعال بثلاث لغات﴾ هو (الزجاج والزجاج والزجاج) وهو مقطوع (النخاع والنخاع والنخاع) وهو الابيض الذى في جوف الفقار (وقصاص الشعر وقصاص وقصاص) وهو (الوشاح والاشاح والوشاح) وفي طعامه (زوان وزؤان) مهموز (وزوان) وهو (جمام المكوك وجمام وجمام) صوان (وصوان وصيان) عن أبي زيد نحن منكم (براء وبراء وبراء)

﴿فعالة بثلاث لغات﴾ أتيته (ملاوة من الدهر وملاوة وملاوة) وهي (رغاوة اللبن ورغاية ورغاوة) و (الخلالة والخلالة والخلولة) مصدر خاللته (سقط على حلاوة القفا وحلاوة القفا وحلاوى القفا)

﴿ما جاء فيه ثلاث لغات من حروف مختلفة الابنية﴾

هو (برقع وبرقع وبرقع) الخوصة (الابلة والابلة والابلة) خاتم و (خيتام) وخاتام (سيما) مقصور و (سيماء) ممدود و (سيمياء) بزيادة الياء وهي لغة لثقيف بالمدعناق (تحلبة وتحلبة وتحلبة) للتي تحلب قبل أن تحمل عن أبي زيد

﴿ما جاء فيه أربع لغات من بنات الثلاثة﴾

(العفو والعفو والعفو والعفا) ولد الحمار وأنشد

وطعن كتشهاق العفا هم بالنهق * ويقال (عضد وعضد وعضد وعضد) و (عجز وعجز وعجز وعجز)

فانه أتى بالتشبيه تاماقبل القافيـة ثم لما جاء بها بلغ الامد الاقصى فى المبالغة ثم ان الغانمى ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال هو أن يأتى الشاعر بالبيت معلق القافية على آخر أجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الاحـذاق الشعراء وذلك أن الشاعر اذا كان بارعا جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لاعاريضه ووزنه فجعلها نعتا للمذكور كقول ذى الرمة

قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

هذا كلام الغانمى بعينه والبابان المذكوران سواء لافرق بينهما بحال والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيتـه وكذلك بيت ذى الرمة ألا ترى أن امرأ القيس لما قال * كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهى قوله لم تثقب وهكذا ذو الرمة فانه لما قال * قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء أتى بالتشبيه أيضا قبل أن يأتى بالقافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسـنة وهى قوله المسلسـل واعلم أن أباهلال العسكرى قد سمى هذين القسمين بعينهما الايغال وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبـل البلوغ الى مقطعه ثم يأتى بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر وأصل الايغال من أوغل فى الامر اذا أبعد الذهاب فيـه ثم مثـل أبو هلال ذلك بقول ذى الرمة قف العيس فى أطلال مية فاسأل البيت وهـذا أقرب أمرا من الغانمى لانه ذكره فى باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره فى باب آخر كما فعل الغانمى وليس الاخـذ على الغانمى فى ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشـة على أن ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحـد الابواب التى ذكرها داخلا فى الآخر فيذهب عليه ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح (وههنا ماهو أغرب من ذلك) وذلك أنه قد سلك قوم فى منثور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهى بنجوة عنه لانها فى واد وعلم البيان فى واد فمن ذلك الحريرى صاحب المقامات فانه ذكر تلك الرسالة التى هى كلمة معجمة وكلمة مهـملة والرسالة التى حرف من حروف ألفاظها معجم والآخر غـير معجم ونظم غيره شعرا آخر كل بيت منه أول للبيت الذى يليه وكل هذا وان تضمن مشقة من الصـناعة فانه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة لان الفصاحة هى ظهور الالفاظ مع حسنها على ما أشرت اليه فى مقـدمة كتابى هـذا وكذلك البلاغة فانها الانتهاء فى محاسـن الالفاظ والمعانى من قولنا بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصوغ بما أتى به الحريرى فى رسالته وأورده ذلك الشاعر فى شعره لا يتضمن فصاحـة ولا بلاغة وانما يأتى ومعانيه غثـة باردة وسبب ذلك أنها تستكره استكراها وتوضع فى غير مواضعها وكذلك ألفاظه فانها تجىء مكرهة أيضا غير ملائمة لاخواتها وعلم البيان انما هو الفصاحة والبلاغة فى الالفاظ والمعانى فاذا خرج عنه شىء من هذه الاوضاع المشار اليها لا يكون معـدودا منه ولا داخـلا فى بابه ولو كان ذلك مما يوصف بحسـن فى ألفاظه ومعانيـه لورد فى كتاب الله عز وجل الذى هو معـدن الفصاحة والبـلاغة أو ورد فى كلام العرب الفصحاء ولم نره فى شىء من أشعارهم ولا خطبهم ولقد رأيت رجلا أديبا من أهل المغرب وقد تغلغـل فى شىء عجيب وذلك أنه شجر شجرة ونظمها شعرا وكل بيت من ذلك الشـعر يقرأ على ضروب من الاساليب اتباعا لشعب تلك الشجرة وأغصانها فتارة تقرأ كذا وتارة تقرأ كذا وتارة يكون جزء منـه ههنا وتارة ههنا وتارة يقرأ مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان له معنى يفهـم الا أنه ضرب من الهـذيان والاولى به وبأمثاله أن يلحق بالشعبذة والمعالجـة والمصارعة

(وجوها) مثل أبوها و (جموها) مهموز و (جماها بلا همز)

﴿ماجاء فيه أربع لغات من حروف مختلفة الابنية﴾

(صداق المرأة وصداق وصدقه وصدقه) عنوان الكتاب (وعنوان وعنيان وعلوان) هو (العربان والعـربون والاربان والاربون) أغنيت عنك (مغنى فلان ومغناه ومغناته ومغناته) وكذلك أجزأت (مجزأ فـلان ومجزأته ومجزاه ومجـزأته) الموت و (الموتان والموتان والموات) هى (الاصبع والاصبع والاصبع والاصبع) قال الاصمعى الاضحية فيها أربع لغات (أضحية واضحيـة) وجمعها أضاحى (وضحيـة) وجمعها ضحايا (وأضحاة) وجمعها أضحى كما يقال أرطاة وأرطى قال وبه سمى يوم الاضحى وجاء فى الحديث ان على كل امرئ فى كل عام أضحاة وعتيرة فلان (نجىء العـين على فعيـل) و (نجوء العين) على فعول (ونجىء العين) على فعل و (نجؤ العين) على فعل اذا كان شـديد العـين يقال قد نجأته بعينى ورد وانجأة السائل بشىء سمعت (قرونه وقرينـه وقرونته وقرينته) أى تبعته نفسه

﴿ماجاء فيـه خمس لغـات من حروف مختلفة الابنية﴾

(الشمـال والشمأل والشامـل والشمل والشمل) أفرة الحر (وفره وأفرة وعفرة وعفرة) وهى شدة الحر ويقال فيـه طال (طولك وطيلك وطولك وطيلك وطوالك)

﴿ماجاء فيه ست لغات﴾

 (فسطاط وفسطاط وفستاط وفستاط وفساط وفساط) رغوة اللبن (ورغوة ورغوة ورغاوة ورغاوة ورغاية)

يقال (أرز وأرز وأرز) مثل كتب و (أرز) مثل كتب و (رز ورز) هو العبد (زغة وزغة وزلة وزلة وزغة)

لابدرجة الفصاحة والبلاغة (ورأيت أبا محمد) بن عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الابواب فى كتابه فقال ينبغى أن لا تستعمل فى الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم ولا الالفاظ التى تختص بها بعض المهن والعلوم لان الانسان اذا خاض فى علم وتكلم فى صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة ثم مثل ذلك بقول أبى تمام

مودّة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

وبقوله أيضا خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء

وهذا الذى أنكره ابن سنان هو عين المعروف فى هذه الصناعة

ان الذى تكرهون منه * هو الذى يشتهيه قلبى

وسأبين فساد ماذهب اليه فأقول أما قوله انه يجب على الانسان اذا خاض فى علم أو تكلم فى صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة فهذا مسلم اليه ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة لانها موضوعة على الخوض فى كل معنى وهذا لا ضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره فاذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور فى صوغ معنى من المعانى وأداه ذلك الى استعمال معنى فقهى أو نحوى أو حسابى أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحيد عنه لانه من مقتضيات ذلك المعنى الذى قصده ألا ترى الى قول أبى تمام فى الاعتذار فان يك جرم عن أو تك هفوة * على خطا منى فعذرى على عمد

فان هذا من أحسن ما يجىء فى باب الاعتذار عن الذنب وكان ينبغى له على ماذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظتا الخطا والعمد اللتان هما من أخص ألفاظ الفقهاء وكذلك قول أبى الطيب المتنبى

واقيت كل الفاضلين كأنما * ردّ الاله نفوسهم والاعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدّما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وهذا من المعانى البديعة وما كان ينبغى لابى الطيب أن يأتى فى مثل هذا الموضع بلفظة فذلك التى هى من ألفاظ الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذى لا يتم الا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب اليه وهذا محض الخطا وعين الغلط وأما ما أنكره على أبى تمام فى قوله مودّة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

فان هذا البيت ليس منكرا لما استعمل فيه من لفظتى الجوهر والعرض اللتين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين بل لانه فى نفسه ركيك لتضمنه لفظة الشبه فانها لفظة عامية ركيكة وهى التى أضعفت بالبيت بجملته ورب قليل أفسد كثيرا وأما لفظتا الجوهر والعرض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما وأما البيت الآخر وهو

خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء

فليس بمنكر وهل يشك فى أن التشبيه الذى تضمنه واقع فى موقعه ألا ترى أن الفعل ينقل الاسم من حال الى حال وكذلك يفعل الخمر بالعقول فى تنقل حالاتها فالذى أنكره ابن سنان من ذلك وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الاسلوب ما لا يدافع فى حسنه وهو قوله

عوامل رزق أعربت لغة الردى * بجسم له خفض ورأس له نصب

فانه لما حصل له المشابهة فى الاسمية بين عوامل الرماح والعوامل النحوية حسن موقع ماذكره من الخفض والنصب وعلى ماذكره ابن سنان فان ذلك غير جائز وهو من مستحسنات

﴿معانى أبنية الاسماء﴾

كل اسم على فعلان فمعناه الحركة والاضطراب نحو (ضربان) و (نزوان) و (غليان) و (جولان) و (طيران) و (لهبان النار) و (قفزان) و (نقزان) و (نغزان) و (خطران) و (لمعان) و (وهجان النار) و (دوران) و (طوفان) وأشباه ذلك كثيرة وقد شذ منه شئ قالوا (الميلان وموتان الارض) وليس هما من الحركة فى شئ وقال هذا البناء لا يجىء فعله يتعدى الفاعل الا أن يشذ شئ قالوا (شنئته شنآنا) قال وفعلان كثيرا ما يأتى فى الجوع والعطش وما قاربهما قالوا (ظمآن وعطشان) و (صديان) و (هيمان) بمعنى (عطشان) وقالوا (جوعان) و (غرثان) و (علهان) وهو الشديد الغرث والحرص على الطعام ورجل (شهوان) للطعام و (عيمان) الى اللبن وقالوا (قرم الى اللحم) فأخرجوه من هذه البنية وجعلوه بمنزلة الداء كما قالوا (دوو وجع) قال ومما قارب هذا المعنى فبنوه بناءه (لهفان) و (حران) و (ثكلان) و (غضبان) و (غيران) و (خزيان) قال ومما ضاده هذا المعنى فبنوه بناءه (شبعان) و (ريان) و (ملآن) و (سكران) قال سيبويه (وحيران) فى معنى سكران لان كليهما مرتج عليه قال وفعل يأتى فى الادواء وما قارب معناها يقال (وجع) و (دو) و (حبط) و (حبج) و (لو) و (وج) و (عمى قلبه) فهو (عم) جعل العمى فى القلب بمنزلة (الادواء) وكذلك (وجل) وأشباهه مما يكون من الذعر والخوف شبه به لانه داء أصاب قلبه نحو (فرق) و (وجل)

المعانى

المعانى هذا من أعجب الاشياء وعلى هذا الاسلوب يرد قول بعضهم

وفتى من مازن * ساد أهل البصره
أمه معرفة * وأبوه نكره

وهل يشك فى حسن هذا المعنى ولطافته وكذلك ورد من هذا النوع فى شعر بعض العراقيين يهجو طبيبا فقال

قال حمار الطبيب توما * لو أنصفونى لكنت أركب
لاننى جاهل بسيط * وراكبى جهله مركب

وهذا من المعنى الذى أغرب فى الملاحة وجمع بين خفة السخرية ووقار الفصاحة وقد تقدم القول فى صدر كتابى هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وكل صناعة ويخوض فى كل فن من الفنون لانه مكلف بأن يخوض فى كل معنى من المعانى فاضمم يدك على ماذكرته ونصصت عليه واترك ماسواه فليس القائل بعلمه واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على الوجه المرضى كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا كما جاء فى كلام أبى العلاء بن سليمان المعرى وهو قوله فى رسالة كتبها الى بعض اخوانه حرس الله سعادته ما أدغمت التاء فى الظاء وتلك سعادة بغير انتهاء وهذا من الغث البارد لكن قد جاء فى الشعر ماهو حسن فائق كقوله

فدونكم خفض الحياة فاننا * نصبنا المطايا فى الفلاة على القطع

والخفض والنصب من الاعراب النحوى والخفض رفاهة العيش والقطع من منصوبات النحو والقطع قطع الشئ يقال قطعته اذا بترته ﴿النوع التاسع والعشرون فى التوشيح﴾ وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح وكذلك يجرى الامر فى الفقرتين من الكلام المنثور فان كل فقرة منهما تصاغ من سجعتين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن فى شئ واستعماله فى الشعر أحسن منه فى الكلام المنثور فمن ذلك قول بعضهم

اسلم ودمت على الحوادث مارسا * ركنا ثبير أو هضاب حراء
ونل المراد ممكنا منه على * رغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا من الجيد الذى يأتى فى هذا النوع الا أن أثر التكلف عليه باد ظاهر واذا نظر الى هذين البيتين وجدا وهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر وذلك أن يقال

اسلم ودمت على الحوا * دث مارسا ركنا ثبير
ونل المراد ممكنا * منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريرى فى مقاماته نحو قوله

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتفع * منه صدى لجهامه الغرار

(واعلم) أن هذا النوع لا يستعمل الا متكلفا عند تعاطى التمكن من صناعة النظم وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة ألا ترى أنه لو نظم عليه قصيد من أوله الى آخره يتضمن غزلا ومديحا على ماجرت به عادة القصائد أليس أنه كان يجىء باردا غثا لا يسلم منه على محك النظر عشره والعشر كثير وما كان على هذه الصورة من الكلام فانما يستعمل أحيانا على الطبع لا على التكلف وهو وأمثاله لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم فى الثوب أو الشية فى الجلد ﴿النوع الثلاثون فى السرقات الشعرية﴾ وربما اعترض معترض فى هذا الموضع فقال

و(فزع) وقالوا (جرب) و(شعث) و(حمق وقعس) و(كدر) و(خشن) وقالوا (سهك) و(نتن) و(لكد) و(لكن) و(قنم) و(حسك) كل هذا الشئ يتغير من الوسخ ويسود جعلوه كالداء لانه عيب وشبيه بذلك ما تعقد ولم يسهل نحو (عسر) و(شكس) و(لقس) و(ضبس) و(لحز) و(نكد) و(لحج) لان هذه أشياء مكروهة فجعلت كالادواء وقد يدخل فعيل على فعل فى بعض هذا البناء قالوا (سقيم) و(مريض) و(حزين) ويدخل أفعل عليه قالوا (شعث وأشعث) و(جرب وأجرب) و(حمق وأحمق) و(قعس وأقعس) وجاءت أشياء مضادة لما ذكرنا فبنوها على فعل قالوا (أشر) و(بطر) و(فرح) و(بهج) و(جذل) و(سكر) وأدخل فعيل على فعل كما أدخل فى الباب الاول فقالوا (نشيط) وقد يأتى فعل أيضا فيما كان بمعناه الهيج قالوا (أرج) تحرك الريح وسطوعها ورجل (حمس) اذا هاج به الغضب و(قلق) و(نزق) لانه خفة وتحرك و(غلق) لانه طيش وخفة و(سلس) لانه ضد لعسر و(لج) فبنى بناءه ويقال فى هذا كله فعل يفعل

﴿والصفات بالالوان تأتى على أفعل﴾

نحو (أدم) و(أعيس) و(أصهب) و(أكهب) و(أقهب) و(أشهب) و(أصدأ) و(أسود) و(أحمر) و(أصفر) و(أخضر) و(أبقع) و(أبلق) هذا الاكثر وقد جاء منها شئ على غير ذلك قالوا (جون) و(ورد) و(خصيف) ﴿والافعال تأتى على فعل﴾ نحو (صهب) و(أدم) و(كهب) وعلى فعل نحو (صدئ) وعلى افعال نحو (احمارّ) و(اصفارّ) وافعلّ نحو (احمرّ) و(اصفرّ) و(اخضرّ) ﴿والصفات بالعيوب والادواء﴾ قد تأتى على أفعل نحو (أزرق)

قد تقدم نثر الشعر فى أول الكتاب وهو أخذ الناثر من الناظم ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم فلم يكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو أنعم هذا المعترض نظره لظهر له الفرق وعلم أن نثر الشعر لم يتعرض فيه الى وجوه المأخذ وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلا (واعلم) أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك فى أخذ المعانى اذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الاول لكن لا ينبغى لك أن تجهل فى سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا من يجهل فى ذلك فعثر وتعاطى فيه البديهة فعقر والاصل المعتمد عليه فى هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب وأظرف من عنقاء مغرب فى الاغراب وقد ذهب طائفة من العلماء الى أنه ليس لقائل أن يقول ان لاحد من المتأخرين معنى مبتدعا فان قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من المعانى الا وقد طرق مرارا وهذا القول وان دخل فى حيز الامكان الا أنه لا يلتفت اليه لان الشعر من الامور المتناقلة والذى نقلته الاخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الابيات فيما يعن لها من الحاجات ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرئ القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة زائدا فنافقصد القصائد وهو أول من قصد ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان فى ذلك كفاية وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ثم تتابع المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التى علقت على البيت وانفتح للشعراء هذا الباب فى التقصيد وكثرت المعانى المقولة بسببه ولم يزل الامر ينمى ويزيد ويرتقى بالمعانى الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية وما بعدها الى الدولة الحمدانية فعظم الشعر وكثرت أساليبه وتشعبت طرقه وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى وأبو الطيب المتنبى فاذا قيل ان المعانى المبتدعة سبق اليها ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته والصحيح أن باب الابتداع للمعانى مفتوح الى يوم القيامة ومن الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له الا أن من المعانى ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لاول قبل آخر لان الخواطر تأتى به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم فى الغزل

عفت الديار وما عفت * آثارهن من القلوب

وكقولهم ان الطيف يجود بما يبخل به صاحبه وان الواشى لو علم بزار الطيف لساءه وكقولهم فى المديح ان عطاءه كالبحر وكالسحاب وانه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد وانه يجود ابتداء من غير مسئلة وأشباه ذلك وكقولهم فى المراثى ان هذا الرزء أول حادث وانه استوى فيه الاباعد والاقارب وان الذاهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلة وان بعد هذا الذاهب لا يعد للمنية ذنب وأشباه ذلك وكذلك يجرى الامر فى غير ما أشرت اليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة وتستوى فى ايرادها ومثل ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الاول وانما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص كقول أبى تمام

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وكان لابتداعه سبب والحكاية فيه مشهورة وهى أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى مطلعها ما فى وقوفك ساعة من باس * انتهى الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

و(أجم)و(أعور)و(أشتر)و(أدر) و(أصلع)و(أقطع)و(أجذم)وهو المقطوع اليد و(أجبن)و(أشل)و(أثول) و(أهوج)و(أشيب)و(أشمط) و(أرسخ)و(أوقص)و(أميل) و(أصيد) وقد يبنون ضد هذا الاسم من هذه الاسماء على بنيته فيقولون (أسته) كما يقولون (أرسخ) ويقولون (أفرع) للوافى الشعر كما يقولون (أصلع) ويقولون (فرس أخزم) كما يقولون (أهضم) ويقولون (آذن) كما يقولون (أسك) ويقولون للغليظ الرقبة (أرقب) و(أغلب) كما قالوا (أوقص) وقالوا (أزب)و(أشعر) كما قالوا (أجرد)

﴿والافعال تأتى فى هذا الباب من العيوب على فعل﴾ نحو (عور) و(شتر) و(صلع) و(قطع) و(أدر) و(جبن) و(هوج) وشذ منه شئ فقالوا (مال) فى الاميل والقياس (ميل) وقالوا فى الاشيب (شاب) شبهوه (بشاخ) والقياس (شيب) مثل (صيد يصيد) و(شمط يشمط)

﴿وقالوا الادواء اذا كانت على فعال﴾ أتت بضم الفاء مثل (القلاب) و(الخمال) و(النحاز) و(الدكاع) و(السهام) و(السكات) و(الصفار) و(الصداع) و(النحاز) و(البوال) و(الدوار) و(الخمار) لانه داء و(العطاش) و(الهيام) يقال (عطش عطشا) واذا كان العطش يعتريه كثيرا قالوا به (عطاش) وتقول (قاء يقئ قيأ) فاذا كان القئ يعتريه كثيرا قالوا (به قياء) وتقول (قام يقوم قياما كثيرا) اذا أردت انه يختلف الى المتوضأ فان اردت اسم ما به قلت (به قوام) هذا كله وأشباهه بضم الفاء من فعال الا حرفا واحدا كان ابو عمرو الشيبانى يفتح اوله وتابعه على ذلك عمارة وهو (السواف) داء من ادواء الابل وكان الاصمعى يضم اوله ويلحقه بأمثاله من الادواء فقال

﴿وقد تأتى الادواء على غير فعال﴾ قالوا (الحبط) و(الغدة) و(الحبج)

فقال الحكيم الكندى وأى فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيهه اياه بعمرو وحاتم واياس وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه فمن أتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فانه يكون سارقا له وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى فى عضد الدولة وولديه

وأنت الشمس تبهر كل عين * فكيف وقد بدت معها اثنتان

فعاشا عيشة القمرين يحيى * بضوئهما ولا يتحاسدان

ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان

وكان ابنا عدو كاثراه * له ياءى حروف أنيسيان

وهذا معنى لأبى الطيب وهو الذى ابتدعه أى أن زيادة أولاد عدوك كزيادة التصغير فانها زيادة نقص وما ينبغى أن يقال ان ابن الرومى ابتدع هذا المعنى الذى هو

يشكى المحب ويلقى الدهر شاكيه * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

فان علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومى وليس كذلك ولكنه مأخوذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصى ويضرب ذلك لمن يبتدئ بالاذى ثم يشكو وانما ابن الرومى قد ابتدع معانى أخر غير ما ذكرته وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعانى المبتدعة بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره والذى عندى فى السرقات أنه متى أورد الآخر شيأ من ألفاظ الاول فى معنى من المعانى ولو لفظة واحدة فان ذلك من أدل الدليل على سرقته (واعلم) أن علماء البيان قد تكلموا فى السرقات الشعرية فأكثروا وكنت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة أقسام نسخا وسلخا ومسخا أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذى هو بعض الجسم المسلوخ وأما المسخ فهو احالة المعنى الى ما دونه مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة (وههنا قسمان آخران) أخللت بذكرهما فى الكتاب الذى ألفته فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه والآخر عكس المعنى الى ضده وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الاقسام يتنوع ويتفرع وتخرج به القسمة الى مسالك دقيقة وقد استأنفت ما فاتنى من ذلك فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة التى لا يحصرها عدد فمن رام الاخذ بنواصيها والاشتمال على قواصيها بأن يتصفح الاشعار تصفحا ويقتنع بتأملها ناظرا فانه لا يظفر منها الا بالحواشى والاطراف وكنت سافرت الى الشام فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط فى قصيدة له أولها * خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * ويزعمون أنه من المعانى الغريبة وهو

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا عليه أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبى الطيب المتنبى فى قوله

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لأغرته بفدائه

وقول أبى الطيب أدق معنى وان كان قول ابن الخياط أرق لفظا ثم انى وقفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبى وسافرت الى الديار المصرية فى سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يعجبون ببيت من الشعر يعزونه الى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزماننا هذا فى آخر الدولة العلوية بمصر وذلك البيت من جملة قصيدة له يمدح بها

﴿قالوا والاصوات كلها اذا كانت على فعال﴾ بضم الفاء نحو (الرغاء) و(الدعاء) و(البكاء) و(الحداء) و(الصراخ) و(النباح) و(الهتاف) قال و(الصياح) بضم أوله ويكسر وكذلك (النداء) بضم أوله ويكسر قال الفراء من كسرهما جعلهما مصدر الفاعلت الا الغناء فانه جاء مكسور الاول لا يضم (والغواث والغواث) من الاستغاثة بضم أوله ويفتح

﴿قال وأكثر الاصوات يأتى على فعيل﴾ نحو (الهدير) و(الهرير) و(النهيق) و(الشحيج) و(الصهيل) و(الصهيل) و(القليخ) و(النبيح) و(الضغيب)

﴿وقد أدخلوا فعالا على فعيل﴾ فى أكثر الاصوات فقالوا (النهاق والنهيق) و(الشحاج والشحيج) و(النباح والنبيح) و(الضغاب والضغيب) و(الصهال والصهيل)

﴿قال وفعال يأتى كثيرا فيما يرفض وينبذ﴾ نحو (رفات) و(حطام) و(جذاذ) و(فضاض) و(فتات) و(رذال) قال و(فعالة) تأتى كثيرا فى فضلة الشئ وفيما يسقط (فالنخالة) اسم ما وقع عن النخل و(النحاتة) اسم ما وقع عن النحت و(القوارة) اسم ما وقع عن التقوير و(قلامة الظفر) اسم ما وقع عن التقليم و(السحالة) اسم ما وقع عن السحل و(الخلالة) اسم ما وقع عن التخلل من الفم و(الكساحة) اسم ما نبذ عن الكسح وكذلك (القمامة) اسم ما وقع عن القم وهو الكسح و(الفضالة) اسم ما بقى بعد الاخذ و(النفاية) اسم ما بقى بعد الاختيار

﴿قال وبنوا النقاوة من الشئ﴾ (بنا النفاية) اذ كان ضده لانهم كثيرا ما يبنون الشئ على بنا ضده ﴿قال وفعالة تأتى كثيرا فى الصناعات والولايات﴾ (كالقصارة)

بعض خلفائها عند قدومه عليه من اليمن وهو

فهل درى البيت أنى بعد فرقته * ماسرت من حرم الا الى حرم

فقلت لهم هذا البيت ماخوذ من شعر أبى تمام فى قوله مادحا لبعض الخلفاء فى حجة حجها وذلك بيت من جملة أبيات حسنة

يامن رأى حرما يسرى الى حرم * طوبى لمستلم يأتى وملتزم

ثم قلت فى نفسى ياالله العجب ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست أشعارهم ولا هما ممن لم يعرف ولا اشتهر أمره بل هما كما يقال أشهر من الشمس والقمر وشعرهما دائر فى أيدى الناس بخلاف غيرهما فكيف خفى على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخياط وعمارة المأخوذان من شعرهما وعلمت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للاشعار والاقتناع بالنظر فى دواوينهما ولما نصبت نفسى للخوض فى علم البيان ورمت أن أكون معدودا من علمائه علمت أن هذه الدرجة لاتنال الا بنقل مافى الكتب الى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور

ليس بعلم ماحوى القمطر * ماالعلم الا ماحواه الصدر

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع فألفيته بحرا لايوقف على ساحله وكيف ينتهى الى احصاء قول لم تحص أسماء قائله فعند ذلك اقتصرت منه على ماتكثر فوائده وتتشعب مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم اذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل وقد اكتفيت فى هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد وأبى الطيب المتنبى وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء (أما أبو تمام) فانه رب معان وصيقل ألباب وأذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الاغراب الذى برز فيه على الاضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ولم أقل ما أقول فيه الا عن تنقيب وتنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت حذام فخذ منى فى ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذى علم عليم (وأما أبو عبادة البحترى) فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق فبينا يكون فى شظف نجد اذ تشبث بريف العراق وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى ولعمرى انه أنصف فى حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فان أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه الى الافهام وما أقول الا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ورقى فى ديباجة لفظه الى الدرجة العالية (وأما أبو الطيب المتنبى) فانه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه لكنه حظى فى شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع فى وصف مواقف القتال وأنا أقول قولا لست فيه متأثما ولا منه متلثما وذلك أنه اذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه فى ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه

و(النجارة) و(الخياطة) والوكالة و(الوصاية) و(الجراية) و(الخلافة) و(الامارة) و(النكابة) وهى (العرافة) و(السعاية) ولاية الصدقات و(الابالة) حسن القيام على الابل و(العرافة) و(السياسة)

﴿قال والصناعة انما هى بمنزلة الولاية للشئ والقيام به﴾ فلذلك جمع بينهما فى البنا

﴿قال وقد جاء فعال فى أشياء تقاربت معانيها فجىء بها على مثال واحد﴾ وهو (الفرار) و(الشراد) و(النفار) و(الشماس) و(الطماح) و(الضراح) مشبه بذلك و(الضرح) الرمح (ضرح) أى رمح لانه اذا ضرح باعدك و(الشباب) مشبه بالشماس و(الخراط) مشبه بالشراد و(العضاض) مشبه بالضراح وقالوا (الحران) فى الخيل و(الخلاء) فى النوق فجاؤا بهما على هذا المثال لانهما فرق وتباعد من شئ يهاب ولانهما فى العيوب بمنزلة ما تقدم

﴿قال وقد يأتى فعال فى الوسوم﴾ نحو (العلاط) و(الخباط) و(العراض) و(الجناب) و(الكشاح) وهذه أسماء آثار الوسوم والمصدر يأتى على فعل نحو خبطته (خبطا) وكشحته (كشحا)

﴿قال وقد يأتى فعال فى الهياج﴾ نحو (النزاع) لانه هيج فيذكر و(الهباب) و(الصراف) فى الشاء و(الكلاب)

﴿وقد تأتى فعال فى أشياء بلغت الغاية﴾ نحو (الصرام) و(الجزاز) و(الجداد) و(الحصاد) و(القطاع) و(القطاف) وقد جاءت هذه كلها على فعال بالفتح والمصدر يأتى على فعل

﴿قال والاسماء التى بنيت على فعيل﴾ تجىء وأضدادها على بناء واحد وما أقل ما يختلف قالوا (كثير) و(قليل) و(كبير)

ماأدى اليه عيانه ومع هذا فانى رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط فاما مفرط فى وصفه واما مفرط وهو وان انفرد بطريق صار أباعذره فان سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة

لاتطلبن كريما بعد رؤيته * ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا
ولاتبال بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التى ماضل صاحبها وماغوى وجدته أقساما خمسة خمس فى الغاية التى انفرد بها دون غيره وخمس من جيد الشعر الذى يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس دون ذلك وخمس فى الغاية المتقهقرة التى لايعبأ بها وعدمها خير من وجودها ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فانها هى التى ألبسته لباس الملام وجعلت عرضه شارة لسهام الاقوام ولسائل ههنا أن يسأل ويقول لم عدلت الى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم فأقول انى لم أعدل اليهم اتفاقا وانما عدلت اليهم نظرا واجتهادا وذلك أنى وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على نظرى فلم أجد أجمع من ديوان أبى تمام وأبى الطيب للمعانى الدقيقة ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الاغراض والمقاصد ولم أجد أحسن تهذيبا للالفاظ من أبى عبادة ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكا فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعانى والالفاظ ولما حفظتها ألغيت ماسواها مع مابقى على خاطرى من غيرها (وقد أوردت) فى هذا الموضع من السرقات الشعرية مالم يورده غيرى ونبهت على غوامض منها وكنت قدمت القول أنى قسمتها الى خمسة أقسام منها الثلاثة الاول وهى النسخ والسلخ والمسخ ومنها القسمان الآخران وها أنا أبين ماتنقسم اليه هذه الاقسام من تشعبها وتفريعها فأقول (أما النسخ) فانه لايكون الا فى اخذ المعنى واللفظ جميعا أو فى اخذ المعنى واكثر اللفظ لانه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فانه ضربان (الاول) يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتحمل

وكقول طرفة

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وقد اكثر الفرزدق وجرير من هذا فى شعرهما فمنه ما ورد فيه مورد امرئ القيس وطرفة فى تخالفهما فى لفظة واحدة كقول الفرزدق

اتعدل احسابا لئاما حماتها * بأحسابنا انى الى الله راجع

وكقول جرير

اتعدل احسابا كراما حماتها * باحسابكم انى الى الله راجع

(ومنه) ماتساويا فيه لفظا بلفظ كقول الفرزدق

وغر قد وسقت مشمرات * طوالع لاتطيق لها جوابا
بكل ثنية وبكل ثغر * غرائبهن تنتسب انتسابا
بلغن الشمس حين تكون شرقا * ومسقط رأسها من حيث غابا

وكذلك قال جرير من غير أن يزيد وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلى كان يتحدث اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل اليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى أتصارعنى فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا

و(صغير)و(ثقيل)و(خفيف)و(بطيء)و(سريع)و(شريف) و(وضيع)و(قوى)و(ضعيف)و(كريم) و(لئيم)و(عزيز)و(ذليل) و(غنى)و(فقير)و(سعيد)و(شقى) و(قبيح)و(مليح)و(وسيم)و(دميم) و(غوى)و(رشيد) و(قديم) و(حديث)و(طويل)و(قصير) و(سخى) و(شحيح) و(غليظ) و(دقيق) و(ثخين) و(رقيق) و(حليم) و(سفيه) و(دنىء) و(رفيع)و(بطين)و(خميص) وقالوا(جميل)و(سمج)و(سميج) وقالوا (عظيم) ولم يأت له ضد استغنوا بضد مثله عن ضده وهو (كبير) وضده (صغير) وقالوا (سمين) ولم يأت له ضد على بنائه فأما قولهم (هزيل) فانما هو فعيل بمعنى مفعول وقالوا(شديد) ولم يأت له ضد استغنى بضد مثله عن ضده مثل (قوى)و(ضعيف) وقد جاءت أشياء على غير هذا البناء قالوا (حسن) ولم يقولوا حسين كما قالوا (جميل) وقالوا (جرىء) و(شجيع) ولم يقولوا جبين من الجبان وقالوا(عظيم) ولم يقولوا (ضخيم) وقالوا(كميش) فاستغنوا بضد مثله عن ضده مثل (سريع) و (بطىء) وقالوا (لبيب) ولا ضد له استغنى بضد مثله عن ضده وهو (عاقل وجاهل) وقالوا(شحيح وضنين وبخيل) ولم يأت فى ضد ذلك (الاسخى) على هذا البناء قال وليس اسم من هذه الافعال التى لحقتها الزوائد يكون أبدا الا صفة الا ما كان من مفعل فانه جاء اسما فى (مخدع) ونحوه

﴿شواذ البناء﴾

قال سيبويه ليس فى الاسماء ولا فى الصفات فعل ولا تكون هذه البنية الا للفعل قال ابو محمد قال لى أبو حاتم السجستانى سمعت الاخفش يقول قد جاء على فعل حرف واحد وهو (الدئل) وقال هى دويبة

مقام العائذ بك والله ما أردت ما جرى فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني ولكن كأني بابن الاتان يعني جريرا وقد بلغه خبري فقال يهجوني

جلست الى ليلى لتحظى بقربها * فخانك دبر لا يزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه * كما شد جربان الدلاص قيون

قال فوالله ما مضى الأيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه ويقال ان الفرزدق وجريرا كانا ينطقان في بعض الاحوال عن ضمير واحد وهذا عندي مستبعد فان ظاهر الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه الا الله تعالى والا فاذا رأينا شاعرا متقدم الزمان قد قال قولا ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذه منه وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة فكيف تتفق الالسنة أيضا في صوغها الالفاظ (ومما كنت أستحسنه) من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها

* دع عنك لومي فان اللوم اغراء *

دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا

وهذا من عالي الشعر ثم وقفت في كتاب الاغاني لابي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد وهو

لهفي على فتية ذل الزمان لهم * فما أصابهم الا بما شاؤا

وما أعلم كيف هذا ﴿الضرب الثاني من النسخ﴾ وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء

أجاد طويس والسريجي بعده * وما قصبات السبق الا لمعبد

ثم قال أبو تمام

محاسن أصناف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

وهذه قصيدة أولها * غدت تستجير الدمع خوف نوى غد * فقال

وقائع أصل النصر فيها وفرعه * اذا عدد الاحسان أو لم يعدد
فمهما تكن من وقعة بعد لا تكن * سوى حسن مما فعلت مردد
محاسن أصناف المغنين جمة * البيت

﴿وأما السلخ﴾ فانه ينقسم الى اثني عشر ضربا وهذا تقسيم أوجبته القسمة واذا تأملته علمت انه لم يبق شيء خارج عنه (فالاول) أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياه وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة ولا يأتي الا قليلا فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة

لقد زادني حبا لنفسي أنني * بغيض الى كل امرئ غير طائل

أخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره الا أنه شبيه به فقال

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

والمعرفة بأن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى عسر غامض وهو غير متبين الا لمن أعرق في ممارسة الاشعار وغاص في استخراج المعاني وبيانه أن الاول يقول ان بغض الذي هو غير طائل اياي مما زاد نفسي حبا الي أي جملها في عيني وحسنها عندي كون الذي هو غير طائل مبغضي والمتنبي يقول ان ذم الناقص اياي شاهد بفضلي فذم الناقص اياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك الرجل وشهادة ذم الناقص اياه بفضله كتحسين بغض الذي هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكرته وأبين كقول أبي تمام

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة * رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

أخذ البحتري هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه

صفيرة تشبه ابن عرس قال وأنشدني الاخفش

جاؤا بجمع لو قيس معرسه * ما كان الا كمعرس الدئل

قال وبها سميت قبيلة أبي الاسود الدؤلي وهي من كنانة الا أنك اذا نسبت الى (الدئل) قلت (الدؤلي) ففتحت استثقالا لكسرتين بعد ضمة وياءي النسب وكذلك ينسب الى (ابل) فتقول (ابلي) ويستثقلون تتابع الكسرات وياءي النسب وقال سيبويه ليس في الكلام فعل الا حرفان في الاسماء (ابل) و(الحبر) وهو القلح في الاسنان وحرف في الصفة قالوا امرأة (بلز) وهي الضخمة وقد جاء حرف آخر وهو أطل وقال سيبويه ليس في الكلام فعل وصف الاحرف من المعتل يوصف به الجميع وذلك قولك قوم (عدى) وهو مما جاء على غير واحده وقال غيره وقد جاء مكان (سوى) و(زيم) وقال سيبويه لا نعلم في الكلام أفعلاء الا الاربعاء قال أبو محمد قال لي أبو حاتم قال أبو زيد وقد جاء (الارمداء) وهو الرماد العظيم وأنشد

لم يبق هذا الدهر من آيائه
غير أثافيه وارمدائه

جمع (آيا) على آياء وهو أفعال قال سيبويه وليس في الكلام يفعول فأما قولهم (يسروع) فانهم ضموا الياء لضمة الراء كما قالوا الاسود بن (يعفر) فضموا الياء لضمة الفاء ويقوي هذا أنه ليس في الكلام يفعل قال وليس في الكلام مفعل الا (منخر) فأما (منتن) و(مغيره) فانهما من أغار وأنتن ولكنهم كسروا كما قالوا أجوءك ولامك قال وليس في الكلام مفعل قال الكسائي قد جاء حرفان نادران لا يقاس عليهما وهو قول الشاعر

* ليوم روع أو فعال مكرم * وقال الآخر

بثين الزمي لا ان لا ان لزمته * على كثرة الواشين أي معون

شيحان

شيخان قد ثقل السلاح عليهما * وعداهما رأى السميع المبصر
ركبا القنا من بعد ما حملا القنا * فى عسكر متحامل فى عسكر

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الارض ثم سار فيها فرعته أى أهزلته فكأنها فعلت به مثل ما فعل بها والبحترى نقل هذا الى وصف الرجل بعلو السن والهرم فقال انه كان يحمل الرمح فى القتال ثم صار يركب عليه أى يتوكأ منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام

لا أظلم النأى قد كانت خلائقها * من قبل وشك النوى عندى نوى قذفا

أخذه البحترى فقال

أعاتك ما كان الشباب مقربى * اليك فالحى الشيب اذ هو مبعدى

وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكثر بيانا (الضرب الثانى من السلخ) أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتى الا قليلا فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

فعروة بن الورد جعل اجتهاده فى طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت فى الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهد فى لقاء العدو قائما مقام الانتصار وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وهذا الضرب فى سرقات المعانى من أشكلها وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا ولا يتفطن له ويستخرجه من الاشعار الا بعض الخواطر دون بعض وقد يجىء منه ما هو ظاهر لا يبلغ فى الدقة مبلغ هذه الابيات المشار اليها كقول ابن المقفع فى باب الرثاء من كتاب الحماسة

فقد جر نفعا فقدنا لك أننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

وهذا من البديع النادر وههنا ما هو أشد ظهورا من هذين البيتين فى هذا الضرب من السرقات الشعرية وذلك يأتى فى الالفاظ المترادفة التى يقوم بعضها مقام بعض وذلك لا اعتداد به لمكان وضوحه لكن قد يجىء منه ما هو صفة من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكون حسنا كقول جرير ولا يمنعك من أرب لحاهم * سواء ذو العمامة والخمار

أخذ أبو الطيب المتنبى هذا المعنى فقال

ومن فى كفه منهم قناة * كمن فى كفه منهم خضاب

(الضرب الثالث من السلخ) وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ وذلك من أقبح السرقات وأظهرها شناعة على السارق فمن ذلك قول البحترى فى غلام

فوق ضعف الصغير ان وكل الامـ * ـر اليه ودون كيد الكبار

سبقه أبو نواس فقال

لم يخف من كبر عما يراد به * من الامور ولا أزرى من الصغر

وكذلك قوله أيضا كل عيد له انقضاء وكفى * كل يوم من جوده فى عيد

أخذه من على بن جبلة

قال الفراء (مكرم) جمع مكرمة (ومعون) جمع معونة قال سيبويه وقد جاء (مفعول) وهو قليل غريب جعلوا الميم بمنزلة الهمزة فقالوا (مفعول) كما قالوا (افعول) وكما قالوا (مفعال) لما قالوا (افعال) و (مفعيل) لما قالوا افعيل قالوا (معلوق) للعلاق وزاد غيره (مغرود) لضرب من الكمأة (ومغفور) لواحد المغافير ويقال (مغثور) أيضا و (منخور) للمنخر قال شبه بفعلول وقال أيضا غيره وليس يأتى (مفعول) من ذوات الثلاثة وهى من بنات الواو بالتمام وانما يأتى بالنقص مثل (مقول) و (مخوف) الا حرفان قالوا مسك (مدووف) وثوب (مصوون) فأما ذوات الياء فتأتى بالنقص والتمام يقال بر (مكيل) و (مكيول) وثوب (مخيط) و (مخيوط) ورجل (معين) و (معيون) وقال سيبويه ولم يأت على (فعول) اسم ولا صفة قال غيره جاء (سبوح) و (قدوس) و (ذروح) لواحد الذراريح وحكى سيبويه (قدوس) و (سبوح) بالفتح وكان يقول فى واحد الذراريح (ذرحرح) قال سيبويه وليس فى الكلام (فعلول) بفتح الفاء وتسكين العين وانما يجئ على (فعلول) نحو (هذلول) و (زنبور) و (عصفور) وفى الصفة (حلكوك) أو على (فعلول) بفتح العين نحو (بلصوص) و (بعكوك) وقال غيره قد جاء (فعلول) فى حرف واحد نادر قالوا (بنى صعفوق) لخول باليمامة قال العجاج

* من آل صعفوق وأتباع أخر *

قال سيبويه ولم يأت (فعيل) فى الكلام الا قليلا قالوا (مريق) وكوكب (دريء) وأما الفراء فزعم أن الدرى منسوب الى الدر ولم يجعله على فعيل قال سيبويه لا نعلم (فعلالا)

للعيد يوم من الايام منتظر * والناس فى كل يوم منك فى عيد

وكذلك قوله جاد حتى أفنى السؤال فلما * بادمنا السؤال جاد ابتداء

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها

وقد افتضح البحترى فى هذه المآخذ غاية الافتضاح هذا على بسطة باعه فى الشعر وغناه عن مثلها وقد سلك هذه الطريق فحول الشعراء ولم يستنكفوا من سلوكها فمن فعل ذلك أبو تمام فانه قال قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

سبقه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال

واذا شئت أن ترى الموت فى صو * رة ليث فى لبدتى رئبال

فالقه غير أغلب الــــدتاه * أبيض صارم وأسمر عال

تلق ليثا قد قلصت شفتاه * فيرى ضاحكا لعبس الصيال

وكذلك قال أبو تمام فلم أمدحك تفخيما بشعرى * ولكنى مدحت بك المديحا

أخذه من حسان بن ثابت فى مدحه للنبى صلى الله عليه وسلم حيث قال

ما ان مدحت محمدا بمقالتى * لكن مدحت مقالتى بمحمد

ولا شك أن أبا بكر رضى الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضى الله عنه فقال له عمر استخلف غيرى فقال أبو بكر رضى الله عنه ما حبوناك بها وانما حبوناها بك وهكذا فعل ابن الرومى فيما جاء له قوله

جرحته العيون فاقتص منها * بجوى فى القلوب دامى الندوب

سبقه أبو تمام فقال ادميت باللحظات وجنته * فاقتص ناظـــره من القلب

وكذلك قول ابن الرومى

وكلت مجدك فى اقتضائك حاجتى * وكفى به متقاضيا ووكيلا

سبقه أبو تمام فقال واذا المجد كان عونى على المر * ء تقاضيته بترك التقاضى

وكذلك قال ابن الرومى ومالى عزاء عن شبابى علمته * سوى أننى من بعده لا أخلد

سبقه منصور النمرى فقال

قد كدت أقضى على فوت الشباب أسا * لولا تعزى ان العيش منقطع

وكذلك فعل أبو الطيب المتنبى فيما جاء منه قوله

فدى نفسه بضمان النضار * وأعطى صدور القنا الذابل

أخذه من قول الفرزدق كان الفداء له صدور رماحنا * والخيل اذ رهج الغبار مثار

وكذلك قوله أيضا أين ازمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام

أخذه من بشار حيث قال

كأن الناس حين تغيب عنهم * نبات الارض أخطأه القطار

وكذلك قوله فلا زالت ديارك مشرقات * ولا دانيت يا شمس الغروبا

لاصبح آمنا فيك الرزايا * كما أنا آمن فيك العيوبا

أخذه من ابن الرومى حيث قال

أسالم قد سلمت من العيوب * الا فاسلم كذاك من الخطوب

والذى عندى فى الضرب المشار اليه أنه لا بد من مخالفة المتأخر المتقدم اما بأن يأخذ المعنى فيزيده معنى آخر أو يوجز فى لفظه أو يكسوه عبارة أحسن من عبارته (ومن هذا الضرب)

في الكلام الا المضعف نحو (الجرجار) و(الدهداه) و(الصلصال) و(الحقحاق) وقال الفراء ليس في الكلام (فعلال) بفتح الفاء من غير ذوات التضعيف الا حرف واحد يقال ناقة بها (خزعال ظلع) فأما ذوات التضعيف (فالقلقال) و(الزلزال) وما أشبه ذلك وهو مفتوح اسم فاذا كسرته فهو مصدر وتقول (قلقلته قلقالا) و(زلزلته زلزالا) قال سيبويه و(فعلال) من غير المضاعف (جملاق) و(قنطار) و(شملال) والصفة (سرداح) و(هلباج) قال سيبويه وقد جاء (فعلاء) بفتح العين فى الاسماء دون الصفات قالوا (قرماء) و(جنفاء) وهما مكانان وأنشد

على قرماء عالية شواه
كأن بياض غرته خمار

وأنشد

رحلت اليك من جنفاء حتى
أنخت فناء بيتك بالمطالى

قال غير سيبويه وقد جاء (فعلاء) فى حرف واحد وهو صفة قالوا للأمة (ثأداء) بتسكين الهمزة و(ثأداء) بفتحها وأنشد للكميت

وما كنا بنى ثأداء حتى
شفينا بالاسنة كل وتر

ويروى قضينا قال سيبويه ولا يكون فى الكلام (فعلاء) الا وآخره علامة التأنيث نحو (نفساء) وناقة (عشراء) وهو يتنفس (الصعداء) و(الرحضاء) الحمى تأخذ بعرق و(القوباء) وقال غيره من قال (قوباء) ففتح الواو جعلها مؤنثة لا تنصرف فجمعها قوب ومن قال (قوباء) فسكن الواو فهى حينئذ مذكر ينصرف وقال أيضا وليس فى الكلام (فعلاء) مضمومة الفاء ساكنة العين ممدودة الا (قوباء) و(خششاء) وهو العظم الناتئ خلف الاذن وقال بعضهم الاصل (قوباء) و(خششاء) فسكنوا

ما

مايستعمل على وجه يزداد قبحه وتكثر البشاعة به وهو أن يأخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ومثاله فى ذلك كمن سرق جوهرة من طوق أو نطاق ثم صاغها فى مثل ماسرقها منه والاولى به ان كان نظم تلك الجوهرة فى عقد أو صاغها فى سوار أو خلخال ليكون أكتم لامرها وممن فعل ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبى حيث قال فى قصيدته التى أولها * غيرى باكثر هذا الناس ينخدع

لم يسلم الكر فى الاعقاب مهجته * ان كان أسلمها الاصحاب والشيع

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لابى تمام فى وزنها وقافيتها أولها

أى القلوب عليكم ليس ينصدع * وهذا المعنى الذى أورده أبو الطيب مأخوذ من بيت منها وهو

ماغاب عنكم من الاقدام أكرمه * فى الروع اذ غابت الانصار والشيع

وليس فى السرقات الشعرية أقبح من هذه السرقة فانه لم يكتف الشاعر فيها بأن يسرق المعنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقه (الضرب الرابع من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة فمن ذلك قول أبى نواس

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقال مسلم بن الوليد فى عكس ذلك

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا
والحب ليس بنافع أربابه * حتى يفصل فى النظام ويثقبا

ومن هذا الباب قول ابن جعفر

ولما بدا لى أنها لا تريدنى * وأن هواها ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن تهوى سواى لعلها * تذوق صبابات الهوى فترق لى

وقال غيره

ولقد سرنى صدودك عنى * فى طلابيك وامتناعك منى
حذرا أن أكون مفتاح غيرى * واذا ما خلوت كنت التمنى

أما ابن جعفر فانه تداب وألقى عن منكبه رداء الغيرة وأما الآخر فجاء بالضد من ذلك وتغالى به غاية الغلو وكذلك ورد قول أبى الشيص

أجد الملامة فى هواك لذيذة * شغفا بذكرك فليلمنى اللوم

أخذ أبو الطيب المتنبى هذا المعنى وعكسه فقال

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

وهذا من السرقات الخفية جدا ولأن يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة وقد توخيته فى شئ من شعرى فجاء حسنا فمن ذلك قولى

لولا الكرام وماسنوه من كرم * لم يدر قائل شعر كيف يمتدح

أخذته من قول أبى تمام

ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بناة العلى من أين تؤتى المكارم

(الضرب الخامس من السلخ) وهو أن يؤخذ بعض المعنى فمن ذلك قول أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته * ببذل وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وكل حرف جاء على (فعلاء) فهو ممدود الا أحرفا جاءت نادرة (وهى الاربى) وهى الداهية (وشعبى) وهو اسم موضع و(ادمى) أيضا اسم بلد قال سيبويه وليس فى الكلام (فعلى) والالف لغير التأنيث ولا نعلمه جاء (فعلى) والالف لغير التأنيث الا أنهم قالوا (بهماة) فالحقوا الهاء كما قالوا امرأة (سعلاة) ورجل (عزهاة) وقال عبد الله بن قتيبة قال لى أبو حاتم عن الاخفش أو غيره قال لا يكون (فعلى) صفة قال وأما قولهم قسمة (ضيزى) فانها فعلى بالضم فكسرت الضاد لمكان الياء

قال وليس فى الكلام (فعلى) الا بالالف واللام أو بالاضافة نحو (الصغرى) و(الكبرى) ولا تقل هذه امرأة (صغرى) كما لا تقول هذا رجل (أصغر) حتى تقول منك وتقول هذه (الصغرى) وهذا الاصغر قال سيبويه وغيره ليس فى الكلام من ذوات الاربعة (مفعل) بكسر العين وانما جاء بالفتح نحو (مرمى) و(مدعى) و(مغزى) قال الفراء قد جاء على ذلك حرفان نادران سمعتهما بالكسر وهما (مأقى العين) و(مأوى الابل) وسائر الكلام بالفتح قال الاصمعى ليس فى الكلام (فعلل) بكسر الفاء وفتح اللام الا حرفان (درهم) و(هجرع) وهو الطويل المفرط الطول قال سيبويه و(قلعم) وهو اسم و(هبلع) وهو صفة وأنشد غيره

* فشصا حافله جراف هبلع *

قال أبو عبيدة ولم يأت (مفعيل) فى غير التصغير الا فى حرفين (مسيطر) و(مبيطر) وزاد غيره (مهيمن) قال غير واحد قالوا لم يأت (فعلة) فى الواحد الا قليلا قالوا (التولة) لضرب من السحر وهذا (سبى طيبة) وتقول (اياك والطيرة) ومحمد صلى الله عليه وسلم (خيرة الله)

أخذه أبو تمام فقال تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا

مازلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت سؤالا يجتنى شرفا

فأمية بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين أحدهما أن عطاءك زين والآخر أن عطاء غيرك شين وأما أبو تمام فانه أتى بالمعنى الاول لا غير ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة

وآثل مالم يحوه متقدم * وان نال منه آخر فهو تابع

فقال أبو الطيب المتنبي

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا

فعلي بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد ممن تقدمه وان نال منه الآخر شيأ فانما هو مقتد به وتابع له وأما أبو الطيب المتنبي فانه لم يأت الا بالمعنى الواحد وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره غير أنه أبرزه في صورة حسنة ومن ذلك قول أبي تمام

كلف بربّ المجد يعلم أنه * لم يبتدأ عرف اذا لم يتمم

فقال البحتري ومثلك ان أبدى الفعال أعاده * وان صنع المعروف زاد وتمما

فأبو تمام قال ان الممدوح يرب صنيعه أي يستديمه ويعلم أنه اذا لم يستدمه فالابتداء والبحتري قال انه يستديم صنيعه لا غير وذلك بعض ما ذكره أبو تمام وكذلك قال البحتري

ادفع بامثال أبي غالب * عادية العدم أو استعفف

أخذه ممن تقدمه حيث قال انتجع الفضل أو تخلّ عن الدنـ * ـيا فهاتان غاية الهمم

فالبحتري أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومي

نزلتم على هام المعالي اذا ارتقى * اليها أناس غيركم بالسلالم

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

فوق السماء وفوق ما طلبوا * فاذا أرادوا غاية نزلوا

وهذا بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي لانه قال انكم نزلتم على هام المعالي وان غيركم يرقى اليها رقيا وأما المتنبي فانه قال انكم اذا أردتم غاية نزلتم وأما قوله فوق السماء فانه يغني عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي اذ المعالي فوق كل شئ لانها مختصة بالطو مطلقا (الضرب السادس من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر فما جاء منه قول الاخنس بن شهاب

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله

ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرّد السيف لم يهمم بتعريد

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره

غرائب آلاف اذا حان وردها * أخذن طريقا للقصائد معلما

أخذه أبو تمام فزاد عليه اذ قال في وصف قصيدة له وقرن ذلك بالممدوح

غرائب لاقت في فنائك أنسها * من المجد فهي الآن غير غرائب

وكذلك ورد قول ولد مسلمة بن عبد الملك

أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا

فان لم يكن غير احداهما * فسيرا الى الموت سيرا جميلا

أخذه أبو تمام فقال مثل الموت بين عينيه والذل * وكلا أراه خطبا عظيما

ثم صارت به الحمية قدما * فأمات العدا ومات كريما

فزاد

من خلقه وهو في الجمع كثير نحو (كوز وكوزة) و (عود وعودة) و (هر وهررة) قالوا جمع (هرة هرر) وجمع (هر هررة) وكذلك (عود وعودة) وناقة (عودة وعود) قال سيبويه و (أفعل) في الكلام قليل قالوا (أصبع) قال ولم يأت على (افعل) الا قليل في الاسماء قالوا (أبلم) و (أصبع) ولم يأت وصفا قال ولم يأت على (افعال) الاحرف واحد قالوا (اصحار) لضرب من الشجر قالوا (وافعلان) قليل في الكلام لا نعلمه جاء الا (اسحمان) وهو جبل و (امدان) و (اربيان) وفي الصفة (ليلة اضحيان) قال ولم يأت على (أفعلان) الا حرفان يوم (أرونان) وعجين (انبخان) قال ولم يأت (على أفعلاء) الاحرف واحد قالوا (الاربعاء) وهو اسم عمود من عمد الاخبية قال وكذلك (أفعلاء) لم يأت الا في الجمع نحو (أصدقاء) و (أنصباء) الاحرف واحد لا يعرف غيره وهو (يوم الاربعاء) قال ولم يأت على (أفعلى) الاحرف واحد قالوا هو يدعو (الاجفلى) ويقال أيضا (الجفلى) قال (وفاعال) قليل في الاسماء ولا نعلمه جاء صفة نحو (ساباط) و (خاتام) و (داناق) للخاتم والدانق قال ولم يأت على (فعاليل) الاحرف واحد قالوا ماء (سخاخين) قال ولم يأت على (افنعل) الا حرفان قالوا (الحبنج) و (النندد) من ألدّ قال ولم يأت على (فعيل) الاحرف واحد (عليب) اسم واد قال ولم يأت على (فعلان) الا قليل قالوا (السلطان) قال ولم يأت على (فعلان) الاحرف قال * ألا يا ديار الحي بالسبعان * قال ولم يأت على (فعلاء) الا قليل قالوا (السيراء) و (الخيلاء) قال و (فوعال) قليل قالوا (التوراب) التراب قال ولم يأت على (فعولاء) الاحرف قالوا (عشوراء) وهو اسم (وفعلن)

فزاد عليه بقوله * فأمات العدا ومات كريما * ويروى أنه نظر عبد الله بن على رضى الله عنه عند قتال المروانية الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يبلى فى القتال بلاء حسنا فناداه يافتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا أكنه فلست بدونه قال فلك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم تمثل بهذين البيتين المذكورين وكذلك ورد قول أبى تمام

يصد عن الدنيا اذا عن سودد * ولو برزت فى زى عذراء ناهد

أخذه من قول المعذل بن غيلان

ولست بنظار الى جانب العلا * اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

الا أنه زاده زيادة حسنة بقوله * ولو برزت فى زى عذراء ناهد * ومما يجرى هذا المجرى قول البحترى

خل عنا فانما أنت فينا * واو عمرو أو كالحديث المعاد

أخذه من قول أبى نواس

قل لمن يدعى سليما سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت ملصق مثل واو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

الا أن البحترى زاد على أبى نواس فى قوله أو كالحديث المعاد وهكذا ورد قول البحترى أيضا

وركبوا الفرات الى الفرات وأملوا * جذلان يبدع فى السماح ويغرب

أخذه من مسلم بن الوليد فى قوله

ركبت اليه البحر فى موخراته * فأوفت بنا من بعد بحر الى بحر

الا أن البحترى زاد عليه بقوله جذلان يبدع فى السماح ويغرب وكذلك ورد قول أبى نواس

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وهذا البيت قد لهج به الناس لهجا كثيرا ومنهم من ظنه مبتدعا لأبى نواس ويحكى عن أبى تمام أنه دخل على ابن أبى دواد فقال له أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال انما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا قال من أين هذه يا أبا تمام قال من قول الحاذق أبى نواس وأنشده البيت وهذه الحكاية عندى موضوعة لان أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى انه قال لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه أن هذا المعنى ليس لابى نواس وانما هو مأخوذ من قول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

الا أن أبا نواس زاده زيادة حسنة وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم وأبا نواس جعل العالم كله فى واحد وذلك أبلغ ومما ينتظم فى هذا السلك قول الفرزدق

علام تلفتين وأنت تحتى * وخير الناس كلهم أمامى
متى تأتى الرصافة تستريحى * من الانساع والدبر الدوامى

أخذه أبو نواس فصار أملك به وأحسن فيه غاية الاحسان فقال

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

فالفرزدق قال تستريحى من الانساع والدبر الدوامى وليست استراحتها نافعة من معاودة أتعابها مرة أخرى وأما أبو نواس فانه حرم ظهورهن على الرجال أى أنها تعفى من السفر اعفاء مستمرا ولا شك أن أبا نواس لم يتنبه لهذه الزيادة الا من فعل العرب فى السائبة والبحيرة وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبى

وملومة زرد ثوبها * ولكنه بالقنا مخمل

أخذه من أبى نواس فى قوله

امام خميس أرجوان كأنه * قميص محوك من قنا وجياد

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبى نواس بهذا المعنى وكذلك قال أبو الطيب المتنبى

فى الكلام قليل لانعلم جاء (الافرسن) و (جعش) و (تفعل) قليل قالوا (تبشر) وهو طائر وزاد غيره (تنوط) وهو طائر أيضا ويقال (تنوط) أيضا قال ولم يأت (فيعل) فى الكلام الا فى المعتل نحو (سيد) و (ميت) غير حرف واحد جاء نادرا قال رؤبة

ما بال عينى كالشعيـ
ـب المزادة العين

فجاء به على فيعل وهذا فى المعتل شاذ قال وكان بعض النحويين يزعم أن (سيدا) و (ميتا) وأشباههما فيعل غيرت حركته كما قالوا (بصرى) و (أموى) و (دهرى) فكذلك غيروا حركة فيعل وقال الفراء هو (فعيل) واحتج بأنه لا يعرف فى الكلام (فيعل) انما جاء (فيعل) مثل (صيرف) و (خيفق) و (ضيغم) وقال البصريون هو (فيعل) واحتجوا بأنه قد بنى المعتل بناء لا يكون للصحيح قالوا (قضاة) و (غداة) و (رماة) فجمعوه على (فعلة) ولا يجمعون غير المعتل على ذلك (فالمعتل) جنس على حياله و (السالم) جنس على حياله قالوا و (فعليل) قليل فى الكلام قالوا (غرنيق) لضرب من طير الماء قال وهو صفة

﴿شواذ التصريف﴾

قال الفراء وغيره العرب اذا ضمت حرفا الى حرف فربما أجروه على بنيته ولو أفرد لتركوه على جهته الاولى من ذلك قولهم (انى لآتيه بالعشايا) و (الغدايا) فجمعوا الغداة (غدايا) لما ضمت الى (العشايا) وأنشد

هتاك أخبية ولاج أبوبة
يخلط بالجد منه البر واللينا

فجمع الابواب (أبوبة) اذا كان متبعا الاخبية ولو أفرد لم يجز وقال آخر

ازمان عيناء سرور المسرور * عيناء حوراء من العين الحير

فقال (الحير) اذ كان بعد العين

وان جاد قبلك قوم مضوا * فانك في الكرم الاول

فأخذته أنا وزدت عليه فقلت

أنت في الجود أول وقضى الله بأن لا يرى لك الدهر ثان

وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره (الضرب السابع من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الاولى وهذا هو المحمود الذى يخرج به حسنه عن باب السرقة فمن ذلك قول أبي تمام

جذلان من ظفر حران ان رجعت * مخضوبة منكم وأظفاره بدم

أخذه البحترى فقال

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

ومن هذا الاسلوب قولهما أيضا فقال أبو تمام

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا

وقال البحترى قل الكرام فصار يكثر مدهم * ولقد يقل الشئ حتى يكثر

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس

يدل على ما في الضمير من الفتى * تقلب عينيه الى شخص من يهوى

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

ومما ينتظم في هذا السلك قول أبي الطيب المتنبي

اذا ما ازددت من بعد التناهى * فقد وقع انتقاصى في ازدياد

أخذه ابن نباتة السعدى فقال

اذا كان نقصان الفتى من تمامه * فكل صحيح في الانام عليل

وكذلك ورد قول أبي العلاء بن سليمان في مرثية

وما كلفة البدر المنير قديمة * ولكنها في وجهه أثر اللطم

أخذه الشاعر المعروف بالقيسرانى فقال

وأهوى التي أهوى لها البدر ساجدا * ألست ترى في وجهه أثر الترب

وكذلك قول ابن الرومي

اذا شنئت عين امرئ شيب نفسه * فعين سواه بالشناءة أجدر

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال

اذا كان شيبي بغيضا الى * فكيف يكون اليها حبيبا

ومما ينخرط في هذا السلك قول بعضهم

مخصرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها

أخذه أبو تمام فقال

كأن عليها كل عقد ملاحة * وحسنا وان أضحت وأمست بلا عقد

ثم أخذه البحترى فقال

اذا أطفأ الياقوت اشراق وجهها * فان عناء ما توخت عقودها

وأمثال هذا كثيرة وفيما أوردناه مقنع (الضرب الثامن من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول

وسعة

قال الفراء وأرى قولهم في الحديث (ارجعن مأزورات غير مأجورات) من هذا ولو أفردوا لقالوا (موزورات) وقالوا (أرض مسنية) من يسنوها المطر والقياس (مسنوة) وقال

* ما أنا بالجافى ولا المجفى *

قال الفراء بناه على جفى وقال الآخر

* أنا الليث معديا عليه وعاديا *

قالوا بناه على (عدى عليه) وقالوا (العلياء) والاصل (العلواء) لانه من الواو ألا ترى انك تقول (عشواء) و (قنواء) و (سفواء) فان كانت من الياء قلتها بالياء مثل (ظمياء) و (عمياء) ترد الى الواو ما كانت أصله والى الياء ما كانت أصله قال الخليل انما قالوا (علياء) لانه لا ذكر لها فأرادوا أن يفرقوا بين ماله ذكر وبين ما ليس له ذكر قال الفراء قد جاءت حروف على فعلاء لا ذكر لها بالواو وقالوا (اللأواء) و (الحلواء) ولكنهم بنوه على (عليت) وهما لغتان (علوت) و (عليت) والياء في (عليت) أصلها الواو وقلبت ياء لكسرة ما قبلها وقالوا (فلان مرضى المذهب) والاصل (مرضو) لانه من الرضوان فبنى على (رضيت) وقالوا في جمع أبيض (بيض) والقياس (بوض) مثل (حمر) و (سود) وقالوا في جمع قوس (قسى) والاصل (قووس) وقالوا في جمع حاجة (حوايج) على غير قياس و (أينق) والاصل (أنوق) وقالوا (مذروان) والاصل (مذريان) وهما فرعا كل شئ وانما بنى بالواو لانه بنى (مثنى) لم يأت له واحد فيثنى عليه وكذلك قولهم عقله (بثنايين) والاصل (بثناءين) كما تقول (كساءين) و (رداءين) وانما جاء بغير همز لانه بنى (مثنى) ولم يقولوا (ثناء) فيثنى عليه قال الفراء انما قالوا هو (أليط بقلبي منك) بالياء وأصله الواو ليفرقوا بينه وبين المعنى

وسعة باعه فى البلاغة فمن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أخذه سلم الخاسر وكان تلميذه فقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فبين البيتين لفظتان فى التأليف ومن هذا الاسلوب قول أبى تمام

برزت فى طلب المعالى واحدا * فيها تسير مغورا ومنجدا

عجب بأنك سالم فى وحشة * فى غاية مازلت فيها مفردا

أخذه ابن الرومى فقال

غربته الخلائق الزهر فى النا * س وما أوحشته بالتغريب

وكذلك ورد قول أبى نواس

وكلت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تأسو كل ماجرحا

أخذه ابن الرومى فقال

الدهر يفسد ما استطاع وأحمد * يتتبع الافساد بالاصلاح

وعلى هذا ورد قول ابن الرومى

كأنى أستدنى بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

أخذه بعض شعراء الشأم وهو ابن قسيم الحموى فقال

فهو كالسهم كلما زدته منـ * ـك دنوا بالنزع زادك بعدا

ولقيت جماعة من الادباء بالشأم ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذى ابتدع هذا المعنى وليس كذلك وانما هو لابن الرومى ومما يجرى هذا المجرى قول أبى العتاهية

وانى لمعذور على فرط حبها * لان لها وجها يدل على عذرى

أخذه أبو تمام فقال

له وجه اذا أبصر * ته ناجاك عن عذرى

فأوجز فى هذا المعنى غاية الايجاز ومما يجرى على هذا النهج قول أبى تمام

كانت مساءلة الركبان تخبرنى * عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت * أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

أخذه أبو الطيب المتنبى فأوجز حيث قال

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وكذلك قولهما فى موضع آخر فقال أبو تمام

كم صارما عضبا أناف على قفا * منهم لأعباء الوغى حمال

سبق المشيب اليه حتى ابتزه * وطن النهى من مفرق وقذال

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال

يسابق القتل فيهم كل حادثة * فما يصيبهم موت ولا هرم

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء

أمن خوف فقر تعجلته * وأخرت انفاق ما تجمع

فصرت الفقير وأنت الغنى * وما كنت تعدو الذى تصنع

أخذه أبو الطيب المتنبى فقال

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

الآخر قالوا ومثله قولهم (رجل نشيان الاخبار) وهو من (نشيت الخبر) وأصل الياء فى (نشيت) واو فقلبت ياء للكسرة فقالوا بالياء ليفرقوا بينه وبين (نشوان) من السكر وجمعوا العيد (أعيادا) وأصله الواو كراهية أن يوافق جمع العود قال وأهل الحجاز يقولون (القصوى) بالواو والقياس (القصيا) بالياء مثل (العليا) وهو من (علوت) و (الدنيا) من دنوت وهذا نادر خرج على الاصل وروى عنهم (خذ الحلوى وأعطه المرى) قال ومن البلاد (حزوى) بالياء ومن الشاذ قولهم (حل حبيته) و (حبيته) وأصلها بالواو وقد قالوا (حبوته) أيضا قال وانما غيروا واوها لان الفعل يأتى منها بالزيادة يقال (احتبيت) ولا يقال (حبوت) فلذلك غيرت كما قالوا (رجل غديان) بالياء قال الفراء وانما بنوا (العليا) و (الدنيا) بالياء واصلها الواو على ذكرها وكان الذكر من هذا النوع يكون للانثى والذكر يقال هو (أعلى منك) وهى (أعلى منك) فكان أعلى قد انتقلت واوه الى الياء لانه لو ثنى لقيل (الاعليان) وقال الفراء قولهم (أخوة) بالضم غلط أو خطأ وانما هو مثل (غلمة) و (جلة) و (غزلة) فضموا أوله تشبيها (بكسوة) و (رشوة) قال و (التبيان) جاء مكسور الاول وهو مصدر (بينت تبيينا) و (تبيانا) مثل (كررته تكريرا) و (تكرارا) ولا يكون (التفعال) الا اسما موضوعا مثل (التمثال) و (التقصار) و (التلقاء) وموضع يقال له (الترباع) وموضع يقال له (تبراك) قال وانما شبهوا (التبيان) بـ(العصيان) و (النسيان) وقال البصريون كل اسم جاء على (التفعال) فهو مفتوح التاء نحو (التهيام) و (التهذار) و (التلعاب) و (الترداد) و (التجوال) و (التسيار)

(الضرب التاسع من السلخ) وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما وهو من السرقات التى يسامح صاحبها فمن ذلك قول الاخطل

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

أخذه أبو تمام فقال أألوم من بخلت يداه واغتدى * للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

وهذا من العام الذى جعل خاصا ألا ترى أن الاول نهى عن الاتيان بما ينهى عنه مطلقا وجاء بالخلق منكرا لجعله شائعا فى بابه وأما أبو تمام فانه خصص ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق وأما جعل الخاص عاما فكقول أبى تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها * ولكن منعت الدر والضرع حافل

أخذه أبو الطيب المتنبى فجعله عاما اذ يقول

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق

(الضرب العاشر من السلخ) وهو زيادة البيان مع المساواة فى المعنى وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما جاء منه قول أبى تمام

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث * فللريث فى بعض المواطن أنفع

أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله

ومن الخير بطء سيبك عنى * أسرع السحب فى المسير الجهام

وهذا من المبتدع لا من المسروق وما أحسن ما أتى بهذا المعنى فى المثال المناسب له وكذلك قولهما فى موضع آخر فقال أبو تمام

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

أخذه أبو الطيب المتنبى فقال

وجاهل مده فى جهله ضحكى * حتى أتته يد فراسة وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم

ومما ينخرط فى هذا السلك قول أبى تمام

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال

أخذه أبو عبادة البحترى فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لاخلاق أصفار من المجد خيب
وحسن درارى الكواكب أن ترى * طوالع فى داج من الليل غيهب

فانه أتى بالمعنى مضروبا له هذا المثال الذى أوضحه وزاده حسنا (الضرب الحادى عشر من السلخ) وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ومثاله أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر فمما جاء من ذلك قول أبى تمام فى مرثية بولدين صغيرين

مجد تأوب طارقا حتى اذا * قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لأجل منها بالرياض ذوابلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أخرت حتى تكون شمائلا
ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للأمير وان لقيت موقرا * منه بريب الحادثات حلاحلا
ان ترز فى طرفى نهار واحد * رزأين هاجا لوعة وبلابلا

أملت خيرك هل تأتى مواعده
فاليوم قصر عن تلقائك الامل

قال وقولهم (بنى يبنى بنيانا) بالضم أصله الكسرة مثل (العصيان) و (الغشيان) وكذلك مصادر هذا الباب قال و (سمعت الطغيان) و (الطغيان) و (الغنيان) و (الغنيان) والكسر أحب اليه قال ومما بنى مفعوله على (فعل) ولم يأت على الاصل قول الشاعر

* مكتئب اللون مريح ممطور *

أراد (مروح) وقال الآخر

* وماء قدور فى القصاع مشيب *

يريد (مشوب) فبناه على شيب قالوا وأكثر ما يأتى على هذا المنقول عن الواو الى الياء قال وأنشد الكسائى فيما جاء بالواو

ويأوى الى زغب مساكين دونهم * فلا لا تخطاه الركاب مهوب

قال بناه على قول من قال (قد هوب الرجل) قال الفراء وقولهم (العصى) و (الحقى) بالياء لانهم يجمعون ما بين الثلاثة منه الى العشرة بالياء فيقال (ثلاث أدل) و (عشرة أحق) و (عشر أعص) فبنوا الكثير على ذلك قال وقولهم (الفتوة) بالواو وأصلها الياء وهى مصدر من مصادر الياء شاذ حمل على مصادر الواو وهو قولك (أب بين الابوة) و (أخ بين الاخوة) و (رخو بين الرخوة) فلما حملت الفتوة على مصادر الواو جعلت بالواو كما حملت (الشروى) وهو المثل على الواو اذا شبهت مصادر الواو مثل (دعوى) و (نجوى) قال ثم جمعوا (الفتى فتوا) على ذلك بالواو وكان القياس (فتى) ولم تجد ياء بعدها واو غير مهموزة فى الاسماء (الا فى يوم) قال ولا يقال (من يوم) فعلت ولا يفعل قال ومن الشاذ قولهم (للرجل حيوة)

فالثقل

فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا
لاغروان فننان من عيدانه * لقيا حماما للبرية آكلا
ان الاشاء اذا أصاب مشذب * منه اتمهل ذراوأث أسافلا
شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الا مواعظ قادها لك سمحة * اسجاح لبك سامعا أو قائلا
هل تكلف الايدى بهز مهند * الا اذا كان الحسام القاصلا

وقال أبو الطيب فى مرثية بطفل صغير

فان تك فى قبر فانك فى الحشا * وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر الفراسة والاصل
ألست من القوم الذى من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل
بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن فى أعطافه منطق الفصل
تسليهم علياؤهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
عزاؤك سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدائد للنصل
تخون المنايا عهده فى سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل
بنفسى وليد عاد من بعد حمله * الى بطن أم لا تطرق بالحمل
بداوله وعد السحابة بالروى * وصدتوفينا غلة البلد المحل
وقد مدت الخيل العتاق عيونها * الى وقت تبديل الركاب من النعل
وريع له جيش العدو وما مشى * وجاشت له الحرب الضروس وما تغلى

فتأمل أيها الناظم الى ما صنع هذان الشاعران فى هذا المقصد الواحد وكيف هام كل واحد منهما فى وادمنه مع اتفاقهما فى بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضول فأقول أما الذى اتفقا فيه فان أبا تمام قال

لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أخرت حتى تكون شمائلا

وأما أبو الطيب فانه قال

بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن فى أعطافه منطق الفصل

فأتى بالمعنى الذى أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية وهى المطابقة فى قوله صمت اللسان ومنطق الفصل وقال أبو تمام

نجمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا

وقال أبو الطيب بداوله وعد السحابة بالروى * وصدتوفينا غلة البلد المحل

فوافقه فى المعنى وزاد عليه بقوله * وصدتوفينا غلة البلد المحل * لانه بين قدر حاجتهم الى وجوده وانتفاعهم بحياته (وأما ما اختلفا فيه) فان أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضا وذلك أن معناه أمتن من معناه ومبناه أحكم من مبناه وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان وقدمه لا مع فضيلة القول وتقدمه وأبو تمام وان كان أشعر عندى من أبى الطيب فان أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى وأما الذى اختلفا فيه فان أبا الطيب قال

عزاؤك سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدائد للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من بيتى أبى تمام اللذين هما

ان ترزفى طرفى نهار واحد * رزأين هاجا لوعة وبلابلا

و (للقط ضيون) قال سيبويه قالوا (أرقت الماء) ثم أبدلوا من الهمزة هاء فقالوا (هرقت الماء) قال الفراء والهمزة تبدل منها الهاء فى أوّل الحرف كثيرا قالوا (هبرية) وأصلها (أبرية) وقالوا (هنرت) وأصله (أنرت) و (هرحت) وأصله (أرحت) قال سيبويه ثم لزمت الهاء فصارت كأنها من نفس الحرف ثم أدخلت الالف بعد على الهاء وترك الهاء عوضا من حذفهم العين لان أصله (أريقت) فقالوا (أهرقت) ونظيره (أسطعت) تسطع قال الفراء توهموا أن قولهم (أسطعت) أفعلت لانه بوزنه وقال الاحمر يقال (مششت الدابة) باظهار التضعيف ليس فى الكلام غيره وزاد غيره (لححت عينه) اذا التصقت و (ضبب البلد) اذا كثرت ضبابه و (الل السقاء) اذا تغيرت ريحه و (قطط شعره) و (صككت الدابة) من الصكك فى القوائم وقالوا (شجرة فنواء) أى كثيرة الافنان والقياس فنآء قال س ومما جاء على أصله * وصاليات ككما يؤثفين * وهو من أثفيت (وقول الآخر) كرات غلام فى كساء مؤرنب * قال الخليل كان الاصل فى مثل أخرج يخرج أن تثبت الهمزة فى يفعل وأخواتها فحذفت استثقالا وجاء هذان الحرفان على الاصل قال الفراء وانما قالوا (يهريق) ففتحوا الهاء لانها أبدلت من همزة لو كانت ظاهرة لكانت مفتوحة لانهم لو قالوا بالقياس فى يخرج لكان يؤخرج قال الفراء الميم تزاد فى أوّل الحرف وآخره ولا تزاد فى وسطه فاما ما زيدت فيه أولا فمفعل ونحوه وأما ما زيدت فيه آخرا (فقم) (واللهم) (وزرقم) (وستهم) (وابنم) قال سيبويه وكل ميم كانت فى أول حرف فهى مزيدة الا ميم معزى فانها من نفس الحرف لانك تقول معز ولو كانت زائدة لقلت عزى وصيم معد

فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا

فان قول أبي الطيب والشدائد للمنصل أكرم لفظا ومعنى من قول أبي تمام ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله أيضا

تخون المنايا عهده في سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما

لا غرو ان فننان من عيدانه * لقيا حماما للبرية آكلا

ان الاشاء اذا أصاب مشذب * منه اتمهل ذرا وأث أسافلا

وكذلك قال أبو الطيب

ألست من القوم الذى من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل

تسليهم علياؤهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما

شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا

الا مواعظ قادها لك سمحة * اسجاح لبك سامعا أو قائلا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتفقين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين واحتجوا على ذلك بأن قالوا المفاضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما في المعنى فان اعتبار التأليف في نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعاني المندرجة تحتها فاما لم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى حتى يعلم مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه واتساق ذلك اللفظ أو اضطرابه والا فكل كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل أحلى من الخل فانه ليس في الخل حلاوة حتى تقاس حلاوة العسل عليها وهذا القول فاسد فانه لو كان ما ذهب اليه هؤلاء من منع المفاضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديئه وحسنه وقبيحه وهذا محال وانما خفي عليهم ذلك لانهم لم ينظروا الى الاصل الذى تقع المفاضلة فيه سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ومن ههنا وقع لهم الغلط وسأبين ذلك فأقول من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا أن النظر انما هو في هذين الوصفين اللذين هما الاصل في المفاضلة بين الالفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما فمتى وجدا في أحد الكلامين دون الآخر أو كانا أخص به من الآخر حكم له بالفضل (وقرأت في كتاب الاغاني) لابي الفرج في تفضيل الشعر أشياء تتضمن خبطا كثيرا وهو مروى عن علماء العربية لكن عذرتهم في ذلك فان معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خلف معرفة النحو والاعراب (فمما وقفت عليه) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا وهذا تفضيل بالاعصار لا بالاشعار وفيه ما فيه ولو أن أبا عمرو عندي بالمكان العلي لبسطت لساني في هذا الموضع (وسئل جرير) عن نفسه وعن الفرزدق والاخطل فقال أما الفرزدق ففي يده نبعة من الشعر وهو قابض عليها وأما الاخطل فأشدنا اجتراء وأرمانا للقرائض وأما أنا فمدينة الشعر وهذا القول في التفضيل قول اقناعي لا يحصل منه على تحقيق لكنه أقرب حالا مما روى عن أبي عمرو بن العلاء (وسئل الاخطل) عن أشعر الناس فقال الذى اذا مدح رفع واذا هجا وضع فقيل فمن ذلك قال الاعشى قيل ثم من قال طرفة وهذا قول فيه بعض التحقيق اذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس لان

لانك تقول (تمعدد) و (تمفعل) قليل قالوا من مسكين (تمسكن) وهو من التمسكن (وتمدرع) وهو من المدرعة قالوا والميم في (المنجنيق) من نفس الحرف بمنزلة وهو عنتريس (ومنجنون) كذلك بمنزلة عرطليل وميم (مأجج) وميم (مهدد) من الحرف لانهما لو كانا زائدتين لادغمت كردومفر وانما هما بمنزلة الدالين في قردد قال سيبويه وكل همزة جاءت أولا فهي مزيدة في نحو أحمر وأفكل وأشباه ذلك الا أو لقا فان الهمزة من نفس الحرف ألا ترى انك تقول (ألق الرجل) قال وهو فوعل و (ارطى) لانك تقول (اديم مأروط) ولو كانت الهمزة زائدة لقلت (مرطى) قال و (امرواتمع) الهمزة من نفس الحرف لان افعل لا يكون وصفا وانما هو فعل (والق) من (التألق) كذلك هو مثل هج قال ومما همزوه وهو من نفس الحرف أول وأوائل استثقلوا ألفابين واوين قال الفراء ومما همزوه ولا حظ له في الهمز (غرقىء البيض) واصله من الغرق و (الشمأل) و (الشأمل) أصله من الشمال قال الفراء وقالوا (قمت قياما) و (صمت صياما) فقلبوا في المصدر الواو ياء وقالوا (قاومته قياما) و (حاورته حوارا) فلم يقلبوا في المصدر الواو ياء لان الواو صحت في فعل هذا المصدر الثاني فصحت فيه واعتلت في فعل المصدر الاول فاعتلت فيه قال الفراء في قول العرب (صار صيرورة) و (حاد حيدودة) و (سار سيرورة) وهو خاص لذوات الياء من بين الكلام الا في أربعة أحرف من ذوات الواو (هي كينونة) و (ديمومة) و (هيعوعة جبن) و (سيدودة) وانما جاءت بالياء وهي من الواو لانها جاءت على بناء لذوات الياء ليس للواو فيه حظ فقيلت بالياء كما قالوا (الشكاية) وهي من ذوات الواو لما جاءت على مصادر الياء

المعانى الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها (وسئل الشريف الرضى) عن أبى تمام وعن البحترى وعن أبى الطيب فقال أما أبو تمام فخطيب منبر وأما البحترى فواصف جؤذر وأما المتنبى فقاتل عسكر وهذا كلام حسن واقع فى موقعه فانه وصف كلا منهم بما فيه من غير تفصيل (ويروى عن بشار) أنه وصف نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له ولم ذاك فقال لانى نظمت اثنى عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد فيكون لى حينئذ اثناعشر ألف بيت وقد تاملت هذا القول فوجدته على بشار لا له لان باقلا الذى يضرب به المثل فى العى لو نظم قصيد الماخلا من بيت واحد جيد ومن الذى ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد لكن كان الاولى ببشار أن قال لى اثناعشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن الا وجيدها أكثر من رديثها وليس فى واحدة منهن ما يسقط فانه لو قال ذلك وكان محقا لاستحق التقدم على الشعراء ومع هذا فقد وصل الىّ ما فى أيدى الناس من شعره مقصدا ومقطعا فما وجدته بتلك الغاية التى ادعاها لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة الى رديثه وتندر له الابيات اليسيرة (وبلغنى) عن الاصمعى وأبى عبيد وغيرهما أنهم قالوا هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة وهم عندى معذورون لانهم ما وقفوا على معانى أبى تمام ولا على معانى أبى الطيب ولا وقفوا على ديباجة أبى عبادة البحترى وهذا الموضع لا يستفتى فيه علماء العربية وانما يستفتى فيه كاتب بليغ أو شاعر مفلق فان أهل كل علم أعلم به وكما لا يسأل الفقيه عن مسئلة حسابية فكذلك لا يسأل الحاسب عن مسئلة فقهية وكما لا يسأل أيضا النحوى عن مسئلة طبية فكذلك لا يسأل الطبيب عن مسئلة نحوية ولا يعلم كل علم الا صاحبه الذى قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب الى الناس قاطبة وما من أحد الا ويحب أن يتكلم فيه حتى انى رأيت أجلاف العامة ممن لم يخط بيده ورأيت أغتام الاجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة كلهم يخوض فى فن الكتابة والشعر ويأتون فيه بكل مضحكة وهم يظنون أنهم عالمون به ولا لوم عليهم فانه بلغنى عن ابن الاعرابى وكان من مشاهير العلماء أنه عرض عليه أرجوزة أبى تمام اللامية التى مطلعها * وعاذل عذلته فى عذله * وقيل له هذه لفلان من شعراء العرب فاستحسنها غاية الاستحسان وقال هذا هو الديباج الخسروانى ثم استكتبها فلما أنهاها قيل له هذه لابى تمام فقال من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة ثم ألقى الورقة من يده وقال يا غلام خرق خرق فاذا كان ابن الاعرابى مع علمه وفضله لا يدرى أى طرفيه أطول فى هذا الفن ولا يعلم أين يضع يده فيه ويبلغ به الجهل الى أن يقف مع التقليد الشنيع الذى هذا غايته فما الذى يقول غيره وما الذى يتكلم فيه سواه (والمذهب عندى فى تفضيل الشعراء) أن الفرزدق وجريرا والاخطل أشعر العرب أولا وآخرا ومن وقف على الاشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت اليه ولا ينبغى أن يوقف مع شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والاعشى فان كلا من أولئك أجاد فى معنى اختص به حتى قيل فى وصفهم امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا شرب وأما الفرزدق وجرير والاخطل فانهم أجادوا فى كل ما أتوا به من المعانى المختلفة وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبى فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء أما أبو تمام وأبو الطيب فربا المعانى وأما أبو عبادة فرب الالفاظ فى ديباجتها وسبكها (وبلغنى) أن أبا عبادة البحترى سأل ولده أبا الغوث عن الفرزدق وجرير أيهما أشعر فقال جرير أشعر قال وبم ذلك قال لان حوكه شبيه بحوكك قال ثكلتك أمك أوفى الحكم عصبية قال يا أبت فمن أشعر قال الفرزدق قال وبم ذاك قال

نحو (السعاية) و (الرماية) وقال البصريون (كينونة) واخواتها أريد بهن (فيعلوله) نخففن كما خفف الميت قال الفراء أريد بهن فيعلوله ففتحوا أولها كراهية ان تصير الياء واوا وأما فيعلولة فانها صورة لم تأت الا فى مقيم ولا صحيح ولو كانت للمعتل على مذهبهم لوجدتها تامة فى شعر أو سجع كما وجدت الميت والميت قال غير واحد كل افعل فالاسم منه مفعل بكسر العين نحو أقبل فهو مقبل (وأدبر فهو مدبر) وجاء حرف واحد نادر لا يعرف غيره قالوا (أسهب فى كلامه فهو مسهب) بفتح الهاء ولا يقال مسهب بكسر الهاء وجاء الاسم منه أيضا على فاعل فى حروف قالوا (أيفع الغلام فهو يافع) و (أورس الشجر فهو وارس) اذا أورق و (أبقل الموضع فهو باقل) ومما جاء الاسم منه على (فاعل) و (مفعل) أمحل البلد فهو ماحل و (ممحل) و (أعشب البلد فهو (عاشب) و (معشب) و (أغضى الليل) فهو (غاض) و (مغض) قال رؤبة * يخرجن من أجواف ليل غاض * أى (مغض) وأما قول العجاج * يكشف عن جماته دلو الدال * فان الدالى هو الجاذب للدلو ليخرجها يقال منه دلا يدلو و (المدلى) هو المستقى يقال أدلى دلوه اذا ألقاها فى الماء ليستقى ولو قال العجاج المدلى لكان أشبه بما أراد ولكنه أراد القافية وعلم ان الدالى والمدلى يجوز أن يوصف بهما المستقى بالدلو قال فأراد تكشف عن الماء دلو المستقى ويقال (أعقت الفرس) فهى عقوق ولا يقال معق و (انتجت) فهى نتوج ولا يقال (منتج) وأما قولهم (أحببته) فهو محبوب و (أجنه الله) فهو مجنون و (أحمه) فهو محموم و (أزكمه الله) فهو مزكوم و (مثله مكزوز) و (مقرور) فانه بنى على فعل لانهم يقولون فى جميع هذه

لان أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هى القين والزنا وضرب الرومى بالسيف والنفى من المسجد ولايهجو الفرزدق بسوى ذلك وأما الفرزدق فانه يهجو جريرا بأنحاء مختلفة ففى كل قصيد يرميه بسهام غير السهام التى يرميه بها فى القصيد الآخر وأنا أستكذب راوى هذه الحكاية ولا أصدقه فان البحترى عندى ألب من ذلك وهو عارف بأسرار الكلام خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديئه وكيف يدعى على جرير أنه لم يهج الفرزدق الا بتلك المعانى الاربعة التى ذكرها وهو القائل

لما وضعت على الفرزدق ميسمى * وعلى البعيث جدعت أنف الاخطل

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد (واقد تأملت كتاب النقائض) فوجدت جريرا رب تغزل ومديح وهجاء وافتخار وقد كسا كل معنى من هذه المعانى ألفاظا لائقة به ويكفيه من ذلك

قوله

وعاوعوى من غير شئ رميته * بقافية انفادها يقطر الدما
وانى لقوال لكل غريبة * ورود اذا السارى بليل ترغا
جروح بأفواه الرواة كأنها * شبا هندوانى اذا هز صمصما
غرائب آلاف اذا حان وردها * اخذن طريقا للقصائد معلما

ولو لم يكن لجرير سوى هذه الابيات لتقدم بها الشعراء وسأذكر من هجائه الفرزدق ماليس فيه شئ من تلك المعانى الاربعة التى أشار البحترى اليها فن ذلك قوله

وقد زعموا ان الفرزدق حية * وماقتل الحيات من أحد قبلى
ألم ترأنى لا أنبل رميتى * فن أرم لاتخطى مقاتله نبلى
رأيتك لاتحمى عقالا ولم ترد * قتالا فما لاقيت شرا من القتل

وقوله

أبلغ هديتى الفرزدق انها * عبء تزاد على حسير مثقل
انى انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يافرزدق من عل

وقوله

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * فابشر بطول سلامة يامربع
ورأيت نبلك يافرزدق قصرت * ورأيت قوسك ليس فيها منزع
ان الفرزدق قد تبين لؤمه * حيث التقت خششاوه والاخدع

وقوله

أحارث خذ من شئت منا ومنهم * ودعنا نقس مجدا تعد فضائله
لبست سلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وجلاجله
فلست بذى عز ولاذى أرومة * ومامعط من ضيم فانك قابله

وقوله

لايخفين عليك أن مجاشعا * لو ينفخون من الخؤورة طاروا
قد يؤسرون فلا يفك أسيرهم * ويقتلون فتسلم الآثار

وقوله

بنى مالك ان الفرزدق لم يزل * يلقى المخازى من لدن أن يفعا
مددت له الغايات حتى تركته * قعود القوافى ذا علوب موقعا

وقوله

ألا انما كان الفرزدق ثعلبا * ضغا وهى فى أشداق ليث ضبارم

وقوله

مهلا فرزدق ان قومك فيهم * خور القلوب وخفة الاحلام
الظاعنون على العمى بجميعهم * والنازلون بشر دار مقام

وقوله

اذا سفرت يوما نساء مجاشع * بدت سوأة مما تجن البراقع
مباشيم من عبء الهرير كأنما * تصوت فى أعفاجهن الضفادع
رأت ملا مثل الفرزدق قصرت * عن العلو لايأبى عن العلو بارع

فعل بغير ألف يقولون (حب) و (جن) و (أزكم) و (فر) و (كز) قال ولا يقال (قد حزنه) ولكن أحزنه ويقولون (يحزنه) فاذا قالوا افعله فكله بالالف ولا يقال مفعل فى شئ من هذه الا فى حرف واحد قال عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره
منى بمنزلة المحب المكرم

قال البصريون تقدير (انسان فعلان) زيدت الياء فى تصغيره كما زيدت فى تصغير ليلة فقالوا (لييلية) وفى تصغير رجل فقالوا (رويجل) وقال بعض البغداديين الاصل فيه (انسيان) على زنة افعلان فحذفت الياء استخفافا لكثرة مايجرى على ألسنتهم فاذا صغروه قالوا (أنيسيان) فردوا الياء لان التصغير ليس يكثر ككثرة الاسم مكبرا وقالوا فى الجمع (أناسى) وكذلك انسان العين وقالوا اناس فى الناس ولا يقال ذلك فى انسان العين وروى عن ابن عباس أنه قال انما سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى فهذا دليل على أنه انسيان فى الاصل قال الفراء التوراة (من ورى الزند كأنها الضياء) قالوا وآرى الدابة (فاعول) من التأرى وهو التحبس قالوا (ادحى النعامة افعول) من (دحا يدحو لانها تدحوه بصدرها وهو مثل أفحوص قال الفراء (ماء معين (مفعول) من العيون فنقص كما قيل (مخيط ومكيل) و (السرية فعلية) من السر وهو النكاح الا أنهم ضموا أولها كما يغيرون فى النسب (الاصمعى) قال وقولهم تسريت أصله (تسررت) من السر وهو النكاح قال الله جل ثناؤه ولكن لاتواعدوهن سرا أى نكاحا أبدل من الراء ياء كما قالوا (تظنيت) من الظن وأصلها تظننت وقالوا (لبى فلان) من التلبية وكان أصلها البيت لانهم من ألبيت بالمكان

تعدل أحسابا كراما حماتها * بأحسابكم انى الى الله راجع
اذا قيل أى الناس شر قبيلة * وأعظم عارا قيل تلك مجاشع

وقوله
علق الاخيطل فى حبالى بعدما * عثر الفرزدق لا لعا للعاثر
لقى الفرزدق مالقيت وقبله * طاح التعيس بغير عرض وافر
واذا رجوا أن ينقضوا الى مرة * مرست قواى عليهم ومرائرى

ولجرير مواضع كثيرة فى هجاء الفرزدق غير هذه ولولا خوف الاطالة لاستقصيتها جميعها ولو سلمت الى البحترى مازعم من أن جريرا ليس له فى هجاء الفرزدق الا تلك المعانى الاربعة لاعترضت عليه بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة وذلك أن الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ هو الذى اذا أخذ معنى واحدا تصرف فيه بوجوه التصرفات وأخرجه فى صروف الاساليب وكذلك فعل جرير فانه أبرز من هجاء الفرزدق بالقين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء فمن ذلك قوله

ألهى أباك عن المكارم والعلا * لىّ الكتائف وارتفاع المرجل

وقوله
وجد الكنيف ذخيرة فى قبره * والكلبتين جعن والمنشار
يبكى صداه اذا تصدع مرجل * أو أن تفلق برمة أعشار
قال الفرزدق رقعى أكيارنا * قالت وكيف ترقع الاكيار

وقوله
اذا آباؤنا وأبوك جدوا * بأن المفرقات من الغراب
فأورثك العلاة وأورثونى * رباط الخيل أفنية القباب
وسيف أبى الفرزدق فاعلموه * قدوم غير ثابتة النصاب

فانظر أيها الواقف على كتابى هذا الى هذه الاساليب التى تصرف فيها جرير وأدارها على هجاء الفرزدق بالقين فقال أولا ان أباه شغل عن المكارم بصناعة القيون ثم قال ثانيا انه يبكى عليه و يندبه بعد الموت المرجل والبرمة الاعشار التى يصلحها ثم قال ثالثا ان أباك أورثك آلة القيون وأورثنى أبى رباط الخيل وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الاساليب التى ذكرتها ولا حاجة الى التطويل بذلك ههنا وهذا القدر فيه كفاية وحيث انتهى بنا القول الى ههنا فلنرجع الى النوع الذى نحن بصدد ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فما جاء منه قول النابغة

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه * عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من العبارات فقال أبو نواس

تتمنى الطير غزوته * ثقة باللحم من جزره

وقال أبو مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وقال أبو تمام وقد ظللت أعناق أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

وقد ذكر فى هذا المعنى غير هؤلاء الا أنهم جاؤا بشئ واحد لا تفاضل بينهم فيه الا من جهة حسن السبك أو من جهة الايجاز فى اللفظ ولم أر أحدا أغرب فى هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده اليها الا مسلم بن الوليد فقال

أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفا فأنفسها اليك تطير
لو حاكمتك فطالبتك بدحلها * شهدت عليك ثعالب ونسور

اجابة بعد اجابة ونصبوه على جهة المصدر كما تقول حمدا لله وشكرا ومثله (حنانيك) وقال أبو عبيدة فى قول الشاعر

فقلت لها فيئى اليك فاننى
حرام وانى بعد ذاك لبيب

أراد ملب قال البصريون فى تقدير قضاة ورماة وأشباه ذلك من المعتل (فعلة) ولا يكون هذا فى جمع الصحيح وحكى الفراء عن بعض النحويين أنه قال تقديره (فعلة) مثل (كافر وكفرة وفاجر وفجرة) الا أنهم خصوا الياء والواو بضم أوله قال الفراء وليس ذلك كما قالوا الا نا وجدنا (سريا من قوم سراة) فلو كان كما قالوا لقيل سراة فتجنبوا الجمع على فعلة ولكنهم قالوا فى ذوات الياء والواو وهم يريدون مثال (صوم) و (قوم) فثقل عليهم أن يشددوا العين وبعدها ساكن كأنه ألف اعراب فخففوا الشديدة وهم يريدونها وزادوا فى آخره الهاء لتكون تكملة للحرف اذ نقص كما قالوا (أقمته اقامة) فاذا شددوا سقطت الهاء قال الله عز وجل (أو كانوا غزى) ولو قلت (الرعى) فى (الرعاة) والعفى فى العفاة لكنت مصيبا قال البصريون فى تقدير أشياء هى (فعلاء) نقلت همزتها الى أولها كما قالوا (عقاب بعنقاة) قال الفراء ولم أجد لهم فى ذلك مذهبا يشبه وجه العربية لانهم اكثروا على الشئ العلة فقدموا مالم يقدم ولم نسمعه وجموه وهو ذكر خفيف لم يأت الا فيما واحدته مثقلة مؤنثة مثل (القصبة) و (القصباء) و (الشجرة) و (الشجراء) و (الطرفة) و (الطرفاء) قال الفراء قال الكسائى وغيره من أصحابنا انما تركوا اجراؤها لانها اشبهت

فهذا من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى * وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فانه لما انتهى الامر اليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه الا أنه خرج فيها الى غير المقصد الذي قصدوه فأغرب وأبدع وحاز الاحسان بجملته وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره فمما جاء منه قوله

تفدى أتم الطير عمرا سلاحه * نسور الملا أحداثها والقشاعم

وما ضرها خلق بغير مخالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

وهذا معنى قد حوى طرفي الاغراب والاعجاب وقال في موضع آخر

وذي لجب لا ذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم

اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

وهذا من اعجاز أبي الطيب المشهور ولو لم يكن له من الاحسان في شعره الا هذه الابيات لاستحق بها فضيلة التقدم (ومما ينتظم بهذا النوع) ما تواردعليه أبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي في وصف الاسد وقصيدتاهما مشهورتان فأول احداهما * أجدك ما ينفك يسري لزينبا * وأول الاخرى * في الخد ان عزم الخليط رحيلا * أما البحتري فانه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة في أبياته الرائية التي أولها

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وهذه الابيات من النمط العالي الذي لم يأت أحد بمثلها وكل الشعراء لم تسم قرائحهم الى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ولولا خوف الاطالة لاوردتها بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين البحتري وأبي الطيب فيما أورداه من المعاني في هذا المقصد المشار اليه فمما جاء للبحتري من قصيدته

وما تنقم الحساد الا اصالة * لديك وعزما أريحيا مهذبا

وقد جربوا بالامس منك عزيمة * فضلت بها السيف الحسام المجربا

غداة لقيت الليث والليث مخدر * يحدد نابا للقاء ومخلبا

اذا شاء غادى عانة أو عدا على * عقائل سرب أو تقنص ربربا

شهدت لقد أنصفته حين تنبري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا

فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراكا اذا الهيابة النكس كذبا

هزبرا مشى يبغي هزبرا وأغلبا * من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

أذل بشغب ثم هالته صولة * رآك لها أمضى جنانا وأشغبا

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منكبا

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

ومما جاء لابي الطيب المتنبي في قصيدته

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا

وردا اذا ورد البحيرة شاربا * ورد الفرات زئيره والنيلا

متخضب بدم الفوارس لابس * في غيله من لبدتيه غيلا

ما قوبلت عيناه الا ظنتا * تحت الدجى نار الفريق حلولا

بفعلاء وكثرت في الكلام حتى جمعت (أشياوات) كما جمعوا (الفعلا) على (الفعلاوات) قال الفراء كان أصل شيء (شيئ) على مثال (شيع) ثم جمع على أفعلاء مثل (لين) و(ليناء) ثم تركوا من أشيا الهمزة من العين تخفف وترك الاجراء لانه أفعلاء

باب ما جمعه وواحده سواء

(الفلك) و(السفن) واحدها فلك قال الله جل ثناؤه في الفلك المشحون وقال في موضع آخر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم و(الطاغوت) واحد وجمع ومذكر ومؤنث قال الله جل ثناؤه أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقال والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها و(الزوج) يكون واحدا ويكون اثنين قال الله جل ثناؤه من كل زوجين اثنين وهو ههنا واحد ويقال للاثنين اذا كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى وكانا من جنس واحد هذا زوج هذا والمعنى أجمل من كل ذكر وأنثى اثنين (الكسائي) يقال غلام (يفعة) وغلمان (يفعة) الجميع مثل الواحد قال سيبويه يقال (جمل عبر أسفار) و(جمال عبر أسفار) و(درع دلاص) و(ادرع دلاص) وربما قيل (دلص) و(امرأة هجان) و(نسوة هجان) وربما قيل (هجاين) وقال س (الحلفاء) واحد وجمع وكذلك (الطرفاء) و(بهمى) واحدة وجميع و(شكاعى) واحدة وجميع وقال غيره (الطرفاء) جمع (طرفة) و(الحلفاء) جمع (حلفة) و(الشجراء) جمع (شجرة) و(القصباء) جمع (قصبة) قال الفراء مثل ذلك الا في الحلفاء فانه قال لم أسمع الواحدة منها (الا حلفاءة) وتصغر حليفية قال غيره يقال (بعير قرحان) اذا لم يصبه الجرب (وصبي قرحان) اذا لم يصبه الجدري الواحد والاثنان

في

في وحدة الرهبان الا أنه * لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ البرى مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكليلا
قصرت مخافته الخطا فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا
ألقى فريسته وزمجر دونها * وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه القربان في اقدامه * وتخالفا في بذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كليهما * متنا أزل وساعدا مفتولا
ما زال يجمع نفسه في زوره * حتى حسبت العرض منه الطولا
وكأنما غرته عين فادني * لا يبصر الخطب الجليل جليلا
أنف الكريم من الدنية تارك * في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف * من حتفه من خاف مما قيلا
خذلته قوته وقد كافحته * فاستنصر التسليم والتجديلا
سمع ابن عمته به وبحاله * فنجا يهرول أمس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره * وكقتله أن لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتنفيه العصبية أذكره وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عددا وأسد مقصدا ألا ترى أن البحتري قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشئ سوى ذلك وأما أبو الطيب فانه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا

ثم انه تفنن في ذكر الاسد فوصف صورته وهيئته ووصف أحواله في انفراده في جنسه وفي هيئة مشيه واختياله ووصف خلق بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسخاء ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحمية التي بعثت الاسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى واذا تأمل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر ما أشرت اليه والبحتري وان كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الغوص على المعاني ومما يدلك على ذلك أنه لم يعترض لما ذكره في أبياته الرائية لعلمه أن بشرا قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيأ يقوله فيها ولفطانة أبي الطيب لم يقع فيما وقع فيه البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الامر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما أورده مبرزا (واعلم) أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحتري والمتنبي ههنا على وصف الاسد وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك فان بعد المدى يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابح وخسر الخاسر فاذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر الى قصيدتيهما في مراثي النساء التي مفتتح أحدهما يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أكرم العرب وهي لأبي الطيب ومفتتح الاخرى

والمذكر والمؤنث فيه سواء وكذلك (شاة) شخص وهي التي ذهب لبنها و(رجل قرم) وأصله في الشاء وهو أردأ المال وشره (وعبد قن) الواحد والاثنان والجميع والمذكر والمؤنث في هذه الاحرف سواء الا أن جريرا قال

* أولاد قوم خلقوا أقنه *

فجمع قال والاسم اذا وصف بالمصدر كان واحده وجمعه سواء وكذلك مذكره ومؤنثه كان بمعنى المفعول أو بمعنى الفاعل يقال (ماء غور) ومياه (غور) أي غائر وانما هذا مصدر غار الماء غورا و(يوم غم) بمعنى غام و(أيام غم) و(رجل نوم) بمعنى نائم ورجل صوم أي صائم و(رجل فطر) أي مفطر و(رجل فرط) الى الماء و(قوم فرط) و(ماء كرع) للماء يكرع فيه و(لبن حلب) أي محلوب و(ماء صرى) و(مياه صرى) ويقال هو (رضى) و(رجل كرم) و(نساء كرم) و(رجل قز) و(رجال قز) و(ماء سكب) و(اذن حشر) انما هي حشرت فهي محشورة و(هذا الدرهم ضرب بلد كذا) أي مضروب و(هذا خلق الله) و(هؤلاء خلق الله) أي مخلوق والله كل هذه مصادر لا تجمع ولا تؤنث وتقول (هم قريب منك) وهو (قريب منك) و(هو أمم) و(هم أمم) و(هم قمن) و(هم قمن) و(هو حرى) و(هم حرى) فان أدخلت الياء قلت في قمن قمين فثنيت وجمعت وأنثت أبو عبيدة (فرس عياء) لا يحسن أن ينزو وفي الجمع كذلك (حصن عياء) و(رجل جنب) و(قوم جنب) قال الله جل ثناؤه وان كنتم جنبا فاطهروا و(رجل عدل ورجال عدل)

* باب ما جاء على بنية الجمع وهو وصف لواحد * قالوا (برمة أعشار) و(ثوب أسمال) و(أخلاق) و(نعل أسماط) اذا كانت غير مخصوفة و(سراويل أسماط)

غروب دمع من الاجفان ينهمل * وحرقة بغليل الحزن تشتعل

وهى للبحترى فان أبا الطيب انفرد بابتداع ما أتى به فى معانى قصيدته والبحترى أتى بما أكثره غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة أو رجل (ومن الواجب) أنه اذا سلك الناظم أو الناثر مسلكا فى غرض من الاغراض أن لا يخرج عنه كالذى سلكه هذان الرجلان فى الرثاء بامرأة فان من حذاقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل وهذا الموضع لم يأت فيه أحد بما يثبت على المحك الا أبو الطيب وحده وأما غيره من مفلقى الشعراء قديما وحديثا فانهم قصروا عنه وله فى هذا المعنى قصيدة أخرى مفتتحها

نعد المشرفية والعوالى * وتقتلنا المنون بلا قتال

وكفى بهما شاهدا على ما ذكرته من انفراده بالابداع فيما أتى به والفتيا عندى بينه وبين البحترى أن أبا الطيب أنفذ فى المضيق وأعرف باستخراج المعنى الدقيق وأما البحترى فانه أعرف بصوغ الالفاظ وحوك ديباجتها وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين فى اتفاقهما فى المعنى أبين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه لانه مع الاتفاق فى المعنى يتبين قولاهما ويظهران ظهورا يدرك ببديهة النظر ويتسارع اليه فهم من ليس بثاقب الفهم وأما اختلافهما فى المعنى فانه يحتاج فى الحكم بينهما فيه الى كلام طويل يعز فهمه ولا يتفطن له الا بعض الناس دون بعض بل لا يتفطن له الا الفذ الواحد من الناس ولى فى هذا مقالة مفردة ضمنتها الحكم بين المعنيين المختلفين وتكلمت عليه كلاما مطولا عريضا وأقمت الدليل على ما نصصت عليه وما منعنى من ايرادها فى كتابى هذا الا أنها سنحت لى بعد تصنيفه وشياعه فى أيدى الناس وتناقل النسخ به وعلى هذا الاسلوب توارد البحترى والشريف الرضى على ذكر الذئب فى قصيدة للبحترى دالية أولها * سلام عليكم لا وفاء ولا عهد * ومقطوعة للشريف الرضى أولها

وعارى الشوى والمنكبين من الطوى * أتيح له بالليل عارى الاشاجع

وقد أجاد البحترى فى وصف حاله مع الذئب والشريف أجاد فى وصف الذئب نفسه (وأما المسخ) فهو قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة والقسمة تقتضى أن يقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة فالاول كقول أبى تمام

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل * ولكن يرى أن العيوب مقاتل

وقول أبى الطيب المتنبى

يرى أن ما ما بان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب

فهو وان لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ومثاله فى ذلك كمن أودع الوشى شملا وأعطى الورد جعلا وهذا من أرذل السرقات وعلى نحو منه جاء قول عبد السلام بن رغبان

نحن نعزيك ومنك الهدى * مستخرج والصبر مستقبل
نقول بالعقل وأنت الذى * نأوى اليه وبه نعقل
اذا عفا عنك وأودى بنا الدهر فذاك المحسن المجمل

أخذه أبو الطيب فقلب أعلاه أسفله فقال

ان يكن صبر ذى الرزية فضلا * تكن الافضل الاعز الاجلا
أنت يا فوق أن تعزى عن الاحباب * فوق الذى يعزيك عقلا
وبألفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذى له قلت قبلا

والبيت الاخير من هذه الابيات هو الآخر قدرا وهو المخصوص بالمسخ وأما قلب الصورة

القبيحة

ما كان من النعوت على (فعلان) فالانثى (فعلى) هذا هو الاكثر نحو (غضبان) و(غضبى) و(سكران) و(سكرى) وبعضهم يقول (سكرانة) و(غضبانة) وقالوا (رجل سفيان) للطويل المشقوق و(امرأة سفيانة) و(رجل موتان الفؤاد) و(امرأة موتانة) ولم يقولوا فى هذين فعلى

﴿وما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء﴾

نحو (خمصان) و(خمصانة) و(عريان) و(عريانة) و(أفعل) مؤنثه (فعلاء) نحو (أحمر) و(حمراء) و(أعشى) و(عشواء) وربما قالوا فى المذكر أفعل ولم يقولوا فى المؤنث فعلاء قالوا للفرس الخفيف الناصية (أسفى) ولم يقولوا للانثى (سفواء) وقالوا للبغلة (سفواء) ولم يقولوا للبغل أسفى وربما قالوا فى المؤنث (فعلاء) ولم يقولوا فى المذكر (أفعل) قالوا (ناقة قصواء) وهى المقطوعة طرف الاذن أو المشقوقة الاذن ولم يقولوا فى البعير (أقصى) انما هو (مقصى) و(مقصى) و(مقصو) وقالوا (ناقة روعاء) اذا كانت نشيطة ولا يقال للجمل (أروع) و(ناقة قرواء) طويلة الظهر ولم يقولوا للجمل (أقرى) وقد حكى ابن الاعرابى أقرى وقال العجاج وذكر ريحا (حدواء) جاءت من جبال الطور جعلها حدواء لانها تحدو السحاب أى تسوقه ولم يقولوا فى المذكر أحدى وقال امرؤ القيس

* ديمة هطلاء فيها وطف *

ولم يقولوا فى المذكر (أهطل) انما يقال هطل وقد يوصف المؤنث بما لا يوصف به المذكر ألا تراهم قالوا (ناقة اجد) ولم يقولوا (بعير اجد) وعلامات التأنيث تكون آخرا بعد كمال

القبيحة الى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتهذيبا فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبى لو كان ما تعطيهم من قبل أن * تعطيهم لم يعرفوا التأميلا

وقول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

وعلى هذا النحو ورد قول أبى نواس فى أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان فقال من جملتها

جن على جن وان كانوا بشر * كأنما خيطوا عليها بالابر

ثم جاء المتنبى فقال فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

وبين القولين كما بين السماء والارض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضا فان بقدر ما فى قول أبى نواس من النزول والضعف فكذلك فى قول أبى الطيب من العلو والقوة وربما ظن بعض الجهال أن قول الشماخ

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

وقول أبى نواس واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

من هذا القبيل الذى هو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة وليس كذلك فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى عبارتين احداهما قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبح انما يرجع الى التعبير لا الى المعنى نفسه وقول أبى نواس هو عكس قول الشماخ وقد تقدم مثل ذلك فيما مضى من ضروب السرقات ألا ترى الى قول أبى الطيب المتنبى وقول الشريف الرضى فقال أبو الطيب

انى على شغفى بما فى خمرها * لاعف عما فى سراويلاتها

وقول الشريف الرضى

أحن الى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما فى ضمان المآزر

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة فى الحسن والقبح وهذه السرقات وهى ستة عشر نوعا لا يكاد يخرج عنها شئ واذا أنصف الناظر فى الذى أتيت به ههنا علم انى قد ذكرت ما لم يذكره غيرى وأنا أسأل الله التوفيق لان أكون لفضله شكورا وأن لا أكون مختالا فخورا (واذ افرغت من تصنيف هذا الكتاب) وحررت القول فى تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما فينبغى أن أختمه بذكر فضليهما فأقول ﴿اعلم﴾ أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة ولولا ذلك لما افتخر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة مواقف فقال تارة أنا أفصح من نطق بالضاد وقال تارة أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث فى قومه وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر وأوتيت جوامع الكلم وما سمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر بشئ من العلوم سوى علم الفصاحة والبلاغة فلم يقل انه أفقه الناس ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب ولا بغير ذلك كما قال أنا أفصح من نطق بالضاد وأيضا فلو لم تكن هذه الفضيلة من أعلى الفضائل درجة لما اتصل الاعجاز بها دون غيرها فان كتاب الله تعالى نزل عليها ولم ينزل بعجز من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل الطب ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهذه المكانة صارت فى الدرجة العالية والمنثور منها أشرف من المنظوم لاسباب من جملتها أن الاعجاز لم يتصل بالمنظوم وانما اتصل بالمنثور الآخر أن أسباب النظم أكثر ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين من الكتاب بل لا نسبة

الاسم الا (كلتا) فان التاء وهى علامة التأنيث جعلت قبل آخر الحرف وقالوا (بهماة) فأدخلوا الهاء التى هى علامة التأنيث على ألف فعلى وهى علم التأنيث وفعلى لا تكون الا للمؤنث

﴿أبنية المصادر﴾

(فعل يفعل) المصدر من هذا (فعل) نحو (ضرب ضربا) و (حطم حطما) ويجئ على فعل قالوا (حرمه يحرمه حرما) و (سرقه سرقا) ويجئ على فعال نحو (نكح نكاحا) و (سبق سباقا) ويجئ على فعلان نحو و (جد يجد وجدانا) و (حرم يحرم حرمانا) و (أتاه اتيانا) ويجئ على فعالة نحو (حماه حماية) و (نكاه ينكيه نكاية) ويجئ على فعلة نحو (حمية حمية) وعلى فعلة وفعل نحو (غلبه يغلبه غلبة وغلبا و سرقه سرقا) وعلى فعلان نحو (لواه ليانا) وعلى فعلان نحو (عسل يعسل عسلانا) و (مال يميل ميلانا) وعلى فعول نحو و (ثب وثوبا) وعلى فعيل نحو (صهل صهيلا) و (وجب قلبه وجيبا) ويجئ على فعال قالوا (قضى قضاء) و (مضى مضاء) و (غنى غناء) ويجئ فى المعتل على فعل قالوا (هداه يهديه هدى) و (سرى يسرى سرى) وليس يجئ مصدر على فعل الا فى المعتل وقالوا (التقى) أيضا

(فعل يفعل) يجئ المصدر من هذا على فعول نحو (سكت سكوتا) و (خرج خروجا) وعلى فعل نحو (قتله قتلا) و (دقه دقا) وعلى فعل نحو (حلب حلبا) و (طرد يطرد طردا) و (سلبه سلبا) و (حزنه حزنا) و (طلبه طلبا) و (جلب جلبا) وهو قليل وعلى فعل (خنقه خنقا) وعلى فعل نحو (ذكر ذكرا) و (قال يقول قيلا) وعلى فعل نحو (شكر شكرا) و (كفر كفرا) وعلى فعلان نحو (شكر شكرانا) و (كفر كفرانا)

لهؤلاء الى هؤلاء ولوشئت أن تحصى أرباب الكتابة من أول الدولة الاسلامية الى الآن لما وجدت منهم من يستحق اسم الكاتب عشرة واذا أحصيت الشعراء فى تلك المدة وجدتهم عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم فى العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر مفلق وهذا لانجده فى الكتاب بل ربما ندر الفرد الواحد فى الزمن الطويل وليس ذلك الالوعورة المسلك من النثر وبعد مناله والكاتب هو أحد دعامتى الدولة فان كل دولة لاتقوم الا على دعامتين من السيف والقلم وربما لايفتقر الملك فى ملكه الى السيف الامرة أو مرتين وأما القلم فانه يفتقر اليه على الايام وكثيرا مايستغنى به عن السيف واذا سئل عن الملوك الذين غبرت أيامهم لايوجد منهم من حسن اسمه من بعده الامن حظى بكاتب خطب عنه ونخم أمر دولته وجعل ذكرها خالدا يتناقله الناس رغبة فى فصل خطابه واستحسانا لبداعة كلامه فيكون خلوذكرها فى خفارة مادونه قلمه ورقته أساطيره وليس الكاتب بكاتب حتى يضطر عدو الدولة أن يروى أخبار مناقبها فى حفله ويصبح ولسانه حامد لمساعيها وبقلبه مابه من غله ولقد أحسن أبو تمام فى هذا المعنى حيث قال

سأجهد حتى أبلغ الشعر شأوه * وان كان طوعا لى ولست بجاهد

فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم أننى غير حامد

وهذا الذى ذكرته حق وصدق لاينكره الاجاهل به وأنا أسأل الله الزيادة من فضله وان لم أكن أهلا له فانه هو من أهله (و وقفت على كلام لابى اسحق الصابى) فى الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل سأله فقال ان طريق الاحسان فى منثور الكلام يخالف طريق الاحسان فى منظومه لان الترسل هو ماوضح معناه وأعطاك سماعه فى أول وهلة ماتضمنته ألفاظه وأفخر الشعر ماغمض فلم يعطك غرضه الابعد مماطلة منه ثم قال بعد ذلك ولسائل أن يسأل فيقول من أية جهة صار الاحسن فى معنى الشعر الغموض وفى معانى الترسل الوضوح فالجواب أن الشعر بنى على حدود مقررة وأوزان مقدرة وفصلت أبياته فكان كل بيت منها قائما بذاته وغير محتاج الى غيره الاماجاء على وجه التضمين وهو عيب فلما كان النفس لايمتد فى البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل احتيج الى أن يكون الفصل فى المعنى فاعتمد أن يلطف ويدق والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق اذ كان كلاما واحدا لايتجزى ولا ينفصل الافصولا طوالا وهو موضوع وضع مايهذ هذا ويمر به على أسماع شتى من خاصة ورعية وذوى أفهام ذكية وأفهام غبية فاذا كان متسلسلا ساغ فيها وقرب فجميع مايستحب فى الاول يكره فى الثانى حتى ان التضمين عيب فى الشعر وهو فضيلة فى الترسل ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء انما أغراضهم التى يرمون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء وأما المترسلون فانما يترسلون فى أمر سداد ثغر واصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لملة أو دعاء الى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ماشاكل ذلك هذا ماانتهى اليه كلام أبى اسحق فى الفرق بين الترسل والشعر ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف يصدر عنه مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذى هو فى باب ونصى النظر فى باب اللهم غفرا وسأذكر ماعندى فى ذلك لا ارادة للطعن عليه بل تحقيقا لمحل النزاع فأقول أما قوله ان الترسل هو ماوضح معناه والشعر ماغمض معناه فان هذه دعوى لامستند لها بل الاحسن فى الامرين معا انما هو

وعلى فعال نحو (نعس ينعس نعاسا) و (صرخ يصرخ صراخا) وعلى فعلان نحو (نزا ينزو نزوانا) و (طاف يطوف طوفانا) وعلى فعيل نحو (خب يخب خبيبا) وعلى فعالة نحو (زار يزور زيارة) و (ساس سياسة) و (عبد عبادة) وعلى فعال نحو (قام قياما وصام صياما) و (كتب كتابا) وبعض العرب يقول كتبا على القياس و (حجبه حجابا) ويجئ على فعال نحو (زال يزول زوالا) و (ثبت يثبت ثباتا وثبوتا) (فعل يفعل) يجئ المصدر من هذا على فعل نحو (تعب تعبا) و (سخط سخطا) وعلى فعل نحو (بلع يبلع بلعا) و (لحس يلحس لحسا) وعلى فعول نحو (لزمه لزوما) و (نهكته الحمى نهوكا) وعلى فعل نحو (شربت شربا) و (وددت فلانا ودا) وعلى فعال نحو (سفد يسفد سفادا) وعلى فعلان نحو (غشى غشيانا) و (حسب حسبانا) وعلى فعال نحو (سمع يسمع سماعا) وعلى فعلة نحو (رحمته رحمة) وعلى فعلان (شنئته أشنأه شنآنا) وعلى فعل نحو (ضحك ضحكا) و (لعب لعبا) وعلى فعالة نحو (زهد زهادة) و (سئمت سآمة) و (قنعت قناعة) وعلى فعلة نحو (شهب يشهب شهبة) و (كهب يكهب كهبة) و (صدئ يصدأ صدأة) وعلى فعل نحو (علم يعلم علما) (فعل يفعل) يجئ المصدر من هذا على فعول (جحده يجحده جحودا) وعلى فعال نحو (سأله يسأله سؤالا) و (مزح يمزح مزاحا) وعلى فعلان نحو (لمع يلمع لمعانا) و (دأل يدأل دألانا) وعلى فعل نحو (نفع ينفع نفعا) و (ذبح يذبح ذبحا) وعلى فعال نحو (ذهب يذهب ذهابا) وعلى فعالة نحو (قرأ قراءة) وعلى فعالة نحو (نضج ينضج نضاجة) وعلى فعال نحو (طمع طماعا)

الوضوح

الوضوح والبيان على ان اطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل صواب القول فى هذا أن يقال كل كلام من منثور ومنظوم فينبغى أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة لانها ان لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة لكن اذا صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال فى فهم معانيها فمن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه مالا يفهمه الا الخاصة وتتفاوت درجات فهمه ويكفى من ذلك كتاب الله تعالى فانه أفصح الكلام وقد خوطب به الناس كافة من خاص وعام ومع هذا فمنه ما يتسارع الفهم الى معانيه ومنه ما يغمض فيعز فهمه والالفاظ المفردة ينبغى أن تكون مفهومة سواء كان الكلام نظما أو نثرا واذا تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم فى كتابى هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من مواضعها وأما الجواب الذى أجاب به فى الدلالة على غموض الشعر ووضوح الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم كان مع ذلك غامضا وهب أن الكلام المنثور كان واحدا لا يتجزى فلم كان مع ذلك واضحا ثم لو سلمت اليه هذا فاذا يقول فى الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيت من شعر وأما قوله فى الفرق بين الشاعر والكاتب ان الشاعر من شأنه وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء وأن الكاتب من شأنه الافاضة فى سداد ثغر أو اصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمسئلة أو دعاء الى الفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية فان هذا تحكم محض لا يستند الى شبهة فضلا عن بينة وأى فرق بين الشاعر والكاتب فى هذا المقام فكما يصف الشاعر الديار والآثار ويحن الى الاهواء والاوطار فكذلك يكتب الكاتب فى الاشتياق الى الاوطان ومنازل الاحباب والاخوان ويحن الى الاهواء والاوطار ولهذا كانت الكتب الاخوانيات بمنزلة الغزل والنسيب من الشعر وكما يكتب الكاتب فى اصلاح فساد أو سداد ثغر أو دعاء الى الفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة أو تعزية فكذلك الشاعر فان شذ عن الصابى قصائد الشعراء فى أمثال هذه المعانى فكيف خفى عنه قصيدة أبى تمام فى استعطاف مالك بن طوق على قومه التى مطلعها

لو أن دهرا رد رجع جوابى أم كيف أخل بالنظر فى ديوان أبى الطيب المتنبى وهما فى زمن واحد فما تأمل قصيدته فى الاصلاح بين كافور الاخشيدى وبين مولاه الذى مطلعها

حسم الصلح ما اشتهته الاعادى وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيد أبى عبادة البحترى فى غزو البحر التى مطلعها * ألم تر تغليس الربيع المبكر * ولو أخذت فى تعداد قصائد الشعراء فى الاغراض التى أشار اليها وخص بها الكاتب لاطلت وذكرت الكثير الذى يحتاج الى أوراق كثيرة وكل هذه الفروق التى نص عليها وعددها فليست بشىء ولا فرق بين الكتابة والشعر فيها والذى عندى فى الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه (الاول) من جهة نظم أحدهما ونثر الآخر وهذا فرق ظاهر (الثانى) أن من الالفاظ ما يعاب استعماله نثرا ولا يعاب نظما وذلك شىء استخرجته ونبهت عليه فى القسم الاول المختص باللفظة المفردة فى المقالة الأولى من هذا الكتاب وسأعيد ههنا منه شيأ فأقول قد ورد فى شعر أبى تمام قوله

هى العرمس الوجناء وابن ملمة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد فى شعر أبى الطيب المتنبى كقوله

ومهمه جبته على قدمى * تعجز عنه العرامس الذلل

فلفظة المهمه والعرامس لا يعاب استعمالها فى الشعر ولو استعملا فى كتاب أو خطبة كان

و (ضرح ضراحا) ﴿فعل يفعل﴾ يجئ المصدر من هذا على فعالة نحو (ملح يملح ملاحة) و (نبل ينبل نبالة) وعلى فعولة نحو (قبح يقبح قباحة وقبوحة) و (سهل يسهل سهولة) وعلى فعل نحو (حسن يحسن حسنا) و (قبح يقبح قبحا) وعلى فعل نحو (صغر صغرا) و (عظم عظما) و (سرع يسرع سرعا) وعلى فعل قالوا (كرم كرما) و (شرف شرفا) وعلى (فعلة وفعلة) نحو (وضع يوضع ضعة وضعة) و (وقح يوقح قحة وقحة) وعلى فعل قالوا (ظرف يظرف ظرفا) قال سيبويه اما قولهم الجمال فانه مصدر جمل يجمل وأصله جمالة كما قالوا (صبح صباحة) و (قبح قباحة) فحذفوا وقالوا من غير هذا الباب (شقى شقاء وشقاوة) كما قالوا (سعد سعادة) وقالوا (اللذاذ واللذاذة) وانما هو مصدر (لذ يلذ) وقالوا (بهو يبهو بهاء) و (بذو يبذو بذاء) مثل جمال

﴿باب مصادر بنات الاربعة فما فوق﴾

يجئ مصدر أفعلت على افعال تقول (أكرمت اكراما) و (أعطيت اعطاء) والالف مقطوعة وفى المعتل على افعالة تقول (أقمته اقامة) و (أجلته اجالة) وانما أدخلت الهاء فيه تعويضا عما ذهب منه والذاهب منه موضع العين من الفعل وربما حذفت الهاء اذا أضيفت نحو قول الله جل ثناؤه وأقام الصلاة وكذلك الاستفعالة نحو الاستقامة (ويجئ مصدر فعلت على التفعيل والفعال) نحو كلمته (تكليما وكلاما) و (كذبته تكذيبا وكذابا) و (جملته تجميلا وجمالا) وفى بنات الياء والواو على تفعلة نحو (تعزية) (ويجئ مصدر فاعلت على مفاعلة وعلى فعال وعلى فيعال) نحو (جالسته مجالسة) و (قاعدته مقاعدة) و (ماريته مراء) وجادلته جدالا قال

يقولون (قاتلته قيتالا) ويجئ مصدر (تفعلت) على التفعل (يقولون تقولت تقولا)

استعمالهما معيبا وكذلك ما يشاكلهما ويناسبهما من الالفاظ وكل ذلك قد ضبطته بضوابط وحددته بحدود تفصله من غيره من الالفاظ فليؤخذ من المقالة الأولى ولولا خوف التكرار لاعدته ههنا (الثالث) أن الشاعر اذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة في شعره واحتاج الى الاطالة بأن ينظم مائتى بيت أو ثلثمائة أو أكثر من ذلك فانه لا يجيد في الجميع ولا في الكثير منه بل يجيد في جزء قليل والكثير من ذلك ردىء غير مرضى والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل في الكتاب الواحد اطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة وهو مجيد في ذلك كله وهذا لا نزاع فيه لانا رأيناه وسمعناه وقلناه (وعلى هذا) فانى وجدت العجم يفضلون العرب في هذه النكتة المشار اليها فانّ شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله الى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع ذلك في غاية الفصاحة والبلاغة في لغة القوم كما فعل الفردوسى في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو قرآن القوم وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس في لغتهم أفصح منه وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها وعلى أن لغة العجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

بحمد الله قد تم طبع هذا الكتاب الباهر الذى هو في حسنه المثل السائر محلى بحلية البيان
والمعانى مشيد بجواهر التراكيب والمبانى مطرزا هامشه بكتاب
أدب الكاتب لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
وذلك بالمطبعة البهيه التى بحوش قدم بالغوريه
تعلق الراجى من الله كمال الوفا محمد افندى
مصطفى في أوائل شهر صفر سنة
١٣١٢ من الهجرة النبويه
على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى
التحيه

والذين يقولون (تفعلت تفعالا) و (تكذبت تكذابا) والذين يقولون كلمته كلاما يقولون (تحملت تحمالا)

(ويجئ مصدر تفاعلت على التفاعل) بضم العين نحو (تغافلت تغافلا) وقد شذ منه حرف تقوله بعض العرب بالكسر وبعضها بالفتح قالوا (تفاوت الامر تفاوتا وتفاوتا) حكاه أبو زيد قال والكلابيون يفتحون

(ويجئ مصدر افتعلت على افتعال) نحو (اقتتلنا اقتتالا) و (احتبست احتباسا)

(ويجئ مصدر انفعلت على انفعال) نحو (انطلقت انطلاقا) و (انصرم الشئ انصراما)

(ويجئ مصدر افعللت على افعلال) نحو (احمررت احمرارا) و (اسوددت اسودادا)

(ويجئ مصدر افعاللت على افعيلال) نحو (اشهاببت اشهيبابا) ومصدر افعوللت على افعوال نحو (اجلوذ اجلواذا) ومصدر افعنللت على افعنلال نحو (اقعنسس اقعنساسا) ومصدر افعوعلت على افعيعال نحو (اغدودنت اغديدانا) ومصدر استفعلت على استفعال نحو (استخرجت استخراجا)

﴿باب ما جاء فيه المصدر على غير المصدر﴾

قال الله عز وجل (والله أنبتكم من الارض نباتا) فجاء على نبت وقال الله جل ثناؤه (وتبتل تبتيلا) فجاء على بتل وقال الشاعر

وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بأن تتبعه اتباعا

فجاء على اتبعت وقال الآخر

وان شئتم تعاودنا عوادا فجاء على عاودنا وانما تجئ هذه المصادر مخالفة الافعال لان الافعال وان اختلفت أبنيتها واحدة في المعنى